

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(وقف لله تعالى)

يوزع مجاناً

مَوَارِدُ الظَّمآنِ لِدُرُوسِ الزَّمَانِ

خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب والأخلاق بحسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه
عبد العزيز بن محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن
المدني في عهد الإمام الدعوة بالرياض
سنة

الجزء الأول

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جمعية من المحبين بغير التكاليف منهم
إبراهيم بن علي العوده
جزاهم الله كلهم خيراً

١٤٢٤ هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَوَارِدُ الظَّمَانِ لِذُرْوَسِ الزَّمَانِ

خُطْبٌ وَحِكْمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَوَاعِدٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ وَأَخْلَاقٌ حِسَانٌ

تأليف الفقيه الفقيه إلى عفور ربه

عبد العزيز المحمَّد السَّلْمَانِي

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الأول

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢٤ هـ

بِاللَّهِ يَا نَاطِرًا فِيهِ وَمُنْتَفِعًا
وَقُلْ أَنلُهُ إِلَهَ الْعَرْشِ مَغْفِرَةً
وَحُصَّ نَفْسَكَ مِنْ خَيْرِ دَعْوَتٍ بِهِ
وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا مَا بَدَأَ قَمَرٌ
مِنْهُ سَلِ اللَّهُ تَوْفِيقًا لِجَامِعِهِ
وَاقْبَلْ دُعَاؤَهُ وَجَنِّبْ عَنْ مَوَانِعِهِ
وَمَنْ يَقُومُ بِمَا يَكْفِي لِطَائِعِهِ
أَوْ كَوَكَّبَ مُسْتَنِيرٌ مِنْ مَطَالِعِهِ
بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ الْجَلِيلُ
آخِر: وما اكتسب المعالي طابؤها



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فوائد عظيمة النفع

قال بعض العلماءِ عَلَى سَبِيلِ النُّصْحِ وَالْإِرْشَادِ يَا هَذَا إِنَّمَا خُلِقْتَ الدُّنْيَا لِتَجُوزَهَا لَا لِتُحْوِزَهَا وَلِتَعْبُرَهَا لَا لِتَعْمُرَهَا فَاقْتُلْ هَوَاكَ الْمَائِلَ إِلَيْهَا وَلَا تُعَوَّلْ عَلَيْهَا وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ النَّوَابِغِ وَمَشْرَعَةُ الْمَصَائِبِ وَمُفْرَقَةُ الْمَجَامِعِ وَمُجْرِيَةُ الْمَدَامِعِ .

(١)

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْبِحَ وَتُحْمَدِ الْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فائدة: حَفِظُ الْأَوْقَاتِ تُفِيدُ الْأَعْمَارَ وَتُكْثِرُ الْآثَارَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وَالْوَقْتُ أَنْفُسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَرَأَهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيغُ آخِرُ: وَالْعُمُرُ أَنْفُسُ مَا لِلْإِنْسَانِ مُنْفِقُهُ فَاجْعَلْهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ مَصْرُوفًا

(٢)

الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلْفَظُ بِهِ، فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَاوَاهُ .

(٣)

إِعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مِدَارٌ عَظِيمٌ وَحِصْنٌ قِصَرِ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَحِصْنٌ حِصْنِهِ ذِكْرُ فِجَاءَةِ الْمَوْتِ وَأَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ، وَهُوَ فِي غَيْرِ وَقُتُّورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ، فَاحْفَظْ هَذِهِ الْفَوَائِدَ وَأَعْمَلْ بِهَا تُفْلِحَ وَتَرْبِحَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى
أَيِّ حَالٍ كَانَ وَأَنْ يَنْتَهَزَ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ قَبْلَ مُفَاجَأَةِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَأَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى
اللَّهِ وَيَطْلُبَ مِنْهُ الْعَوْنَ فِي تَيْسِيرِهَا إِلَيْهِ وَصَرَفِ الْمَوَانِعِ الْحَائِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .

آخر: مُبَايَ مِنَ الدُّنْيَا عُلُومٌ أَبْثُهَا
دُعَاءٌ إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي
وَقَدْ أَبْدَلُوهَا الْجَرَائِدَ تَارَةً
وَمَذْيَاعِهِمْ أَيْضًا فَلَا تَنْسَ شَرَّهُ

آخر: كُلُّ أَمْرٍ فِيمَا يَدِينُ يُدَانُ
يَا عَامِرَ الدُّنْيَا لَيْسَ كُنْهًا وَمَا
تَفْنَى وَتَبْقَى الْأَرْضُ بَعْدَكَ مِثْلَمَا
أَسْرُ بِالْدُنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ

آخر: كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فِتْلِكَ دِيَارُهُمْ
وَهَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حَيًّا بِمَنْزِلِ
وَأَهْلِ الثَّرَى نَحْوَ الْمَقَابِرِ شَرِّعٌ
عَلَى ذَلِكَ مَرُّوا أَجْمَعُونَ وَهَكَذَا
فَلَا تَحْسِنَنَّ الْوَفْرَ مَا لَا جَمْعَتُهُ

وَلَيْسَ الَّذِي يَبْقَى الَّذِي أَنْتَ جَامِعٌ
قَضَى جَامِعُوا الْأَمْوَالَ لَمْ يَتَزَوَّدُوا
بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الْعَطَا
وَمَا بَيْنَ مِيلَادِ الْفَتَى وَوَفَاتِهِ
لِإِنَّ الَّذِي يَأْتِي كَمِثْلِ الَّذِي مَضَى
فَصَبْرًا عَلَى الْأَوْقَاتِ حَتَّى تَحُوزَهَا

تَقْضِي الْمَارَبَ وَالسَّاعَاتُ سَاعِيَةً
آخر: طَالَ التَّبَسُّطُ مَنَافِي حَوَائِجِنَا
وَلَمْ تَرَ فِي الْبَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدَّهْرُ
عَلَيْهَا مَجَالُ الرِّيْحِ بَعْدَكَ وَالْقَطْرُ
عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِالْفَنَاءِ لَهُ قَبْرٌ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى رَبِّهِمْ نَشْرٌ
يَمْرُونَ حَتَّى يَسْتَرْدُّهُمْ الْحَشْرُ
وَلَكِنَّ مَا قَدَّمْتَ مِنْ صَالِحٍ وَفُرٌ
وَلَكِنَّ مَا أَوْلَيْتَ مِنْهُ هُوَ الدُّخْرُ
سِوَى الْفَقْرِ يَا بُؤْسًا لِمَنْ زَادَهُ الْفَقْرُ
وَتَذَكَّرْ قَوْلِي حِينَ لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ
إِذَا نَصَحَ الْأَقْوَامُ أَنْفُسَهُمْ عُمْرُ
وَمَا هُوَ إِلَّا وَفَتْكَ الضِّيْقُ النَّزْرُ
فَعَمَّا قَلِيلٍ بَعْدَهَا يَنْفَعُ الصَّبْرُ
كَأَنَّهنَّ صِعَابٌ تَحْتَنَّا ذُلُّ
وَإِنَّمَا نَحْنُ فَوْقَ الْأَرْضِ أَضْيَافُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ يَا أَخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ ، وَقَهْرِهِ ، وَذَلِكَ لِخَصْلَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ مُظَلٌّ مُبِينٌ ، لَا مَطْمَعَ فِيهِ بِمُصَالِحَةٍ وَاتِّقَاءِ شَرِّهِ أَبَدًا ، لِأَنَّهُ لَا يُرْضِيهِ وَيُقْنِعُهُ إِلَّا هَلَاكُكَ أَصْلًا ، فَلَا وَجْهَ إِذَا لِلْأَمْنِ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ وَالْعَفْلَةِ عَنْهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَلَمْ أُعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ، وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى عَدَاوَاتِكَ ، وَمُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَرْمِيكَ بِسِهَامِهِ ، وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ ، ثُمَّ هُوَ لَهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عَدَاوَةٌ عَامَّةٌ ، وَمَعَ الْمُجْتَهِدِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ عَدَاوَةٌ خَاصَّةٌ ، وَمَعَهُ عَلَيْكَ أَعْوَانُ نَفْسِكَ الْأَمَارَةَ بِالسَّوْءِ ، وَالْهَوَى ، وَالذُّنْيَا ، وَهُوَ فَارِغٌ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ ، وَهُوَ يَرَاكَ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ ، وَأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهُوَ لَا يَنْسَاكَ ، فَإِذَا لَا بُدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِ ، وَقَهْرِهِ ، وَإِلَّا فَلَا تَأْمَنُ الْفَسَادَ وَالْهَلَاكَ وَالذَّمَّارَ ، وَمُحَارَبَتُهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ وَالْإِكْتَارِ مِنْ ذِكْرِهِ .

شِعْرًا: إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ رَاغِمًا فَتُحْرِقَهُ حُرْنًا وَتَقْتُلَهُ عَمَّا
فَعَلَيْكَ بِالْإِخْلَاصِ وَالزُّهْدِ وَالتَّقَى فَمَنْ فَازَ فِيهَا مَاتَ حُسَادُهُ هَمًّا
آخِرًا: وَلَمْ أَرَى كَالِإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحَدَهُ وَلَا مِثْلَ تَقْوَاهُ وَإِكْتَارِ ذِكْرِهِ

فَصَلِّ

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْتَرْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيمُ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُؤَالَيْنِ لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُنَادِينَ بِمُؤَالَاتِهِمْ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ مَرْضَى قُلُوبٍ ، وَيُخْشَى عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أَوْ اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَا بِهِمْ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ ، لِأَنَّ الْمَرِيضَ يُعْدِي الصَّحِيحَ وَلَا عَكْسًا ، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ

البدع، وَمِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الَّذِينَ يَجِبُ الْبُعْدُ عَنْهُمْ وَهَجْرَانُهُمْ، الْجَهْمِيَّةُ،
وَالرَّافِضَةُ، وَالْمُعْتَزَلَةُ، وَالْمَآثِرِيَّةُ، وَالْحَوَارِجُ، وَالصُّوفِيَّةُ، وَالْأَشَاعِرَةُ، وَمَنْ
عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنْ طَرِيقَةِ السَّلَفِ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ
يَحْذَرَهُمْ وَيُحَذِرَ عَنْهُمْ وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فائدة: وَقْتُ الْإِنْسَانِ هُوَ عُمُرُهُ وَمَادَّةُ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةُ فِي النَّعِيمِ الْمَقِيمِ وَمَادَّةُ
الْمَعِيشَةِ الصَّنْعُ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَهُوَ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ.

شِعْرًا: إِنِّي أَبْتُكَ مِنْ حَدِيثِي إِنَّ الْحَدِيثَ لَهُ شُجُونٌ
غَيْرْتُ مَرَقَدَ نَوْمِي لَيْلًا ففَارَقَنِي السُّكُونُ
قُلْ لِي فَأَوْلُ لَيْلِيَّةٍ فِي الْقَبْرِ كَيْفَ تَرَى يَكُونُ

آخر: يَا مَنْ سَيْنَاءَ عَنْ بَيْنِهِ جَاءَ الْيَقِينُ فَوَجَّهْهُ
مَثَلٌ لِنَفْسِكَ قَوْلَهُمْ جَاءَ الْيَقِينُ فَوَجَّهْهُ
وَتَحَلَّلُوا مِنْ ظُلْمِهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَحَلَّلْهُ

آخر: أَعْوَامٌ لَهُوَ كَانَ يُحْزَنُ ذِكْرُهَا قَلْبَ اللَّيْبِ لِفَقْدِهَا لِلطَّاعَةِ
لَوْ أَنَّهَا مُلِعَتْ بِذِكْرِ الْهِنَا وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ زَالَتْ نَدَامَتِي

آخر: بِطَاعَتِكَ الْإِلَهَ تَنَالُ عِزًّا وَتَسْعُدُ يَا فَتَى يَوْمَ الْجَزَاءِ

آخر: عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَمَا حَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُرُ

آخر: لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ أَمْضَى الْحَيَاةِ بِتَسْبِيحِ وَتَهْلِيلِ

فائدة: الْعِلْمُ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَمَا جَاءَ عَنِ
رَسُولِهِ ﷺ خَيْرٌ مِيرَاثٍ، وَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ قَائِدٌ، وَالْإِجْتِهَادُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ
خَيْرٌ بِضَاعَةً، وَلَا مَالٌ أَحْسَنُ مِنْ عَمَلِ الرَّجُلِ فِي يَدِهِ، وَلَا مُصِيبَةٌ أَكْبَرُ مِنَ
الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَلَا عَوْنٌ أَوْثَقُ مِنَ الْإِعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، ثُمَّ مُشَاوَرَةَ

أَصْحَابِ الرَّأْيِ السَّيِّدِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَوْحَشَ مِنَ الْكَبِيرِ، وَالْكَفْرِ
وَالْعُجْبِ، وَالنَّفَاقِ، وَالْإِلْحَادِ.

وقال يحيى بن معاذ: عَجِبْتُ مِنْ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ يَرَاهُ بِعَمَلِهِ مُخْلُوقًا مِثْلَهُ
وَيَتْرُكُ أَنْ يَعْمَلَ لِلَّهِ، وَرَجُلٍ يَسْخُلُ بِمَالِهِ وَرَبُّهُ يَسْتَقْرِضُهُ مِنْهُ فَلَا يُقْرِضُهُ مِنْهُ
شَيْئًا، وَرَجُلٍ يَرِغُبُ فِي صُحْبَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَمَوَدَّتِهِمْ وَاللَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى صُحْبَتِهِ
وَمَوَدَّتِهِ.

ملاحظة: لا يسمح لأي إنسان أن يَحْتَصِرَهُ أو يَتَعَرَّضَ لِمَا يُسْمُوهُ
تَحْقِيقًا لِأَنَّ الْاِخْتِصَارَ سَبَبٌ لِتَعْطِيلِ الْأَصْلِ وَالتَّحْقِيقِ أَرَى أَنَّهُ إِتِهَامٌ لِلْمَوْلَفِ،
وَلَا يُطْبَعُ إِلَّا وَقَفَاءً لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ النَّفَعُ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ

مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَفَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفَهَّمَهُ
مَعْنَاهَا، وَوَفَّقَهُ لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهَا.

شِعْرًا: عَلَيكَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَا يُؤَدِّي
وَمَا تَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ وَشَيْكَأً
إِلَى سُنَنِ السَّلَامَةِ وَالْحَلَاصِ
وَفَوْزًا يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
أخر: عَجِبْتُ لِمَنْ يَعْمُرُ قُصُورًا فَسِيحَةً
وَيَتْرُكُ قَبْرًا فِيهِ يَسْكُنُ وَحَدَهُ
لَيْسْكُنَهَا وَقْتًا قَلِيلًا وَيَرْحَلُ
زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ يَأْتِي يُهْرَوُلُ
إِلَى مَوْقِفٍ فِيهِ يَشِيبُ وَلَيْدُهُ
وَتُسْقَطُ ذَاتُ الْحَمْلِ فِيهِ وَتَذْهَلُ
لَطَلَّقَتْ دُئْبًا بِالثَّلَاثِ مُعْجَلُ
عَلَيْهَا أَنَا سٌ جَاهِلُونَ وَغُفْلُ
وَمِنْ بَعْدِهِ الْأَهْوَالُ لَوْ قَدْ رَأَيْتَهَا
فَلِلَّهِ دُرُّ الزَّاهِدِينَ بِجِحْفَةٍ
أخر: آخِرُ يُسْرُ بِصَفْوِ عَيْشَتِهِ الْجِهُولُ
وَدُونَ مُقَامِهِ حَادٍ حَثِيثُ

فَكَانَ لَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا قُقُولُ
 مَسَالِكُهُمْ وَيَحْتَلِفُ الْمُقِيلُ
 وَمَرْجُ كُوُوسِهَا الدَّاءُ الدَّخِيلُ
 وَتَحْتَ صِقَالِهَا السِّيفُ الصَّقِيلُ
 لَتَنَهَاهُمْ التَّقْوَى عَنْهَا لَوْ ائْتَهَوْا
 مُسْتَفِيداً مِنْهُ مَرْغُوبِ الطَّلَابِ
 بَاجْتِهَادِي بِمَشِينِي وَالشَّبَابِ
 وَتَحْرَى فِيهِ أَوْقَاتِ الإِجَابِ

سَبِيلُ مَا تَوَجَّهَ فِيهِ سَفَرٌ
 طَرِيقٌ يَسْتَوِي لِلخَلْقِ فِيهِ
 يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُوُوسِ لَهْوِ
 وَتَصْقُلُ وَجْهَهَا لَهُمْ خِدَاعَا

آخر: أَكْبَ بَنُوا الدُّنْيَا عَلَيْهَا وَإِنَّهُمْ
 أَيُّهَا النَّاطِرِ بَعْدِي فِي كِتَابِي
 قَاطِطاً مِنْهُ ثِمَاراً نُسَقَّتْ
 إِهْدِ لِي مِنْكَ دُعَاءَ صَالِحَا

آخر: (تَضَرُّعٌ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا)

فَاجْعَلْ بِفَضْلِكَ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَةً
 وَارْحَمْ عِظَامِي حِينَ تَبْقَى نَاحِرَةً
 وَلَكَّ بِأَوْزَارِ غَدَتِ مُتَوَاتِرَةً
 وَبِحَارِ جُودِكَ يَا إِلَهِي زَاخِرَةً
 يَا رَاحِمَ الشَّيْخِ الكَبِيرِ وَنَاصِرَةَ
 فَاجْعَلْ بِفَضْلِكَ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَةً

قَرَبَ الرَّحِيلُ إِلَى دِيَارِ الآخِرَةِ
 وَارْحَمْ مَقِيلِي فِي القُبُورِ وَوَحْدَتِي
 فَأَنَا المُسَيِّكِينَ الَّذِي أَيَّامُهُ
 فَلَيْنَ طَرِدْتُ فَمَنْ يَكُنْ لِي رَاحِمَا
 يَا مَالِكِي يَا خَالِقِي يَا رَازِقِي
 مَالِي سِوَى قَصْدِي لِبَابِكَ سَيِّدِي

وَإِثْرَكَ لِمَا يُلْهِبِي عَنِ الرَّحْمَنِ
 وَجَمِيعَ مَا فَوْقَ البَسِيطَةِ فَإِنِ
 عَنِ ذِكْرِ يَوْمِ الحِشْرِ وَالمِيزَانِ
 فِي النَّصْرِ فِي الآيَاتِ بِالقُرْآنِ
 ذَا غَفْلَةٍ عَنِ طَاعَةِ الدِّيَانِ

آخر: دَعَّ عَنْكَ ذِكْرَ فَلَانَةٍ وَفَلَانِ
 وَاعْلَمْ أَنَّ المَوْتَ يَأْتِي بَعْنَةً
 فَإِلَى مَتَى تَلْهُوُ وَقَلْبُكَ غَافِلٌ
 أَتَرَكَ لَمْ تَكْ سَامِعَا مَا قَدْ أَتَى
 فَانظُرْ بَعِينَ الأَعْتَابِ وَلَا تَكُنْ

(فَضْلٌ)

(١) « فَوَائِدُ عَظِيمَةُ النِّفْعِ جِدًّا مِمَّا قَالَهُ العُلَمَاءُ إِعْلَمُ أَنَّ قِصَرَ الأَمَلِ عَلَيْهِ مَدَارٌ

عظيم، وَحِصْنُ قِصْرِ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فِجَاءِ الْمَوْتِ وَأَخْذُ الْأَنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَغِفْلَةٍ وَهُوَ فِي غُرُورٍ وَفُتُورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ». (٢) «اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ، فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْبِحُ وَتَحْمِدُ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

وقال عيسى بن مريم عليه السلام عَجِبْتُ لِثَلَاثَةٍ: لِغَافِلٍ وَلَيْسَ بِمَعْفُوقٍ عَنَّهُ، وَمُؤْمِلٍ دُنْيَاهُ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَبَانٍ قَصْرًا وَالْقَبْرُ مَسْكَنُهُ. (٣) «الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلْفُظُ بِهِ، فَاحْرَصْ عَلَيَّ أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسْرُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَمَا وَالَاهَا».

شعرا: وَإِنْ أَحْسَنَ بَيِّنٍ قَالَهُ رَجُلٌ بَيِّنٌ تَضَمَّنَ تَوْحِيدَ الَّذِي خَلَقَا
 آخِر: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْصِ الْأَلَهَ بِفِعْلِهِ وَلَا قَوْلِهِ فَهُوَ الْأَدِيبُ الْمُهْدَبُ
 آخِر: تَمْضِي حَيَاتِكَ ثُمَّ تَبْقَى صَفْحَةٌ عَنْ ذِي الدَّيَارِ الْيَوْمَ حَتْمًا أَوْ عَدَا
 مَهْمَا مَكُنْتَ فَأَنْتَ ضَيْفٌ رَاجِلٌ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي أَنْ يَدُومَ مُخَلِّدًا
 فَاتْرِكْ إِذَا أَتْرَأَ لِدُكْرِكَ صَالِحًا فِي سُورَةِ الشُّعْرَا سُؤَالَ مُسَدَّدًا»
 «وَاسْأَلْ بِمَا سَأَلَ الْخَلِيلُ إِلَاهَهُ»

(فصل)

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِبْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضًا مِنَ النُّبَا، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَن طَبَعَهُ وَقَفَا لِلَّهِ، أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَتَوَزَّيَعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ. فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ فِي السُّهُمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِي بِهِ، وَمُنْبِلُهُ» الْحَدِيثُ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ جَهَزَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ سَبِيلٍ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » رواه ابن ماجه وابن خزيمة .

وَرَوَاهُ الْبَزَّازُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهِيَ فِي قَبْرِهِ مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا أَوْ كَرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بَيْرًا أَوْ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ بَنَى مَسْجِدًا أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَعْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ » .

فائدة عظيمة النفع

وَقَفَّ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا لَهُ إِنَّا سَأَلُوكَ أَفْمَجُوبِينَ أَنْتَ قَالَ سَلُوا وَلَا تُكْثِرُوا فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرْجِعَ وَالْعُمُرَ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّالِبَ حَيْثُ فِي طَلَبِهِ ، قَالُوا فَأَوْصِنَا ، قَالَ : « تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أُبْلِعَ الْبُعِيَّةَ ، ثُمَّ قَالَ الْأَيَّامُ صَحَائِفَ الْأَعْمَالِ فَخَلِدْهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الْفُرْصَ تَمُرٌ مَرٌّ السَّحَابَ وَالتَّوَانِي مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكُسَالَى ، وَمَنْ اسْتَوَطَنَ مَرْكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وَتَزَوَّجَ التَّوَانِي بِالْكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الْحُسْرَانُ » إهد .

شِعْرًا: مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤْمَلُ غَيْبٌ وَكَانَ السَّاعَةَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

فائدة عظيمة النفع

أَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ قَلْبُكَ وَوَقْتُكَ ، فَإِذَا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتُكَ ، فَمَاذَا بَقِيَ مَعَكَ ، كُلُّ الْفَوَائِدِ ذَهَبَتْ .

شِعْرًا: وَذَكَرْ بِاللُّقَى قَلْبًا غَفُولًا فَلَوْلَا السَّقِيُّ مَانَمَتِ الزُّرُوعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الكتاب

الحمدُ لله الذي تَفَرَّدَ بالجلالِ والعظمةِ والعِزِّ والكبرياءِ والجمالِ
وأشكرُهُ شَكَرَ عَبْدٍ مُعْتَرِفٍ بالتقصيرِ عن شكرِ بعضِ ما أولِيَهُ مِنَ الانعامِ
والأفضالِ وأشهدُ أنْ لا إلهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ﷺ .

وَبَعْدُ فَبِمَا أَنِي رَأَيْتُ كِتَابَ الْمَنَاهِلِ الْحَسَانَ مَطْلُوبًا وَمَرْغُوبًا فِيهِ وَرَأَيْتُ أَنِي
أَوْسَعُهُ وَأَزِيدُ فِيهِ زِيَادَاتٍ كَثِيرَةً مَا بَيْنَ حِكْمٍ وَأَحْكَامٍ وَقَوَاعِدَ وَمَوَاعِظَ وَأَدَابٍ
وَأَخْلَاقٍ وَقِصَائِدَ زُهْدِيَّاتٍ لِيَكُونَ جَامِعًا نَافِعًا صَالِحًا وَمُنَاسِبًا لِرَمَضَانَ وَغَيْرِهِ
وَاللَّعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ وَاللَّائِمَةَ وَغَيْرِهِمْ وَبَذَلْتُ وَسُعِي وَأَعْتَنَيْتُ جُهْدِي فِي تَهْدِيئِهِ
وَتَنْفِيحِهِ وَتَرْتِيبِهِ وَقَدْ أَكْمَلْتُ تَشْكِيلَهُ لِيَعُذِبَ لِلسَّمَاعِ وَالقَارِيءِ وَيَسْهُلَ
عَلَيْهِ .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ الْحَلِيمَ الْكَرِيمَ الْقَرِيبَ الْمُجِيبَ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ
مُقَرَّبًا لَنَا وَلِنَ قَرَأَهُ وَسَمِعَهُ لَدَيْهِ فِي جَنَاتِ النِّعَمِ وَأَنْ يَأْجَرَ مَنْ طَبَعَهُ وَمَنْ
أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ وَمَنْ تَسَبَّبَ لَطَبَعِهِ مَدَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلَهُ
وَلِوَالِدَيْنَا وَوَالِدَيْهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عبد العزيز بن محمد السَّلْمَان

آخِرُ: لَا تَبِكِ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا وَإِنَّكَ لَيَوْمَ تَسْكُنِ الْخَافِرَةَ
 وَإِنَّكَ إِذَا صَبَحَ بِأَهْلِ الثَّرَى فَاجْتَمَعُوا فِي سَاعَةِ السَّاهِرَةَ
 وَيَلِكِ يَادُنْيَا لَقَدْ قَصَّرْتَ آمَالُ مَنْ يَسْكُنُ الْآخِرَةَ
 آخِرُ: قِفْ دُونَ دِينِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِدًا إِنَّ الْحَيَاةَ عَقِيدَةٌ وَجِهَادُ
 آخِرُ: إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ غُمْرَكَ فَاحْتَرِزْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبِ
 وَسَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ الْجَامِعَ الْمُسَلِّيَ لِقَارِيهِ وَسَامِعِهِ :

(مَوَارِدَ الظَّهَانِ لِدرُوسِ الزَّمَانِ)

حِكْمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَوَاعِدٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ وَأَخْلَاقٌ حِسَانٌ

أَسِيرٌ خَلَفَ رِكَابِ النُّجُبِ ذَا عَرَجٍ
 مُؤَمَّلًا جَبْرًا مَا لَأَقِيْتُ مِنْ عِوَجِ
 فَإِنْ لِحِقْتُ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا سَبَقُوا
 فَكَمْ لِرَبِّ السَّمَاءِ فِي النَّاسِ مِنْ فَرَجِ
 وَإِنْ ظَلَلْتُ بِقَفْرِ الْأَرْضِ مُنْقَطِعًا
 فَمَا عَلَى عَرَجٍ فِي ذَلِكَ مِنْ حَرَجِ
 (هَذَا الْكِتَابَ وَقَفَ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ) وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يُرِيدُ
 الْإِنْتِفَاعَ بِهِ وَاحْتَرِزْ أُيُّهَا الْأَخُ مِنْ بَيْعِهِ أَوْ تَعْطِيلِهِ .

بِاللَّهِ يَا قَارِيًّا كُتِبِي وَسَامِعَهَا أَسْئَلُ عَلَيْهَا رِادَةَ الْحُكْمِ وَالكَرَمِ
 وَاسْتُرْ بِلُطْفِكَ مَا تَلْقَاهُ مِنْ خَطَايَا أَوْ أَصْلَحْنَهُ تَثْبِثُ إِنْ كُنْتَ ذَا فَهْمِ
 فَكَمْ جَوَادِ كِبَى وَالسَّبْقِ عَادَتُهُ وَكَمْ حُسَامِ نَبَا أَوْ عَادَ ذُو ثَلَمِ
 وَكُلُّنَا يَا أَخِي خَطَاةٌ ذُو زَلِيلِ وَالْعُدْرُ يَقْبَلُهُ ذُو الْفَضْلِ وَالشِّيمِ

آخر: مَنْ الذِّي مَا سَاءَ قَطُّ
 آخر: أُنْحَا الْعِلْمَ لَا تَعَجَلْ لِغَيْبِ مُصَنِّفٍ
 وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ
 وَلَمْ تَتَيَقَّنْ زَلَّةً مِنْهُ تُعْرَفُ
 وَكَيْمَ حَرْفِ الْمَنْقُولِ قَوْمٌ وَصَحَّفُوا
 وَجَاءَ بِشَيْءٍ لَمْ يُرِذْهُ الْمُصَنِّفُ
 فَهُوَ الذِّي يُرْتَجَى مِنْ عِنْدِهِ الْأَمَلُ
 وَإِنْ رُدِدْتَ فَلَا ذِلَّ وَلَا تَخَجُلُ
 فَإِنْ مُنِحَتْ فَلَا مَنْ وَلَا كَدْرُ

(فصل)

الأركان الستة وكيفية الإيمان بها :

الأول : الإيمان بالله جلَّ جلاله :

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه وأنه الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور .

وأنه المستحق لأن يُفردَ بالعبودية والذلِّ والخضوع وجميع أنواع العبادة ، وأنه المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل عيبٍ ونقص ، وهذا هو الأساس الأول الذي يقوم ببناء شخصيَّة المسلم عليه .
 شِعْرًا :

عَلَيْكَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ هُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى بِهَا يُتَمَسَّكُ
 آخر :

تَأْمَلْ صِحْفَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا مِنْ الْجَانِبِ السَّامِيِّ إِلَيْكَ رَسَائِلُ
 وَقَدْ حُطَّ فِيهَا لَوْ تَأْمَلْتَ حَطَّهَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ

٢ - الركن الثاني : الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة هو التصديق الجازم بأنَّ لله ملائكةً موجودين مخلوقين من نور ، وأنهم كما وصفهم الله عباداً مكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها .

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ عَلَى التَّفْصِيلِ بِمَنْ وَرَدَ تَعْيِينُهُ بِاسْمِهِ الْخُصُوصِ كَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَرِضْوَانَ وَمَالِكَ ، فَجَبْرِيلُ هُوَ الْمُوَكَّلُ بِأَدَاءِ الْوَحْيِ وَهُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، وَمِيكَائِيلُ الْمُوَكَّلُ بِالْقَطْرِ ، وَإِسْرَافِيلُ الْمُوَكَّلُ بِالصَّوْرِ ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلُ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ .

وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ ، وَهُمْ الْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ ، وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِحِفْظِ الْعَبْدِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ وَهُمْ الْمُعَقَّبَاتُ ، وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَهُمْ رِضْوَانٌ وَمَنْ مَعَهُ .

وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِالنَّارِ وَعَذَابِهَا وَهُمْ مَالِكٌ وَمَنْ مَعَهُ ، وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَهُمْ مُنَكَّرٌ وَنَكِيرٌ ، وَمِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ .

وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِالنُّطْفِ فِي الْأَرْحَامِ وَكِتَابَةُ مَا يَرَادُ بِهَا ، وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ يَدْخُلُونَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ثُمَّ لَا يَعُودُونَ ، وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ سَيَّاحُونَ يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَنْ لَمْ يَرَدْ تَعْيِينُهُ بِاسْمِهِ الْخُصُوصِ أَوْ تَعْيِينُ نَوْعِهِ الْخُصُوصِ لِإِجْمَالِ اللَّهِ أَعْلَمَ بَعْدِيهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَلَّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ الْآيَةَ .

فَجَعَلَ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِيمَانُ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ وَسَمَّى مَنْ آمَنَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ مُؤْمِنِينَ ، كَمَا جَعَلَ الْكَافِرِينَ مَنْ كَفَرَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ الْآيَةَ .

وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ » الْحَدِيثُ فَهَذِهِ الْأَصُولُ اتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ إِلَّا الرُّسُلُ وَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ .

إِيْمَانُنَا بِاللّٰهِ ثُمَّ بُرْسِلِيْهِ
 وَبِجُنْدِيْهِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْأُولَى
 هَذِيْ أَصْوَالُ الدِّينِ حَقًّا لَا أَصْ—
 آخِر: وَبَعْدَ حَمْدِ اللّٰهِ أَنْتِيْ أَشْهَدُ
 إِلَّا الْإِلٰهَ الْوَاحِدَ الْفَرْدُ الصَّمَدُ
 وَأَنَّ طَهَّ خَيْرٌ مِنْ قَدْ أُرْسِلَا
 صَلَّى عَلَيْهِ اللّٰهُ ذُو الْجَلَالِ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ
 وَبِكُتْبِهِ وَقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 هُمْ رُسُلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ
 سُوْلِ الْخَمْسِ لِلْقَاضِي هُوَ الْهَمْدَانِ
 أَنْ لَا إِلٰهَ مُسْتَحِقًّا يُعْبَدُ
 مَنْ جَلَّ عَنْ زَوْجٍ وَكُفَّءٍ وَوَلَدُ
 يَدْعُوْهُ إِلَى التَّوْحِيدِ سَائِرَ الْمَلَا
 مَا دَامَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي
 السَّادَةِ الْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ

(فصل): ٣ - الركن الثالث : الإيمان بكتب الله :

الإيمان بكتب الله هو التصديق الجازم بأن الله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله
 وهي من كلامه حقيقة ، وأنها نور وهدى ، وأن ما تضمنته حق وصدق
 ولا يعلم عددها إلا الله .

وأنه يجب الإيمان بها جملة إلا ما سمي منها وهي التوراة والإنجيل والزبور
 والقرآن وصحف إبراهيم وموسى فيجب الإيمان بها على التفصيل .
 قال الله : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة
 والإنجيل من قبل هدى للناس ﴾ وقال : ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ وقال : ﴿ أم
 لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ﴾ وقال : ﴿ إن هذا لفي
 الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ فيجب الإيمان بها على التفصيل
 والبقية إجمالاً .

ويجب مع الإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله الإيمان بأن الله تكلم به
 حقيقة ، كما تكلم بالكتب المنزلة على أنبيائه ورسله ، وأنه المخصوص بمزية
 الحفظ من التغيير والتبديل والتحريف .

قال الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقال :
 ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

ومنزلة القرآن من الكتب المتقدمة كما ذكر الله فيه قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ . وقال : ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ . وقال : ﴿ ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ .

قال المفسرون : مهيمناً مؤتمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب ، ومصدقاً لها يعني يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتغيير وتبديل ، فما شهد له بالصدق فهو المقبول ، وما شهد له بالرد فهو المردود . وله يخضع كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه . وقال الله تعالى : ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ .

ويجب على كل أحد إتباعه ظاهراً وباطناً والتمسك به والقيام بحقه ، قال الله : ﴿ وهذا الكتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ وقال : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ .

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله فقال : « خذوا بكتاب الله وتمسكوا به » وفي حديث علي مرفوعاً : « إنها ستكون فتن . قلت ما المخرج منها يا رسول الله . قال : كتاب الله » وذكر الحديث .

ومعنى التمسك به والقيام بحقه حفظه وتلاوته ، والقيام به أثناء الليل والنهار ، وتدبير آياته وإحلال حلاله وتحريم حرامه ، والانقياد لأوامره والانزجار بزواجره ، والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه ، والعمل بمحكمه ،

والإيمان بمتشابهه ، والوقوف عند حدوده ، والذب عنه لتحريف الغالين
المبطلين والنصيحة له بكل معانيها والدعوة إليه على بصيرة .

وفي جواب أهل العلم والإيمان : السلف متفقون على أن القرآن هو
المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب ، وهو أعلى منها درجة ،
فإنه قرر ما فيها من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر ، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً .
وبين الأدلة والبراهين على ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين ،
وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل ، وجادل المكذبين بالكتب والرسل
بأنواع الحجج والبراهين .

وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها وبين ما حرف منها
وبدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة ، وبين أيضاً ما كتّمه مما أمر
الله ببيّانه .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ وَأَرْزُقْنَا
الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
علينا بِفَضْلِكَ رَامِتَانِكَ واجعلنا من عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يُحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعل رَغْبَتَنَا فِيْمَا لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنَا
بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، واغفر لنا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مُنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ .

مِنْ أَهْمَلِ الدِّينِ لَا تَأْمَنُ عَقَابَتُهُ وَكَو تَسْمَى بِإِخْلَاصِ بِنِيَّاتِ
لِأَدَمَ جَاءَ إِبْلِيسُ وَقَالَ لَهُ إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ فَاسْمَعْ مَقَالَاتِي
فَأَقْسَمَ الْخُبْتُ فِي رَبِّي وَتَرَّلَهُمْ مِنَ الْجِنَانِ إِلَى دَارِ الْأَذْيَاتِي

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ): ٤ - الركن الرابع: الإيمان بالرسول:

الإيمان بالرسول هو التصديق الجازم بأن الله رسلا أرسلهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم . اقتضت حكمة اللطيف الخبير أن لا يهمل خلقه ، بل أرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين .

فيجب الإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه على التفصيل ، والإيمان جملة بأن الله رسلا غيرهم ، وأنبياء لا يحصى عددهم إلا الله ولا يعلم أسماءهم إلا هو جل وعلا .

قال الله تعالى : ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ﴾ وعدد المذكورين في القرآن خمسة وعشرون وهم : آدم ، نوح ، إدريس ، صالح ، إبراهيم ، هود ، لوط ، يونس ، إسماعيل ، إسحق ، يعقوب ، يوسف ، أيوب ، شعيب ، موسى ، هارون ، اليسع ، ذو الكفل ، داود ، زكريا ، سليمان ، إلياس ، يحيى ، عيسى ، محمد صلى الله عليه وسلم ،

اللَّهُمَّ أُنِمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الْوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا وَالصِّدْقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعُدَّ عَلَيْنَا بِاصْطِلَاحِ قُلُوبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

(فَصْلٌ): وَمَوْضُوعُ الرَّسَالَةِ التَّبَشِيرُ وَالتَّنْذِيرُ، قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ .

والحكمة في ذلك دعوة أمهم إلى عبادة الله وخدمته . قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وأفضل المرسلين أولو العزم، وهم المذكورون في سورة الشورى .

قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك

وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ﴿ الآية ، وقال : ﴿ وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴿ .

وأفضل أولياء الله أنبيأؤه ، وأفضل أنبيائه المرسلون ، وأفضل المرسلين أولوا العزم ، وأفضل أولي العزم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وفدوا .

صاحب المقام المحمود الذي يغطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد والحوض المرود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة الذي بعثه الله بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس .

وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرق فيمن قبلهم وهم آخر الأمم خلقاً وأولهم بعثاً ، ومن حين بعثه الله جعله الفاروق بين أوليائه وبين أعدائه .

فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء وابتعه ظاهراً وباطناً ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أوليائه ، بل من خالفه كان من أعدائه وأولياء الشيطان . أه وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

مَا يَجُوزُ عَلَى الرُّسُلِ وَمَا يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَهُمْ

الواجب علينا نحو الرسل والأشياء التي تجوز عليهم والأدلة على صدقهم وما أيدهم الله به : يجب علينا تصديقهم وأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمروا به وبينوه بياناً واضحاً شافياً كافياً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله ولا يحل خلافه .

قال الله تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . وقال : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ الآية ، ويجب علينا الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر .

وأما الصغائر فقد تقع منهم ، والكتاب والسنة يدلان على ذلك ولكن لا يقرون عليها ، بل يوفقون للتوبة منها ويجب احترامهم وأن لا يفرق بينهم .
ومن كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض .

فمن رد نبوته للحسد أو للعصية أو للتشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً وإنما هو عن غرض وهوى وعصية هـ .

ويجب الاهتداء بهديهم والائتمار بأمرهم ، والكف عن ما نهوا عنه ، ويجب الاعتقاد أنهم أكمل الخلق علماً وعملاً ، وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقاً ، وأن الله خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد ، وبرأهم من كل خلق رذيل .

ويجب محبتهم وتعظيمهم ، ويحرم الغلو فيهم ورفعهم فوق منزلتهم ، ويجوز في حقهم شرعاً وعقلاً النوم ، والنكاح والأكل والشرب والجلوس والمشي والضحك وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العالية .

فهم بشر يعترهم ما يعترى سائر أفرادهم فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام ، وتمتد إليهم أيدي الظلمة وينالهم الاضطهاد ، وقد يقتل الأنبياء ، كما أخبر الله بذلك في كتابه بقوله سبحانه : ﴿ ويقتلون الأنبياء بغير حق ﴾ .

ومن الأدلة على ما ذكرنا أولاً من أنه يجوز في حقهم أشياء قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين ، إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في

الأسواق ﴿﴾ وقال عز من قائل : ﴿﴾ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ﴿﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء » ، وكان صلى الله عليه وسلم يمرض ويتألم ويشتكى ، وكان يصيبه الحر والبرد ، والجوع والعطش والغضب والضجر والتعب ، ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه .

شِعْرًا: وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مُلَازِمِ ذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لَهُ هِمَّةٌ تَعْلُو عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ كَمَا قَدْ عَلَا الْقُطْبُ النُّجُومِ الْعَلِيَّةِ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أُجِبْتَ ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ ، وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهُ الرَّقَابُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَالِكَ الْمَلِكِ يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ، يَا مَنْ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُغْفِرَ سَيِّئَاتِنَا وَتُبَدِّلَهَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ

اللَّهُمَّ انظِمْنا فِي سَبِيلِكَ عِبَادَكَ الْمُخْلِصِينَ وَوَقِّفْنَا لِلْقِيَامِ بِأَرْكَانِ دِينِكَ الْقَوِيمِ وَنَجِّنَا مِنْ لَفْحَاتِ الْجَحِيمِ وَأَسْكِنْنَا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) : وَأَمَّا الْأَدِلَّةُ عَلَى صِدْقِ الرُّسُلِ فَكَثِيرَةٌ ، وَأَعْظَمُهَا شَهَادَةُ اللَّهِ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ صَادِقُونَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿﴾ وَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ : ﴿﴾ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿﴾ .

وقال عز من قائل عن إسماعيل عليه السلام : ﴿إنه كان صادق الوعد﴾
وقال عن إبراهيم : ﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾ وقال : ﴿سبحان ربك رب العز
وما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ .

فسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب إلى غير ذلك من
الأدلة ، فهم أصدق الخلق على الإطلاق ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ،
وأيدهم بالدلائل الدالة على صدقهم في دعواهم الرسالة .

فمن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم الذي أعجز الورى
كلهم ، ومثل انشقاق القمر ، وحراسة السماء بالشهب ومعراجه إلى السماء ،
إلى سدرة المنتهى ، إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وكفاية الله أعداءه
وعصمته من الناس ، وإجابة دعائه ، وإعلامه بالمغيبات الماضية ، والمستقبلية .

فالقرآن جاء به ذكر عن آدم ونشأته وما وسوس به إليه إبليس وما وقع له
من الهبوط إلى الأرض بعد أن كان في الجنة وحدثنا عن نوح عليه السلام وما
لقيه من قومه من أذى وسخرية .

وما دعا الله به وما أرشده الله إليه من صنع الفلك وركوبه وإنجائه
وأصحاب السفينة ودعوته لابنه وعصيانه له ، وانهمار السماء ، وتفجر الأرض
عيوناً ، وغرق الكافرين ، ونجاة المؤمنين .

وأخبر القرآن عن موسى عليه السلام ، وما تم عند ولادته ، وما وقع له في
مصر ، وما حدث له في مدين ، وما رآه في جبل الطور ، وما كلف به من
أعباء الرسالة ، وما دار بينه وبين فرعون من حوار ، وما جرى من السحرة ،
وما انتهى إليه أمر فرعو وملئه وموسى وقومه .

وأخبر القرآن الكريم عن عيسى وأمه عليهما السلام ، وما وقع لهما من

الخوارق ، وما صنعه لهما بنو إسرائيل من مكائد ، وأخبره عن غيرهم من الأنبياء . قال الله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذا قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ﴾ الآيات .

وقال تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك ﴾ الآية . وقال : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمها عن مشاهدة ولكن أعلمه أياها الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وقال تعالى : ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ .

وأخبر صلى الله عليه وسلم بأمر غيبية عن القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وعد اللذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ الآية ، وتحقق الوعد وقال : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين ﴾ الآية . وقال : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾ وقوله : ﴿ سيهزم الجمع ﴾ الآية ، فكان ما أخبر به على أتم الوجوه .

ومن هذا الباب إخباره عن مكنون الضمائر فيما أتى به من القرآن فقال : ﴿ إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

قال الشيخ : ومثل إخبار أهل الكتاب قبله ، وبشارة الأنبياء به . ومثل إخبار الكهان والهواتف به ، ومثل قصة الفيل ، التي جعلها الله آية في عام مولده من العجائب الدالة على نبوته .

ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين ، بخلاف

ما كانت العادة عليه قبل مبعثه ، وبعد مبعثه ، ومثل إخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله من غير أن يعلمه إياها بشر ا ه .

وكما أيد الله موسى بالآيات البينات ، قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ وكما أيد الله سائر رسله ، مع انضمام ذلك إلى أحوالهم الجليلة ، وأخلاقهم الفاضلة الجميلة ، من سلامة الفطرة والعفاف ، والكرم والشجاعة ، والعدل والنصح .

وقال : ولا ريب من أن من لقي الله بالإيمان بجميع ما جاء به الرسول مجملاً مقرأً بما بلغه من تفصيل الجملة غير جاحد لشيء من تفاصيلها أن يكون بذلك من المؤمنين ، إذ الإيمان بكل فرد من تفصيل ما أخبر به الرسول وأمر به غير مقدور للعباد ، إذ لا يوجد أحد إلا وقد خفي عليه بعض ما قاله الرسول ا ه .

وقال : ضمن الله السعادة لمن أطاعه وأطاع رسوله وتوعد بالشقاء لمن لم يفعل ذلك ، فطاعة الرسول هي مناط السعادة وجوداً وعدمًا ، وهي الفارقة بين أهل الجنة والنار ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس فدل الخلق بما بينه لهم .

وقال تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فمن اجتهد بطاعة الله ورسوله بحسب الاستطاعة كان من أهل الجنة والله يرفع درجات المتقين المؤمنين بعضهم على بعض بحسب إيمانهم وتقواهم ، ا ه .

أَلَا إِنَّ السَّبَّاقَ سِبَّاقُ زُهْدٍ وَمَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سِبَّاقٍ
وَيَفْنَى مَا حَوَاهُ الْمُلْكُ أَصْلًا وَفِعْلُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ
سَتَأْلُفَكَ النَّدَامَةُ عَنْ قَرِيبٍ وَتَشْهَقُ حَسْرَةً يَوْمَ الْمَسَاقِ
أَتَذَرِي أَيَّ ذَاكَ الْيَوْمِ فَكَّرُ وَأَيُّقِنُ أَنَّهُ يَوْمُ الْفِرَاقِ

فَرَأَى لَيْسَ يُشَبِّهُهُ فِرَاقٌ قَدْ انْقَطَعَ الرَّجَاءُ عَنِ التَّلَاقِ
 آخِرُ : إِنِّي أَبْتُكَ مِنْ حَدِيثِي إِنَّ الْحَدِيثَ لَهُ شُجُونٌ
 عَيَّرْتُ مَوْضِعَ نَوْمِي لَيْلًا فَفَارَقَنِي السُّكُونُ
 قُلْ لِي فَأَوْلُ لَيْلِي فِي الْقَبْرِ كَيْفَ تَرَى تَكُونُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهَا وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِكَ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى
 قَوْلِكَ الثَّابِتِ وَأَيَّدْنَا بِنَصْرِكَ وَارْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ .

اللهم وَفِقْنَا لِمَا وَفَقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَاقْضِنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنَوْمِ وَارْزُقْنَا
 الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبَحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ ، اللَّهُمَّ وَعَامِلِنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
 عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنَا
 بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : ٥ - الركن الخامس : الأيمان بالبعث :

البعث لغة التحريك والإثارة وشرعاً إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها ،
 فيخرجون من الأجداث أحياء مهطعين إلى الداعي ، كما ذكر الله تعالى :
 ﴿ خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ .

وقال : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سَرَّاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصَبٍ يَوْفُضُونَ ﴾
 الآيتين .

وقال : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا آءَنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ، قُلْ كُونُوا

حجارة أو حديداً ، أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل
الذي فطركم أول مرة ﴿﴾ .

وقال : ﴿أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ .

وقال : ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً﴾ .

وقال : ﴿وكلهم آتية يوم القيامة فرداً﴾

وقال : ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ الآيتين .

وقال : ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ ، وقال : ﴿ثم إنكم يوم القيامة

تبعثون﴾ .

وقال : ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ .

وقال : ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ .

وقال : ﴿فإنما هي زجرة واحدة ، فإذا هم ينظرون﴾ .

وقال : ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ .

وقال : ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا﴾ .

٦ - الركن السادس : الإيمان بالقدر :

الإيمان بالقدر : التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره ،
وأنه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته .

وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تديره ، ولا محيد
لأحد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ ، وأن الله خالق
أفعال العباد من الطاعات والمعاصي .

ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين

عليها ، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون « وبهذا الركن تتم الأركان أفعالنا مخلوقة لله لكنّها كسب لنا يا لاهي وكل ما يفعله العباد من طاعة أو ضدها مُرادُ ربنا من غير ما اضطرارٍ منه لنا فافهم ولا تُماري

(فائدة عظيمة النفع)

ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً أفضل من أن عرفه لا إله إلا الله ، وفهمه معناها ، ووقفه للعمل بمقتضاها والدعوة إليها . قال بعضهم :

شِعْرًا: فَكُنْ وَحَقِّقْ دِينَكَ الْقَوِيمَا بِفَهْمٍ مَعْنَاهَا لِتَسْتَقِيمَا وَهُوَ بَانَ ثُبُتَ مَا قَدْ أُثْبِتَتْ لِرَبِّنَا كَذَاكَ تَنْفِي مَا نَفَتْ

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بِدُعَائِنَا تَوَجَّهْنَا وَبِفَنَائِكَ أَنْحَنَّا وَإِيَّاكَ أَمَلْنَا وَلِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْكَرَمِ وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ طَلَبْنَا وَمِنْ عَذَابِكَ أَشْفَقْنَا وَلِعُفْرَانِكَ تَعَرَّضْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

الفصل الأول

في التوبة من المعاصي

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين ، أن الذنوب حجاب عن الله ، والانصراف عن كل ما يُبعد عن الله واجب ، وإنما يتم ذلك بالعلم والندم والعزم ، فانه متى لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن الله لم يندم على الذنوب ولم يتوجع بسبب سلوكه طريق البعد ، وإذا لم يتوجع لم يرجع ، والتوبة : الرجوع عن المعصية إلى الطاعة وهي واجبة من كل

ذَنْبٍ ، فَان كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ تَعَالَى لَا تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ
آدَمِيِّ ، فَلَهَا ثَلَاثَةٌ شُرُوطٍ :

الأولُ : الإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي هُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهَا ، وَعَلَامَتُهُ مُفَارَقَةُ
الذنب فوراً .

الثاني : النَّدَمُ عَلَى فِعْلِهَا ، وَعَلَامَتُهُ طُولُ الْحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَ وَوَرَدَ
عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « النَّدَمُ تَوْبَةٌ » .

شِعْرًا: يَتُوبُ عَلَى يَدِي قَوْمِ عَصَاةٍ أَخَافَتْهُمْ مِنَ الْبَارِي ذُنُوبُ
وَقَلْبِي مُظْلِمٌ فِي طُولِ مَا قَدْ جَنَى فَأَنَا عَلَى يَدٍ مَنْ أَتُوبُ
كَأَنِّي شَمْعَةٌ مَا بَيْنَ قَوْمٍ تَضِيءُ لَهُمْ وَيُحْرِقُهَا اللَّهِيْبُ

آخِرُ : أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ فِي الْهَوَى غَيْرِ مُنْتَهٍ وَفِي الْعَيِّ مِطْوَاغٌ وَفِي الرَّشْدِ مُكْرَهٍ
أَشَاوِرُهُ فِي تَوْبَةٍ فَيَقُولُ لَا وَإِنْ قُلْتُ تَأْتِي فِتْنَةٌ قَالَ أَيْنَ هِيَ

آخِرُ : عَلَامَةٌ مَنْ يَحْشَى الْإِلَهَ فَوَادُهُ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الْمَعَاصِي تَأْلَمَا
وَأَتْبَعَهَا حَالًا بِتَوْبَةٍ صَادِقٍ عَنِ الذَّنْبِ فِي عَزْمٍ لَهُ مُتَنَدِّمَا

العَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وِلَاهُ أَشَدُّ الْأَعْدَاءُ ضَرَرًا عَلَى الْإِنْسَانِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفَلَ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَا لِحِظَةٍ .

الثالثُ : الْعَزْمُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مَعْصِيَةِ أَبَدًا ، وَعَلَامَتُهُ التَّدَارُكُ لِمَا
فَاتَ وَاصْلَاحُ مَا يَأْتِي ، فَإِنْ كَانَ الْمَاضِي تَفْرِيطًا فِي عِبَادَةِ قَضَاهَا ، أَوْ مَظْلَمَةٍ
أَدَاهَا ، أَوْ خَطِيئَةٍ لَا تُوجِبُ غَرَامَةً حَزَنَ إِذْ تَعَاطَاهَا .

فَإِنْ فَقَدَ أَحَدُ الشُّرُوطِ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ . وَإِنْ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ
تَتَعَلَّقُ بِآدَمِيِّ ، فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ ، الثَّلَاثَةُ الشُّرُوطُ الْمَذْكُورَةُ وَالرَّابِعُ : أَنْ
يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا ، فَإِنْ كَانَتْ مَالًا أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ ، إِنْ كَانَ مَوْجُودًا

أَوْ رَدَّ بَدَلَهُ عِنْدَ تَلْفِهِ مِنْ قِيَمَةِ أَوْ مِثْلِ ، وَإِنْ كَانَتْ حَدَّ قَذْفٍ وَنَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ غِيْبَةً اسْتَحْلَهُ مِنْهَا إِنْ كَانَ عَاقِلًا حَلِيمًا ، يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا جَاءَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ نَادِمًا تَائِبًا عَفَا عَنْهُ وَسَامَحَهُ ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْغْفِرَ لَهُ . لَمَّا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ مِنْ كَفَّارَةِ الْغِيْبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ أَعْتَبْتَهُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ بِقَدْرٍ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحَمِلَ عَلَيْهِ » .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالتوبة ، وبين ما للتائبين من الكرامة والأجر ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

« فَايِدَةُ عَظِيمَةُ النَّفْعِ »

مِنْ أَصُولِ النَّعْمِ نِعْمَةُ الْعِلْمِ فَهِيَ نِعْمَةٌ كُبْرَى يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا رُقْيُ الْإِنْسَانِ وَسَعَادَتُهُ فَتَحْصِيلُهُ نِعْمَةٌ وَالْإِنْتِفَاعُ بِهِ نِعْمَةٌ ، وَالنَّفْعُ بِهِ نِعْمَةٌ ، وَتَحْلِيلُهُ وَتَقْلُهُ لِلْأَجْيَالِ نِعْمَةٌ ، وَنَشْرُهُ لِلنَّاسِ نِعْمَةٌ ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ ، وَهَكَذَا ... إلخ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل) : قال ابن القيم رحمه الله : والنُّصْحُ فِي التَّوْبَةِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ ، الْأَوَّلُ : تَعْمِيمُ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَاسْتِعْرَاقُهَا بِهَا بِحَيْثُ لَا تَدْعُ ذَنْبًا إِلَّا تَنَاوَلْتَهُ ، وَالثَّانِي : إِجْمَاعُ الْعَزْمِ وَالصِّدْقِ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَيْهَا بِحَيْثُ لَا يَبْقَى تَرَدُّدٌ وَلَا تَلَوُّمٌ وَلَا ائْتِظَارٌ بَلْ يُجْمَعُ كُلُّ إِرَادَتِهِ وَعَزِيمَتِهِ مُبَادِرًا بِهَا .

الثالث : تَخْلِيصُهَا مِنَ الشَّوَابِ وَالْعِلَلِ الْقَادِحَةِ فِي اخْلَاصِهَا
وَوُقُوعِهَا لِمَحْضِ الْخَوْفِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا لَدَيْهِ ، وَالرَّهْبَةِ بِمَا
عِنْدَهُ ، لَا كَمَنْ يَتُوبُ لِحِفْظِ جَاهِهِ وَحَرَمَتِهِ وَمَنْصِبِهِ وَرِيَاسَتِهِ ، أَوْ لِحِفْظِ حَالِهِ
أَوْ لِحِفْظِ قُوَّتِهِ وَمَالِهِ أَوْ اسْتِدْعَاءِ حَمْدِ النَّاسِ أَوْ لِهَرَبِ مَنْ دَمَّهُمْ أَوْ لثَلَا
يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ السُّفَهَاءُ أَوْ لِقَضَاءِ نَهْمَتِهِ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ لِإِفْلَاسِهِ وَعَجْزِهِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي صِحَّتِهَا وَخُلُوصِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَه .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَفَّارٌ لِدُنُوبِ التَّائِبِينَ ، فَقَالَ عَزَّ شَأْنَهُ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ
مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُحِبُّ التَّوَابِينَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَابِينَ ﴾ .

وقال النبي ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنَّهُ يُتُوبُ
فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ

سَبْعِينَ مَرَّةً » رواه البخاري .

شعرا: لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظَرْفِهِ حَتَّى يَكُونَ عَنِ الْحَرَامِ عَفِيفًا
فَإِذَا تَوَرَّعَ عَنِ مَحَارِمِ رَبِّهِ فَهُنَاكَ يُدْعَى فِي الْأَنْامِ ظَرِيفًا

وقال ﷺ : « اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ

كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاقَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ
مِنْهَا ، فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ

إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ « الحديث رواه مسلم .

وقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » رواه مُسْلِم .

والأحاديثُ في هذا كَثِيرَةٌ ، والاجماعُ مُتَعَقِدٌ عَلَى وَجُوبِ التَّوْبَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِهَا ، ولأنَّ الذنوبَ مُهْلِكَاتٌ مُبْعَدَاتٌ عَنِ اللَّهِ فَيَجِبُ الْهَرَبُ مِنْهَا عَلَى الْفَوْرِ وَلِيَحْذَرُ الْإِنْسَانُ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الذنوبِ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ . وَوَجُوبُ التَّوْبَةِ مِنَ الْكَبَائِرِ أَهْمٌ وَأَكْثَرُ ، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الصَّغِيرَةِ أَيْضًا كَبِيرَةٌ ، فَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ وَتَوَاتَرُ الصَّغَائِرِ عَظِيمُ التَّأثيرِ فِي تَسْوِيدِ الْقَلْبِ وَهُوَ كَتَوَاتَرِ قَطْرَاتِ الْمَاءِ عَلَى الْحَجَرِ ، فَإِنَّهُ يُحْدِثُ فِيهِ حُفْرَةً لَا مَحَالَةَ مَعَ لِينِ الْمَاءِ وَصَلَابَةِ الْحَجَرِ فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَرِصِدَ قَلْبَهُ بِاسْتِمْرَارٍ وَبِرَاقِبِ حَرَكَاتِهِ وَيُسَجِّلَ تَصَرُّفَاتِهِ وَلَا يَتَسَاهَلَ وَلَا يَقُولَ إِنَّهَا مِنَ التَّوَابِغِ الصَّغِيرِ وَصَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ يُهْلِكُنَّهُ » .

فوائد : إِنْ بَسَطَ آدَمُ فِي أَكْلِهِ وَاحِدَةً لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِيهَا فَكَانَتْ سَبَبَ نَزُولِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَنُوحَ كَلِمَةً وَاحِدَةً عَلَى غَيْرِ وَجْهٍ نُودِيَ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ - الآية ، وَخَلِيلَ الرَّحْمَنِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِلَّا هَفْوَةٌ وَاحِدَةٌ فَكَمْ تَضَرَعُ وَاسْتَعْفِرُ ، ثُمَّ يُؤْتَسَ غَضَبَةٌ وَاحِدَةٌ فَسُجِّنَ فِي بَطْنِ الْحَوْثِ . اهـ .

شِعْرًا : وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرَبَّمَا تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُمُومِ الْعَقَّارِ
وَقَدْ هَدَّ قَدَمًا عَرْشَ بِالْقَيْسِ هُدْهُدٌ وَخَرِبَ حَفَرَ الْفَارِ سَدَّ مَآرِبِ
آخِرُ : لَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا لَأَنَّ جَانِبَهُ وَلَوْ يَكُونُ قَلِيلَ الْبَطْشِ وَالْجَلْدِ
فَلَذَبَابَةٌ فِي الْجُرْحِ الْمَدِيدِ يَدُّ تَنَالُ مَا قَصَّرَتْ عَنْهُ يَدُ الْأَسَدِ

آخر: ولا تحقرن عدواً رَمَا
فإن السيوف تحز الرقا
آخر: لا تهاون بصغير من عدا
آخر: لا تحقرن صغيراً في محاصمة
ك وإن كان في ساعديه قصر
ب وتعجز عما تنال الإبر
فقدتما كسر الرمح القلم
إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

وكما أن خير الأعمال الصالحة أذومها وإن قل ، وأيضاً الكبائر قلما
تقع من غير سوابق ومقدمات من الصغائر ، فمثلاً الزنا - والعياذ بالله -
قلما يقع فجأة بل تتقدم عليه مراودة أو قبلة أو لمس .
شعرا :

أحور عن قصدي وقد برح الحفا
وأرى شؤون العين تمسك ماءها
وأحال ذاك لعبرة عرضت لها
ولقل لي طول البكاء لهفوتي
إن المعاصي لا تقيم بمنزل
ولو أنني داويت معطب دائها
ولعفت موردها المشوب برنقها
وهزمت جحفل غيها بإنابة
وهجرت دنياً لم تزل غرارة
سحقتهم وديارهم سحق الرحا
ولقد يخاف عليهم من ربهم
إن الجواد إذا تطلب غاية
شتان بين مشمر لمعاده
إني دعوتك ملحفاً لتجيرني

ووفقت من عمري القصير على شفا
ولقبل ما حكك السحاب الوكفا
من قسوة في القلب أشبهت الصفا
فلربما شفغ البكاء لمن هفا
إلا لتجعل منه قاعاً صفصفا
بمراهم التقوى لوأفقت الشفا
وعسلت رين القلب في عين الصفا
وسللت من ندم عليها مرهفا
بمؤمليها الممحضين لها الوفا
فعليتهم وعلى ديارهم العفا
يوم الجزاء النار إلا إن عفا
بلغ المدى منها وبد المخرفا
أبدأ وآخر لا يزال مسوفا
مما أخاف فلا ترد الملحففا

قال بعض العلماء من عجيب ما نقدت من أحوال الناس كثرة ما

نأحوا على خراب الديار وموت الأقباب والأسلاف والتحسر على الأزاق
بدم الزمان وأهله وذكر نكد العيش فيه .

وقد رأوا من انهدام الإسلام وشعث الأديان وموت السنن وظهور
البدع وارتكاب المعاصي وتقضي العمر في الفارغ الذي لا يجدي والقبيح
الذي يؤبق ويؤذي .

فلا أجد منهم من ناح على دينه ولا بكى على فارط عمره ولا آسى
على فائت دهره .

وما أرى لذلك سبباً إلا قلة مبالاتهم في الأديان وعظم الدنيا في
عيونهم ضد ما كان عليه السلف الصالح يرضون بالبلاغ وينوحون على
الدين أه .

وكل كسر فإن الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران
آخر :

تفكر في نقصان مالك دائماً وتغفل عن نقصان دينك والعمر
ويشنيك خوف الفقر عن كل طاعة وخيفة حال الفقر شر من الفقر

اللهم وفقنا توفيقاً يقيناً عن معاصيك وأرشدنا إلى السعي فيما يرضيك
وأجرنا يا مولانا من خزيك وعذابك وهب لنا ما وهبته لأوليائك، اللهم إنا
نسألك التوبة ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، اللهم أفض علينا من
بحر كرمك وعونك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها وأراف بنا
رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وارحمنا من هموم الدنيا وغمومها
بالرؤج والريحان إلى الجنة ونعيمها، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم في جنات
التعيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين،
واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم
الرحامين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الثاني: قال ابن القيم رحمه الله: وللمعاصي من الآثار المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله، فمنها أنها ممدد من الإنسان يمد به عدوه عليه وجيش يقويه به على حربه ومن عقوباتها أنها تحون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه. ومنها أنها تجرى العبد على من لم يكن يجترأ عليه. ومنها الطبع على القلب إذا تكاثرت حتى يصير صاحب الذنب من الغافلين، كما قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ هو الذنب بعد الذنب، وقال: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب. وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدا حتى يصير راناً ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً فيصير القلب في غشاوة وغلاف.

ومنها إفساد العقل فإن العقل نور والمعصية تطفىء نور العقل. ومنها أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه.

ومنها أن ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة.

ومنها أن المعاصي تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضاً.

ومنها ظلمة يجدها في قلبه يحس بها كما يحس بظلمة الليل.

ومنها أن المعاصي توهن القلب والبدن أما وهن القلب فأمر ظاهر بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكليّة وأما وهن البدن فإن المؤمن قوته في قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه.

ومنها أن المعاصي تمحق بركة العمر إذ أن المعاصي كلها شرور.

ومنها سماتة الأعداء فإن المعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا وهذا ما يفرح العدو ويسبيء الصديق.

وَمِنْهَا تَعْسِيرُ أُمُورِهِ فَلَا يَتَوَجَّهُ لِأَمْرِ إِلَّا يَجِدُهُ مَغْلَقًا دُونَهُ أَوْ مَتَعَسِّرًا عَلَيْهِ .
وَمِنْهَا الْوَحْشَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَلَا سِيَّامًا أَهْلُ الْخَيْرِ .
وَمِنْهَا حِرْمَانُ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَدَعْوَةِ الْمَلَائِكَةِ لِلَّذِينَ تَابُوا وَمِنْهَا أَنَّ
الدُّنُوبَ تَدْخُلُ الْعَبْدَ تَحْتَ لَعْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

شِعْرًا: أَلَا طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى وَأَضْحَى خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ ثِقَلِ الدُّنُوبِ
يَغِيبُ عَنِ الْأَبَاعِدِ وَالْأَدَانِي لِخَلْوَتِهِ بِعَلَامِ الْغُيُوبِ
آخِر: لَا تَقْنَطُنْ مِنْ عِظَمِ الدُّنُوبِ فَرَبِ الْعِبَادِ رَحِيمٌ رُؤُوفٌ
وَلَا تَمْضِينَ عَلَى غَيْرِ زَادٍ فَإِنَّ الطَّرِيقُ مَخُوفٌ مَخُوفٌ
وَمِنْهَا أَنَّهَا تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْمِيَاهِ وَالْهَوَاءِ
وَالزَّرُوعِ وَالشَّارِ وَالْمَسَاكِينِ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تُطْفِئُ مِنْ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ .
وَمِنْهَا ذَهَابُ الْحَيَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقَلْبِ .
وَمِنْهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ وَتُضْعِفُ وَقَارَهُ فِي قَلْبِ
الْعَبْدِ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ وَتَرْكِهِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تُخْرِجُ الْعَبْدَ
مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ وَتَمْنَعُهُ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ سَيْرَ الْقَلْبِ
إِلَى اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تَصْرِفُ الْقَلْبَ عَنْ صِحَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تُعْمِي بِصِيرَةِ الْقَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَتَسُدُّ طُرُقَ الْعِلْمِ . وَمِنْهَا
أَنَّهَا تُصَغِّرُ النَّفْسَ وَتَحْقِرُهَا وَتَقْمَعُهَا عَنِ الْخَيْرِ .
وَمِنْهَا أَنَّ الْعَاصِيَّ فِي أَسْرِ شَيْطَانِهِ وَسِجْنِ شَهْوَاتِهِ .
وَمِنْهَا سُفُوطُ الْجَاهِ وَالْمَنْزَلَةِ وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا

تُوجِبُ الْقَطِيعَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ . وَمِنْهَا أَنْهَا تَسْلُبُ صَاحِبَهَا أَسْمَاءَ الْمَدْحِ وَالشَّرَفِ . وَمِنْهَا أَنْهَا تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مِنَ السَّفَلَةِ انْتَهَى .

شِعْرًا: نَبِيْتُ عَلَى الْمَعَاصِي وَالْمَسَاوِي
يُدِيمُ عَلَيْكَ إِحْسَانًا وَفَضْلًا
وَبِالْعَصِيَانِ تَخْطُرُ بِاخْتِيَالِ
أَفْتَى مِنْ غَفْلَةٍ وَأَنْبَ لِرَبِّ
وَتَظْفَرُ بِالْقَبُولِ وَبِالْأَمَانِي
آخِر: أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَطْرِفُ الذَّنْبَ جَاهِدًا
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْرِفْهُ حِينَ عَصَيْتَهُ
وَإِنْ كُنْتَ عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِهِ
فَأَيَّةُ حَالِكَ اعْتَقَدْتَ فَإِنَّهُ
آخِر: أَحْذِرْكَ أَحْذِرْكَ لَا أَحْذِرْكَ وَاحِدَةً
فَإِنَّهُ أَعْظَمُ الْآثَامِ أَجْمَعِهَا

فَأَنْتَ بِغَفْلَةٍ وَاللَّهُ بِشَا
وَأَنْتَ تُدِيمُ لَوْمًا أَيْنَ كُنْتَا
سَكِرْتَ مِنَ الْغُرُورِ وَمَا صَحَوْتَا
تَنَلُ مِنْهُ السَّمَّاحُ إِذَا أَنْبَتَا
وَفِي الدَّارَيْنِ بِالْإِسْعَادِ فُزْتَا
هُوَ اللَّهُ لَا تَحْفَى عَلَيْهِ السَّرَائِرُ
فَإِنَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ اللَّهَ كَافِرُ
عَصَيْتَ فَأَنْتَ الْمُسْتَهِينُ الْمُجَاهِرُ
عَلِيمٌ بِمَا تُطْوِي عَلَيْهِ الظَّمَائِرُ
عَنِ الْمَعَاصِي وَخُصَّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ
وَصَاحِبُ الشِّرْكِ أَعْدَى النَّاسِ لِلَّهِ

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ : أَنَّهَا تَصْرِفُ الْقَلْبَ عَنْ صِحِّهِ وَاسْتِقَامَتِهِ إِلَى مَرَضِهِ وَانْحِرَافِهِ ، فَلَا يَزَالُ مَرِيضًا مَعْلُولًا لَا يَنْتَفِعُ بِالْأَغْدِيَةِ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ وَصَلَاحُهُ .
فَإِنَّ تَأْثِيرَ الذُّنُوبِ فِي الْقَلْبِ كَتَأْثِيرِ الْأَمْرَاضِ فِي الْأَبْدَانِ ، بَلِ الذُّنُوبُ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ وَدَاوُهَا ، وَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا تَرْكُهَا .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ الْمُتَّقِينَ ، وَخُصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وَقَدْ أَجْمَعَ السَّائِرُونَ إِلَى اللَّهِ أَنَّ الْقُلُوبَ لَا تُعْطَى مُنَاهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى

مَوْلَاهَا، وَلَا تَصِلُ إِلَى مَوْلَاهَا حَتَّى تُكُونَ صَحِيحَةً سَلِيمَةً، وَلَا تَكُونَ صَحِيحَةً سَلِيمَةً حَتَّى يَنْقَلِبَ ذَاؤُهَا فَيَصِيرَ نَفْسَ دَوَائِبِهَا.

وَلَا يَصِحُّ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهَا، فَهَوَاهَا مَرَضُهَا، وَشِفَاهَا مَخَالَفَتُهُ، فَإِنْ إِسْتَحْكَمَ الْمَرَضُ قَتْلَ أَوْ كَادَ.

وَكَأَنَّ مَنْ نَهَى نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى كَانَتْ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ، كَذَلِكَ يَكُونُ قَلْبُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي جَنَّةٍ عَاجِلَةٍ لَا يَشْبَهُ نَعِيمَ أَهْلِهَا نَعِيمًا أَلْبَتَةً.

بَلِ التَّفَاوُثُ الَّذِي بَيْنَ النَّعِيمِينَ كَالْتَفَاوُثِ الَّذِي بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَصْدُقُ بِهِ إِلَّا مَنْ بَاشَرَ قَلْبَهُ هَذَا وَهَذَا.

وَلَا تَحْسَبْ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ مَقْصُورٌ عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَجَحِيمِهَا فَقَطْ، بَلِ فِي دَوْرِهِمُ الثَّلَاثَةَ كَذَلِكَ.

أَعْنِي دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْبَرزَخِ، وَدَارَ الْقَرَارِ، فَهَؤُلَاءِ فِي نَعِيمٍ، وَهَؤُلَاءِ فِي جَحِيمٍ، وَهَلِ النَّعِيمُ إِلَّا نَعِيمُ الْقَلْبِ؟ وَهَلِ الْعَذَابُ إِلَّا عَذَابُ الْقَلْبِ؟

وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَضِيقِ الصَّدْرِ وَإِعْرَاضِهِ عَنِ اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ وَتَعَلُّقِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ وَانْقِطَاعِهِ عَنِ اللَّهِ؟ بِكُلِّ وَادٍ مِنْهُ شَعْبَةٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَعَلَّقَ بِهِ وَأَحَبَّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ.

فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ عُدِبَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَهُوَ يُعَذَّبُ بِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ حَتَّى يَحْصَلَ، فَإِذَا حَصَلَ عُدِبَ بِهِ حَالَ حُصُولِهِ بِالْخَوْفِ مِنْ سَلْبِهِ وَفَوَاتِهِ وَالتَّنْغِيصِ وَالتَّكْيِيدِ عَلَيْهِ وَأَنْوَاعِ الْمَعَارِضَاتِ، فَإِذَا سَلِبُهُ اسْتَدَّ عَذَابُهُ عَلَيْهِ.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الدَّارِ. وَأَمَّا فِي الْبَرزَخِ فَعَذَابُ يُقَارَنُ أَلَمُ الْفِرَاقِ الَّذِي لَا يَرْجَى عَوْدَهُ، وَأَلَمُ فَوَاتِ مَا فَاتَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ بِاشْتِغَالِهِ بِضَدِّهِ. وَأَلَمُ الْحِجَابِ عَنِ اللَّهِ. وَأَلَمُ الْحَسْرَةِ الَّتِي تَقْطَعُ الْأَكْبَادَ.

فَالهَمُّ وَالعَمُّ وَالْحسرةُ وَالْحزْنُ تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوام
والديدان في أبدانهم ، بل عَمَلُهَا في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله إلى
أجسادها ، فحينئذ ينتقل العذاب إلى نوع هو أدهى وأمر .

فأين هذا من نعيم مَنْ يرقص قلبه طرباً وفرحاً وأنساً بربه ، واشتياقاً
وارتياحاً بحبه وطمأنينة بذكره ؟ حتى يقول بعضهم في حال نزعه : واطرباه .
ويقول الآخر : إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال إنهم لَفِي عَيْشٍ طيب .

وقال الآخر مَسَاكِينُ أهل الدنيا خرجوا منها وماذاقوا لذيد العيش فيها
وماذاقوا أُطْيَبَ ما فيها . ويقول الآخر : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه
لجالدونا عليه بالسيوف .

ويقول الآخر : إِنَّ في الدنيا جنة مَنْ لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة . فيا
مَنْ باع حظه الغالي بأبخس الثمن ، وغَبْنَ كُلَّ الغبن في هذا العقد وهو يرى أنه
قد غَبْنَ ، إذا لم تكن لك خيرة بقيمة السلعة فاسأل المقومين .

فيا عجباً مِنْ بضاعَةِ مَعَكَ اللهُ مُشْتَرِيهَا ، وَتَمْنُهَا جَنَّةُ المَأْوَى ، والسفيرُ
الذي جرى على يده عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول ﷺ
وقد بَعَثَهَا بغاية الهوان !! .

هَلْ الدُّنْيَا وما فِيهَا جَمِيعاً سَوَى ظِلِّ يَزُولُ مَعَ النَّهَارِ
تَفَكَّرْ أَيْنَ أَصْحَابُ السَّرَايَا وَأَرْبَابُ الصَّوْفَيْنِ وَالْعِشَارِ
وَأَيْنَ الأَعْظُمُونَ يَدَاً وَبِأَسْأ وَأَيْنَ السَّابِقُونَ لِذِي الفِخَارِ
وَأَيْنَ القَرْنَ بَعْدَ القَرْنِ مِنْهُمْ مِنَ الخُلَفَاءِ وَالشُّمِّ الكِبَارِ
كَيَانَ لَمْ يُخْلَقُوا أَوْ لَمْ يَكُونُوا وَهَلْ أَحَدٌ يُصَانُ مِنَ البَوَارِ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصَلِّ): ومن عقوباتها أنها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل فلا تَجِدُ عَاقِلِينَ أَحَدَهُمَا مُطِيعٌ وَالْآخَرُ عَاصٍ إِلَّا وَعَقْلُ الْمُطِيعِ مِنْهَا أَوْفَرُ وَأَكْمَلُ وَفِكْرُهُ وَرَأْيُهُ أَسَدُّ وَالصَّوَابُ قَرِينُهُ .

ولهذا تَجِدُ خِطَابَ الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ مَعَ أَوْلَى الْأَبَابِ وَالْعُقُولِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَبَابِ﴾ وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَبَابِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَبَابِ﴾ ونظائر ذلك كثيرة .

وكيف يكون عاقلاً وَافِرَ الْعَقْلِ مَنْ يَعْصِي مَنْ هُوَ فِي قَبْضَتِهِ وَفِي دَارِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاهُ وَيَشَاهِدُهُ فَيَعْصِيهِ ، وَهُوَ بَعِينُهُ غَيْرَ مُتَوَارِعٍ عَنْهُ وَيَسْتَعِينُ بِنِعْمِهِ عَلَى مَسَاحِطِهِ وَيَسْتَدْعِي كُلَّ وَقْتٍ غَضَبَهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتَهُ لَهُ وَإِبْعَادَهُ مِنْ قُرْبِهِ ، وَطَرْدَهُ مِنْ بَابِهِ وَإِعْرَاضَهُ عَنْهُ وَخِذْلَانَهُ لَهُ وَالتَّخْلِيَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَعَدُوهِ وَحِرْمَانَهُ مِنْ رِضَاهِ وَحُبِّهِ ، وَقِرَّةَ الْعَيْنِ بِقُرْبِهِ وَالْفُوزَ بِجَوَارِهِ وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ فِي زَمْرَةِ أَوْلِيَائِهِ إِلَى أَعْوَافِ ذَلِكَ مِنْ كِرَامَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَأَعْوَافِ أَعْوَافِ ذَلِكَ مِنْ عَقُوبَةِ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ .

شِعْرًا: يَا ذَا الَّذِي حَمَلَهُ جَهْلُهُ	مِنَ الْمَعَاصِي فَوْقَ مَا يَقْوَى
إِلْسًا مِنَ التَّوْبَةِ دِيْبَاجَةً	مُعَلَّمَةً بِالنُّسْكِ وَالتَّقْوَى
وَاعْلَمَ بِأَنْ لَسْتَ تُرَى تَاجِيًا	إِنْ لَمْ تُطِغْ مَنْ يَعْلَمُ السَّرَّ وَالتَّنَجْوَى
آخِر: قِفَا تَبْكِي مِنْ عُظْمِ الذُّنُوبِ وَفَتْكِيهَا	وَتَضْيِيعِنَا الْأَوْقَاتِ فِي غَيْرِ وَاجِبِ
وَسْتَدْرِكِ الْمَاضِي بِتَوْبَةٍ صَادِقِ	وَسْتَقْبِلِ الْآتِي بِجِدِّ الْمَوَاضِي
وَتَعْمَلِ أَعْمَالًا حَسَنًا لَعَلَّهَا	تُكْفِّرُ عَنَّا مُفْضِعَاتِ الْمَعَاصِي
آخِر: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ لِبَاسًا مِنَ التَّقَى	تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا
وَخَيْرُ خِصَالِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ	وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا

فَأَيُّ عَقْلٍ لِمَنْ آثَرَ لَذَّةَ سَاعَةٍ أَوْ يَوْمٍ أَوْ دَهْرٍ ثُمَّ تَنَقَّضَى كَأَنَّهَا حِلْمٌ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَذَا النِّعَمِ الْمُقِيمِ وَالْفُوزِ الْعَظِيمِ؟ بَلْ هُوَ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
وَلَوْلَا الْعَقْلُ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ بِهِ الْحُجَّةُ لَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الْمَجَانِينِ ، بَلْ قَدْ يَكُونُ

المجانين أحسن حالاً منه وأسلم عاقبة ، فهذا من هذا الوجه .
 وأما تأثيرها في نقصان العقل المعيشي فلولا الاشتراك في هذا النقصان
 لظَهَرَ لِمُطِيعِنَا نُقْصَانُ عَقْلٍ عَاصِينَا ، ولكن الجائحة عامة ، والجنون فنون .
 وياعجباً لو صَحَّتِ الْعُقُولُ لَعَلِمَتْ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي يَحْصِلُ بِهِ اللَّذَةُ
 والفرحة والسرور وطيب العيش إنما هو في رضاء من النعيم كله في رضاءه
 والألم والعذاب كله في سخطه وغضبه .

ففي رضاء قرّة العيون ، وسرور النفوس ، وحياة القلوب ، ولذّة
 الأرواح ، وطيب الحياة ولذّة العيش وأطيب النعيم ممّا لو وُزِنَ مِنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ
 بنعيم الدنيا لم تَفِ بِهِ ، بل إذا حَصَلَ لِلْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ أَيْسَرُ نَصِيبٍ لَمْ يَرْضَ
 بالدنيا وما فيها عوضاً منه .

ومع هذا فهو يَنعَمُ بِنَصِيبِهِ أَعْظَمُ مِنْ تَنعَمَ الْمُتَرَفِّينَ فِيهَا ، وَلَا يَشُوبُ تَنعَمُهُ
 بذلك الحِظَّ الْيَسِيرَ مَا يَشُوبُ تَنعَمُ الْمُتَرَفِّينَ مِنَ الْهَمُومِ الْغَمُومِ وَالْأَحْزَانِ
 والمعارضات ، بل قد حَصَلَ عَلَى النَعِيمِينَ وَهُوَ يَنْتَظِرُ نَعِيمِينَ آخَرِينَ أَعْظَمَ
 منهما . انتهى .

لِلَّهِ قَوْمٌ أَطَاعُوا اللَّهَ خَالَقَهُمْ
 والوجد والشوق والأفكار قوتهم
 آخر: إذا ما كَسَاكَ اللَّهُ سِرْبَاكَ صِحَّةٍ
 فَلَا تَغْبِطَنَّ الْمُتَرَفِّينَ فَإِنَّهُمْ
 آخر: أفادتنسي القنَاعَةَ كُلَّ عِزٍ
 فَصَيَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ
 تُحْزِرُ رِبْحِينَ تَعْنَى عَنْ بَخِيلٍ
 آخر: أَحْصُ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ عَبْدٌ
 لَهُ فِي اللَّيْلِ حِظٌّ مِنْ صَلَاةٍ
 فآمَنُوا وَاسْتَقَامُوا مِثْلَ مَا أَمَرُوا
 وَلَا زَمُوا الْجِدَّ وَالْإِدْلَاجَ فِي الْبُكْرِ
 وَلَمْ تَحُلْ مِنْ قُوْتٍ يَحِلُّ وَيَعْدُبُ
 بِمِقْدَارِ مَا يُكْسُونَ فِي الْوَقْتِ يُسَلَّبُ
 وَأَيُّ غِنَى أَعَزَّ مِنَ الْقَنَاعَةِ
 وَصَيَّرَ بَعْدَهَا التَّقْوَى بَضَاعَةَ
 وَتَنعَمُ فِي الْجِنَانِ بِصَبْرِ سَاعَةٍ
 خَفِيفُ الْحَاذِ مَسْكَنُهُ الْقِفَارُ
 وَمِنْ صَوْمٍ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ

وَقُوْتُ النَّفْسِ يَأْتِي فِي كَفَافٍ وَكَانَ لَهُ عَلَى ذَاكَ اصْطِبَارُ
 وَفِيهِ عِفَّةٌ وَبِهِ حُمُولٌ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ لَا يُشَارُ
 وَقَلَّ الْبَاكِيَاتُ عَلَيْهِ لَمَّا قَضَى نَحْبًا وَلَيْسَ لَهُ يَسَارُ
 فَذَلِكَ قَدْ نَجَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَلَمْ تَمْسَسْهُ يَوْمَ الْبَعْثِ نَارُ

اللهم قو إيماننا بك وبملائكتك وبكتبتك وبرسلك وباليوم الآخر
 وبالقدر خيره وشره اللهم نور قلوبنا بطاعتك وحل بيننا وبين معصيتك
 وألهمنا ذكرك وشكرك واجعلنا هداة مهتدين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
 المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
 وصحبه أجمعين .

الفصل الثالث : قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ
 أَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ تَضُرُّ وَلَا بُدَّ ، أَنَّ ضَرَرَهَا فِي الْقَلْبِ كَضَرَرِ السُّمُومِ
 فِي الْأَبْدَانِ عَلَى إختلافِ دَرَجَاتِهَا فِي الضَّرَرِ . وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرٌّ
 وَدَاءٌ ، إِلَّا بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ؟

إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : فَمَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبْوِينَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ
 وَالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ إِلَى دَارِ الْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ وَالْمِصَائِبِ وَمَا الَّذِي أَخْرَجَ
 إِبْلِيسَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ وَمَسَخَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ فَجَعَلَ صُورَتَهُ
 أَقْبَحَ صُورَةٍ وَأَشْنَعَهَا وَبَاطِنَهُ أَقْبَحَ مِنْ صُورَتِهِ وَأَشْنَعَ وَبَدَّلَ بِالْقُرْبِ بُعْدًا
 وَبِالرَّحْمَةِ لَعْنَةً وَبِالْجَمَالِ قُبْحًا وَبِالْجَنَّةِ نَارًا تَلْظِي وَبِالْأَيْمَانِ كُفْرًا ، وَبِمُؤَالَاةِ
 السُّوَيِّْ الْحَمِيدِ عِدَاوَةً وَمُشَاقَّةَ وَبِزَجْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّهْلِيلِ زَجَلَ
 الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، فَهَانَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى غَايَةَ الْهُوَانِ وَسَقَطَ مِنْ
 عَيْنِهِ غَايَةَ السُّقُوطِ وَحَلَّ عَلَيْهِ غَضَبُ الرَّبِّ تَعَالَى فَأَهْوَاهُ ، وَمَقَّتَهُ أَكْبَرَ الْمَقْتِ
 فَأَرْدَاهُ ، فَصَارَ قَوَادًا لِكُلِّ فَاسِقٍ وَمُجْرِمٍ رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْقِيَادَةِ بَعْدَ تَلْكَ
 الْعِبَادَةِ وَالسِّيَادَةِ .

فَعِيَاذًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَأَرْتِكَابِ نَهْيِكَ .

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ حَتَّىٰ عَلَا الْمَاءُ فَوْقَ رُؤُوسِ الْجِبَالِ . وَمَا الَّذِي سَلَطَ الرِّيحَ عَلَىٰ قَوْمٍ عَادٍ حَتَّىٰ أَلْقَتْهُمْ مَوْتَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ وَدَمَّرَتْ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَحُرُوفِهِمْ وَزُرُوعِهِمْ وَدَوَابَّهُمْ حَتَّىٰ صَارُوا عِبْرَةً لِلْأُمَّمِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَىٰ قَوْمٍ ثَمُودَ الصَّيْحَةَ حَتَّىٰ قَطَعَتْ قُلُوبَهُمْ فِي أَجْوَابِهِمْ وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَمَا الَّذِي رَفَعَ قُرَى اللُّوطِيَّةِ حَتَّىٰ سَمِعَتْ الْمَلَائِكَةُ نَبَاحَ كِلَابِهِمْ ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ أَتَبَعَهُمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَمَرَهَا عَلَيْهِمْ فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا لَمْ يَجْمَعُهُ عَلَىٰ أُمَّةٍ غَيْرِهِمْ ، وَإِلَّاخْوَانِهِمْ أَمْثَلُهَا قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ ﴾ .

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَىٰ قَوْمٍ شُعَيْبٍ سَحَابَ الْعَذَابِ كَالظُّلْمِ فَلَمَّا صَارَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ نَارًا تَلْطِئُ . وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْبَحْرِ ثُمَّ نَقَلَتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ، فَأَلْجَسَادُ لِلْغَرَقِ وَالْأَرْوَاحُ لِلْحَرَقِ ، وَمَا الَّذِي خَسَفَ بِقَارُونَ وَدَارِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ ، وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ الْقُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ وَدَمَّرَهَا تَدْمِيرًا ، وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ قَوْمَ صَاحِبِ يَسَ بِالصَّيْحَةِ حَتَّىٰ خَمَدُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

وَمَا الَّذِي بَعَثَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا أُولَىٰ بِأَسَىٰ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَقَتَلُوا الرِّجَالَ وَسَبُّوا الذُّرِّيَّةَ وَالنِّسَاءَ ، وَأَحْرَقُوا الدِّيَارَ وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً فَأَهْلَكُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ وَتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَشْبِيرًا ، وَمَا الَّذِي سَلَطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ مَرَّةً بِالْقَتْلِ وَالسَّبِّ وَخَرَابِ الْبِلَادِ وَمَرَّةً بِجُورِ الْمُلُوكِ وَمَرَّةً بِمَسْخِطِهِمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ وَآخِرُ ذَلِكَ أَقْسَمَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسْؤُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ . اللَّهُمَّ أَنْتُمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ

الْوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِحْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا وَالصُّدُقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعُدِّ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنُوحُ وَأُنْدُبُ بِدَمْعِ غَزِيرٍ وَآكِفٍ يَتَصَبَّبُ
دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنُوحُ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الضَّعِيفَةِ تَعَطَّبُ
وَإِنِّي حَقِيقٌ بِالتَّضَرُّعِ وَالبُكَاءِ إِذَا مَا هَذَا التُّوَامُ وَاللَّيْلُ غَيْهَبُ
وَجَالَتْ دَوَاعِي الحُزَنِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغَارَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ وَانْقَضَ كَوْكَبُ
كَفَى أَنَّ عَيْنِي بِالدُّمُوعِ بِخَيْلَةٍ وَأُنِّي بِآفَاتِ الذُّنُوبِ مُعَذَّبُ
فَمَنْ لِي إِذَا نَادَى المُنَادِي بِمَنْ عَصَى إِلَى أَيِّنَ إِجَائِي إِلَى أَيِّنَ أَهْرُبُ
وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الفَضَائِحُ كُلُّهَا وَقَدْ قُرِبَ المِيزَانُ وَالنَّارُ تَلْهَبُ
فَيَا طُولَ حُزْنِي ثُمَّ يَا طُولَ حَسْرَتِي لَيْنَ كُنْتُ فِي قَعْرِ المَجْهِيمِ أَعْدَبُ
فَقَدْ فَازَ بِالمُلْكِ العَظِيمِ عِصَابَةٌ تَبَيْتُ قِيَامًا فِي دُجَى اللَّيْلِ تَرْهَبُ
إِذَا أَشْرَفَ الجَبَّارُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ وَقَدْ زُيِّنَتْ حُورُ الجِنَانِ الكَوَاعِبُ
فَنَادَاهُمْ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا أَبَحْتُ لَكُمْ دَارِي وَمَا شِئْتُمْ أَطْلُبُوا

قال العلماءُ وتعظُمُ الصغيرةُ بأسبابِ منها : أن يَسْتَصْغِرَهَا الإنسانُ وَيَسْتَهينَ بها فلا يَغْتَمُّ بسببِها ولا يُيالي ، ولكنَّ المؤمنَ المَجَلَّ لِلَّهِ المَعْظَمِ له هو المستعظمُ لِذَنْبِهِ وَإِنْ صَغُرَ فَإِنَّ الذَّنْبَ كُلَّمَا أَسْتَعْظَمَهُ العَبْدُ صَغُرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَكُلَّمَا اسْتَصْغَرَهُ كَبُرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ اسْتِعْظَامَهُ يَكُونُ عَنْ نُفُورِ القلبِ مِنْهُ وَكِرَاهِيَتِهِ لَهُ .

قال ابنُ مسعودٍ : إِنَّ المؤمنَ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذَنْبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا ، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ . وَفِي البُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ .

وقال بلال بن سعد رضي الله عنه : لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى عظمة من عصيت . ومنها : السرور بها والتبجح بسببها واعتقاد التمكّن منها نعمة حتى إن المذنب المجاهر بالمعاصي ليفتخر بها فيقول : ما رأيتني كيف شتمته وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته في المعاملة .
ومنها : أن يتهاون بستر الله عليه .

ومنها : أن يجاهر بالذنب ويظهره ويذكره بعد فعله ، وقد قال ﷺ :
« كل أمتي مُعافى إلا المُجاهرون » . ومنها : أن تصدّر الصغيرة عن عالم يُفتدى به فذلك عظيم ، لأنه يتبعه عليها خلق كثير ، ويبقى أثرها بعده . والله أعلم .
اللَّهُمَّ أيقظنا من نوم العفلة ونبهنا لإغتنام أوقات المهلة ووفّقنا لمصالحنا واعصمنا من قبائحنا وذنوبنا ولا تُؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل) : من نصيحة والد لوالده

إعلم أن من تفكر في الدنيا قبل أن يوجد رأى مدة طويلة ، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج منها رأى مدة طويلة وعلم أن اللبث في القبور طويل ، فإذا تفكر في يوم القيامة علم أنه خمسون ألف سنة .

فاذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له . فاذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا فرضنا ستين سنة مثلاً فإنه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم ، ونحو من خمس عشر في الصبى .

فاذا حسبَ الباقي كان أكثره في الشهواتِ والمطاعمِ والمكاسبِ فاذا
خَلَصَ ما لِلْآخِرَةِ وَجَدَ فِيهِ مِنَ الرِّياءِ وَالغَفْلَةِ كَثِيراً ، فبِهاذا تَشْتَرِي الحِياةَ
الأبديَّةَ وإنما الثمنُ هذه الساعاتُ ؟

فانتبه يا بُنيَ لِنفْسِكَ ، واندِم على ما مضى من تفریطك واجتهد في
لحاقِ الكاملين مادام في الوقتِ سعة . واسقِ غُصنَكَ ، مادامت فيه
رطوبةٌ ، واذكرِ سَاعَتَكَ التي ضاعَتْ فَكفَى بها عِظَةٌ .

ذَهَبَتْ لَذَّةُ الكَسَلِ فِيها وَفاتَتْ مَراتبُ الفضائلِ .

وقد كان السلف الصالح رحمهم الله يُجِبُونَ جَمْعَ كُلِّ فَضيلةٍ وَيكونون

على فواتٍ واحدةٍ منها .

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : دَخَلْنَا على عابِدِ مَرِيضٍ ، وَهُوَ
يَنْظُرُ إلى رجليه وَيبكي ، فقلنا : ما لَكَ تَبكي ؟ فقال : ما أَغْبَرْتا في سبيلِ
الله . وبكى آخراً ، فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : عليّ يوم مضى ما صمُّتُهُ
وعلي ليلة ذَهَبَتْ ما قمتها .

واعلم يا بُنيَ أن الأيام تُبْسَطُ ساعات ، والساعات تبسطُ أنفاساً ،
وكلُّ نَفْسٍ خِزَانَةٌ ، فأحذِرْ أن يذهبَ نَفْسٌ بِغَيْرِ شَيْءٍ ، فَتَرَى في القيامةِ
خِزَانَةً فارِغَةً فَتندَمَ ولا ينفعك الندم .

آخر: وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ ما عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ
آخر: ياجامعُ المالِ الكثيرِ لِغَيْرِهِ
هل في يَدَيْكَ على الحوادثِ قوَّةٌ
أم ما تقولُ إذا ضَعَنْتَ إلى الليلِ
آخر: مَشِيْبُ النَّواصِي لِلمُنونِ رَسولُ
فصيحُ إذا نادى وأن كان صامِتاً
وَأَرَاهُ أَسْهَلَ ما عَلَيكَ يَضِيعُ
إنَّ الصَّغِيرَ مِنَ الذُّنوبِ كَبِيرُ
أم هل عَلَيكَ مِنَ المُنونِ خَفِيرُ
وإذا خلا بك مُنكَرٌ وَنَكِيرُ
يُخْبِرُنَا أنَّ الثَّوَاءَ قَلِيلُ
مُثِيرُ المَعانِي لِلنَّفوسِ عَذولُ
وَأماله تَنمُو وليس يَحولُ
فَواعِجِباً مِنَ موقِنِ بِفَنائِهِ

أَمِنْ بَعْدِ مَا جَاوَزْتَ سَبْعِينَ حَاجَةً وَقَدْ آنَ مِنِّي لِلْقُبُورِ رَاحِلُ
 أُتِمِلُ آمَالاً وَأَرْغُبُ فِي الْعَنَى يَدَارِ غَنَاهَا يَنْقُضِي وَيَزُولُ
 وَإِنَّ أَمْرًا دُنْيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ وَيُؤَثِّرُهَا حُبًّا لَهَا لَجَهْلُ
 فَكَمْ عَالِمٍ وَالْجَهْلُ أَوْلَى بَعْلِمِهِ لَهُ مَقُولٌ عِنْدَ الْخِطَابِ طَوِيلُ
 وَكَمْ مِنْ قَصِيرٍ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ لَهُ مَخْبِرٌ لِلصَّالِحَاتِ وَصُولُ
 فَمَا الْعِلْمُ إِلَّا خَشْيَةُ اللَّهِ وَالتَّقَى فَكُلُّ تَقِيٍّ فِي الْعُيُونِ جَلِيلُ
 فَيَارِبِ قَدْ عَلَّمْتَنِي سَبْلَ الْهُدَى فَأَصْبَحْتُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ سَبِيلُ
 وَيَارِبَ هَبْ لِي مِنْكَ عَزْمًا عَلَى التَّقَى فَأَنْتَ الَّذِي مَا لِي سِوَاهُ يُنِيلُ
 آخِرُ: الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالدُّنْيَا مُفْرَقَةٌ وَالْعُمْرُ يَذْهَبُ وَالْأَيَّامُ تُخْتَلِسُ
 وَنَحْنُ نَحْبِطُ فِي ظُلْمَاءَ لَيْسَ بِهَا بَدْرٌ يُضِيءُ وَلَا نَجْمٌ وَلَا قَبَسُ
 فَكَمْ نُرْتِقُ خَرْقًا لَيْسَ مُرْتَبَقًا فِيهَا وَنَحْرُسُ شَيْئًا لَيْسَ يَنْحَرُسُ
 وَكَمْ نَذُلُ وَفِينَا كُلُّ ذِي أَنْفٍ وَنَسْتَكِينُ وَفِينَا الْعِزُّ وَالشُّوسُ
 وَكَيْفَ يَرْضَى لَيْبٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَوْبٌ نَقِيٌّ وَعِرْضٌ دُونَهُ دَنَسُ

اللَّهُمَّ الْهِمْنَا الْقِيَامَ بِحَقِّكَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ، وَلَا تَفْضَحْنَا
 بَيْنَ خَلْقِكَ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ
 وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ وَأَمَلْنَاهُ يَا مَنْ
 يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ، أَذْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ، وَحَلَاوَةَ
 مَغْفِرَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاجْعَلِ الْإِيمَانَ لَنَا سِرَاجًا وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا اسْتِدْرَاجًا وَاجْعَلْهُ
 لَنَا سُلْمًا إِلَى جَنَّتِكَ وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا مَكْرًا مِنْ مَشِيئَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَلِيمُ الْغَفُورُ
 الشُّكُورُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الرابع

واعلم أن التوبة إذا صحت بأن اجتمعت شروطها وانتفت موانعها قبلت بلا شك إذا وقعت قبل نزول الموت ، لو كانت عن أي ذنب كان وقبل طلوع الشمس من مغربها كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أي ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض ، والغرغرة أن يجعل المشروب في الفم ويردّد إلى أصل الحلق ولا يبلع ، فهذه الحالة حالة حضور الموت وبعد حضور الموت لا يقبل من العاصين توبة ولا من الكافرين رجوع كما قال تعالى عن فرعون : ﴿ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ .

ومن المعوقات الضارة التسوية بالتوبة فمن أين يعلم الإنسان . أنه يبقى إلى أن يتوب فتارك المبادرة بالتوبة بين خطرتين عظيمين أحدهما أن تراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير ريناً وطبعاً وثانيهما أن يعاجله المرض فلا يجد مهلة للاشتغال بمحو ما وقع من الظلمة في القلب فيأتي ربه بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

ويجب على الإنسان أن لا يمتنع من التوبة خشية الوقوع في ذنب مرة أخرى فإن هذا ظن يدخله الشيطان في قلبه ليؤخر التوبة ولربما يقول في نفسه سأستمر في المعاصي أيام شبابي وصحتي ثم أتوب بعد ذلك ، وهكذا يسوف ويؤخر ، وإذا بالموت أو المرض يفاجئه فلا يجد متسعاً للتوبة

والرَّجوع إلى الله . نعوذُ باللهِ مِنْ سِوَةِ الخَاتِمَةِ . وَلِذَلِكَ كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ تَكَادُ تَنخَلَعُ قُلُوبُهُمْ فِي كُلِّ مَرَضَةٍ يَمْرَضُونَهَا ، لِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ المَرَضَةُ إِخْرَاجاً لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ كُنُوزُهَا مِنْ تَدَارِكِ مَا فَاتَ مِنَ الهَفَوَاتِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَلِلْأَسْتِكْثَارِ مِنَ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ . وَمَرَضَ مَرَّةً بَعْضُ الصَّالِحِينَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يُعَوِّدُونَهُ فَقَالُوا لَهُ كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : مُوقَّراً بِالذُّنُوبِ فَقَالُوا : هَلْ تَشْتَهِي شَيْئاً ؟ قَالَ : نَعَمْ ! أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ رَبِّي بِالتَّوْبَةِ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ قَبْلَ مَوْتِي .

وقد قال العلماءُ ما مِثَالُ المُسَوِّفِ بِالتَّوْبَةِ إِلَّا مِثَالُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى قَلْعِ شَجَرَةٍ فَرَأَاهَا قَوِيَّةً لَا تَنْقَلِعُ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ فَقَالَ : أَوْ أَخْرَاهَا سَنَةً ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّجَرَةَ كُلَّمَا بَقِيَتْ أَزْدَادَتْ قُوَّةً لِرُسُوخِهَا وَكَلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ أَزْدَادَ ضَعْفُهُ فَلَا حِمَاقَةَ فِي الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِنْ حِمَاقَتِهِ إِذْ عَجَزَ مَعَ قُوَّتِهِ عَنْ مُقَاوَمَةِ ضَعْفِهِ فَأَخَذَ يَنْتَظِرُ الغَلْبَةَ عَلَيْهِ إِذَا ضَعُفَ هُوَ فِي نَفْسِهِ وَقَوَى الضَّعِيفُ .

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ : إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالاِنْكِسَارِ وَالدَّلِّ وَالاِفْتِقَارِ وَالاِسْتِعَانَةَ بِهِ وَصِدْقَ اللِّجَاءِ إِلَيْهِ وَدَوَامَ التَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا أَمَكَنَ مِنَ الحَسَنَاتِ مَا تَكُونُ تِلْكَ السَّيِّئَةُ بِهِ سَبَبَ رَحْمَتِهِ حَتَّى يَقُولَ عَدُوُّ اللهِ يَا لَيْتَنِي تَرَكْتَهُ وَلَمْ أُوقِعْهُ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ السَّلْفِ إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ الذَّنْبَ يَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ وَيَعْمَلُ الحَسَنَةَ يَدْخُلُ بِهَا النَّارَ قَالُوا : كَيْفَ ؟ قَالَ : يَعْمَلُ الذَّنْبَ فَلَا يَزَالُ نُصِبَ عَيْنِيهِ خَائِفاً مِنْهُ مُشْفِيقاً وَجِلاً بِأَكْبَارِهَا نَادِماً مُسْتَحِيّاً مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى نَاكِسَ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْكَسِرَ القَلْبِ لَهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ الذَّنْبُ أَنْفَعَ لَهُ مِنْ طَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ بِمَا تَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ الَّتِي بِهَا سَعَادَةُ العَبْدِ وَفَلَاحُهُ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ الذَّنْبُ سَبَبَ دُخُولِ الجَنَّةِ .

وَيَفْعَلُ الحَسَنَةَ فَلَا يَزَالُ يَمُنُّ بِهَا عَلَى رَبِّهِ وَيَتَكَبَّرُ بِهَا وَيَرَى نَفْسَهُ شَيْئاً

وَيُعَجَّبُ بِهَا وَيَسْتَطِيلُ بِهَا وَيَقُولُ بِهَا وَيَقُولُ فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ ، فَيُورِثُهُ مِنْ
الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالْفَجْرِ وَالِاسْتِطَالَةِ مَا يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ .

فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الْمَسْكِينِ خَيْرًا ابْتِلَاءً بِأَمْرٍ يَكْسِرُهُ بِهِ وَيُذِلُّ بِهِ
عُنُقَهُ وَيُصَغِّرُ بِهِ نَفْسَهُ عِنْدَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ خَلَاءً وَعُجْبَهُ وَكِبْرَهُ وَهَذَا
هُوَ الْخِذْلَانُ الْمَوْجِبُ لِهَلَاكِهِ فَإِنَّ الْعَارِفِينَ كُلَّهُمْ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنْ التَّوْفِيقَ هُوَ
أَنْ لَا يَكِلَكَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَفْسِكَ ، وَالذَّلُّ أَنْ يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ .
انتهى .

يَا مَنْ يُغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
إِرْحَمْ عِبَادًا أَكْفَ الْفَقْرَ قَدْ بَسَطُوا
عَوْدَتُهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلَا سَبَبِ
سِوَى جَمِيلٍ رَجَاءٍ نَحْوَهُ انْبَسَطُوا
وَعَدَّتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرٍ
بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفُ ارْتَبَطَتْ شُمُّ الْأَنْوَفِ بِهَا
وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ
يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعْتَرَفَتْ
بِحِمِّ إِنْعَامِهِ الْأَطْرَافُ وَالْوَسَطُ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
وَهُمْ يُجُوزُ عَلَيْهِ لَا وَلَا غَلَطُ
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِيَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرًا
مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَافِيَ حِينَ يَنْضَغِطُ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدَ الْكَفِّ أَحْجَلُهُ
قَبَائِحُ وَخَطَايَا أَمْرُهَا فَرَطُ

يا واسعاً ضاقَ خَطُّو الخَلْقِ عن نِعَمٍ
 مِنْهُ إِذَا خَطَبُوا فِي شُكْرِهَا خَبَطُوا
 وَنَاشِراً بِيَدِ الإِجْمَالِ رَحْمَتَهُ
 فَلَيْسَ يَلْحَقُ مِنْهُ مُسْرِفاً قَنَطُ
 إِرْحَمْ عِبَاداً بَضْنِكَ العَيْشِ مَا هُمُوا
 غَيْرُ الدُّجْنَةِ لُحْفُ وَالثَّرَى بُسْطُ
 لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرِّي عَالِيكَ فِي نَمَطُ
 سَامِ رَفِيعِ الذَّرَى مَا فَوْقَهُ نَمَطُ
 وَمَنْ يَكُنْ بِالذِّي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعاً
 فَمَا يُبَالِي أَقَامَ الحَيُّ أَمْ شَخَطُوا
 نَحْنُ العَبِيدُ وَأَنْتَ المَلِكُ لَيْسَ سِوَى
 وَكُلُّ شَيْءٍ يُرْجَى بَعْدَ ذَا شَطَطُ

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الأَهْوَالِ ، وَأَمْنَا مِنَ الفَوَاحِشِ
 الأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَلِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ
 الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : كَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحِ حَرِيصِينَ عَلَى الوَقْتِ وَعَلَى حِفْظِ الكَلَامِ
 فَلَا يَصْرَفُونَ أَوْقَاتَهُمْ إِلَّا لِلآخِرَةِ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا لَهَا مُبْتَعِدِينَ عَنِ النِّفَاقِ وَالرِّيَاءِ
 وَالكَلَامِ الفَارِغِ .

فَقَدْ كَانَ الفَضِيلِ رَحِمَهُ اللهُ جَالِساً وَحْدَهُ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ فَجَاءَ إِلَيْهِ أَخٌ
 لَهُ فَقَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ . قَالَ المَوَائِسَةُ يَا أَبَا عَلِيٍّ . فَقَالَ هِيَ وَاللَّهِ بِالمَوَاحِشَةِ
 أَشْبَهَةٌ . هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَرَيْنَ لِي وَأَتْرَيْنَ لَكَ وَتَكْذِبُ لِي وَأُكْذِبُ لَكَ فَأَمَّا أَنْ
 تَقُومَ عَنِّي أَوْ أَقُومَ عَنكَ .

لِقَاءِ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئاً سِوَى الْهَدَايَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ
 فَأَقْبِلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ
 وهكذا كان السلف لا يتلاقون إلا لله ويحترزون في جميع أعمالهم وأقوالهم
 حتى كيف أصبحت وكيف أمست وكيف حالك وفي الجواب عن ذلك .
 فقد قال حاتم الأصم لحامد اللفاف كيف أنت في نفسك فقال بسلامة
 وعافية فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في
 الجنة .

وكان إذا قيل لعيسى عليه السلام كيف أصبحت يقول أصبحت لا أملك
 تقديم ما أرجو ولا استطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهناً بعملي والخير كله
 في يد غيري ولا فقير أفقر مني (أي إلى الله عز وجل صاحب الخير والغنى) .
 وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له كيف أصبحت قال ضعيفاً مذنباً أستوفي
 رزقي وأنتظر أجلي وقيل لأويس القرني كيف أصبحت قال كيف يصح رجل
 إذا أمسى لا يدري أنه يصبح وإذا أصبح لا يدري أنه يمسي .

وهكذا كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم ومع هذا فقد كانوا دائماً
 يسألون الله العون والنصر والرشد والتوفيق لما يحب ويرضاه .

شِعْرًا: إِذَا لَمْ يُعْنِكَ اللَّهُ فِيمَا تُرِيدُهُ فَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ إِلَيْهِ سَبِيلُ
 وَإِنْ هُوَ لَمْ يَنْصُرْكَ لَمْ تَلَقْ نَاصِرًا وَإِنْ عَزَّ أَنْصَارٌ وَجَلَّ قَبِيلُ
 وَإِنْ هُوَ لَمْ يُرْشِدْكَ فِي كُلِّ مَسَلِكٍ ضَلَلْتَ وَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَلِيلُ

قال بعض العلماء أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقب بالعقوبة، وأشد من
 ذلك أن يقع السرور بما هو عقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكين من
 الذنوب، ومن هذه حاله لا يفوز بطاعة . وقال آخر: العُموم ثلاثة: (١) غم
 الطاعة أن لا تقبل، (٢) غم المعصية أن لا تغفر، (٣) غم المعرفة أن تسلب .
 وقال آخر: إذا عصيت الله في موضع فلا تفارق الموضع حتى تعمل فيه

طَاعَةٌ وَتَقِيمٌ فِيهِ عِبَادَةٌ فَكَمَا يَشْهَدُ عَلَيْكَ إِذَا اسْتَشْهَدَ يَشْهَدُ لَكَ وَكَذَلِكَ
ثُوبَكَ إِنْ عَصَيْتَ اللَّهَ فِيهِ فَكُنْ كَمَا ذَكَرْتَهُ لَكَ .

شِعْرًا: يَا نَاطِرًا يَرْنُو بِعَيْنِي رَاقِدٍ وَمُشَاهِدٍ لِلْأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدٍ
تَصِلُ الذُّنُوبُ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي فَوْزَ الْجِنَانِ وَتَيْلَ أَجْرِ الْعَابِدِ
وَسَيِّتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ أَدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ
وَقَالَ وَائِي تَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَرْهَدِينَ فَرَأَيْتُهُمْ فِي عُقُوبَاتٍ
لَا يُحْسُونَ بِهَا، وَمُعْظَمُهَا مِنْ قَبْلِ طَلَبِهِمْ لِلرِّيَاسَةِ . فَالْعَالِمُ مِنْهُمْ يَعْضَبُ أَنْ رُدَّ
عَلَيْهِ خَطْوُهُ، وَالْوَاعِظُ مُتَصَنِّعٌ بِوَعْظِهِ، وَالْمُتَرْهَدُ مُنَافِقٌ أَوْ مُرَائٍ .
فَأَوْلُ عُقُوبَاتِهِمْ، إِعْرَاضُهُمْ عَنِ الْحَقِّ شُغْلًا بِالْحَلَقِ، وَمَنْ خَفِيَ عُقُوبَاتِهِمْ
سَلَبُ حَلَاوَةِ الْمَنَاجَاةِ، وَلَذَةُ التَّعْبِيدِ .

إِلَّا رَجَالَ مُؤْمِنُونَ، وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، بِوَاطِنِهِمْ
كَظَوَارِهِمْ بِلِأَحْلَى، وَسَرَائِرِهِمْ كَعَلَانِيَتِهِمْ بِلِأَحْلَى، وَهَمْمُهُمْ عِنْدَ الثَّرِيَا أَعْلَى .
إِنْ عُرِفُوا تَنَكَّرُوا، وَإِنْ رُعِيَتْ لَهُمْ كَرَامَةٌ انكُرُوا . فَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتِهِمْ،
وَهُمْ فِي قَطْعِ فَلَاتِهِمْ تُحِبُّهُمْ بِقَاعِ الْأَرْضِ، وَتَفْرَحُ بِهِمْ أَمْلَاكُ السَّمَاءِ . نَسَأَلُ
اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ التَّوْفِيقَ لِاتِّبَاعِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ .

شِعْرًا: خُذْ مِنْ شَبَابِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ وَبَادِرِ التَّوْبَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَالنَّدَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَجْزِيٌّ وَمُرْتَهَنٌ وَرَاقِبَ اللَّهِ وَاحْذَرْ رَلَّةَ الْقَدَمِ
فَلَيْسَ بَعْدَ حُلُولِ الْمَوْتِ مَعْتَبَةٌ إِلَّا الرُّجَاءُ وَعَفْوُ اللَّهِ ذِي الْكَرَمِ
آخَرُ: يَقُولُونَ: أَسْبَابُ الْحَيَاةِ كَثِيرَةٌ فَقُلْتُ: وَأَسْبَابُ الْمَوْتِ كَثِيرَةٌ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَصَائِدُ وَأَشْرَاكُ مَكْرُوهٍ لَنَا وَغُرُورُ:
يُسَارُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَكَمْ ذَا إِلَى مَا لَا تُرِيدُ نَسِيرُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا فَرَحَةٌ ثُمَّ تَرَحَةٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا مُطْلَقٌ وَأَسِيرُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ

وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ وَأَمَّا زَمَانُنَا فَقَدْ قَيَّدَ الطَّمَعُ السُّنَنَ الْعُلَمَاءِ فَسَكَتُوا إِذْ لَمْ تُسَاعِدْ أَقْوَالُهُمْ أَفْعَالُهُمْ وَلَوْ صَدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ .

فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى فَسَادِ الرَّعِيَّةِ وَجَدْنَا سَبَبَهُ فَسَادَ الْمُلُوكِ .

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى فَسَادِ الْمُلُوكِ وَجَدْنَا سَبَبَهُ فَسَادَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى فَسَادِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَجَدْنَا سَبَبَهُ مَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ حُبِّ الْمَالِ وَالجَاهِ وَانْتِشَارِ الصَّيْتِ وَتَفَاذِ الْكَلِمَةِ وَمُدَاهَنَةِ الْمُخْلُوقِينَ وَفَسَادِ النِّيَّاتِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ .

فَإِذَا أَرَادَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُنْكِرَ عَلَى وَاحِدٍ مِنَ الرَّعِيَّةِ لَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ .

وَقَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ، لَوْ أَنَّ عُلَمَاءَنَا عَفَا اللَّهُ عَنَّا وَعَنْهُمْ نَصَحُوا اللَّهَ فِي

عِبَادِهِ، فَقَالُوا: يَا عِبَادَ اللَّهِ اسْمَعُوا مَا نُخْبِرُكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ وَصَالِحِ سَلَفِكُمْ

مِنَ الرَّهْدِ فِي الدُّنْيَا فَاعْمَلُوا بِهِ . وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى أَعْمَالِنَا هَذِهِ الْفَسَلَةِ، كَانُوا قَدْ

نَصَحُوا لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَأْبُونَ إِلَّا أَنْ يَجْرُوا عِبَادَ اللَّهِ إِلَى فِتْنَتِهِمْ وَمَا هُمْ

فِيهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِعْلَمَنَّ أَنَّ لِلْعَالِمِ الْعَامِلِ بِلِعْمِهِ حَقِيقَةً عَلامَاتٍ

وَأَمَارَاتٍ تُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُلَمَاءِ اللُّسَانِ الْمُخَلِّطِينَ الْمُتَّبِعِينَ لِلْهَوَى الْمُؤَثِّرِينَ

لِلدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ .

فَمِنْ عَلامَاتِ الْعَالِمِ الْحَقِيقِيِّ الْمُمْتَازِ أَنْ يَكُونَ مُتَوَاضِعًا خَائِفًا وَجَلًّا

مُشْفِقًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا قَانِعًا بِالْيَسِيرِ مِنْهَا هَمُّهُ وَشُغْلُهُ فِيمَا يُصْلِحُ

آخِرَتَهُ .

مُلْتَمِسًا لِلْفُقَرَاءِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِمُ الْخَالِيَةَ بِيُوثِهِمْ مِنَ الْمَلَاهِي

وَالْمُنْكَرَاتِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدٌ وَلَا مَسَاكِينَ لِيُسَعِفَهُمْ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ

وَجَاهٍ مُخْلِصًا لِلَّهِ فِي ذَلِكَ لَا يُرِيدُ مِنْهُ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا .

ناصِحاً لِعِبَادِ اللَّهِ شَفِيقاً عَلَيْهِمْ رَحِيماً بِهِمْ ، آمراً بالمعروفِ فاعِلاً لَهُ ونَاهياً
عن المنكر ، ومُجْتَنِباً لَهُ ومُسَارِعاً فِي الخَيْرَاتِ ملازماً للعبادات ليلاً ونهاراً سِرّاً
وجهاراً وملازماً لذكر الله وحمده وشكره .

دالاً على الخير داعياً إلى الهدى ، ذَا صَمْتٍ وَتَوَادَّةٍ وَوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ مَحْبِياً
لأهل الطاعة سالكاً طريق أهل السنة والجماعة ، حَسَنُ الأخلاق ، واسع
الصُّدْر ، لِينُ الجَانِب ، مَخْفُوضُ الجَنَاحِ للمؤمنين ، لا متكبراً ، ولا مُتَجَبِّراً ،
ولا طامعاً فِي الناس ، ولا حريصاً على الدنيا ، ولا مؤثراً لها على الآخرة .

ولا منهمكاً بجمع المال ، ولا مانعاً عن حقه ، ولا فظاً ولا غليظاً ، ولا
مُمارِياً ، ولا مُخَاصِماً بالباطل ، ولا سَئِءَ الأخلاق ، ولا ضَيِّقَ الصدر مَحْبِياً
لأولياء الله ومبغضاً لأعدائه .

ولا مُدَاهِناً ، ولا مُخَادِعاً ، ولا غَشَّاشاً ، ولا مُقَدِّماً للأغنياء على
الفقراء ، ولا مُرَائِباً ، ولا مُحِبّاً للولايات والرياسات .

وبالجملة فيكون مُتَّصِفاً بجميع ما يحثُّ عليه الكتاب والسنة مُؤْتَمِراً بما
يأمرُ به مِن الأخلاقِ المحمودَةِ والأعمالِ الصالحةِ .

مُجَانِباً لما يَنْتَهِي عنه كتابُ الله وسنةُ رسولِ الله ﷺ مِن الأخلاقِ
والأعمالِ المذمومةِ ، وهذه صفاتٌ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ وَيَتَّحَلَّى بِهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ ،
إِلَّا أَنْ العَالِمَ وطالبَ العِلْمِ أَوْلَى أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا ويحافظ عليها ويدعو إليها لأنه
قدوةٌ يُقْتَدَى به .

ويَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ مَعَ العَامَّةِ فِي حَالِ مُخَالَطَتِهِ لَهُمْ فِي بيان
الواجباتِ والمحرماتِ ونوافلِ الطاعاتِ وذكرِ الثوابِ والعقابِ على الاحسانِ
والإساءةِ لِيَصُونُوا وَقْتَهُ وَوَقْتَهُمْ عَمَّا لَا يَنْفَعُ فِيهِ ، ويكونُ كلامُهُ بعبارةٍ يَعْرِفُونَهَا
وَيَفْهَمُونَهَا ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الأُمُورَ الَّتِي هُمْ مُلَابِسُونَ لها ولا يَنْبَغِي له أَنْ يَسْكُتَ
حتى يُسْأَلَ وهو يَعْلَمُ أَنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ أَوْ مُضْطَرُّونَ .

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي ، فَإِنِّي مَقْرٌ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
وَمَا لِي حِيلَةٌ ، إِلَّا رَجَائِي وَعَفْوِكَ ، إِنَّ عَفْوَتَ ، وَحُسْنَ ظَنِّي
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْبَرَائِيَا ، وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ ، وَمَنْ
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا ، وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ ، إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي
أَجْنُ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا ، وَأُفْنِي الْعُمَرَ فِيهَا بِالتَّمَنِّي
وَبَيْنَ يَدَيَّ مُحْتَبَسٌ ثَقِيلٌ ، كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ لَهُ ، كَأَنِّي
وَلَوْ أَنَّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ فِيهَا ، قَلَبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمَجْنُونِ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ،

وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ
عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْبِتِينَ ، الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبِّلِينَ .
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَّةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً ،
وَمَرَدًا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ
بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَضْلٌ) قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ لَطَائِفِ الْبَلَايَا وَفَوَائِدِهَا تَكْفِيرُ
الْخَطَايَا بِهَا وَالثَّوَابُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهَا ، وَهَلْ يَثَابُ عَلَى الْبَلَاءِ نَفْسِهِ فِيهِ
اِخْتِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ .

ومنها تذكير العبد بذنوبه فربما تاب ورجع منها إلى الله عز وجل .
ومنها زوال قسوة القلوب وحدث رقتها . قال بعض السلف ان العبد

لِيَمْرُضُ فَيَذَكُرُ ذُنُوبَهُ فَيَخْرُجَ مِنْهُ مِثْلُ رَأْسِ الذَّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَيَغْفِرُ لَهُ .
ومنها انكساره لله عز وجل وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين .

ومنها أنها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلى الله عز وجل والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة وذلك من أعظم فوائد البلاء وقد دم الله من لا يستكين له عند الشدائد .

قال تعالى : ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ المؤمنون ٧٧ وقال : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ الانعام ٤٢ .
وفي بعض الكتب السابقة إن الله ليبتل العبد وهو يحبهُ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ .

وقال سعيد بن عبدالعزيز قال داود عليه السلام : سبحان مُستخرج الدعاء بالبلاء وسبحان مُستخرج الشكر بالرخاء .
ومرَّ أبو جعفر محمد بن علي بمحمد بن المنكدر وهو معموّم فسأل عن سبب غمه فقيل له الدين قد فدحه . فقال أبو جعفر أفتح له في الدعاء قيل نعم قال لقد بورك لعبد في حاجة أكثر منها من دعاء ربه كائنه ما كانت . وكان بعضهم في الدعاء عند الشدائد يحب تعجيل إجابته خشية أن يقطع عما فتح له .

وقال ثابت إذا دعا الله المؤمن بدعوة وكل الله جبريل بحاجته فيقول الله : لا تعجل بإجابته فإني أحب أن أسمع صوت عبدي المؤمن .
وروي مرفوعاً من وجوه ضعيفة : رأى بعض السلف رب العزة في نومه فقال يا رب كم أدعوك ولا تجيبني . قال : إني أحب أن أسمع صوتك . ومنها أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه أو الرضا به وذلك مقام عظيم جداً . وقد تقدمت الإشارة إلى فضل ذلك وشرفه . ومنها أن البلاء يقطع قلب

المؤمن عن الإلتفات إلى المخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده .
وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف
بالمؤمنين .

شِعْرًا :

لَحَى اللهُ مَنْ لَا يَعْبُدُ اللهُ وَخَدَهُ وَمَنْ حَبَلَهُ فِي الدِّينِ غَيْرَ مَتِينٍ
وَمَنْ هُوَ ذُو لَوْتَيْنِ شَرُّ مُتَافِقِي وَمَنْ هُوَ لِلْأَسْرَارِ غَيْرَ مَكِينٍ
والبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه وذلك على أعلى المقامات
وأشرف الدرجات .

وفي الإسرائيليات يقول الله عز وجل : البلاء يجمع بيني وبينك
والعافية تجمع بينك وبين نفسك .

وإذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج حينئذ قريباً في الغالب .
قال تعالى : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا ﴾ يوسف ١١٠ .

وقال تعالى : ﴿ حتى يقول الرسل والذين آمنوا معه متى نصر الله الا
إن نصر الله قريب ﴾ البقرة ٢١٤ .

وأخبر عن يعقوب عليه السلام أنه لم ييأس من لقاء يوسف وقال
لإخوته : (اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) .
وقال : ﴿ عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً ﴾ يوسف ٨٣ .

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج باشتداد الكرب ، ان الكرب إذا
اشتد وعظم وتناهى وجد الإيأس من كشفه من جهة المخلوق ووقع التعلق
بالخالق استجاب له وكشف عنه .

فإن التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين كما قال الإمام
أحمد واستدل عليه بقول إبراهيم عليه السلام لما عرض عليه جبريل في الهواء
وقال له ألك حاجة ؟ فقال أما إليك فلا .

والتوكل من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج فإن الله يكفى من توكل عليه كما قال ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ الطلاق ٣ .
قال الفضيل والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً لأعطاك مولاك كما تريد ، قال بعضهم :

قَالُوا حُطُوضٌ وَأَقْسَامٌ فَقُلْتُ لَهُمْ نَعَمْ وَلَكِنْ عَلَيْنَا السَّعْيُ وَالطَّلْبُ
وَلِلْمَطَالِبِ أَسْبَابٌ مُقَدَّرَةٌ وَبَدَلُ سَعْيِكَ فِي مَطْلُوبِكَ السَّبَبُ
آخر : عَلَامَ سُؤَالِ النَّاسِ وَالرِّزْقِ وَاسِعٌ وَأَنْتَ صَحِيحٌ لَمْ تَحْضَنْكَ الْأَصَابِعُ
فَكُنْ طَالِباً لِلرِّزْقِ مِنْ رَازِقِ الْغِنَى وَخَلِّ سُؤَالَ النَّاسِ فَاللَّهُ صَانِعٌ

ومنها أن العبد إذا اشتد عليه الكرب فإنه يحتاج حينئذ إلى مجاهدة الشيطان لأنه يأتيه فيقنطه ويسخطه فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه فيكون في مجاهدة عدوه ودفعه دفع البلاء عنه .

ولهذا في الحديث الصحيح : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي فیدع الدعاء » .

ومنها أن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه ولا سيما بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها إنها أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت .

وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه وتفريج الكرب ، فانه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله . على قدر الكسر يكون الخير .

قال وهب تعبد رجل زماناً ثم بدت له إلى الله حاجة فصام سبعين سبباً يأكل في كل سبت أحد عشرة تمرّة ثم سأل الله حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه فقال منك أتيت ، لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك .

فنزل إليه عند ذلك ملك فقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك .

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها فمن تحقق هذا وعرفه وشاهده بقلبه علم أن نعم الله على عبده المؤمن في البلاء أعظم من نعمه عليه في الرخاء .

وهذا تحقيق معنى الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له إن إصابته سراء شكر فكان خيراً وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن » .

ومن ها هنا كان العارفون بالله لا يختارون إحدى الحالتين على الأخرى بل أيهما قدر الله رضوا به وقاموا بعبوديته اللاتقة .

وفي المسند والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « عرض على ربي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإن جعت تضرعت إليك وذكرتك وإن شبعت شكرتك وحمدتك » .

قال عمر ما أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره لإني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره . وقال عمر بن عبدالعزيز أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر ،

وَكُنْ بِالذِّي قَدْ حُطُّ بِاللُّوحِ رَاضِيَاً فَلَ مَهْرَبٌ مِمَّا قَضَاهُ وَخَطُّهُ
وَإِنَّ مَعَ الرِّزْقِ إِشْتِرَاطَ التِّمَاسِيهِ وَقَدْ يَتَعَدَّى إِنْ تَعَدَّتْ شَرْطُهُ
فَلَوْ شَاءَ أَلْقَى فِي فَمِ الطُّيْرِ قُوَّتُهُ وَلَكِنَّهُ أَوْحَى إِلَى الطُّيْرِ لَقَطُّهُ

فائدة عظيمة النفع :

التَّوَجُّدُ مَفْرَعُ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَائِهِ فَأَمَّا أَعْدَاؤُهُ فَيُنَجِّهِمْ مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا .
قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَا اللَّهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ وَأَمَّا أَوْلِيَاؤُهُ فَيُنَجِّهِمْ بِهِ مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَشَدَائِدِهَا .

وَلِذَلِكَ فَرَعَ إِلَيْهِ يُؤْتَسُ فَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلْمَاتِ وَفَرَعَ إِلَيْهِ أَتْبَاعُ
الرُّسُلِ فَنَجَّوْا بِهِ مِمَّا عَذَّبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أُعِدَّ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ .
وَمَا فَرَعَ إِلَيْهِ فِرْعَوْنَ عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْهَلَاكِ وَإِذْ رَأَى الْعَرَقَ لَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ .
لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْمُعَايِنَةِ لَا يُقْبَلُ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ .
فَمَا دُفِعَتْ شِدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ .

وَلِذَلِكَ كَانَ دُعَاءُ الْكَرْبِ التَّوْحِيدِ وَدَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي مَا دَعَا بِهَا
مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ بِالتَّوْحِيدِ .

فَلَا يُلْقَى فِي الْكَرْبِ الْعِظَامُ إِلَّا الشِّرْكَ .

وَلَا يُنْجِي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ .

فَهُوَ مَفْرَعُ الْحَلِيقَةِ وَمَلْجُؤُهَا وَحِصْنُهَا وَغِيَاثُهَا .

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ نَجَاةٌ فَلَا تُهْمِلُ كَلَامِي وَخُذْ بِهِ

شعرا :

أَذَلَّ الْحَرَصُ وَالطَّمَعُ الرَّقَابَا ،	وَقَدْ يَعْفُو الْكَرِيمُ ، إِذَا اسْتَرَابَا ،
إِذَا اتَّضَحَ الصَّوَابُ ، فَلَا تَدَعُهُ ،	فَإِنَّكَ قَلَّمَا ذُقْتَ الصَّوَابَا ،
وَجَدْتَ لَهُ عَلَى اللَّهَوَاتِ بَرْدًا ،	كَبُرِدِ الْمَاءِ حِينَ صَفَا وَطَابَا ،
وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ مَنْ لَا يُبَالِي ،	أَخْطَأَ فِي الْحُكُومَةِ أَمْ أَصَابَا ،
وَإِنَّ لِكُلِّ تَلْخِيصٍ لَوْجَهَا ،	وَإِنَّ لِكُلِّ ذِي عَمَلٍ حِسَابَا ،
وَإِنَّ لِكُلِّ مُطَّلِعٍ لِحَدَا ،	وَإِنَّ لِكُلِّ ذِي أَجَلٍ كِتَابَا ،
وَكُلُّ سَلَامَةٍ تَعِدُّ الْمَنَابَا ،	وَكُلُّ عِمَارَةٍ تَعِدُّ الْخَرَابَا ،
وَكُلُّ مُمْلِكٍ سَيَصِيرُ يَوْمًا ،	وَمَا مَلَكَتْ يَدَاهُ مَعَا تُرَابَا ،
أَبَتْ طَرْفَاتُ كُلِّ قَرِيرِ عَيْنٍ	بِهَا ، إِلَّا اضْطِرَابًا وَانْقِلَابَا ،
كَأَنَّ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا سَرَابٌ ،	وَأَيُّ يَدٍ تَنَاوَلَتْ السَّرَابَا ،
وَإِنَّ يَكُ مُنِيَّةً عَجَلَتْ بِشَيْءٍ	تُسْرُ بِهِ ، فَإِنَّ لَهَا السَّرَابَا ،
فِيَا عَجَبًا تَمُوتُ ، وَأَنْتَ تَبْنِي ،	وَتَتَّخِذُ الْمَصَانِعَ وَالْقَبَابَا ،

أَرَاكَ ، وَكَلَّمَا فَتَحْتَ بَاباً
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ غُدُوءَ كُلِّ يَوْمٍ ،
 وَحَقَّ لِمُوقِنٍ بِالْمَوْتِ أَنْ لَا
 يُدَبِّرُ مَا تَرَى مَلِكٌ عَزِيزٌ ،
 أَلَيْسَ اللَّهُ فِي كُلِّ قَرِيْبًا ؟
 وَلَمْ تَرَ سَائِلًا لِلَّهِ أَكْذَى ،
 رَأَيْتَ الرُّوحَ جَذَبَ الْعَيْشَ لَمَّا
 وَلَسْتَ بِغَالِبِ الشَّهَوَاتِ ، حَتَّى
 فَكُلُّ مُصِيبَةٍ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ
 كَرَبْنَا أَيُّهَا الْأَتْرَابُ ، حَتَّى
 وَكُنَّا كَالْغُصُونِ ، إِذَا تَشَّتْ
 إِلَى كَمْ طُولَ صَبُوتِنَا بِدَارٍ ،
 أَلَا مَا لِلْكُهُولِ وَلِلتَّصَابِي ،
 فَزَعْتُ إِلَى خِضَابِ الشَّيْبِ مِنِّي

مِنَ الدُّنْيَا ، فَتَحْتَ عَلَيْكَ نَابًا
 تَزِيدُكَ ، مِنْ مَنِيَّتِكَ ، اقْتِرَابًا
 يُسَوِّغُهُ الطَّعَامَ ، وَلَا الشَّرَابَا
 بِهِ شَهَدَتْ حَوَادِثُهُ وَغَابَا
 بَلَى ! مِنْ حَيْثُ مَا نُودِي أَجَابَا
 وَلَمْ تَرَ رَاجِيًا لِلَّهِ خَابَا
 عَرَفْتَ الْعَيْشَ مَخْضًا ، وَاحْتِلَابَا
 تُعَدُّ لَهْنٌ صَبْرًا وَاحْتِسَابَا
 تَخَفٌ ، إِذَا رَجَوْتَ لَهَا ثَوَابَا
 كَأَنَّا لَمْ نَكُنْ حِينًا شَبَابَا
 مِنَ الرِّيحَانِ مُوْنِعَةً رَطَابَا
 رَأَيْتَ لَهَا اغْتِصَابًا وَاسْتِلَابَا

إِذَا مَا اغْتَرَّ مُكْتَهَلٌ تَصَابِي
 وَإِنْ نُصُوْلُهُ فَصَحَّ الْخِضَابَا

اللهم يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا قريب الرحمة، يا ذا
 الجلال والاکرام، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم يا حيُّ ويا قيومُ فرغنا لما خلقتنا له ، ولا تُشغلنا بما تكفلت لنا
 به ، واجعلنا ممن يؤمن بقلائك ، ويرضى بقضائك ، ويقنع بعطائك ،
 ويخشاك حقَّ خشيتك . وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
 الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

حکم وفوائد

قال أحد العلماء: لا يَكُنْ هُمُّ أَحَدِكُمْ فِي كَثْرَةِ الْعَمَلِ ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ هَمُّهُ فِي
 إِحْكَامِهِ وَإِتْقَانِهِ ، وَتَحْسِينِهِ .

فإن العبد قد يُصلي وهو يعصي الله في صلاته ، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه .

وقيل لآخر : كيف أصبحت فبكي ، وقال أصبحت في غفلة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بي ، وأجل يسرع كل يوم في عمري ، وموتل لست أدري علاماً أهجم ثم بكى .

وقال آخر : لا تنعم إلا من شيء يضرك غداً (أي في الآخرة) ولا تفرح بشيء لا يسرك غداً ، وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي ، وأطال الحزن منك على ما فاتك من الطاعة ، والزمك الفكر في بقية عمرك .

وقال آخر : عليك بصحبة من تذكرك الله عز وجل رؤيته ، وتقع هيئته على باطنك ، ويزيد في عمك منطقه .

ويؤهدك في الدنيا عمله ، ولا تعصي الله ما دمت في قربه يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله .

قال إسماعيل : حضرت ذي النون المصري وهو في الحبس وقد دخل الشرطي بطعام له ، فقام ذو النون فنفض يده (أي قبضها عن الطعام) .

فقيل له : إن أخاك جاء به ، فقال : إنه على يدي ظالم ، وقال بعضهم يوبخ نفسه ويعظها : يا نفس بادري بالأوقات قبل إنصرامها ، واجتهدي في حراسة ليالي الحياة وأيامها .

فكأنك بالقبور قد تشققت ، وبالأمر وقد تحققت ، ويؤجوه المتقين وقد أشرقت ، وبرؤوس العصاة وقد أطرقت ، قال تعالى وتقدس : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ يانفس أما الورعون فقد جدوا ، وأما الواعظون فقد نصحوا . إنتهى .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَضْل) إِعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ البَصِيرَةِ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الحَاطِيَةُ فَلَهُ نَظَرٌ إِلَى أُمُورٍ : أَحَدُهَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيُحَدِّثَ لَهُ ذَلِكَ الاعْتِرَافَ بِكُونِهَا حَاطِيَةً ، وَالْإِقْرَارَ عَلَى نَفْسِهِ بِالذَّنْبِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الوَعْدِ وَالوَعِيدِ فَيُحَدِّثَ لَهُ ذَلِكَ خَوْفًا وَخَشْيَةً تَحْمِلُهُ عَلَى التَّوْبَةِ ، وَالثَّلَاثُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى تَمَكِّيْنِ اللَّهِ لَهُ مِنْهَا وَتَحْلِيَّتِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا وَتَقْدِيرِهَا عَلَيْهِ وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَعَصَمَهُ مِنْهَا فَيُحَدِّثُ لَهُ ذَلِكَ أَنْوَاعًا مِنَ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ وَجِلْمِهِ وَكَرَمِهِ ، وَتَوَجُّبُ لَهُ هَذِهِ المَعْرِفَةُ عُبودِيَّةً بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ لَا تَحْصُلُ بِدُونِ لَوَازِمِهَا البَيِّنَةِ وَيَعْلَمُ ارْتِبَاطَ الخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالْجِزَاءِ وَالوَعْدِ وَالوَعِيدِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ بِمَوْجِبِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَأَثَرِهَا فِي الوجودِ وَأَنَّ كُلَّ اسْمٍ وَصِفَةٍ مُقْتَضٍ لِأَثَرِهِ وَمَوْجِبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِهِ لَا بُدَّ مِنْهُ .

وَهَذَا المَشْهَدُ يُطْلَعُهُ عَلَى رِيَاضٍ مُونِقَةً مِنَ المَعَارِفِ وَالإِيمَانِ وَأَسْرَارِ القَدْرِ وَالحِكْمَةِ يَضِيْقُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا نِطَاقُ الكَلِمِ فَمِنْ بَعْضِهَا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ « يُرِيدُ صَاحِبَ المَنَازِلِ » : أَنْ يَعْرِفَ العَبْدُ عِزَّتَهُ فِي قَضَائِهِ وَهُوَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ العَزِيزُ الَّذِي يَقْضِي بِمَا يَشَاءُ وَأَنَّهُ لِكَمَالِ عِزَّتِهِ حَكَمَ عَلَى العَبْدِ وَقَضَى عَلَيْهِ بِأَنْ قَلْبَ قَلْبُهُ وَصَرَفَ إِرَادَتَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ وَحَالَ بَيْنَ العَبْدِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَهُ مُرِيدًا شَائِيًا لِمَا شَاءَ مِنْهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ وَهَذَا مِنْ كَمَالِ العِزَّةِ ، إِذْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ وَغَايَةُ المَخْلُوقِ أَنْ يَتَّصِرَفَ فِي بَدَنِكَ وَظَاهِرِكَ ، وَأَمَّا جَعْلُكَ مُرِيدًا شَائِيًا لِمَا يَشَاءُ مِنْكَ وَيُرِيدُهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ذُو العِزَّةِ البَاهِرَةِ

فَإِذَا عَرَفَ العَبْدُ عِرَّ سَيِّدِهِ وَلا حَظَّ بِقَلْبِهِ وَتَمَكَّنَ شَهِودُهُ مِنْهُ كَانَ الاِسْتِغَالُ بِهِ عَنِ ذُلِّ المَعْصِيَةِ أَوْلَى بِهِ وَأَنْفَعُ لَهُ لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَعَ اللَّهِ لَا مَعَ

نَفْسِهِ ، وَمِنْ مَعْرِفَةِ عِزَّتِهِ فِي قَضَائِهِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ مُدَبَّرٌ مَقْهُورٌ نَاصِيَتُهُ بِيَدِ
غَيْرِهِ لَا عِصْمَةَ لَهُ إِلَّا بِعِصْمَتِهِ وَلَا تَوْفِيقَ لَهُ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ فَهُوَ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ فِي
قَبْضَةِ عَزِيزٍ حَمِيدٍ .

وَمِنْ شُهُودِ عِزَّتِهِ فِي قَضَائِهِ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ الْكَمَالَ وَالْحَمْدَ وَالْبُغْنَى
التَّامَّ وَالْعِزَّةَ كُلَّهَا لِلَّهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ نَفْسَهُ أَوْلَى بِالتَّقْصِيرِ وَالذَّمِّ وَالْعَيْبِ وَالظُّلْمِ
وَالْحَاجَةِ وَكُلَّمَا زَادَ شُهُودُهُ لِذَلِكَ وَنَقَصَ وَعَيْبِهِ وَفَقَّرَهُ زَادَ شُهُودُهُ لِعِزَّةِ
اللَّهِ وَكَمَالِهِ وَحَمِيدِهِ وَغِنَاهُ وَكَذَلِكَ بِالْعَكْسِ فَنَقُصُ الذُّنْبَ وَذُلَّتُهُ يُطْلَعُهُ
عَلَى مَشْهَدِ الْعِزَّةِ .

ومنها أن العبد لا يريدُ معصيةَ مولاهُ مِنْ حَيْثُ هِيَ مَعْصِيَةٌ فَإِذَا شَهِدَ
جَرِيَانَ الْحُكْمِ وَجَعَلَهُ فَاعِلًا لِمَا هُوَ مُخْتَارٌ ، لَهُ مُرِيدًا بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ
وَإِخْتِيَارِهِ فَكَأَنَّهُ مُخْتَارٌ غَيْرُ مُخْتَارٍ مُرِيدٌ شَاءَ غَيْرُ شَاءٍ فَهَذَا يَشْهَدُ عِزَّةَ اللَّهِ
وَعَظَمَتَهُ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ .

شعرا :

أَحْسِنُ بَرِّكَ ظَنًّا إِنَّهُ أَبَدًا يَكْفِي الْمُهَمَّ إِذَا مَا عَزَّ أَوْ تَابَا
لَا تَيَأْسَنَنَّ لِبَابِ سُدِّ فِي طَلَبٍ فَاللَّهُ يَفْتَحُ بَعْدَ الْبَابِ أَبْوَابَا

وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ بِرُّهُ سُبْحَانَهُ فِي سَتْرِهِ عَلَيْهِ حَالِ
ارْتِكَابِ الْمَعْصِيَةِ مَعَ كَمَالِ رُؤْيَتِهِ لَهُ وَلَوْ شَاءَ لَفَضَّحَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ فَحَذَرُوهُ
وَهَذَا مِنْ كَمَالِ بَرِّهِ وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْبَرِّ ، وَهَذَا الْبُرُّ مِنْ سَيِّدِهِ كَانَ عَنْ كَمَالِ
غِنَاهُ وَكَمَالِ فَقْرِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ فَيَسْتَعْلُ بِمَطَالَعَةِ هَذِهِ الْمِنَّةِ وَمُشَاهَدَةِ هَذَا
الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ فَيَذْهَلُ عَنْ ذِكْرِ الْخَطِيئَةِ فَيَبْقَى مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ مِنَ الْإِسْتِغَالِ بِجَنَائِيَتِهِ وَشُهُودِ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ فَإِنَّ الْإِسْتِغَالَ
بِاللَّهِ وَالْعَفْلَةَ عَمَّا سِوَاهُ هُوَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى وَالْمَقْصَدُ الْأَسْنَى .

ومنها شهودُ حِلْمِ اللهِ سبحانه وتعالى في إمهالِ رَاكِبِ الخَطِيئَةِ مُطلقاً ولو شاءَ لَعَاجَلَهُ بالعُقُوبَةِ وَلَكِنَّهُ الحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ فَيُحْدِثُ لَهُ ذَلِكَ مَعْرِفَةَ رَبِّهِ سبحانه بِأَسْمِهِ الحَلِيمِ وَمُشَاهَدَةَ صِفَةِ الحِلْمِ والتَّعَبُّدِ بهذا الاسمِ . والحكمةُ والمصلحةُ الحاصلةُ من ذلك بتوسُّطِ الذَّنْبِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ وَأَصْلَحُ لِلْعَبْدِ وَأَنْفَعُ مِنْ فَوْتِهَا ، ووجودُ المَلْزومِ بدونِ لازِمِهِ مُمْتَنِعٌ ومنها مَعْرِفَةُ العَبْدِ كَرَمَ رَبِّهِ فِي قُبُولِ العَذْرِ مِنْهُ إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِنَحْوِ مَا تَقْدِمُ مِنَ العِذَارِ لَا بِالْقَدْرِ فَإِنَّه مَخَاصِمَتُهُ وَمُحَاجَّةٌ .

ومنها أَنْ يَشْهَدَ فَضْلُهُ فِي مَغْفِرَتِهِ فَإِنَّ المَغْفِرَةَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ وَإِلَّا فَلَوْ أَخَذَ بِمَحْضِ حَقِّهِ كَانَ عَادِلًا مَحْمُودًا .

وَإِنَّمَا عَفْوُهُ بِفَضْلِهِ لَا بِاسْتِحْقَاقِكَ فَيُوجِبُ ذَلِكَ شُكْرًا وَمَحَبَّةً وَإِنَابَةً إِلَيْهِ وَفَرَحًا وَابْتِهَاجًا بِهِ وَمَعْرِفَةً لَهُ بِأَسْمِهِ العَفَّارِ وَمُشَاهَدَةً لِهَذِهِ الصِّفَةِ وَتَعَبُّدًا بِمُقْضَاهَا وَذَلِكَ أَكْمَلُ فِي العِبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ .
وَمِنْهَا أَنْ يُكْمِلَ لِعَبْدِهِ مَرْتَبَةَ الذَّلِيلِ وَالخُضُوعِ وَالإِنْكَسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالاِئْتِقَارِ إِلَيْهِ .

إِنَّ الشَّرَائِعَ أَلَقْتَ بَيْنَنَا حِكْمًا وَأَوْرَثْتَنَا أَفَانِينَ المُوَدَّاتِ
وَهَلْ رَأَيْتَ كَمِثْلِ الدِّينِ مَنْفَعَةً لِلْعَبْدِ تُوصِلُهُ أَعْلَى الكَرَامَاتِ
اللَّهُمَّ أَيِّقِظْ قُلُوبَنَا وَتَوَرَّهَا بِنُورِ الإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا
وَارزُقْنَا المَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِطَاعَتِكَ
وَأَمِّثَالِ أَمْرِكَ وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

(فصل): ومنها أَنْ أَسْمَاءَ الرَّبِّ تَقْتَضِي آثَارَهَا اقْتِضَاءَ الأَسْبَابِ التَّامَّةِ لِمْسَبِّبَاتِهَا فَاسْمُ السَّمِيعِ البَصِيرِ يَقْتَضِي مُسْمُوعًا وَمُبْصَرًا، وَاسْمُ الرَّزَاقِ

يَقْتَضِي مَرْزُوقاً وَاسْمُ الرَّحِيمِ يَقْتَضِي مَرْحُوماً وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ «الْعَفْوِ وَالْعَفْوُ
وَالْتَوَابِ وَالْحَلِيمِ» يَقْتَضِي مَنْ يَعْفِرُ لَهُ وَيَتُوبُ عَلَيْهِ وَيَعْفُو وَيَحْلُمُ وَيَسْتَحِيلُ
تَعْطِيلُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِذْ هِيَ أَسْمَاءُ حُسْنَى وَصِفَاتُ كَمَالٍ وَتُعَوِّثُ
جَلَالَ وَأَفْعَالَ حِكْمَةً وَإِحْسَانٍ وَجُودٍ فَلَا بَدَّ مِنْ ظَهْوَرِ آثَارِهَا فِي الْعَالَمِ .

وإلى هذا أشار أعلم الخلق بالله صلوات الله وسلامه عليه حيث
يَقُولُ لَوْ « لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُدْبِرُونَ ثُمَّ يُسْتَعْفِرُونَ
فَيَغْفِرُ لَهُمْ » وَأَنْتَ إِذَا فَرَضْتَ الْحَيَوَانَ بِجُمْلَتِهِ مَعْدُوماً فَمَنْ يَرْزُقُ الرِّزَاقُ
سَبْحَانَهُ وَإِذَا فَرَضْتَ الْمَعْصِيَةَ وَالْخَطِيئَةَ مُتَنَفِيَةً عَنِ الْعَالَمِ فَلِمَنْ يَغْفِرُ؟
وَعَمَّنْ يَعْفُو؟ وَعَلَى مَنْ يَتُوبُ وَيَحْلُمُ؟ وَإِذَا فَرَضْتَ الْفَاقَاتِ كُلَّهَا قَدْ
سُدَّتْ وَالْعَبِيدَ أَغْنِيَاءَ مُعَافِينَ فَأَيْنَ السُّؤَالَ وَالتَّضَرُّعَ وَالِابْتِهَالَ وَالْإِجَابَةَ
وَشَهُودَ الْمَنَةِ وَالتَّخْصِيصَ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ فَسُبْحَانَ مَنْ تَعَرَّفَ إِلَى خَلْقِهِ
بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ التَّعَرُّفَاتِ وَذَلَّهِمْ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الدَّلَالَاتِ انْتَهَى .

شعرا :

دَعِ الْمَعَاصِيَ عَنكَ فِي مَعْزِلٍ وَثُبِّ إِلَى مَنْ هُوَ نِعَمَ الْغِيَاثِ
فَلَيْسَ يُحِظُّ بِجَدِيدِ الرِّضَا عَبْدٌ عَلَيْهِ حَسَنَاتُ رِثَاثِ
آخِرُ : وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاطِرِأُ فَمَا طَعَمْتُ أُمَّرٌ مِنَ الْمَعَاصِي

آخِرُ : حَتَّى مَتَى تُسْقَى النُّفُوسُ بِكَاسِهَا

رَيْبَ الْمَنُونِ وَأَنْتَ لِإِي تَلْقَبُ

عَجَباً لِأَمْنِكَ وَالْحَيَاةِ قَصِيرَةً

وَيَفْقَدُ الْإِي لَا تَزَالُ تُرَوِّعُ

أَفَقَدْ رَضِيَتْ بِأَنْ تُعَلَّلَ بِالْمُنَى

وَإِلَى الْمُنَى كُلِّ يَوْمٍ تُدْفَعُ

لا تَخْدَعَنَّكَ بَعْدَ طَوْلِ تَجَارِبِ
 ذُنِيًّا تُعْرُ بَوْصِلَهَا وَسَتُقَطَّعُ
 أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَايِلِ
 إِنَّ اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ
 وَتَزَوَّدَنَّ لِيَوْمٍ فَفَرِّكَ دَائِمًا
 الْعَيْرَ نَفْسِكَ لَا أَبَالَكَ تَجَمَعُ
 آخِر :

يَا عَبْدُ كَمْ لَكَ مِنْ ذَنْبٍ وَمَعْصِيَةٍ
 يَا عَبْدُ لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَقُومُ لَهُ
 إِذَا عَرَضْتُ عَلَى نَفْسِي تَذَكُّرَهَا
 إِذْ كُنْتُ نَاسِيَهَا فَاللَّهُ أَحْصَاهَا
 وَوَقَفَةَ لَكَ يُدْمِي الْكَفَّ ذِكْرَهَا
 وَسَاءَ ظَنِّي قُلْتُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
 آخِر :

مَا زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَزُبُرُجُ أَهْلِهَا
 وَلَرَبِّ أَقْوَامٍ مَضُوا لِسَبِيلِهِمْ
 وَلَرَبِّ ذِي فُرْشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ
 وَالْمَوْتُ يَعْمَلُ وَالْعِيُونَ قَرِيرَةٌ
 كُلُّ يَدُورُ عَلَى الْبَقَاءِ مُؤْمَلًا
 وَالذَّائِمُ الْمَلَكُوتِ رَبِّ لَمْ يَزَلْ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ
 إِلَّا غُرُورٌ كُلُّهُ وَحُطَامٌ
 وَلْتَمَضِينَ كَمَا مَضَى الْأَقْوَامُ
 أَمْسَى عَلَيْهِ مِنَ الثَّرَابِ رُكَامٌ
 تَلَهُوا وَتَلَعُبُ بِالْمَنَى وَتَنَامُ
 وَعَلَى الْفَنَاءِ تُدِيرُهُ الْأَيَّامُ
 مَلِكًا تَقَطَّعَ دُونَهُ الْأَوْهَامُ
 أَبَدًا وَلَيْسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامٌ

اللهم اعتقنا من رقِّ الذُّنُوبِ ، وَخَلِّصْنَا مِنْ أَشْرِ النَّفُوسِ ، وَأَذْهِبْ عَنَّا
 وَحِشَّةَ الْإِسَاءَةِ ، وَطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وَأَجِرْنَا
 مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

آخِر : أَقُولُ وَطَرْفِي غَارِقٌ بِدُمُوعِهِ
 فَهَلْ مِنْ تَلَا فِي سَاعَةٍ أَشْتَفِي بِهَا
 وَأَسْأَلُ مَوْلَايَ الْقَبُولَ لِذَعْوَتِي
 لِمَا قَدْ جَرَى لِي فِي الذُّنُوبِ تَمَادِي
 أُجَدِّدُ فِيهَا تَوْبَةَ بَسَادِ
 فَقَايَةَ سُؤْلِي هَذِهِ وَمُرَادِي

آخر : يا أيها الزاهد بالزهد عرّج من الهزل إلى الجدّ
فبعد نور الشيب لا يرتجى للمرء إلا ظلمة اللحد
فاحتل من التوبة في أجره إن شئت سكنى جنة الخلد
اللهم يا فلق الحب والتوى ، يا منشىء الأجساد بعد البلى يا مؤني
المنقطعين إليه ، يا كافي المتوكلين عليه ، انقطع الرجاء إلا منك ، وخابت
الظنون إلا فيك ، وضعف الاعتماد إلا عليك نسألك أن تُمطر محل قلوبنا من
سحاب برك وإحسانك وأن توفقنا لموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك إنك
جواد كريم رؤوف غفور رحيم . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه .

(فصل) وقال رحمه الله للتوبة المقبولة علامات :

منها أن يكون بعد التوبة خيراً مما قبلها ، ومنها أنه لا يزال الخوف
مُصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين ، فخوفه مُستمر إلى أن يسمع قول
الرسول إقبض روجه (٤١) : ٣٠ ﴿ أن لا تخافوا ولا تحزبوا وأبشروا
بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ فهنا يزول الخوف .

ومنها انخلاع القلب وتقطعُه ندماً وخوفاً وهذا على قدر عظم الجنابة
وصغرهما . وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالى (٩ : ١١٠) ﴿ لا يزال
بنيانهم الذي بنوا ريبةً في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم ﴾ . قال : تقطعها
بالتوبة . ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يُوجب انصداع
القلب وانخلاعه .

وهذا هو تقطعه وهذا حقيقة التوبة لأنه ينقطع قلبه حسرة على ما فرط منه
وخوفاً من سوء عاقبته فمن لم ينقطع قلبه في الدنيا على ما فرط حسرةً وخوفاً تقطع
في الآخرة إذا حقت الحقائق وعاین ثواب المطيعين وعقاب العاصين فلا بُد
من تقطع القلب إما في الدنيا وإما في الآخرة .

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى وأبصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنت لم تُرصد كما كان أرضدا

آخر: وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب في الرأس شامل
ترحل من الدنيا بزاد من التقي فعمرك أيام تعد قلائل
آخر : وإذا رزقت من الحلال تجاة فابدل لها في مرضي الله مجتهداً
ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضاً كسرة خاصة تحصل للقلب لا
يشبهها شيء ، ولا تكون لغير المذنب لا تحصل بجوع ولا رياضة ولا
حب مجرد وإنما هي أمر ، وراء هذا كله ، تكسر القلب بين يدي الرب
كسرة تامة قد أحاطت به من جميع جهاته وألقت بين يدي ربه طريحاً
دليلاً خاشعاً كحال عبد جان أبق من سيده فأخذ فأحضر بين يديه ولم
يجد من ينجيهِ من سطوته ولم يجد منه بدأ ولا عنه غناء ولا منه مهرباً
وعلم أن حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه ، وقد علم إحاطة
سيده بتفاصيل جنائياته ، هذا مع حبه لسيده وشدة حاجته إليه وعلمه
بضعفه وعجزه وذله وقوة سيده وعزته . فيجتمع في هذه الأحوال كسرة
وذل وخضوع ما أنفعها للعبد وما أجدى عائدتها عليه وما أعظم جبره بها
وما أقربه بها من سيده فليس شيء أحب إلى سيده من هذه الكسرة
والخضوع والتدلل والإخبات والانطراح بين يديه والاستسلام له .

فله ما أحلى قوله في هذه الحال أسألك بعزك وذلي إلا
رحمتني . أسألك بقوتك وضعفي ، وبغناك عني وفقرني إليك هذه
ناصرتي الكاذبة الخاطئة بين يديك ، عبيدك سواي كثير وليس لي سيد
سواك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، أسألك مسألة المسكين ،
وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الدليل ، وأدعوك دعاء الحائف الضريب ،
سؤال من خضعت لك رقبته ، ورغم لك أنفه ، وفاضت لك عيناه ، وذلل
لك قلبه .

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة فمن لم يجد ذلك في قلبه

فَلَيْتَهُمْ تَوْبَتَهُ وَلَيَرْجِعْ إِلَى تَصْحِيحِهَا فَمَا أَصْعَبَ التَّوْبَةَ الصَّحِيحَةَ بِالْحَقِيقَةِ
وَمَا أَسْهَلَهَا بِاللِّسَانِ وَالذُّعْوَى ، وَمَا عَالَجَ الصَّادِقُ بِشَيْءٍ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنَ
التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ الصَّادِقَةِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَحَقَائِقُ التَّوْبَةِ ثَلَاثَةٌ : وَعَدُّ مِنْهَا اتِّهَامَ التَّوْبَةِ قَالَ : لِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَيْهِ لَا
يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ أَدَّى هَذَا الْحَقَّ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ
يُؤَدِّيَهُ عَلَيْهِ ، فَيَخَافُ أَنَّهُ مَا وَقَّاهَا حَقَّهَا وَأَنَّهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ وَأَنَّهُ لَمْ يَبْذُلْ
جُهِدَهُ فِي صِحَّتِهَا ، وَأَنَّهَا تَوْبَةٌ عِلَّةٌ وَهِيَ لَا يَشْعُرُ بِهَا كَتَوْبَةِ أَرْبَابِ الْحَوَائِجِ
وَالْإِفْلَاسِ وَالْمُحَافِظِينَ عَلَى حَاجَاتِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ .

أَوْ أَنَّهُ تَابَ مُحَافِظَةً عَلَى حَالِهِ فَتَابَ لِلْحَالِ لَا خَوْفًا مِنْ ذِي
الْجَلَالِ ، أَوْ أَنَّهُ تَابَ طَلِبًا لِلرَّاحَةِ مِنَ الْكَدِّ فِي تَحْصِيلِ الذَّنْبِ أَوْ اتِّقَاءَ مَا
يَخَافُهُ عَلَى عَرَضِهِ وَمَالِهِ وَمَنْصِبِهِ أَوْ لِيُضْعِفَ دَاعِيَ الْمَعْصِيَةِ فِي قَلْبِهِ وَخُمُودِ
نَارِ شَهْوَتِهِ أَوْ لِمُنَافَاةِ الْمَعْصِيَةِ لِمَا يَطْلُبُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالرِّزْقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ
الْعِلَلِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي كَوْنِ التَّوْبَةِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لَهُ وَلِحُرْمَاتِهِ
وَإِجْلَالًا لَهُ وَخَشْيَةً مِنْ سُقُوطِ الْمُنْزَلَةِ عِنْدَهُ وَعَنْ الْبُعْدِ وَالطَّرْدِ عَنْهُ
وَالْحِجَابِ عَنْ رُؤْيَا وَجْهِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهَذِهِ التَّوْبَةُ لَوْنٌ وَتَوْبَةُ
أَصْحَابِ الْعِلَلِ لَوْنٌ قَالَ :

وَمِنْ اتِّهَامِ التَّوْبَةِ ضَعْفُ الْعَزِيمَةِ وَالْتِفَاتُ الْقَلْبِ إِلَى الذَّنْبِ الْفَيْئَةِ
بَعْدَ الْفَيْئَةِ وَتَذَكُّرُ حَلَاوَةِ مُوَاقِعَتِهِ . وَمِنْ اتِّهَامِ التَّوْبَةِ طُمَآنِينَتُهُ وَوُثُوقُهُ مِنْ
نَفْسِهِ بِأَنَّهُ قَدْ تَابَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ مَنْشُورًا بِالْأَمَانِ فَهَذِهِ مِنْ عِلَامَاتِ
التُّهْمَةِ .

وَمِنْ عِلَامَاتِهَا جُمُودُ الْعَيْنِ وَاسْتِمْرَارُ الْغَفْلَةِ وَأَنْ لَا يَسْتَحْدِثَ بَعْدَ
التَّوْبَةِ أَعْمَالًا صَالِحَةً لَمْ تَكُنْ لَهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ .

شِعْرًا : حُذِّ مِنْ شَبَابِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ وَبَادِرِ التَّوْبِ قَبْلَ الْفَوْتِ وَالنَّدَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَجْزِيٌّ وَمُرْتَهَنٌ وَرَاقِبِ اللَّهَ وَاحْذَرْ زَلَّةَ الْقَدَمِ

فليسَ بَعْدَ حُلُولِ المَوْتِ مَعْتَبَةٌ إِلَّا الرَّجَاءُ وَعَفْوُ اللهِ ذِي الكَرَمِ
 آخِرُ: إِحْفَظْ مَشِيئَتَكَ مِنْ عَيْبٍ يُدْنِسُهُ إِنَّ البَيَاضَ سَرِيعُ الحَمَلِ لِلدَّنَسِ
 والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصل) فِي وَصَايَا وَفَوَائِدَ وَمَوَاعِظَ وَآدَابَ

أَوْصَى بَعْضُهُمْ، فَقَالَ إِذَا عَصَيْتَ اللهُ بِمَوْضِعٍ بَانَ حَصَلَ مِنْكَ ذَنْبٌ
 فَاعْمَلْ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ طَاعَةً كَاسْتِغْفَارٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَكَمَا يَشْهَدُ
 عَلَيْكَ يَشْهَدُ لَكَ .

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بَانَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ . وَكُلَّمَا
 تَذَكَّرْتَ ذَنْبًا صَدَرَ مِنْكَ فُتْبٌ عَقَبَ ذِكْرَكَ أَيَّاهُ تَوْبَةً نَصُوحًا وَأَكْثَرَ مِنَ الاستِغْفَارِ .
 قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .

وقال تعالى: ﴿والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهُ
 فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ﴾ . وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهُ يَجِدِ
 اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .

إِحْرَاصُ عَلَى أَنْ تَنْوِيَ فِعْلَ الخَيْرِ، وَإِذَا حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ بِشَرٍّ فَاعْزِمِ عَلَى
 تَرْكِهِ لِلَّهِ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ
 ﴿إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بَانَ يَعْمَلُ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ ، فَإِذَا
 عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا﴾ .

وَإِذَا تَحَدَّثَ بَانَ يَعْمَلُ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا
 أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا . وَمَا أَوْصَى بِهِ بَعْضُهُمْ قَالَ عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ قَائِمًا وَقَاعِدًا
 وَعَلَى جَنَبِكَ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَفِي المَلَا .

قال الله جل وعلا ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهُ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى

جُنُوبِهِمْ ﴿١﴾ . وقال ﴿٢﴾ والذاكرين الله والذاكرات أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣﴾ . وقال تعالى ﴿٤﴾ فاذكروني أذكركم ﴿٥﴾ .
وقال تعالى ﴿٦﴾ واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴿٧﴾ .

شعرا :

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيَّمِينَ يَذْكُرُ
آخِر : عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ دَوْمًا فَإِنَّهُ بِهِ يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ فَالزَّمَهُ تَسَعِيدِ

آخر: فلا تُبْقِ فِي يَوْمِ السَّلَامَةِ لِحِظَةً تَفُوتُكَ لَمْ تَذْكُرْ بِهِ اللَّهُ وَحْدَهُ
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل
« أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب
إلي شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن
أتاني بمشي أتيته هرولاً » .

أَحْرَصُ عَلَى صِيَانَةِ الْوَقْتِ وَثَابِرٌ عَلَى إِتْيَانِ جَمِيعِ مَا يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ مِنَ
الْأَعْمَالِ وَبِالْأَخْصِ الْأَكْثَرِ مِنْ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وأعلم أنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله شيء ، وهي كلمة
الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وهي كلمة الحق ، ودعوة الحق .

وهي أعلا كلمة وأشرف كلمة وأحسن كلمة وأفضل كلمة وأنجى
كلمة وما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن عرفه لا إله إلا الله وفهَّمَهُ
مَعْنَاهَا وَوَفَّقَهُ لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا وَعَلَيْكَ بِالْقِيَامِ بِهَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ
وَمُلَازَمَتِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ الَّذِي أَمَرَكَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ تَقُومَ فِيهِ .

قال الله جل وعلا ﴿٨﴾ فاستقم كما أمرت ﴿٩﴾ . وفي حديث سفيان بن
عبدالله قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً
غيرك قال « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه مسلم .

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال « اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَأَعْمَلُوا

أَنْ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ . . . وفي رواية للإمام أحمد سَدِدُوا وَقَارِبُوا وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الصَّلَاةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ . . . وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فإن أقوالك من جملة أعمالك قال الله جل وعلا ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ واحذر الإقامة بين أظهر الكفار فإن في ذلك تشجيعاً للكفار وإهانةً لِدِينِ الْإِسْلَامِ وَإِعْلَاءَ لِكَمَةِ الْكُفْرِ . نسأل الله العافية فعلى المسلم أن يحفظ أولاده عن الذهاب إلى بلاد الكفار وينصح من يقبل منه من قرابته وأصدقائه وجميع المسلمين .

قال النبي ﷺ « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تراعى نارهما » رواه أبو داود والترمذي . وقال ﷺ « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » رواه أبو داود .

وعليك بتلاوة القرآن بتفهم وتدبر وتفكر ونظر فيما تتلوه إلى ما حمد فيه من النعوت والصفات التي وصف الله جل وعلا بها من أحبه من عباده فاتصف بها .

وما ذمه الله في القرآن من الصفات فاجتنبها فإن الله جل وعلا ما أنزلها في كتابه وذكرها لك وعرفك بها إلا لتعمل بها .

فإذا قرأت القرآن فاجمع قلبك وحضره وفكر فيما تتلو وما أشكل عليك فطالع معناه في التفسير إن كنت تحسن ذلك وإلا فاسأل أهل الذكر .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . ولا أفضل من تلاوة كلام الله فأفضل الكلام كلام الملك العلام جل وعلا وتقدس .

وكل ذكر ورد فضله في خبر أو أثر فهو بعد كلام الله فالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد بعد التلاوة وبعدهن الصلاة على رسول ﷺ .

وعليك بمجالسة من تتفع بمجالسته في دينك من علم تستفيده أو عمل

يكونُ فيه أو خُلِقَ حَسَنَ يكون عليه تَكْسِبُهُ مِنْ صُحْبَتِهِ .
 وَعَلَيْكَ بِالْبَدَاذِهِ فَإِنهَا مِنَ الْإِيَّانِ وَهِيَ تَرَكُ الزَّيْنَةَ وَعَدَمُ التَّرَفِ وَرِثَاةُ
 الْهَيْئَةِ وَالرِّضَا بِالذُّوْنِ مِنَ الثِّيَابِ لِمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ « إِنْ الْبَدَاذَةُ مِنَ الْإِيَّانِ »
 وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْمُتَبَدِّلَ الَّذِي لَا يُبَالِي مَا لَبَسَ »
 وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ « وَمَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبٍ جَمَالٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحْسِبُهُ قَالَ
 تَوَاضَعًا كَسَاهُ اللَّهُ حِلَةَ الْكِرَامَةِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .
شعرا :

وَمَنْ يَرْتَضِي أَدْنَى اللَّبَاسِ تَوَاضِعًا سِيُكْسَى الثِّيَابَ الْعَبَقْرِيَّاتِ فِي غَدِ
 آخِرَ : اَطْلُبْ كَفَافًا فَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ نَالَ الْكَفَافَ عَلَى تَقْوَى وَإِرْشَادِ
 مِنْ مَلْبَسٍ وَشَرَابٍ بَعْدَ مَطْعَمِهِ فِي حَيْثُ حَيْمٍ فِي غُورٍ وَإِنْجَادِ
 إِلَّا حَوَى الْفَوْزَ فِي الدُّنْيَا وَآجِلَهَا إِذَا أَعْيَنَ بِنَفْسٍ شِحْهَهَا زَادِ
 لَا تَتَّعِنَنَّ فَإِنَّ الرُّزْقَ عَن قَدْرِ يَأْتِيكَ طَالِبُهُ مِنْ غَيْرِ مِيعَادِ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فائدة عظيمة النفع]

اعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ دَاوُهُ الْمَعْصِيَةَ ، فَشِفَاؤُهُ الطَّاعَةَ ، وَمَنْ كَانَ دَاوُهُ
 الْغَفْلَةَ ، فَشِفَاؤُهُ الْيَقَظَةَ ، وَمَنْ كَانَ دَاوُهُ كَثْرَةَ الْأَشْغَالِ ، فَشِفَاؤُهُ فِي تَفْرِيعِ
 الْبَالِ .

فَمَنْ تَفَرَّغَ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا قَلْبُهُ ، قَلَّ تَعَبُهُ ، وَتَوَفَّرَ مِنَ الْعِبَادَةِ
 نَصِيْبِهِ ، وَاتَّصَلَ إِلَى اللَّهِ مَسِيرُهُ ، وَارْتَفَعَ فِي الْجَنَّةِ مَصِيرُهُ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الذِّكْرِ
 وَالْفِكْرِ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ وَالْإِحْتِرَاسِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ ، وَغَوَائِلِ النَّفْسِ .
 وَمَنْ كَثُرَ فِي الدُّنْيَا هُمُّهُ ، أَظْلَمَ طَرِيقُهُ ، وَنَصَبَ بَدَنُهُ ، وَضَاعَ وَقْتُهُ ،
 وَتَشَتَّتَ شَمْلُهُ ، وَطَاشَ عَقْلُهُ ، وَانْعَقَدَ لِسَانُهُ عَنِ الذِّكْرِ ، لِكَثْرَةِ هُمُومِهِ

وغمومه ، وصار مُقَيِّدَ الجوارح عن الطاعة ، من قلبه في كل وادٍ شُعْبَةٍ ،
ومن عُمره لكلِ شغلِ حِصَّةٍ .

فاستعد بالله من فضول الأعمال والهموم فكل ما شغل العبد عن
الرب فهو مشئوم ، ومن فاته رضى مَولاه فهو محروم ، كل العافية في الذكر
والطاعة ، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة ، وكل الشفاء في الإنابة
والتوبة ، وانظر لو أن طبيباً نصرانياً هناك عن شرب الماء البارد لأجل مَرَضٍ
في جَسَدِكَ لأطعته في ترك ما هناك عنه ، وأنت تعلم أن الطبيب قد يَصْدُقُ
وقد يكذب وقد يُصِيبُ وقد يُخْطِئُ وقد يَنْصَحُ وقد يَغْشُ ، فما بالك لا تترك
ما هناك عنه أنصح الناصحين وأصدق القائلين وأوفى الواعدين لأجل
مَرَضِ القلب الذي إذا لم تشف منه فأنت من أهلكِ الهالكين .

تَبْغِي الوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرٌ لَا شَكَّ أَتَيْتَ فِيهَا مَعْرُورٌ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالَ فَمَا وَصَلُوا هَذَا فِي سَيْرِهِمْ جَدٌّ وَتَشْمِيرٌ
يَا مُدْعِي الحُبِّ فِي شَرِّ العَرَامِ وَقَدْ أَقَامَ بَيْنَهُ لَكِنَّهَا زُورٌ
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ هَذَا وَأَنْتَ بَعِيدُ الدَّارِ مَهْجُورٌ
لَوْ كَانَ قَلْبُكَ حَيًّا ذُبْتَ مِنْ كَمَدٍ مَا لِلجِرَاحِ بِجِسْمِ المَيِّتِ تَأْثِيرٌ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ،
اللهم إنا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطاهرِ الطيبِ المَبَارَكِ الأَحَبِّ إِلَيْكَ الذي إذا
دُعِيتَ به أَجَبْتَ ، وإذا سُئِلْتَ به أُعْطِيتَ ، وإذا اسْتُرْجِمَتْ به رَحْمَتٌ ،
وإذا اسْتَفْرَجَتْ به فَرَجَتْ أَنْ تَغْفِرَ سَيِّئَاتِنَا وَتُبَدِّلَ لَنَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَبَّحَهُ أَجْمَعِينَ .

(١) موعظة

كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى وَلَدِهِ الحُسَيْنِ مِنْ عَبْدِ اللهِ

عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْوَالِدَ الْفَانِي الدَّامَّ لِلدُّنْيَا السَّاكِنَ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى ، إِلَى
الْوَالِدِ الْمُؤْمَلِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، عُرْضَةَ الْأَسْقَامِ
وَرَهِينَةَ الْأَيَّامِ وَأَسِيرَ الْمَنَايَا وَقَرِينَ الرَّزَايَا وَصَرِيحَ الشَّهَوَاتِ وَنُصْبَ الْأَفَاتِ
وَحَلِيفَةَ الْأَمْوَاتِ .

يَا بُنَيَّ إِنْ بَقِيَتْ أَوْ فَنِيَتْ فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِمَارَةِ
قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَلَا عَتِصَامٍ بِحَبْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ الْآيَةَ وَأَيُّ سَبَبٍ يَا بُنَيَّ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

أَحْيِي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وَقَوِّهِ بِالزُّهْدِ وَذَلِّلْهُ بِالْمَوْتِ وَقَرِّهِ
بِالْفَنَاءِ وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَتَقَلُّبَ اللَّيَالِي .

وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ فَاَنْظُرْ مَا فَعَلُوا
وَأَيْنَ حَلُّوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ أَنْتَقَلُوا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ وَنَزَلُوا دَارَ الْغُرْبَةِ .

شِعْرًا: سَلِ الْأَيَّامَ مَا فَعَلْتَ بِكِسْرِيٍّ وَقَيْصَرَ وَالْقُصُورَ وَسَاكِنَيْهَا
أَمَا اسْتَدْعَتْهُمْ لِلْمَوْتِ طُرًّا فَلَمْ تَدْعِ الْحَلِيمَ وَلَا السَّفِيهَةَ

دَنْتَ نَحْوَ الدُّنْيَا بِسَهْمِ خَطْبٍ فَأَصْمَمْتَهُ وَلَمْ تَدْعِ الْوَجِيهَةَ
أَمَا لَوْ بِيَعَتِ الدُّنْيَا بِفِلْسٍ أَنْفَتُ لِعَاقِلٍ أَنْ يَشْتَرِيهَا

وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ يَا بُنَيَّ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَبِعْ دُنْيَاكَ بِأَخْرَتِكَ وَلَا
تَبِعْ أَخْرَتَكَ بِدُنْيَاكَ وَدَعْ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْأَمْرَ فِيمَا لَا تُكَلِّفُ وَمُرَّ
بِالْمَعْرُوفِ بِبَيْدِكَ وَلِسَانِكَ وَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِبَيْدِكَ وَلِسَانِكَ وَتَأَيَّنْ
مَنْ فَعَلَهُ .

وَخَضِ الْعَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمَةٌ وَاحْفَظْ

وَصِيَّتِي فَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ
مَعَ بِلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ .

فَإِنْ أَصَبْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْتَمِلُ عَنْكَ زَادَكَ فَيُؤَافِيكَ بِهِ فِي
مَعَادِكَ فَاعْتَمِنْمُهُ فَإِنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَثُودًا لَا يُجَاوِزُهَا إِلَّا أَخْفُ النَّاسِ حِمْلًا .

وَأَجْمَلُ فِي الطَّلَبِ وَأَحْسِنُ فِي الْمَكْسَبِ فَرَبِّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ
وَإِنَّمَا الْمَحْرُوبُ مِنْ حُرْبٍ دِينُهُ وَالْمَسْلُوبُ مِنْ سُلْبٍ يَقِينُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غِنَى
يَعْدِلُ الْجَنَّةَ وَلَا يَفْقَرُ يَعْدِلُ النَّارَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا غِنَى يَعْدِلُ رِضَى اللَّهِ وَلَا يَفْقَرُ يَعْدِلُ سَخَطُهُ . قَالَ النَّاطِمُ :
وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ وَالرَّجَا عَامِلًا لِمَا تَذَكَّرْ ذُنُوبًا قَدْ مَضَيْنَ وَتُبْ لَهَا
وَتُبْ مُطْلَقًا مَعَ فَقْدِ عِلْمِ التَّعَمُّدِ وَتَطْوَى عَلَى الْأَعْمَالِ صُحْفُ التَّزَوُّدِ
وَإِذَا عَايَنَ الْأَمْلاكَ أَوْ غَرَعَرَ الصِّدِّي سَرَابٍ يُغْرِئُ الْغَافِلَ الْجَاهِلَ الصِّدِّي
فَيُصْبِحُ نَذْمَانًا يَعْضُ عَلَى الْيَدِ وَيَنْدُمُ يَنْوِي لَا يَعُودُ إِلَى الرَّدِّي
فَسِئْرُكَ أَوْلَى مِنْ مُقَرٍّ لِيُحَدِّدَ وَمَعَ عَجْزِهِ يَنْوِي مَتَى وَاتَّ يَرُدُّ
بِتَمَكِينِهِ مِنْ نَفْسِهِ مَعَ مَا أَبْتَدِي تَدَارُكُ عُذْوَانِ الْإِسَانِ أَوْ الْيَدِ
لِلَّهِ دَرَّ قَوْمٌ بَادَرُوا الْأَوْقَاتَ ، وَاسْتَدْرَكُوا الْهَفَوَاتَ ، فَالْعَيْنُ مَشْغُولَةٌ بِالذَّمْعِ
عَنِ الْحَرَمَاتِ ، وَاللِّسَانُ مَحْبُوسٌ فِي سِجْنِ الصَّمْتِ عَنِ الْهَلَكَاتِ ، وَالكَفُّ قَدْ
كُفَّتْ بِالْخَوْفِ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْقَدَمُ قَدْ قُيِّدَتْ بِقَيْدِ الْحَاسِبَاتِ .

والليلَ لَدَيْهِمْ يَجَارُونَ فِيهِ بِالْأَصْوَاتِ، فَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ قَطَعُوهُ بِمُقَاطَعَةِ
اللَّدَاتِ، فَكَمْ مِنْ شَهْوَةٍ مَا بَلَّغُوهَا حَتَّى الْمَمَاتِ .

فَتَيْقِظُ لِلْحَاقِقِهِمْ مِنْ هَذِهِ الرَّقَدَاتِ، وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي الْخَلَاصِ مَعَ عَدَمِ
الإِخْلَاصِ فِي الطَّاعَاتِ، وَلَا تُؤْمَلَنَّ النِّجَاةَ وَأَنْتِ مَقِيمٌ عَلَى الْمَوْبِقَاتِ . قَالَ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَقَالَ: ﴿أَفَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَحْرَمِينَ﴾ .

شِعْرًا: أَقْبَيْتَ عُمْرَكَ وَالذُّنُوبُ تَزِيدُ وَالكَاتِبُ الْمُحْصِي عَلَيْكَ شَهِيدٌ
كَمْ قُلْتَ لَسْتُ بِعَائِدٍ فِي سَوْءَةٍ وَنَذَرْتَ فِيهَا ثُمَّ تَعُودُ
حَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْ لَذَّةٍ وَحِسَابُهَا يَوْمَ الْحِسَابِ شَدِيدٌ
وَكَاثِبِي بِكَ قَدْ أَتَتْكَ مَنِيَّةٌ لَا شَكَّ أَنْ سَبِيلَهَا مَوْرُودٌ

شِعْرًا: أَحْيَى قَدْ طَالَ لُبُّكَ فِي الْفَسَادِ وَبِئْسَ الزَّادُ زَادَكَ لِلْمَعَادِ
صَبَا مِنْكَ الْفُؤَادُ فَلَمْ تَزْعُهُ وَجَدْتَ إِلَى مُتَابَعَةِ الْفُؤَادِ
وَقَادَتِكَ الْمَعَاصِي حَيْثُ شَاءَتْ وَالْفَتْكَ امْرَأَةً سَلَسَ الْقِيَادِ
لَقَدْ نُودِيَتْ لِلتَّرْحَالِ فَاسْمَعِ وَلَا تَتَّصِمَنَّ عَنِ الْمُنَادِي
كَفَّاكَ مَشِيبُ رَأْسِكَ مِنْ نَذِيرِ وَعَالَبَ لَوْئُهُ لَوْنَ السَّوَادِ

اللَّهُمَّ نُورُ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبَّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
وَفِي الْآخِرَةِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ إِيْمَانَنَا بِكَ عَمِيقًا وَسَهْلًا لَنَا إِلَى مَا يُرْضِيكَ طَرِيقًا وَالطَّفَّ بِنَا
يَا مَوْلَانَا وَوَفَّقْنَا لِلْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ تَوْفِيقًا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

(فَصَلِّ) فِيمَا يَنْبَغِي التَّشْبِيهُ عَلَيْهِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ ارْتِكَابِهِ

قال ابن الجوزي رحمه الله : المسلمون المغترون طبقات :

الطبقة الأولى (طبقة العلماء) : وهُم قومٌ أَحَكَمُوا العِلْمَ وَتَرَكُوا العملَ بِهِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ حَفِظُوا الشَّرِيعَةَ فَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرٌ ، وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ ، لَعَلِمُوا أَنَّ العِلْمَ لَا يُرَادُ إِلَّا لِلْعَمَلِ وَكَأَنَّهُمْ يَزِيدُونَ مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ .

ومِنْهُمْ قومٌ أَحَكَمُوا العِلْمَ وَالْعَمَلَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُصَلِحُوا الصِّفَاتِ البَاطِنَةَ المَذْمُومَةَ مِنَ الكِبْرِ والحَسَدِ والرِّيَاءِ وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ هَذِهِ شَعْلٌ تَعْمَلُ فِي بَيْتِ القَلْبِ فَتُحْرِقُ بَوَاطِنَ المَعْرِفَةِ .

قُلْتُ وَهَؤُلَاءِ كَمَرِيضٍ ظَهَرَ بِهِ جُرُوحٌ أَصْلَهَا فِي البَاطِنِ فَأَمَرَ الطَّيِّبُ مَنْ بِهِ ذَلِكَ أَنْ يَغْسِلَ الظَّاهِرَ بِدَوَاءٍ وَأَمَرَهُ بِشُرْبِ دَوَاءٍ آخَرَ لِمَا نَشَأَ عَنْهُ الظَّاهِرُ فَاسْتَعْمَلَ مَا لِلظَّاهِرِ وَتَرَكَ مَا لِلبَاطِنِ فَأَزَالَ مَوْقِنًا مَا بظَاهِرِهِ وَأَمَّا مَا فِي بَاطِنِهِ فَعَلَى حَالِهِ .

فَلَوْ شَرِبَ مَا لِلبَاطِنِ مِنَ الدَّوَاءِ بَرِيَءِ الظَّاهِرِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ وَاسْتَرَاحَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ فَكَذَلِكَ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي إِذَا اخْتَفَتْ فِي القَلْبِ ظَهَرَ أَثَرُهَا عَلَى جَوَارِحِ الإِنْسَانِ .

وَمِنَ العُلَمَاءِ قومٌ سَلِمُوا مِنْ هَذِهِ الآفَاتِ ، لَكِنَّهُمْ فِي خِدْمَةِ الهَوَى مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ فَهَم يُصَنَّفُونَ وَتَكَلِّمُونَ وَمُرَادُهُمْ ذِكْرُهُمْ بِذَلِكَ وَمَدْحُهُمْ وَكثْرَةُ اتِّبَاعِهِمْ وَهَذِهِ الآفَةُ مِنَ حَبَايَا النُّفُوسِ لَا يَفِطُنُ هَا إِلَّا الأَكْيَاسُ مِنَ النَّاسِ .

الطبقة الثانية (طبقة العباد) : فَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّقُوا التَّعَبُّدَ إِلَّا أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ فَهُوَ مَغْرُورٌ بِذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَ كَثِيرًا مِنَ الفَرَائِضِ شُغْلًا بِالنَّوَافِلِ فَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُهُ الوَسْوَاسُ فِي نِيَّةِ الصَّلَاةِ ثُمَّ يَتْرُكُ قَلْبَهُ فِي بَاقِيهَا يَسْرُحُ فِي الغَفَلَاتِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يُكثِرُ التِّلَاوَةَ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا يَتْلُو ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصُومُ وَلَا يَتَحَفَّظُ

مِنْ غَيْبَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ إِلَى الْحَجِّ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَظَالِمِ ، وَلَا يَنْظُرُ فِي
نَفَقَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجَاوِرُ بِمَكَّةَ وَيَنْسَى الْحُرْمَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْسَى نَفْسَهُ . قَلْتُ وَأَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ .

ومِنْهُمْ مَنْ يَزْهَدُ فِي الْمَالِ وَهُوَ رَاغِبٌ فِي الرِّيَاسَةِ بِالزُّهْدِ . وَمِنْهُمْ مَنْ
يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ الْفُقَرَاءِ فِي صُورِ ثِيَابِهِمْ وَمُرَقَّعَاتِهِمْ وَيَتْرِكُ أَخْلَاقَهُمُ الْبَاطِنَةَ ،
فَيَشْبَعُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَنَامُ اللَّيْلَ وَلَا يَعْرِفُ وَاجِبَاتِ الشَّرْعِ .

قَلْتُ وَهَؤُلَاءِ غُرُورُهُمْ عَظِيمٌ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ ، لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ
يُحِبُّونَ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا قَدَرُوا عَلَى تَحْقِيقِ دَقَائِقِ الْإِخْلَاصِ إِلَّا وَهُمْ
مُخْلِصُونَ ، وَلَا وَقَفُوا عَلَى خَبَايَا النَّفْسِ إِلَّا وَهُمْ مُنْزَهُونَ ، وَهُمْ أَحَبُّ فِي
الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَيُظْهِرُونَ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا لِشِدَّةِ حَرِيصِهِمْ عَلَيْهَا وَقُوَّةِ رَغْبَتِهِمْ
فِيهَا . قَالَ بَعْضُهُمْ فَيَمُنُ يُظْهِرُ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَيْهَا :

أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ زُهْدًا وَعَلَى الدِّيَارِ دَارُوا
وَلَهُ صَلَّوْا وَصَامُوا وَلَهُ حَجُّوا وَزَارُوا
لَوْ يُرَى فَوْقَ الثَّرِيَّا وَلَهُمْ رِيْشٌ لَطَارُوا

يُحْثُونَ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَهُمْ غَيْرُ مُخْلِصِينَ وَيُظْهِرُونَ الدُّعَاءَ إِلَى
اللَّهِ وَهُمْ مِنْهُ فَارُونَ وَيُخَوِّفُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ آمِنُونَ . وَيَذْكُرُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ
لَهُ نَاسُونَ ، وَيُحْثُونَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالسَّنَةِ بِالدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَهُمْ لَهَا
نَابِذُونَ وَيَذْمُونَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةَ وَهُمْ بِهَا مُتَّصِفُونَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَطْرُقْ
أَسْمَاعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ
الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . وقوله تعالى حكاية عما قال شعيب

﴿ وما أريدُ أنْ أُحَالِفَكُم إلى ما أنْهَأكُم عنه ﴾ وَوَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ . قَالَ أَبْلَغْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَرْجُو . قَالَ : إِنْ لَمْ تُخَشَّ أَنْ تَفْتَضِحَ بِثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَافْعَلْ يَشِيرُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الْآيَاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ .

الطَبَقَةُ الثَّلَاثَةُ : « أَرْبَابُ الْأَمْوَالِ » فَمِنْهُمْ قَوْمٌ يَحْرِصُونَ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ وَيَكْتُبُونَ أَسْمَاءَهُمْ عَلَيْهَا لِتَخْلِيدِ ذِكْرِهِمْ وَمَنْ أَرَادَ وَجَهَ اللَّهِ لَمْ يُبَالِ بِذِكْرِ الْخَلْقِ وَهَؤُلَاءِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنَّهُمْ اغْتَرُّوا مِنْ وَجْهِينَ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ اكْتَسَبُوهَا مِنَ الظُّلْمِ وَالشُّبُهَاتِ وَالرُّشَاءِ وَالجِهَاتِ الْمَحْظُورَةِ فَهَؤُلَاءِ تَعَرَّضُوا لِسَخَطِ اللَّهِ فِي كَسْبِهَا فَإِذَا غَضَّوْا اللَّهَ فِي كَسْبِهَا فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةُ وَرَدَّ الْأَمْوَالِ إِلَى أَرْبَابِهَا إِنْ كَانُوا أَحْيَاءَ وَإِلَى وَرَثَتِهِمْ إِنْ كَانُوا أَمْوَاتًا ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ وَرَثَةٌ فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصْرِفُوهَا فِي أَهْمِ الْمَصَالِحِ وَرُبَّمَا يَكُونُ الْأَهْمُ تَفْرِقَتَهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ .

وَالوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ بِأَنْفُسِهِمُ الْإِحْلَاصَ وَقَصَدَ الْخَيْرَ فِي الْإِنْفَاقِ وَعُلُوِّ الْأَبْنِيَّةِ . وَلَوْ كُفِّفَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُنْفِقَ دِينَارًا عَلَى مِسْكِينٍ لَمْ تَسْمَعْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّ حُبَّ الْمَدْحِ وَالشَّائِ مُسْتَكِنٌ فِي بَاطِنِهِ .

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ يَتَصَدَّقُونَ وَلَكِنْ فِي الْمَحَافِلِ وَيُعْطُونَ مَنْ عَادَتُهُ الشُّكْرُ وَافْتِشَاءُ الْمَعْرُوفِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يُكْثِرُ الْحَجَّ وَرُبَّمَا تَرَكَ جِيرَانَهُ جَبَاعًا .

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ يَجْمَعُونَ الْمَالَ وَيَبْخَلُونَ بِإِخْرَاجِهِ ، ثُمَّ يَشْتَعِلُونَ بِالْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَفَقَةٍ كَالصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ ، وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ جِهَادَ النَّفْسِ فِي الْبَخْلِ الْمُهْلِكِ أَوْلَى .

شِعْرًا: لَقَدْ نَحَابَ مَنْ غَرَّتْهُ دُنْيَا دُنْيَةٍ وَمَا هِيَ أَنْ غَرَّتْ قُرُونًا بِاطِّئِلِ

أَتَتْنا عَلَى زِيِّ الْعَزِيزِ بِشِينَةٍ
فَقُلْتُ لَهَا غَرِي سِوَايَ فَإِنِّي
وَهَبَهَا أَتْنَا بِالْكُنُوزِ وَدُرِّهَا
الْأَيْسَ جَمِيعاً لِلْفَنَاءِ مَصِيرُهَا
فَغَرَّي سِوَايَ إِنِّي غَيْرُ رَاغِبٍ
وَقَدْ قَنَعْتُ نَفْسِي بِمَا قَدْ رَزَقْتُهُ
فَأِنِّي أَخَافُ اللَّهَ يَوْمَ لِقَائِهِ
وَزَيْتِهَا فِي مِثْلِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ
عَزُوفٍ عَنِ الدُّنْيَا وَلَسْتُ بِجَاهِلٍ
وَأَمْوَالِ قَارُونَ وَمُلْكِ الْقَبَائِلِ
وَيُطْلَبُ مِنْ خَزَائِنِهَا بِالطَّوَائِلِ
لِمَا فِيكَ مِنْ غَيْرِ وَمُلْكِ وَنَائِلِ
فَشَانِكَ يَا دُنْيَا وَأَهْلَ الْعَوَائِلِ
وَأَحْشَى عِقَاباً دَائِماً غَيْرَ زَائِلِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ، وَأَدْخِلْنَا
فَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوِّهَا وَنُورْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً
مُهْتَدِينَ وَأَتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(٢) **موعظة** : إعلم يا بُنَيَّ وَقَفَّكَ اللَّهُ لِلصَّوَابِ أَنَّهُ لَمْ يَتَمِيزِ الْآدَمِيَّ
بِالْعَقْلِ إِلَّا لِيَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ ، فَاسْتَحْضِرْ عَقْلَكَ ، وَأَعْمَلْ فِكْرَكَ ، وَاخْلُ
بِنَفْسِكَ تَعَلَّمْ بِالذَّلِيلِ أَنَّكَ مَخْلُوقٌ مُكَلَّفٌ ، وَأَنَّ عَلَيْكَ فَرَائِضَ أَنْتَ مُطَالِبٌ
بِهَا .

وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُحْصِيَانِ أَلْفَاظَكَ وَنَظَرَاتِكَ ، وَأَنَّ أَنْفَاسَ الْحَيِّ حُطَّاهُ إِلَى
أَجَلِهِ ، وَمِقْدَارُ اللَّبِثِ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَالْحَبْسُ فِي الْقُبُورِ طَوِيلٌ ، وَالْعَذَابُ عَلَى
مُوَافَقَةِ الْهَوَى وَيِيلُ .

فَأَيْنَ لَذَّةُ أُمْسٍ؟! رَحَلَتْ وَأُبْقَتْ نَدْمًا ، وَأَيْنَ شَهْوَةُ النَّفْسِ؟ كَمْ نَكَّسَتْ
رَأْسًا ، وَزَلَّتْ قَدَمًا ، وَمَا سَعَدَ مَنْ سَعِدَ إِلَّا بِخِلَافِ هَوَاهُ ، وَلَا شَقِيَ مَنْ
شَقِيَ إِلَّا بِإِثَارِ دُنْيَاهُ .

فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد ، أين لذة هولاءٍ وأين تعب أولئك ؟ بقي الثواب الجزيل ، والذكر الجميل للصالحين ، والمقالة القيحة والعقاب الويل للعاصين .

وكأنه ما جاع من جاع ولا شبع من شبع ، وأعلم أن الكسل عن الفضائل بس الرقيق ، وحب الراحة يورث من الندم ما يربو على كل لذة ، فانتبه راتب لنفسك .

واعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين ، ثم الفضائل تتفاوت ، فمن الناس من يرى الفضائل الزهد في الدنيا ، ومنهم من يراها التشاغل بالتعب ، وعلى الحقيقة فليست الفضائل الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل .

شِعْرًا: حَيَاةُ الْفَتَى وَاللَّهُ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى إِذَا لَمْ يَكُونَا لَا اعْتِبَارَ لِذَاتِهِ
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ ذَلِكَ التَّعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ كَأْسَ الدُّلِّ طَوَّلَ حَيَاتِهِ

فوائد: من حكم أمير المؤمنين على كرم الله وجهه: العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق ، بالعلم يكسب الإنسان الطاعة في حياته ، وجميل الأحداث بعد وفاته ، العلم حاكم والمال محكوم عليه

فاذا حصلنا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى ، وحركاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه ، فتلك الغاية المقصودة ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وليس كل ما يريد مراداً ولا كل طالب واجداً ، ولكن على العبد الاجتهاد وكل ميسر لما خلق له والله المستعان .

يَا خَالِقِي عَبْدُكَ الْخَاطِي الْحَزِينُ لَقَدْ
مَسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبٍ لَا عِدَادَ لَهَا
أَتَاكَ مَنكَسِرًا فَاجْبُرْ لِمَنكَسِرِ
بِعَفْوِكَ الْجَمِّ يَا رَحْمَنُ لَا تَذَرِ
فَلَا تَدْعُنِي مَلِيكَ الْعَرْشِ مُطْرَحًا
بَيْنَ النَّوَائِبِ وَالْأَسْدَامِ وَالْغَيْرِ

حَسْبِي لَدَى الْمَوْبِقَاتِ الصِّمِّ أَنْتَ فَلَا
عَلَيْكَ إِذَا الْعَطَا وَالْمَنُّ مُعْتَمِدِي
فَاغْفِرْ وَأَكْرِمْ عُبِيداً مَالَهُ عَمَلٌ
لَكِنَّهُ تَائِبٌ مِمَّا جَنَاهُ فَقَدْ
فَإِنْ رَحِمْتَ عَلَى مَنْ جَاءَ مُفْتَقِراً
وَإِنْ تُعَذِّبْ فَإِنِّي أَهْلُ ذَاكَ وَذَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْخَلِيقَةِ مَنْ
وَالِهِ الطَّيِّبِينَ الطُّهْرَ قَاطِبَةً
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ وَاهْتَزَّتْ النَّبَاتُ بِهَا

نَرْجُو سِوَاكَ لِنَيْلِ السُّؤْلِ وَالْوَطْرِ
فِي كُبْلِ خَطْبٍ أَتَى بِالغَيْرِ وَالضَّرْرِ
مِنَ الصَّوَالِحِ يَا رَحْمَنُ فِي العُمُرِ
أَتَاكَ مُسْتَغْفِراً يَخْشَى مِنَ السَّقَرِ
فَأَنْتَ أَهْلٌ بِهِ يَارَبُّ فَاغْفِرْ
عَدْلٌ قَوِيٌّ بِلا لَوْمٍ وَلَا نُكْرِ
كَفَاهُ مُعْجَزَةُ الشُّقْ فِي القَمَرِ
وَصَحْبِهِ الْمُكْرَمِينَ السَّادَةَ الغَرِّ
وَمَا تَعْنَتْ حَمَامُ الأَيْكَ فِي السَّحْرِ

فائدة: قال أحد العلماء رأيت كثيراً ما يُزَيْنُ لِطَالِبِ العِلْمِ أَيَّامَ الأَخْتِبَارِ قِرَاةَ مَا
لَيْسَ مُطَالِباً بِهِ فِي الإِخْتِبَارِ، وَهَذَا مِنْ مَرَضِ النَّفْسِ وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ تَضْعِيفاً
لِلْهَمَّةِ وَالتَّشَاطُ، فَإِنَّ العِلْمَ المُطَالِبَ بِهِ فِيهِ تَكْلِيفٌ وَالأَزَامَ وَتَحْمُلٌ وَأَدَاءٌ، فَهُوَ
ثَقِيلٌ عَلَى النَّفْسِ الوَانِيَةِ، وَالعِلْمُ الَّذِي لَمْ يُطَالَبَ بِهِ لَا تَكْلِيفَ بِهِ فَهُوَ خَفِيفٌ
عَلَى النَّفْسِ وَهَذَا مِنْ هَوَى النَّفْسِ وَسَرِقَةِ الشَّيْطَانِ لَهُ لِأَنَّهُ إِحْرَافٌ عَنِ
الصَّوَابِ النَّافِعِ.

اللَّهُمَّ اعْظِنَا مِنَ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو اصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ
مَا نَحْذَرُ. اللَّهُمَّ عَلَّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ
تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيراً
يَارَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ وَقَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا رَحِمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الفصل الثامن: الطبقة الرابعة طبقة العوامِّ وغرورهم من وجوه: فمنهم من
يُصَلِّي كَيْفَمَا اتَّفَقَ وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يُصَلِّحُ الصَّلَاةَ وَمَا يُفْسِدُهَا. وَمِنْهُمْ مَنْ

يَواظِبَ على النوافِلِ كالترَوايحِ ، ولا تَكاذُبُ تَجدُهُ في صَلاةِ الجَماعَةِ ، ومنهم مَن يَلازمُ مَجالِسَ الوَعرِ ولا يَعمَلُ بما يَسمَعُ ولا يَنتَهي عن قَبيحِ ما يَأَتي ، كانَّ المَقصودَ الحُضُورَ فقط . قُلْتُ : لأنَّ مَجالِسَ الذِكرِ والإِرشادِ إَتما تُفيدُ لَكونِها مُرغِبَةً في الحَيرِ وباعِثَةً في الغالبِ عليه فإنَّ لَمَ يَنشأُ عنها ذَلِكَ فلا حَيرَ فيها وَصِفَةُ هَولاءِ كما قال بعضُ العُلماءِ : كَمِثْلِ مريضٍ يَحضُرُ مَجالِسَ الأَطباءِ وَيَسمَعُ منهم ما يَصفونهُ مِنَ الأَدويةِ ولا يَفعَلُها ولا يَشْتَعِلُ بها فَأَيُّ فَائِدَةٍ يَحصُلُ عليها .

فَكلُ وَعَظٍ لا يُغَيِّرُ مِنكَ صِفةً تَنغَيِّرُ بها أفعالَكَ حتى تُقبَلَ على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتُعْرِضَ عن الدنِيا وَتُقبَلَ إقبالاً قَويّاً ، فإنَّ لَمَ تَفعَلْ فَذلكَ كانَ زيادَةَ حُجَّةٍ عَلَيْكَ ، وهذا غُرُورٌ عَظيمٌ .

ومنهم مَن يَتَنَفَّلُ بالعباداتِ وَيُهْمِلُ الفرائضَ .

ومنهم مَن يَتَطَوَّعُ بِالخَيرِ وَيُكثِرُ التَسيبَ مَعَ مَعامَلَتِهِ بالرِّيا واستِعمالِ الغِشِّ ، وَرَبَّما صَاحَ على وَالِدِيهِ وَأَخَذَ أَغراضَ الناسِ ، وَجُمهورُ الناسِ قد أَتَكلوا على العَفوَ والحلمِ فَهُمُ مُصِرُّونَ على ذُنُوبٍ وَخطايا فإذا ذَكَرَتْ لَهُمُ العَقُوبَةُ قالوا : هو كَريمٌ وَيَنسُونَ أَنَّهُ شَدِيدُ العِقابِ ، ومنهم أَقوامٌ يَسْتَعجِلُونَ المَعصِيَةَ مُوافِقَةً لِلهَوى وَيُضَمِّرونَ أَننا سَتَتُوبُ وَيُسَوِّفُونَ بالتُوبَةِ ، وَمِنَ العِصاةِ مَن يَغْتَرُّ بِفِعْلِ خَيرٍ فربما تَصَدَّقَ أو سَبَّحَ وَظَنَّ أَنَّ هَذا يُقاومُ ذُنُوبَهُ .

وَيَنسَى ما حَصلَ مِنْهُ مِنَ الغِيبَةِ وَالكَذِبِ وَالرِّياءِ وَغيرِ ذَلِكَ مِنَ المَعاصِي التي تَقْضي على الحَسَناتِ التي أمثالُ الجبالِ .

وَمِنَ المَغْتَرِّينَ مَن يغرُّه صَلاحُ آباءِهِ وَربما قال : أَيْبِي يَشْفَعُ لي ولا يَدري أَنَّ أباهُ فَضَّلَ بالتَقوى وَكانَ مَعَ التَقوى خائِفاً ؟ وَمِنَ أَيْنَ لَهُ أن يَشْفَعَ

لَهُ ، أَوْ مَا سَمِعَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ .
وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ ابْنَهُ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ
فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ وَأَغْرَقَ اللَّهُ ابْنَهُ مَعَ الْمُغْرَقِينَ .
وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« يَا فَاطِمَةُ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » فَالْعَاقِلُ مَنْ عَمِلَ عَلَى الْحِرْصِ
وَأَخَذَ بِالْأَحْوَطِ فَمَنْ تَأَمَّلَ الْعِلْمَ وَتَصَفَّحَهُ وَشَاوَرَ الْعَقْلَ دَلَّهُ عَلَى الْحَزْمِ
فَسَلِمَ مِنَ الْأَغْتِرَارِ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وَطَبَقَةُ أُخْرَى أَكْبَرُ عَلَى تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَرَكَوْا تَدْبِيرَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ ،
وَرُبَّمَا خَتَمُوهُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِالسِّتِّهِمْ ، أَمَا قُلُوبُهُمْ فَهِيَ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا تَرْدُدُ ،
وَلَا تَتَفَكَّرُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِتَنْزَجِرَ بِزَوَاجِرِهِ وَتَتَعَطَّ بِمَوَاعِظِهِ وَتَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ
وَنَوَاهِيهِ وَتَعْتَبِرَ بِمَوَاضِعِ الْأَعْتَابِ . فَمَنْ قَرَأَ كِتَابًا عِدَّةً مَرَاتٍ
وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ .

وَطَبَقَةُ أُخْرَى أَكْبَرُ وَأَكْثَرُ وَالصِّيَامُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَحْفَظُونَ السِّتِّهِمْ عَنِ
الغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالتَّمَلُّقِ عِنْدَ الْفُسَّاقِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ وَلَا يَعْرِفُونَ
الْوَلَاءَ وَالْبِرَّاءَ وَلَا يَحْفَظُونَ بُطُونَهُمْ عَنِ الْحَرَامِ وَلَا أَعْيُنَهُمْ عَنِ النَّظَرِ
الْمُحْرَمِ وَلَا أَسْمَاعَهُمْ عَنِ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَقُومُونَ عَلَى أَوْلَادِهِمْ
وَيَأْمُرُونَهُمْ .

وَطَبَقَةُ أُخْرَى أَكْثَرُ مِنْ نَوَافِلِ الْحَجِّ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ مِنَ الْمَظَالِمِ
وَقَضَاءِ الدُّيُونِ وَاسْتِزْضَاءِ الْوَالِدَيْنِ وَلَا طَلَبُوا لِذَلِكَ الزَّادَ الْحَلَالَ وَرُبَّمَا
ضَيَعُوا صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ أَوْ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَرُبَّمَا كَانُوا لَا يُسْأَلُونَ
بِالنَّجَاسَاتِ ، وَرُبَّمَا كَانَ نَفَقَةُ أَحَدِهِمْ حَرَامًا كُلُّهُ هُوَ وَرَفَقَاؤُهُ ، وَرُبَّمَا كَانَ

مُرَائِيًا فِي إِنْفَاقِهِ فَيَعْبِي اللّٰهَ فِي كَسْبِ الْحَرَامِ أَوْلَىٰ وَفِي إِنْفَاقِهِ لِلرِّبَايَةِ ثَانِيًا نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الْغُرُورِ . وَفِرْقَةٌ أَخَذَتْ فِي طَرِيقِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَأَرْشَادِ الْخَلْقِ وَأَنْكَرُوا عَلَى النَّاسِ وَتَرَكُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَمَنْ يَخْشَوْنَهُمْ أَوْ يَرْجُونَهُمْ . وَفِرْقَةٌ أُخْرَىٰ غَلَبَ عَلَيْهَا الْبُخْلُ فَلَا تَسْمَحُ نَفْسُهُمْ بِإِدَاءِ الزَّكَاةِ كَامِلَةً مُكَمَّلَةً يُخْرِجُ مِقْدَارَ رُبْعِهَا فَقَطْ وَيَتَاوَلُ الْبَاقِي وَيَعِدُّ أَنَّهُ إِذَا وَجَدَ فَقِيرًا أَعْطَاهُ وَيَرَىٰ أَنْ مَا يَدْفَعُهُ إِذَا تَقَدَّمَ فَقِيرٌ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَأَعْطَاهُ كَافِيًا وَرُبَّمَا كَانَتْ زَكَاتُهُ عَدَدَ أَيَّامِ السَّنَةِ مِثَالِ مِنَ الرِّيَالَاتِ نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الْغُرُورِ .

قُلْتُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْفَعُ زَكَاتَهُ إِلَىٰ مَنْ يَخْدُمُهُ أَوْ يَخْدُمُ أَهْلَهُ وَهَذَا خَطَأً فَانْتَبِهْ وَتَبَّ فَإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ وَقَايَةٌ لِمَالِهِ وَلَيْسَ زَكَاةً وَلَا يَخْفَىٰ إِلَّا عَلَىٰ مَنْ عَمِيَتْ بَصِيرَتُهُ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْبُخْلُ وَالشُّحُّ .

اللَّهُمَّ انظِمْنا فِي سَبِيلِكَ حِزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ وَآمِنًا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكَفَنًا
 لا تَطْمِئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا
 أَيْنَ الْأَجْبَةُ وَالْجِيرَانُ مَا فَعَلُوا
 سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأَسَاءَ غَيْرِ صَافِيَةٍ
 تَبْكِي الْمَنَازِلَ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْسَجِمٍ
 حَسْبُ الْحِمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَمَهَلَهُمْ
 اللَّهُمَّ أَظَلْنَا تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ وَلَا بَاقٍ إِلَّا وَجْهُكَ
 وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
 وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحَسَنَاتِ
 أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنًا
 فَصَيَّرْتَهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنًا
 بِالْمَكْرَمَاتِ وَتَرْتِييِ الْبِرِّ وَالْمِنَاتِ
 أَلَا يَظُنُّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنًا

وَأَسْقِنَا مِنْ حَوْضِ نَبِيِّكَ شَرْبَةً هَنِيئَةً لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا حَتَّى نَدْخُلَ الْجَنَّةَ ،
اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : خطب عمر بن عبد العزيز آخر خطبة خطبها فقال فيها : أما
بعد : « إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تُتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله
فيه للفصل بين عباده ، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت
كل شيءٍ وحرم الجنة عرضها السموات والأرض ، ألا ترون أنكم في أسلاب
الهالكين ، وسيرتها بعدكم الباقون كذلك حتى تُردَّ إلى خير الوارثين ، وفي
كل يوم تُشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قضى نحبه وانقضى أجله فتدعون في
صدع من الأرض غير مؤسِّد ولا مُمهِّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق
الأحاب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، غنياً عما خلف ، فقيراً إلى ما
أسلف ، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مَوَاقِيْتِهِ ، وإني لأقول لكم هذه
المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندى ، ولكن استغفر الله
وأتوب إليه ، ثم رفع طرف ردايه وبكى حتى شهق ثم نزل ، فما عاد إلى المنبر
بعدها حتى مات رحمة الله عليه .

شِعْرًا: وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْأَتَقَى مَزِيدُ
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدُ

آخر :

أَتَبْكِي لِهَذَا الْمَوْتِ أَمْ أَنْتَ عَارِفُ بِمَنْزِلَةِ تَبْقَى وَفِيهَا الْمَتَالِفُ
كَأَنَّكَ قَدْ غُيِّبَتْ فِي اللَّحْدِ وَالثَّرَى فَتَلْقَى كَمَا لَاقَى الْقُرُونُ السَّوَالِفُ
أَرَى الْمَوْتَ قَدْ أَفْنَى الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ فَلَمْ يَبْقَ ذُو الْإِفِّ وَلَمْ يَبْقَ الْإِفُّ

كَانَ الْفَتَى لَمْ يَعْنِ فِي النَّاسِ سَاعَةً
 وَقَامَتْ عَلَيْهِ عُصْبَةٌ يَنْدُبُونَهُ
 وَغُوْدِرَ فِي لَحْدِ كَرِيهِ حُلُولُهُ
 يَقُلُ الْغَنَى عَنْ صَاحِبِ اللَّحْدِ وَالثَّرَى
 وَمَا مَنْ يَخَافُ الْبَعْثَ وَالنَّارَ آمِنٌ
 إِذَا عَنَّ ذِكْرُ الْمَوْتِ أُوجِعَ قَلْبُهُ
 إِذَا عُصِبَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
 فَمُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي وَآخِرُ هَاتِفُ
 وَتُعْقَدُ مِنْ لِبْنِ عَلَيْهِ السَّقَائِفُ
 بِمَا ذَرَفَتْ فِيهِ الْعُيُونُ الدَّوَارِفُ
 وَلَكِنْ حَزِينٌ مُوجِعُ الْقَلْبِ خَائِفُ
 وَهَيْجٌ أَحْزَانًا ذُنُوبٌ سَوَالِفُ

اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، يَا قَرِيبَ الرَّحْمَةِ، يَا ذَا الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ، هَبْ لَنَا الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. اللَّهُمَّ يَا حَيُّ وَيَا قَيُّوْمُ فَرِّغْنَا لِمَا
 خَلَقْتَنَا لَهُ، وَلَا تُشْغَلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ يَوْمِنَا بِلِقَائِكَ، وَيَرْضَى
 بِقَضَائِكَ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ، وَيَخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَنَا رَعْدًا،
 وَلَا تُثْمِتْ بِنَا أَحَدًا. اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبَكَ الْمُفْلِحِينَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ
 عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ وَآمِنًا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

فصل في العلم وفضله

العلمُ صفةٌ يُمَيِّزُ الْمُتَّصِفُ بِهَا تَمِيزًا جَازِمًا مُطَابِقًا، وَقِيلَ هُوَ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ
 بِحَقِيقَتِهِ، وَالْعِلْمُ فَضْلُهُ أَشْهُرُ مِنْ أَنْ يُذَكَرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَا اكْتَسَبَهُ
 الْإِنْسَانُ وَأَشْرَفُ مُنْتَسَبٍ وَأَنْفُسُ ذَخِيرَةٌ تُقْتَنَى وَأَطْيَبُ ثَمَرَةٌ تُجْتَنَى، بِهِ
 يُتَوَصَّلُ إِلَى الْحَقَائِقِ وَإِذَا عَمِلَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى وَفَى الشَّرِيعَةِ أَذْرَكَ رِضَا
 الْخَالِقِ.

وَالْعِلْمُ لَا يُوَصَّلُ إِلَى مَعْرِفَةِ فَضْلِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَلَا

يَضِيحُ صَاحِبُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ الصَّحِيحِ الَّذِي جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَفْتَقِرُ كَاسِبُ الْعِلْمِ وَلَا يَخِيبُ طَالِبُهُ وَلَا تَنْحَطُّ مَرَاتِبُهُ مَا دَامَ مُطَبِّقًا لِعِلْمِهِ بِالْعَمَلِ وَلَا يَجْهَلُ شَرَفَ الْعِلْمِ إِلَّا الْجَاهِلُ لِقُصُورِ فَهْمِهِ عَنِ عَظِيمِ مَنَافِعِهِ وَكَرِيمِ مَوَاقِفِهِ ، وَحَامِلُهُ الصَّائِنُ لَهُ عَنِ الْإِنْسَانِ عَزِيزٌ عِنْدَ النَّاسِ إِنْ قَالَ فَكَلَامُهُ مَرْمُوقٌ بِعَيْنِ التَّقْدِيرِ وَإِنْ أَمَرَ فَامْرُؤٌ مَسْمُوعٌ .

وَهُوَ وَسِيلَةٌ لِلْفَضَائِلِ وَهُوَ نُورٌ زَاهِرٌ لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ وَقُوَّةٌ هَنِيئَةٌ لِمَنْ تَقَوَّتْ بِهِ تَرْتَاحُ بِهِ الْأَنْفُسُ إِذْ هُوَ غِذَاءُهَا وَتَفْرَحُ بِهِ الْأَفئِدَةُ إِذْ هُوَ قُوَاهَا
شعرا :

أَجَلٌ مَا يُبْتَغَى دَوْمًا وَيُكْتَسَبُ وَيُقْتَنَى مِنْ حُلَى الدِّينِ وَيُتَخَبُّ
عِلْمُ الشَّرِيعَةِ عِلْمٌ النَّفْعُ قَدْ رُفِعَتْ لِمَنْ يَزَاوِلُهُ بَيْنَ الْوَرَى رَبُّ
إِنْ عَاشَ عَاشَ سَعِيدًا سَائِدًا أَبَدًا لَا يُسْتَظَامُ وَلَا يُشْنَأُ فَيُجْتَبُّ
وَإِنْ يَمُتْ فَمِتًّا سَائِدًا أَبَدًا وَبَعْدَهُ رَحْمَةٌ تَرْجَى وَتُرْتَقَبُ
وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ ، وَعَوْنٌ عَلَى الْمَرْوَةِ وَهُوَ الصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ
وَالْمُؤْنِسُ فِي الْخَلْوَةِ ، وَالشَّرْفُ فِي النَّسَبِ وَاللِّعْلَمِ آثَارٌ جَلِيلَةٌ الْقَدْرِ كَمْ
جَلُّ بِهِ مِنْ حَقِيرٍ .

وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَعْلَمَ كَانَ جَلِيلًا عِنْدَنَا . مَضَى سَلْفُنَا الصَّالِحُ الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمُ الْوَرَعُونَ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا ، وَمَا قَامُوا بِهِ مِنْ نَصْرِ دِينِ اللَّهِ وَالِدَعْوَةِ إِلَيْهِ اسْتَنَارَتْ الْمَجَالِسُ وَأَسْفَرَتْ الْوُجُوهُ وَارْتَاحَتْ الْأَنْفُسُ وَقَوِيَتْ الْقُلُوبُ وَنَشِطَتْ الْأَبْدَانُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَوَدَّ الْمُسْتَمِعُونَ الْمُحِبُّونَ لِلدِّينِ وَأَهْلَهُ أَنْ يَزْدَادُوا مِنْ أَخْبَارِهِمْ وَسِيرِهِمْ وَذَلِكَ بِمَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ

وَأَثَارِهِ الْجَلِيلَةِ ، وَكَانُوا خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَكَانُوا أَشْجَعِ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الْأَجَلَ لَا يُطِيلُهُ الْجُبْنُ وَكَانُوا أَغْنَى الْعَالَمِ نَفُوساً وَأَقْوَاهِمَ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِقِسْمَةِ مُوَلَانَا الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ ، وَكَانُوا مَحْطَّ رِحَالِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْبُخْلَ لَا يُرِضِي اللَّهَ ، وَكَانُوا فِي الْحِلْمِ كَالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا مَا لِلْحِلْمِ مِنْ مَزَايَا دُنْيَا وَأُخْرَى .

وَكَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ الْبَلَايَا بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا بِتَقْدِيرٍ وَتَضَرِيفِ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ وَكَانُوا دَائِمًا يَسْتَقْبِلُونَ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ لِجَزْمِهِمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقِينَ بَلْ مِنَ الْكَرِيمِ الدَّائِمِ الْإِحْسَانِ الَّذِي عَمَّ إِحْسَانَهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ ، وَكَانُوا يُحِبُّونَ الْخَيْرَ لِبَعْضِهِمْ كَمَحَبَّتِهِمْ لِأَنفُسِهِمْ عَمَلًا بِقَوْلِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وَلِعِلْمِهِمْ أَنَّ كِرَاهَتَهُمْ لَا تُحْدِثُ أَيَّ تَغْيِيرٍ وَقَدْ عَرَفُوا قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ يَا غُلَامُ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَكَانُوا لَا يُحِبُّونَ الشَّرَّ وَأَهْلَهُ وَنَهْوُونَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ . وَكَانُوا يُرَاقِبُونَ مُوَلَاهُمْ دَائِمًا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّهُ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا فَلِهَذَا كَانُوا إِذَا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا تَحَرَّوْا مَا يُرْضِيهِ جَلَّ وَعَلَا فِيمَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ وَهَكَذَا كَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَتَحَرَّكُوا أَوْ يَسْكُنُوا بِاسْتِشَارَةِ مَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ يَتَحَرَّكُونَ وَيَسْكُنُونَ لِهَذَا كَانُوا لِلْيَوْمِ مَوْضِعَ إِعْجَابٍ وَنَالُوا فَوْقَ هَذَا رِضَى رَبِّ الْعَالَمِينَ هَكَذَا كَانُوا بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمُ مُوَلَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ تَمَامًا .

وَكَانُوا أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ حَقَارَتَهَا وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا

وَكثْرَةَ هُمُومِهَا وَغُمُومِهَا وَإِشْغَالِهَا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّاسُ يُقَدِّرُونَهُمْ وَيَضْرِبُونَ بِهِمُ الْأَمْثَالَ وَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ عَلَى قَدْرِ قَنَاعَةِ الْعُلَمَاءِ فِي الدُّنْيَا تَكُونُ مَكَانَتُهُمْ فِي نَفُوسِ النَّاسِ وَالتَّفَافُهُمْ حَوْلَهُمْ وَالاسْتِمَاعُ لِنَصَائِحِهِمْ وَالانْقِيَادُ لِإِرْشَادَاتِهِمْ وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِمْ فِيمَا يُشْكِلُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى قَدْرِ تَعَلُّقِ الْعُلَمَاءِ بِالدُّنْيَا وَتَوَجُّهِهِمْ إِلَيْهَا تَكُونُ زَهَادَةُ النَّاسِ فِي الْعُلَمَاءِ وَعَدَمُ الثِّقَةِ بِهِمْ وَإِتْهَامُهُمْ وَالنَّفْرَةُ مِنْهُمْ وَأَكْلُ لُحُومِهِمْ وَعَدَمُ قُبُولِ كَلَامِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ وَنَصَائِحِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ لَهُمْ قَوْلًا وَلَا يُعْوَلُونَ عَلَيْهِمْ فِي مَا يَجْهَلُونَهُ وَيَحْرِصُونَ عَلَى الْبُعْدِ عَنْهُمْ وَيَسْتَقْبِلُونَهُمْ وَالسَّبَبُ الْوَحِيدُ كَمَا عَلِمْتَ أَوْلَى مَا هُوَ التَّعَلُّقُ بِالدُّنْيَا ضِدًّا مَا عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ .

قال بعض العلماء : اعلم أيها الإنسان أن الدنيا منزلة وليست بدار قرار والانسان مسافر فأول منازل بطن أمه وآخر منازل لحد قبره وإنما وطنه وقراره ومكثه وأستقراره بعدها في هذا .

واختصر أحد العبّاد فقال ما تأسفني على دار الهُموم والأنكاد والأحزان والخطايا والذنوب وإنما تأسفني على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله ثم مات رحمه الله .

وقال مطرف بن الشخير : إن هذا الموت نعص على النعيم نعيمهم، فأطلبوا نعيمًا لا موت فيه، فكيف ووراءه يوم يعد فيه الجواب وتدهش فيه الألباب، وتفتنى في شرحه الأقلام والكتّاب .

وقال غيره : كل سنة تنقضي من الإنسان فكالمرحلة . وكل شهر ينقضي منه فكاستراحة المسافر في طريق وكل أسبوع فكقرية تلقاه . وكل يوم فكفرسخ يقطعه .

وكل نفس كخطوة يخطوها . وبقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة وهذه الدنيا قنطرة فمن عمر القنطرة واستعجل بعمارتها فني فيها زمانه .

وَنَسِيَ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي هِيَ مَصِيرُهُ وَمَكَانُهُ . وَكَانَ جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ .

وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي لَا يَشْتَغِلُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا لِاسْتِعْدَادِهِ لِمَعَادِهِ وَيَكْتَفِي
مِنْهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ وَمَهْمَا جَمَعَهُ فَوْقَ كِفَايَتِهِ كَانَ سُهًا نَاقِعًا وَيَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ
جَمِيعُ خَزَائِنِهِ وَسَائِرُ ذَخَائِرِهِ رَمَادًا وَتُرَابًا لَا فِضَّةً وَلَا ذَهَبًا وَلَوْ جَمَعَ مَهْمَا جَمَعَ .
فَإِنْ نَصِيبُهُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَلْبَسُهُ لَا سِوَاهُ وَجَمِيعُ مَا يُخَلِّفُهُ يَكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً
وَنَدَامَةً وَيَصْعَبُ عَلَيْهِ نَزْعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ فَحَلَالُهَا حِسَابٌ . وَحَرَامُهَا عَذَابٌ .
إِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ طُلِبَ مِنْهُ الْحِسَابُ .

وَإِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ مِنْ حَرَامٍ وَجَبَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ . وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ
مِنْ حَسْرَتِهِ ، حُلُولُ الْعَذَابِ فِي حُفْرَتِهِ وَمَعَ هَذَا جَمِيعُهُ إِذَا كَانَ إِيْمَانُهُ صَاحِحًا
سَالِمًا لِحَضْرَةِ الدِّيَانِ . فَلَا وَجْهَ لِيَأْسِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ . فَإِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ
كَرِيمٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

وَاعْلَمْ أَنَّ رَاحَةَ الدُّنْيَا أَيَّامٌ وَأَكْثَرُهَا مُنْغَصٌّ بِالتَّعَبِ مَشُوبٌ
بِالنَّصَبِ . وَبِسَبَبِهَا تَفُوتُ رَاحَةُ الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ الدَّائِمَةُ وَالْمَلِكُ الَّذِي لَأَنْهَاءِ
لَهُ وَلَا فَنَاءَ . فَيَسْهُلُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَصْبِرَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلَاتِلِ لِيُنَالَ رَاحَةَ
دَائِمَةً بِلَا انْقِضَاءٍ .

شعرا : وَمَنْ يَصْطَبِرْ لِلْعِلْمِ يَظْفَرْ بِنَيْلِهِ وَمَنْ يَخْطُبِ الْحَسَنَاءِ يَصْبِرْ عَلَى الْبَدْلِ
وَمَنْ لَا يُدِلُّ النَّفْسَ فِي طَلْبِ الْعُلَى يَسِيرًا يَعِشْ دَهْرًا طَوِيلًا أَحَاذِلُ
قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

كُلُّ مَنْ أَثَرَ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاسْتَحَبَّهَا فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ عَلَى

اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ فِي فَتْوَاهُ وَحُكْمِهِ ، فِي خَبْرِهِ وَإِلْزَامِهِ لِأَنَّ أَحْكَامَ الرَّبِّ
سَبْحَانَهُ كَثِيرًا مَا تَأْتِي عَلَى خِلَافِ أَغْرَاضِ النَّاسِ ، وَلَا سِيَّما أَهْلُ
الرِّيَاسَةِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشُّبُهَاتِ فَإِنَّهُمْ لَا تَتِمُّ لَهُمْ أَغْرَاضُهُمْ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ
الْحَقِّ وَدَفْعِهِ كَثِيرًا إِذَا كَانَ الْعَالِمُ وَالْحَاكِمُ مُحِبِّينَ لِلرِّيَاسَةِ مُتَّبِعِينَ لِلشُّهَوَاتِ

لَمْ يَتِمَّ لَهُمَا ذَلِكَ إِلَّا بِدْفَعِ مَا يُضَادُّهُ مِنَ الْحَقِّ وَلَا سِيَّمَا إِذَا قَامَتْ لَهُ شُبْهَةٌ
فَتَتَفَقَّ الشُّبْهَةُ وَالشُّهُوَةُ وَيَثُورُ الْهَوَى فَيَخْفَى الصَّوَابُ وَيَنْطَظِمُ وَجْهُ
الْحَقِّ ، وَإِذَا كَانَ ظَاهِرًا لَا خَفَاءَ بِهِ وَلَا شُبْهَةَ فِيهِ أَقْدَمَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَقَالَ
لِي مَخْرَجٌ بِالتَّوْبَةِ وَفِي هَؤُلَاءِ وَأَشْبَاهِهِمْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَخَلِيفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
خَلَفُ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ
يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴾ .

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ أَخَذُوا الْعَرَضَ الْأَدْنَى مَعَ عِلْمِهِمْ بِتَحْرِيمِهِ
عَلَيْهِمْ وَقَالُوا سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ عَرَضَ لَهُمْ عَرَضٌ آخَرَ أَخَذُوهُ فَهُمْ مُصْرُونَ
عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ الْحَامِلُ لَهُمْ عَلَى أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ فَيَقُولُونَ
هَذَا حُكْمُهُ وَشَرْعُهُ وَدِينُهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ دِينَهُ وَشَرْعَهُ وَحُكْمَهُ يُخَالِفُ ذَلِكَ
أَوْ لَا يَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ دِينُهُ وَشَرْعُهُ وَحُكْمُهُ فَتَارَةً يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا
يَعْلَمُونَ وَتَارَةً يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا يَعْلَمُونَ بَطْلَانَهُ : قَالَ وَهَؤُلَاءِ لَا بُدَّ أَنْ
يَتَّبِعُوا فِي الدِّينِ مَعَ الْفُجُورِ فِي الْعَمَلِ فَيَجْتَمِعُ لَهُمُ الْأَمْرَانِ فَإِنَّ اتِّبَاعَ
الْهَوَى يُعْمِي عَيْنَ الْقَلْبِ فَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ أَوْ يُنَكِّسُهُ فَيَرَى
الْبِدْعَةَ سُنَّةً وَالسُّنَّةَ بَدْعَةً فَهَذِهِ آفَةُ الْعُلَمَاءِ إِذَا آثَرُوا الدُّنْيَا وَاتَّبَعُوا الرِّيَاسَاتِ
وَالشُّهُوَاتِ وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِيهِمْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي
آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ
بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ
عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكَهُ يَلْهَثُ ﴾ . فَهَذَا مِثْلُ عَالِمِ السُّوءِ الَّذِي يَعْمَلُ بِخِلَافِ
عِلْمِهِ .

وَخِتَامًا فَإِنَّ الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ يَتَأَسَّفُ عَلَى إِهْمَالِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ

رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُتِبَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ يَتَنَبَّأُ عَلَيْهِمَا
الْعُبَارُ وَيُسْتَبَدَلُ بِهِمَا قَتْلُ الْوَقْتِ فِي الْوَوَكَمِ بَاعِ فُلَانٌ وَكَمْ شَرَى فُلَانٌ
وَأَيْنَ قَضَيْتَ الْعُطْلَةَ فِيهِ وَأَيْنَ تَقْضِي الْمُسْتَقْبَلَةَ وَارْفَعِ الْجَرِيدَةَ وَأَعْطِنِي
الْآخَرَى وَأَيْنَ الْمَجَلَّةُ الْفُلَانِيَّةُ وَمَا الَّذِي ظَهَرَ فِي التَّلْفِزِيُونِ وَمَاذَا بِالْإِدَاعَةِ
الْفُلَانِيَّةِ هَذَا وَأَمْثَالُهُ كَثِيرٌ مِنْ نَوَاحِي مَعْلُومَاتِنَا مَعَشَرَ هَذَا الْجِيلِ يَشِبُّ
الْوَاحِدُ مِنَّا وَيَشِبُّ وَهُوَ جَاهِلٌ بِسِيرِ سَلْفِنَا وَتَطْبِيقِهَا وَالْاِقْتِدَاءِ بِمَنْ أَمَرْنَا
سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا بِاتِّبَاعِهِمْ مِنْ رُسُلِهِ الْكِرَامِ وَمَنْ اِقْتَدَى بِهِمْ وَحَذَا حَدْوَهُمْ
وَنَهَجَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقَهُمْ مَوْلَاهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٢﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بَدْعَانَا تَوَجَّهْنَا وَبِفَائِكَ أَنْخُنَا وَإِيَّاكَ أَمَلْنَا وَلِمَا عِنْدَكَ مِنَ
الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ طَلَبْنَا وَلِرَحْمَتِكَ رَجَوْنَا وَمِنْ عَذَابِكَ أَسْفَقْنَا وَلِغُفْرَانِكَ
تَعَرَّضْنَا. اللَّهُمَّ أَحْيِي قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَن بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ
يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالتَّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِطُفُفِكَ
وَإِحْسَانِكَ، وَتَجَاوَزْ عَن جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

هَذِهِ قَصِيدَةٌ تَحْتَوِي عَلَى الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا
وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ .

تَفْتُ فُوَادَكَ الْأَيَّامُ فَتًا
وَتَنَحْتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا

وَتَدْعُوكَ الْمَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ
 أَلَا يَا صَاحِبَ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا
 أَرَاكَ تُحِبُّ عَرَسًا ذَاتَ غَدْرِ
 أَبَتَّ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتًّا
 تَنَامُ الدَّهْرَ، وَيَحْكُ، فِي غَطِيطٍ
 بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ أَنْتَبَهْتَا
 فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ فَحَتَّى
 مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى؟!
 أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَ
 إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا
 إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا
 مُطَاعًا، إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا
 وَيَجْلُو مَا بَعَيْنِكَ مِنْ غِشَاءٍ
 وَيَهْدِيكَ الصِّرَاطَ إِذَا ضَلَلْتَا
 وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا
 وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا آغْتَرَبْتَا
 يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا
 وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا
 هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَكْبُو
 تَنَالُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا
 وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا
 خَفِيفُ الْحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا
 يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ

وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدَتَا
فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلَوَاهُ طَعْمًا
لَأَثَرْتَ التَّعَلُّمَ واجْتَهَدَتَا
وَلَمْ يَشْفَعْكَ عَنْهُ هَوَى مُطَاعٍ
وَلَا دُنْيَا بِزُخْرِفِهَا فُتِنَتَا
وَلَا يُلْهِيكَ عَنْهُ أُنْيَقُ رَوْضٍ
وَلَا خَوْدٌ بِزِينَتِهَا كُفِلَتَا
فَقُوتُ الرُّوحِ أَزْوَاحِ المَعَالِي
وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْتَا
فَوَاطِبُهُ ، وَحُدُّ بِالْجِدِّ فِيهِ
فَإِنْ أَعْطَاكَه البَارِي أَخَذَتَا
وَإِنْ أُوتِيَتْ فِيهِ بِطُولِ بَاعٍ
وَقَالَ النَّاسُ : إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا
فَلَا تَأْمَنُ سُؤَالَ اللّهِ فِيهِ
بِتَوْبِيخٍ ، عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْتَا؟!
فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللّهِ حَقًّا
وَلَيْسَ بِأَنْ تَعَالَى أَوْ رَأْسَتَا
وَضَافِي ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَا أَنْ
تُرى ثَوْبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا
وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهَمُّكَ فِي مَهَاوٍ
فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهَمْتَا
إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْرًا
فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهَلْتَا
سَتَجْنِي مِنْ ثَمَارِ اللّهُوِ جَهْلًا

وَتَضْفُرُ فِي الْعُيُونِ إِذَا كَبَّرْنَا
وَتُفْقَدُ إِنْ جَهَلْتَ ، وَأَنْتَ بَاقٍ
وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ إِذَا فُقِدْنَا
سَتَذْكُرُ لِلنَّصِيحَةِ بَعْدَ حِينٍ
وَتَطْلُبُهَا إِذَا عَنَّا سُفِلْنَا
وَسَوْفَ تَعْصُ مِنْ نَدَمِ عَلَيْهَا
وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةَ إِنْ نَدِمْنَا
إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ
وَقَدْ رُفِعُوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ سُفِلْنَا
فِرَاجِعِهَا وَدَعِ عَنكَ الْهُوَيْنَا
فَمَا بِالْبُطْءِ تُذْرِكُ مَا طَلَبْنَا
وَلَا تَحْفِلُ بِمَالِكَ ، وَالْهُ عَنْهُ
فَلَيْسَ الْمَالُ إِلَّا مَا عَلِمْنَا
وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَغْنَى
وَلَوْ مُلْكُ الْأَنْامِ لَهُ تَأْتَى
سَيَنْطِقُ عَنْكَ مَالِكَ فِي نَدْيٍ
وَيَكْتُبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَبْنَا
وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ الْمَبَانِي
إِذَا بِالْجَهْلِ دِينَكَ قَدْ هَدَمْنَا
جَعَلْتَ الْمَالَ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا
لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْنَا
وَيَيْنَهُمَا بِنَهْرِ الْوَحْيِ فَرَقُ
سَتَعْلَمُهُ إِذَا « طَه » قَرَأْنَا

لَيْسَ رَفَعَ الْغَنِيِّ لِنَوَاءِ مَالٍ
فَأَنْتَ لِنَوَاءِ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَا
وَأَنْ جَلَسَ الْغَنِيُّ عَلَى الْحَشَايَا
فَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا
وَأَنْ رَكِبَ الْجِيَادَ مُبَسَّوْمَاتٍ
فَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا
وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الْغَوَانِي
فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الْحِكْمِ افْتَضُّتَا
وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الْإِقْتِبَارُ شَيْئاً
إِذَا مَا أَنْتَ رَبُّكَ قَدْ عَرَفْتَا
فِيَا مَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَزِيلٍ
إِذَا بِفِنَاءٍ طَاعَتِهِ أَنْخَتَا
فَقَابِلٍ بِالْقَبُولِ صَحِيحٍ نُضْجِي
وَأَنْ أُعْرِضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا
وَأَنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلاً
وَعَامَلْتَ الْإِلَهَ بِهِ رِبْحْتَا
فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ
تَسْوُوكَ حُقْبَةً ، وَتَسُرُّ وَقْتَا
وَعَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا
كَفَيْتِكَ ، أَوْ كَحُلْمِكَ إِنْ رَقَدْتَا
سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُجِبٌّ ،
فَكَيْفَ تُحِبُّ مَنْ فِيهَا سُجِنْتَا؟!
وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَلِيلٍ

سَتُطْعَمُ مِنْكَ مَا مِنْهَا طَعِمْتَا
وَتَعْرِى إِنْ لَيْسَتْ بِهَا ثِيَاباً
وَتُكْسَى إِنْ مَلَأْسَهَا خَلَعْتَا
وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنِ خَلٍّ
كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ بِمَا شَهِدْتَا
وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرْهَا، وَلَكِنْ
لِتَعْبُرْهَا، فَجِدْ لِمَا خُلِقْتَا
وَإِنْ هُدِمْتَ فَرِزْدَمَا أَنْتَ هَدْمًا
وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَا
وَلَا تَحْزَنْ لِمَا قَدْ فَاتَ مِنْهَا
إِذَا مَا أَنْتَ فِي أُخْرَاكَ فُرْتَا
فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا
مَنْ الْفَائِي إِذَا الْبَاقِي حُرِمْتَا
وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ جَهْلًا
فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَا
وَكَيْفَ بِكَ السُّرُورُ وَأَنْتَ رَهْنُ
وَلَا تَدْرِي غَدًا أَنْ لَوْ غُلِبْتَا؟!
وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا
وَأَخْلِصْ فِي الدُّعَاءِ إِذَا سَأَلْتَا
وَنَادِ إِذْ سُجِنْتَ بِهِ اعْتِرَافًا
كَمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ بِنُ مَتَّى
وَلَا زِمَ بَابَهُ قَرَعًا عَسَاهُ
سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا

وَأَكْثُرُ ذِكْرَهُ فِي الْأَرْضِ دَابًّا
 لِتُذَكَّرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَنَا
 وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ أَمْتِهَالُ
 وَفَكِّرْ، كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَنَا
 وَقُلْ لِي : يَا نَصِيحِي لَأَنْتَ أَوْلَى
 بِنُصْحِكَ، إِذْ بِعَقْلِكَ قَدْ عُرِفْنَا
 فَتَعَذَّلْنِي عَنِ التَّفْرِيطِ يَوْمًا
 وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْنَا
 وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي الْمَنَايَا
 وَمَا تَجْرِي بِبَالِكَ حِينَ شِخْتَنَا
 وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا
 فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نُكِسْنَا
 وَهَذَا أَنَا لَمْ أَخْضِرْ بَحْرَ الْخَطَايَا
 كَمَا قَدْ خُضَّتْهُ حَتَّى عَرِفْنَا
 وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيًّا أَمْ دَفِرْ
 وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَنَا
 وَلَمْ أَحْلِلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ
 وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ، وَأَنْتَ هَكُنَّا
 وَلَمْ أَنْشَأْ بَعْضِرٍ فِيهِ نَفْعٌ
 وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ، فَمَا أَنْتَفَعْنَا
 وَنَادَاكَ الْكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ
 وَنَبَّهَكَ الْمَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْنَا
 وَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كَثِيرًا

فَلَمْ أُرَكَ انْتَفَعْتَ بِمَنْ صَحِيحَتَا
وَيَبُحُ بِالْفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي
وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَى
فَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي
وَلَوْ سَكَتَ الْمُسِيءُ لَمَا نَطَقْنَا
فَنَفْسِكَ ذُمَّ، لَا تَذُمَّمُ سِوَاهَا
بِعَيْبٍ، فَهِيَ أَجْدَرُ إِنْ ذَمَّمْنَا
وَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا
لِذَنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْنَا
فَمَنْ لَكَ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ
أَمِرْتِ، فَمَا ائْتَمَرْتِ، وَلَا أُطَعْنَا
فَسِرْتِ الْقَهْقَرَى، وَخَبِطْتَ عَشْوًا
لَعَمْرُكَ لَوْ وَصِلْتَ لَمَا رَجَعْنَا
ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَسْتَ تَخْشَى
لِجَهْلِكَ أَنْ تَخِيفَ إِذَا وُزِنْنَا
وَلَوْ وَافَيْتَ رَبِّكَ دُونَ ذَنْبٍ
وَنَاقَشَكَ الْحِسَابَ إِذَا هَلَكْنَا
وَلَمْ يَظْلَمَكَ فِي عَمَلٍ، وَلَكِنْ
عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْنَا
تَوَجُّعٌ لِلْمَصِيرِ عَلَى الْخَطَايَا
وَتَرْحَمُهُ، وَنَفْسِكَ مَا رَجَمْنَا
وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الْفَضْلِ فَرْدًا
وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى

لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا
على ما في حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْنَا
تَفِيرٌ مِنَ الْهَجِيرِ وَتَتَقِيهِ
فَهَلَّا مِنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْنَا !!
وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَانَهَا عَذَابًا
ولو كُنْتَ الْحَدِيدَ بِهَا لَذَبْنَا
ولا تَكْذِبْ، فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ
وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ، وَمَا ظَنَنْتَا
أَبَا بَكْرٍ، كَشَفْتَ أَقْلَ عَيْبِي
وما اسْتَعْظَمْتَهُ مِنْهَا سَتَرْنَا
فَقُلْ مَا شِئْتَ فِي مِنَ الْمَخَازِي
وضاعِفْهَا، فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْنَا
وَمَهْمَا عَيْبَتَنِي فَلِفَرِّطِ عِلْمِي
بباطِنِي كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا
ولا تَرْضَى الْمَعَائِبَ فَهِيَ عَارٌ
عَظِيمٌ، يُورِثُ الْإِنْسَانَ مَقْتًا
وَتَهْوَى بِالْوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا
وَتُبَدِّلُهُ مَكَانَ الْفَوْقِ تَحْتَا
كَذَا الطَّاعَاتُ تُبَلِّغُكَ الدَّرَارِي
وَتَجْعَلُكَ الْقَرِيبَ، وَإِنْ بَعُدْتَا
وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا
فَتَلْقَى الْبِرَّ فِيهَا حَيْثُ تُشْتَا
وَتُمِيبِي فِي مَسَاكِينِهَا عَزِيزًا

وَتَجْنِي الْحَمْدَ مِمَّا قَدْ غَرَسْنَا
 وَأَنْتَ الْيَوْمَ لَمْ تُعْرِفْ بِعَيْنٍ
 وَلَا دَنْسَتْ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْنَا
 وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ
 وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ ، وَلَا خَبَبْنَا
 فَإِنْ لَمْ تَنَأْ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ
 فَمَنْ لَكَ بِالْخَلَّاصِ إِذَا نَشِبْنَا؟!
 وَدُنِسَ مِنْكَ مَا طَهَّرْتَ حَتَّى
 كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهَّرْنَا
 وَصِرْتَ أُسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وِثَاقٍ
 وَكَيْفَ لَكَ الْفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْنَا؟!
 فَخَفَ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ ، وَأَخْشَ مِنْهُمْ
 كَمَا تَخْشَى الضَّرَاعِمَ وَالسَّبَبْنَا
 فَخَالِطْهُمْ ، وَزَايِلْهُمْ جِدَارًا
 وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ إِذَا لُمَسْنَا
 وَإِنْ جَاهَلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ : سَلَامٌ
 لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلِمُ إِنْ سَلِمْنَا
 وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ
 يُزَلُّ الْعُضْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْنَا
 وَلَا تَلْبِثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ
 يُمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُيِّمْنَا
 فَغَرِّبْ ، فَالْتَّغَرَّبْ فِيهِ خَيْرٌ
 وَشَرِّقْ إِنْ بِرَيْقِكَ قَدْ شَرِقْنَا

فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُبْرًا
 فَأَنْتَ بِهَا الْأَمِيرُ إِذَا زَهَدْنَا
 فَلَوْ فَوْقَ الْأَمِيرِ يَكُونُ عَالٍ
 عُلُوًّا وَارْتِفَاعًا كُنْتَ أَنْتَا
 فَإِنْ فَارَقْتَهَا ، وَخَرَجْتَ مِنْهَا
 إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، فَقَدْ سَلِمْنَا
 وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا ، وَنَظَرْتَ فِيهَا
 بِإِجْلَالٍ ، فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا
 جَمَعْتَ لَكَ النَّصَائِحَ فَاثْمَلْتَهَا
 حَيَاتِكَ ، فَهِيَ أَفْضَلُ مَا امْتَلْتَا
 وَطَوَّلْتَ الْعِتَابَ ، وَزِدْتَ فِيهِ
 لِأَنَّكَ فِي الْبَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

فَلَا تَأْخُذْ بِتَقْصِيرِي وَسَهْوِي وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رُشِدْتَا
 وَقَدْ أَرْفَقْتُهَا سِتًّا حَسَنًا فَكَأَنَّا قَبْلَ ذَا مِائَةٍ وَسِتًّا
 وَصَلَّى اللَّهُ مَا أَوْرَقَ نَضَارٌ عَلَى الْخِتَارِ فِي شَجَرٍ وَحْنَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ
 يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ نَسَأُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : عباد الله سيصحو السكران من سكره ، حين لا يمكنه تلافي
 أمره وسيندم المضيع على تضييعه ، إذا قابله أمر صنيعة ، وسيقتصر الأمل من
 أمله وقت هجوم أجله ، وتعذر الزيادة في عمله ، والخروج من بين ماله وأهله .

هَنَالِكَ يَسْتَحِيلُ حُلُوُ الْعَيْشِ مُرًّا وَيُنْقَلِبُ عُرْفُ الْأَمْرِ نُكْرًا ، وَيَعْلَمُ
جَامِعُ الْحَطَامِ الَّذِي أَضَاعَ بِهِ أَوْقَاتَهُ أَنْ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ أَبْقَى ذِكْرًا وَأَنْفَعُ
ذُخْرًا ، لَيْسَ فِي ظِلِّ الدُّنْيَا مَقِيلٌ وَلَا عَلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ تَعْوِيلٌ .

كَيْفَ يَطْمَعُ عَاقِلٌ فِي الْإِقَامَةِ بَدَارِ الرَّحِيلِ ، كَيْفَ يَضْحَكُ مَنْ هُوَ
مُخْفُوفٌ بِمُوجِبَاتِ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ ، أَسْمَعَنَا النَّاصِحُ فَتَصَامَمْنَا ، وَأَيْقَظُنَا الْغَيْرُ
فَتَنَاوَمْنَا ، وَرَضِينَا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ، وَاشْتَرَيْنَا مَا يَفْنَى بِمَا يَبْقَى فَتَلِكَ
إِذَا صَفَقَةٌ خَاسِرَةٌ .

أَيْنَ الْآذَانُ الْوَاعِيَةِ ، أَيْنَ الْأَعْيُنُ الْبَاكِيةِ ، قَوْلٌ بَلَا فِعَالٌ وَأَمْرٌ
بَلَا امْتِثَالٍ ، رُسُلُ مَلِكِ الْمَوْتِ فِي كُلِّ نَفْسٍ تَدْنُونَهَا إِلَى أَنْفُسِنَا وَأَجْسَادُ أَحِبَّتِنَا تَحْتَ
أَطْبَاقِ الثَّرَى هَامِدَةٌ .

قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ دِيَارُهُمْ ، وَدَرَسَتْ رُسُومُهُمْ وَأَثَارُهُمْ ، وَتَقَطَّعَتْ
بِالْبَلَاءِ أَوْصَالُهُمْ ، وَمَحَتْ أَيْدِي الْحَوَادِثِ وَالْقُبُورِ مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّورِ ،
وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ ضُلَمَاتُ تِلْكَ الْحُفْرِ .

فَلَا شَمْسٌ فِيهَا وَلَا نُورٌ وَلَا قَمَرٌ ، وَنَحْنُ عَمَّا قَرِيبَ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ
صَائِرُونَ ، وَبِالْكَأْسِ الَّذِي شَرَبُوا مِنْهُ شَارِبُونَ ثُمَّ مَعَ هَذَا الْيَقِينِ إِلَى دَارِ
الْغُرُورِ رَاكِنُونَ .

طُوبَى لِمَنْ فِي مَرَاضِي رَبِّهِ رَغْبًا وَعَنْ مَصَارِعِ أَهْلِ اللَّهْوِ قَدْ هَرَبًا
قَدْ وَطَنَ النَّفْسَ أَنْ اللَّهَ سَأَلَهُ فَفَرَّ مِنْهُ إِلَيْهِ مَهْيَا هَرَبًا
وَلِلَّتَّقِي مَرْكَبٌ يَنْجُو بِرَاكِبِهِ فَيَانَجَاةَ الَّذِي مَعَ أَهْلِهِ رَكِبًا
وَلِلْهُدَى رُفْقَةٌ فَاسْعَدُ بِصُحْبَتِهِمْ فَيَاسْعَادَةَ مَنْ أَهْلَ الْهُدَى صَحْبًا
لِلَّهِ دَرٌّ عِبَادِ قُرْبَهُ طَلَبُوا لَمْ يَطْلُبُوا فَضَّةً مِنْهُ وَلَا ذَهَبًا
سَارُوا بِعِزْمٍ وَتَشْمِيرٍ وَمَا أَخَذُوا فِي سَيْرِ دُنْيَاهُمْ هَوًّا وَلَا لَعِبًا

الصِّدْقُ مَرْكُبُهُمُ وَالْحَقُّ مَطْلَبُهُمْ لَا زُورَ مَا زَجَّ دَعْوَاهُمْ وَلَا كَذِبًا
 اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَأَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي عِلْمِنَا وَأَعْمَلِنَا
 وَأَعْمَارِنَا وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

ومما ورد في فضل العلم والحث على تعلمه وتعليمه ما يلي من الأحاديث :

١ - فعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . رواه البخاري ومسلم .

٢ - وعن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهْهُ فِي الدِّينِ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ » . رواه البيهقي والطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ يَسَّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » . رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما .

٤ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ . وَفَضَّلَ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَّلَ الْقَمَرَ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ . وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ » . رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي .

٥ - وعن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكئ على برذ له أحر ، فقلت له يا رسول الله إني جئت أطلب العلم ، فقال : « مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ إِنْ طَالِبَ الْعِلْمِ تَحَفَّهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا ، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِمَا يَطْلُبُ » . رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد . وروى ابن ماجه نحوه باختصار ويأتي لفظه إن شاء الله تعالى .

تَرَفَّقَ بِمَنْ يَأْتِيكَ لِلْعِلْمِ طَالِبًا
فَهَذَا الَّذِي أَوْصَى بِهِ سَيِّدُ الْوَرَى
وَمَنْ سَهَّلَ اللَّهُ الطَّرِيقَ لِحِجَّةِ
آخِرٍ : مُنَايَ مِنَ النِّيَا عُلُومٍ أَبْتَهَا
دُعَاءٌ إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي
وَقَدْ أَبْدَلُوهَا بِالْجَرَائِدِ تَارَةً
وَمُذْيَاعِهِمْ أَيْضًا فَلَا تَنْسَ شَرَّهُ
وَقُلْ مَرْحَبًا يَا طَالِبَ الْعِلْمِ مَرْحَبًا
كَمَا قَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ عَنْهُ وَرَحَبًا
لَهُ الْجَدِيدُ بِالتَّرْحُبِ وَالْحَبَا
وَأَنْشُرُهَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
تَنَاسَى رِجَالٌ ذِكْرَهَا فِي الْمَحَاضِرِ
وَتَلْفَازِهِمْ رَأْسُ الشُّرُورِ الْمَنَآكِرِ
فَكَمْ ضَاعَ مِنْ وَقْتٍ بِهِ بِالْحَسَائِرِ
وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلَّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالذَّهَبِ » . رواه ابن ماجه وغيره .

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَاءَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِقِيَّ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّينَ إِلَّا دَرَجَةُ النَّبُوَّةِ » . رواه الطبراني في الأوسط .

٦- وَرُوِيَ عَنْ سَخْبَرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَذْكُرُ ، فَقَالَ اجْلِسَا فَإِنِكُمَا عَلَى خَيْرٍ ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ قَامَا فَقَالَا يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّكَ قُلْتَ لَنَا اجْلِسَا فَإِنِكُمَا عَلَى خَيْرِ أَلْنَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً . فَقَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا كَانَ كُفَّارَةً مَا تَقَدَّمَ » . رواه الترمذي مختصراً والطبراني في الكبير واللفظ له .

مختصراً والطبراني في الكبير واللفظ له . قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَنْ غَرَسَ الْعِلْمَ اجْتَنَى النَّبَاهَةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الزُّهْدَ اجْتَنَى الْعِزَّةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْإِحْسَانَ اجْتَنَى الْحَبَّةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْفِكْرَةَ اجْتَنَى الْحِكْمَةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْوَقَارَ اجْتَنَى الْمَهَابَةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْمَدَارَةَ اجْتَنَى السَّلَامَةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْكِبَرَ اجْتَنَى الْمُقْتَتَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْحِرْصَ اجْتَنَى الدَّلَّةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الطَّمَعَ اجْتَنَى الْخِزْيَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْحَسَدَ اجْتَنَى الْحُزْنَ وَالْكَمَدَ .

٧- وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَكْتَسَبَ مُكْتَسِبٌ مِثْلَ فَضْلِ عِلْمٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى ، أَوْ يُرُدُّهُ عَنْ رَدًى وَمَا اسْتَقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَمَلُهُ » . رواه الطبراني في الكبير واللفظ والصغير إلا أنه قال فيه : حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَقْلُهُ . واسنادُهُما متقارب .

٨- وَرُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا :

لِبَابٍ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ تَطَوُّعًا وَقَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مَاتَ وَهُوَ شَهِيدٌ » . رواه البزار والطبراني في الأوسط إلا أنه قال : خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ .

٩ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أبا ذَرٍّ لَأَنْ تَعُدُّوا فَتَعَلَّمُوا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ وَلَا أَنْ تَعُدُّوا فَتَعَلَّمُوا بِأَبًا مِنَ الْعِلْمِ عَمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ » . رواه ابن ماجه بإسنادٍ حَسَنٍ .

وَتُدْرِكُ رَاحَةَ رُوحًا وَجِسْمًا	شِعْرًا: إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْمُو وَتُسْمَى
لِتَتَّقُوا مَعْهُمُوا أَثْرًا وَرَسْمًا	فَقَمَّ لِطَرِيقِ أَهْلِ الْعِلْمِ سَعْيًا
ظَهَرَتْ بِأَكْبَرِ الشَّرَفَيْنِ قَسَمًا	فَإِنْ حَصَلَتْ مَطْلُوبًا وَإِلَّا
بِهِ يُهْدَى وَيُهْدَى مَنْ أَلَمَّا	فَاكْرَمُ مَا حَوَاهُ الْمَرْءُ عِلْمٌ
إِلَى الْعَلْيَاءِ يَسْرِي وَهُوَ أَعْمَى	وَلَيْسَ يُفِيدُ الْكَوْنَ عَبْدًا
وَأَذْهَبَ ظُلْمَةً وَأَزَالَ غَمًّا	فَكَمْ أَبْدَى ضِيَاءَ الْعِلْمِ رُشْدًا
بِهِ فِي رُشْدِنَا وَأَزَالَ غَمًّا	فَنَحْمَدُ رَبَّنَا إِذْ مَنْ لُطْفًا
وَمَا حَبْرٌ كَفَى بِمَا فِي الْمَحَابِرِ	آخِرُ: إِذَا مِتُّ فَاغْنِنِي إِلَى الْعِلْمِ وَالنَّهْيِ
إِذَا أَظْلَمَتْ بِالْقَوْمِ طُرُقُ الْبَصَائِرِ	فَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ بِهِمْ يَضْحُ الْهُدَى

١٠ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونَةٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا » . رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديثٌ حَسَنٌ .

١١ - وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَاسْلَطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ »

ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها . رواه البخاري ومسلم .
 ١٢ - وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلاً والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تبتئ كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » . رواه البخاري ومسلم .

شعرا :

إِعْمَلْ بِعِلْمِكَ تُؤْتِ حِكْمَةً إِنَّمَا جَدَوَى عُلُومِ الْمَرْءِ نَهَجَ الْأَقْوَمِ
 وَإِذَا الْفَتَى قَدْ نَالَ عِلْمًا ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ

آخر : وأعلم بأن العلم أرفع رتبة
 وأجل مكتسباً وأسنى مفخر
 فأسلك سبيل المقتفين له تسد
 إن السيادة تفتى بالدفت
 والعالم المدعوو خبراً إنما
 سماه باسم الخبر حمل الخبر
 تسماً إلى ذي العلم أبصار الورى
 وتغض عن ذي الجهل لا بل تزدي
 ومضمراً الأعلام يبلغ أهلها
 ما ليس يبلغ بالعناق الضمير
 والعلم ليس بنافع أربابه

مَا لَمْ يُفِدْ عَمَلًا وَحُسْنَ تَبَصُّرٍ
فَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ تُوفِ نَفْسَكَ وَزَنَّا
لَا تَرْضَى بِالتَّضْيِيعِ وَزْنَ الْمَخْسِرِ
آخِر :

وَبَحَّتْ غَيْرَكَ بِالْعَمَى فَأَفْذَتْهُ
كَفْتِيلَةَ الْمِصْبَاحِ تَحْرِقُ نَفْسَهَا
وَبَصْرًا وَأَنْتَ مُحَسِّنٌ لِعَمَّاكَ
وَتُضْيِئُ لِلْأَعْمَى وَأَنْتَ كَذَاكَ
آخِر :

جَزَى اللَّهُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ مَثُوبَةً
فَلَوْلَا اعْتِنَاهُمْ بِالْحَدِيثِ وَحِفْظِهِ
وَبَوَّأَهُمْ فِي الْخُلْدِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ
وَنَفِيَهُمْ عَنْهُ ضُرُوبَ الْأَبَاطِلِ
وَانْفَاقِهِمْ أَعْمَارَهُمْ فِي طِلَابِهِ
وَبَحْثِهِمْ عَنْهُ بِجِدِّ مُوَاصِلِ
لَمَّا كَانَ يَدْرِي مَنْ غَدَا مُتَّفَقَهَا
صَحِيحَ حَدِيثٍ مِنْ سَقِيمٍ وَبَاطِلِ
وَلَمْ يَسْتَبِنْ مَا كَانَ فِي الذِّكْرِ مُجْمَلًا
وَلَمْ نَدْرِي فَرَضًا مِنْ عُمُومِ النَّوَافِلِ
لَقَدْ بَدَلُوا فِيهِ نَفُوسًا نَفِيسَةً
وَبَاعُوا بِحِطِّ آجِلٍ كُلَّ عَاجِلِ
فَحُبُّهُمْ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
وَلَيْسَ يُعَادِيهِمْ سِوَى كُلِّ جَاهِلِ

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِمَعْرِفَتِكَ بِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَأَفْعَالِكَ وَأَرْزُقْنَا الرِّضَا
بِقَضَائِكَ وَقَدْرِكَ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْكَ فِي كُلِّ ضَيْقٍ وَسَعَةٍ وَشِدَّةٍ وَرَخَاءٍ وَكُلِّ
مَاتِسَرٍّ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَجَنَّبْنَا جَمِيعَ مَا يُغْضِبُكَ
يَا كَرِيمُ وَأَعِزَّنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالْجَحِيمِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فصل ١١)

١٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشْرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، أَوْ مَضْحَفًا وَرَثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ

السيبلِ بناه أو نهراً أجزأه أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته
تلحقه من بعد موته» . رواه ابن ماجه باسنادٍ حسنٍ والبيهقي .

١٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة
جارية أو علم ينتفع الناس به ، أو ولد صالح يدعو له » . رواه مسلم
وغيره .

١٥ - وعن أبي أمامة قال : ذكّر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلان : أحدهما عابدٌ ، والآخر عالمٌ ، فقال عليه أفضل الصلاة
والسلام : « فضل العالم على العابد كفضل علي أذنكم » ، ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض
حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير » .
رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . ورواه البزار من حديث عائشة
مختصراً قال : معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر .

١٦ - وروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« ما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في دين وفقهه واحد أشد على الشيطان
من ألف عابدٍ ولكل شيء عمادٌ ، وعماد هذا الدين الفقه ، وقال : أبو
هريرة لأن أجلس ساعة فأفقه أحب إلي من أن أحيي ليلة القدر . رواه
الدارقطني والبيهقي إلا أنه قال : أحب إلي من أن أحيي ليلة إلى
الصباح ، وقال . المحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري .

شعراً: تعلم يافتى والعود رطبٌ وطينك لين والعمر قابل
وحسبك يافتى شرفاً وفخرًا سكوته الحاضرين وأنت قائل

١٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف
عليها ، فقال يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة؟

قَالَ ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُقَسَّمُ وَأَنْتُمْ هَاهُنَا ،
 إِلَّا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ . قَالُوا وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ فِي الْمَسْجِدِ
 فَخَرَجُوا سِرَاعاً وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا
 يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا فِيهِ فَلَمْ نَرِ فِيهِ شَيْئاً يُقَسَّمُ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو
 هُرَيْرَةَ : وَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَداً قَالُوا بلى رَأَيْنَا قوماً يُصَلُّونَ ، وَقوماً
 يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَقوماً يَتَذَكَّرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَيَحْكُمُ
 فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه الطبراني في الأوسطِ بِإِسْنَادٍ
 حَسَنٍ .

١٨ - وعن جابرٍ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم العِلْمُ
 عِلْمَانِ : عِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَاكَ حُجَّةُ
 اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ . رواه أبو بكرٍ الخطيبُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ . ورواهُ ابنُ عبدِ
 البرِّ النَّمِرِيُّ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلاً بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

شِعْرًا: لَا خَيْرَ فِي الْعِلْمِ إِنْ لَمْ يَرْقُ صَاحِبُهُ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي الصُّغَرِ
 كَمْ عَالِمٍ فَاسِدٌ ضَلَّتْ مَذَاهِبُهُ وَقَدْ غَدَا عِلْمُهُ شَرًّا عَلَى الْبَشَرِ
 إِبْلِيسُ أَعْلَمُ الْفِسْقِ قَاطِبَةً وَالنَّاسُ تَلْعَنُهُ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
 الْعِلْمُ كَالْعَيْثِ وَالْأَخْلَاقُ مَزْرَعَةٌ إِنْ تَحَبَّثِ الْأَرْضُ تَذَهَبَ نِعْمَةُ الْمَطَرِ
 وَالْجَهْلُ أَفْضَلُ مِنْ عِلْمٍ يُدْنِسُهُ نُضِجُ الرِّذِيلَةَ مِنْ أَخْلَاقٍ مُقْتَدِرِ

١٩ - وعن زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ : الْعِلْمُ . قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
 إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ . رواهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ
 وَابْنُ مَاجَهٍ وَاللَّفْظُ لَهُ ، وَابْنُ جِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ
 الْإِسْنَادِ .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ
 الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِمَجْلِسَيْنِ أَحَدُهُمَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَالْآخَرُونَ يَتَفَقَّهُونَ ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِلَا مَجْلِسَيْنِ عَلَى خَيْرٍ وَأَحَدُهُمَا أَحَبُّ
 إِلَيَّ مِنْ صَاحِبِهِ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَذْكُرُونَهُ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ
 وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ وَأَمَّا الْمَجْلِسُ الْآخَرُ فَيَتَعَلَّمُونَ الْفِقْهَ وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ وَإِنَّمَا
 يُعِثُّ مُعَلِّمًا وَجَلَسَ إِلَى الْفِقْهِ وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
 قَالَ خِيَارُ أُمَّتِي عُلَمَاؤُهَا وَخِيَارُ عُلَمَائِهَا فَفَهَاؤُهَا .

يَمُوتُ قَوْمٌ وَيُحْيِي الْعِلْمَ ذِكْرُهُمْ وَالْجَهْلُ يُلْحِقُ أَحْيَاءَ بِأَمْوَاتِ
 آخِر: تَعَلَّمْ فَإِنَّ الْعِلْمَ زِينٌ لِأَهْلِهِ

وَفَضْلٌ وَعَنْوَانٌ لِكُلِّ الْمَحَامِدِ
 وَكُنْ مُسْتَفِيدًا كُلَّ يَوْمٍ زِيَادَةً

مِنَ الْعِلْمِ وَاسْبِغْ فِي بُحُورِ الْفَوَائِدِ
 تَفَقَّهُ فَإِنَّ الْفِقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٍ

إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعْدَلُ قَاصِدٍ
 هُوَ الْعِلْمُ الْهَادِي إِلَى سُنَنِ الْهُدَى

هُوَ الْحِصْنُ يُنْجِي مِنْ جَمِيعِ الشَّدَائِدِ
 فَإِنَّ فِقْهَهَا وَاجِدًا مُتَوَرَعًا

أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ
 آخِر:

وَعَابَ سَمَاعِي لِلْحَدِيثِ بُعِيدَمَا كَبُرَتْ أَنَاسٌ هُمْ إِلَى الْعَيْبِ أَقْرَبُ
 وَقَالُوا إِمَامٌ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ يَرُوحُ وَيَعْدُ سَامِعًا يَتَطَلَّبُ
 فَقُلْتُ مَجِيبًا عَنِ مَقَالَتِهِمْ وَقَدْ غَدَوْتُ لِجَهْلٍ مِنْهُمْ أَنْعَجِبُ
 إِذَا اسْتَدْرَكَ الْإِنْسَانَ مَا فَاتَ مِنْ عَلَا فَلِلْحَزْمِ يُعْزَى لَا إِلَى الْجَهْلِ يُنْسَبُ
 آخِر: يَلُومُونِي إِنْ رُحْتُ فِي الْعِلْمِ دَائِبًا أَجْمَعُ مِنْ عِنْدِ الرُّوَاةِ فُنُونَهُ

فِيَا عَاذِلِي دَعْنِي أَعَالِي بَقِيْمَتِي فَقِيْمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يَحْسِنُوْنَهُ

آخر : ذُوُوا الْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا نُجُوْمٌ هِدَايَةٌ
إِذَا غَابَ نَجْمٌ لَاحَ بَعْدَ جَدِيْدٍ
بِهِمْ عَزَّ دِيْنُ اللَّهِ طُرّاً وَهُمْ لَهُ
مَعَاقِلٌ مِنْ أَعْدَائِهِ وَجُنُوْدٌ
آخر :

وَمَا أَنَا بِالْغَيْرَانِ مِنْ دُونِ جَارَتِي إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِحْ غَيْرُوراً عَلَى الْعِلْمِ
آخر :

أَرَى الْعِلْمَ أَعْلَى رُتْبَةً فِي الْمَرَاتِبِ
فَذُو الْعِلْمِ يَبْقَى عِزُّهُ مُتَضَاعِفاً
فَهَيْهَاتَ لَا يَرْجُو مَدَاهُ مَنْ ارْتَقَى
سَأْمَلِي عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا فِيهِ فَاسْمَعُوا
هُوَ النُّورُ كُلُّ النُّورِ يَهْدِي عَنِ الْعَمَى
هُوَ الذَّرْوَةُ السَّمَاءِ تَحْمِي مَنْ التَّجَا
بِهِ يَنْتَجِي وَالنَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ
بِهِ يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ رَاحٍ عَاصِيَا
فَمَنْ رَامَهُ رَامَ الْمَارِبَ كُلَّهَا
هُوَ الْمَنْصِبُ الْعَالِي فَيَا صَاحِبَ الْحِجَا
فَإِنْ فَاتَتْ الدُّنْيَا وَطِيْبُ نَعِيْمِهَا
آخر :

وَمِنْ دُونِهِ عِزُّ الْعُلَى فِي الْمَوَاكِبِ
وَذُو الْجَهْلِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ التَّرَائِبِ
رُقِيٍّ وَوَلِيٍّ الْمُلْكَ وَوَالِيٍّ الْكُتَائِبِ
فِي حَصْرٍ عَنْ ذِكْرٍ كُلِّ الْمَنَاقِبِ
وَذُو الْجَهْلِ مَرَّ الدَّهْرِ بَيْنَ الْغِيَاهِبِ ؛
إِلَيْهَا وَيَمْشِي آمِناً فِي النُّوَابِ
بِهِ يَرْتَجِي وَالرُّوحُ بَيْنَ التَّرَائِبِ
إِلَى دَرَكِ النِّيْرَانِ شَرِّ الْعَوَاقِبِ
وَمَنْ حَازَهُ قَدْ حَازَ كُلَّ الْمَطَالِبِ
إِذَا نَلَّتْهُ هَوْنٌ بَفُوتِ الْمَنَاصِبِ
[فَغَمَّضْ] فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ الْمَوَاهِبِ

الْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ
لَا تَحْسِبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ
كَمْ عَالِمٍ مَدَّ الْعُلُوْمَ حَبَائِلًا
تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الْإِخْفَاقِ
مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ بِخَلَاقِ
لَوْ قِيَعَةٍ وَقَطِيَعَةٍ وَفِرَاقِ

وَفَقِيهِ قَوْمٌ ظَلَّ يَرِصُدُ فَقَهَهُ
يَمْشِي وَقَدْ نُصِبَتْ عَلَيْهِ عَمَامَةٌ
وَطَيِّبِ قَوْمٌ قَدْ أَحَلَّ لِطَبِّهِ
قَتَلَ الْأَجِنَّةَ فِي الْبُطُونِ وَتَارَةً
أَخْرَجَ :
لَمَكِيدَةٍ أَوْ مُسْتَحِلِّ طَلَاقٍ
كَالْبُرْجِ لَكِنْ فَوْقَ تَلٍّ نَفَاقٍ
مَا لَا تُخْلُ شَرِيْعَةَ الْخَلْقِ
جَمَعَ الدَّرَاهِمَ مِنْ دَمٍ مِهْرَاقٍ

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
وَقِيْمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ
فَعِشْ بِعِلْمٍ تَفْرَحُ حَيًّا بِهِ أَبَدًا
عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
النَّاسِ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل ١٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ فِي الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ وَبَيَانِ عُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ
وَتَوْفِي كَمَالِ الْعَبْدِ وَنَجَاتِهِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ عَلَيْهِ .

قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ استشهد سبحانه بأولي
العلم على أجلّ مشهودٍ عليه وهو توحيدُهُ فقال ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ وهذا يدلُّ على فضلِ العلمِ
وأهله من وجوه . أحدها استشهادُهُم دونَ غيرِهِم من البَشَرِ ، والثاني
اقترانُ شهادَتِهِم بِشهادَتِهِ ، والثالثُ اقترانُها بِشهادةِ ملائِكَتِهِ ، والرابعُ أن في
ضِمْنِ هذا تَرْكِيبَهُمْ وَتَعْدِيلَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَشْهِدُ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا الْعُدُولَ
ومنه الأثرُ المعروفُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ
كُلِّ خَلْفِهِ عُدُولَهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ
الْجَاهِلِينَ .

والخامس: أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِكَوْنِهِمْ أَوْلَى الْعِلْمِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى
اِحْتِصَاصِهِمْ بِهِ وَأَنَّهُمْ أَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ لَيْسَ بِمُسْتَعَارٍ لَهُمْ .

السادس : أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ اسْتَشْهَدَ بِنَفْسِهِ وَهُوَ أَجَلُّ شَاهِدٍ ثُمَّ بِخِيَارِ
خَلْقِهِ وَهُمْ مَلَائِكَتُهُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَكْفِيهِمْ بِهَذَا فَضْلاً وَشَرَفاً .

السابع : أَنَّهُ اسْتَشْهَدَ بِهِمْ عَلَى أَجَلٍ مَشْهُودٍ بِهِ وَأَعْظَمِهِ وَأَكْبَرِهِ وَهُوَ
شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْعَظِيمُ الْقَدِيرُ إِنَّمَا يَسْتَشْهَدُ عَلَى الْأَمْرِ الْعَظِيمِ
أَكْبَرَ الْخَلْقِ وَسَادَاتِهِمْ .

الثامن : أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ جَعَلَ شَهَادَتَهُمْ حُجَّةً عَلَى الْمُنْكَرِينَ فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ
أَدْلَتِهِ وَأَيَاتِهِ وَبَرَاهِينِهِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ .

التاسع أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَفْرَدَ الْفِعْلَ الْمُتَضَمِّنَ لِهَذِهِ الشَّهَادَةِ الصَّادِرَةَ مِنْهُ
وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ وَمِنْهُمْ وَلَمْ يَعْطِفْ شَهَادَتَهُمْ بِفِعْلِ آخَرَ غَيْرِ شَهَادَتِهِ .

وهذا يدلُّ على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته فكأنه سبحانه شهد
لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة فكان هو الشاهد بها
لنفسه إقامة وإنطاقاً وتعليماً وهم الشاهدون بها له إقراراً واعترافاً وتصديقاً
وإيماناً .

العاشر : أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ جَعَلَهُمْ مُؤَدِّينَ لِحَقِّهِ عِنْدَ عِبَادِهِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ
فَإِذَا أَدَّوْهَا فَقَدْ أَدَّوْا الْحَقَّ الْمَشْهُودَ بِهِ فَثَبَّتَ الْحَقُّ الْمَشْهُودَ بِهِ فَوَجَبَ عَلَى
الْخَلْقِ الْإِقْرَارُ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ غَايَةَ سَعَادَتِهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ وَكُلُّ مَنْ
نَالَ الْهُدَى بِشَهَادَتِهِمْ وَأَقْرَبَ بِهَذَا الْحَقِّ بِسَبَبِ شَهَادَتِهِمْ فَلَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ
أَجْرِهِ أَيْضاً فَهَذِهِ عَشْرَةٌ أَوْجُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ .

الحادي عشر : فِي تَفْضِيلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ نَفَى التَّسْوِيَةَ بَيْنَ
أَهْلِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ كَمَا نَفَى التَّسْوِيَةَ بَيْنَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَأَصْحَابِ النَّارِ .

فقال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ كما قال تعالى ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ وهذا يدلُّ على غاية فضليهم وشرفهم .

الوجه الثاني عشر: أنه سبحانه جعل أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون فقال ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ مِمَّا نَزَّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ فما ثمَّ إلا عالمٌ أو أعمى وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم صمُّ بكم عمي في غير موضع من كتابه .

شعرا :

ما أفتح الجهل يدي عيب صاحبه للناظرين وعن عينيهِ يُخفيه
كذلك الثوم لا يشمنه آكله والناسُ تشتمُّ ثنَّ الرّيح من فيه

الوجه الثالث عشر : أنه سبحانه أخبر عن أولي العلم بأنهم يرون أن ما أنزل إليه من ربه حق وجعل هذا ثناء عليهم واستشهاداً بهم . فقال تعالى ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ .

الوجه الرابع عشر : أنه سبحانه أمر بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم وجعل ذلك كالشهادة منهم . فقال ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وأهل الذكر هم أهل العلم بما أنزل على الأنبياء .

الوجه الخامس عشر : أنه سبحانه شهد لأهل العلم شهادة في ضميرها الاستشهاد بهم على صحة ما أنزل الله على رسوله فقال تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ،

الوجه السادس عشر: أنه سبحانه سَلَى نَبِيَّهُ بِإِيمَانِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ .
 وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَغْبَأَ بِالْجَاهِلِينَ شَيْئاً . فقال تعالى : ﴿ وَقِرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى
 النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تَوْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا
 إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ وهذا شَرَفٌ عَظِيمٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَتَحْتَهُ أَنَّ أَهْلَهُ
 الْعَالِمُونَ قَدْ عَرَفُوهُ وَأَمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوا فَسِوَاءَ آمَنَ بِهِ غَيْرُهُمْ أَوْ لَا .

الوجه السابع عشر: أنه سبحانه مَدَحَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَأَثَنَى عَلَيْهِمْ
 وَشَرَّفَهُمْ بِأَنْ جَعَلَ كِتَابَهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِهِمْ وَهَذِهِ خَاصَّةٌ وَمَنْقَبَةٌ لَهُمْ
 دُونَ غَيْرِهِمْ . فقال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
 يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ .

وما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لِأَرْتَابِ
 الْمُبْطَلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
 إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ وَسِوَاءَ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّ الْقِرْآنَ مُسْتَقَرٌّ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ ثَابِتٌ فِيهَا مَحْفُوظٌ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فَيَكُونُ أَخْبَرَ عَنْهُ
 بِخَبْرَيْنِ . أَحَدُهُمَا أَنَّهُ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ . الثَّانِي أَنَّهُ مَحْفُوظٌ مُسْتَقَرٌّ ثَابِتٌ فِي صُدُورِ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ . أَوْ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّهُ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِهِمْ أَيْ كَوْنُهُ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ مَعْلُومٌ لَهُمْ ثَابِتٌ فِي صُدُورِهِمْ وَالْقَوْلَانِ مُتَلَازِمَانِ لَيْسَا
 بِمُخْتَلِفَيْنِ . وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَهُوَ مَدْحٌ لَهُمْ وَثَنَاءٌ عَلَيْهِمْ فِي ضَمْنِهِ الْإِسْتِشْهَادُ
 بِهِمْ فَتَأَمَّلْهُ .

الوجه الثامن عشر: أنه سبحانه أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَهُ مَزِيدَ الْعِلْمِ فَقَالَ
 تَعَالَى ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ
 وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْمًا ﴾ وَكَفَى بِهَذَا شَرَفًا لِلْعِلْمِ أَنْ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَهُ

المزِيد مِنْهُ . اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا وَارْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا .

شِعْرًا : الْعِلْمُ مُبْلِغُ قَوْمٍ ذُرْوَةَ الشَّرْفِ
وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّلْفِ
يَاصْحَابَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدْنِسُهُ
بِالمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلْفِ
الْعِلْمِ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ
وَالْجَهْلُ يَهْدُمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرْفِ

الوجهُ التاسعُ عَشَرَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ رَفْعِهِ دَرَجَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَالْإِيمَانِ خَاصَّةً . فَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي
الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

قَصِيدَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ :

يَا تَارِكًا لِمَرَاضِي اللَّهِ أَوْطَانًا
وَسَالِكًا فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ أَحْزَانًا
كُنْ بِإِذْنِ الْجِدِّ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ تَنْلُ
كُلَّ الْعُلُومِ وَكُنْ بِالْأَصْلِ مُشْتَانًا
فَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَطْلُوبٍ وَطَالِبُهُ
مِنْ أَكْمَلِ النَّاسِ مِيزَانًا وَرُجْحَانًا
وَالْعِلْمُ نُورٌ فَكُنْ بِالْعِلْمِ مُعْتَصِمًا
إِنْ رُمْتَ فَوْزًا لَدَى الرَّحْمَنِ مَوْلَانَا
وَهُوَ النَّجَاةُ وَفِيهِ الْخَيْرُ أَجْعَمُهُ
وَالْجَاهِلُونَ أَحْفُ النَّاسِ مِيزَانًا
وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا كَانَ مُنْخَفِضًا

والجهلُ يَخْفِضُهُ لو كان ما كانا
وأرفعُ الناسِ أهلُ العِلْمِ مَنْزِلَةً
وأوضعُ الناسِ مَنْ قد كان خَيْرَانَا
لا يَهْتَدِي لِطَرِيقِ الحَقِّ مِنْ عَمِهِ
بل كَانَ بِالْجَهْلِ مِمَّنْ نَالِ خُسْرَانَا
تَلْقَاهُ بَيْنَ الوَرَى بِالْجَهْلِ مُنْكَسِرًا
لا يَدْرِي مَا زَانَهُ فِي النَاسِ أَوْشَانَا
وَالْعِلْمُ يَرْفَعُهُ فَوْقَ الوَرَى دَرَجًا
وَالنَاسُ تَعْرِفُهُ بِالفَضْلِ إِذْعَانَا
وَطَالِبُ العِلْمِ إِنْ يَظْفَرُ بِبُغْيَتِهِ
يَنَالُ بِالعِلْمِ عُفْرَانَا وَرِضْوَانَا
فَاطْلُبْهُ مُجْتَهِدًا مَا عِشْتَ مُحْتَسِبًا
لا تَبْتَغِي بَدَلًا إِنْ كُنْتَ يَقْظَانَا
مَنْ نَالَهُ نَالَ فِي الدَّارَيْنِ مَنْزِلَةً
أَوْفَاتَهُ نَالَ خُسْرَانًا وَنُقْصَانَا
وَبَادِلُ الجِدِّ فِي تَحْصِيلِهِ زَمَانًا
وَلَمْ يَكُنْ نَالَ بَعْدَ الجِدِّ عِرْفَانَا
فَلَنْ يَضِيعَ لَهُ سَعْيٌ وَلَا عَمَلٌ
عِنْدَ الإِلَهِ وَلَا يُؤَلِّيهِ خُسْرَانَا
فَطَالِبُ العِلْمِ إِنْ أَصْفَى سَرِيرَتَهُ
يَنَالُ مِنَ رَبَّنَا عَفْوًا وَرِضْوَانَا
فَالْعِلْمُ يَرْفَعُهُ فِي الخُلْدِ مَنْزِلَةً
وَالْجَهْلُ يُضْلِيهِ يَوْمَ الحَشْرِ نِيرَانَا

وَالْجَهْلُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يُنْقِضُهُ
 وَالْعِلْمُ يَكْسُوهُ تَاجَ الْعِزِّ إِعْلَانًا
 وَإِنْ تُرِدْ نَهْجَ هَذَا الْعِلْمِ تَسَلُّكُهُ
 أَوْ رُؤْمَتَ يَوْمًا لِمَا قَدْ قُلْتَ بُرْهَانًا
 فَالْقِي سَمْعًا لِمَا أُبْدِي وَكُنْ يَقِظًا
 وَلَا تَكُنْ غَافِلًا عَنِ ذَاكَ كَسَلَانًا
 قَدْ أَلَّفَ الشَّيْخُ فِي التَّوْحِيدِ مُخْتَصِرًا
 يَكْفِي أَخَا اللَّبِّ إِضْحَاحًا وَتَبْيَانًا
 فِيهِ الْبَيَانُ لِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ بِمَا
 قَدْ يَفْعَلُ الْعَبْدُ لِلطَّاعَاتِ إِيْمَانًا
 حُبًّا وَخَوْفًا وَتَعْظِيمًا لَهُ وَرَجَا
 وَخَشْيَةً مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ إِذْعَانًا
 كَذَلِكَ نَذْرًا وَذَبْحًا وَاسْتِغَاثَتُنَا
 وَالِاسْتِعَانَةَ بِالْمَعْبُودِ مَوْلَانَا
 وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ
 لِيْلَهُ مِنْ طَاعَةٍ سِرًّا وَإِعْلَانًا
 وَفِيهِ تَوْحِيدُنَا رَبِّ الْعِبَادِ بِمَا
 قَدْ يَفْعَلُ اللَّهُ أَحْكَامًا وَإِتْقَانًا
 خَلْقًا وَرِزْقًا وَإِحْيَاءً وَمَمْقَدْرَةً
 بِالِاخْتِرَاعِ لِمَا قَدْ شَاءَ أَوْ كَانَا
 وَنَخْرُجُ الْأَمْرَ عَنِ طَوْقِ الْعِبَادِ لَهُ
 وَذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ أَعْظَمُ بِهِ شَأْنَا
 وَفِيهِ تَوْحِيدُنَا الرَّحْمَنَ أَنْ لَهُ

صِفَاتِ مَجْدٍ وَأَسْمَاءِ لِمَوْلَانَا
تَسَعُّ وَتَسْعُونَ إِسْمَاءً غَيْرَ مَا خَفِيَتْ
لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الْإِنْسَانُ حُسْبَانَا
مِمَّا بِهِ آسَتَأَثَرَ الرَّحْمَنُ خَالِقُنَا
أَوْ كَانَ عَلَّمَهُ الرَّحْمَنُ إِنْسَانَا
نَمِرُهَا كَيْفَ جَاءَتْ لَا نُكَيِّفُهَا
بَلْ لَا نُؤَوِّلُهَا تَأْوِيلَ مَنْ مَانَا
وَفِيهِ تَبْيَانُ إِشْرَاكِ يُنَاقِضُهُ
بَلْ مَا يُنَافِيهِ مِنْ كُفْرَانٍ مَنْ خَانَا
أَوْ كَانَ يَقْدَحُ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ بَدَعِ
شَنْعَاءِ أَحَدَثَهَا مَنْ كَانَ فَتَانَا
أَوِ الْمَعَاصِي الَّتِي تُزْرِي بِفَاعِلِهَا
مِمَّا يُنْقِصُ تَوْحِيدًا وَإِيمَانَا
فَسَاقَ أَنْوَاعِ تَوْحِيدِ الْإِلَهِ كَمَا
قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ مَنْ كَانَ يَقْظَانَا
وَسَاقَ فِيهِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَنْقُضُهُ
لِتَعْرِفَ الْحَقَّ بِالْأَضْدَادِ إِمْعَانَا
مُضْمِنًا كُلَّ بَابٍ مِنْ تَرَاجُمِهِ
مِنَ النُّصُوصِ أَحَادِيثًا وَقُرْآنَا
فَالشَيْخُ ضَمَّنَهُ مَا يَطْمَئِنُّ لَهُ
قَلْبُ الْمُؤَحِّدِ إِضْحَاحًا وَتَبْيَانَا
فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِهِ فِي الْأَصْلِ مُعْتَصِمًا
يُورِثُكَ فِيمَا سِوَاهُ اللَّهِ عِرْفَانَا

وَانظُرْ بِقَلْبِكَ فِي مَبْنَى تَرَاجُمِهِ
 تَلْقَى هُنَالِكَ لِلتَّحْقِيقِ عُنْوَانَا
 وَلِلْمَسَائِلِ فَاَنْظُرْ تَلَقَّهَا حِكْمًا
 يَزْدَادُ مِنْهُنَّ أَهْلُ الْعِلْمِ إِتْقَانَا
 وَقُلْ جَزَى اللَّهُ شَيْخَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا
 قَدْ شَادَ لِلْمِلَّةِ السَّمْحَاءِ أَرْكَانَا
 فِقَامَ لِلَّهِ يَدْعُو النَّاسَ مُجْتَهِدًا
 حَتَّى اسْتَجَابُوا لَهُ مَشَى وَوَحْدَانَا
 وَوَحَّدُوا اللَّهَ حَقًّا لَا شَرِيكَ لَهُ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَنْهَمَكُوا فِي الْكُفْرِ أَرْمَانَا
 وَأَصْبَحَ النَّاسُ بَعْدَ الْجَهْلِ قَدْ عَلِمُوا
 وَطَالَ مَا هَدَمُوا لِلدِّينِ بُنْيَانَا
 وَأَظْهَرَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ وَانْتَشَرَتْ
 أَحْكَامُهُ فِي الْوَرَى مِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَا
 بِالْجَهْلِ وَالْكُفْرِ قَدْ أَرَسْتَ مَعَالِمُهُ
 لَا يَعْرِفُ النَّاسُ إِلَّا الْكُفْرَ أَرْمَانَا
 يَدْعُونَ غَيْرَ الْإِلَهِ الْحَقِّ مِنْ سَفَاهِهِ
 وَيَطْلُبُونَ مِنَ الْأَمْوَاتِ غُفْرَانَا
 وَيَنْسِكُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ مَا ذَبَحُوا
 وَيَنْذِرُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ قُرْبَانَا
 وَيَسْتَعِينُونَ بِالْأَمْوَاتِ إِنْ عَظُمَتْ
 وَأَعْضَلَتْ شِدَّةً مِنْ حَادِثٍ كَانَا
 وَيَنْدِبُونَ لَهَا زِيدًا لِيَكْشِفَهَا

بَلْ يَنْدُبُونَ لَهَا تَاجًا وَشُمْسَانَا
 فَزَالَ ثُمَّ بِهَذَا الشَّيْخِ جِئِنَ دَعَا
 مَنْ صَدَّ أَوْ نَدَّ عَن تَوْجِيدِ مَوْلَانَا
 فَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو وَلِيَجْتَهُ
 يَوْمًا بِنَجْدٍ وَلَا يَدْعُونَ أُوثَانَا
 بَلِ الدُّعَا كُلُّهُ وَالِدَيْنِ أَجْمَعُهُ
 لِيَلَهُ لَا لِسِوَى الرَّحْمَنِ إِيمَانًا
 فَاللَّهُ يُعْلِيهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مَنْزِلَةً
 فَضْلًا وَجُودًا وَتَكْرِيمًا وَإِحْسَانَا
 وَاللَّهُ يُؤَلِّيهِ أَلْطَافًا وَمَغْفِرَةً
 وَرَحْمَةً مِنْهُ إِحْسَانَا وَرِضْوَانَا
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَعْصُومِ سَيِّدِنَا
 أَزْكَى الْبَرِيَّةِ إِيمَانًا وَعِرْفَانَا
 مَا نَاصَ بَرْقٌ وَمَا هَبَّ النَّسِيمُ وَمَا
 مَسَّ الْحَجِيجُ لِبَيْتِ اللَّهِ أَزْكَانَا
 أَوْ فَهَّقَهُ الرَّعْدُ فِي هَذْبَاءِ مُدْجِنَةٍ
 أَوْ نَاحَ طَيْرٍ عَلَى الْأَغْصَانِ أَرْمَانَا
 وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ
 عَلَى الْمَحَجَّةِ إِيمَانًا وَإِحْسَانَا

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عِنَّا وَقَدْ قَبِلْتَ الْيَسِيرَ
 مِنَّا وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا
 بِالْإِسْلَامِ قَائِمِينَ وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ قَاعِدِينَ وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ رَاقِدِينَ

وَلَا تُشْمِثُ بِنَا الْأَعْدَاءِ وَلَا الْحَاسِدِينَ ، اللَّهُمَّ وَعَافِنَا مِنْ مِحَنِ الزَّمَانِ وَعَوَارِضِ
الْفِتَنِ فَإِنَّا ضَعْفَاءُ ، عَنْ حَمَلِهَا وَإِنْ كُنَّا مِنْ أَهْلِهَا فَعَافِيَتُكَ أَوْسَعُ يَا وَاسِعُ يَا عَلِيمُ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل ١٣) : وقد أُخْبِرَ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ بِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ ،
أَحَدُهَا هَذَا . وَالثَّانِي قَوْلُهُ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ . (وَالثَّالِثُ) قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ
يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ (وَالرَّابِعُ
قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ
مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ مَوَاضِعَ فِي ثَلَاثَةِ مِنْهَا الرَّفْعَةُ بِالدَّرَجَاتِ
لِأَهْلِ الرَّفْعَةِ بِالْجِهَاتِ فَعَادَتْ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ كُلِّهَا إِلَى الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ
اللَّذِينَ بِهِمَا قِيَامُ الدِّينِ .

الوجهُ العِشْرُونَ : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ اسْتَشْهَدَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلِ الْكُفَّارِ فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

الوجهُ الحَادِي وَالْعِشْرُونَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أُخْبِرَ أَنَّهُمْ أَهْلُ خَشْيَتِهِ بَلْ
خَصَّهِمْ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بِذَلِكَ . فَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ .

شعرا

لَا يَنَالُ الْعِلْمَ شَخْصٌ وَقْتُهُ
ضَائِعٌ عِنْدَ الْمَلَاهِي وَالْكُرَّةِ
وَالْتَلَافِيزِ وَمِذْيَاعِ الضَّرَرِ
وَكَذَا الْفِدْيُو فَحَذَّرَ وَاحْذَرَهُ

(فَصْلٌ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

وهذا حَصْرٌ لِحَشِيَّتِهِ فِي أُولِي الْعِلْمِ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَ خَشِيَّتِهِ هُمُ الْعُلَمَاءُ . فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْجِزَاءَ الْمَذْكُورَ لِلْعُلَمَاءِ بِمَجْمُوعِ النَّصِّينِ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَفَى بِخَشِيَّةِ اللَّهِ عِلْمًا وَكَفَى بِالْأَغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا .

الوجهُ الثاني والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ أَمْثَالِهِ الَّتِي يَضْرِبُهَا لِعِبَادِهِ يَدُلُّهُمْ عَلَى صِحَّةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ هُمُ الْمُتَنْفِعُونَ بِهَا الْمُخْتَصُّونَ بِعِلْمِهَا فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ وَفِي الْقُرْآنِ بَضْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ مَثَلًا وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا مَرَّ بِمَثَلٍ لَا يَفْهَمُهُ يَبْكِي وَيَقُولُ لَسْتُ مِنَ الْعَالِمِينَ .

الوجهُ الثالثُ والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ مُنَاطَرَةَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ وَغَلَبَتْهُ لَهُمْ بِالْحُجَّةِ وَأَخْبَرَ عَنْ تَفْضِيلِهِ بِذَلِكَ وَرَفَعَهُ دَرَجَتَهُ بِعِلْمِ الْحُجَّةِ فَقَالَ تَعَالَى عَقِيبَ مُنَاطَرَتِهِ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِمَّنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِمَّنْ نَشَاءُ بِعِلْمِ الْحُجَّةِ .

الوجه الرابع والعشرون : أنه سبحانه أخبر أنه خلق الخلق ووضع بيته الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد ليعلم عباده أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١﴾ فدل على أن علم العباد بربهم وصفاته وعبادته وحده هو الغاية المطلوبة من الخلق والأمر .

شعرا : العِلْمُ يَغْرِسُ كُلَّ فَضْلٍ فَاجْتَهِدْ
 أَنْ لَا يَفُوتَكَ فَضْلُ ذَاكَ الْمَغْرَسِ
 وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ يِنَالُهُ
 مَنْ هَمُّهُ فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَلْبَسٍ
 إِلَّا أَخُو الْعِلْمِ الَّذِي يَزْهَوُ بِهِ
 فِي حَالَتَيْهِ عَارِيًّا أَوْ مُكْتَسِبِي
 فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْهُ حَظًّا وَافِرًا
 وَاهْجُرْ لَهُ طَيْبَ الرُّقَادِ وَعَبَّسٍ
 فَلَعَلَّ يَوْمًا إِنْ حَضَرْتَ بِمَجْلِسٍ
 كُنْتَ الرَّئِيسَ وَفَخَرَ ذَاكَ الْمَجْلِسِ
 آخِر :

شَغَلْنَا بِكَسْبِ الْعِلْمِ عَنْ مَكْسَبِ الْغِنَى
 فَصَارَ لَهُمْ حَظٌّ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغِنَى
 كَشَغَلُهُمْ عَنْ مَكْسَبِ الْعِلْمِ بِالْوَفْرِ
 وَصَارَ لَنَا حَظٌّ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَقْرِ
 آخِر :

إِذَا مَا أَعْتَزَ ذُو عِلْمٍ بِعِلْمٍ
 فَكَمْ طَيْبٌ يَفُوحٌ وَلَا كَمْسِكٍ
 فَعِلْمُ الْفَقْرِ أَوْلَىٰ بِاعْتِرَازِ
 وَكَمْ طَيْرٌ يَطِيرُ وَلَا كَبَازِي
 آخِر :

لَيْسَ الْحَيَاةُ بِأَنْفَاسٍ تُرَدِّدُهَا
 إِنَّ الْحَيَاةَ حَيَاةُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ

آخر :

يا طالب العلم لا تركزن إلى الكسل
واستعمل الصبر في كسب العلوم وقل
واعجل فقد خلق الإنسان من عجل
أعوذ بالله من علم بلا عمل

آخر :

الفقه أنفس شيء أنت ذاخره
فاكسب لنفسك ما أصبحت تجهله
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
فأول العلم إقبال وآخره

آخر :

ومن بغى نيل فقه وهو في دعة
كمن بغى من صفاة درحلاب

آخر :

العلم يمنع أهله أن يمنعا
واجعله عند المستحق وديعة
فاسمخ به تمل المحل الأرفعا
فهو الذي من حقه أن يودعا
يعمل به أو إن تلقنه وعما
والمستحق هو الذي إن حازه

آخر :

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى
فبشبهه أن الله أولاه فتنه
وسيرته عدلاً وأخلاقه حسنا
تغشيه حرماناً وتوسعه حزناً

آخر :

يقدر الجد تكتسب المعالي
نزوم العز ثم تنام عنه
ومن طلب العلاء سهو الليالي
يغوص البحر من طلب الآلي

آخر: عود بنيك على الآداب في الصغر

كيما تقر بهم عيناك في الكبر

فإنما مثل الآداب تجمعها

في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر

هي الكنوز التي تنمو ذخايرها

ولا يخاف عليها حادث الغير

إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ

يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيْبَاجِ وَالسُّرْرِ

آخر: حَاوَلَ جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ وَلَا تَنِي إِنَّ الْمَحَامِدَ وَالْعُلَا أَرْزَاقُ
وَأَرْعَبَ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ مُقْصِراً عَنْ غَايَةِ فِيهَا الطَّلَابُ سِيَّاقُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّ الْجُهَالَ يَهَابُونَكَ وَيُجْلُونَكَ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ
الْعَامِلُونَ بَعْلِمِهِمُ الْبَعِيدُونَ عَنِ الرِّيَاءِ وَحُبِّ الظُّهُورِ يُجَبِّونَكَ وَيُكْرِمُونَكَ لَكَانَ
ذَلِكَ سَبَبًا دَعِيًّا إِلَى وَجُوبِ طَلَبِهِ فَكَيْفَ بِسَائِرِ فَضَائِلِهِ فِي النُّيَا وَالْآخِرَةِ .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَقْصِ الْجَهْلِ إِلَّا صَاحِبَهُ يَحْسِدُ الْعُلَمَاءَ وَيُحْتَقِرُّ عِنْدَ النَّاسِ
حَتَّى عِنْدَ أَهْلِهِ وَأَقْرَبَائِهِ وَجِيرَانِهِ فَكَيْفَ بِسَائِرِ رَذَائِلِهِ وَمَسَاوِيهِ فِي النُّيَا وَالْآخِرَةِ .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهُ يُقَطِّعُ الْمَشْتَغَلَ بِهِ عَنِ الْوَسَاوِسِ
الْمُضْنِيَةِ وَالْأَفْكَارِ الرَّدِيئَةِ وَمَطَارِحِ الْأَمَالِ الَّتِي لَا تَفِيدُ غَيْرَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ لَكَانَ
ذَلِكَ أَعْظَمُ دَآخٍ فَكَيْفَ وَلَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَحَاسِنِ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ .

الْأَرْبُّ مَنْ قَدْ أَنْحَلَ الزُّهْدُ جِسْمَهُ كَثِيرَ صَلَاةٍ دَائِمِ الصُّومِ عَابِدُ
يَرُومٍ وَصَالاً وَهُوَ بِالطَّرْقِ جَاهِلٌ إِذَا جُهَلَ الْمُقْصُودُ قَدْ خَابَ قَاصِدُ
قَلِيلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْعِلْمِ نَافِعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْجَهْلِ فَاسِدُ

اللَّهُمَّ أَعْفُ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدِّمْ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ
إِلَى مَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوراً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ
مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا
فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقِيقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

الوجه الخامس والعشرون : أنه سبحانه أمر أهل العلم بالفرح ، بما آتاهم وأخبر أنه خير مما يجمعونه الناس فقال ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ وَفَسَّرَ اللَّهُ الْفَضْلَ بِالْإِيمَانِ وَرَحْمَتَهُ بِالْقُرْآنِ وَالْإِيمَانُ وَالْقُرْآنُ هُمَا الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَالْهُدَى وَدِينُ الْحَقِّ وَهُمَا أَفْضَلُ عِلْمٍ وَأَفْضَلُ عَمَلٍ .

الوجه السادس والعشرون : أنه سبحانه شهد لمن آتاه العلم بأنه قد آتاه خيراً كثيراً فقال تعالى ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَالْجُمْهُورُ الْحِكْمَةُ إِصَابَةُ الْحَقِّ وَالْعَمَلُ بِهِ وَهِيَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ .

الوجه السابع والعشرون : أنه سبحانه عدّد نعمة وفضله على رسوله صلى الله عليه وسلم وجعل من أجلها أن آتاه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم فقال تعالى ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .

الوجه الثامن والعشرون : أنه سبحانه ذكّر عباده المؤمنين بهذه النعمة وأمرهم بشكرها وأن يذكروها على إسدائها إليهم فقال تعالى ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ . فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ .

الوجه التاسع والعشرون : أنه سبحانه لما أن عرفهم فضل آدم بالعلم وعجزهم عن معرفة ما علمه قال لهم ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ فَعَرَّفَهُمْ

سبحانه نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ وَأَنَّهُ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِظَاهِرِهِمْ وَبِاطِنِهِمْ وَيَغِيبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِصِفَةِ الْعِلْمِ وَعَرَفَهُمْ فَضْلَ نَبِيِّهِ وَكَلِمِهِ بِالْعِلْمِ
وَعَجَزَهُمْ عَمَّا آتَاهُ آدَمَ مِنَ الْعِلْمِ وَكَفَى بِهَذَا شَرَفًا لِلْعِلْمِ .

وَبَيَانُ فَضْلِ الْعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ وُجُوهِ . أَحَدُهَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
جَعَلَ فِي آدَمَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَا كَانَ بِهِ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ
الْمَخْلُوقَاتِ وَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُظْهِرَ لِمَلَائِكَتِهِ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ فَظَهَرَ لَهُمْ أَحْسَنُ
مَا فِيهِ وَهُوَ عِلْمُهُ فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ وَأَنَّ فَضْلَهُ
وَشَرَفَهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعِلْمِ وَنَظِيرُ هَذَا مَا فَعَلَهُ بِنَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَرَادَ
إِظْهَارَ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ كُلِّهِمْ أَظْهَرَ لِلْمَلِكِ وَأَهْلِ مِصْرَ مِنْ
عِلْمِهِ بِتَأْوِيلِ رُؤْيَاهُ مَا عَجَزَ عَنْهُ عِلْمَاءُ التَّعْبِيرِ فَحِينَئِذٍ قَدَّمَهُ وَمَكَّنَهُ وَسَلَّمَ
إِلَيْهِ خَزَائِنَ الْأَرْضِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ حَبَسَهُ عَلَى مَا رَأَاهُ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ
وَجَمَالِ صُورَتِهِ وَلَمَّا ظَهَرَ لَهُ حُسْنُ صُورَةِ عِلْمِهِ وَجَمَالُ مَعْرِفَتِهِ أَطْلَقَهُ مِنْ
الْحَبْسِ وَمَكَّنَهُ فِي الْأَرْضِ فَذَلَّ عَلَى أَنَّ صُورَةَ الْعِلْمِ عِنْدَ بَنِي آدَمَ أَبْهَى
وَأَحْسَنُ مِنَ الصُّورَةِ الْجِسِّيَّةِ وَلَوْ كَانَتْ أَجْمَلَ صُورَةٍ . وَهَذَا وَجْهٌ مُسْتَقِلٌّ
فِي تَفْضِيلِ الْعِلْمِ مُضَافًا إِلَى مَا تَقَدَّمَ بِهِنَّ ثَلَاثِينَ وَجْهًا .

الوجه الحادي والثلاثون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَمَّ أَهْلَ الْجَهْلِ فِي مَوَاضِعَ
كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ .

الوجه الثاني والثلاثون أَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةٌ وَنُورٌ ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ سَبَبُهُ النُّورُ
وَالْحَيَاةُ فَإِنَّ النُّورَ يَكْشِفُ عَنْ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَيُبَيِّنُ مَرَاتِبَهَا وَالْحَيَاةُ هِيَ
الْمُصَحِّحَةُ لَصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَوْجِبَةُ لِتَسْدِيدِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ فَكُلَّمَا
تَصَرَّفَ مِنَ الْحَيَاةِ فَهُوَ خَيْرٌ كُلُّهُ كَالْحَيَاءِ الَّذِي سَبَبُهُ كَمَالُ حَيَاةِ الْقَلْبِ
وَتَصَوُّرُهُ حَقِيقَةُ الْقُبْحِ وَنَفْرَتُهُ مِنْهُ وَضِدُّهُ الْوَقَاحَةُ وَالْفُحْشُ وَسَبَبُهُ مَوْتُ

القلب وعدم نُفْرَتِهِ مِنَ الْقَبِيحِ وَكَالْحَيَا الَّذِي هُوَ الْمَطْرُ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ كَانَ مَيِّتًا بِالْجَهْلِ قَلْبُهُ فَأَحْيَاهُ بِالْعِلْمِ وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ .

الوجهُ الثالثُ والثلاثون : أن الله سبحانه جعل صيْدَ الكلبِ الجاهلِ مَيْتَةً حَرْمًا أَكْلُهَا وَأَبَاحَ صَيْدِ الكلبِ الْمُعَلَّمِ وهذا أيضاً مِنْ شَرَفِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا يُبَاحُ إِلَّا صَيْدُ الكلبِ الْعَالِمِ وَأَمَّا الكلبُ الْجَاهِلُ فَلَا يَجِلُّ أَكْلُ صَيْدِهِ فَدَلَّ عَلَى شَرَفِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ .

شِعْرًا: إِذَا مَا أَنَسَ فَأَخْرَوْنَا بِمَالِهِمْ
ألم تر العلمَ يُذَكَّرُ أَهْلُهُ
سَقَى اللهُ أَجْدَانًا أَجْنَتْ مَعَاشِرًا
آخِر: الْعِلْمُ بِالتَّوْحِيدِ أَفْضَلُ مُكْتَسَبٌ
فَأَشْدُّ يَدِيكَ بِحَبْلِيهِمَا
هَذَا هُوَ الْكَنْزُ الَّذِي
وقال رحمه الله :

الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته الجامعة لمحبهته وإيثار مرضاته ، المستلزمة لمعرفته ، ونصب للعباد علماً لا كمال لهم إلا به . وهو : أن تكون حركاتهم كلها موافقة على وفق مرضاته ومحبهته ، ولذلك أرسل رسله وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه .

فكمال العبد الذي لا كمال له إلا به ، أن تكون حركاته موافقة لما يحبه الله منه ويرضاه له . ولهذا جعل إتباع رسوله ﷺ دليلاً على محبهته . قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

فالمحب الصادق يرى خيانة منه لمحبوبه أن يتحرك بتحركة إختيارية في غير مرضاته ، وإذا فعل فعلاً مما أبيع له بموجب طبيعته وشهوته تاب منه كما يتوب من الذنوب ، ولا يزال هذا الأمر يقوى عنده حتى تنقلب بها مباحاته كلها طاعات .

فيحتسب نومه وفطره وراحته كما يحتسب قومه وصومه واجتهاده ، وهو دائماً بين سراء يشكر الله عليها ، وضراء يصبر عليها ، فهو سائر إلى الله تعالى دائماً في نومه ويقظته .

قال بعض العلماء : الأكياس عاداتهم عبادات الحمقى والحمقى عباداتهم عادات .

شعراً : لا يحقر الرجل العظيم دقيقةً في السهو فيها لو ضيع معاذر
فكباير الرجل الصغير صغائر
آخر : دع التعليل والتسوية وأقبل
أدم بالحزم إقبالا عليه
ونق القلب من شبهات زيغ
ورذ حوض الشريعة مع صفاء
ورق النفس بالعرفان تزكو
في السهو فيها لو ضيع معاذر
وصغائر الرجل الكبير كباير
على مولاك تغنم نيل حظ
عسى تحظى بتوفيق وحفظ
تراه معنويًا ثم لفظي
وجانب كل ذي حسد وغيط
وتظفر بالمنى من كل وعظ

وقال بعض السلف : حبذا نوم الأكياس وفطرهم يغبنون به سهر الحمقى وصومهم ، فالمحب الصادق إن نطق نطق الله وبالله ، وإن سكت سكت الله وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فسكونه إستعانة على مرضات الله فهو لله وبالله ومع الله .

ومعلوم أن صاحب هذا المقام ، أحوج خلق الله إلى العلم ، فإنه لا تتميز له الحركة المحبوبة لله من غيرها ولا السكون المحبوب لله من غيره إلا بالعلم . فليست حاجته إلى العلم كحاجة من طلب العلم لذاته .

ولأنه في نفسه صفة كمال ، بل حاجته إليه كحاجته إلى ما به قوام نفسه وذاته .

ولهذا إشتدت وصاة شيوخ العارفين لمريديهم بالعلم وطلبه ، وإنه من لم يطلب العلم لم يفلح ، حتى كانوا يعدون من لا علم له من السفلة .

قال ذو النون وقد سئل من السفلة فقال : من لم يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه .

وقال أبو يزيد : لو نظرتم إلى الرجل وقد أعطي من الكرامات حتى يتربح في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجردونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود ومعرفة الشريعة .

وقال أبو حمزة البزازي : مَنْ عَلِمَ طَرِيقَ الْحَقِّ سَهَّلَ عَلَيْهِ سُلُوكُهُ ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى الطَّرِيقَةِ إِلَّا مَتَابَعَةُ الرَّسُولِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ .

وقال محمد بن الفضل الصوفي الزاهد : ذهب الإسلام على أيدي أربعة أصناف من الناس .

صِنْفٌ لَا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ .

وَصِنْفٌ يَعْمَلُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ .

وَصِنْفٌ لَا يَعْمَلُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ .

وَصِنْفٌ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ التَّعَلُّمِ .

قلت : الصنف الأول : من له علم بلا عمل ، فهو أضر شيء على العامة ، فإنه حجة لهم في كل نقيصة ومخسة .

والصنف الثاني : العابد الجاهل ، فإن الناس يحسنون الظن به لعبادته وصلاحه فيقتدون به على جهله .

وهذان الصنفان هما اللذان ذكرهما بعض السلف في قوله : إحدروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعبادهم ، فإذا كان العلماء فجرة ،
والعباد جهلة ، عمت المصيبة بهما ، وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة .
والصنف الثالث : الذين لا علم لهم ولا عمل ، وانما هم كالأنعام
السائمة والصنف الرابع : نواب إبليس في الأرض ، وهم الذين يثبطون
الناس عن طلب العلم والتفقه في الدين ، فهؤلاء أضر عليهم من شياطين
الجن ، فإنهم يحولون بين القلوب وبين هدى الله وطريقه .
فهؤلاء الأربعة الأصناف ، هم الذين ذكرهم هذا العارف رحمة الله
عليه وهؤلاء كلهم على شفا جرف هار ، وعلى سبيل الهلكة .
وَمَا يَلْقَى الْعَالِمُ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُلْقَاهُ مِنَ الْأَذَى وَالْحَارِبَةِ إِلَّا
عَلَى أَيْدِيهِمْ .
وَاللَّهُ يَسْتَعْمِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي سَخَطِهِ ، كَمَا يَسْتَعْمِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي مَرْضَاتِهِ
إنه بعباده خبير بصير .

ولا ينكشف سرُّ هذه الطوائف وطريقتهم إلا بالعلم ، فعاد الخير
بجدافيره في العلم وموجبه ، والشر بجدافيره إلى الجهل وموجبه .

شِعْرًا: مَعَ الْعِلْمِ فَاسْأَلْكَ حَيْثَا سَأَلْتَ الْعِلْمُ
فَفِيهِ جَلَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى
آخِر: لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهُ
آخِر: ذَوُوا الْعِلْمِ فِي النَّبَا نُجُومٌ هِدَايَةٌ
بِهِمْ عَزَّ دِينُ اللَّهِ طُرًّا وَهُمْ لَهُ
وَلَوْ لَمْ يَقُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ بِتَقْلِيهِ
هُمُومًا وَرَثُوا عِلْمَ النَّبَوَةِ وَاحْتَوُوا
وَهُمْ كَمَصَابِيحِ الدُّجَى يُهْتَدَى بِهِمْ

وعنه فكاشف كل من عنده فهم
وعون على الذين الذي أمره حتم
يذر الضئيل من الرجال مهيبا
إذا غاب نجم لآخ بعد جديد
معاقل من أعدائه وجنود
فمن كان يروي علمه ويقيد
من الفضل ما عنه الأنام رقود
وما لهموا بعد الممات خمود

اللَّهُمَّ سِرِّ لَنَا أَمْرَ الرِّزْقِ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْحِرْصِ وَالتَّعَبِ فِي طَلْبِهِ وَمِنْ شَعْلِ

الْقَلْبِ وَتَعَلَّقِي الِهَمَّ بِهِ ، وَمِنْ الدُّلِّ لِلخَلْقِ بِسَبَبِهِ وَمِنْ التَّفَكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ فِي تَحْصِيلِهِ ، وَمِنْ الشُّحِّ وَالْحِرْصِ عَلَيْهِ بَعْدَ حُصُولِهِ ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : قال ابن رجب : فالعلماء بما أنزل الله على رسوله هم الأدلاء والذين يهتدى بهم في ظلمات الجهل والشبه والضلال فإذا فقدوا ضلَّ السالكُ .

وقد شبه العلماء بالنجوم ، والنجوم فيها ثلاث فوائد : يهتدى بها في الظلمات ، وهي زينة للسماء ، ورجوم للشياطين الذين يسترقون السمع منها .

والعلماء في الأرض يجتمع فيهم هذه الأوصاف الثلاثة : بهم يهتدى في الظلمات ، وهم زينة للأرض ، وهم رجوم للشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل ويُدخلون في الدين ما ليس منه من أهل الأهواء .

وما دام العلم باقياً في الأرض فالناس في هدى . وبقاء العلم بقاء حملته فإذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس في الضلال كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يذهب العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .
شعرا :

مَا أَكْثَرَ الْعِلْمَ وَمَا أَوْسَعَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَجْمَعَهُ
إِنْ كُنْتُ لَا بُدَّ لَهُ طَالِبًا فَجِدَّ فِيهِ وَالتَّمَسْ أَنْفَعَهُ

وخرج الترمذي من حديث جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال : كنا مع النبي ﷺ فقال « هذا أو أن يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدرُوا منه على شيء » .

فقال زيادُ بنُ ليبدٍ يا رسولَ الله كيف يُخْتَلَسُ منا العِلْمُ ، وقد قرأنا القرآنَ ؟ فوالله لَنَقْرَأَهُ وَلَنُقْرِئَهُ نِسَائِنَا وَأَبْنَائِنَا .

فقال « ثكلتك أمك يا زياد ، إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة ، هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى ، فماذا تُغني عنهم ؟ » .

قال جبير بن نفيير : فلقيتُ عبادةَ بن الصامت فقلتُ ألا تسمع ما يقول أبو الدرداء ؟ فأخبرته بالذي قال .

فقال صدق أبو الدرداء ، لو شئتُ لأخبرتكَ بأولِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ : الخشوع ، يُوشِكُ أنْ تدخلَ المسجدَ الجامعَ فلا ترى فيه خاشعاً . وخرجه النسائي من حديث جبير بن نفيير عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ بنحوه .

وفي حديثه « فذكر ﷺ ضلالةَ اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتابِ الله » قال جبير بن نفيير : فلقيتُ شداد بن أوس فحدثتهُ بحديثِ عوف بن مالك فقال : صدق ، ألا أخبرك بأول ذلك ؟ يُرْفَعُ الخشوعُ حتى لا ترى خاشعاً .

وخرج الإمام أحمد من حديث زياد بن ليبد عن النبي ﷺ أنه ذَكَرَ شيئاً فقال « ذاك عند أوانِ ذهابِ العلمِ » فذكر الحديث وقال فيه « أوليس اليهود والنصارى يقرأون التوراة والانجيل لا يعملون بشيء مما فيهما ؟ » ولم يذكر ما بعدها .

ففي هذه الأحاديث ان ذهاب العلم بذهاب العمل وان الصحابة فسروا ذلك بذهاب العلم الباطن من القلوب وهو الخشوع . كذا روى عن حديفة : أن أول ما يُرْفَعُ من العلم الخشوع .

فإن العِلْمَ كما قال الحسنُ عَلَمَانِ : عِلْمُ اللِّسَانِ فِذَاكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ ، وَعِلْمُ فِي الْقَلْبِ فِذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ . وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ مَرْسَلًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ « إِنْ أَقْوَامًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ وَرَسَخَ فِيهِ نَفَعٌ » .

فَالْعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ مَا بَاشَرَ الْقَلْبَ فَأَوْقَرَ فِيهِ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَعَظْمَتَهُ وَخَشْيَتَهُ وَإِجْلَالَهُ وَتَعْظِيمَهُ وَمَحَبَّتَهُ ، وَمَتَى سَكَنَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي الْقَلْبِ خَشَعَ فَخَشَعَتِ الْجَوَارِحُ تَبَعًا لَهُ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ » .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي لَا يُوجِبُ الْخُشُوعَ لِلْقَلْبِ فَهُوَ عِلْمٌ غَيْرُ نَافِعٍ . وَرَوَى عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَسْأَلُ اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ « سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ » .

وَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي عَلَى اللِّسَانِ فَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ كَمَا قَالَ ﷺ « وَالْقُرْآنُ حُجَّةُ اللَّهِ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ » فَإِذَا ذَهَبَ مِنَ النَّاسِ الْعِلْمُ الْبَاطِنُ بَقِيَ الظَّاهِرُ عَلَى اللِّسَانِ حُجَّةً .

ثُمَّ يَذْهَبُ الْعِلْمُ الَّذِي هُوَ حُجَّةٌ بِذَهَابِ حَمَلَتِهِ وَلَا يَبْقَى مِنَ الدِّينِ إِلَّا اسْمُهُ وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ فَيَبْقَى الْقُرْآنُ فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ يُسْرَى بِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ فِي الْمَصَاحِفِ وَلَا فِي الْقُلُوبِ شَيْءٌ .

وَمِنْ هُنَا قَسَمَ مَنْ قَسَمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعِلْمَ إِلَى بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ : فَالْبَاطِنُ مَا بَاشَرَ الْقُلُوبَ فَاتَّمَرَ لَهَا الْخُشْيَةُ وَالْخُشُوعُ وَالتَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ وَالمَحَبَّةُ وَالْأُنْسَ وَالشُّوقَ . وَالظَّاهِرُ مَا كَانَ عَلَى اللِّسَانِ فِيهِ تَقْوَمُ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ .

وَكَتَبَ وَهَبُ بْنُ مُنْبَهٍ إِلَى مَكْحُولٍ : إِنَّكَ أَمْرٌ قَدْ أَصَبْتَ بِمَا ظَهَرَ مِنْ
عِلْمِ الْإِسْلَامِ شَرَفًا فَأَطْلُبْ بِمَا بَطَّنَ مِنْ عِلْمِ الْإِسْلَامِ مَحَبَّةً وَزُلْفَى . وَفِي
رَوَايَةٍ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ بظَاهِرِ عِلْمِكَ عِنْدَ النَّاسِ مَنْزِلَةً وَشَرَفًا
فَأَطْلُبْ بِبَاطِنِ عِلْمِكَ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً وَزُلْفَى . وَاعْلَمْ أَنَّ إِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ تَمْنَعُ
مِنَ الْآخَرَى .

فَإِشَارَ وَهَبِ بِعِلْمِ الظَّاهِرِ إِلَى عِلْمِ الْفَتَاوِيِّ وَالْأَحْكَامِ وَالْحَلَالِ
وَالْحَرَامِ وَالْقِصَصِ وَالْوَعْظِ وَهُوَ مَا يَظْهَرُ عَلَى اللِّسَانِ ، وَهَذَا الْعِلْمُ يُوجِبُ
لِصَاحِبِهِ مَحَبَّةَ النَّاسِ لَهُ وَتَقَدُّمَهُ عِنْدَهُمْ فَحَدَّرَهُ مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ ذَلِكَ
وَالرُّكُونِ إِلَيْهِ وَالْإِلْتِفَاتِ إِلَى تَعْظِيمِ النَّاسِ وَمَحَبَّتِهِمْ فَإِنَّ مَنْ وَقَفَ مَعَ ذَلِكَ
فَقَدْ انْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ وَأَنْحَجَبَ بِنَظَرِهِ إِلَى الْخَلْقِ عَنِ الْحَقِّ .

وَإِشَارَ بِعِلْمِ الْبَاطِنِ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي يُبَاشِرُ الْقُلُوبَ فَيَحْدِثُ لَهَا
الْخَشْيَةَ وَالْإِجْلَالَ وَالتَّعْظِيمَ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَطْلُبَ بِهَذَا الْمَحَبَّةَ مِنَ اللَّهِ وَالْقُرْبَ
مِنَهُ وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ .

وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ كَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ يُقَسِّمُونَ الْعُلَمَاءَ ثَلَاثَةً
أَقْسَامًا : عَالِمٌ بِاللَّهِ وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَبُشَيْرُونَ بِذَلِكَ إِلَى مَنْ جَمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ
الْعُلَمَاءِ الْمَشَارُ إِلَيْهِمَا الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ .

وَهُؤُلَاءُ أَشْرَفُ الْعُلَمَاءِ وَهُمْ الْمَمْدُوحُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ
يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ .

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ : لَيْسَ الْعِلْمُ كَثْرَةُ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا وَكَفَى بِالْإِغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا . وَيَقُولُونَ
أَيْضًا : عَالِمٌ بِاللَّهِ لَيْسَ عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ الْبَاطِنِ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَيْسَ لَهُمْ اتِّسَاعٌ فِي الْعِلْمِ الظَّاهِرِ .

وَيَقُولُونَ : عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ الَّذِينَ لَا نَفَاذَ لَهُمْ فِي الْعِلْمِ الْبَاطِنِ وَلَيْسَ لَهُمْ خَشْيَةٌ وَلَا خُشُوعٌ ، وَهَؤُلَاءِ مَذْمُومُونَ عِنْدَ السَّلَفِ . وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : هَذَا هُوَ الْعَالِمُ الْفَاجِرُ .

وهؤلاء الذين وَقَفُوا مَعَ ظَاهِرِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَصِلِ الْعِلْمُ النَّافِعُ إِلَى قُلُوبِهِمْ وَلَا شَمُّوا لَهُ رَائِحَتَهُ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْغَفْلَةُ وَالْقَسْوَةُ وَالْأَعْرَاضُ عَنِ الْآخِرَةِ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا وَمَحَبَّةُ الْعُلُوفِ فِيهَا وَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ أَهْلِهَا .

وقد مُنِعُوا إِحْسَانَ الظَّنِّ بِمَنْ وَصَلَ الْعِلْمُ النَّافِعُ إِلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُجَالِسُونَهُمْ وَرَبِمَا ذَمُّوهُمْ وَقَالُوا لَيْسُوا بِعُلَمَاءَ ، وَهَذَا مِنْ خِدَاعِ الشَّيْطَانِ وَغُرُورِهِ لِيَحْرِمَهُمُ الْوَصُولَ إِلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي مَدَحَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَسَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَتْمَتُهَا .

ولهذا كَانَ عُلَمَاءُ الدُّنْيَا يُبْغِضُونَ عُلَمَاءَ الْآخِرَةِ وَيَسْعَوْنَ فِي أَذَاهِمُ جُهْدَهُمْ كَمَا سَعَوْا فِي أَذَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ وَالْحَسَنِ وَسَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ .

وذلك لِأَنَّ عُلَمَاءَ الْآخِرَةِ خَلَفَاءُ الرُّسُلِ وَعُلَمَاءُ السُّوءِ فِيهِمْ شَبَهُ مِنْ الْيَهُودِ وَهُمْ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ وَقَتْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ، وَهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً وَحَسَدًا لِلْمُؤْمِنِينَ .

وَلِشِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ لِلدُّنْيَا لَا يُعْظَمُونَ عِلْمًا وَلَا دِينًا وَإِنَّمَا يُعْظَمُونَ الْمَالَ وَالجَاهَ وَالتَّقَدُّمَ عِنْدَ الْمُلُوكِ .

إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ حُجَّةً عَلَيْكَ وَلَمْ تُعْذَرْ بِمَا أَنْتَ حَامِلٌ

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَبْصَرْتَ هَذَا فَإِنَّمَا يُصَدِّقُ قَوْلَ الْمَرْءِ مَا هُوَ فَاعِلٌ

آخِرُ : قَالُوا فَلَانَ عَالِمًا فَاضِلًا فَأَكْرَمُوهُ مِثْلَ مَا يَرْضَى

فَقُلْتُ أَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَا ثَقَى تَعَارَضَ الْمَانِعُ وَالْمَقْتَضِي
 اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ الْمُتَّقِينَ وَخَصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَاجْعَلْنَا
 بِفَضْلِكَ مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فَوَائِدُ نَافِعَةٌ حَوْلَ الْإِفْتَاءِ وَالْإِسْتِفْتَاءِ]

إِعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن الفتيا أمرها
 عظيم ، ولقد كان السلف رحمهم الله يأبسون الفتيا ، ويشددون فيها ،
 ويتدافعون عكس ما عليه علماء هذا العصر .

فعن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : أدركتُ عشرين ومائة من أصحاب
 رسول الله ﷺ يُسْئَلُ أَحَدُهُمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَيَرُدُّهَا هَذَا إِلَى هَذَا وَهَذَا إِلَى هَذَا
 حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى الْأَوَّلِ .

وفي رواية ما منهم مَنْ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ إِيَّاهُ ، وَلَا
 يُسْتَفْتَى عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا ، وَأَنْكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَلَى مَنْ
 يَهْجُمُ عَلَى الْجَوَابِ لِخَبَرِ أَجْرَوْكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرَوْكُمْ عَلَى النَّارِ .

وقال الامام أحمد : لا ينبغي أن يجيب في كل ما يُسْتَفْتَى فِيهِ ، وَقَالَ :
 لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا حَتَّى يَكُونَ فِي خَمْسِ خِصَالٍ :

أحدها : أن تكون له نية ، وهي أن يخلص لله تعالى ، ولا يقصد
 رياسةً ولا نحوها ، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور .

الثانية : أن يكون له حلم ووقار وسكينة ، وإلا لم يتمكن من فعل ما
 تَصَدَّى لَهُ مِنْ بَيَانَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ .

الثالثة : أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته ، وإلا فقد عَرَّضَ
 نَفْسَهُ لِخَطَرٍ عَظِيمٍ .

الرابعة : الكفاية ، وإلا أَبْغَضَهُ الناس ، لأنه إحتاج إلى الناس وإلى الأخذ مما في أيديهم ، فيتضررون منه .

الخامسة : معرفة الناس بأن يكون بضيرا بمكرهم وخذاعهم ، ليكون حَذِراً منهم لِثَلَا يوقعوه في المكروه .

وإليك ما ورد في ذلك ، نقل الميموني عن الامام أحمد رضى الله عنه أنه سئل عن حديث ، فقال سلوا أصحاب الغريب فإني أخاف أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطي .

وقال أبو داود الطيالسي : سَمِعْتُ شُعْبَةَ قَالَ : سَأَلْتُ الْأَصْمَعِيَّ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، مَا مَعْنَى يُغَانُ ؟

قال : فقال لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ : لو كان عن غير النبي ﷺ لَفَسَّرْتُ ذَلِكَ وَلَكِنْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا أَجْتَرِيءُ عَلَيْهِ . وعن الأصمعي عن مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كانوا يتقون حديث النبي ﷺ كما يتقون تفسير القرآن .

وكان الامام أحمد يجيء إلى أبي عبيد يسأله في الغريب روى ذلك الخلال .

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله وقال كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء .

وقال الشعبي : لا أدري نصف العلم .

وقال أحمد في رواية المروزي : كان مالك يسأل عن الشيء فيقدم ويؤخر يثبت وهؤلاء يقيسون على قوله ويقولون : قال مالك .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : من علم الرجل أن

يقول لما لا يَعْلَمُ اللهُ أَعْلَمَ لأن الله عز وجل قال لرسوله ﷺ ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وصح عن ابن عمر رضی الله عنهما قال : العلم ثلاثة : كتابٌ ناطقٌ وسنة ماضية ولا أدري .

وقال أحمد في رواية المروزي : ليس كل شيء ينبغي أن يتكلم فيه ، ودر أحاديث النبي ﷺ كان يُسأل فيقول لا أدري حتى أسأل جبريل .

وقال عبدالله : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كان سفیان لا يكاد يفتي في الطلاق ويقول مَنْ يُحْسِنُ ذَا مِنْ يُحْسِنُ ذَا .

وقال في رواية الحارث : وَدِدْتُ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ أَوْ مَا شَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْأَلَ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلِ الْبَلَاءِ يُخْرِجُهُ الرَّجُلَ عَنْ عُنُقِهِ وَيُقَلِّدُكَ .

وخاصة مسائل الطلاق والفروج ، ونقل الأثرم عنه أنه سأله عن شيء فقلت كيف هو عندك فقال وما عندي أنا .

وسَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّمَا هُوَ يَعْنِي الْعِلْمَ مَا جَاءَ مِنْ فَوْقَ ، وقال سفیان : من فتنه الرجل إذا كان فقيهاً أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت .

وقال المروزي : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِنْ الْعَالَمَ يظنون عنده عِلْمٌ كُلُّ شَيْءٍ ، فقال : قال ابن مسعود رضی الله عنه إن الذي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْتَفْتُونَهُ لَمَجُونٌ وَأَنْكَرَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مَنْ يَتَهَجَّمُ فِي الْمَسْأَلِ وَالْجَوَابِ .

قال : وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : لَيْتَنِي اللَّهُ عَبْدٌ وَلِيَنْظُرَ مَا يَقُولُ وَمَا يَتَكَلَّمُ فَإِنَّهُ مَسْئُولٌ .

وقال : مَنْ أَفْتَى النَّاسَ لَيْسَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُجِيلَ النَّاسَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ .

وقال في رواية القاسم : إنما ينبغي أن يؤمر الناس بالأمر البين الذي لا شك فيه وليت الناس إذا أمرُوا بالشيء الصحيح أن لا يجاوزوه .

ونقل محمد بن أبي طاهر عنه أنه سئل عن مسألة في الطلاق ، فقال : سئل غيري ليس لي أن أفتي بالطلاق بشيء .

وقال في رواية ابن منصور : لا ينبغي أن يجيب في كل ما يُسْتَفْتَى وصح عن مالك أنه قال : ذل وإهانة للعالم أن تجيب كل من سألك .

وقال أيضاً : كل من أخبر الناس بكل ما يسمع فهو مجنون ، وقال أحمد في رواية أحمد بن علي الأبار وقال له رجل حلفت بيمين لا أدري إيش هي ، قال : ليت أنك إذا دريت دريت أنا .

وقال في رواية الأثرم : إذا هاب الرجل شيئاً فلا ينبغي أن يحمل على أن يقول .

وقال في رواية المروزي : إن الذي يفتي الناس يتقلد أمراً عظيماً ، وقال يُقدم على أمرٍ عظيمٍ ينبغي لمن أفتى أن يكون عالماً بقول من تقدم وإلا فلا يفتي .

وقال في رواية الميموني من تكلم في شيء ليس له فيه إمام أخاف عليه الخطأ :

وقال الثوري : لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا ، وقال أحمد : نحن الساعة نتعلم ، وسأله إسحاق بن إبراهيم عن الحديث الذي جاء أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار ما معناه .

قال أبو عبدالله : يُفتي بما لم يسمع ، وقال محمد بن أبي حرب : سمعت أبا عبدالله وسئل عن الرجل يفتي بغير علم ، قال يروى عن أبي موسى قال : يمرق من دينه .

ونقل المروزي أن رجلا تكلم بكلام أنكره عليه أبو عبد الله قال :
هذا من حبه الدنيا يُسأل عن الشيء الذي لا يحسن فيحمل نفسه على
الجواب .

ونحو هذا عن حماد وقال : كنت أسائل إبراهيم عن الشيء فيعرف في
وجهي أني لم أفهم فيعيده حتى أفهم روى ذلك الخلال وغيره .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ أَرِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَرِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) : قال ابن وهب عن يونس عن الزهري : أن أبا بكر الصديق رضي الله
عنه حدث رجلا بحديث فاستفهمه الرجل فقال الصديق : هو كما حدثتُك أي
أرضي ثقُلني إذا قلتُ بما لا أعلم .

وروى نحوه من غير وجه عن أبي هريرة مرفوعا من أفتي بفتيا غير
ثبت فيها فإنما إثم على الذي أفتاه ، وفي لفظ من أفتى بفتيا بغير علم كان
إثم ذلك على الذي أفتاه رواهما أحمد ، وروى الثاني أبو داود والأول ابن ماجه
وهو حديث جيد له طرق مذكورة في حواشي المنتقى .

وقال الثوري عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال من
أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون ، وقال مالك : عن يحيى بن
سعيد عن ابن عباس مثله .

وقال الزهري عن خالد بن أسلم قال : كنا مع ابن عمر فسأله أعرابي
أثرُ العمة ؟ فقال : لا أدري ، قال : أنت لا تدري ، قال : نعم إذهب
إلى العلماء فاسألهم ، فلما أدبر الرجل قَبَلَ ابنُ عمر يدهُ فقال : نِعَم ما قال أبو
عبد الرحمن سئل عما لا يدري فقال : لا أدري .

وقال سفيان بن عيينة والثوري عن عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : أدركت عشرين ومائة من الانصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه .

ولا يُسْتَفْتَى عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتوى هذا لفظ رواية الثوري ، ولفظ ابن عيينة إذا سئل أحدهم عن المسألة ردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول .

وقال أبو حُصَيْن عثمان بن عاصم التابعي : إن أحدكم يُفْتَى في المسألة ولو وُردَّت على عمر لجمع لها أهل بدرٍ .

وقال القاسم وابن سيرين لأن يَمُوتَ الرجل جاهلاً خيراً له من أن يقول ما لا يعلم ، وقال مالك عن القاسم بن محمد : إنَّ من إكرام المرء لنفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه .

وقال سعيد بن جبیر : وَيَلِّ لِمَنْ يَقُولُ لِمَا لَا يَعْلَمُ إِنِّي أَعْلَمُ ، وقال مالك : من فقه العالم أن يَقُولَ لا أَعْلَمُ فإنه عَسَى أن يُهَيِّأَ له الخير .
وقال أحمد بن حنبل : سَمِعْتُ الشافعي رضي الله عنهما سمعتُ مالكا سمعت محمد بن عجلان يقول : إذا تَرَكَ الْعَالِمُ لا أُدْرِي أَصَبَّيْتُ مَقَاتِلَهُ ، ورواه إسحاق بن راهوية عن ابن عيينة عن داود بن أبي الزبير الزبيري عن مالك بن عجلان قال قال ابن عباس فذكره وقد سبق .

وقال عبد الرازق عن عمر قال : سأل رجل عَمْرُو بنَ دينا عن مسألة فلم يجبه ، فقال الرجل : إن في نفسي منها شيئاً فأجِبنِي .

فقال : إن يَكُنْ في نَفْسِكَ منها مثلُ أَبِي قُيَيْسٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أن يَكُونَ في نَفْسِي منها مِثْلُ الشَّعْرَةِ .

وقال ابن مهدي : سأل رجلُ مالك بن أنس عن مسألة فطال ترداده إليه فيه ولَحَّ عليه فقال : ما شاء الله يا هذا إني لم أتكلَّم إلا فيما أَحْتَسَبُ فيه الخير ولَسْتُ أَحْسِنُ مَسْأَلَتَكَ هَذِهِ .

وقال ابن وهب : سَمِعْتُ مالكاَ يَقولُ العَجَلَةَ في الفُتوى نوعٌ مِنَ الجَهلِ
والخُرُق .

وقال يحيى بن سعيد : كان سعيدُ بنُ المسيبِ لا يَكادُ يُفتى فُتيا
ولا يَقولُ شيئاً إلا قال : اللهم سَلِّمْنِي وسَلِّمِ مِنِّي . ذكره البيهقي وغيره .
ولا سيما أن كان مَنْ يُفتى يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَنه لَيْسَ أَهْلاً لِلْفُتوى لِقَوَاتِ
شَرِّطِ أو وُجودِ مَنايعِ ولا يَعْلَمُ الناسُ ذلكَ مِنْه .

فإنه يحرم عليه إفتاء الناس في هذه الحال بلا إشكال فهو يُسارِعُ إلى ما
يَحْرُمُ لا سِيَّما إن كان الحاملُ على ذلك عَرَضُ الدنيا .

وأما السلف فكانوا يتركون ذلك خوفاً ولَعَلَّ غَيْرُهُ يَكْفِيهِ ، وقد يكون
أدنى لوجود مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْه .

قال ابن مَعِينٍ : الذي يحدث بالبلدة وبها مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْه بالحديث
فهو أَحْمَقُ .

وقال مالك : ما أَفتيتُ حَتى شَهِدَ لي سَبْعُونَ أَني أَهْلٌ لِذَلِكَ .

وقال ابن عُيَيْنَةَ وسُحُنُونَ أَجسَرُ الناسِ على الفُتيا أَقلُّهُمُ عِلْماً . وقال
سُحُنُونَ : أَشقى الناسِ مَنْ باعَ آخِرَتَهُ بِدنيا غَيْرِهِ .

وقال : فِتْنَةُ الجَوابِ بالصوابِ أَشدُّ مِنْ فِتْنَةِ المِالِ .

وقال سُفْيَانُ أَدرَكَتُ الفُقهَاءَ وَهُم يَكْرَهُونَ أَنْ يُجيبوا في المسائلِ والفُتيا
حتى لا يَجِدُوا بُدّاً مِنْ أَنْ يُفتوا . وقال : أَعْلَمُ الناسِ بالفُتيا أَسَكَّتُهُمُ عِنها ،
وأَجْهَلُهُمُ بِها أَنْطَفَهُمُ فيها .

وبَكَى رَبيعةٌ فَقِيلَ ما يُبْكِيكَ ؟ فقال : اسْتُفتِيَ مِنْ لا عِلْمَ لَهُ وقال :
ولَبَعْضُ مَنْ يُفتى هَاهُنَا أَحَقُّ بالسَّجْنِ مِنَ السُّراقِ .

وقال بعض العلماء لبعض المفتين : إذا سُئِلتَ عن مسألة فلا يكن هُمُكَ
تَحْلِيصَ السَّائِلِ ، ولكن ليكن هُمُكَ تَحْلِيصَ نَفْسِكَ .

وقال عمرو بن دينار : لما جَلَسَ قَتَادَةُ للفتيا تَدْرِي فِي أَي عَمَلٍ
وَقَعْتَ ؟ وَقَعْتَ بِإِقْتَادَةِ بَيْنِ اللَّهِ وَبَيْنِ خَلْقِهِ وَقَلْتَ هَذَا يَصْلِحُ وَهَذَا لَا يَصْلِحُ .

وقال بعضهم : إن العالم داخل بين الله وبين خلقه فليُنظَر كيف يدخل
بينهم .

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تَغَيَّرَ لَوْنُهُ
وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان .

وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول : ما وجدت أحداً
تسأله غيري .

وقال آخر : إذا سئلت عن مسألة فتفكر فإن وجدت لنفسك مخرجا
فتكلم وإلا فاسكت .

وعن مالك أنه كان إذا سئل عن المسألة كأنه واقف بين الجنة والنار .

وقال النخعي : قد تكلمت ولو جَدْتُ بُدْأً مَا تَكَلَّمْتُ وَإِنْ زَمَانًا
أَكُونُ فِيهِ فَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَزَمَانَ سُوءٍ .

وقال ابن عيينة : ليس هذا الأمر لمن ود أن الناس إحتاجوا إليه إنما هذا
الأمر لمن ود أنه وجد من يكفيه .

وسئل عمر بن عبدالعزيز عن مسألة فقال : ما أنا على الفتيا بجري .

اللَّهُمَّ أَحِينَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) : ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : « مِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الْيُسْرِ » .

روي عن مجاهد أنه قال « الفقيه من يخاف الله عز وجل .
وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال « ألا أخبركم
بالفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم
يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يدع القرآن رغبة إلى غيره » .
وقال ابن مسعود « كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالأعترار به
جهلاً » .

وروي عن عمر أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري « إن الفقه ليس
بكثرة السرد ، وسعة الهدر ، وكثرة الرواية ، وإنما الفقه خشية الله عز
وجل » .

وقال أحد العلماء إن كمال علم العالم ثلاثة ، ترك طلب الدنيا
بعلمه ، ومحبة الانتفاع لمن يجلس إليه ، ورافته بالناس .

وروي عن مطر الوراق قال سألت الحسن عن مسألة فقال فيها
فقلت يا أبا سعيد يابني عليك الفقهاء فقال الحسن ثكلتك أمك يامطر ،
الفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة رسول الله ﷺ الذي لا يسخر بمن أسفل
منه ولا يهزأ بمن فوقه ولا يأخذ على علم علمه الله إياه خطاماً .

عن الحسن قال الفقيه المجتهد في العبادة الزاهد في الدنيا المقيم على
سنة رسول الله ﷺ وعنه قال الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة
البصير في دينه المجتهد في العبادة . وعن وهب بن منبه قال الفقيه العفيف
التمسك بالسنة أولئك أتباع الأنبياء .

وقال سفيان الثوري الفقيه يعدُّ البلاء نعمة والرخاء مصيبة وأفقهُ منه
من لم يجترى على الله عز وجل في شيء لعلته به .
وقال غيره إن الفقيه كل الفقيه من فقه في القرآن وعرف مكيده
الشیطان .

وقال الفضيلُ بنُ عياضٍ « إنما الفقيهُ الذي أنطقتهُ الخَشْيَةُ وأسكتهُ الخَشْيَةُ إن قال قال بالكتاب وإن سَكَتَ سَكَتَ بالكتاب وإن اشْتَبَهَ عليه شيءٌ وَقَفَ عنده وَرَدَّهُ إلى عَالِمِهِ » .

وعن الحسن قال إنا لنُجَالِسُ الرَّجُلَ فنرى إن به عِيًا وما به عِيٌّ وإنه لَفَقِيهٌ مُسْلِمٌ قال وكيعٌ أسكتهُ الخَشْيَةُ .

وقال الشعبي لَسْنَا بَعُلَمَاءٍ وَلَا فُقَهَاءَ وَلَكِنَّا قَوْمٌ قَدْ سَمِعْنَا حَدِيثًا فَحَنُّ نَحْدِثُكُمْ بِمَا سَمِعْنَا إِنَّمَا الْفَقِيهَ مَنْ وَرَعَ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ وَالْعَالِمَ مَنْ خَافَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَسْتَفْتَى رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ فَقَالَ أَيُّهَا الْعَالِمُ أَفْتِنِي فَقَالَ إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ .

وعن جابر أنه تلا قولَ الله تعالى ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

فقال العالمُ الذي عَقَلَ عن الله أمره فَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَاجْتَنَبَ سَخَطَهُ .

وسئل عبدُ الله بنُ المباركٍ هَلْ لِلْعُلَمَاءِ عِلْمَةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا قال علامةُ الْعَالِمِ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ وَأَسْتَقَلَّ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مِنْ نَفْسِهِ .
وَرَغِبَ فِي عِلْمٍ غَيْرِهِ وَقَبِلَ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ أَتَاهُ بِهِ وَأَخَذَ الْعِلْمَ حَيْثُ وَجَدَهُ فَهَذِهِ عِلْمَةُ الْعَالِمِ وَصِفَتُهُ .

قال المروزي فذكرتُ ذلك لأبي عبدِ الله فقال هكذا هو .

قيل لابن المباركٍ كَيْفَ يُعْرَفُ الْعَالِمُ الصَّادِقُ فقال الذي يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَيَعْقِلُ أَمْرَ آخِرَتِهِ .

وقال الزهري لا نَثِقُ لِلنَّاسِ بِعَمَلِ عَامِلٍ لَا يَعْلَمُ .

ولا نرضي لهم بعلمِ عالِمٍ لا يَعْمَلُ .

وقال الحسن كان الرجل إذا طلب باباً من العلم لم يلبث أن يرى أثر ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وزُهدِهِ وصلاته وبدينه وإن كان الرجل ليطلب الباب من العلم فلَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها .

وروي عن أحد العلماء أنه قال أدركتُ الفقهاء بالمدينة يقولون لا يجوز أن ينصب نفسه للفتوى ولا يجوز أن نستفتي إلا الموثوق في عفافه وعقله وصلاحه ودينه وورعه وفقهه وحلمه ورفقه وعلمه بأحكام القرآن والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ .

علما بالسنة والآثار وبمن نقلها والمعمول به منها والمترك .

علما بوجوه الفقه التي فيها الأحكام علما باختلاف الصحابة والتابعين .

فإنه لا يستقيم أن يكون صاحب رأي له علم بالكتاب والسنة والأحاديث والاختلاف ولا صاحب حديث ليس له علم بالفقه والاختلاف ووجوه الكلام فيه وليس يستقيم واحدٌ منها إلا بصاحبه ومن كان من أهل العلم والفقه والصلاح بهذه المنزلة إلا أن طعمته من الناس وحاجاته منزلة بهم وهو محمولٌ عليهم فليس بموضع الفتوى ولا موثوق في فتواه ولا مأمون على الناس فيما اشتبه عليهم .

نختم هذا الكلام بما قاله شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعملاً بتبعاً لأمره فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين رضى الله عنهم أجمعين .

العِلمُ قَالَ اللهُ وَقَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أَوْلُوا العِرْفَانِ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّلْكِ بَعْدَ اليَقِينِ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمِنَ

شَدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ، وَتَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ، وَتَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخِطِكَ وَالنَّارِ،
اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْحَيِّينُ وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْأَيْنُنُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

شِعْرًا: دَعِ الشَّاعِلَ بِالْغَزْلَانِ وَالْغَزَلَ
ضَيَّعَتْ عُمْرَكَ لَا دُنْيَا ظَفِرَتْ بِهَا
تَرَكْتَ طُرُقَ الْهُدَى كَالشَّمْسِ وَاضِحَةً
وَلَمْ تَكُنْ نَاطِرًا فِي أَمْرِ عَاقِبَةٍ
يَا عَاجِزًا يَتَّادِي فِي مُتَابَعَةِ النَّدَى
هَلَّا تَشَبَّهْتَ بِالْأَكْيَاسِ إِذْ فَطِنُوا
فَرَطْتَ يَا صَاحِبَ فَاسْتَدْرِكْ عَلَى عَجَلٍ
هَلْ أَنْذَرْتِكَ يَقِينًا وَقَتَ زَوْرَتِهَا
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا الدُّنْيَا بِيَاقِبَةٍ
لَا تَحْسَبَنَّ اللَّيَالِي سَأَلْتَ أَحَدًا
وَلَا يَغْفِرُنَّكَ مَا أُؤَلِّتَ مِنْ نَعَمٍ
كَمْ مِنْ فَتَى جَبْرَتُهُ بَعْدَ كَسْرَتِهِ
إِلَّامَ تَرْفُلٍ فِي ثَوْبِ الْغُرُورِ عَلَى
وَالشَّيْبِ وَأَفَاكٍ مِنْهُ نَاصِحُ حَذِرٍ
وَلَمْ تُرْعَ مِنْهُ بَلْ أَصْبَحْتَ تَنْشُدُهُ
وَسَرْتَ تَطْلُبُ حِظَّ النَّفْسِ مِنْ سَفَهٍ
وَمَالَ عَصْرُ التَّصَابِي مِنْكَ مُرْتَحِلًا
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَوْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ مَا
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ

يَكْفِيكَ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
وَكُنْتَ عَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِي شُغْلٍ
وَمِلْتَ عَنْهَا لِمُعْوجِّ مِنَ السُّبُلِ
أَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ أَمْ أَنْتَ فِي خَبَلٍ
نَفْسَ الدُّجُوجِ وَيَرْجُو أَكْرَمَ النُّزُلِ
فَقَدَّمُوا خَيْرَ مَا يُرْجَى مِنَ الْعَمَلِ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
أَوْ بَشَّرْتَكَ بِعُمُرٍ غَيْرِ مُنْفَصِلِ
وَلَا الزَّمَانَ بِمَا أَمَلْتَ فِيهِ مَلِي
صَفْوًا فَمَا سَأَلْتَ أَلَا عَلَى دَخَلٍ
فَهَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا غَيْرَ مُتَّقِلِ
فَقَابَلْتَهُ بِجُرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ
بَسَاطِ لَهْوِكَ بَيْنَ التِّيهِ وَالْجَذَلِ
فَمَا بِهِ كُنْتَ إِلَّا غَيْرَ مُهْتَبِلِ
إِنِّي أَتَمَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدَلٍ
فَبَهْجَةِ الْعُمُرِ قَدْ وَلَّتْ وَلَمْ تَصِلِ
وَحَالَةٌ عَنْ طَرِيقِ الْغَيِّ لَمْ تُحَلِ
تَرَكَتَهَا بِاكتِسَابِ الْوِزْرِ فِي ثِقَلِ
عَلَى الضَّمَائِرِ وَالْأَسْرَارِ وَالْحَيْلِ

وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٌّ أَنْتَ فَاعِلُهُ
أَمَا اعْتَبَرْتَ بِتَرْدَادِ الْمُنُونِ إِلَى
وَسَوْفَ تَأْتِي بِلَا شَكٍّ إِلَيْكَ فَمَا
لَكِنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَدَيْكَ فَخُذْ
دَعِ الْبَطَالََةَ وَالتَّفْرِيطَ وَأَبْكَ عَلَى
وَلَمْ تُحْصَلْ بِهِ عِلْمًا وَلَا عَمَلًا
وَأَبْخَلْ بِدِينِكَ لَا تَبْغِي بِهِ عَوْضًا
وَأْتَلِ الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ مُتَهَيِّئًا
وَكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرٍ عَلَيْكَ بِهِ
وَلَا زِمَ السُّنَّةَ الْغُرَاءَ تَحْظُ بِهَا

وَجَانِبِ الْخَوْضِ فِيمَا لَسْتَ تَعْلَمُهُ
وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى كَسْبِ الْحَلَالِ وَلَوْ
وَاقِنَعْ تَجِدْ غُنْيَةً عَنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ
وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ وَاتْرُكْ مَنْ سِوَاهُ تَجِدْ
وَلَا تُدَاهِنْ فِتْنَى مِنْ أَجْلِ نِعْمَتِهِ
وَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ لَا تَهْجُرْهُ تَشَقُّ بِهِ
وَمَنْ أَتَى لَكَ ذَنْبًا فَاعْفُ عَنْهُ وَلَا
عَسَاكَ بِالْعَفْوِ أَنْ تُجْزَى إِذَا نُشِرَتْ
وَلَا تَكُنْ مُضْمِرًا مَا لَسْتَ تُظْهِرُهُ
وَلَا تَكُنْ آيسًا وَارْجُ الْكَرِيمَ لِمَا
وَقِفْ عَلَى بَابِهِ الْمَفْتُوحِ مُنْكَسِرًا
وَارْفَعْ لَهُ قِصَّةَ الشُّكُورَى وَسَلِّهِ إِذَا
وَلَا زِمَ الْبَابَ وَاصْبِرْ لَا تَكُنْ عَجَلًا

يُحْصَى وَلَوْ كُنْتَ فِي الْأُسْتَارِ وَالْكَلِّ
هَذِي الْخَلِيقَةَ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ
أُحْرَتْ عَمَّنْ مَضَى إِلَّا إِلَى أَجَلٍ
بِالْحَزْمِ وَانْهَضْ بِعَزْمٍ مِنْكَ مُكْتَمِلٍ
شَرِّحِ الشَّبَابَ الَّذِي وَلَّى وَلَمْ يَطْلُ
يُنْجِيكَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْحَادِثِ الْجَلَلِ
وَلَوْ تَعَاظَمَ وَاحْذَرْ بَيْعَةَ السُّفْلِ
عَمَّا نَهَى وَتَدَبَّرْهُ بِلَا مَلَلٍ
فَهُوَ النَّجَاةُ لِتَالِيهِ مِنَ الظُّلَمِ
وَعَدَّ عَنْ طُرُقِ الْأَهْوَاءِ وَاعْتَزَلَ

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْذَرْ فِتْنَةَ الْجَدَلِ
حَمَلَتْ نَفْسَكَ فِيهِ غَيْرَ مُحْتَمَلِ
فَفِي الْقَنَاعَةِ عِزٌّ غَيْرُ مُرْتَجَلِ
مَا تَبْتَغِيهِ بِلَا مَنٍّْ وَلَا بَدَلِ
يَوْمًا وَلَوْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَأَنْشُرْهُ تَسَعَّدْ بِذِكْرِ غَيْرِ مُنْخَدِلِ
تُحْقِدْ عَلَيْهِ وَفِي عُتْبَاهُ لَا تَطْلُ
صَحَائِفُ لَكَ مِنْهَا صِرَتْ فِي خَجَلِ
فَذَاكَ يَقْبَحُ بَيْنَ النَّاسِ بِالرَّجُلِ
أَسْلَفَتْ مِنْ زَلَّةٍ لَكِنْ عَلَى وَجَلِ
تَجَزَّمْ بِتَسْكِينِ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ عِلَلِ
جُنَّ الظُّلَامُ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُشْتَغَلِ
وَاخْضَعْ لَهُ وَتَذَلَّلْ وَادْعُ وَابْتَهَلِ

وَنَادِ يَا مَالِكِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَدِرًا
فَإِنِّي عَبْدٌ سَوْءٌ قَدْ جَنَى سَفْهًا
وَعَرَّةَ الْحِلْمِ وَالْإِمْهَالِ مِنْكَ لَهُ
وَلَيْسَ لِي غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِّ فَيْكَ فَإِنْ
حَاشَاكَ مِنْ رَدِّ مِثْلِي خَائِبًا جَزَعًا
وَلَمْ أَكُنْ بِكَ يَوْمًا مُشْرِكًا وَإِلَى
وَكَانَ ذَلِكَ فَضْلًا مِنْكَ جُدْتَ بِهِ
اللَّهُمَّ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا ثِقْوَاكَ وَأَهْدِنَا بِهَذَاكَ

وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا ، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ
مُخْرَجًا اللَّهُمَّ اعْزِزْنَا بِمَعَايِفِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَاحْفَظْ
جَوَارِحَنَا مِنْ مَخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .
(فَصْل ١٥)

وَمِمَّا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَدْبَاءُ وَالْحُكَمَاءُ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ
تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا
يُحْسِنُونَ وَقَالَ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ تَعَلَّمِ الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ
الْعِلْمُ لَكَ جَمَالًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ مَالًا وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ
مُرْوَانَ لِبَنِيهِ يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ كُنْتُمْ سَادَةً فُقُتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا سُدْتُمْ
وَإِنْ كُنْتُمْ سُوقَةً عِشْتُمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْعِلْمُ شَرَفٌ لَا قَدْرَ لَهُ وَالْأَدَبُ مَالٌ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِ وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ الْعِلْمُ أَفْضَلُ خَلْفٍ وَالْعَمَلُ بِهِ أَمَلٌ شَرَفٍ وَقَالَ
بَعْضُ الْبُلْغَاءِ تَعَلَّمِ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يُقَوِّمُكَ وَيُسَدِّدُكَ صَغِيرًا وَيُقَدِّمُكَ وَيُسَوِّدُكَ
كَبِيرًا وَيُصْلِحُ زَيْفَكَ وَفَاسِدَكَ وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ وَيُقَوِّمُ عَوْجَكَ وَمَمْلَكَ
وَيُصَحِّحُ هِمَّتَكَ وَأَمْلَكَ .

قلت وهذا صحيح في حق العاقل اللبيب القابل لذلك دون الأحمق
المتكبر الجاهل جهلاً مركباً قال بعضهم :

شِعْرًا : كَالثَّوْرِ عَقْلًا وَمِثْلَ التَّيْسِ مَعْرِفَةً فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْفَنَدِ
الجاهل شخصٌ يُنَادِي فَوْقَ هَامَتِهِ لَا تَسْأَلُ الرَّبْعَ مَا فِي الرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ

الْعِلْمُ لِلرَّجُلِ اللَّبِيبِ زِيَادَةٌ
وَنَقِیْضَةٌ لِلأَحْمَقِ الطَّيَّاشِ
مِثْلُ النَّهَارِ يَزِيدُ أَبْصَارَ الْوَرَى
شِعْرًا : نُورًا وَيُعْشِي أَعْيُنَ الْخُفَّاشِ

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ
عَلَى الْهُدَى لِمَنْ آسَتْهُدَى أَدْلَاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ
وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَنَزَّ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا
آخِر : النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَدُ عَالِمًا
وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَأَنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ
صَغِيرٌ إِذَا التَّفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ
وَأَنَّ صَغِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِمًا
كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الْمَسَائِلُ

آخِر : يَقُولُ أَنَا الْكَبِيرُ فَبَجِّلُونِي أَلَا هَبَلْتِكَ أُمُّكَ مِنْ كَبِيرٍ
إِذَا كَانَ الصَّغِيرُ أَعْمُ نَفْعًا وَأَمْضِي فِي الْحَوَائِجِ وَالْأُمُورِ
وَأُنْفَذَ فِي النَّوَابِغِ إِنْ أَلَمْتُ فَمَا فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ

وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً بالاول والجاهل
لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً وربما ذم العالم وعلمه ، قال
بعضهم :

أَنَا أَنْ سَهلاً ذَمَّ جَهْلاً
عُلُومًا لَيْسَ يَعْرِفُهُنَّ سَهْلُ
عُلُومًا لَوْ قَرَأَهَا مَا تَلَاهَا
وَلَكِنْ الرِّضَا بِالْجَهْلِ سَهْلُ

آخر : دَعِ الْجَاهِلَ الْمُفْتُونَ لَا تَصْحَبْنَهُ وَجَانِبِهِ لَا يَغْرِي بِعَقْلِكَ ضَيْرُهُ
فَإِنَّ الَّذِي أَمْسَى عَدُوًّا لِنَفْسِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يُصَادِقَ غَيْرَهُ
وَدَخَلَ عَلَى الْخَلِيلِ ابْنُ لَهُ مُتَجَلِّفٌ وَهُوَ يُقَطِّعُ بَيْتَ شِعْرٍ فَخَرَجَ
وَقَالَ إِنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ فَقَالَ أَبُوهُ :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَّرْتَنِي
أَوْ كُنْتَ تَفْهَمُ مَا أَقُولُ عَذَّلْتَكَا
لَكِنْ جَهَلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَّلْتَنِي
وَعَلِمْتَ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَّرْتَكَا

وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي ذَمِّ الْجَهْلِ فَهُوَ مَذْحٌ لِلْعِلْمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ لِرَسُولِهِ نُوحٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ﴿ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا لِنَبِيِّهِ ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا
أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى
﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِعُوَيْمِرٍ كَيْفَ أَنْتَ يَا عُوَيْمِرُ إِذَا قِيلَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْلِمْتَ أَمْ جَهَلْتَ فَإِنْ

قُلْتَ عَلِمْتُ قِيلَ لَكَ فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ وَإِنْ قُلْتَ جَهَلْتُ قِيلَ لَكَ فَمَا
 كَانَ عُدْرَكَ فِيمَا جَهَلْتَ أَلَا تَعَلَّمْتَ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ عَنْ أَبِي
 الدَّرْدَاءِ وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى سِنَاعَةِ الْجَهْلِ وَقُبْحِهِ وَمَهَانَتِهِ وَرَذَالَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ
 وَعِنْدَ خَلْقِهِ . وَقَالَ آخَرُ إِنَّ الْجَهْلَ يَحْطُ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَيُصَغِّرُ ذَوِي
 الْمَنَاصِبِ .

شِعْرًا: مَنْ جَادَ بِالْعِلْمِ أَحْيَا الْعَالَمُونَ لَهُ بَدِيعَ حَمْدٍ بِمَدْحِ الْفِعْلِ مُتَّصِلِ
 يَمُوتُ قَوْمٌ فَيُحْيِي الْعِلْمُ ذِكْرَ هُمُومَا وَالْجَهْلُ يُلْحِقُ أَمْوَاتًا بِأَمْوَاتِ
 شِعْرًا: إِذَا مَا الْجَهْلُ خَيَّمَ فِي بِلَادِ رَأَيْتَ أَسْوَدَهَا مُسِخَّتْ قُرُودًا
 آخِرُ:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهليه
 فأجسامهم قبل القبور قبور
 وإن أمراء لم يخفى بالعلم ميته

فليس له حتى النشور نشور
 آخر: مع العلم فاسلك حيث ما سلك العلم
 وعنه فكاشف كل من عنده فهم
 ففيه جلاء للقلوب من العمى
 وعون على الدين الذي أمره حتم
 فإني رأيت الجهل يُزري بأهليه
 وذو العلم في الأقسام يرفعه العلم
 يُعدُّ كبير القوم وهو صغيرهم
 وينفذ منه فيهم القول والحكم
 وأي رجاء في امرئ شاب رأسه
 وأفنى سنيه وهو مستعجم فذم

يَرُوحُ وَيَغْدُو الدَّهْرَ صَاحِبُ بَطْنَةٍ
تَرَكَبَ فِي أَحْضَانِهَا اللَّحْمُ وَالشَّحْمُ
إِذَا سُئِلَ الْمِسْكِينُ عَنِ أَمْرِ دِينِهِ
بَدَتْ رُحَضَاءُ الْعَبِيِّ فِي وَجْهِهِ تَسْمُورُ
وَهَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَقْبَحَ مَنْظَرًا
مِنْ أَشْيَبَ لَا عِلْمَ لَدَيْهِ وَلَا حُكْمَ
هِيَ السَّوْءَةُ السَّوْءَاءُ فَاحْذَرُ شَمَاتَهَا
فَأَوْلُهَا حِزْبِي وَأَخْرَهَا ذَمُّ
فَخَالِطُ رِوَاةِ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ خِيَارِهِمْ
فَصُحْبَتُهُمْ زِينٌ وَخِلَاطَتُهُمْ غَنَمٌ

وَلَا تَعُدْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَأَنْتُمْ نَجْمٌ إِذَا مَا غَابَ نَجْمٌ بَدَا نَجْمٌ
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَاتَتْ صِحَّةُ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمٌ

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ، وَيَارْفِيعَ الدَّرَجَاتِ، وَيَا غَافِرَ الذَّنْبِ وَقَابِلَ التَّوْبِ
شَدِيدَ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ .

نَسْأَلُكَ أَنْ تَذِقْنَا بِرِغْفِوِكَ، وَحِلَاوَةِ رَحْمَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَأَرْأَفَ
الرَّائِفِينَ وَأَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : قَالَ فِي مِنْهَاجِ الْيَقِينِ وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْعُلُومِ شَرِيفَةٌ وَلِكُلِّ عِلْمٍ مِنْهَا
فَضِيلَةٌ وَالْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِهَا مُحَالٌ لِعَجْزِ عُقُولِ الْبَشَرِ عَنْ إِحْاطَتِهَا أَوْ لِعَدَمِ تَنَاهِي
الْأَعْمَارِ وَإِحَاطَةَ الْغَيْرِ الْمُتَنَاهِي بِالْمُتَنَاهِي مُحَالٌ وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مَنْ
يَعْرِفُ كُلَّ الْعُلُومِ؟ فَقَالَ كُلُّ النَّاسِ .

قُلْتُ : مَا يَعْلَمُ كُلَّ الْعُلُومِ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وَرُوي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مَنْ ظَنَّ أَنَّ لِلْعِلْمِ غَايَةَ فَقَدْ

بَحْسَهُ حَقَّهُ وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي وَصَفَهُ اللَّهُ بِهَا حَيْثُ يَقُولُ:
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا﴾ انتهى .

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ سَأَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرُّوحِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الْآيَةَ . فَقَالُوا تَزْعُمُ أَنَّا لَمْ نُؤْتِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا
وَكَدُّ وَتِينَا التَّوْرَةَ وَهِيَ الْحِكْمَةُ ﴿وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾
قَالَ فَتَنَزَّلَتْ ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامًا، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ
سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ الْآيَةَ .

قَالَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتَجَاكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّارِ فَهُوَ كَثِيرٌ طَيِّبٌ وَهُوَ فِي عِلْمِ اللَّهِ
قَلِيلٌ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِنُبْلَغَ غَايَتَهُ كُنَّا قَدْ بَدَأْنَا بِالنَّقِيصَةِ
وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ لِنُنْقِصَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ وَتَزْدَادَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْعِلْمِ .

شِعْرًا: الْعِلْمُ نُورٌ فَلَا تُهْمِلُ مَجَالِسَهُ وَاعْمَلْ جَمِيلًا يُرَى فَالْفَضْلُ فِي الْعَمَلِ
لَا تُرْقِدِ اللَّيْلَ مَا فِي النَّوْمِ فَائِدَةٌ لَا تُكْسَلَنَّ تَرَى الْحَرَمَانَ فِي الْكَسَلِ
آخِرُ: إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا فَجَمْعُكَ لِلْكَتَبِ لَا يَنْفَعُ
آخِرُ: وَبَادِرِ اللَّيْلَ بِدَرَسِ الْعُلُومِ فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيْبِ
آخِرُ: إِحْفِظِ الْعِلْمَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ خَامِلًا رَفَعَكَ
وَائْتَرِكِ الْجَهْلَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ عَالِيًا وَضَعَكَ
آخِرُ: مَا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًا أُحْدُ لَا وَلَوْ حَاوَلَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
إِنَّمَا الْعِلْمُ كَبْحَرٍ زَاجِرٍ فَاتَّخِذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَى مَعْرِفَةِ جَمِيعِ الْعُلُومِ سَبِيلٌ وَجَبَ صَرْفُ الْإِهْتِمَامِ إِلَى مَعْرِفَةِ
أَهْمِهَا وَالْعَنَاءِ بِأَوْلَاهَا وَأَفْضَلِهَا وَأَوْلَى الْعُلُومِ وَأَفْضَلُهَا عِلْمُ الدِّينِ الْمُبِينِ
بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُسْتَنْبَدِ مِنْهُمَا لِأَنَّ النَّاسَ بِمَعْرِفَةِ عُلُومِ الشَّرْحِ يَرْتَدُّونَ
وَيَهْتَدُونَ وَبِجَهْلِهِ يَضِلُّونَ وَلَا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ صِفَتَهَا وَلَا شُرُوطَهَا

ولا أركانها والذي يجب على المكلف تعلمه من العلوم الدينية كل ما يحتاجه في عبادته ومعاملاته وما عدا ذلك من العلوم الشرعية أو ما هو وسيلة فمستحب. قال الله تعالى ﴿فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل): قال بعض العلماء المحققين على قول الله تعالى ﴿ولينذروا قومهم﴾ وليجعلوا غرضهم ومرمى هميتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتجها بعض العلماء من الأغراض الحسيسة ويؤمنونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملاسبهم ومساكينهم ومراكيبهم وعاداتهم ومنافسة بعضهم بعضاً وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق أحدهم إذا لمع ببصره مدرسة لآخر أو شردمة جثوا بين يديه وتهالكه على أن يكون موطاً العقب دون الناس كلهم فما أبعد هؤلاء من قوله عز وجل ﴿لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾.

آخر: وصن العلوم عن المطامع كلها
فأعلم ثوب والصفات طرازه

آخر: وإذا طلبت العلم فأعلم أنه
وإذا علمت بأنه متفاضل

آخر: كأنك لم تتعب من الدهر ليلة

شعراً: اجعل العلم يا فتى لك قيذا

لا تكن مثل معشر فقها

طلبوه فصيروه معاشاً

آخر: يقال خصال العلم ألف

ويجمعها الصلاح فمن تعدى

وأتق الله لا تخنه رريدا

جعلوا العلم لدراهم صيدا

ثم كادوا به البرية كيدا

ومن جمع الخصال ألف سادا

مذاهبه فقد جمع الفسادا

آخِر: يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْتِبَاضٌ وَإِنَّمَا
وما زِلْتُ مُنْحَازاً بِعِرْضِي جَانِباً
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ
إِذَا قِيلَ هَذَا مَوْرِدٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى
أُنْهِنُهَا عَنْ بَعْضِ مَا قَدْ يَشِينُهَا
فَأَصْبِحُ عَنْ عَيْبِ اللَّئِيمِ مُسَلِّماً
فَإِنْ قُلْتُ زَنْدَ الْعِلْمِ كَابٍ فَإِنَّمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلفاً
وَكَمْ طَالَبَ رِقي بِنِعْمَاهُ لَمْ يَصِلْ
وَكَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ عَلَى الْحُرِّ نِقْمَةً
وَلَكِنْ إِذَا مَا اضْطَرَّنِي الضَّرُّ لَمْ أَبْتَ
إِلَى أَنْ أَرَى مَا لَا أَغْصُ بِذِكْرِهِ
وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
أَشْفَى بِهِ غَرْساً وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً

اللَّهُمَّ تَوْنًا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل): ثم أعلم أن من لم يصن نفسه بوقايتها عن المحرمات ومخيل المرات
لم ينفعه علمه لأن العلم للعمل فكما لا ينفع السلاح للمجاهد ما لم يستعمله ولا
الكتب النافعة المستمدة من الكتاب ما لم يطالعها ويتعلم منها ولا الأظعمة النفيسة
المدخرة للجائع ما لم يأكل منها، فكذلك العلم وقديماً قيل:

يُحَاوِلُ تَيْلُ الْمَجْدِ وَالسَّيْفِ مُغَمِّدٌ
 آخِرُ: إِذَا كُنْتَ تَهْوَى أَنْ تَعِيشَ بِذَلِكَ
 وَيَأْمَلُ إِذْرَاكَ الْعُلَى وَهُوَ نَائِمٌ
 فَلَا تَسْتَعِدِّنَ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا
 وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا

فصيانة النفس أصل الفضائل لأن من أهمل نفسه ثقة بما منحه الله من فضيلة علمه وتوكلأ على ما يلزم الناس من صيانتِهِ سلبوه فضيلة علمه ووسموه بقبیح تبذله فلم يف ما أُعطي من العلم بما سلبه منه التبذل لأن القبیح أشيع من الجميل والرذيلة مشهورة تنقل وتذاع بسرعة لما في طباع الناس من الحسد والبغض والحقد ونزاع المناقسة فتتصرف عيونهم عن المحاسن إلى المساوي فلا ينصفون محسناً ولا يجاملون ولا يسامحون مسيئاً يذكرون المساوي كلها غالباً لا سيما إذا كان المرموق عالماً فإن زلته عندهم لا تقال وهفوته لا تُعذر لأن العيب الصغير يعظم في حق أهل المروآت والعيب في الجاهل المغمور مغموراً ولهذا ينبغي للعالم أن يحسن أخلاقه وخلقه ليقتدى به ويسلم عرضه من الطعن والاعتراضات .

قال بعض العلماء :

أَيُّهَا الْعَالِمُ إِيَّاكَ الزَّلُّ
 هَفْوَةُ الْعَالِمِ مُسْتَعْظَمَةٌ
 وَعَلَى زَلَّتِهِ عُمَدُهُمْ
 لَا تَقُلْ يَسْتُرْ عَلَيَّ الْعِلْمُ زَلَّتِي
 إِنْ تَكُنْ عِنْدَكَ مُسْتَحْقَرَةٌ
 لَيْسَ مَنْ يَتَّبِعُهُ الْعَالِمُ فِي
 مِثْلٍ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ جَهْلُهُ
 انْظُرِ الْأَنْجَمَ مَهْمَا سَقَطَتْ
 واحذر الهفوة والخطب الجلل
 إذ بها أصبح في الخلق مثل
 فبها يحتج من أخطأ وزل
 بل بها يحصل في العلم الخلل
 فهي عند الله والناس جبل
 كل ما دق من الأمر وجل
 إن أتى فاحشة قبل قد جهل
 من رآها وهي تهوي لم يسل

فإذا الشمس بدت كاسفةً وجل الخلق لها كل الوجل
وترأت نحوها أبصارهم في انزعاج واضطراب ووجل
وسرى النقص لهم من نقصها فعدت مظلمة منها السبل
وكذا العالم في زلته يفتن العالم طراً ويضل

آخر: أرى العلم كالمِرآة يصدأ وجهه

وليس سوى حُسن الخلايق من جالي
ولو وزن العلم الجبال ولم يكن
له حُسن خُلق لم يزن وزن مثقال
وإن المساوي زهي في خلق عالم
لأقبح منها وهي في خلق جهال

آخر: والعلم إن لم تكتفه شمائل
لا تحسبن العلم ينفع وحده
ثعلبه كان مطية الإخفاق
ما لم يتوج ربه بخلاق

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال تعلموا العلم وعلموه ولا تكونوا
جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم وقال في منهاج اليقين وينبغي لمن
استدل بفطرته على استحسان الفضائل واستقباح الرذائل أن ينفي عن نفسه
رذائل الجهل بفضائل العلم وينفي غفلة الإهمال باستيقاظ المعاناة ويرغب في
العلم رغبة متحقق لفضائله واثق بمنافعه ولا يلهيه عن طلبه كثرة ما وجد ولا
نفوذ أمر وعلو منزلة فإن من نفذ أمره فهو إلى العلم أحوج ليكون أمره ونهيه
على البراهين الشرعية ومن علت منزلته فهو بالعلم أحوق ليُعرف فضله ونهيه على
البراهين الشرعية.

شِعراً: لو كان هذا العلم يحصل بالمنى
فاجهد ولا تكسل ولا تك غافلاً
ما كان يبقى في البرية جاهل
فندامة العقبى لمن يتكاسل

شعرا :
يَقُولُونَ ذَكَرَ الْمَرْءِ يَبْقَى بِسَلْبِهِ وَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَسْلٌ
فَقُلْتُ لَهُمْ نَسْلِي بَدَائِعِ حِكْمَتِي فَمَنْ سَرَّهُ نَسْلٌ فَإِنَا بِذَا نَسَلُوا
شعراً :

تَفَنَّنَ وَخُذَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّمَا
يَفُوقُ أَمْرُؤَهُ فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمٌ
فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ
بِهِ وَلِعِلْمٍ أَنْتَ تُتَقِنُهُ سِلْمٌ
آخر :

الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِيَصَاحِبِهِ
فِيَا طَلِبُ هُدَيْتَ فُنُونََ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
كَمْ سَيِّدٍ بَطَلَ أَبَاؤُهُ نُجَبٌ
كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذَنْبًا
وَمُقَرِّفٍ خَامِلٍ الْأَبَاءِ ذِي أَدَبٍ
نَالَ الْمَعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتَبَا
الْعِلْمُ زَيْنٌ وَذُخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ
نَعَمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبًا
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرِمُهُ
عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الدُّلَّ وَالْحَرَبَا
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا
وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ الْفَوْتُ وَالسَّلْبَا
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نَعَمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ
لَا تُعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا

آخر :

بَعْضُ الرِّجَالِ لَهُ رَأْيٌ وَمَعْرِفَةٌ يَدْرِي وَيَعْلَمُ أَنَّ الْوَقْتَ مِنْ ذَهَبٍ
وَهُمْ فِي عُلُومِ الدِّينِ يُتَّقِنُهَا وَهُمْ أَقْرَانِهِ فِي اللَّهْوِ اللَّعِبِ

آخر : وَلَا تَطْلُبَنَّ الْعِلْمَ لِلْمَالِ وَالرِّيَا

فَإِنَّ مَلَكَ الْأُمُورِ فِي حُسْنِ مَقْصِدِ

وَكُنْ عَامِلاً بِالْعِلْمِ فِيمَا اسْتَطَعْتَهُ

لِيَهْدِيَ بِكَ الْمَرْءَ الَّذِي بِكَ يَقْتَدِي

حَرِيصاً عَلَى نَفْعِ الْوَرَى وَهَذَاهُمْ

تَلُّ كُلَّ خَيْرٍ فِي نَعِيمٍ مُؤْتَدِ

(فصل) : وقال في منهاج اليقين « وأعلم أن لكل مطلوب باعناً والباعث

على المطلوب شيئان رغبة أو رهبة فليكن طالب العلم راغباً راهباً أما
الرغبة ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته وحافظي مفترضاته بإقامتها
وتعليمها من لا يعلمها والأمر بالمعروف ، وأما الرهبة فمن عقاب الله
تعالى لتاركي أوامره ومهملي زواجره فإذا اجتمعت الرغبة والرهبة أدنا إلى
كنه العلم وحقيقة الزهد بإذن الله لأن الرغبة في الثواب أقوى الباعثين
على العلم والباعث الآخر حُبُّ الثبأه ونحوها والرهبة من العقاب أقوى
السببين في الزهد وقد قالت الحكماء « أصل العلم الرغبة وثمرته السعادة
وأصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة » فإذا اقترن العلم والزهد فقد تمت
السعادة الدنيوية والدنيوية وعمت الفضيلة وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال من ازداد في العلم رشداً ولم يزد في الدنيا زهداً لم
يزد من الله إلا بعداً وقال مالك بن دينار من لم يؤت من العلم ما يفمعه
فما أوتي منه لا ينفعه وقال بعض الحكماء الفقيه بغير وزع كالسراج
يضيء البيت ويحرق نفسه . وبالتالي فالعلم فضله يعرفه كل منصف

والناس يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ قَالَ حَرْبٌ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ
يَقُولُ النَّاسُ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْعِلْمِ قَبْلَ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ لِأَنَّ الْعِلْمَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
الانسانُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَالْخُبْزُ وَالْمَاءُ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .

وقال شيخُ الاسلامِ بنُ تيميةَ في قصيدةٍ له حلٌّ بها لُغْزاً لَفْظَةً عِلْمٌ :
والعلمُ بِالرَّحْمَنِ أَوْلُ صَاحِبٍ
وَأَهْمُ فَرَضٍ لِلَّهِ فِي مَشْرُوعِهِ
وَأَخُو الدِّينَانَةِ طَالِبُ لِمَزِيدِهِ
أَبْدَأُ وَلَمَّا يُنْهَى بِقُطُوعِهِ
وَالْمَرْءُ حَاجَتُهُ إِلَيْهِ أَشَدُّ مِنْ
فَقْرِ الْغِذَاءِ لِعِلْمِ حُكْمِ صَنِيعِهِ
فِي كُلِّ وَقْتٍ وَالطَّعَامُ فَإِنَّمَا
يَحْتَاجُهُ فِي وَقْتِ شِدَّةِ جُوعِهِ
وَهُوَ السَّبِيلُ إِلَى الْمَحَاسِنِ كُلِّهَا
وَالصَّالِحَاتِ فَسَوَاءٌ لِمُضِيِّهِ

آخر :

كَمْ مِنْ حَيَاءٍ وَكَمْ عَجْزٍ وَكَمْ نَدَمٍ
[إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ فِي الْبَحْثِ عَنْ شُبِّهِ]
وَإِذَا أَرَدْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلَهَا
فَعَلُومٌ تَوْحِيدِ الْإِلَهِ وَتَعَدُّهُ

كَمَا يَشْتَهَى الْمَاءُ الْمُبْرَدَ شَارِبُهُ
كَمَا يَفْرَحُ أَنْ الْقَاهُمُوا فِي بُحُوثِهِمْ

آخر :

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ
إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ

الْعِلْمُ مُتَّبِعٌ مَا قِيلَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسَوَاسُ الشَّيَاطِينِ
 وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَسْلَ مِنْ قِلَّةِ التَّأَمُّلِ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَّعَبَ
 نَفْسُهُ عَلَى التَّحْصِيلِ وَالْجِدِّ وَالْمُوَاطَّئَةِ بِالتَّأَمُّلِ فِي فَضَائِلِ الْعِلْمِ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ يَتَّقَى
 [ببقاءِ المعلومات] وَالْمَالُ يَفْتَنِي ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ
 اللَّهُ وَجْهَهُ :

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْجَهَّالِ مَالٌ
 فَإِنَّ الْمَالَ يَفْتَنِي عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ يَتَّقَى لَا يَزَالُ
 آخِر :

فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مُفْتَاخُ الْعِلَا لَمْ يَتَّقِ بَاباً لِلِسَعَادَةِ مُغْلَقَا
 ثُمَّ اسْتَمِدُوا مِنْهُ كُلُّ قَوَاكُمُ إِنَّ الْقَوِيَّ بِكُلِّ أَرْضٍ يَتَّقَى
 آخِر :

إِحْرَاصٌ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغُ الْأَمَلَا وَلَا تُوَاصِلُ لِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا
 فَالتَّحَلُّ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ أَبَدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا
 الشَّمْعُ بِاللَّيْلِ نُورٌ يُسْتَظَّاءُ بِهِ وَالشَّهْدُ يُبْرِئِي بِإِذْنِ الْبَارِيءِ الْعِلَلَا
 وَيُرَوَّى عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشِيَّةٌ
 وَطَلْبُهُ عِبَادَةٌ وَمُدَارَسَتُهُ تَسْبِيحٌ وَالبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ وَتَعْلِيمُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُ
 صَدَقَةٌ وَبَذَلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ وَهُوَ الْأَنْبَسُ فِي الْوَحْدَةِ وَالصَّاحِبُ فِي الْخَلْوَةِ
 وَالدَّلِيلُ عَلَى الدِّينِ وَالْمُصْبِرُ عَلَى السَّرِّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْوَزِيرُ عِنْدَ الْأَخِلَاءِ
 وَالْقَرِيبُ عِنْدَ الْغُرَبَاءِ وَمَنَارُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَاماً فَيَجْعَلُهُمْ فِي
 الْخَيْرِ قَادَةً سَادَةً هُدَاةً يُفْتَدَى بِهِمْ أَدَلَّةٌ لِلْخَيْرِ تُقْتَفَى آثَارُهُمْ وَتُرْمَقُ أَفْعَالُهُمْ
 وَتُرْعَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ وَبِأَجْنَحَتِهَا تَمْسُحُهُمْ وَكُلُّ رَطْبٍ وَيَابَسَ لَهُمْ
 يَسْتَغْفِرُ حَتَّى حَيْتَانَ الْبَحْرِ وَهَوَامُهُ وَسِبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ وَالسَّمَاءُ وَنَجْوَمُهَا لِأَنَّ
 الْعِلْمَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَنُورَ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ وَقُوَّةَ الْأَبْدَانِ مِنَ

الضَّعْفُ يَبْلُغُ بِهِ الْعَبْدُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ وَالذَّرَجَاتِ الْعُلَى وَمُدَارَسَتَهُ بِالْقِيَامِ .
بِهِ يُطَاعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَبِهِ يُعْبَدُ وَبِهِ يُوْحَدُ وَبِهِ يُمَجَّدُ وَبِهِ يُتَوَرَّعُ وَبِهِ تُوَصَّلُ
الْأَرْحَامُ وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَهُوَ إِمَامٌ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ يُلْهَمُهُ السُّعْدَاءُ
وَيُحْرَمُهُ الْأَشْقِيَاءُ .

ووردَ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اَعْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُجِبًّا وَلَا
تَكُنْ الْخَامِسَةَ فَتَهْلِكَ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ
مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ أَوْ مُعَلِّمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ
وعن عطاءِ بنِ السائبِ عن الحسنِ قال : اُعْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا
وَلَا تَكُنْ رَابِعًا فَتَهْلِكَ .

وعن الحسن أن أبا الدرداءِ قال : كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُجِبًّا أَوْ مُتَّبِعًا
وَلَا تَكُنْ الْخَامِسَ فَتَهْلِكَ . قَالَ قُلْتُ لِلْحَسَنِ وَمَا الْخَامِسُ ، قَالَ : الْمُبْتَدِعُ .

شِعْرًا: كَفَى بِالْعِلْمِ فِي الظُّلُمَاتِ نُورٌ بَيِّنٌ فِي الْحَيَاةِ لَنَا الْأُمُورَا
فَكَمْ نَالَ الدَّلِيلُ بِهِ إِعْتِزَاؤًا وَكَمْ لَبَسَ الْحَزِينُ بِهِ سُرُورَا
تَزِيدُ بِهِ الْعُقُولَ هُدًى وَرُشْدًا وَتُسْتَعْلَى النُّفُوسُ بِهِ شُعُورَا

اللَّهُمَّ أَقِظْ قُلُوبَنَا وَنُورْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ فِيهَا مَحَبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ
وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَأَرْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَلَى بَصِيرَةٍ وَالْهَمْمَاتِ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
وَاجْعَلْ آخِرَ كَلِمَةٍ نَتَكَلَّمُ بِهَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيدٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: عَلَى الْعِلْمِ نَبْلِي إِذْ قَدْ انْدَرَسَ الْعِلْمُ أَوْ لَمْ يَبْقَ فِينَا مِنْهُ رُوحٌ وَلَا جِسْمُ

ولكن بقي رَسْمٌ من العلمِ دَارِسٌ
وعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يَنْطَمِسُ الرَّسْمُ
فَإِنَّ لِعَيْنٍ أَنْ تَسِيلَ دُمُوعُهَا
وَأَنَّ لِقَلْبٍ أَنْ يُصَدِّعَهُ الْهَمُّ
فَإِنَّ بِفَقْدِ الْعِلْمِ شُرًّا وَفِتْنَةً
وَتَضْيِيعَ دِينِ أَمْرَةٍ وَاجِبِ حَتْمٍ
وَمَا سَائِرُ الْأَعْمَالِ إِلَّا ضَلَالَةٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْعَامِلِينَ بِهَا عِلْمٌ
وَمَا النَّاسُ دُونَ الْعِلْمِ إِلَّا بِظُلْمَةٍ
مِنَ الْجَهْلِ لَا مِصْبَاحَ فِيهَا وَلَا نَجْمٌ
فَهَلْ يُهْتَدَى إِلَّا بِنَجْمِ سَمَائِهِ
إِذَا مَا بَدَأَ مِنْ أَفْقِهِ ذَلِكَ النُّجْمُ
فَهَذَا أَوْ أَنَّ الْقَبْضَ لِلْعِلْمِ فَلْيُنْحِ
عَلَيْهِ الَّذِي فِي الْحَبِّ كَانَ لَهُ سَهْمٌ
فَلَيْسَ بِمُبْقِي الْعِلْمِ كَثْرَةُ كُتُبِهِ
فَمَاذَا تَفِيدُ الْكُتُبُ إِنْ فُقِدَ الْفَهْمُ؟
وَمَا قَبْضُهُ إِلَّا بِمَوْتِ وَعَاتِهِ
فَقَبْضُهُمْ قَبْضٌ لَهُ وَبِهِمْ يَنْمُو
فَجِدْ وَأَدِّ الْجَهْدَ فِيهِ فَإِنَّهُ
لِصَاحِبِهِ فَخْرٌ وَذُخْرٌ بِهِ الْغُنْمُ
فَعَارٌّ عَلَى الْمَرْءِ الَّذِي تَمَّ عَقْلُهُ
وَقَدْ أَمَلَتْ فِيهِ الْمُرُوءَةُ وَالْحَزْمُ
إِذَا قِيلَ : مَاذَا أَوْجَبَ اللَّهُ يَا فَتَى؟

أَجَابَ بِلَا أَذْرِي وَأَنْسَى لِي الْعِلْمُ
وَأَقْبَحُ مِنْ ذَا لَوْ أَجَابَ سُؤَالَه
بِجَهْلٍ فَإِنَّ الْجَهْلَ مَوْدِدٌ وَخَمٌ
أُبْرَضَى بَأَنَّ الْجَهْلَ مِنْ بَعْضِ وَصْفِهِ
وَلَوْ قِيلَ يَا ذَا الْجَهْلِ فَارَقَهُ الْجِلْمُ
فَكَيْفَ إِذَا مَا الْبَحْثُ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ
جَرَى وَهُوَ بَيْنَ الْقَوْمِ لَيْسَ لَهُ سَهْمٌ
تَدُورُ بِهِمْ عَيْنَاهُ لَيْسَ بِنَاطِقِ
فغَيْرُ حَرِيٍّ أَنْ يُرَى فَاضِلًا فَدَمٌ
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا كَالْحَيَاةِ إِذَا سَرَتْ
بِجِسْمٍ حَيًّا وَالْمَيِّتِ مَنْ فَاتَهُ الْعِلْمُ
وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ مِدْحَةٍ لَهُ
يَكَادُ بِهَا ذُو الْعِلْمِ فَوْقَ السُّهَى يَسْمُو
وَكَمْ خَبِرَ فِي فَضْلِهِ صَاحَّ مُسْنَدًا
عَنِ الْمِصْطَفَى فَاسْأَلْ بِهِ مَنْ لَهُ عِلْمٌ
كَفَى شَرَفًا لِلْعِلْمِ دَعْوَى الْوَرَى لَهُ
جَمِيعًا وَيَنْفِي الْجَهْلَ مِنْ قُبْحِهِ الْقَدَمُ
فَلَسْتُ بِمُخَصِّ فَضْلُهُ إِنْ ذَكَرْتُهُ
فَقَدْ كَلَّ عَنْ إِحْصَائِهِ النَّشْرُ وَالنَّظْمُ
فِيَا رَافِعَ الدُّنْيَا عَلَى الْعِلْمِ غَفْلَةٌ
حَكَمْتَ فَلَمْ تُنْصِفْ وَلَمْ يُصِبِ الْحُكْمُ
أَتَرْفَعُ دُنْيَا لَا تُسَاوِي بِأَسْرِهَا
جَنَاحَ بَعُوضٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ يَا فَدَمُ

وَتُوِّبِرُ أَصْنَافَ الحُطَامِ عَلَى الَّذِي
 بِهِ العِزُّ فِي الدَّارَيْنِ وَالْمُلْكُ وَالْحُكْمُ
 وَتَرَعَّبُ عَنِ إِرْثِ النَّبِيِّينَ كُلِّهِمْ
 وَتَرَعَّبُ فِي مِيرَاثِ مَنْ شَانَهُ الظُّلْمُ
 وَتَزْعُمُ جَهْلًا : أَنَّ بَيْعَكَ رَابِحٌ
 فَهَيْهَاتَ لِمَ تَرْبِحَ وَلِمَ يَضْدِقِ الزَّعْمُ
 أَلَمْ تَعْتَبِرْ بِالسَّابِقِينَ ؟ فَحَالُهُمْ
 دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الأَجَلَ هُوَ العِلْمُ
 فَكَمْ قَدْ مَضَى مِنْ مُتْرَفٍ مُتَكَبِّرٍ
 وَمِنْ مَلِكٍ دَانَتْ لَهُ العُرْبُ والعَجْمُ
 فبَادُوا فَلَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ قَطُّ ذَاكِرًا
 وَإِنْ ذُكِرُوا يَوْمًا فَذَكَرُهُمُ الذَّمُّ
 وَكَمْ عَالِمٍ ذِي فَاقَةٍ وَرِثَاةٍ
 وَلَكِنَّهُ قَدْ زَانَهُ الزُّهْدُ والعِلْمُ
 حَيَا مَا حَيَا فِي طَيْبِ عَيْشٍ وَمُدَّ قَضَى
 بَقِي ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ إِذْ فُقِدَ الجِسْمُ
 فَكُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ حَقَّ طَالِبِهِ
 مَدَى العُمُرِ لَا يُوهِنُكَ عَنْ ذَلِكَ السَّأْمُ
 وَهَاجِرٌ لَهُ فِي أَيِّ أَرْضٍ وَلَوْ نَأَتْ
 عَلَيْكَ فإِعْمَالُ المَطِيِّ لَهُ حَتْمٌ
 وَأَنْفِقْ جَمِيعَ العُمُرِ فِيهِ فَمَنْ يَمُتْ
 لَهُ طَالِبًا نَالَ الشَّهَادَةَ لَاهْظَمُ
 فَإِنْ نِلْتَهُ فَلْيَهْنِكِ العِلْمُ إِنَّهُ

هو الغاية العلياء واللذة الجسم
فليله كم تفتض من بكر حكمة
وكم ذرة تحظى بها وصفها اليتم
وكم كاعب حسناء تكشف خدرها
فيُسفر عن وجهه به يبرأ السقم
فتلك التي تهوى ظفرت بوصلها
لقد طال ما في حُبها نحل الجسم
فعائق وقيل وارثيف من رضاياها
فعدلك عن وصل الحبيب هو الظلم
فجالس رواة العلم واسمع كلامهم
فكم كليم منهم به يبرأ الكلم
وإن أمرُوا فاسمع لهم وأطع فهم
أولوا الأمر لامن شأنه الفتك والظلم
مجالسهم مثل الرياض أنيقة
لقد طاب منها اللون والريح والطعم
أتعاض عن تلك الرياض وطيبها
مجالس دنيا حشوها الزور والإثم
فما هي إلا كالمزابل مَوْضِعاً
لكل أذى لا يُستطاع له شم
فدُرْحُولُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
وأصحابه أيضاً فهذا هو العلم
وما العلم آراء الرجال وظنهم
ألم تدري أن الظن من بغيه الإثم

وَكُنْ تَابِعاً خَيْرَ الْقُرُونِ مُمَسِّكاً
بِأَثَرِهِمْ فِي الدِّينِ هَذَا هُوَ الْحَزْمُ
وَصَلِّ إِلَهَ الْعَالَمِينَ مُسَلِّماً
عَلَى مَنْ بِهِ لِلْأَنْبِيَاءِ جَرَى الْخَتْمِ
كَذَا الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا قَالَ قَائِلٌ
عَلَى الْعِلْمِ نَبِيُّكَ إِذْ قَدْ انْدَرَسَ الْعِلْمُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : عباد الله انتهبوا فُرْصَ الزَّمَانِ ، قبل تعذر الامكان قَبْلَ أَنْ
تُنْقَلَ مِنْ اسْمِ مَا زَالَ إِلَى خَبَرِ كَانِ ، فانتبه يا من نظنه صَاحِ وَإِذَا هُوَ سَكْرَانٌ .
فَمَا كُلُّ حِينٍ مُمَكِّنُ الْفَوْزِ بِالْمُنَى وَلَا كُلُّ وَقْتٍ يُرْفَعُ الْحُجْبُ لِلْعَبْدِ
عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ يَثِقُ بِالْحَيَاةِ مِنَ الْمَنِيَّةِ تَقْفُو إِثْرَهُ وَتَقِفْ لَهُ فِي دَرَبِهِ ،
كَيْفَ يَرْجُو رَاحَةَ الدُّنْيَا مِنْ لَا رَاحَةَ لَهُ دُونَ لِقَائِهِ رَبِّهِ .

تالله لو كانت الدنيا صافية المشارب من كل شائب مُسِيرَةَ الْمُطَالِبِ
لِكُلِّ طَالِبٍ ، باقيةً علينا لا يسلبها منا سالب ، لكان الزاهد فيها هو
اللَّيِّبُ الصَّائِبُ ، لأنها تشغل عن الله والنعم إذا اشغلت عن المنعم كانت
مِنَ الْمَصَائِبِ .

أَيَا رَاضِعِ الدُّنْيَا انْفِطِمِ عَنْ رِضَاعِهَا
أَلَا عَامِلٌ فِيهَا لِيُنْقِذَ نَفْسَهُ
أَلَا آسِفٌ ذُو لَوْعَةٍ وَتَحْرِقُ
أَلَا مُذْنِبٌ مُسْتَغْفِرٌ مِنْ ذُنُوبِهِ
أَلَا خَاشِعٌ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ خَاضِعٌ
سَتَلْقَوْنَ مَا قَدَّمْتُمُوهُ الْيَوْمَ فِي غَدٍ
فَقَدْ آنَ تَنَهَاكَ عَنْهَا الشَّوَائِبُ
أَلَا مُؤْمِنٌ فِيهَا سَيَخْلُدُ رَاغِبٌ
أَلَا نَائِحٌ فِي مَأْتَمِ الْحُزْنِ نَادِبٌ
أَلَا خَائِفٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ رَاهِبٌ
أَلَا نَاحِلٌ شَوْقًا إِلَى اللَّهِ ذَائِبٌ
وَكُلُّ إِمْرِيءٍ يُجْزَى بِمَا هُوَ كَاسِبٌ

اللَّهُمَّ يَا سَامِعَ كُلِّ صَوْتٍ ، وَيَا بَارِيَّ النُّفُوسِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، يَا مَنْ لَا تَشْتَبُهْ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ ، يَا عَظِيمَ الشَّانِ ، وَيَا وَاضِعَ الْبِرْهَانِ ، يَا مَنْ هُوَ كُلُّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ ، اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . اللَّهُمَّ أَمِّنْ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عَيْوَبِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادَنَا وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتِمَادُنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل التاسع في الإخلاص والنية

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَشُوبَهُ غَيْرُهُ فَإِذَا صُنِّيَ عَنْ شُوبِهِ وَخَلَصَ عَنْهُ سُمِّيَ خَالِصًا ، وَيُسَمَّى الْفِعْلُ الْمُصَنَّفِيُّ الْمُخْلِصَ إِخْلَاصًا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ فَإِنَّمَا خُلُوصُ اللَّبَنِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ شُوبٌ مِنَ الدَّمِ وَالْفَرْثِ وَمِنْ كُلِّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَمْتَزَجَ بِهِ . وَالْإِخْلَاصُ يُضَادُّهُ الْإِشْرَاقُ ، الْمُخْلِصُ الصَّادِقُ هُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي لَوْ خَرَجَ كُلُّ قَدْرٍ لَهُ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ مِنْ أَجْلِ إِصْلَاحِ قَلْبِهِ وَلَا يُحِبُّ إِطْلَاعَ النَّاسِ عَلَى أَعْمَالِهِ .

وَقَالَ حُدَيْفَةُ الْمَرْعَشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْإِخْلَاصُ أَنْ تَسْتَوِيَ أَفْعَالُ الْعَبْدِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَقَالَ غَيْرُهُ : الْإِخْلَاصُ إِفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالطَّاعَةِ بِالْقَصْدِ وَهُوَ أَنْ يُرِيدَ بِطَاعَتِهِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دُونَ شَيْءٍ آخَرَ مِنْ تَصْنُوعِ لِمَخْلُوقٍ أَوْ اكْتِسَابِ مَحَمَّدَةٍ عِنْدَ النَّاسِ أَوْ مَحَبَّةٍ مَدْحٍ مِنَ الْخَلْقِ أَوْ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي سِوَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ .

وَقَالَ آخَرُ : نَظَرَ الْاِكْيَاسُ فِي تَفْسِيرِ الْإِخْلَاصِ فَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ هَذَا أَنْ تَكُونَ حَرَكَتُهُ وَسُكُونُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا يُمَارِجُهُ نَفْسٌ وَلَا هَوًى وَلَا دُنْيَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْإِخْلَاصُ التَّوَقُّيُّ عَنْ مَلَاخِظَةِ الْخَلْقِ ،

وَالصَّدَقُ التَّنَقِّي مِنْ مُطَاوَعَةِ النَّفْسِ فَاَلْمَخْلَصُ لَا رِيَاءَ لَهُ ، وَالصَّادِقُ لَا
إِعْجَابَ لَهُ .

وقال آخرُ : ثلاثٌ مِنْ علاماتِ الإِخْلَاصِ : إِسْتِواءُ المَدْحِ وَالذَّمِّ
مِنَ العَامةِ ، ونَسِيانُ رُؤيةِ الأَعْمَالِ فِي الأَعْمَالِ ، واقتِضاءُ ثوابِ العَمَلِ
فِي الآخِرَةِ . وقد وَرَدَ فِي فَضْلِ الإِخْلَاصِ آياتٌ وَأَحاديثٌ ، قال اللهُ
تعالى : ﴿ وما أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وقال : ﴿ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الخالِصُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِلا الَّذِينَ تابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعتَصَمُوا
باللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ ، وقال : ﴿ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقائَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ
عَمَلًا صالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وقال : ﴿ لَنْ يَنالَ اللَّهُ لِحومُها
ولا دِماؤها وَلَكِنْ يَنالُهُ التَّقوى مِنْكُمْ ﴾ .

وأخبرَ تعالى عَمَّا قالَهُ المُخْلِصونَ مِنْ عِبادِهِ ﴿ إِنما نُطِعمُكُمْ لوجِهَ
اللَّهِ لا نُريدُ مِنْكُمْ جِزاءً ولا شُكورا ﴾ وقال : ﴿ وما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ
تُجْزَى إِلا ابْتِغاءً وَجِهَ رَبِّهِ الأعلى وَلسوفَ يَرْضَى ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِرًا إِلى اللَّهِ وَرِسالِهِ ثُمَّ
يَدْرِكُهُ المَوتُ فَقَدِ وَقَعَ أَجرُهُ على اللَّهِ ﴾ .

وعن أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قالَ رِسالُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَماتَ كُتِبَ لَهُ أَجرُ الحَاجِّ إِلى يَومِ القِيامَةِ .

وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَماتَ كُتِبَ لَهُ أَجرُ المُعْتَمِرِ إِلى يَومِ القِيامَةِ . وَمَنْ
خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبيلِ اللَّهِ فَماتَ كُتِبَ لَهُ أَجرُ الغَازِيِ إِلى يَومِ القِيامَةِ » .

وعن أَنسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَن رِسالِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قال : « مَنْ فارَقَ الدُّنيا على الإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحَدَهُ لا شَريكَ لَهُ
وَأقامَ الصَّلاةَ وَأَتى الزَّكاةَ فارَقَها وَاللهُ عَنْهُ راضٍ » رواه ابنُ ماجهَ وَالحاكِمُ
وقال على شَرطِ الشَّيخين .

وعن أبي سعيد الخُدْرِيّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِهِ ، ثَلَاثٌ لَا يُغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَالْمَنَاصِحَةُ لِلْأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِزُومُ جَمَاعَتِهِمْ فَإِنَّ دَعَاءَهُمْ مُحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ . رَوَاهُ الْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ .

وعن مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يَنْضَرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بضعيفيها بدعوتيهم وصلاتيهم وإخلاصهم . رواه النسائي وغيره .

وما وردَ عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شِعْرًا: إِذَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى كَرِيمًا مُهْدَبًا تَقِيًّا سَرِيًّا مَا جَدًّا فَطِنًا حُرًّا
فَكُنْ مُخْلِصًا لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَكُنْ تَابِعًا لِلْمُصْطَفَى تُحْرِزِ الْأَجْرًا
وَإِنْ مَا بَدَأَ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُخْتَلًا لِزَلَّتِهِ عُدْرًا
آخِرُ: جُرُوحُ الْمَعَاصِي لِلْفُؤَادِ تُذِيبُ وَلَيْسَ سِوَى تَقْوَى الْإِلَهِ طَيِّبُ
وَحَسْبُكَ أَنْ تُخْلِصَ لِمَنْ خَلَقَ الْوَرَى وَتَسْأَلُهُ دَوْمًا لَعَلَّ يُجِيبُ

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ : إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وادياً إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ وَفِي رِوَايَةٍ إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةٍ حَبَسَهُمُ الْعَذْرُ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم قالت : قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ، قال : يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم . متفق عليه .

وعن معن بن يزيد قال : كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها فوضعها عند رجل في المسجد فجئت فأخذتها فأتيتها بها فقال : والله ما إياك أردت . فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لك ما نويت يا يزيد ولك ما أخذت يا معن رواه البخاري .

وفي حديث سعد بن أبي وقاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : إنك لن تخلف فتعمل عملاً تتبني به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة الحديث . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم . رواه مسلم .

وعن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتل شجاعةً ويُقاتل حميةً ويُقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . متفق عليه ، وقال صلى الله عليه وسلم إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ، قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال : فلان جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

ورجلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ
فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَمِلْتُ بِهِ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قَالَ :
كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ
قِيلَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ . وَرَجُلٌ وَسَّعَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا فَقَالَ : مَا
عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا
لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ
فَسُجِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ . وعن أبي كبشة
الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الأمة مثل
أربعة نفر رجل أتاه الله مالا وعِلْمًا فهو يعمل به في ماله يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ ،
وَرَجُلٌ أَتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا وَهُوَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا
عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَهُمَا
فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ ، وَرَجُلٌ أَتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِيهِ يُنْفِقُهُ
فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَيَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي
مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم : فَهُمَا فِي الوِزْرِ سَوَاءٌ .

وقال عمر : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ
تَعَالَى وَالْوَرَعُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَصِدْقُ النِّيَّةِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : دُلُونِي
عَلَى عَمَلٍ لَا أُرْأَى بِهِ عَامِلًا لِلَّهِ تَعَالَى فَقِيلَ لَهُ : أَنْوَ الخَيْرِ فَإِنَّكَ لَا تَزَالُ
عَامِلًا وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْ ، فَالنِّيَّةُ الصَّالِحَةُ بِعَمَلٍ وَإِنْ عُدِمَ العَمَلُ لِعُدْرِ

شَرْعِي ، فَإِنَّ مَنْ نَوَى أَنْ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَنَامَ كُتِبَ لَهُ ثَوَابٌ مَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَهُ وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ لَهُ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ يَقُومُهَا فَيَنَامُ عَنْهَا إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلَاتِهِ وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً تُصَدِّقُ بِهِ عَلَيْهِ فَالْمَرْءُ مَا دَامَ قَدْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَأَخْلَصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ فَإِنَّ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَنَوْمَاتِهِ وَيَقْظَاتِهِ تُحْسَبُ خَطَوَاتٍ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ .

قال بعضُ السلفِ : إني لأستحِبُّ أن يكونَ لي في كُلِّ شيءٍ نيةٌ حتَّى في أكلِي وشُرْبِي ونومي ودُخُولِ الخلاءِ وفي كلِّ ذلكِ ممَّا يُمكنُ أن يُقصدَ بهِ التقربُ إلى اللهِ تعالى لأنَّ كلَّ ما هو سببٌ لبقاءِ البدنِ وفراغِ القلبِ من مهمَّاتِ الدِّينِ فمن قصدَ من الأكلِ التقويَ على العبادةِ ومن النكاحِ العفافَ وتحصينَ الدِّينِ وتطيينَ قلبِ أهلهِ والتوصلِ إلى ولدٍ يعبُدُ اللهَ بعدهُ أثيبَ على ذلكِ .

ولا تحقِّرْ شيئاً من حركاتِكَ وسَكَناتِكَ فصلاحتِكَ واخلاصُ القلبِ لِربِّ العالمينَ يرفعانِ منزلةَ العملِ الدُّنيوي البحتِ فيجعلانه عبادةً مُتقبَّلةً كما أن فسَادَ النيةِ ينزلُ بالطاعاتِ وتثقلُ معه معاصي فلا ينالُ المرءُ بعدَ التعبِ في أدائها إلا الفشلَ والحسارةَ .

اللَّهُمَّ يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ أَصْلِحْ فسادَ قلوبنا واستر في الدُّنيا والآخرةِ عُيوبنا واغفر بعفوك ورحمتك ذنوبنا وهب لنا موبقاتِ الجرائرِ واستر علينا فاضحاتِ السرَّائِرِ ولا تُخلنا في موقفِ القيامةِ من بردِ عَفوكِ وَعُفرائِكَ ولا تُتركننا من جميلِ صفحكِ وأحسانِكَ واغفر لنا ولوالِدَيْنا ولجميعِ المُسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصلٌ) : قال ابن القيم : رحمه الله لا يجتمعُ الاخلاصُ في القلبِ ومحبَّةُ المدحِ والثناءِ والطَّمعِ فيما عندَ الناسِ إلا كما يجتمعُ الماءُ والنارُ

والضُّبُّ والحوتُ ، فاذا حَدَّثْتَكَ نَفْسُكَ بِطَلَبِ الاخْلَاصِ فَأَقْبِلْ عَلَى الطَّمَعِ أَوْلًا فَادْبَحْهُ بِسِكِّينِ اليَأْسِ ، واقْبِلْ عَلَى المَدْحِ والشَّائِءِ فَارْهَدْ فِيهِمَا زُهْدَ عُشَاقِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ ، فاذا اسْتَقَامَ لَكَ ذَبْحُ الطَّمَعِ والزُّهْدِ فِي الشَّائِءِ والمَدْحِ سَهْلَ عَلَيْكَ الاخْلَاصُ فَان قَلتَ : وما الَّذِي يُسَهِّلُ عَلَيَّ ذَبْحَ الطَّمَعِ والزُّهْدِ فِي الشَّائِءِ والمَدْحِ قَلتَ : أما ذَبْحُ الطَّمَعِ فَيُسَهِّلُهُ عَلَيْكَ يَقِينًا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُطْمَعُ فِيهِ إِلَّا وَبِيدِ اللَّهِ وَحَدَهُ خِزَانَتُهُ لَا يَمْلِكُهَا غَيْرُهُ وَلَا يُؤْتَى العَبْدُ مِنْهَا شَيْئًا سِوَاهُ وَأما الزُّهْدُ فِي الشَّائِءِ والمَدْحِ فَيُسَهِّلُهُ عَلَيْكَ عِلْمُكَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَنْفَعُ مَدْحُهُ وَيَزِينُ ، وَيَضُرُّ ذَمُّهُ وَيَشِينُ إِلَّا اللَّهُ وَحَدَهُ ، قالَ ذلِكَ الأعرابيُّ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ان مَدْحِي زَيْنٌ وَذَمِّي شَيْنٌ فقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

فازهد في مدح من لا يزينك مدحه وفي ذم من لا يشينك ذمه ، وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه ، ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد سفراً في البحر في غير مركب قال الله تعالى : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ . وقال : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ .

وقد يعجز عن عمل الخير الذي يتمنى فعله لضعف بدنه أو قلة ماله ولكن الله المطلع على السرائر اللطيف الخبير يثيب الحرص على فعل الخير كما في الحديث إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً .

وفي غزوة العسرة تقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال يريدون أن يقتلوا الكفار وأن يجودوا بأنفسهم في سبيل الله فقال

لهم النبي صلى الله عليه وسلم : لا أجد ما أحملكم عليه فعادوا وفي حلو قههم غصة لتخلفهم عن ميدان القتال في سبيل الله وفيهم نزل ﴿ ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدم حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ فنوه النبي صلى الله عليه وسلم بإيمانهم واخلصهم وقال للجيش السائر معه : (ان بالمدينة لرجالاً ما سيرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم) الحديث وتقدم قريباً .

اللهم اعطنا من الخير فوق ما نرجوه وأصرف عنا من السوء فوق ما نحذر فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب .

اللهم وأجعلنا ممن يأخذ الكتاب باليمين ، وأجعلنا يوم الفزع الأكبر آمين ، وأوصلنا برحمتك وكرمك إلى جنات النعيم ، اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة وأعدنا من موجبات الحسرة والندامة يوم القيامة وخفف عنا ثقل الأوزار ، وارزقنا عيشة الأبرار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل العاشر

وقال ابن القيم رحمه الله : يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات رؤيته وملاحظته وطلب العوض عليه ورضاه به وسكونه إليه . ففي هذه الدرجة يتخلص من هذه البلية . فالذي يخلصه من رؤية عمله مشاهدته لمنة الله لا مشيئته هو ، كما قال تعالى ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ وأنه آله محضة وأنه لو حلي ونفسه لم يكن من فعله الصالح شيء ، فإن النفس جاهلة ظالمة طبعها الكسل وإثارة الشهوات والبطالة ، وهي منبع كل شر وماوى كل سوء ، وما كان هكذا لم يصدُر

مِنْهُ خَيْرٌ وَلَا هُوَ مِنْ شَأْنِهِ فَالْخَيْرُ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللَّهِ وَبِهِ ، لَا مِنْ الْعَبْدِ وَلَا بِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَلَوْ لَا فَضَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمْتَهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ الْآيَةَ .

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْعَبْدِ فَهُوَ مُجَرَّدُ فَضْلِ اللَّهِ وَمِنْتَبِهِ وَإِحْسَانِهِ ، هُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهِ فِرْوِيَةُ الْعَبْدِ لِأَعْمَالِهِ فِي الْحَقِيقَةِ كَرُؤِيَّتِهِ لِصِفَاتِهِ الْخَلْقِيَّةِ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَإِدْرَاكِهِ وَقُوَّتِهِ ، بَلْ مِنْ صِحَّتِهِ وَسَلَامَةِ أَعْضَائِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَالْكُلُّ مُجَرَّدُ عَطَاءِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ فَالَّذِي يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ هَذِهِ الْآفَةِ مَعْرِفَةُ رَبِّهِ وَمَعْرِفَةُ نَفْسِهِ .

وَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ طَلَبِ الْعَوَظِ عَلَى الْعَمَلِ عِلْمُهُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ مَحْضٌ ، وَالْعَبْدُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى خِدْمَتِهِ لِسَيِّدِهِ عِوَضًا وَلَا أَجْرًا ، أَذْ هُوَ يَخْدِمُهُ بِمُقْتَضَى عُيُودِيَّتِهِ ، فَمَا يَنَالُهُ مِنْ سَيِّدِهِ مِنَ الْأَجْرِ ، وَالثَّوَابِ تَفَضُّلٌ مِنْهُ وَاحْسَانٌ إِلَيْهِ وَانْعَامٌ عَلَيْهِ لَا مُعَاوَضَةَ ، إِذِ الْأَجْرَةُ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّهَا الْحُرُّ أَوْ عَبْدٌ الْغَيْرِ فَأَمَّا عَبْدٌ نَفْسُهُ فَلَا . وَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ رِضَاؤِهِ بِعَمَلِهِ وَسُكُونِهِ إِلَيْهِ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا مَطَالَعَةُ عُيُوبِهِ وَأَفَاتِهِ وَتَقْصِيرِهِ فِيهِ وَمَا فِيهِ مِنْ حَظِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، فَقَلَّ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ وَإِنْ قَلَّ وَلِلنَّفْسِ فِيهِ حَظٌّ .

الثَّانِي : عِلْمُهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ حُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ وَآدَابِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَشُرُوطِهَا وَأَنَّ الْعَبْدَ أضعفُ وَأعجزُ مِنْ أَنْ يُوفِيَهَا

حَقًّا وَأَنْ يَرْضَى بِهِ لِرَبِّهِ فَالْعَارِفُ لَا يَرْضَى بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ لِرَبِّهِ وَلَا يَرْضَى نَفْسَهُ لِلَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَيَسْتَحِي مِنْ مُقَابَلَةِ اللَّهِ بِعَمَلِهِ . وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعَمِائَةِ رَكْعَةٍ ، ثُمَّ يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَيَهْزُهَا وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ : يَا مَا أَوْى كُلَّ سُوءٍ وَهَل رَضِيْتُكَ لِلَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : آفَةُ الْعَبْدِ رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ بِاسْتِحْسَانِ شَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا وَمَنْ لَمْ يَتَّهَمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ فَهُوَ مَغْرُورٌ . انتهى .

وختاماً فعلى المسلم المخلص أن يحذر كل الحذر أن يمتزج باخلاص عمله شيء آخر من رياء أو غيره كمن يصوم ليتفتح بالحمية الحاصلة بالصوم ومع قصد التقرب أو يعتق رقيقه ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه أو يحج ليصح بدنه بحركة السفر أو ليتخلص من شر يعرض له ببلده أو يغزو ليمرن على الحرب ويمارسها أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزاً بين أبناء جنسه وعشيرته ، أو ليكون ماله محروساً بعز العلم عن الاطماع ، أو عاد مريضاً ليعاد إن مرض أو شيع جنازة ليشيع جناز أهلها ، أو فعل شيئاً من ذلك ليُعرف بالخير ويُذكر به ويُنظر إليه بعين الصلاح والوقار أو تصدق ليثني عليه ويُقال أنه كريم يبدل المال أو قام بمشاريع خيرية ليثني عليه فكل هذه ونحوها من مكدرات صفو الاخلاص نسأل الله العصمة لنا ولاخواننا منها .

وكم من أعمال يتعب الشخص فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ، ويكون فيها مغروراً لأنه لا يرى وجه الآفة فيها ، فدقائق الآفات قلماً تسلّم الاعمال منها .

قال بعض السلف لا يزال العبد بخير ما علم ما الذي يفسد عليه

عَمَلُهُ فَلَا غِنَى بِالْعَبِيدِ عَنْ مَعْرِفَةِ مَا أَمْرُنَا بِاتِّقَائِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَغَيْرِهِ وَلَا سِيَّمَا
الرِّيَاءَ إِذْ وَصِفَ بِالْخَفَاءِ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ فَمَا خَفِيَ
لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِشِدَّةِ التَّفَقُّدِ وَنَفَازِ الْبَصِيرَةِ بِمَعْرِفَةِ لَهُ حِينَ يَعْرُضُ وَإِلَّا لَمْ
يَنْفَعِ التَّفَقُّدُ لِمَا لَا يُعْرَفُ .

فَبِالْخَوْفِ وَالْحَذَرِ يَتَّفَقُ الْعَبْدُ الرِّيَاءَ ، وَبِمَعْرِفَتِهِ بِبَصَرِهِ حِينَ يَعْرُضُ لَهُ .
وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ أَنَّهُ يَمُدُّ جَاشَ صَاحِبِهِ بِقُوَّةٍ فَلَا يَتَبَاطَأُ أَنْ
يَنْهَضَ لِلدَّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ .

وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَشْرَحُ صَدْرَ صَاحِبِهِ لِلانْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ فَتَجِدُهُ
يُؤَثِّرُهَا بِجَانِبٍ مِنْ مَالِهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ خِصَاصَةٌ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يُعَلِّمُ
صَاحِبَهُ الزُّهْدَ فِي عَرَضِ الدُّنْيَا ، فَلَا يُخْشَى مِنْهُ أَنْ يُنَاوِيَ الْحَقَّ أَوْ
يُلْبِسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَوْ أُعْطِيَ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ . وَمِنْ
فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ الْقَاضِيَّ عَلَى تَحْقِيقِ النَّظَرِ فِي الْقَضَايَا فَلَا يَتَسَّرَعُ فِي
الْقَضِيَّةِ وَيَفْصِلُ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ وَيَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ
يَحْمِلُ الْمُعَلِّمَ أَنْ يَبْذِلَ جُهْدَهُ فِي إِضْحَاحِ مَا خَفِيَ عَلَى التَّلْمِيزِ وَأَنْ لَا
يَبْخَلَ عَلَى الطَّلَابِ بِمَا تَسَعُهُ أَفْهَامُهُمْ مِنَ الْمَبَاحِثِ الْمِفِيدَةِ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ
أَنَّ الْأَسْتَاذَ يَحْرِصُ عَلَى أَنْ يَسْلُكَ فِي طَرِيقَةِ التَّدْرِيسِ الْأَسَالِيبَ الَّتِي
تُجَدِّدُ نَشَاطَهُمْ وَتَحْفِزُهُمْ إِلَى التَّعَمُّقِ فِي الْمَسَائِلِ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ أَنَّهُ يَمْنَعُ التَّاجِرَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَلَا يَخُونُ الَّذِي
يَأْتِمُنُهُ فِي صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْبِضَاعَةِ ، أَوْ قِيمَتِهَا . وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ
أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى إِجَادَةِ الْعَمَلِ وَأَنْ يَكُونَ مُحْسِنًا فِيهِ وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ
يَمْنَعُ الْكَاتِبَ أَنْ يَقْلِبَ بَعْضَ الْحَقَائِقِ أَوْ يَكْسُوَهَا لَوْنًا غَيْرَ لَوْنِهَا . وَمِنْ
فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى تَجَنُّبِ الْفِشْرِ فَكُلُّ غَشَاشٍ فَهُوَ

ليس بِمُخْلِصٍ ، وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ .
أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ ، وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ أَنَّهُ
يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ سَوَاءً .

وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى تَنْظِيمِ أَعْمَالِهِ . وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنْ
الْمُتَّصِفَ بِهِ يَكُونُ مُقَدَّرًا مَرْمُوقًا بَعَيْنِ الْإِحْتِرَامِ وَالْإِجْلَالِ ، وَمِنْ فَوَائِدِهِ
أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنِ الرِّشْوَةِ ، وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ
صَاحِبَهُ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَزَيْرًا أَوْ رَئِيسًا أَوْ مَدِيرًا أَنْ يَتَحَرَّى
لِلْأَعْمَالِ الْأَنْقَى وَالْأَرْضَى ، الَّذِي تُوجَدُ فِيهِ الْمُؤَهَّلَاتُ حَقِيقَةً ، وَهِيَ
الْقُوَّةُ وَالْأَمَانَةُ وَالْحِفْظُ وَالْعِلْمُ . عَامِلًا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ
اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عِصَابَةٍ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّ الْعَمَلَ الْخَالِصَ الْقَلِيلَ مِنْهُ يُجْزِي
كَمَا فِي حَدِيثِ مَعَاذِ أَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : أَخْلِصْ
الْعَمَلَ يُجْزِكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَنَا الرَّعِينُ لِمَنْ يُخْلِصُ لِخَالِقِهِ
أَخْرَجَ : وَأَحْسَنُ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُخْلِصِي
وَأَيْمَنُ كَفِّ فِي الْوَرَى كَفُّ مُحْسِنِي
أَخْرَجَ : وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
أَخْرَجَ : وَاللَّهُ لَا يَرْضَى بِكَثْرَةِ فِعْلِنَا
فَالْعَارِفُونَ مُرَادُهُمْ أَحْسَانُهُ
وَيَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ أَنْ يُحْرَزَ الرَّشْدَا
لِمَنْ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ رَبُّ الْبَرِيَّةِ
يُرِيدُ رِضَى الْخَلْقِ نِعْمَ الْإِرَادَةَ
ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
لَكِنْ بِأَحْسَنِهِ مَعَ الْإِيمَانِ
وَالجَاهِلُونَ عَمُوا عَنِ الْإِحْسَانِ

وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَتَخَلَّصُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ ،
قَالَ اللَّهُ إِخْبَارًا عَمَّا قَالَهُ أُبُلَيْسُ لَعَنَهُ اللَّهُ : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ ، وَمِنْ
فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ أَنَّهُ يُمَيِّزُ الْعَمَلَ مِنَ الْعُيُوبِ كَتَمَيِّيزِ نَفْسَهُ وَيُجِمُّهَا لِلْعَمَلِ
لِيَتَّقَى عَلَى الْعِبَادَةِ يَكُونُ نَوْمُهُ عِبَادَةً .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«موعظة»: عِبَادَ اللَّهِ اُخْلِصُوا فِي أَعْمَالِكُمْ كُلِّهَا لَا فَرْقَ بَيْنَ عَمَلٍ وَعَمَلٍ
 سِوَاءِ أَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِخَلْقِ اللَّهِ وَسِوَاءِ أَكُنْتُمْ بَيْنَ
 الْخَلْقِ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَمْ كُنْتُمْ فِي مَحَلِّ خَفِيٍّ لَا يَرَاكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَالْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ
 وَسِوَاءِ أَكُنْتُمْ فِي سِرٍّ أَوْ فِي الْعَمَلِ أَمْ فِي ضِرَّاءٍ .

ذَلِكَ الْإِخْلَاصُ هُوَ أَنْ تَعْمَلَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا تُرِيدُ جَزَاءً عَلَيْهِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ
 يَكُونُ ذَلِكَ قَصْدَكَ قَبْلَ الْعَمَلِ وَحِينَ مُبَاشَرَتِهِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ لَا تَذْكُرُهُ
 بِلِسَانِكَ إِلَّا مِنْ بَابِ التَّحَدُّثِ بِنِعْمِ اللَّهِ أَوْ لِيَقْتَدِيَ بِكَ غَافِلٌ مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ، بِهَذَا
 يَكُونُ الْعَمَلُ عِبَادَةً حَقًّا وَتَكُونُ أَنْتَ مِنَ الْعَابِدِينَ وَبِهَذَا يُثْمِرُ عَمَلُكَ الْقَبُولَ
 عِنْدَ رَبِّكَ وَعِنْدَ النَّاسِ، وَبِهَذَا تَكُونُ أَقْوَى النَّاسِ لِأَنَّ وَلِيَّكَ خِيَتِيذٌ يَكُونُ
 مَوْلَاكَ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ وَبِهَذَا تَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكِرَامَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي دَارِ
 الْجَزَاءِ .

شِعْرًا: لِلَّهِ دَرُّ نَاسٍ اُخْلِصُوا الْعَمَلَا
 أَوْ لَا هُمُوا نِعْمًا فَازْدَادَ شُكْرَهُمُوا
 وَفَوَّأَ لَهُ ثُمَّ وَافَوْهُ بِمَا عَمِلُوا
 آخِر: عَلَيْكَ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّذِي
 آخِر: إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ فَقُلْ لَهُمْ
 عَلَى الْيَقِينِ وَدَانُوا بِالَّذِي أَمُرُوا
 ثُمَّ ابْتَلَاهُمْ فَأَرْضَوْهُ بِمَا صَبَرُوا
 إِذَا سَيُوفِيهِمْ— إِذَا نُشِرُوا
 لَهُ نِعْمٌ لَا تَنْحَصِي وَفَضَائِلُ
 عِبَادٌ لِمَوْلَاهُمْ أَنَابُوهُ وَأَخْلِصُوا

أَمَّا إِذَا عَمِلْتَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لِيُقْبَلَ عَلَيْكَ النَّاسُ وَيَقُولُوا إِنَّكَ مِنَ
 الصَّالِحِينَ فَأَنْتَ إِذَا تَكُونُ مُرَائِيًّا لَا تُخْلِصُ الْعَمَلَ بَلْ تَشْرِكُ مَعَهُ النَّاطِرِينَ
 فَتَكُونُ فِي دَعْوَى تَمْحِصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى لَسْتَ بِصَادِقٍ بَلْ مِنَ
 الْكَاذِبِينَ .

وَانظُرْ كَيْفَ تَكُونُ حَالُ مَنْ يَكْذِبُ عَلَى مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ،

لا في الأرض ولا في السماء ، إن المُرَائِي مَهْمَا أَخْفَى رِيَاءَهُ يُظْهِرُ اللَّهُ
تعالى ما في قلبه لِلْعَالَمِينَ ، رَوَى الامامُ أحمدُ عن أبي سعيدٍ مرفوعاً « لو
أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلَا مَنْفَذٌ لَأَخْرَجَ اللَّهُ عَمَلَهُ
لِلنَّاسِ كَانَتْ مَا كَانَ » .

ولذلك يكون لأعمال المُرَائِي مِنَ السَّمَاجَةِ فِي نُفُوسِ النَّاسِ مَا لَا
يَحْكِيهِ اللِّسَانُ ولهذا يكون مُرْدُولًا ثَقِيلًا عِنْدَ النَّاسِ ، ومن هذا تَرَاهُ يَتَوَدَّدُ
إِلَى النَّاسِ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَنُفُورُهُمْ عَنْهُ عِبْرَةٌ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ ثُمَّ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ
أَسْوَأُ حَالًا خُصُوصًا فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَشْتَبُ فِيهِ الْإِطْفَالُ فَقَدْ يُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى
النَّارِ وَلَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ لَكِنَّهَا لَمَّا لَمْ يُرَدِّ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ خَالِصَةً
صَارَتْ وَبَالًا عَلَيْهِ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الرِّيَاءِ .

وَقَدَّمَ أَحَادِيثَ الرَّسُولِ وَنَصَّه
فَإِنْ جَاءَ رَأْيٌ لِلْحَدِيثِ مُعَارِضٌ
فَهَلْ مَعَ وُجُودِ الْبَحْرِ يَكْفِي تَيْمَمٌ
وَهَلْ يُوقَدُ النَّاسُ الْمَصَابِيحَ لِلضِّيَاءِ
سَلَامِي عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ
بِهِمْ يَهْتَدِي مَنْ يَقْتَدِي بِعُلُومِهِمْ
وَيُحْيِي بِهِمْ مَنْ مَاتَ بِالْجَهْلِ قَلْبَهُ
لَهُمْ حُلُلٌ قَدْ زَيَّنَتْهُمْ مِنَ الْهُدَى
وَمَنْ يَكُنِ الْوَحْيُ الْمُطَهَّرُ عِلْمَهُ
وَمَا يَسْتَوِي تَالِي الْحَدِيثِ وَمَنْ تَلَا
وَكُنْ رَاغِبًا فِي الْوَحْيِ لَا عَنْهُ رَاغِبًا
إِذَا شَامَ بَرَقًا فِي سَحَابٍ مَشَى بِهِ
وَمَنْ قَالَ : ذَا حِلٍّ ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ

على كل قولٍ قد أتى بإزائه
فللرأيِ فاطرحْ ، واسترخ من عنائه
لمن ليس معذوراً لدى فقهاءه ؟
إذا ما أتى رداً الضحى بضيائه
مصايح علم ، بل نجوم سوائه
ويرقى بهم ذو الداء علة دائه
فهم كالحيا تحيا البقاع بيائه
إذا ما تردى ذو الردى بردائه
فلا ريب في توفيقه وأهدائه
زخارف من أهوائه وهذائه
كخابط ليل تائه في دجائه
والأبقي في شكة وأمترائه
بغير دليل . فهو محض افترائه

وَيَثُبْتُ بِالْوَحِيِّ صِدْقُ ادْعَائِهِ
لَدَى الْحُكْمِ قَاضٍ عَادِلٍ فِي قَضَائِهِ
بِهِ يُقْتَدَى فِي جَهْلِهِ لِشِقَائِهِ
مَتَى صَحَّ عِنْدِي لَمْ أَقُلْ بِسِوَائِهِ
فَوَاعَجَبًا مِنْ جَهْلِهِ وَجَفَائِهِ
لَنْ هُوَ يَوْمَ الْحَشْرِ عِنْدَ نِدَائِهِ
وَمَا عَظَّمَ الْإِنْسَانَ مِنْ رُؤْسَائِهِ
بِمَاذَا أَجَابُوا الرُّسُلَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ
إِذَا مَا تَوَى فِي الرَّمْسِ نَحْتَ تُرَابِهِ
لَدَى اللَّهِ عُدْرِيَوْمَ فَضْلِ قَضَائِهِ
« سِوَى حُبِّهِ رَبُّ الْوَرَى وَاتِقَائِهِ »
« وَمَنْ يَقْتَنِي آثَارَهُمْ بَاهْتِدَائِهِ »

وَكُلُّ فَقِيهِ فِي الْحَقِيقَةِ مُدَّعٍ
هُمَا شَاهِدَا عَدْلٍ ، وَلَكِنْ كِلَاهُمَا
فَوَاحِرَّ قَلْبِي مِنْ جَهْلٍ مُسَوِّدٍ
إِذَا قُلْتُ : قَوْلُ الْمُصْطَفَى هُوَ مَذْهَبِي
يَرَى أَنَّهَا دَعْوَى اجْتِهَادٍ صَرِيحَةٍ
فَسَلُهُ : أَقُولُ اللَّهُ : مَاذَا أَجَبْتُمْ ؟
أَيَسْأَلُهُمْ : مَاذَا أَجَبْتُمْ مُلُوكَكُمْ ؟
أَمْ اللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَمْتَحِنُ الْوَرَى
وَهَلْ يُسْأَلُ الْإِنْسَانَ عَنْ غَيْرِ أَحْمَدٍ
وَهَلْ قَوْلُهُ : يَا رَبِّ قَلَّدْتُ غَيْرَهُ
فَهَيْهَاتَ لَا يُغْنِي الْفَتَى يَوْمَ حَشْرِهِ
« وَحُبُّ رَسُولِ اللَّهِ بَلْ كُلِّ رُسُلِهِ »

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاجْعَلِ الْإِيمَانَ لَنَا سِرَاجًا وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا اسْتِذْرَاجًا وَاجْعَلْهُ
لَنَا سُلْمًا إِلَى جَنَّتِكَ وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا مَكْرًا مِنْ مَشِيئَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَلِيمُ . اللَّهُمَّ
يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَبْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَتَبَهَّنَا لِاغْتِنَامِ
أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ
عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا ، وَأَمُنْ
عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الحادي عشر

في محاسبة النفس

اعلم وفقنا الله واياك وجميع المسلمين أنه يجب على الانسان أولاً

أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ لَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ وَلَا هَلَاكَ عَلَيْهِ بَعْدَهَا ثُمَّ يُفَكِّرُ (لَاي شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ وَلَمَّا خَرَجَ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ عَبْتًا كَمَا قَالَ اللَّهُ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْتًا) وَقَالَ ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ﴾ وَأِنَّمَا وُضِعَ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِلْبَلَاةِ وَالِاخْتِيَارِ هَلْ يَطِيعُ رَبَّهُ فَيَنْتَقِلَ إِلَى دَارِ نَعِيمٍ أَوْ يَعْصِي رَبَّهُ فَيَنْتَقِلَ إِلَى عَذَابِ الْأَبَدِ إِلَى جَهَنَّمَ وَبَشَسِ الْمِهَادِ .

إِذَا فَهِمَ ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَأَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ الْعِلْمُ ثُمَّ الْعَمَلُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِي مَوَاضِعِهِ وَعِلَلِهِ وَأَسْبَابِهِ وَلَنْ يَجِدَ ذَلِكَ إِلَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ الطَّاعَةَ سَبِيلُ النِّجَاةِ وَالْعِلْمُ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى السَّبِيلِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ ﴾ .

ثُمَّ يَتَأَمَّلُ مَا أَمَامَهُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ وَالْعَقَبَاتِ وَالْأَهْوَالِ الَّتِي أَوْضَحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَبَيَّنَّهَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ وَقَالَ ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ وَقَالَ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ وَقَالَ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ .

- فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُنَاقَشٌ فِي الْحِسَابِ عَنْ مَثَاقِيلِ الذَّرِّ فِي يَوْمٍ كَانَ

مقداره خمسين ألف سنة أحوج ما يكون الى الحسنات وغفران السيئات
تحقق أنه لا ينجيه من هذه الأخطار إلا اعتماده على الله ومعاونته على
مُحاسبة نفسه ومراقبتها ومطالبتها في الأنفاس والحركات ومُحاسبتها في
الخطرات واللحظات فمن حاسب قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه
وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه .

قال ابن القيم : رحمه الله هلاك القلب من إهمال محاسبتها ومن
موافقيتها واتباع هواها وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع
نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى « دان نفسه أي حاسبها .

وذكر الامام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :
حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوها قبل أن تُوزنوا فإنه أهون عليكم
في الحساب غداً أن تُحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ
تعرضون لا تخفى منكم خافية « على الله . وذكر أيضاً عن الحسن لا
تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بشريتي ؟
والفاجر يمضي قدماً لا يحاسب نفسه . وقال قتادة في قوله تعالى :
﴿ وكان أمره فُرطاً ﴾ ، أضاع نفسه وغبن مع ذلك تراه حافظاً لما له
مضيئاً لدينه .

وقال الحسن : إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه
وكانت المُحاسبة من همته وقال ميمون بن مهران : لا يكون العبد تقياً
حتى يكون لنفسه أشدَّ مُحاسبة من الشريك ، ولهذا قيل النفس كالشريك
الخوان إن لم تُحاسبه ذهب بمالك وقال ميمون أيضاً : إن التقي أشدَّ
مُحاسبةً لنفسه من سلطان قاضٍ ومن شريكٍ شحيح .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ وَهْبٍ قَالَ مَكْتُوبٌ فِي حِكْمَةِ دَاوُودَ . حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيهَا مَعَ إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ وَيَصَدِّقُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَسَاعَةٍ يُخَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحُلُّ وَيَجْمَلُ ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ عَوْنًا عَلَى تِلْكَ السَّاعَاتِ وَإِجْمَامًا لِلْقُلُوبِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : الْمُؤْمِنُ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ لِلَّهِ وَإِنَّمَا يَخْفَتُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا شَقَّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ .

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَفْجُوهُ الشَّيْءُ يُعْجِبُهُ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَشْتَهِيكَ وَإِنَّكَ لَمَنْ حَاجَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا مِنْ صِلَةٍ إِلَيْكَ هَيْهَاتَ حَيْلٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَيَفْرَطُ مِنْهُ الشَّيْءُ فَيَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَقُولُ : مَا أَرَدْتُ إِلَى هَذَا مَا لِي وَلِهَذَا وَاللَّهِ لَا أَعُودُ إِلَى هَذَا أَبَدًا إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَوْمٌ وَفَقَهُمُ الْقُرْآنَ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَلَكَتِهِمْ إِنَّ الْمُؤْمِنَ أُسِيرٌ فِي الدُّنْيَا يَسْعَى فِي فَكَاكَ رَقَبَتِهِ لَا يَأْمَنُ شَيْئًا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مَاخُودٌ عَلَيْهِ فِي سَمْعِهِ وَفِي بَصَرِهِ وَفِي لِسَانِهِ وَفِي جَوَارِحِهِ .

اللَّهُمَّ أَيِّقِظْ قُلُوبَنَا وَتَوَرِّهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَاللَّهُمَّ اذْكُرْكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِبَطَاعَتِكَ وَامْتِنَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) : قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِ صَاحِبِ الْمَنَازِلِ : الْمُحَاسَبَةُ لَهَا ثَلَاثَةُ أَرْكَانٍ ، أَحَدُهَا أَنْ تُقَاسَ بَيْنَ نِعْمَتِهِ وَجِنَائِكَ يَعْنِي تَقَاسِمْ بَيْنَ مَا مِنَ اللَّهِ وَمَا مِنْكَ فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ لَكَ التَّفَاوُتُ وَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا عَفْوُهُ وَرَحْمَتُهُ أَوْ الْهَلَاكُ وَالْعَطْبُ وَبِهَذِهِ الْمَقَاسِيسَةِ تَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ رَبُّ الْعَبْدِ عَبْدٌ

وَيَبِينُ لَكَ حَقِيقَةَ النَّفْسِ وَصِفَاتِهَا وَعَظْمَةَ جَلَالِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَتَفَرُّدُ الرَّبِّ
بِالْكَمَالِ وَالْأَفْضَالِ وَأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ فَضْلٌ وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ وَأَنَّ قَبْلَ هَذِهِ
الْمُقَايَسَةِ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ وَبِرُّوبِيَّةِ فَاطِرِهَا وَخَالِقِهَا .

فَإِذَا قَايَسْتَ ظَهَرَ لَكَ أَنَّهَا مَنبَعُ كُلِّ شَرٍّ وَأَسَاسُ كُلِّ نَقْصٍ وَأَنَّ
حَدَّهَا الْجَاهِلَةُ الظَّالِمَةُ وَأَنَّهُ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ بِتَرْكِيَّتِهِ لَهَا مَا زَكَتْ
أَبَدًا وَلَوْلَا هُدَاهُ مَا اهْتَدَتْ وَلَوْلَا إِرْشَادُهُ وَتَوْفِيقُهُ لَمَا كَانَ لَهَا وَصُولٌ إِلَى
خَيْرِ الْبَتَّةِ وَأَنَّ حُصُولَ ذَلِكَ لَهَا مِنْ بَارئِهَا وَفَاطِرِهَا ، ثُمَّ تَقَايَسَ بَيْنَ
الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فَتَعَلَّمْ بِهَذِهِ الْمُقَايَسَةِ أَيُّهُمَا أَكْثَرُ وَأَرْجَحُ قَدْرًا وَصِفَةً .

قال : وهذه المقايسة تشق على من ليس له ثلاثة أشياء ، نور
الحكمة وسوء الظن بالنفس ، وتمييز النعمة من الفتنة يعني أن هذه
المقايسة والمحاسبة تتوقف على نور الحكمة وهو النور الذي نور الله به
قلوب أتباع الرسل فبقدره ترى التفاوت وتمكن من المحاسبة نور
الحكمة ههنا هو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل والهدى
والضلال والضار والنافع والكامل والناقص والخير والشر ويُبصِرُ به
مراتب الأعمال راجحها ومرجوحها ومقبولها ومرذودها كلما كان حظه من
هذا النور أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم .

أما سوء الظن بالنفس فإنما احتاج إليه لأن حسن الظن بالنفس
يمنع من كمال التفتيش ويلبس عليه فيرى المساوىء محاسن والعيوب
كمالاً ولا يُسيء الظن بنفسه إلا من عرفها ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من
أجهل الناس بنفسه . وأما تمييز النعمة من الفتنة فليفرق بين النعمة التي
يرى بها الاحسان واللطف ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية وبين
النعمة التي يرى بها الاستدراج فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يدري

مفتونَ بِنَاءِ الْجُهَالِ عَلَيْهِ مَرُورٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ حَوَائِجِهِ وَسْتَرِهِ عَلَيْهِ وَأَكْثَرُ النَّاسِ عِنْدَهُمْ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ عَلَامَةُ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ ، ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَقَدْ مُثِّلَتِ النَّفْسُ مَعَ صَاحِبِهَا فِي الْمَالِ ، وَكَمَا أَنَّهُ لَا يَتِمُّ مَقْصُودُ الشَّرِكَةِ مِنَ الرَّبْحِ إِلَّا بِالْمِشَارَظَةِ عَلَى مَا يَفْعَلُ الشَّرِيكُ أَوَّلًا ثُمَّ بِمِطَالَعَةِ مَا يَعْمَلُ وَالْإِشْرَافُ عَلَيْهِ وَمُرَاقِبَتِهِ ثَانِيًا ، ثُمَّ بِمَحَاسَبَتِهِ ثَالِثًا ، ثُمَّ بِمَنْعِهِ مِنَ الْخِيَانَةِ أَنْ أَطْلَعَ عَلَيْهَا رَابِعًا ، فَكَذَلِكَ النَّفْسُ يُشَارِطُهَا أَوَّلًا عَلَى حِفْظِ الْجَوَارِحِ السَّبْعَةِ الَّتِي حَفِظَهَا هُوَ رَأْسُ الْمَالِ وَالرَّبْحُ بَعْدَ ذَلِكَ فَمَنْ لَيْسَ لَهُ رَأْسُ مَالٍ كَيْفَ يَطْمَعُ فِي الرَّبْحِ ؟ .

وَهَذِهِ الْجَوَارِحُ السَّبْعَةُ هِيَ : الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَالْفَمُ وَاللِّسَانُ وَالْفَرْجُ وَالْيَدُ وَالرَّجْلُ هِيَ مَرْكَبُ الْعَطَبِ وَالنَّجَاةِ فَمِنْهَا عَطَبٌ مَنْ عَطِبَ بِأَهْمَالِهَا وَعَدَمِ حِفْظِهَا وَنَجَا مَنْ نَجَا بِحِفْظِهَا وَمُرَاعَاتِهَا فَحِفْظُهَا أَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ وَإِهْمَالُهَا أَسَاسُ كُلِّ شَرٍّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ فإذا شارطها على حفظ هذه الجوارح وانتقل منها إلى مطالعتها والإشراف عليها ومراقبتها فلا يُهْمَلُهَا فَإِنَّهُ إِنْ أَهْمَلَهَا لَحِظَتْ وَقَعَتْ فِي الْخِيَانَةِ وَلَا بُدَّ فَإِنْ تَمَادَى عَلَى الْإِهْمَالِ تَمَادَتْ فِي الْخِيَانَةِ حَتَّى يَذْهَبَ رَأْسُ الْمَالِ كُلُّهُ فَمَتَى أَحْسَسَ بِالْخُسْرَانِ وَتَيَقَّنَهُ اسْتَدْرَكَ مِنْهَا مَا يَسْتَدْرِكُهُ الشَّرِيكُ مِنْ شَرِيكِهِ مِنَ الرَّجُوعِ عَلَيْهِ بِمَا مَضَى وَالْقِيَامَ بِالْحِفْظِ وَالْمُرَاقَبَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَلَا مَطْمَعُ لَهُ فِي فَسْخِ هَذِهِ الشَّرِكَةِ مَعَ هَذَا الْخَائِنِ فَلْيَجْتَهِدْ فِي مُرَاقَبَتِهِ وَمُحَاسَبَتِهِ وَلِيَحْذَرْ مِنْ أَهْمَالِهِ ، وَيُعِينَهُ عَلَى هَذِهِ الْمُرَاقَبَةِ وَالْمَحَاسَبَةِ مَعْرِفَتُهُ أَنَّهُ كُلَّمَا اجْتَهِدَ فِيهَا الْيَوْمَ اسْتَرَاحَ مِنْهَا غَدًا إِذَا صَارَ الْحِسَابُ إِلَى غَيْرِهِ وَكُلَّمَا أَهْمَلَهَا الْيَوْمَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحِسَابُ غَدًا ،

وَيُعِينُهُ عَلَيْهَا أَيْضاً مَعْرِفَتُهُ أَنَّ رِيحَ هَذِهِ التِّجَارَةِ سُكْنَى الْفِرْدَوْسِ وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ وَخَسَارَتِهَا دَخُولُ النَّارِ وَالْحِجَابِ عَنِ الرَّبِّ فَإِذَا تَيَقَّنَ هَذَا هَانَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ الْيَوْمَ .

فَحَقُّ عَلَى الْحَازِمِ الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهَا فِي حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا وَخَطَوَاتِهَا فَكُلُّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِ الْعُمَرِ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ لَا خَطَرَ لَهَا يُمَكِّنُ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا كُنْزاً مِنَ الْكُنُوزِ لَا يَتَنَاهَى نَعِيمُهُ أَبَدَ الْأَبَادِ .

فِإِضَاعَةُ هَذِهِ الْأَنْفَاسُ أَوْ مُشْتَرَى صَاحِبِهَا بِهَا مَا يَجْلِبُ هَلَاكَهُ خُسْرَانٌ عَظِيمٌ لَا يَسْمَعُ بِمِثْلِهِ إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ وَأَحْمَقُهُمْ وَأَقْلَمُهُمْ عَقْلاً وَإِنَّمَا يَظْهَرُ لَهُمْ حَقِيقَةُ هَذَا الْخُسْرَانِ يَوْمَ التَّغَايُنِ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ ﴿ يَوْمَ تَبْلَوْ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تِجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ .

عَلَيْكَ بِمَنْعِ نَفْسِكَ عَنْ هَوَاهَا	فَمَا شَيْءٌ أَلَدَّ مِنَ الصَّلَاحِ
تَاهَبْ لِلْمِئِنَةِ حِينَ تَعْدُو	كَأَنَّكَ لَا تَعِيشُ إِلَى الرَّوَّاحِ
فَكَمْ مِنْ رَائِحٍ فِينَا صَاحِحِ	نَعْتُهُ نَعَاتُهُ قَبْلَ الصَّبَّاحِ
وَبَادِرُ بِالْإِنَابَةِ قَبْلَ مَوْتِ	عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِظَمِ الْجُنَاحِ
وَلَيْسَ أَخُو الرِّزَايَةِ مَنْ تَجَافَى	وَلَكِنْ مَنْ تَشَمَّرَ لِلْفَلَاحِ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(٣) « مَوْعِظَةٌ »

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَقَدْ تَرَكَتُمْ عَلَيْكُمْ الذَّنُوبَ وَأَنْتُمْ فِي غِيْكُمْ وَلَهْوِكُمْ

في دُنْيَاكُمْ مُشْتَغِلُونَ أَحَاطَتْ بِكُمْ الْبَلَايَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَلَسْتُمْ لِإِصْلَاحِ
 أَنْفُسِكُمْ تَجْنَحُونَ ، كُلَّمَا أَوْضَحَ لَكُمْ الْوَاعِظُ طَرِيقَ الْهَدَايَةِ تَعَامَيْتُمْ فَلَا
 أَنْتُمْ بِالْكَرُوبِ مُعْتَبِرُونَ وَلَا مِنْ الْبَلَايَا مُنْزَجِرُونَ أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ
 وَعَلَا ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأَمْلِي لَهُمْ أَنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نَسَارِعِ لَهُمْ فِي
 الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ
 أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ
 مُبْلِسُونَ ﴾ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَنْظِرْ فِي نَفْسِكَ هَلْ تَجِدُهَا عَامِلَةً بِمَقْتَضَى الدِّينِ
 هَلْ أُتَيْتَ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ وَاجْتَنَبْتَ الْمَعَاصِيَ الْمَنَافِيَةَ لِلدِّينِ
 هَلْ أُدَيْتَ الزَّكَاةَ كَامِلَةً مُكْمَلَةً بَيِّقِينَ فَتَشْ هَلْ تَجِدُ فِيهَا حَيَاءً مِنَ اللَّهِ بَيِّقِينَ
 هَلْ أَنْتَ سَأَلْتَ مِنَ الْكُذْبِ وَالْخِيَانَةِ وَالْإِحْتِيَالِ هَلْ سَأَلْتَ مِنَ الرِّبَا فِي
 أَقْوَالِكَ وَأَعْمَالِكَ هَلْ أَنْتَ سَأَلْتَ مِنَ الرِّبَا فِي مُعَامَلَاتِكَ هَلْ أَنْتَ سَأَلْتَ مِنَ
 الْمُدَاهَنَةِ وَالنِّفَاقِ هَلْ أَنْتَ سَأَلْتَ مِنَ الْعِنْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْبُهْتِ وَاللُّغْنِ وَسِيءِ
 الْمَقَالَاتِ هَلْ أَنْتَ سَأَلْتَ مِنَ الْغِيْشِ فِي بَيْعِكَ وَشِرَائِكَ وَسَائِرِ تَصَرُّفَاتِكَ
 هَلْ أَنْتَ صَائِرٌ لِسَانَكَ عَنْ مَا يَضُرُّكَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ هَلْ أَنْتَ سَأَلْتَ
 مِنَ الْكِبْرِ وَالْإِعْجَابِ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ وَالْعُقُوقِ هَلْ أَنْتَ سَأَلْتَ مِنَ أَذْيَةِ الْجَارِ
 هَلْ قَلْبُكَ لَيْسَ رَحُومٌ تَرَحَّمُ الْمِسْكِينَ وَتُكْرِمُ الْيَتِيمَ هَلْ أَنْتَ تَقْضِي حُقُوقَ
 النَّاسِ بَدُونِ مِطَالٍ وَلِجَاجٍ هَلْ أَنْتَ تُحِبُّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضُ فِي اللَّهِ هَلْ
 أَنْتَ سَأَلْتَ مِنَ حَلْقِ اللَّحِيَّةِ أَوْ صَبْغِهَا أَوْ الدُّخَانِ هَلْ أَنْتَ سَأَلْتَ مِنَ
 الْخَنَافِسِ وَالتَّوَالِيَتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّافِلَاتِ هَلْ بَيْتُكَ خَالٍ عَنِ
 صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَهَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ الْمِذْيَاعِ وَالتَّلْفِيزِيُونِ وَالسَّيِّنَاتِ
 وَهَلْ أَنْتَ سَأَلْتَ مِنْ بَيْعِ هَذِهِ الْمُحْرَمَاتِ هَلْ قُمْتَ عَلَى أَوْلَادِكَ لِلصَّلَاةِ

والتَّوَجُّهِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَفَقَّدَ لِنَفْسِكَ بَدِيقَةَ كُلِّ يَوْمٍ وَتُعَالِجَ مَا بِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْمُهْلِكَاتِ فَإِنَّهَا أَشَدُّ ضَرَرًا وَفَتْكًا مِنْ أَمْرَاضِ الْبَدَنِ الَّتِي لَا نَضِيرُ عَلَيْهَا إِنْ لَمْ نَجِدْ لَهَا عِلَاجًا ذَهَبْنَا إِلَى الْخَارِجِ رَجَاءً بُرْئِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

قَالَ وَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ نَوْعَانِ أَمَّا الْأَوَّلُ فَيَقِفُ عِنْدَ أَوَّلِ هِمَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَلَا يُبَادِرُ بِالْعَمَلِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُجْحَانُهُ عَلَى تَرْكِهِ قَالَ الْحَسَنُ : رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا وَقَفَ عِنْدَ هِمِّهِ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ مَضَى وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهِ تَأَخَّرَ ، النُّوعِ الثَّانِي مُحَاسَبَةُ بَعْدَ الْعَمَلِ وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ : أَحَدُهَا مُحَاسَبَتُهَا عَلَى طَاعَةِ قَصَّرَتْ فِيهَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ فَلَمْ تُؤَقِّعْهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي .

وَحَقُّ اللَّهِ فِي الطَّاعَاتِ بِمُرَاعَاتِ سِتَّةِ أُمُورٍ وَهِيَ الْإِخْلَاصُ فِي الْعَمَلِ وَالنَّصِيحَةُ لِلَّهِ فِيهِ وَمُتَابَعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ وَشُهُودُهُ مَشْهَدَ الْإِحْسَانِ فِيهِ وَشُهُودُ مَنَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ وَشُهُودُ تَقْصِيرِهِ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ هَلْ وَفَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ حَقَّهَا وَهَلْ أَتَى بِهَا فِي هَذِهِ الطَّاعَاتِ ، الثَّانِي أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى عَمَلٍ كَانَ تَرْكُهُ خَيْرًا لَهُ مِنْ فَعْلِهِ ، الثَّلَاثُ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى أَمْرٍ مَبَاحٍ أَوْ مُعْتَادٍ لِمَ فَعَلَهُ وَهَلْ أَرَادَ بِهِ اللَّهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَيَكُونُ رَابِحًا فِيهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا وَعَاجَلَتْهَا فَيُخْسِرُ ذَلِكَ الرِّبْحَ وَيَقُوتُهُ الظُّفْرُ بِهِ قَالَ : وَجَمَاعُ ذَلِكَ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَوَّلًا عَلَى الْفَرَائِضِ فَإِذَا تَذَكَّرَ فِيهَا نَقْصًا تَذَارَكَهُ إِمَّا بِقِضَاءٍ أَوْ إِصْلَاحٍ ثُمَّ يُحَاسِبُ عَلَى الْمَنَاهِي فَإِنْ عَرَفَ أَنَّهُ ارْتَكَبَ مِنْهَا شَيْئًا تَذَارَكَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالحَسَنَاتِ الْمَاجِيَةِ ثُمَّ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى الْغَفْلَةِ فَإِنْ كَانَ قَدْ غَفَلَ عَمَّا خُلِقَ لَهُ تَذَارَكَهُ بِالذِّكْرِ وَالِاقْبَالِ عَلَى اللَّهِ

ثم يُحَاسِبُهَا بما تَكَلَّمَ به لِسَانَهُ أَوْ مَشَتْ به رِجْلَاهُ أَوْ بَطَشَتْهُ يَدَاهُ أَوْ سَمِعَتْهُ أذُنَاهُ مَاذَا أَرَدْتُ بِهَذَا وَلِمَ فَعَلْتُ وَعَلَى أَيِّ وَجْهِ فَعَلْتَهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُنْشَرَ لِكُلِّ حَرَكَةٍ وَكَلِمَةٍ مِنْهُ دِيْوَانٌ لِمَ فَعَلْتَهُ وَكَيْفَ فَعَلْتَهُ فَالْأَوَّلُ سُؤَالٌ عَنِ الْإِحْلَاصِ .

وَالثَّانِي سُؤَالٌ عَنِ الْمُتَابَعَةِ : فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالَ : فَلَنَسْأَلُنَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلُنَ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنْ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ وَقَالَ : ﴿ لَيَسْأَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ فَإِذَا سُئِلَ الصَّادِقُونَ وَحُوسِبُوا عَلَى صِدْقِهِمْ فَمَا الظَّنُّ بِالكَاذِبِينَ وَقَالَ : قَتَادَةُ كَلِمَتَانِ يُسْأَلُ عَنْهُمَا الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ فَيَسْأَلُونَ عَنِ الْمَعْبُودِ وَعَنِ الْعِبَادَةِ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ .
شعرا :

تَصَاوَرَنَ عَنِ الْأَنْذَالِ مَا عِشْتَ وَانْتَسَبَ لِنَفْسِكَ كَسْبًا مِنْ خِلَالِ تَصَوُّنِهَا
وَمَا لِلْفَتَى بَرٌّ كَمِثْلِ عَفَافِهِ إِذَا نَفْسُهُ اخْتَارَتْ لَهَا مَا يَرِيئُهَا
إِذَا النَّفْسُ لَمْ تَقْنَعْ بِقِسْمِ مَلِيكِيهَا عَلَى مَا أَتَى مِنْهُ فَمَا تَمَّ دِيئُهَا

قال مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : « لَيَسْأَلُنَاكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ النَّعِيمِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مَاذَا عَمِلْتُمْ فِيهِ وَمِنْ أَيْنَ وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ وَفِيمَ أَصَبْتُمُوهُ وَمَاذَا عَمِلْتُمْ بِهِ » وَقَالَ قَتَادَةُ : أَنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ عَبْدٍ عَمَّا اسْتَوَدَعَهُ مِنْ نِعْمَتِهِ وَحَقِّهِ ، وَالنَّعِيمُ الْمَسْئُولُ عَنْهُ نَوْعَانِ نَوْعٌ تُحَدُّ مِنْ حِلِّهِ وَصُرْفٌ فِي حَقِّهِ فَيَسْأَلُ عَنِ شُكْرِهِ وَنَوْعٌ أُخَذَ بِغَيْرِ حِلِّهِ وَصُرْفٌ فِي غَيْرِ حَقِّهِ فَيَسْأَلُ عَنِ مُسْتَخْرَجِهِ وَعَنِ مَصْرَفِهِ وَقَدْ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ الْمُحَاسَبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِإِعْدَاءِ الْآيَةِ .

(١) إَعْلَمُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنَّ النَّفْسَ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ عَدُوَّةٌ لَكَ مَعَ إِبْلِيسَ لَعْنَهُ

الله، وإنما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس وشهواتها، فهى سلاحه الذي يصيد به وهل أوقع إبليس في كبره ومغصيته إلا نفسه، قال الله جلّ وعلا وتقدس ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ .

فلا تغرنك نفسك بالأمانى والغرور، لأن من طبع النفس الأمن والعفلة والراحة والفترة والكسل والعجز فدعواها باطل وكل شيء منها غرور وإن رضيت عنا واتبعت أمرها هلكت، وإن غفلت عن محاسبتها غرقت، وإن عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها فادتك إلى النار .

(فصل): وفي محاسبة النفس عدة مصالح، أولاً الإطلاع على غيوبها ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته ومن ذلك أنه لو لا أن الله وفق العبد لمحاسبتها لشقي في القيامة ومن ذلك أن المحاسبة للنفس من الكياسة ومن ذلك استراحة المحاسب من التعب الطويل يوم القيامة ومن ذلك أنه لا يتحسر المحاسب في القيامة كالذين لم يحاسبوا أنفسهم ومن ذلك تمرين النفس على العيادة والمداومة على ذكر الله ليلاً ونهاراً .

شعراً: عليك بذكر الله في كل لحظة فما خاب عبد للمهين يذكر آخر: ثلاثة يجهل مقدارها الأمن والصحة والدين فلا تثق إلا بمن أمره ما بين كاف وثون يكون

ومن ذلك أن المحاسبة تضعف الأعمال السيئة وتوقفها ومن ذلك أنها تحض الإنسان على الأعمال الصالحة ومن ذلك أنها تخلص النفس من العجب ورؤية العمل ومن ذلك أن المحاسبة تفتح للإنسان باب الدل والانكسار والخضوع لله ومن ذلك أنها تدعو الإنسان إلى أن ينظر في حق الله عليه .

ومن ذلك أنها توجب للإنسان أن يمقت نفسه ويعلم أن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ورحمته .

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَ أَكْثَرِ النَّاسِ وَجَدْتَهُمْ بِضِدِّ ذَلِكَ يَنْظُرُونَ فِي حَقِّهِمْ عَلَى اللَّهِ وَلَا يَنْظُرُونَ فِي حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَنْ هُنَا انْفَطَعُوا عَنْ اللَّهِ وَحُجِبَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَالتَّنَعِيمِ بِذِكْرِهِ وَهَذَا غَايَةُ جَهْلِ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ وَبِنَفْسِهِ فُمَحَاسَبَةُ النَّفْسِ هِيَ نَظَرُ الْعَبْدِ فِي حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ أَوَّلًا ثُمَّ نَظَرُهُ هَلْ قَامَ بِهِ كَمَا يَنْبَغِي ثَانِيًا .

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنَّهُ إِذَا حَاسَبَ نَفْسَهُ فَرَأَاهَا قَدْ قَارَفَتْ مَعْصِيَةً أَنْ يَتُوبَ تَوْبَةً نَصُوحًا وَيُتْبِعَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُوهَا فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا) وَإِنْ تَوَانَى عَنْ بَعْضِ الْفَضَائِلِ أَوْ فَاتَتْهُ نِسْيَانًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَدْرِكَ جَبْرًا مَا نَقَصَ بِالنَّوَافِلِ فَقَدْ وَرَدَ عَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جِئِنَ فَاتَتْهُ صَلَاةَ الْعَصْرِ فِي جَمَاعَةٍ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِأَرْضٍ كَانَتْ لَهُ قِيمَتُهَا مِائَتًا أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ شَغَلَهُ أَمْرٌ عَنِ الْمَغْرِبِ حَتَّى طَلَعَ نَجْمَانِ فَلَمَّا صَلَّاهَا أَعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ وَفَاتَتْ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ رَكْعَتَا الْفَجْرِ فَاعْتَقَ رَقَبَةً وَوَرَدَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فِي جَمَاعَةٍ أَحْيَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهِ صَوْمُ سَنَةٍ أَوْ الْحَجُّ مَا شِئَا أَوْ التَّصَدُّقُ بِالشَّيْءِ الْكَثِيرِ كُلِّ ذَلِكَ مُوَاخَذَةً لَهَا بِمَا فِيهِ نَجَاتُهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(٤) موعظة

رُوي عن علي بن أبي طالب أنه قال : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عملٍ ويؤخر التوبة ليطول الأمل ويقول في الدنيا يقول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين إن أعطي من الدنيا لم يشبع وإن منع منها لم يفتن ويأمر الناس بما لا يأتيه يحب الصالحين ولا يعمل أعمالهم ويغض المسيين وهو منهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقوم على ما يكره له الموت

إِنْ سَقِمُ ظَلَّ نَادِماً وَإِنْ صَحَّ آمِنَ لَاهِياً يَعْجَبُ مِنْ نَفْسِهِ إِذَا عُوْفِي وَيَقْنَطُ إِذَا تَغَلَّبَهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ وَلَا يَثِقُ مِنَ الرِّزْقِ بِمَا ضَمِنَ لَهُ وَلَا يَعْمَلُ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا فُرِضَ عَلَيْهِ إِنْ اسْتَعْنَى بِطَرَوَانٍ افْتَقَرَ قَنِطٌ وَحَزَنٌ فَهُوَ مِنَ الذَّنْبِ فِي حَالِ النِّعْمَةِ وَالْمِحْنَةِ مُوقِرٌ ، يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ وَلَا يَشْكُرُ وَيَتَكَلَّفُ مِنَ النَّاسِ مَا لَا يُؤْمَرُ وَيَضِيعُ الْمَوْتَ وَلَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ يَسْتَكْبِرُ مِنَ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْهُلُ أَكْثَرُهُ مِنْ نَفْسِهِ . مَزَاهِرُ اللَّهْوِ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَصِفَاتِكَ الْعُلْيَاءِ أَنْ تُعَزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تُدَلَّ الشُّرَكَ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَنْ تُدَمِّرَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

شِعْرًا:

تَجَهَّزِي بِجَهَازِ تَبْلُغِينَ بِهِ
وَسَابِقِي بَعْتَةَ الْأَجَالِ وَأَنْكَمِشِي
وَلَا تُكْذِبِي لِمَنْ يَتَّقِي وَتَفْتَقِرِي
وَأُخْشِي حَوْدِثَ صَرْفِ الدَّهْرِ فِي مَهَلٍ
عَنْ مُدْيَةِ كَانَ فِيهَا قَطْعُ مُدَّتِهِ
مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ
وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بِشَاشَتَهُ
فِي قَعْرِ مُوْحِشَةِ غَبْرَاءِ مُقْفِرَةٍ
آخِر: وَنَفْسِكَ فَازِجُرْهَا عَنِ الْغِيِّ وَالْحَنَا
وَخَاذِرْ هَوَاهَا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ
وَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ حَتْمٌ عَلَى الْفَتَى
فَإِنْ رُمْتَ أَنْ تُحْظَى بِنَيْلِ سَعَادَةٍ
فَبَادِرْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَسْأَلُكَ سَبِيلَهَا

وَإِيَّاكَ دُنِيًّا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا وَإِنَّكَ صَاحِبُ لَسْتِ فِيهَا بِخَالِدٍ
 تَمَسَّكَ بِشَرِّعِ اللَّهِ وَالزَّمَّ كِتَابَهُ وَبِالْعِلْمِ فَاعْمَلْ تَحْوِ كُلِّ الْمَحَامِدِ
 اللَّهُمَّ أَمْنُنْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ عُيُوبِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادَنَا
 وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتَمَدْنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ الْهِمَّنَا
 ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنَا حُبَّهُ عِنْدَكَ . اللَّهُمَّ وَمَا رَزَقْتَنَا
 مِمَّا نُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لَنَا فِيمَا نُحِبُّ . اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنَّا مِمَّا نُحِبُّ فَاجْعَلْهُ
 فَرَاغًا لَنَا فِيمَا نُحِبُّ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيْتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

الفصل الثالث عشر

(٥) فِي مَوْعِظَةِ جَلِيلَةٍ

قال بعض العلماء على قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ
 فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

كشفت لنا هذه الآية الشريفة عن سنة من سنن الله تعالى : وهي
 أَنَّ مَنْ غَفَلَ عَنْ تَذَكُّرِ اللَّهِ فَانْسِيَهُ وَالْهَيْتَهُ دُنِيَاهُ عَنِ الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ
 أَنَسَاهُ اللَّهُ نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنبَيْهِ فَلَا يَسْعَى لِمَا فِيهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ فِي
 أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَإِصْلَاحِهَا وَمَا يَكْمُلُهَا وَلَا السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ عِلَلِهَا
 وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَوَوَّلَ بِهَا إِلَى الْفَسَادِ وَالذَّمَارِ وَالْهَلَاكِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ
 الْعُقُوبَةِ لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ فَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ
 وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَصَلَاحِهَا
 وَحَيَاتِهَا الْأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ الْمَقِيمِ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ أَكْثَرَ هَذَا الْخَلْقِ قَدْ نَسُوا أَنفُسَهُمْ
 وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا مِنَ اللَّهِ وَبَاعُوهَا رَخِيصَةً بِثَمَنٍ بَخْسٍ بَيْعِ الْمَغْبُورِ

وَيُظْهِرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ يَوْمَ التَّغَابُنِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ، إِنَّهَا لِحَسْرَةٍ عَلَى كُلِّ
ذِي غَفْلَةٍ دُونَهَا كُلِّ حَسْرَةٍ هَذَا هُمُ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا
رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ .

وَأَمَّا الرَّابِحُونَ فَهُمْ الَّذِينَ أَنْارَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلْحَقِّ فَعَرَفُوا الدُّنْيَا
وَقِيَمَتَهَا وَقَالُوا مَا مِقْدَارُ هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا حَتَّى نَبِيعَ حَطْنَا مِنْ
اللَّهِ تَعَالَى وَالذَّارِ الْآخِرَةَ بِهَا فَكَيْفَ بِمَا يِنَالُ الْعَبْدَ مِنْهَا فِي هَذَا الزَّمَنِ
الْقَصِيرِ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَغَفْوَةٍ حُلْمٍ لَا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ الْبَتَّةِ

فَاللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ
ضُحَاهَا ﴾ هَذَا هُمُ الْكَيْسُونَ الَّذِينَ عَلِمُوا حَقِيقَةَ الدُّنْيَا كَمَا عَلِمُوا قِلَّةَ
لُبِّهِمْ فِيهَا وَأَنَّ لَهُمْ دَارًا غَيْرَ هَذِهِ الدَّارِ دَارِ الْحَيَوَانِ وَدَارِ الْبَقَاءِ اتَّجَرُوا
تِجَارَةَ الْأَكْيَاسِ وَلَمْ يَغْتَرَوْا بِتِجَارَةِ السُّفَهَاءِ مِنَ النَّاسِ فَظَهَرَ لَهُمْ يَوْمَ التَّغَابُنِ
رَبْحُ تِجَارَتِهِمْ وَمِقْدَارُ مَا اشْتَرَوْا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ
أَدْرَأَكُمُ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ عُمَرُ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ
أَي مُتَّقَضٌ وَبِلَاغٍ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا وَسِيرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ فَرَجِمَ
اللَّهُ أَمْرًا أَفْكَرَ فِي أَمْرِهِ وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ وَرَاقَبَ رَبَّهُ وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ وَتَابَ إِلَى
رَبِّهِ إِلَى أَنْ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ فَانْهَاهَا مَكْسَلَةً عَنِ الصَّلَاةِ وَمَفْسَدَةً لِلْجِسْمِ
وَمُؤَدِّيَةً لِلسُّقْمِ وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوتِكُمْ فَهُوَ أَعْبَدُ عَنِ السَّرْفِ وَأَصْحُ
لِلبَدَنِ وَأَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ إِنَّ الْعَبْدَ لَنْ يَهْلِكَ حَتَّى يُؤَثِّرَ شَهْوَتُهُ عَلَى دِينِهِ .

وَمِنَ الْعَجَبِ الْعَجَابِ أَنَّ الْعَبْدَ يَسْعَى بِنَفْسِهِ فِي هَوَانٍ نَفْسِهِ وَهُوَ
يَزْعُمُ أَنَّهَا لَهَا مُكْرِمٌ وَيَجْتَهِدُ فِي حِرْمَانِهَا مِنْ حُظُوظِهَا وَشَرَفِهَا وَهُوَ يَزْعُمُ
أَنَّهُ يَسْعَى فِي حِفْظِهَا وَيَبْدُلُ جُهْدَهُ فِي تَحْقِيرِهَا وَتَصْغِيرِهَا وَتَدْنِيسِهَا وَهُوَ
يَزْعُمُ أَنَّهُ يَسْعَى فِي صَلَاحِهَا وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا رَبُّ
مُهَيِّنٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُكْرِمٌ لَهَا وَمُدَلٌّ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُرَاعٍ
لِحَقِّهَا وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَكُونَ مَعَ عَدُوِّهِ لِنَفْسِهِ يَبْلُغُ مِنْهَا بِفِعْلِهِ مَا لَا
يَبْلُغُ مِنْهَا عَدُوُّهُ .

شِعْرًا: لَعَمْرُكَ مَا الرِّزِيَّةُ فَقَدْ مَالٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مَنْ مُعْدِمِينَا
وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةَ فَقَدْ دِينٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ كَافِرِينَا
آخِر: مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

فَالعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ مُجِدًّا لِأَخْرَجَتِهِ وَلَا يُنْسِيَهُ نَصِيئَهُ مِنَ الدُّنْيَا
حَظَّهُ مِنَ الْآخِرَةِ عَامِلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ
وَلَا تَنْسَ نَصِيئَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ وَلَوْ أَنَّهُ تَأَمَّلَ قَلِيلًا لَوَجَدَ أَنَّ لَدَائِدَ الدُّنْيَا
مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ آيَاهَا فَمَثَلًا لَذَّةُ الطَّعَامِ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْمِ الْجُوعِ وَلَذَّةُ
الشَّرَابِ لَا يَدُّ أَنْ يَسْبِقَهَا حُرْقَةُ الْعَطَشِ وَلَذَّةُ النَّوْمِ لَا يَجِدُ الْإِنْسَانُ لَهَا
شَوْقًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُضْنِيهِ التَّعَبُ الشَّدِيدُ وَهُنَاكَ نَوْعٌ آخَرٌ مِنَ الْحِكْمَةِ
غَفَلَ عَنْهُ الْكَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ أَنَّهَا بِمِثَابَةِ بَرَاطِيلِ تَحْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى
قَوَامِهِ وَبِقَاءِ حَيَاتِهِ فَلَذَّةُ الطَّعَامِ تَدْفَعُهُ إِلَى الْأَلِّ يُهْمِلُ جِسْمَهُ مِنَ الْغِذَاءِ وَلَوْ لَا
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ لَذَّةِ النِّكَاحِ لَا نَقْرَضَ النَّوْعَ الْإِنْسَانِيَّ مِنَ الْوُجُودِ وَلَمَا
وَجَدْنَا دَابَّةً تَدْبُّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَلَا طَائِرًا يَطِيرُ فِي السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ
فَرَحَةُ الْأُمِّ بِطِفْلِهَا تُنْسِيهَا آلامَ الْحَمْلِ وَالْوَحْمِ وَالْوِلَادَةِ وَالتَّعَبِ وَالنَّصَبِ
وَالرِّضَاعِ وَالسَّهْرِ الطَّوِيلِ فِي التَّمْرِیضِ مِمَّا يَقْضَى مَضْجَعَهَا وَيُنْسِيهَا نَفْسَهَا
فَسُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ، انْتَهَى

بتصرف يسير . وصلى الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(٦) مَوْعِظَةٌ

كَتَبَ الْحَسَنُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي ذَمِّ الدُّنْيَا كِتَابًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ ظَعْنٍ لَيْسَتْ بِدَارِ مُقَامٍ وَأَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهَا آدَمُ عُقُوبَةً فَاخْذَرَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الزَّادَ مِنْهَا تَرَكَهَا وَالغَنَى فِيهَا فَفَقَرَهَا تَذَلُّ مِنْ أَعْزَاهَا وَتَفْقُرُ مِنْ جَمْعِهَا كَالسُّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَهُوَ حَتْفُهُ فَاخْذَرُ هَذِهِ الدَّارَ الْغَرَارَةَ الْخِتَالَةَ الْخِدَاعَةَ وَكُنْ أَسْرًا مَا تَكُونُ فِيهَا أَحْذَرُ مَا تَكُونُ لَهَا ، سُورُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ وَصَفُوهَا مَشُوبٌ بِالْكَدْرِ فَلَوْ كَانَ الْخَالِقُ لَمْ يُخْبِرْهُ عَنْهَا خَبْرًا وَلَمْ يَضْرِبْ لَهَا مَثَلًا لَكُنْتُ قَدْ أَبْقَيْتُ النَّائِمَ وَنَبِهْتُ الْغَافِلَ فَكَيْفَ وَقَدْ جَاءَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا زَاجِرٌ وَفِيهَا وَاعِظُ فَمَا لَهَا عِنْدَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ قَدْرٌ وَلَا وَزْنٌ ، مَا نَظَرَ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا وَلَقَدْ عُرِضْتُ عَلَى نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحُهَا وَخَزَائِنُهَا لَا يَنْقُصُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعْضَةِ فَأبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَكَرِهَ أَنْ يُحِبَّ مَا أَبْغَضَهُ خَالِقُهُ أَوْ يَرْفَعَ مَا وَضَعَهُ مَلِيكُهُ زَوَاهَا اللَّهُ عَنِ الصَّالِحِينَ اخْتِيَارًا وَبَسَطَهَا لِأَعْدَائِهِ اغْتِرَارًا أَفِيظُنُّ الْمَغْرُورُ بِهَا أَنَّهُ أَكْرَمُ بِهَا وَنَسِيَّ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ شَدَّ عَلَى بَطْنِهِ الْحَجَرَ ، وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بُسِطَ لَهُ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَخَفْ أَنْ يَكُونَ مَكْرًا إِلَّا كَانَ قَدْ نَقَصَ عَقْلَهُ وَعَجَزَ رَأْيُهُ وَمَا أَمْسَكَ عَنْ عَبْدٍ فَلَمْ يَظُنَّهُ خَيْرًا لَهُ فِيهَا إِلَّا نَقَصَ عَقْلَهُ وَعَجَزَ رَأْيُهُ .

شِعْرًا: إِلَى دُنْيَاكَ أَنْظُرْ بِاعْتِبَارٍ تَجِدُهَا دَارَ ذُلٍّ مَعَ فَنَاءٍ
إِلَى كَمْ تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ فِيهَا مَعَ الشَّهَوَاتِ تَسْرِي يَا مُرَائِي
أَمَّا أَنْ اثْبِيَاهُكَ مِنْ غُرُورٍ بِهِ أَصْبَحْتَ بَيْنَ الْأَغْيَاءِ
تَيَقِّظُ وَاثْبِيَهُ وَاقْبَلْ بِقَلْبٍ عَلَى مَوْلَاكَ تَظْفُرُ بِأَهْتِدَاءِ

وَقَفَّ بِالْبَابِ وَاطْلُبْ مِنْهُ عَفْوَاً عَسَى تَحْظَى بِصُحُوحٍ أَوْ مَسَاءٍ
اللَّهُمَّ يَا حَيُّ وَيَا قَيُّوْمُ فَرَعْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ ، وَلَا تُشْغِلْنَا بِمَا تَكْفَلْتَنَا بِهِ ،
وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وَقَالَ الشَّيْخُ الوَاسِطِيُّ فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ : إِذَا أَرَادَ اللهُ بَعْدَ خَيْرٍ
أَقَامَ فِي قَلْبِهِ شَاهِدًا مِنْ ذِكْرِ الآخِرَةِ يُرِيدُ فَنَاءَ الدُّنْيَا وَزَوَالَهَا وَبِقَاءِ الآخِرَةِ
وَدَوَامِهَا فَيَزْهَدُهُ فِي الْفَانِي وَيُرْغَبُهُ فِي الْبَاقِي فَيَبْدَأُ فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ فِي
طَرِيقِ الآخِرَةِ وَأَوَّلِ السَّيْرِ فِيهَا تَصْحِيحُ التَّوْبَةِ ، وَالتَّوْبَةُ لَا تَتِمُّ إِلَّا
بِالمُحَاسَبَةِ وَرِعَايَةِ الْجَوَارِحِ السَّبْعَةِ ، الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَاللِّسَانُ وَالْبَطْنُ وَالْفَرْجُ
وَالْيَدُ وَالرَّجْلُ وَكَيْفَها عَنْ جَمِيعِ المَحَارِمِ وَالمَكَارِهِ وَالمَفْضُولِ هَذَا أَحَدُ
شَطْرَيْ الدِّينِ وَبَقِيَ الشَّطْرُ الآخَرُ وَهُوَ الْقِيَامُ بِالأَوَامِرِ فَتَحْقِيقُ الشَّطْرِ
الأَوَّلِ وَهُوَ تَرْكُ المُنَاهِي مِنْ قَلْبِهِ وَقَالِبِهِ .

أَمَّا القَالِبُ فَلَا يَعْصِي اللهُ بِجَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ وَمَتَى زَلَّ أَوْ أَخْطَأَ
تَابَ وَأَمَّا القَلْبُ فَتُنْقِي مِنْهُ المُوَبَقَاتُ المُهْلِكَاتُ مِثْلُ الرِّيَاءِ وَالعُجْبِ وَالكِبْرِ
وَالحَسَدِ وَالبُغْضِ لِغَيْرِ اللهِ وَحُبِّ الدُّنْيَا وَرَدُّ الحَقِّ وَاسْتِثْقَالِهِ وَالأزْدِرَاءِ
بِالْخَلْتِ وَمَقْتُهُمْ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الكَبَائِرِ القَلْبِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي مُقَابَلَةِ الكَبَائِرِ
القَالْبِيَّةِ مِنْ شُرْبِ الخَمْرِ وَالرِّزَا وَالقَذْفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَهَذِهِ كَبَائِرُ ظَاهِرَةٌ وَتِلْكَ
كَبَائِرُ بَاطِنَةٌ . وَكِلَاهُمَا ضَرَرٌ .

قَالَ : فَمَنْ أَنْطَوَى عَلَى شَيْءٍ مِنَ الكَبَائِرِ البَاطِنِيَّةِ وَلَمْ يَتَّبِ حَبِطَ
عَمَلُهُ بِدَلِيلٍ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ وَجَاءَ إِنْ
الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ وَجَاءَ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى :
﴿ أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا فَاشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي
تَرَكَهُ وَشْرَكَهُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
صَالِحًا وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

شعرا :

وإنَّ أَحْسَنَ قَوْلٍ أَنْتَ قَائِلُهُ قَوْلٌ تَضَمَّنَ تَوْحِيدَ الَّذِي خَلَقَا
فَمَتَى تَنَقَّى الْقَلْبُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْخَبَائِثِ وَالرَّذَائِلِ طَهَّرَ وَسَكَنتَ فِيهِ
الرَّحْمَةُ فِي مَكَانِ الْبُعْضِ وَالتَّوَاضُّعِ فِي مَقَابِلَةِ الْكِبَرِ وَالنَّبْصِيحَةُ فِي مُقَابِلَةِ
الْغَيْسِ وَالاخْلَاصُ فِي مَقَابِلَةِ الرِّيَاءِ وَرُؤْيَةُ الْمَنَةِ فِي مُقَابِلَةِ الْعُجْبِ وَرُؤْيَةُ
النَّفْسِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَزَكُوا الْأَعْمَالُ وَتَصَعَّدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَطْهَرُ الْقَلْبُ
وَيَبْقَى مَحَلًّا لِنَظَرِ الْحَقِّ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ فَهَذَا أَحَدُ شَطْرَيْ الدِّينِ وَهُوَ
رِعَايَةُ الْجَوَارِحِ السَّبْعَةِ عَنِ الْمَائِمِ وَالْمَحَارِمِ وَأَنْمَا تَصْلُحُ وَتَطْهَرُ بِرِعَايَةِ
الْقَلْبِ وَطَهَارَتِهِ مِنَ الْمُؤَبَقَاتِ وَالْجَرَائِمِ وَمَعْنَى الْمُؤَبَقَاتِ الْمَهْلَكَاتِ أَه .
أخـر :

خِصَالٌ إِذَا لَمْ يَخُوهَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْلُ مِنْهَا لَاحِظٌ أَنَّ الدَّارَيْنِ يَكْسِبُ بِهِ حَمْدًا
يَكُونُ تَقِيًّا مُخْلِصًا وَمُتَابِعًا لِصِفْوَةِ خَلْقِ اللَّهِ أَعْنِي مُحَمَّدًا
وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْقُلُوبُ ثَلَاثَةٌ ، قَلْبُ خَالٍ مِنَ
الْإِيمَانِ وَجَمِيعِ الْخَيْرِ فَذَلِكَ قَلْبٌ مُظْلَمٌ قَدْ اسْتَرَاخَ الشَّيْطَانُ مِنْ إِقْبَالِهِ
الْوَسْوَاسِ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ قَدْ اتَّخَذَهُ بَيْتًا وَوَطْنَا وَتَحَكَّمَ فِيهِ بِمَا يُرِيدُ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ غَايَةً
الْتِمَكُّنِ ، الْقَلْبُ الثَّانِي : قَلْبٌ قَدْ اسْتَنَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأُوقِدَ فِيهِ مِصْبَاحُهُ
لَكِنْ عَلَيْهِ ظُلْمَةٌ الشَّهَوَاتِ وَعَوَاصِفُ الْأَهْوِيَةِ فَلِلشَّيْطَانِ هُنَاكَ اقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
وَمَجَالَاتٌ وَمَطَالِعٌ فَالْحَرْبُ دُولٌ وَسِجَالٌ وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُ هَذَا الصَّنْفِ
بِالْقِلَّةِ وَالكَثْرَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلْبَتِهِ لِعَدُوِّهِ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلْبَةِ
عَدُوِّهِ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَارَةٌ وَتَارَةٌ .

الْقَلْبُ الثَّلَاثُ : قَلْبٌ مَحْشُورٌ بِالْإِيمَانِ قَدْ اسْتَنَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ
وَانْقَشَعَتْ عَنْهُ حُجُبُ الشَّهَوَاتِ وَأَقْلَعَتْ عَنْهُ الظُّلُمَاتُ فَلِنُورِهِ فِي صَدْرِهِ
إِشْرَاقٌ وَلِذَلِكَ الْإِشْرَاقُ إِيقَادُ لُودُنَا مِنْهُ الْوَسْوَاسِ أَحْتَرَقَ بِهِ فَهُوَ كَالسَّمَاءِ

التي حُرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رُجمَ فأحترق .

وَلَيْسَتْ السَّمَاءُ بِأَعْظَمَ حُرْمَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَجِرَاسَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أُمَّتٌ
مَنْ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ وَالسَّمَاءُ مُتَعَبِدُ الْمَلَائِكَةِ وَمُسْتَقَرُّ الْوَحْيِ وَفِيهَا أَنْوَارُ
الطَّاعَاتِ وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ مُسْتَقَرُّ التَّوْحِيدِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ وَفِيهِ
أَنْوَارُهَا فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ يُحْرَسَ وَيُحْفَظَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ فَلَا يَنَالُ مِنْهُ إِلَّا خَطْفَةً
تَحْصُلُ لَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ مِنَ الْعَبْدِ إِذْ هُوَ بَشَرٌ وَأَحْكَامُ الْبَشَرِيَّةِ جَارِيَةٌ
عَلَيْهِ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالذُّهُولِ وَغَلْبَةِ الطَّبَعِ انْتَهَى .

هذه قصيدة لبعضهم فيها غلُّو صلحنا ما فيها من الغلط الاعتقادي وجعلنا
على ما فيه تَصْلِيحٌ أَقْوَأَسًا :

تَبَقُّضٌ لِنَفْسٍ عَنِ هُدَاهَا تَوَلَّتْ وَبَادِرٌ فِي التَّأخِيرِ أَعْظَمُ خَشْيَةٍ
فَحْتَمًا لَا تَلْوِي لِرُشْدِ عِنَائِهَا وَقَدْ بَلَغَتْ مِنْ غِيهَا كُلَّ بُغْيَةٍ
وَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ لَوَّامَةٌ لِمَنْ نَهَاهَا فَلَيْسَتْ لِلْهُدَى مُطْمَئِنَّةً
إِذَا أَزْمَعَتْ أَمْرًا فَلَيْسَ يَرُدُّهَا عَنِ الْفِعْلِ إِخْوَانُ الثَّقَى وَالْمَبْرَةِ
وَإِنْ مَرَّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي بَالِهَا أَتَنَّى أَبُو مَرَّةٍ يَثْنِيهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَلِي قَدَمٌ لَوْ قَدَّمْتُ لِظُلَامَةٍ لَطَارَتْ وَلَوْ أَنِّي دَعَيْتُ لِقُرْبَةٍ
لَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ
وَقَائِلَةٌ لَمَّا رَأَتْ مَا أَصَابَنِي وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ لَهَيْبٍ وَزَقَرْتِي
رُؤْيِدَكَ لَا تَقْنُطُ وَإِنْ كَثُرَ الْخَطَا وَلَا تَيَأَسَنَّ مِنْ نَيْلِ رَوْحٍ وَرَحْمَةٍ
مَعَ الْعُسْرِ يُسِّرُ وَالتَّصَبُّرُ نُصْرَةٌ وَلَا فَرْجٌ إِلَّا بِشِدَّةٍ أَزْمَةٌ
«وَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلِ جَهَنَّمَ فَلَمَّا دَعَى الْمَوْلَى أَعْيَدَ لِجَنَّةِ»
فَقُلْتُ لَهَا جُوزَيْتِ خَيْرًا عَلَى الَّذِي مَنَحْتِ مِنَ الْبُشْرَى وَحُسْنِ النَّصِيحَةِ
فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلنَّجَاةِ مِنَ الرَّذَى وَمَا حَيْلَتِي فِي أَنْ تُفَرِّجَ كُرْبَتِي
«فَقَالَتْ فَطِبْ نَفْسًا وَقُمْ مُتَوَجِّهًا لِرَبِّكَ تَسْلَمَ مِنْ بَوَارٍ وَخَيْبَةٍ»

«فَكَمْ آيِسٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فَالتَّجَا إِلَيْهِ فَحَطَّتْ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ»
«فَدَيْتُكَ فَأَقْصِدْهُ بِذُلِّ فَإِنَّهُ يُقْبِلُ بَنِي الزُّلَّاتِ مِنْ كُلِّ عَثْرَةٍ»
«إِذَا مَا أَتَوْهُ تَائِبِينَ مِنَ الَّذِي جَنَّوْهُ مِنَ الْآثَامِ تَوْبَةً مُحْسِبَةٍ»
وَصِلْ إِلَهِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى أَحْمَدِ الْمُخْتَارِ أَرْكَى الْبَرِيَّةِ
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهْلَتَهُمْ
لِخِدْمَتِكَ . اللَّهُمَّ نَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا ، وَارْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ
وَأَصْفِيَائِكَ وَاجْمَعْنَا وَإِيَّاهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

كتاب الصلاة :

الصَّلَاةُ لُغَةً الدَّعَاءُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ أَنَّ صَلَاتِكَ
سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ وَالصَّلَاةُ فِي الشَّرْعِ أَقْوَالٌ وَأَعْمَالٌ مَخْصُوصَةٌ مُفْتَتِحَةٌ بِالتَّكْبِيرِ
مُخْتَتِمَةٌ بِالتَّسْلِيمِ وَسُمِّيَتْ صَلَاةً لِأَسْتِهَاهَا عَلَى الدَّعَاءِ وَقِيلَ لَأَنَّهَا ثَانِيَةُ
الشَّهَادَتَيْنِ وَقِيلَ لَأَنَّهَا صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ .

وقيل لما تتضمن من الدعاء والخشوع والخشية ، وقيل لأن المصلي
يتبع من تقدمه ، والصلاة عماد الدين قال في مراصد الصلاة للقسطلاني
الحكمة في فرض الصلاة وتخصيصها بالخمسة ، أحدها أن الأنفس البشرية
المقتضية للشهوة والغفلة والسهو والنسيان والشره في العمل والفترة عنه
فاقتضت الحكمة أن تذكر نسيانها وتوقظ غفلتها وتقمع شهوتها بقطعها عن
عادتها ومناجاتها الذي كفلها بنعمه وغذاها بجوده وكرمه ولعلمه بضعف
قواها لم يجعل هذه العبادة إلا في أوقات يكثر الفراغ فيها من أشغال
العادات وهذا هو الحكمة في تنقيصها من الخمسين إلى الخمس .

والوجه الثاني : أن العبد في هذه الدار يعمل لنجاته في الدار

الأخرى وهي مُشتملة على أهوالٍ ومَشاقٍ ومَتاعِبٍ وأَمَامَ العَبْدِ دُونَهَا خَمْسُ عَقَبَاتٍ الأُولَى الدُّنْيَا وَشُرُورُهَا وَأَفَاتُهَا وَمَحْدُورَاتُهَا وَشَوَاغِلُهَا وَعَلَائِقُهَا القَاطِعَةُ عَن مَزِيدِ السَّعَادَةِ ، الثَّانِيَةُ المَوْتُ وَمَا يُحْشَى مِن فِتْنَتِهِ وَشِدَّةِ سَكَرَاتِهِ وَمَا يُشَاهَدُ عِنْدَهُ مِنَ الأُمُورِ العِظَامِ والأَلَامِ الجِسامِ ، الثَّالِثَةُ القَبْرُ وَضَيْقَتُهُ وَوَحْشَتُهُ وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَذَلِكَ صَعْبٌ خَطِيرٌ ، الرَّابِعَةُ المَحْشَرُ وَهَوْلُهُ وَمَا فِيهِ مِنَ الخَوْفِ الشَّدِيدِ وَالْفَزَعِ الأَكِيدِ ، الخَامِسَةُ الحِسَابُ وَمَا يُحْشَى فِيهِ بَعْدَ العِتَابِ مِنَ وَقُوعِ العِقَابِ فَكَانَ فِعْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ مُسَهِّلًا لِهَذِهِ العَقَبَاتِ مُحْصِلًا لِنَيْلِ المَسْرَاتِ فِي دَارِ الكَرَامَاتِ وَهِيَ أَجَلُ مَبَانِي الإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ وَمَحَلُّهَا مِنَ الدِّينِ مَحَلُّ الرَأْسِ مِنَ الجَسَدِ فَكَمَا أَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ فَكَذَلِكَ لَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ .

وَهِيَ خَاتِمَةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ آخِرِ عَهْدِهِ مِنَ الدُّنْيَا فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِئْنَ حَضْرَتَهُ الوَفَاةُ وَهُوَ يُعْرَغَرُ بِنَفْسِهِ ﴿ الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَهِيَ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا وَرَدَ بِذَلِكَ الحَدِيثُ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ » الحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَهِيَ أَكْبَرُ عَوْنٍ لِلْعَبْدِ عَلَى مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الخَاشِعِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

فَبِمَدَاوِمَةِ الْعَبْدِ عَلَى الصَّلَاةِ تَقْوَى رَغْبَتُهُ فِي الْخَيْرِ وَتَسْهَلُ عَلَيْهِ الطَّاعَاتُ وَتَهْوَنُ عَلَيْهِ الْمَشَاقُّ وَتَسْهَلُ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ وَيَسِّرُ اللَّهُ لَهُ أُمُورَهُ وَيُبَارِكُ لَهُ فِي مَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ ان الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ الآية وفي الصحيح المتفق عليه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالَ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا » وَوَرَدَ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْضُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ » وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ ، وَعَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ »

وفي البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ قَالَ أَفْضَلُ الْعَمَلِ الصَّلَاةُ لِقَوْتِهَا وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَالْجِهَادُ) وَرَوَاهُ مُحْتَجٌّ بِهِمْ فِي الصَّحِيحِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّمْنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نَفْسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ عَذُوكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا وَقَفَ فِي الصَّلَاةِ صَاحِبُ الْقَلْبِ الْعَامِرِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَالرَّغْبَةِ فِيهِ وَاجْلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَقَفَ بِقَلْبٍ مُخْبِتٍ خَاشِعٍ لَهُ قَرِيبٍ مِنْهُ سَلِيمٍ مِنْ مُعَارَضَاتِ السُّوءِ قَدْ اِمْتَلَأَتْ أَرْجَاؤُهُ بِالْهَيْبَةِ وَسَطَعَ فِيهِ نُورُ الْإِيمَانِ وَكُشِفَ عَنْهُ حِجَابُ النَّفْسِ وَدُخَانَ الشَّهَوَاتِ فَيَرْتَعُ فِي رِيَاضِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَخَالَطَ قَلْبُهُ بِشَاشَةِ الْإِيمَانِ بِحَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَعُلُوِّهَا وَجَلَالِهَا الْأَعْظَمِ وَتَفَرَّدِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِنُعُوتِ جَلَالِهِ وَصِفَاتِ كَمَالِهِ .

فاجتمع همُّه على الله وقرت عينه به وأحس بقربه من الله قريباً لا نظير له ففرغ قلبه له وأقبل عليه بكلية وهذا الاقبال منه بين أقبالين من ربه فانه سبحانه أقبل عليه أولاً فانجذب قلبه باقباله فلما أقبل على ربه حُظِيَ مِنْهُ إِقْبَالًا آخَرَ أتم من الأول .

وها هنا عجيبة من عجائب الأسماء والصفات تحصل لمن تفقه قلبه في معاني القرآن وخَالَطَ بِشَاشَةِ الْإِيمَانِ بِهَا قَلْبُهُ بِحَيْثُ يَرَى لِكُلِّ اسْمٍ وَصِفَةٍ مَوْضِعاً مِنْ صَلَاتِهِ وَمَحَلّاً مِنْهَا فَإِذَا انْتَصَبَ قَائِماً بَيْنَ يَدَيْ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَاهِدَ بِقَلْبِهِ قِيَوْمِيَّتَهُ وَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ شَاهِدَ كِبْرِيَاءَهُ .

وإذا قال : سبحانك اللهم وبحمديك وتبارك اسمك وتعالى جدك

ولا إله غيرك شاهد بقلبه رباً منزهاً عن كل عيب سالماً من كل نقص
محموداً بكل حمد فحمده يتضمن وصفه بكل كمال وذلك يستلزم
براءته من كل نقص تبارك اسمه فلا يذكر على قليل إلا كثرة ولا على خير
إلا أنماه وبارك فيه ولا على آفة إلا أذهبها ولا على الشيطان إلا طرده
خاصياً داجراً وكمال الاسم من كمال مسماه فاذا كان هذا شأن اسمه
الذي لا يضرمه شيء في الأرض ولا في السماء فشان المسمى أعلا
وأجل وتعالى جدّه أي ارتفعت عظمته وجلت فوق كل عظمة وعلا شأنه
على كل شأن وقهر سلطانها على كل سلطان فتعالى جدّه أن يكون معه
شريك في ملكه وربوبيته أو في الهيته أو في صفاته كما قال مؤمنوا الجن
وأنه تعالى جدر بنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً فكّم في هذه الكلمات من
تجلّ لحقائق الأسماء والصفات على قلب العارف بها غير المعطل
لحقيقتها وإذا قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد آوى إلى ركنه
الشديد واعتصم بحوله وقوته من عدوه الذي يريد أن يقطعه عن ربه
ويباعده عن قربه ليكون أسوأ حالاً .

فإذا قال الحمد لله رب العالمين وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب
ربه له بقوله حمدي عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم انتظر الجواب
بقوله : اثنى علي عبدي فاذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ انتظر جوابه
بقوله مجدي عبدي .

فيا لذة قلبه وقرة عينه وسرور نفسه بقول ربه : عبدي ثلاث مرّات
فوالله لولا ما على القلوب من دخان الشهوات وعيم النفوس لاستطيرت
فرحاً وسروراً بقول ربهها وفاطرها ومعبودها حمدي عبدي وأثنى علي
عبدي ومجدي عبدي ثم يكون لقلبه مجال من شهود هذه الأسماء الثلاثة

التي هي أَسْوَلُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وهي اللهُ والرَّبُّ والرحمنُ فَشَاهَدَ قَلْبُهُ
 مِنْ ذِكْرِ اسْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهَا مَعْبُوداً مَوْجُوداً مَخُوفاً لَا يَسْتَحِقُّ
 الْعِبَادَةَ غَيْرَهُ وَلَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ قَدْ عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهُ الْمَوْجُودَاتُ
 وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَأَنَّ
 مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ
 قَانِتُونَ ﴾ .

وكذلك خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَخَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
 وَالطَّيْرَ وَالْوَحْشَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وكذلك أَرْسَلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ وَشَرَعَ الشَّرَائِعَ
 وَالزَّمَ الْعِبَادَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ .

وَشَاهَدَ مِنْ ذِكْرِ اسْمِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ قِيُومًا قَامَ بِنَفْسِهِ وَقَامَ بِهِ كُلُّ
 شَيْءٍ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِخَيْرِهَا وَشَرِّهَا قَدْ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ وَتَفَرَّدَ
 بِتَدْبِيرِ مُلْكِهِ فَالتَّدْبِيرُ كُلُّهُ بِيَدِهِ مَصِيرُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ فَمَرَّاسِيمُ التَّدْبِيرَاتِ
 نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَيْدِي مَلَائِكَتِهِ بِالْعَطَاءِ وَالسُّنْعِ وَالخَفْضِ وَالرَّفْعِ
 وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَانَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالْعَزْلِ وَالقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَكَشْفِ الْكُرُوبِ وَإِغَاثَةِ
 الْمَلْهُوفِ وَاجَابَةِ الْمُضْطَرِّينَ ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ
 هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ
 وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ وَتُعْرَضُ
 الْأَعْمَالُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرُهُ عَلَيْهِ فَيُقَدَّرُ الْمَقَادِيرَ وَيُوقَّتُ الْمَوَاقِيتَ ثُمَّ يَسُوقُ
 الْمَقَادِيرَ إِلَى مَوَاقِيتِهَا قَائِمًا بِتَدْبِيرِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَحِفْظِهِ وَمَصَالِحِهِ .

ثُمَّ يَشْهَدُ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ رَبًّا مُحْسِنًا إِلَى خَلْقِهِ
 بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ مُتَحَبِّبًا إِلَيْهِمْ بِصُنُوفِ النِّعَمِ وَسَعَّ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
 وَأَوْسَعَ كُلِّ مَخْلُوقٍ نِعْمَةً وَفَضْلًا فَوَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ وَوَسَّعَتْ نِعْمَتُهُ

كُلِّ حَيِّ فَبَلَغَتْ رَحْمَتُهُ حَيْثُ بَلَغَ عِلْمُهُ فَاسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِرَحْمَتِهِ وَخَلَقَ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ بِرَحْمَتِهِ وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ بِرَحْمَتِهِ وَخَلَقَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَالنَّارَ أَيْضاً بِرَحْمَتِهِ فَإِنَّهَا سَوِطُهُ الَّذِي يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى جَنَّتِهِ وَيُطَهِّرُ بِهَا أَذْرَانَ الْمُؤَحِّدِينَ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ وَسِجْنُهُ الَّذِي يَسْجَنُ فِيهِ أَعْدَاءَهُ مِنْ خَلْقَتِهِ .

فَتَأَمَّلْ مَا فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَوَصَايَاهُ وَمَوَاعِظِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالنِّعْمَةِ السَّابِغَةِ وَمَا فِي حَشْوِهَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَالنِّعْمَةِ فَالرَّحْمَةُ هِيَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ مِنْهُ بِعِبَادِهِ كَمَا أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ هِيَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ مِنْهُمْ بِهِ فَمِنْهُمْ إِلَيْهِ الْعُبُودِيَّةُ وَمِنْهُ إِلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ .

وَمِنْ أَخْصَرِ مَشَاهِدِ الْأَسْمِ شُهُودُ الْمُصَلِّي نَصِيْبُهُ مِنَ الرَّحْمَةِ الَّذِي أَقَامَهُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ وَأَهْلَهُ لِعُبُودِيَّتِهِ وَمُنَاجَاتِهِ وَأَعْطَاهُ وَمَنْعَ غَيْرِهِ وَذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِهِ .

فَإِذَا قَالَ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فَهَذَا شَهْدُ الْمَجْدِ الَّذِي لَا يَلْتَقِي بِسُورَى الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ فَشَهْدُ مَلِكاً قَاهِراً قَدْ دَانَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ وَعَنْتَ لَهُ الْوُجُوهُ وَذَلَّتْ لِعِظَمَتِهِ الْجَبَابِرَةُ وَخَضَعَ لِعِزَّتِهِ كُلُّ عَزِيزٍ فَيَشْهَدُ بِقَلْبِهِ مَلِكاً عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيِّمناً لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ وَإِذَا لَمْ تُعْطَلْ صِفَةً حَقِيقَةً صِفَةَ الْمَلِكِ أَطْلَعَتْهُ عَلَى شُهُودِ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي تَعْطِيلُهَا تَعْطِيلٌ لِمُلْكِهِ وَجَحْدٌ لَهُ فَإِنَّ الْمَلِكَ الْحَقَّ التَّامَّ الْحَقَّ لَا يَكُونُ إِلَّا حَيّاً قَيُوماً سَمِيعاً بَصِيراً مُدَبِّراً قَادِراً مُتَكَلِّماً أَمِيراً نَاهِياً مُسْتَوِياً عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ يُرْسَلُ إِلَى أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ بِأَوَامِرِهِ فَيَرْضَى عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الرِّضَا وَيُثِيْبُهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُدْنِيهِ وَيَقْضِبُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَضَبَ وَيُعَاقِبُهُ وَيَهِينُهُ وَيُقْصِيهِ وَيَقْصِي مَنْ يَشَاءُ ، لَهُ دَارُ عَذَابٍ وَهِيَ النَّارُ وَلَهُ دَارُ سَعَادَةٍ وَهِيَ

الْجَنَّةِ . فَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيُقْرِبُ مَنْ يَشَاءُ .

فَمَنْ أَبْطَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ جَحَدَهُ وَأَنْكَرَ حَقِيقَتَهُ فَقَدْ قَدَحَ فِي مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَفَى عَنْهُ كَمَا لَهُ وَتَمَامَهُ .

وكذلك مَنْ أَنْكَرَ عُمُومَ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ فَقَدْ أَنْكَرَ عُمُومَ مُلْكِهِ وَكَمَالِهِ فَيَشْهَدُ الْمُصَلِّيُّ مَجْدَ الرَّبِّ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فإذا قَالَ : ﴿ أَيَّاكَ نَعْبُدُ وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ففِيهَا سِرُّ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِأَجْلِ الْغَايَاتِ وَأَفْضَلِ الْوَسَائِلِ .

فَأَجَلُ الْغَايَاتِ عُبُودِيَّتُهُ وَأَفْضَلُ الْوَسَائِلِ إِعَانَتُهُ فَلَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ وَلَا مُعِينٌ عَلَى عِبَادَتِهِ غَيْرُهُ فَعِبَادَتُهُ أَعْلَى الْغَايَاتِ وَإِعَانَتُهُ أَجَلُ الْوَسَائِلِ وَقَدْ أَنْزَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ جَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي أَرْبَعَةٍ وَهِيَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ وَالزَّبُورُ وَجَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي الْقُرْآنِ وَجَمَعَ مَعَانِيَهُ فِي الْمَفْصَلِ وَجَمَعَ مَعَانِيَهُ فِي الْفَاتِحَةِ وَجَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي أَيَّاكَ نَعْبُدُ وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ .

وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد وهما توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله فهو يُعْبَدُ بِالْأُلُوْهِيَّةِ وَيُسْتَعَانُ بِرَبُّوبِيَّتِهِ وَيَهْدَى إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِرَحْمَتِهِ فَكَانَ أَوْلُ السُّورَةِ ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ وَالرَّبِّ وَالرَّحْمَنِ تَطَابِقًا لِأَجْلِ الْمَطَالِبِ مِنْ عِبَادَتِهِ وَإِعَانَتِهِ وَهِدَايَتِهِ وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِإِعْطَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ لَا يُعِينُ عَلَى عِبَادَتِهِ سِوَاهُ وَلَا يَهْدِي سِوَاهُ ثُمَّ يَشْهَدُ الدَّاعِي بِقَوْلِهِ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ شِدَّةَ فَاقِهِ وَضُرُورَتِهِ إِلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي لَيْسَ هُوَ إِلَى شَيْءٍ أَشَدَّ فَاقَةً وَحَاجَةً مِنْهُ إِلَيْهَا الْبَتَّةَ فَانَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ فِي كُلِّ نَفْسٍ وَطَرْفَةِ عَيْنٍ وَهَذَا الْمَطْلُوبُ مِنْ

الدُّعَاءُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَالْهِدَايَةَ فِيهِ
أَيُّ هِدَايَةِ التَّفْصِيلِ وَخَلَقَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْفِعْلِ وَازَادَتْهُ وَتَكْوِينَهُ وَتَوْفِيقَهُ
لِإِقَاعِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَرْضِي الْمَحْبُوبِ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحَفِظَهُ عَلَيْهِ
مِنْ مُفْسِدَاتِهِ حَالَ فِعْلِهِ وَبَعْدَ فِعْلِهِ .

وَلَمَّا كَانَ الْعَبْدُ مُفْتَقِرًا فِي كُلِّ حَالٍ إِلَى هَذِهِ الْهِدَايَةِ فِي جَمِيعِ مَا
يَأْتِيهِ وَيَذَرُهُ مِنْ أُمُورٍ قَدْ أَتَاهَا عَلَى غَيْرِ الْهِدَايَةِ فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْهَا .

وَأُمُورٍ هُدَى إِلَى أَصْلِهَا دُونَ تَفْصِيلِهَا أَوْ هُدَى إِلَيْهَا مِنْ وَجْهِ دُونَ
وَجْهِ فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى تَمَامِ الْهِدَايَةِ فِيهَا لِيَزْدَادَ هُدَى .

وَأُمُورٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَحْضَلَ لَهُ مِنَ الْهِدَايَةِ فِيهَا بِالْمُسْتَقْبَلِ مِثْلَ مَا
حَصَلَ لَهُ فِي الْمَاضِي .

وَأُمُورٍ هُوَ خَالَ عَنْ اعْتِقَادِ فِيهَا فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى الْهِدَايَةِ فِيهَا .

وَأُمُورٍ لَمْ يَفْعَلْهَا فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى فِعْلِهَا عَلَى وَجْهِ الْهِدَايَةِ .

وَأُمُورٍ قَدْ هُدِيَ إِلَى الْإِعْتِقَادِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ وَالصَّوَابِ فِيهَا فَهُوَ
مُحْتَاجٌ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْهِدَايَةِ .

فَرَضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ هَذِهِ الْهِدَايَةَ فِي أَفْضَلِ أَحْوَالِهِ
مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْهِدَايَةِ هُمُ
الْمُخْتَصُونَ بِنِعْمَتِهِ دُونَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ
يَتَّبِعُوهُ وَدُونَ الظَّالِمِينَ وَهُمْ الَّذِينَ عَبَدُوا اللَّهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَالطَّائِفَتَانِ اشْتَرَكَا
فِي الْقَوْلِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَسَبِيلُ الْمُنْعَمِ
عَلَيْهِمْ مُغَايِرَةٌ لِسَبِيلِ أَهْلِ الْبَاطِلِ كُلِّهَا عِلْمًا وَعَمَلًا فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ هَذَا
الشَّئِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْحِيدِ شَرَعَ لَهُ أَنْ يَطْبَعَ عَلَى ذَلِكَ بِطَابَعِ مِنَ التَّامِينِ

يَكُونُ كَالْخَاتِمِ لَهُ وَافَقَ فِيهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَهَذَا التَّامِينُ مِنْ زِينَةِ الصَّلَاةِ كَرَفَعِ الْيَدَيْنِ الَّذِي هُوَ زِينَةُ الصَّلَاةِ وَاتِّبَاعاً لِلْسُّنَّةِ وَتَعْظِيمَ أَمْرِ اللَّهِ وَعُبُودِيَّةَ الْيَدَيْنِ وَشِعَارُ الْإِنْتِقَالِ مِنْ رُكْنٍ إِلَى رُكْنٍ ثُمَّ يَأْخُذُ فِي مُنَاجَاةِ رَبِّهِ بِكَلَامِهِ وَاسْتِمَاعِهِ مِنَ الْإِمَامِ بِالْإِنْصَاتِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ وَشُهُودِهِ .

وقال رحمه الله والقول الجامع في تفسير الصراط المستقيم أنه الطريق الذي نصبه الله لعباده على السنة رسله ، وجعله موصلاً لعباده إليه ، ولا طريق لهم سواه ، وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسله بالطاعة ، وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ونكتة ذلك وعقده أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك ، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ، ولا تكون إرادة إلا متعلقة بمرضاته ، وهذا هو الهدى وهو معرفة الحق والعمل به وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها .

وقال : والطريق إلى الله واحد لا تعدد فيه ، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه موصلاً لمن سلكه إلى الله فمن الناس من يكون سيد عمله وطريقه إلى ربه طريق العلم والتعليم قد وفر عليه زماناً مبتغياً به وجه الله فلا يزال عاكفاً على طريق العلم حتى يصل من تلك الطريق إلى الله ويفتح له الفتح الخاص ، أو يموت في طريق طلبه فيرجى له الوصول إلى مطلبه ، ومنهم من يكون سيد عمله الذكر ، ومنهم من يكون طريقه الإحسان والنفع المتعدى ، ومنهم من يكون طريقه الصوم ، ومنهم من يكون كثرة تلاوة القرآن ، ومنهم من يكون طريقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنهم من يكون طريقه الحج والاعتبار ، ومنهم من يكون طريقه قطع العلائق وتجريد الهمة ودوام المراقبة وحفظ الأوقات أن تذهب ضائعة ، ومنهم الجامع الفذ السالك إلى الله في كل واد الواصل إليه من كل طريق ،

فهو جعل وظائف عبودية قبلة قلبه ونصب عينيه وقد شارك أهل كل عمل وذلك فضل الله .

وقال رَحِمَهُ اللهُ ولما كان طالب الصراط المستقيم طَالِبَ أَمْرٍ أَكْثَرَ الناسِ نَاكِبُونَ عنه ، مُرِيدًا لِسُلُوكِ طَرِيقٍ مُرَافِقُهُ فِيهَا فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ وَالْعِزَّةِ ، وَالنُّفُوسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى وَحْشَةِ التَّفَرُّدِ ، وَعَلَى الْأَنْسِ بِالرَّفِيقِ .

نَبَّهَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الرَّفِيقِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ « أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا » .

فَأَصَافَ الصِّرَاطَ إِلَى الرَّفِيقِ السَّالِكِينَ لَهُ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، لِيَزُولَ عَنِ الطَّالِبِ لِلْهُدَايَةِ وَسُلُوكِ الصِّرَاطِ وَحْشَةُ تَفَرُّدِهِ عَنِ أَهْلِ زَمَانِهِ وَبَنِي جَنَسِهِ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ رَفِيقَهُ فِي هَذَا الصِّرَاطِ هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ .

فَلَا يَكْتَرُثُ بِمُخَالَفَةِ النَّاكِبِينَ عَنْهُ لَهُ فَإِنَّهُمْ هُمُ الْأَقْلُونَ قَدْرًا وَإِنْ كَانُوا الْأَكْثَرِينَ عَدَدًا ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ وَلَا تَغْتَرِّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ .

وَكُلَّمَا اسْتَوْحِشْتَ فِي تَفَرُّدِكَ فَانظُرْ إِلَى الرَّفِيقِ السَّابِقِ ، وَاحْرَصْ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِمْ ، وَغَضِّ الطَّرْفِ عَنْ مَنْ سِوَاهُمْ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، وَإِذَا صَاحُوا بِكَ فِي طَرِيقِ سَيْرِكَ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ .

قَالَ وَلَمَّا كَانَ سُؤَالَ اللهِ الْهُدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَجَلَ الْمَطَالِبِ ، وَبَيَّنَّهُ أَشْرَفَ الْمَوَاهِبِ عَلَّمَ اللهُ عِبَادَهُ كَيْفِيَّةَ سُؤَالِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ حَمْدَهُ وَالشَّائِءَ عَلَيْهِ وَتَمَجِيدَهُ .

ثُمَّ ذَكَرَ عِبُودِيَّتَهُمْ وَتَوْحِيدَهُمْ فَهَاتَانِ وَسِيلَتَانِ إِلَى مَطْلُوبِهِمْ تَوْسُلٌ

إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوَسَّلْ إِلَيْهِ بِعِبُودِيَّتِهِ وَهَاتَانِ الْوَسِيلَتَانِ لَا يَكَادُ يُرَدُّ
مَعَهَا الدُّعَاءُ .

وَيُؤَيِّدُهُمَا الْوَسِيلَتَانِ الْمَذْكُورَتَانِ فِي حَدِيثِي الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ اللَّذَيْنِ
رَوَاهُمَا ابْنُ حِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

أَحَدُهُمَا حَدِيثُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو ،
وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ
الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِأَسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ
بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

فَهَذَا تَوَسَّلْ إِلَى اللَّهِ بِتَوْحِيدِهِ ، وَشَهَادَةِ الدَّاعِي لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَثَبُوتِ
صِفَاتِهِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهَا بِاسْمِ الصَّمَدِ .

وَهُوَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعَالِمُ الَّذِي كَمَلَ عِلْمُهُ الْقَادِرُ الَّذِي كَمَلَتْ
قُدْرَتُهُ وَفِي رَوَايَةٍ « هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِيهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ السُّؤْدَةِ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ هُوَ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ .
وَالثَّانِي حَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ؛ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ .

فَقَالَ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِأَسْمِهِ الْأَعْظَمِ فَهَذَا تَوَسَّلْ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ .

وَقَدْ جَمَعْتَ الْفَاتِحَةَ الْوَسِيلَتَيْنِ وَهُمَا التَّوَسُّلُ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ
وَتَمْجِيدِهِ وَالتَّوَسُّلَ إِلَيْهِ بِعِبُودِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ .

ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين فالداعي به حقيقاً بالاجابة .

ونظير هذا دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به إذا قام يصلى من الليل رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس .

« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن » .

ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق ، والنبون حق والساعة حق ومحمد حق .

اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، و عليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت .

فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إله إلا أنت ، فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه ، وبعبوديته ثم سأله المغفرة .

اللهم يا من خلق الإنسان في أحسن تقويم وبقدرته التي لا يُعجزها شيء يُحيي العظام وهي رميم ، نسألك أن تهدينا إلى صراطك المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . (فصل)

عباد الله إن الصلاة عماد الدين وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين من حافظ عليها فهو السعيد ومن أضاعها وأهملها فهو الشقي العنيد ، وقد أمر الله بالمحافظة عليها وأمر باقامتها في آيات كثيرة قال

تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وَقَالَ ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ الآية وَقَالَ : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ الآية ، وَقَالَ : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ وَقَالَ ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ قَالَ : ابْنُ عَبَّاسٍ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ بِفُرُوضِهَا وَقَالَ : الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَقَامَةُ الصَّلَاةِ اِتِمَامُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالتَّلَاوَةِ وَالخُشُوعِ وَالِاقْبَالَ عَلَيْهِ فِيهَا وَقَالَ قَتَادَةُ : أَقَامَةُ الصَّلَاةِ الْمُحَافَظَةُ عَلَى مَوَاقِفِهَا وَوُضُوءِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا .

وَقَالَ مُقَاتِلٌ : أَقَامَتُهَا الْمُحَافَظَةُ عَلَى مَوَاقِفِهَا وَاسْبَاغُ الطَّهْوَرِ فِيهَا وَاتِمَامُ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا وَالتَّشَهُدُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَثُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ مَنْ حَافِظٌ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَى وَضُوءِهَا وَرُكُوعِهَا وَمَوَاقِفِهَا وَصَامَ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَآتَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ وَآدَى الْأَمَانَةَ قَبْلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا آدَاءُ الْأَمَانَةِ قَالَ الْغُسْلُ مِنْ الْجَنَابَةِ إِنْ اللَّهُ لَمْ يَأْمَنْ ابْنَ آدَمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ غَيْرَهَا » رواه الطبراني .

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ثَلَاثٌ أَحْلَفُ عَلَيْهِنَّ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ وَأَسْهُمُ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهُ عَبْدًا

في الدنيا فيؤليه غيره يوم القيامة ولا يحبُّ رجلٌ قوماً إلا جعلَ معهم ،
الحديثَ رواه أحمدٌ باسنادٍ جيدٍ ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن
مسعود .

وعن عمر بن مرة الجهني قال : جاء رجلٌ الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنتك
رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان
وقمته فمن من أنا ؟ قال : من الصديقين والشهداء رواه البزار وابن خزيمة
وابن حبان في صحيحهما واللفظ لابن حبان ومن الأدلة الدالة على
وجوبها مع ما تقدم من الكتاب والسنة قوله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وأما السنة
فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« بُتِيَ الإسلام على خمسٍ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت من استطاع
اليه سبيلاً » .

وأجمعت الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة
وفرضت الصلاة ليلة الإسراء قبل هجرته صلى الله عليه وسلم بنحو
خمس سنين وقيل قبل الهجرة بسنة .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْإِسْتِعْدَادِ ، وَاهْدِنَا إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ
الصَّالِحِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيُتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : ويحرم تأخير الصلاة عن وقتها على القادر على فعلها

الذَّكْرِ لَهَا إِلَّا لِنَاوِي الْجَمْعِ لِنَحْوِ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ لِأَنَّهُ يَجِبُ ائْتِاقُهَا فِي
الْوَقْتِ فَإِذَا خَرَجَ وَقْتُهَا وَلَمْ يَأْتِ بِهَا كَانَ تَارِكًا لِلْوَجِبِ مُخَالِفًا لِلْأَمْرِ وَلِئَلَّا
تَفُوتَ فَائِدَةُ التَّاقِيَةِ .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهِ لِلْعُذْرِ وَتَحْرِيْمِهِ لغيرِ العُذْرِ فَحَدِيثُ أَبِي
قَتَادَةَ مَرْفُوعاً لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي اليَقَظَةِ أَنْ تُؤَخَّرَ
الصَّلَاةُ إِلَى أَنْ يَدْخَلَ وَقْتُ أُخْرَى وَقَدْ وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ
أَنَّهُ تَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهَا وَسَمَّاهُمْ مُصَلِّينَ لِكُنْهِمْ لَمَّا تَهَاوَنُوا بِهَا وَأَخْرَوْهَا عَنْ
وَقْتِهَا وَعَدَّاهُمْ بِوَيْلٍ وَهُوَ شِدَّةُ الْعَذَابِ وَقِيلَ هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَوْ سُيِّرَتْ فِيهِ
جِبَالُ الدُّنْيَا لَذَابَتْ مِنْ حَرِّهِ وَهُوَ مُسْكِنٌ مَنْ يَتَهَاوَنُ بِالصَّلَاةِ وَيُؤَخِّرُهَا عَنْ
وَقْتِهَا إِلَّا أَنْ يَتُوبَ وَيَنْدَمَ وَيَعْزِمَ أَنْ لَا يَعُودَ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ الْمُرَادُ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي
هَذِهِ الْآيَةِ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ فَمَنْ اشْتَغَلَ بِمَالِهِ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَمَعِيشَتِهِ
وَضَيْعَتِهِ وَأَوْلَادِهِ عَنْ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا كَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . وَفِي حَدِيثِ
أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ أَنْتَ إِذَا
كَانَتْ عَلَيْكَ أَمْرَاءُ يُمَيِّتُونَ الصَّلَاةَ أَوْ قَالَ : يُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا »

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ قَالَ ابْنُ
مَسْعُودٍ وَابْرَاهِيمُ أَخْرَوْهَا عَنْ وَقْتِهَا وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ : هُوَ أَنْ لَا
يُصَلِّيَ الظُّهْرَ حَتَّى يَأْتِيَ العَصْرُ وَلَا العَصْرَ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَجَاحِدُ
الصَّلَاةَ مَا يَخْلُو أَمَا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لَا يَجْهَلُ وَجُوبَهَا كَمَنْ نَشَأَ بِدَارِ الإِسْلَامِ
فَهَذَا يَكْفُرُ بِجَحْدِهِ لِأَنَّهُ مَكْذُوبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَاجْمَاعِ الأُمَّةِ وَيَصِيرُ مُرْتَدًّا

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَجْهَلُ وُجُوبَهَا كَمَنْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ وَكَحَدِيثِ عَهْدِ بِاسْلَامٍ
فَهَذَا يُعْرَفُ وُجُوبَهَا فَإِنْ أَصْرَ عَلَى الْجَحْدِ كَفَرَ .

فَإِنْ تَرَكَهَا تَهَاوُنًا وَكَسَلًا دَعَاهُ إِمَامٌ أَوْ نَائِبُهُ إِلَى فِعْلِهَا فَإِنْ أَبَى حَتَّى
تَضَاقِقَ وَقْتُ الَّتِي بَعْدَهَا وَجَبَ قَتْلُهُ وَمُدَّةُ اسْتِثْنَاءِ الْجَاحِدِ لَوُجُوبِهَا وَتَارِكِهَا
تَهَاوُنًا وَكَسَلًا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا كَسَائِرِ الْمُرْتَدِّينَ ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِمَا وَيُدْعِيَانِ
كُلَّ وَقْتِ صَلَاةِ الْيَوْمِ فَإِنْ تَابَا بِفِعْلِهَا مَعَ إِقْرَارِ الْجَاحِدِ لَوُجُوبِهَا خُلِّيَ
سَبِيلُهُمَا وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُمَا .

وَحَيْثُ كَفَرَ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ بَعْدَ الاسْتِثْنَاءِ وَلَا يُغَسَّلُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا
يُذْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُرْقَى وَلَا يُسَبَّى لَهُ وَلَا أَهْلُ كَسَائِرِ
الْمُرْتَدِّينَ .

اللَّهُمَّ اغْصِمْنَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالزَّلَاتِ وَوَقِّفْنَا لِلْعَمَلِ بِالسَّاقِيَاتِ
الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

فِي الْأَدِلَّةِ عَلَى كُفْرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ

وَالدَّلِيلُ عَلَى كُفْرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أَصْحَابِ
الْجَحِيمِ : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ . . .
الآيَةُ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » . رواه الجماعة الا
البخاري والنسائي .

وعن بُرَيْدَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
(الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) . رواه الخُمَيْسِيُّ
وفي الحديث الآخر « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ » رواه أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ عَنْ مَكْحُولٍ وَهُوَ مَرْسَلٌ جَيِّدٌ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرَكَهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ رَوَاهُ
الترمذي .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ : مَنْ
حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
نُورًا وَلَا بُرْهَانًا وَلَا نَجَاةً وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي
بْنِ خَلْفٍ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَقَالَ عُمَرُ لَأَحْظُ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ
وَقَالَ عَلِيٌّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُوَ كَافِرٌ

وقال ابن حزم وقد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن
جبل وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة أن من ترك صلاة فرض واحدة
متعمدا حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد .

وقال الحافظ عبد الحق الإشبيلي في كتابه ذهب جملة من
الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير تارك الصلاة متعمدا لتركها حتى يخرج
وقتها منهم عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وابن
عباس وجابر وأبو الدرداء وكذلك روي عن علي ، ومن بعدهم أحمد
بن حنبل وإسحاق وعبد الله ابن المبارك وإبراهيم النخعي والحكم بن

عِينَهُ وَأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِي ، كل هؤلاء ذهبوا إلى تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ حَتَّى
يُخْرَجَ وَقْتُهَا .

وَحُكْمِي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ حَتَّى أُدْخَلَ
وَقْتًا فِي وَقْتٍ فَهُوَ كَافِرٌ .

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَأَنْظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْمُقْرَبِينَ
وَالْأَبْرَارِ وَأَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . (٨) موعظة

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ سُبُلَ الْعَافِيَةِ مُنْدَرِسَةٌ لِقَلْبَةٍ سُلَاكِيهَا وَإِنْ عَلِلَّ الْقُلُوبِ
الْقَاسِيَةِ مُؤَذَنَةٌ بِهَلَاكِيهَا وَإِنْ رُسُلُ الْمَنُونِ قَانِصَةٌ لَا تُفْلِتُ أَحَدًا مِنْ شِبَاكِيهَا
فَمَا لِلْعَيُونِ نَازِرَةٌ وَلَا تُبْصِرُ وَمَا لِلْقُلُوبِ قَاسِيَةٌ وَلَا تُفَكِّرُ وَمَا لِلْعُقُولِ طَائِشَةٌ
لَا هِيَّةَ بِجَمْعِ الدُّنْيَا وَلَا تَشْعُرُ ، وَمَا لِلنَّفُوسِ قَاسِيَةٌ وَلَا تَذَكُرُ أَغْرَهَا إِنْظَارُهَا
وَأَمْهَالُهَا أَمْ بَشِّرْ بِالنَّجَاةِ صَالِحِ أَعْمَالِهَا أَمْ لَمْ يَتَحَقَّقْ عِنْدَهَا مِنَ الدُّنْيَا
زَوَالُهَا .

شِعْرًا: أَمَدُ الْحَيَاةِ كَمَا عَلِمْتَ قَصِيرٌ وَعَلَيْكَ نَقَاذُ بِهَا وَبَصِيرٌ
عَجَبًا لِمُعْتَرِّ بِدَارٍ فَنَائِهِ وَلَهُ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ مَصِيرٌ
آخِر: وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنِ التَّقْيُّ هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتِقِيِّ مَزِيدُ
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدُ
آخِر: هَوْنٌ عَلَيْكَ فَمَا الدُّنْيَا بِدَائِمَةٍ وَإِنَّمَا أَنْتَ مِثْلُ النَّاسِ مَعْرُورُ
وَلَوْ تَصَوَّرَ أَهْلُ الدَّهْرِ صُورَتَهُ لَمْ يُنْسِ مِنْهُمْ لَيْبٌ وَهُوَ مَسْرُورُ
تَاللهِ لَقَدْ شَمِلَتْ الْقُلُوبُ الْغَفْلَةَ فَاسْتَحْكَمَ عَلَى الْقُلُوبِ أَقْفَالُهَا ،
فَكَانَ قَدْ كَشَفَ الْمَوْتَ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ قِنَاعَهُ وَأَطْلَقَ عَلَى صِحَاحِ الْأَجْسَامِ

أَوْجَاعَهُ وَحَقَّقَ بِكُلِّ الْأَنَامِ إِيقَاعَهُ وَلَمْ يَمْلِكْ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ دِفَاعَهُ فَخَفَقَ
 مِنَ الْمَنْزُولِ بِهِ فَوَادَهُ وَرَجِمَهُ أَعْدَاؤُهُ وَحَسَّادُهُ وَقَرَّبَ عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَّنِهِ بِعَادَهُ
 وَالتَّحَقَّقَ بِذَلِكَ الْيَتِيمِ أَوْلَادُهُ فَيَالَهُ مِنْ وَاقِعٍ فِي كُرْبِ الْحَشَارِجِ إِلَى أَنْ أُدْرِجَ
 فِي تِلْكَ الْمَدَارِجِ وَقَدِمَ عَلَى اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ فِي مَنْزِلٍ لَا يَبْرَحُ مِنْهُ مَنْ
 نَزَلَهُ حَتَّى يَلْحَقَ آخِرُ الْخَلْقِ أَوْلَهُ فَانْتَبَهُوا رَجِمَكُمُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَصَلَّكُمْ
 الدُّورُ وَاسْتَدْرَكُوا مَا فَانَكُمُ وَمَا قَصُرْتُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى
 الْفَوْرِ . أَفِيظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيُهْمَلَهُ .

كَلَّا وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّ الْخَلْقَ بَعْدَ مَا أَمَاتَهُ وَلَيَسْأَلُنَّ عَنِ الرُّسُولِ وَمَنْ
 أَرْسَلَهُ وَلَيُوفِينَ كُلَّ عَامِلٍ مَا عَمِلَهُ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا
 لِاِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاضِعْنَا بِمَا
 انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمُهَا
 مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

تَبَيَّنَ ثَغْرُ الْفَجْرِ لَمَّا تَبَسَّمَا فَسُبْحَانَ مَنْ فِي الذِّكْرِ بِالْفَجْرِ أَقْسَمَا
 فَضَّلَ عَلَى الْمَبْعُوثِ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً عَسَى شَمَلْتَنَا أَوْ لَعَلَّ وَرَبَّمَا
 كَمَا شَمَلْتَ آلَ الرُّسُولِ وَصَحْبِهِ فَأَكْرِمْ بِهِمُ الْآلَ وَصَحْبًا وَأَعْظَمَا
 أَتَى بِالْهُدَى نُورًا أَلَيْنَا وَنِعْمَةً وَقَدْ كَانَ وَجْهُ الْكُونِ بِالشَّرِكِ مُظْلِمًا
 فَجَلَّى بِأَنْوَارِ الْهُدَى كُلَّ ظُلْمَةٍ وَأَطْلَعَ فِي الْأَفَاقِ لِلدِّينِ أَنْجَمًا
 أَتَى بِكِتَابٍ أَعْجَزَ الْخَلْقَ لَفْظُهُ فَكُلُّ بَلِيغٍ عُدْرُهُ صَارَ أَبْكَمَا
 تَحَدَّى بِهِ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ كُلَّهُمْ فَلَمْ يَفْتَحُوا فِيهَا يُعَارِضُهُ فَمَا
 حَوَى كُلُّ بُرْهَانٍ عَلَى كُلِّ مَطْلَبٍ وَيَعْرِفُ هَذَا كُلُّ مَنْ كَانَ أَفْهَمَا

وَأَخْبَرَ فِيهِ عَن عَوَاقِبِ مَنْ عَصَى
 وَعَنْ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَنَّ لَهُ غَدَاً
 مُحَمَّدٌ الْمَبْعُوثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
 وَأَسْرَى بِهِ نَحْوَ السَّمَوَاتِ رَبُّهُ
 وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا لِصُعودِهِ
 وَلَاقَى بِهَا قَوْمًا مِنَ الرُّسُلِ كُلُّهُمْ
 وَكَانَ بِهِ فَرَضُ الصَّلَاةِ وَحَبْذَا
 وَصِيْرَهَا مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ خَمْسَةً
 وَعَادَ إِلَى بَيْتِ أُمِّ هَانِيَاءَ مُخْبِرًا
 فَخَافَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُكذِّبَهُ الْمَلَأَ
 فَجَاءَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَأَخْبَرَ أَلْ
 وَكَانَ بِهِ الصَّدِيقُ خَيْرَ مُصَدِّقٍ
 مُحَمَّدًا الْمَبْعُوثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
 وَقَمَّ حَامِدًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
 وَصَلَّ عَلَى الْمَبْعُوثِ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
 سَرَى الْبِرْقُ مِنْ أَرْجَاءِ مَكَّةَ أَوْ سَرَى
 وَرَضِيَّ عَلَى الْأَصْحَابِ أَصْحَابِ أَحْمَدِ

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سَبِيلِكَ عِبَادِكَ الْمَخْلُصِينَ وَوَقِّفْنَا لِلْقِيَامِ بِأَرْكَانِ
 دِينِكَ الْقَوْمِ وَنَجِّنَا مِنْ لَفْحَاتِ الْجَحِيمِ وَأَسْكِنْنَا فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ وَاغْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

إِذَا فَهَمْتَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَحَاسِنِ الصَّلَاةِ وَجِوَدِهَا وَحُكْمِ تَأْخِيرِهَا

وَتَرَكَهَا فَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مَرَاتِبَ خَمْسٍ ذَكَرَهَا الْإِمَامُ
الْمُحَقِّقُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ :

أَحَدَهَا مَرْتَبَةُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمَفْرِطِ وَهُوَ الَّذِي انْتَقَصَ مِنْ وُضُوئِهَا
وَمَوَاقِيئِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا .

الثاني : مَنْ يُحَافِظُ عَلَى مَوَاقِيئِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا الظَّاهِرَةَ
وُضُوئِهَا لَكِنْ قَدْ ضَيَّعَ مُجَاهَدَةَ نَفْسِهِ فِي الْوَسْوَاسَةِ فَذَهَبَ مَعَ الْوَسَاوِسِ
وَالْأَفْكَارِ .

الثالث : مَنْ حَافِظٌ عَلَى حُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا وَجَاهَدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ
الْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ فَهُوَ مَشْغُولٌ بِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِ لِئَلَّا يَسْرِقَ صَلَاتَهُ فَهُوَ فِي
صَلَاةٍ وَجِهَادٍ .

الرَّابِعُ : مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وَأَرْكَانَهَا وَحُدُودَهَا
وَاسْتَفْرَقَ قَلْبَهُ مُرَاعَاةَ حُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا لِئَلَّا يَضْيَعُ شَيْءٌ مِنْهَا بَلْ هَمُّهُ كُلُّهُ
مَصْرُوفٌ إِلَى إِقَامَتِهَا كَمَا يَنْبَغِي إِكْمَالِهَا وَإِتْمَامِهَا قَدْ اسْتَفْرَقَ قَلْبَهُ شَأْنَ
الصَّلَاةِ عُبُودِيَّةً رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا .

الخامسُ : مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَامَ إِلَيْهَا كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ
أَخَذَ قَلْبَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَاطِرًا بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ مُرَاقِبًا لَهُ مُمْتَلِكًا
مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ ، وَقَدْ اضْمَحَلَّتْ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ
وَالْخَطَرَاتُ وَارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الصَّلَاةِ
أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهَذَا فِي صَلَاتِهِ مَشْغُولٌ بِرَبِّهِ عَزَّ
وَجَلَّ قَرِيرُ الْعَيْنِ .

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ مُعَاقِبُ وَالثَّانِي مُحَاسِبُ وَالثَّلَاثُ مُكَفِّرٌ عَنْهُ وَالرَّابِعُ

مُثَابٌ وَالخَامِسُ مُقَرَّبٌ مِنْ رَبِّهِ لِأَنَّ لَهُ نَصِيبًا مِمَّنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِصَلَاتِهِ فِي الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآخِرَةِ وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « اِرْفَعُوا الْحُجْبَ فَإِذَا التَّتَفَ قَالَ أَرْخُوهَا وَقَدْ فَسَّرَ هَذَا الْاِلْتِفَاتُ بِالْتِفَاتِ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى غَيْرِهِ فَإِذَا التَّتَفَ إِلَى غَيْرِهِ أَرْخِيَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَبْدِ فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ أُمُورَ الدُّنْيَا وَأَرَاهُ إِيَّاهَا فِي صُورَةِ الْمَرْأَةِ وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ لَمْ يَقْدِرْ الشَّيْطَانُ عَلَى أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ ذَلِكَ الْقَلْبِ وَإِنَّمَا يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ إِذَا وَقَعَ الْحِجَابُ فَإِنْ فَرَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ فَرَّ الشَّيْطَانُ فَإِنَّ التَّتَفَ حَضَرَ الشَّيْطَانُ فَهُوَ هَكَذَا شَأْنُهُ وَشَأْنُ عَدُوِّهِ فِي الصَّلَاةِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدْلِيلِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَالْعَزِيزُ مَنْ لَأَدَّ بِعِزِّكَ وَالسَّعِيدُ مَنْ التَّجَأَ إِلَى حِمَاكَ وَجُودِكَ وَالدَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوَيْدُهُ بِعِنَايَتِكَ وَالشَّقِيُّ مَنْ رَضِيَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ طَاعَتِكَ . اللَّهُمَّ نَزَّهْ قُلُوبَنَا عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونَكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ قَوْمِ تَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَكَ وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا مَسَلَكَ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ، وَالْحَقِّقَاتِ بِعِبَادِكَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ، وَأَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ وَأَمْرُكُمْ بِالصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِيُوجِهَ عَبْدَهُ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ .

الْأَلْفَاتُ الْمَنْهِيَّةُ عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ قِسْمَانِ :

أَحَدُهُمَا التَّفَاتُ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى .
وَالثَّانِي : التَّفَاتُ الْبَصَرِ وَكِلَاهُمَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ وَلَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى عَبْدِهِ مَا دَامَ الْعَبْدُ مُقْبِلًا عَلَى صَلَاتِهِ فَإِذَا التَّفَتْ بِقَلْبِهِ أَوْ بَصَرِهِ أَعْرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ التَّفَاتِ الرَّجُلِ فِي صَلَاتِهِ فَقَالَ اخْتِلَاسُ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ .

وَفِي أَثَرِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى خَيْرٍ مِنِّي وَمِثَالُ مَنْ يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ بِبَصَرِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ مَثَلُ رَجُلٍ قَدْ اسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ فَأَوْقَفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَقْبَلَ يُنَادِيهِ وَيُخَاطِبُهُ وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ عَنِ السُّلْطَانِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَقَدْ انصَرَفَ قَلْبُهُ عَنِ السُّلْطَانِ فَلَا يَفْهَمُ مَا يُخَاطِبُهُ بِهِ لِأَنَّ قَلْبَهُ لَيْسَ حَاضِرًا مَعَهُ فَمَا ظَنَّ هَذَا الرَّجُلِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ السُّلْطَانُ أَفَلَيْسَ أَقْلَ الْمَرَاتِبِ فِي حَقِّهِ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَمْقُوتًا مُبْعَدًا قَدْ سَقَطَ مِنْ عَيْنَيْهِ .

فَهَذَا الْمُصَلِّي لَا يَسْتَوِي وَالْحَاضِرُ الْقَلْبِ الْمُقْبِلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي صَلَاتِهِ الَّذِي قَدْ أَشْعَرَ قَلْبَهُ عَظَمَةَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاثْتَلَا قَلْبُهُ مِنْ هَيْبَتِهِ وَذَلَّتْ عُنُقُهُ لَهُ وَاسْتَحَى مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى أَنْ يَقْبَلَ عَلَى غَيْرِهِ أَوْ يَلْتَفِتَ عَنْهُ .

وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا قَالَ حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ : إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي الصَّلَاةِ الْوَاحِدَةَ وَإِنَّ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمَا مُقْبِلٌ بِقَلْبِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْآخَرُ سَاهٍ غَافِلٌ فَإِذَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ عَلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ لَمْ يَكُنْ إِقْبَالًا وَلَا تَقْرِيْبًا فَمَا الظَّنُّ بِالْمَخْلُوقِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْمَخْلُوقِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ الشَّهَوَاتِ وَالْوَسَاوِسِ ، وَالنَّفْسُ مَشْغُوفَةٌ بِهَا مَلَأَى مِنْهَا فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ

اقبالاً ، وَقَدْ أَلَهْتَهُ الْوَسَاوِسُ وَالْأَفْكَارُ وَذَهَبَتْ بِهِ كُلُّ مَذْهَبٍ بِهَا .

قِصَّةٌ تُنَاسِبُ الْمَوْضُوعَ الَّذِي هَا سَمِعَكَ وَحَضَرَ قَلْبَكَ ، قِيلَ إِنَّ السَّفَاحَ كَانَ يُحَدِّثُ أَبَا بَكْرٍ الْهُدَلِيَّ يَوْمًا ، فَعَصَفَتْ رِيحٌ فَأَسْقَطَتْ طَشْتًا مِنَ السَّطْحِ عَلَى الْمَجْلِسِ ، فَازْتَاعَ الْحَاضِرُونَ وَلَمْ يَتَحَرَّكَ الْهُدَلِيُّ ، وَلَمْ تَزَلْ عَيْنُهُ مُطَابِقَةً لِعَيْنِ السَّفَاحِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ فَقَالَ السَّفَاحُ : مَا أَعْجَبَ شَأْنَكَ يَا هُدَلِي ، أَيُّ لَمْ تَزْتَاعَ وَلَمْ تَلْتَفِتْ . فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ وَأَنَا لِي قَلْبٌ وَاحِدٌ فَلَمَّا شُغِلَ بِمُحَادَثَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِمُحَادَثَةِ غَيْرِهِ مَجَالٌ فَلَوْ انْقَلَبَتِ الْخَضْرَاءُ عَلَى الْغُبْرَاءِ مَا حَسَسْتُ بِهَا وَلَا وَجَّهْتُ هَا قَلْبِي ، فَقَالَ السَّفَاحُ : لَئِنْ بَقِيتُ لِأَرْفَعَنَّ مَكَانَكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَصِلَةً كَبِيرَةً ، فَانظُرْ بِاللَّهِ عَلَيْكَ وَاعْتَبِرْ فِي اسْتِعْرَاقِ قَلْبِ الْهُدَلِيِّ وَانْعِمَارِهِ بِمُحَادَثَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ ، وَزِنْ حَالَهُ بِحَالِكَ فِي قُوفِكَ فِي الصَّلَاةِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَرَفَعَ مِنْ بَيْنِكَ وَبَيْنَهُ الْحُجُبَ ، فَهَلْ تَجِدُ قَلْبَكَ إِذَا دَخَلْتَ فِي الصَّلَاةِ حَاضِرًا وَمُنْعِمِرًا وَمُسْتَعْرِقًا فِي تَعْظِيمِ اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

اللَّهُمَّ اغْمُرْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ . وَوَقِّفْنَا لِإِمْتِثَالِ أَمْرِكَ وَأَمْنَا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْعَبْدُ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ فَإِنَّهُ قَدْ قَامَ فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ وَأَقْرَبِهِ وَأَغْيَظِهِ لِلشَّيْطَانِ وَأَشَدِّهِ عَلَيْهِ . فَهُوَ يَحْرَصُ وَيَجْتَهِدُ كُلَّ الْجَهْدِ أَنْ لَا يُقِيمَهُ فِيهِ ، بَلْ لَا يَزَالُ بِهِ يَعِدُّهُ

وَمُنِّيهِ وَنُسَيْبِهِ وَجَلْبُ عَلَيْهِ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ حَتَّى يُهَوِّنَ عَلَيْهِ شَأْنَ الصَّلَاةِ فَيَتَهَاوَنُ بِهَا فَيَتْرُكُهَا . فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ مِنْهُ وَعَصَاهُ الْعَبْدُ وَقَامَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ أَقْبَلَ عَدُوَّ اللَّهِ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ فَيَذْكُرُهُ فِي الصَّلَاةِ مَا لَمْ يَذْكُرْ قَبْلَ دُخُولِهِ فِيهَا حَتَّى رُبَّمَا كَانَ قَدْ نَسِيَ الشَّيْءَ وَالْحَاجَةَ وَأَيْسَ مِنْهَا ، فَيُذَكِّرُهُ إِيَّاهَا فِي الصَّلَاةِ لِيَشْغَلَ قَلْبَهُ بِهَا ، وَيَأْخُذَهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَقُومُ فِيهَا بِلا قَلْبٍ فَلَا يَنَالُ مِنَ إِقْبَالِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَكَرَامَتِهِ وَقُرْبِهِ مَا يَنَالُهُ الْمُقْبِلُ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْحَاضِرُ الْقَلْبَ فِي صَلَاتِهِ فَيَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاتِهِ مِثْلَ مَا دَخَلَ فِيهَا بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ وَأَثْقَالِهِ لَمْ تَخَفْ عَنْهُ بِالصَّلَاةِ .

فَالصَّلَاةُ إِنَّمَا تُكْفِرُ سَيِّئَاتِ مَنْ أَدَّى حَقَّهَا وَأَكْمَلَ خُشُوعَهَا ، وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ وَقَالِبِهِ ، فَهَذَا إِذَا انْصَرَفَ مِنْهَا وَجَدَ خِيفَةً فِي نَفْسِهِ ، وَأَحْسَ بِاثْقَالِ وَضِعَتْ عَنْهُ ، فَوَجَدَ نَشَاطًا وَرَاحَةً وَرَوْحًا حَتَّى أَنَّهُ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا لِأَنَّهَا قُرَّةُ عَيْنِهِ وَنَعِيمُ رُوحِهِ وَجَنَّةُ قَلْبِهِ وَمُسْتَرَاخُهُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَزَالُ كَانَهُ فِي سِجْنٍ وَضِيقٍ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهَا فَيَسْتَرِيحُ بِهَا لَا مِنْهَا .

الْمُحِبُّونَ يَقُولُونَ : نُصَلِّي فَنَسْتَرِيحُ بِصَلَاتِنَا كَمَا قَالَ إِمَامُهُمْ وَقُدُوتُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ وَلَمْ يَقُلْ أَرِحْنَا مِنْهَا .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ فَمَنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ كَيْفَ تَقْرَأُ عَيْنُهُ بِدُونِهَا وَكَيْفَ يُطَبِّقُ الصَّبْرَ عَنْهَا فَصَلَاةُ هَذَا الْحَاضِرِ بِقَلْبِهِ الَّذِي قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ هِيَ الَّتِي تَصْعَدُ وَلَهَا نُورٌ وَبُرْهَانٌ حَتَّى يُسْتَقْبَلَ بِهَا الرَّحْمَنُ فَتَقُولُ حَفِظَكَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا حَفِظْتَنِي وَأَمَّا صَلَاةُ الْمُفْرَطِ الْمُضَيِّعِ لِحُقُوقِهَا وَحُدُودِهَا وَخُشُوعِهَا فَإِنَّهَا

تَلَفَ كَمَا يُلْفُ الثُّوبُ الْخَلِيقُ وَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا وَتَقُولُ ضَيِّعَكَ اللَّهُ
كَمَا ضَيَّعْتَنِي .

وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ
أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُتِمُّ الْوُضُوءَ إِلَى أَمَاكِنِهِ ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي
وَقْتِهَا فَيُؤَدِّيَهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ وَقْتِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَمَعَالِمِهَا
شَيْئًا إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيضاءُ مُسْفِرَةٌ يَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا مَا بَيْنَ
الْخَافِقَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَمَنْ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمْ يُكْمِلْ وُضُوءَهَا وَأَخْرَهَا عَنْ وَقْتِهَا وَاسْتَرَقَ
رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَمَعَالِمِهَا رُفِعَتْ عَنْهُ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ثُمَّ لَا تُجَاوِزُ شَعْرَ
رَأْسِهِ تَقُولُ ضَيِّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي وَلِلَّهِ دَرُّ اسْمَاعِيلَ الْمُقْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ
حَيْثُ قَالَ :

تُصَلِّي بِإِلَّا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا
يَكُونُ الْفَتَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ

تَظَلُّ وَقَدْ أَتَمَمْتَهَا غَيْرَ عَالِمٍ
تَزِيدُ إِحْتِيَاطًا رَكْعَةً بَعْدَ رَكْعَةٍ
فَوَيْلَكَ تَذْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضًا
وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تَنْحَى غَيْرَ مُخْبِتٍ
تَخَاطَبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلًا
عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
وَلَوْ رَدَّ مَنْ نَاجَاكَ لِلغَيْرِ طَرْفَهُ
تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
أَمَا تَسْتَجِي مِنْ مَالِكِ الْمَلِكِ أَنْ يَرَى
صُدُودَكَ عَنْهُ يَا قَلِيلَ الْمُرُوءَةِ

إِلَهِي اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَخُذْ بِنَا
إِلَى الْحَقِّ نَهْجاً فِي طَرِيقِ السُّوِيَةِ

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا . اللَّهُمَّ قَنَعْنَا مِنَ الدُّنْيَا
بِالْيَسِيرِ وَسَهَّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَقِّفْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ مَلْجُوتُنَا وَمَلَاذُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ
كُلِّ هَمٍّ فَرْجاً وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجاً وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ اخْوَانِنَا
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

فائدة جليلة

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
لِكُلِّ مَطْلُوبٍ مِفْتَاحاً يُفْتَحُ بِهِ فَجَعَلَ مِفْتَاحَ الصَّلَاةِ الطُّهُورَ وَمِفْتَاحَ الْحَجِّ
الْإِحْرَامَ وَمِفْتَاحَ الْبِرِّ الصَّدَقَةَ وَمِفْتَاحَ الْجَنَّةِ التَّوَجُّدَ وَمِفْتَاحَ الْعِلْمِ حُسْنَ
السُّؤَالِ وَحُسْنَ الْإِصْغَاءِ وَمِفْتَاحَ النُّصْرِ وَالظَّفْرِ الصَّبْرَ وَمِفْتَاحَ الْمَزِيدِ
الشُّكْرَ وَمِفْتَاحَ الْوِلَايَةِ الْمَحَبَّةَ وَمِفْتَاحَ الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا .

ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكير فيه ومفتاح
الدُّخُولِ عَلَى اللَّهِ اسْلَامَ الْقَلْبِ وَسَلَامَتَهُ لَهُ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ فِي الْحُبِّ
وَالْبُغْضِ لَهُ وَالْفِعْلَ وَالتَّرْكَ وَمِفْتَاحَ حَيَاةِ الْقَلْبِ تَدْبِيرَ الْقُرْآنِ وَالتَّضَرُّعَ
بِالْأَسْحَارِ وَتَرَكَ الذُّنُوبِ وَمِفْتَاحَ حُصُولِ الرَّحْمَةِ الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ
وَالسَّعْيَ فِي نَفْعِ عِبِيدِهِ وَمِفْتَاحَ الرِّزْقِ السَّعْيُ مَعَ الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّقْوَى
وَمِفْتَاحَ الْعِزِّ طَاعَةُ اللَّهِ وَمِفْتَاحَ الاستعدادِ لِلْآخِرَةِ قَصْرُ الْأَمَلِ وَمِفْتَاحُ كُلِّ

خَيْرِ الرَّغْبَةِ فِي اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةَ وَمِفْتَاحُ كُلِّ شَرِّ حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولُ
الْأَمَلِ .

وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَنْفَعِ أَبْوَابِ الْعِلْمِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَفَاتِيحِ الْخَيْرِ
وَالشَّرِّ وَلَا يُوفَّقُ لِمَعْرِفَتِهِ وَمُرَاعَاتِهِ إِلَّا مَنْ عَظَّمَ حَظَّهُ وَتَوَفَّقَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ مِفْتَاحًا وَبَابًا يُدْخَلُ مِنْهُ إِلَيْهِ كَمَا جَعَلَ
الشِّرْكَ وَالْكَبْرَ وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَالْغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِهِ وَالْبِقْيَامَ
يَحِقُّهُ مِفْتَاحًا لِلنَّارِ وَكَمَا جَعَلَ الْخَمْرَ مِفْتَاحَ كُلِّ إِثْمٍ وَجَعَلَ الْغِنَاءَ مِفْتَاحَ
الرِّزَا وَجَعَلَ إِطْلَاقَ النَّظَرِ فِي الصُّورِ مِفْتَاحَ الْخَيْبَةِ وَالْجِرْمَانِ وَجَعَلَ
الْمَعَاصِي مِفْتَاحَ الْكُفْرِ وَجَعَلَ الْكَذِبَ مِفْتَاحَ النِّفَاقِ وَجَعَلَ الشُّحَّ وَالْجِرْصَ
مِفْتَاحَ الْبُخْلِ وَقَطِيعَةَ الرَّجْمِ وَأَخَذَ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَجَعَلَ الْإِعْرَاضَ
عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِفْتَاحَ كُلِّ بَدْعَةٍ وَضَلَالٍ وَهَذِهِ
أُمُورٌ لَا يُصَدِّقُ بِهَا إِلَّا كُلُّ مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ صَاحِبَةٌ وَعَقْلٌ يَعْرِفُ بِهِ مَا فِي
نَفْسِهِ أَنْتَهَى .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : عَلَامَةٌ تَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي رِعَايَةَ
أَوْقَاتِهَا وَحُدُودِهَا وَالتَّفْتِيضُ عَلَى أَرْكَانِهَا وَوَأَجِبَاتِهَا وَكَمَالِهَا وَالْجِرْصُ عَلَى
تَحْيِيهَا فِي أَوْقَاتِهَا وَالْمَسَارَعَةُ إِلَيْهَا عِنْدَ وُجُوبِهَا وَالْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ وَالْأَسْفُ
عِنْدَ فَوَاتِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِهَا كَمَنْ يَحْزَنُ عَلَى فَوَاتِ الْجَمَاعَةِ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَوْ
تُقْبِلَتْ مِنْهُ صَلَاتُهُ مُنْفَرِدًا فَإِنَّهُ قَدْ فَاتَهُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ ضِعْفًا .

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا يُعَانِي الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ يَفُوتُهُ فِي صَفَقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي بَلَدِهِ
مِنْ غَيْرِ سَفَرٍ وَلَا مَشَقَّةٍ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا لِأَكْلِ يَدَيْهِ نَدْمًا وَأَسْفًا فَكَيْفَ
وَكُلُّ ضِعْفٍ مِمَّا تُضَاعَفُ بِهِ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ وَأَلْفِ أَلْفٍ وَمَا
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فإذا فَوَّتَ الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا الرَّبْحَ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ لَا صَلَاةَ لَهُ . وَهُوَ بَارِدُ الْقَلْبِ فَارِغٌ مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ غَيْرُ مُرْتَاعٍ لَهَا فَهَذَا مِنْ عَدَمِ تَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ وَكَذَلِكَ إِذَا فَاتَهُ أَوَّلُ الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ فَاتَهُ الصَّفُّ الَّذِي يُصَلِّي اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ عَلَى مَيَامِنِهِ وَلَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ فَضِيلَتَهُ لَجَالَدَ عَلَيْهِ وَلَكَانَتْ قُرْعَةً .

وكذلك لو فَوَّتَ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ الَّذِي تُضَاعَفُ الصَّلَاةُ بِكَثْرَتِهِ وَكُلَّمَا كَثُرَ الْجَمْعُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكُلَّمَا بَعُدَتْ الْخَطَا كَانَ كُلُّ خُطْوَةٍ تَحُطُّ خَطِيئَةً وَأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً وَكَذَلِكَ لَوْ فَوَّتَ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ وَحُضُورَ الْقَلْبِ فِيمَا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ وَتَعَالَى الَّذِي هُوَ رُوحُ الصَّلَاةِ وَلِبُهَا فَصَلَاةٌ بِلا خُشُوعٍ وَلا خُضُوعٍ كَبَدْنٍ مَيِّتٍ لَا رُوحَ فِيهِ أَفَلَا يَسْتَجِ الْعَبْدُ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ عَبْدًا مَيِّتًا أَوْ جَارِيَةً مَيِّتَةً ، فَمَا ظَنُّ هَذَا الْعَبْدِ أَنْ تَقَعَ الْهَدِيَّةُ بِمَنْ قَصَدَهُ بِهَا مِنْ مَلِكٍ أَوْ أَمِيرٍ أَوْ غَيْرِهِ ، فَهَكَذَا سُوءُ الصَّلَاةِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْخُشُوعِ وَالْحُضُورِ وَجَمْعِ الْهِمَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا بِمَنْزِلَةِ هَذِهِ الْأَمَةِ أَوْ الْعَبْدِ الْمَيِّتِ الَّذِي يُرِيدُ إِهْدَاءَهُ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ .

وَلِهَذَا لَا يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَإِنْ اسْقَطْتَ الْفُرْضَ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَلَا يُثَبِّتُهُ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا ، كَمَا فِي السُّنَنِ وَمَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : إِنْ الْعَبْدُ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ وَمَا كَتَبَ لَهُ إِلَّا يَنْصِفُهَا إِلَّا ثُلُثَهَا إِلَّا رُبْعَهَا إِلَّا خُمْسَهَا حَتَّى بَلَغَ عَشْرَهَا . وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ سَائِرَ الْأَعْمَالِ تَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى فَتَفَاضُلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِحْلَاصِ وَالْمَحَبَّةِ وَتَوَابِعِهَا .

وَتَفَاضَلَ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقْوُ
 مُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْإِيمَانِ
 حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا
 فِي رُتَبَةٍ تَبْدُو لَنَا بِعِيَانِ
 هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ فِي فَضْلِ فِي رُجْحَانِ
 وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا
 رُتَبٌ مُضَاعَفَةٌ بِلَا حُسْبَانِ
 هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلُّ جَلَالُهُ
 وَبِذَاكَ تُعْرَفُ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

فالمدارُ على أعمالِ القلوبِ فإذا كان القلبُ حاضراً ومُلتقٍ سمعهُ
 لما يسمعُ ولما ينطقُ هو به من قراءةٍ وتكبيرٍ وتَسْبِيحٍ وَقَوْلِ رَبِّي اغْفِرْ لِي
 وَقَوْلِ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَمَعَانِي الْفَاتِحَةِ وَالتَّحِيَّاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ
 صَلَاتِهِ وَأَمَّا الْغَافِلُ الَّذِي لَا يَتَدَبَّرُ وَلَا يَتَفَهَّمُ وَيَعْبَثُ وَلَا يَهْتَمُّ لَهَا فَهَذَا
 مَحْصُولُهُ ضَيِّبٌ جِدًّا أَوْ مَعْدُومٌ .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد
 خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن
 تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .
 شِعْرًا:

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا
 تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
 إِلَهِي وَخَلْقِي وَمَسْئِلِي وَمَوْئِلِي
 إِلَيْكَ لَدَى الْأَعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ

إِلَهِي لَيْتَنِي حَبِيبَتِي وَطَرَدْتَنِي
 فَمَنْ ذَا الَّذِي عَمَّا أَحَازِرُ يَنْفَعُ
 إِلَهِي لَيْتَنِي جَلْتُ وَجَمْتُ خَطِيئَتِي
 فَعَفْوُكَ عَن ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
 إِلَهِي لَيْتَنِي أُعْطِيتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا
 فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
 إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي
 وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
 إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزِعْ
 فُؤَادِي قَلْبِي فِي سَبَبِ جُودِكَ مَطْمَعُ
 إِلَهِي أَجْرَنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنِّي
 أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
 إِلَهِي فَانْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي
 إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوَى وَمَضْجَعُ
 إِلَهِي لَيْتَنِي عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حَجَّةً
 فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَتَقَطَّعُ
 إِلَهِي أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا
 بَنُونَ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ
 إِلَهِي لَيْتَنِي لَمْ تَرْعَنِي كُنْتُ ضَائِعاً
 وَإِنْ كُنْتُ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أَضِيْعُ
 إِلَهِي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَن غَيْرِ مُحْسِنٍ
 فَمَنْ لِمُسِيءٍ بِالْهَوَى يَتَمَتَّعُ
 إِلَهِي لَيْتَنِي قَصَّرْتُ فِي طَلْبِ التَّقَى

فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ
 إِلَهِي أَقْلِنِي عَشْرَتِي وَأَمَحْ زَلَّتِي
 فَإِنِّي مُقِرُّ خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ
 إِلَهِي لَيْسَ خَيْبَتَنِي وَطَرَدَتَنِي
 فَمَا جِئْتِي يَا رَبُّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ
 إِلَهِي حَلِيفُ الْحَبِّ بِاللَّيْلِ سَاهِرُ
 يُنَاجِي وَيَبْكِي وَالغَفُوقُ يَهْجَعُ
 إِلَهِي لَيْسَ تَعْفُو فَعَفُوكَ مُنْقِذِي
 وَإِنِّي يَا رَبُّ الْوَرَى لَكَ أَخْضَعُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَّا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَتَبَهُّنَا
 لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَقْفِنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا
 أَنْطَوْتُ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَّهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا
 مِنَّا، وَأَمُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ .

اللَّهُمَّ ارْحَمْ عِبَادًا غَرَّهُمْ طُولُ إِمَهَالِكَ وَأَطْمَعَهُمْ دَوَامُ إِفْضَالِكَ
 وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى كَرَمِ نَوَالِكَ وَتَيَقَّنُوا أَنَّ لَا غِنَى لَهُمْ عَنِ سُؤَالِكَ وَجُدْ
 عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبُّ
 الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(٩) موعظة

عِبَادَ اللَّهِ تَغَيَّرَ النَّاسُ فِي أَحْوَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ تَغَيَّرًا يُدْهِشُ النَّاطِقِينَ فِي
 زَمَنِ قَلِيلٍ ، هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ آكُذُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ
 وَهِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ قَدْ أَعْرَضَ عَنْهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ غَيْرِ مُبَالِينَ بِذَلِكَ
 جَهَلُوا مَا هِيَ الصَّلَاةُ وَأَيُّ قِيَمَةٍ قِيَمَتُهَا وَمَا مَنَزَلَتُهَا بَيْنَ الطَّاعَاتِ ، وَمَا

علموا أنها الصلة بين العبد وبين ربه ولذلك هي تطهر المصلي من جميع ذنوبه إذا اجتنبت الكبائر كالزنا واللواط وأكل الربا .

ويزيدك معرفة بها أن تعرف مالها من متعلقات . ذلك أنه إذا توضأ لها ذهب ذنوب أعضائه وضوئه مع ذهاب الماء فإذا تشهد بعد الوضوء فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء فإذا مشى إلى المسجد كان له بكل خطوة يخطوها تحط عنه خطيئة ورفع له درجة فإذا انتظر الصلاة فإنه لا يزال في صلاة .

وأما المؤذنون فهم أطول الناس أعناقاً يوم القيامة وشهد لهم كل ما يسمعون حتى الأشجار والأحجار .

ومن قال مثل ما يقول المؤذن ثم دعا عقبه وجبت له شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم وأما قم المسجد وتنظيفه فهو مهر الحور العين في الجنات ومن بنى له مسجداً ولو كمفحص قطة بنى الله له بيتاً في الجنة .

والخلاصة أن المؤمن بصلاته أبعده الناس من المحرمات والفواحش والزنا واللواط وشرب الخمر والدخان والميسر وقول الزور والسرقه والقتل والقذف وحضور آلات اللهو المذباح والتلفزيون والسينما والبكمات وأبعده الناس عن الغش والربا والبخس والمكر والخداع وغيرهما مما يخل بالدين أو ينقص المرأة والشرف ، إذ من غير المعقول أن من بلغ به حبه في الاستقامة أن يقف أمام سيده ومولاه الذي ربه ورآه وسجد وحمده وأثنى عليه بما هو أهله وشكر له أن يرى بعد ذلك جوالاً في طرق الغواية والمآثم التي يتأبها الفساق الذين مردوا على الفجور وتفننوا فيه . . صدق الله العظيم .

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ: هَذِهِ مِنْ ثَمَرَاتِ الصَّلَاةِ.

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَقَّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِحٌ يَا قَاضِيَ
الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.

فصل: في ذكر بعض فوائد صلاة الجماعة وبيان حكمها وأدلة وجوبها
وذكر طرف من فوائد صلاة الرواتب والنوافل

إِعْلَمْ وَوَقَّفْنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّهُ شَرَعَ
لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْاجْتِمَاعَ لِلْعِبَادَةِ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ ، فَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْيَوْمِ
وَاللَّيْلَةِ لِلْمَكْتُوبَاتِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْأُسْبُوعِ وَهُوَ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ وَمِنْهَا مَا
هُوَ فِي السَّنَةِ مُتَكَرِّرٌ وَهُوَ صَلَاةُ الْعِيدَيْنِ لِجَمَاعَةٍ كُلِّ بَلَدٍ وَمِنْهَا مَا هُوَ عَامٌ
فِي السَّنَةِ وَهُوَ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ ، وَذَلِكَ لِأَجْلِ التَّوَاصُلِ وَالتَّوَادُدِ وَالتَّعَاوُنِ
وَالتَّخَيُّمِ وَالتَّالْفِ وَالتَّعَارُفِ وَالتَّعَاطُفِ وَالتَّرَاحُمِ ، وَقُوَّةِ لِلرَّابِطَةِ بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَمُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ بِالْاجْتِمَاعِ ، وَكَثْرَةِ الْخَطِيئِ ، وَلِتَعْلِيمِ
الْجَاهِلِ لِأَحْكَامِ الصَّلَاةِ .

فَصَلَاةُ الْجَمَاعَةِ هِيَ الْمُتَكَرِّرُ يَوْمِيًّا الْاجْتِمَاعُ لَهَا فِي الْمَسَاجِدِ وَهِيَ
وَاجِبَةٌ وَجُوبٌ عَيْنٌ عَلَى الرِّجَالِ الْقَادِرِينَ حَضْرًا وَسَفْرًا حَتَّى فِي شِدَّةِ
الْخَوْفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« انقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما

فِيهِمَا لِأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا . وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا
فِيصَلِّيَ بِالنَّاسِ ثُمَّ انطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حِزْمٌ مِّنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا
يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ فِي النَّارِ « متفق عليه .

وعن أبي هريرة أَنَّ رَجُلًا أَعْمَى قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لِي قَائِدٌ
يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ
فِيصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخِّصَ لَهُ فَلَمَّا وُلِيَ دَعَاهُ فَقَالَ هَلْ تَسْمَعُ الْبِدَاءَ قَالَ :
نَعَمْ قَالَ : فَأَجِبْ . رواه مسلم والنسائي .

وروى أبو داود عن عَمْرِو بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْمَدِينَةَ كَثِيرَةُ الْهَوَامِ وَالسَّبَاعِ وَأَنَا
ضَرِيرُ الْبَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ وَلِي قَائِدٌ لَا يُلَائِمُنِي فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً
أَنْ أَصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ تَسْمَعُ
الْبِدَاءَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَجِبْ فَإِنِّي لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً فَهَذَا رَجُلٌ ضَرِيرٌ شَكَا
مَا يَجِدُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي مَجِيئِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ لَهُ قَائِدٌ يَقُودُهُ إِلَيْهِ وَمَعَ
هَذَا لَمْ يُرَخِّصْ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ فِي بَيْتِهِ فَكَيْفَ
يَمَنْ يَكُونُ صَحِيحُ الْبَصَرِ مُتَوَقِّفَةً الْأَنْوَارُ فِي طَرِيقِهِ وَهُوَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِهِ
وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ .

وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ وَأَعْطَاهُ وَأَقْنَاهُ
وَوَعَدَهُ إِنْ أَطَاعَهُ بِجَمِيعِ مَا تَطَلَّبُهُ نَفْسُهُ وَتَمَنَّاهُ ، وَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ مَنْ عَصَاهُ
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ .

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَمِعَ الْبِدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ » .
وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، مَنْ تَقَدَّمَ قَوْمًا

وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَرَزُوجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ وَرَجُلٌ سَمِعَ حَيَّ عَلِيَّ
الصَّلَاةِ حَيَّ عَلِيَّ الْفَلَاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ « وَحَدِيثٌ لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ
إِلَّا بِالْمَسْجِدِ رُويَ مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ
سَمِعَ الندَاءَ فَلَمْ يَمْنَعَهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُدْرٌ قَالُوا وَمَا الْعُدْرُ قَالَ خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ
لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى » .
شعرا :

وَأَحْسَنُ صَوْتٍ لَدَّ عِنْدِي سَمَاعُهُ سَمَاعُ أَذَانٍ مِنْ مَنَارَةِ مَسْجِدِ
يُنَادِي بِتَوْجِيدِ الَّذِي جَلَّ شَأْنُهُ فَيَا نَفْسُ صَلِّي لِلْمُهَيَّمِنِ وَاعْبُدِي
آخر :

وَأَحْسَنُ صَوْتٍ فِي الْوَرَى صَوْتُ دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ لِلْخَمْسِ الصَّلَوَاتِ تُشْهَدُ
وعن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« الْجَفَاءُ كُلُّ الْجَفَاءِ وَالْكَفْرُ وَالنِّفَاقُ مَنْ سَمِعَ مُنَادِيَّ اللَّهِ يُنَادِي إِلَى الصَّلَاةِ
فَلَا يُجِيبُهُ » رواه أحمد والطبراني .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ
الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبُ الْقَاصِيَةَ » . رواه أحمد وأبو
داود والنسائي .

وعن أمير المؤمنين عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « مَا بَالُ
أَقْوَامٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ فَيَتَخَلَّفُ لِتَخَلْفِهِمْ آخِرُونَ لِأَنَّهُمْ يَحْضُرُوا الصَّلَاةَ
أَوْ لِأَبْعَثَنَ عَلَيْهِمْ مَنْ يُجَافِي رِقَابِهِمْ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ

الْخُمْسِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنْنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لظَلَلْتُمْ وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومٌ الْبِفَاقِ » .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « لَأَنْ تَمْتَلِيءَ أُذُنُ ابْنِ آدَمَ رِصَاصًا مُدَابَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ »
 وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجلٍ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيُصُومُ النَّهَارَ وَهُوَ لَا يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ فَقَالَ هُوَ فِي النَّارِ وَلَمَّا كَانَ عَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِلْيَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَسَمِعَ بِرِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ جَمَاعَةً فَقَالَ يَا أَهْلَ مَكَّةَ وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ بِرِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ إِلَّا ضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ فَعَلِمَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فزَادَهُ رِفْعَةً عِنْدَهُمْ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ .

وصلاة العشاء والفجر في جماعة أشد تأكيداً لِمَا وَرَدَ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ بِنِصْفِ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وفي رواية الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد العشاء في جماعة كان له قيام نصف ليلة ومن شهد العشاء والفجر في جماعة كان له قيام ليلة قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا متفق عليه . وعنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس صلاة أنقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا متفق عليه .

وروى عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر . رواه الطبراني في الكبير .

وعن جندب القسري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم رواه مسلم .

فهذا نهي منه صلى الله عليه وسلم عن التعرض لمن هو في ذمة الله بشيء من السوء وقد قيل إن الحجاج مع جوره وظلمه وتعديه لحدود الله كان يسأل كل من يؤتى به نهراً صليت الصبح في جماعة فإن قال نعم خلى سبيله مخافة أن يطلبه الله شيء من ذمته .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أساءنا به الظن رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرَنَا وَأَنْ تَضَعَ زُرْرَنَا وَتُصَلِّحَ أَمْرَنَا وَتُطَهِّرَ قُلُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُبُورَنَا وَتُعْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل): وصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة

كَمَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضَلُ صَلَاةَ الْفِدَى بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَضَعُفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سَوَاقِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةَ لِمَ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُحَدِّثْ ، تَقُولُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، وَلَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مِنْ صَلَّى أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النُّفَاقِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَأَتَمَامِ الصُّفُوفِ مَا يَلِي فَمَنْ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأَوَّلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ مُنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ : « اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا »

فَتَخْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ لِيَلْبِيَنَّ مِنْكُمْ أَوْلُوا الْأَحْلَامَ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ « رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَوُوا صُفُوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةِ إِلَى نَاحِيَةٍ يَمْسُحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا وَيَقُولُ لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ . وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ .

وَعَنْ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَقِيمُوا الصُّفُوفَ وَحَازُوا بَيْنَ الْمَنَاقِبِ وَسُئِدُوا الْخَلَلَ وَلِيُنُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ وَلَا تَذُرُوا فُرُجَاتَ لِلشَّيْطَانِ وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

اللَّهُمَّ رَغَبْنَا فِيمَا بِيَقِي ، وَزَهَدْنَا فِيمَا يَفْنَى ، وَهَبْ لَنَا الْيَقِينَ الَّذِي لَا تَسْكُنُ النَّفُوسَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُعْوَلُ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ يَسْتَفْتِحُ . فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ سَكَتَ هُنَيْهَةً قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ ، قَالَ أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنَ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا التِّرْمِذِي .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، رواه أبو داود والدارقطني .

وَكَانَ يَتَعَوَّذُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بَعْدَ الْاسْتِفْتَاكِ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ اسْتَفْتَحَ ثُمَّ يَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ رواه أحمد والترمذي .

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ ثَلَاثِينَ آيَةً وَفِي الْآخِرَتَيْنِ قَدْرَ خَمْسَةِ عَشْرِ آيَةً ، أَوْ قَالَ نِصْفَ ذَلِكَ ، وَفِي الْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ خَمْسِ عَشْرَةِ آيَةً ، وَفِي الْآخِرَتَيْنِ قَدْرَ نِصْفِ ذَلِكَ رواه أحمد ومسلم .

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ رواه الجماعة إلا الترمذي .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ بِنْتَ الْحَارِثِ سَمِعَتْهُ وَهِيَ يَقْرَأُ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَقَالَتْ يَا بُنَيُّ لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي بِقِرَائَتِكَ هَذِهِ السُّورَةَ إِنَّهَا لِأَجْرٌ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ رواه الجماعة إلا ابن ماجه .

وَقَالَ أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي

الصُّبْحَ فَيَنْصَرِفُ الرَّجُلُ فَيَعْرِفُ جَلِيسَهُ ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا مَا بَيْنَ السَّتِينَ إِلَى الْمِائَةِ مَتَّفِقٌ عَلَى صِحَّتِهِ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ بِمَكَّةَ فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى إِذَا جَاءَ ذِكْرُ مُوسَى وَهَارُونَ أَوْ ذِكْرُ عِيسَى أَخَذْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْلَةً فَرَكَعَهُ .

وَرَوَى النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِالذُّخَانِ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ تَقَامُ فَيَنْطَلِقُ أَحَدُنَا إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمَّ يَأْتِي أَهْلَهُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ كُنَّا نَحْزِرُ قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَحْزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ قَدَرِ « أَلَمْ تَنْزِيلِ السُّجْدَةِ » .

وَحْزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الْآخِرَيْنِ قَدَرِ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ وَحْزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ .

وَفِي رِوَايَةٍ بَدَلُ قَوْلِهِ تَنْزِيلُ السُّجْدَةِ قَدَرِ ثَلَاثِينَ آيَةً ، وَفِي الْآخِرَيْنِ قَدَرِ خَمْسَةِ عَشَرَ آيَةً وَفِي الْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدَرِ خَمْسَةِ عَشْرَةَ وَفِي الْآخِرَيْنِ قَدَرِ نِصْفِ ذَلِكَ .

وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِنَا الظَّهْرَ فَتَسْمَعُ مِنْهُ الْآيَةَ مِنْ سُورَةِ لُقْمَانَ وَالذَّارِيَاتِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مِنْ فِقْهِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ واقْصُرُوا الخُطْبَةَ . وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ انْكُمْ فِي زَمَانِ الصَّلَاةِ فِيهِ طَوِيلَةٌ وَالخُطْبَةُ فِيهِ قَصِيرَةٌ وَعُلَمَاؤُهُ كَثِيرٌ وَخُطْبَاؤُهُ قَلِيلٌ وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ الصَّلَاةِ فِيهِ قَصِيرَةٌ وَالخُطْبَةُ فِيهِ طَوِيلَةٌ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بُطُولَى الطُّولِيِّينَ .

زَادَ أَبُو دَاوُدَ قَلْتُ وَمَا طُوتَى الطُّولِيِّينَ قَالَ الْأَعْرَافُ قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ إِنَّهُ حَصَلَ الْإِتْفَاقُ عَلَى تَفْسِيرِ الطُّوتَى بِالْأَعْرَافِ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ فَحَزَرْنَا فِي رُكُوعِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ ، وَفِي سُجُودِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مَلَأَ السَّمَاوَاتِ وَمَلَأَ الْأَرْضَ ، وَمَلَأَ مَا بَيْنَهُمَا وَمَلَأَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ أَهْلِ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجِدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ .

وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى وَزَادَ فِيهِ بَعْدَ قَوْلِهِ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ

اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثلجِ والبردِ والماءِ اللهم طهِّرني مِنَ الذنوبِ وَالخطايا كما يُنقى الثوبُ الأبيضُ مِنَ الدَّنَسِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرةَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَفْوَ والعافيةَ في دِيننا ودُنْياننا واخِرَتنا وأهْلِنا وَمالنا ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوارِنا وَأَمِنْ رِوعاتنا واحْفَظنا مِنْ بَينِ أيدِنا وَمِنْ خَلْفنا وَعَنْ أيماننا وَعَنْ شَماننا وَمِنْ فِوقنا وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنا واغْفِرْ لَنا ذُنُوبنا واسْتُرْ عُيوبنا واكشِفْ كُروبنا وأصلِحْ ذاتَ بَيننا وألِّفْ في طاعَتِكَ وطاعةِ رَسولِكَ بَينَ قُلُوبنا واغْفِرْ لَنا وَلِوالِدِنا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وفي المسندِ من حديثِ أبي قتادةَ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أسوأُ الناسِ سَرقةً الذي يسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ قالوا يا رسولَ اللهِ كيف يسْرِقُ صَلاتِهِ قال لا يُتمُّ رُكوعها ولا سُجودها ، أو قال لا يُقيمُ صَلابتهُ في الرُكوعِ والسُّجودِ فصَرَخَ بأنهُ أسوأُ حالاً مِنْ سارِقِ الأُمُوالِ .

وفي المُسندِ من حَدِيثِ سالمٍ عن أبي الجَعْدِ عن سَلَمَانَ هُوَ الفارِسي قال قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الصَّلاةُ مِكيالٌ فَمَنْ وَفَى وَفِي له وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ ما قالَ اللهُ في المُطَفِّفِينَ .

وقالَ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ : والايجازُ هُوَ الذي كانَ يَفْعَلُهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لا الإيجازُ الذي كانَ يَظَنُّهُ مَنْ لَمْ يَقِفْ عَلَي مِقدارِ صَلابتهِ فَإِنَّ الايجازَ أمرٌ نِسييٌّ إِضافيٌّ راجِعٌ إلى السُّنَّةِ لا إلى شَهوةِ الامامِ وَمَنْ خَلَفَهُ .

فلَما كانَ يقرأُ في الفَجْرِ بالسُّتينِ إلى المائَةِ كانَ هذا الايجازُ بِالنِّسبةِ

إلى سِتْمَاةٍ إِلَى الْفِ وَلَمَّا قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِالْأَعْرَافِ كَانَ هَذَا الْإِيحَازُ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَقْرَةِ .

وَيَذُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّ أَنَسًا نَفَسَهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ
وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَيْسَانَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ وَهْبِ
بْنِ مَانُوسٍ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ مَا
صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ صَلَاةَ
بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ
فَحَزَرْنَا فِي رُكُوعِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ وَفِي سُجُودِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ .

وَأَنَسٌ أَيْضًا هُوَ الْقَائِلُ فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ أَنِّي لَا أَلُو أَنْ
أُصَلِّيَ بِكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِنَا .

قَالَ ثَابِتٌ : كَانَ أَنَسٌ يَصْنَعُ شَيْئًا لَا أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَهُ كَانَ إِذَا رَفَعَ
رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ انْتَصَبَ قَائِمًا حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ قَدْ نَسِيَ .

وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ مَكَثَ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ قَدْ نَسِيَ .

وَأَنَسٌ هُوَ الْقَائِلُ هَذَا وَهُوَ الْقَائِلُ مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ أَخْفَ صَلَاةَ
وَلَا أْتَمُّ صَلَاةَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدِيثُهُ لَا يَكْذِبُ بَعْضُهُ
بَعْضًا .

وَمِمَّا يُبَيِّنُ مَا ذَكَرْنَاهُ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ حَمَادِ بْنِ
سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ وَحُمَيْدٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ رَجُلٍ
أَوْجَزَ صَلَاةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَمَامٍ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ
حَمِدَهُ ، قَامَ حَتَّى يَقُولَ قَدْ أُؤْهِمَ فَجَمَعَ أَنَسٌ رِضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا

الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ بَيْنَ الْأَخْبَارِ بِأَجْزَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ
وَأَتْمَامَهَا وَبَيَّنَّ فِيهِ أَنْ مِنْ أَتْمَامِهَا الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ أَطَالَةَ الْأَعْتَدَالَيْنِ حَتَّى يَظُنَّ
الظَّانُّ أَنَّهُ قَدْ أُوْهِمَ أَوْ نَسِيَ مِنْ شِدَّةِ الطُّولِ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ رَمَقْتُ الصَّلَاةَ مَعَ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ فَرَكَعْتَهُ فَأَعْتَدَلَهُ بَعْدَ الرُّكُوعِ فَسَجَدْتَهُ
فَجَلَسْتَهُ بَيْنَ السُّجْدَتَيْنِ ، فَسَجَدْتَهُ ، فَجَلَسْتَهُ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالْأَنْصِرَافِ
قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ .

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَكَثُرَ الْإِنِينُ وَأَيْسَ مِنَّا الْقَرِيبُ وَالطَّيِّبُ
وَبَكِيَ عَلَيْنَا الصَّدِيقُ وَالْحَبِيبُ وَارْحَمْنَا يَا مَوْلَانَا إِذَا وَارَانَا التُّرَابُ وَوَدَّعْنَا
الْأَحْبَابُ وَفَارَقْنَا النِّعَمَ وَانْقَطَعَ عَنَّا النَّسِيمُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ ثُبِّ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الْجَوَارِحُ وَنَبِّهْنَا مِنْ رَقَدَاتِ
الْعَفَلَاتِ وَسَامِحْنَا فَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْمُسَامِحُ وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا
فَمِنْكَ الْفَضْلُ وَالْمَنَائِحُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْمُسْرِعِينَ فِيهَا الَّذِينَ يَمُرُونَ فِيهَا مَرًّا
السَّهْمِ : وَهَذَا كُلُّهُ تَلَاعُبٌ بِالصَّلَاةِ ، وَتَعْطِيلٌ لَهَا وَجِدَاعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
وَخِلَافٌ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَقِيمُوا
الصَّلَاةَ ﴾ فَأَمَرْنَا بِأَقَامَتِهَا وَهُوَ الْإِتْيَانُ بِهَا قَائِمَةً تَامَةً الْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ
وَالسُّجُودِ وَالْأَذْكَارِ .

وَقَدْ عَلَّقَ سُبْحَانَهُ الْفَلَاحُ بِخُشُوعِ الْمَصَلِّيِّ فِي صَلَاتِهِ فَمَنْ فَاتَهُ
خُشُوعُ الصَّلَاةِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ وَيَسْتَحِيلُ حُصُولُ الْخُشُوعِ مَعَ
الْعَجَلَةِ وَالنَّفْرِ قَطْعًا بَلْ لَا يَحْصُلُ الْخُشُوعُ إِلَّا مَعَ الطَّمَأْنِينَةِ وَكُلَّمَا زَادَتْ
الطَّمَأْنِينَةُ أَزْدَادَ خُشُوعًا وَكُلَّمَا قَلَّ خُشُوعُهُ اشْتَدَّتْ عَجَلَتُهُ حَتَّى تَصِيرَ حَرَكَةً

يديه بَمَنْزِلَةِ الْعَبَثِ الَّذِي لَا يَصْحَبُهُ خُشُوعٌ وَلَا إِقْبَالَ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ وَلَا
مَعْرِفَةَ حَقِيقَةِ الْعِبَادِيَّةِ .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ قَالَ ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ وَقَالَ ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةَ ﴾ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « رَبِّ
اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ » ، وَقَالَ لِمُوسَى ﴿ فَاغْبُذْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾
فَلَنْ تُكَادُ تَجِدَ ذِكْرَ الصَّلَاةِ فِي مَوْضِعٍ مِنَ التَّنْزِيلِ إِلَّا مَقْرُونًا بِأَقَامَتِهَا .

فَالْمُصَلُّونَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ وَمُقِيمُ الصَّلَاةِ مِنْهُمْ أَقَلُّ الْقَلِيلِ ، كَمَا
قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَاجُّ قَلِيلٌ وَالرَّائِبُ كَثِيرٌ ، فَالْعَامِلُونَ يَعْمَلُونَ
الْأَعْمَالَ الْمَأْمُورَ بِهَا عَلَى التَّرْوِيجِ تَحِلَّةَ الْقَسَمِ وَيَقُولُونَ يَكْفِينَا أَدْنَى مَا
يَقَعُ عَلَيْهِ الْأَسْمُ وَلَيْتَنَا نَأْتِي بِهِ .

وَلَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصْعَدُ بِصَلَاتِهِمْ فَتَعْرُضُهَا عَلَى الرَّبِّ
جَلَّ وَعَلَا بِمَنْزِلَةِ الْهَدَايَا الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا النَّاسُ إِلَى مُلُوكِهِمْ وَكِبْرَائِهِمْ ،
فَلَيْسَ مَنْ عَمِدَ إِلَى أَفْضَلِ مَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ فَيَزِيئَهُ ، وَيُحَسِّنُهُ ، مَا اسْتَطَاعَ ثُمَّ
يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى مَنْ يَرْجُوهُ ، وَيَخَافُهُ ، كَمَنْ يَعْمِدُ إِلَى أَسْقَطِ مَا عِنْدَهُ ،
وَأَهْوَنِهِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ تَرِيحَ مِنْهُ ، وَيَبْعَثُهُ إِلَى مَنْ لَا يَقَعُ عِنْدَهُ بِمَوْقِعٍ .

وَلَيْسَ مَنْ كَانَتْ صَلَاتُهُ رِبِيعًا لِقَلْبِهِ ، وَحَيَاةً لَهُ ، وَرَاحَةً وَقُرَّةً لِعَيْنِهِ
وَجَلَاءً لِحُزْنِهِ وَذَهَابًا لِهَمِّهِ ، وَغَمٍّ وَمَفْزَعًا لَهُ فِي نَوَائِبِهِ ، وَنَوَازِلِهِ ، كَمَنْ
هِيَ سِجْنٌ لِقَلْبِهِ ، وَقَيْدٌ لِحَوَارِجِهِ ، وَتَكْلِيفٌ لَهُ ، وَثِقَلٌ عَلَيْهِ ، فَهِيَ كَبِيرَةٌ
عَلَى هَذَا وَقُرَّةٌ عَيْنٍ وَرَاحَةٌ لِذَلِكَ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فَإِنَّمَا
كَبُرَتْ عَلَى غَيْرِ هَؤُلَاءِ لِخُلُوقِ قُلُوبِهِمْ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْبِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ

والخُشُوعَ لَهُ وَقَلَّةَ رَغْبَتِهِمْ فِيهِ فَإِنَّ حُضُورَ الْعَبْدِ فِي الصَّلَاةِ وَخُشُوعَهُ فِيهَا وَتَكْمِيلُهُ لَهَا وَاسْتِفْرَاغُهُ وَسَعَهُ فِي إِقَامَتِهَا وَأَتْمَامِهَا عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِ فِي اللَّهِ .

قال الامامُ أحمدُ في رواية مُهَنَّأ بنِ يَحْيَى ، إِنَّمَا حَظُّهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ عَلَى قَدْرِ حَظِّهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَرَغْبَتِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ فَاعْرِفْ نَفْسَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَاحْذَرُ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا قَدَرَ لِلْإِسْلَامِ عِنْدَكَ فَإِنَّ قَدَرَ الْإِسْلَامِ فِي قَلْبِكَ كَقَدْرِ الصَّلَاةِ فِي قَلْبِكَ .

(فصل)

فأما صورُها الظاهرة فهي القيام والقراءة والركوعُ والسجودُ ونحو ذلك من وظائف الصلاة الظاهرة .
وأما حقيقتها الباطنة فمِثْلُ الخُشُوعِ والإخباتِ وحُضُورِ القلبِ وكَمالِ الإخلاصِ .

مَنْ لَمْ يَكُنْ مُخْلِصاً لِلَّهِ فِي الْعَمَلِ فَلَيْسَ يَنْفَعُهُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ
والتدبر والتفهم لمعاني القراءة ومعاني التسبيح ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة .

فظاهر الصلاة حفظ البدن والجوارح وباطن الصلاة حفظ القلب .
ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها كمال الطهارة والإحتياط في البدن والثوب والمكان .

قال عليه الصلاة والسلام « الطهور شطر الإيمان » وفي الحديث الآخر « الطهور مفتاح الصلاة وإسباغ الوضوء وتثليثه من غير وسوسة ولا إسراف » .

فإن الوسوسة في الطهارة والصلاة من عمل الشيطان يُلبسُ بها على مَنْ ضَعُفَ عَقْلُهُ وَقَلَّ عِلْمُهُ .

وقد وردت الأحاديث الصحيحة « أن من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياہ من أعضائه ودخل في الصلاة نقياً من الذنوب » .
ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها المبادرة بها في أول مَوَاقِيتِها وفي ذلك فضلٌ وأجر عظيم .

وهو دليل على محبة العبد لربه وعلى المسارعة في مرضاته ومحابه قال صلى الله عليه وسلم « أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله » .

وقبيح بالمؤمن العاقل أن يدخل عليه وقت الصلاة وهو على شغل من أشغال الدنيا فلا يتركه ويقوم إلى فريضة الله التي كتبها الله عليه فيؤديها .
وما يفعل ذلك إلا من عظمت غفلته وقلت معرفته بالله وعظمته وضعفت رغبته فيما أعد الله لأولياته في الدار الآخرة .
وأما تأخيرها عن وقتها فلا يجوز وفيه إثم عظيم .

ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها الخشوع وحضور القلب وتدبر القراءة وفهم معانيها واستشعار الحُضُوع والتواضع لله عند الركوع والسجود .
وامتلاء القلب بتعظيم الله وإجلاله وتقديسه عند التكبير والتسبيح وجميع أجزاء الصلاة .

والحرص والاجتهاد في دفع الخواطر والهواجيس في شؤون الدنيا والإعراض عند حديث النفس في ذلك .
ويكون همه في الصلاة وحسن تأديتها كما أمر الله . فإن الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع والحضور قليلة الجدوى .

فاجتهد في تدبر ما تقول من كلام ربك واحرص على الطمأنينة فيها .
فإن الذي لا يتم الركوع والسجود في الصلاة سارق لها كما ورد في الحديث وورد أن من حافظ عليها وأتمها تخرج بيضاء تقول حفظك الله كما حفظتني . والذي لا يتم الصلاة تخرج سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني ثم تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوب الخلق فيضرب بها وجهه .

رَأَى رَجُلٌ حَاتِمَ الْأَصَمِ واقفًا يَعِظُ النَّاسَ فقال : يا حاتمُ أراكَ تَعْظُ النَّاسَ
أَفْتَحْسِنُ أَنْ تُصَلِّيَ ؟ قال : نعم . قال : كيف تُصَلِّي ؟ قال : أقومُ بالأمرِ وأمشي
بالسُّكينةِ وأدخُلُ بالهَيْبَةِ وأكْبُرُ بالعِظَمَةِ وأقرأ بالترتيلِ واجلِسُ للشَّهيدِ بالتمامِ
وأسلمُ على السَّنةِ وأسلمُها إلى ربي وأحفظُها أيامَ حَياتي وأرجِعُ باللَّومِ على
نَفسي وأخافُ أن لا تُقبَلَ مِنِّي وأرجو أن تُقبَلَ مِنِّي وأنا بينَ الرِّجاءِ والخوفِ
وأشكرُ مَنْ عَلَّمَنِي وَأَعَلَّمَنِي وَأَحْمَدُ رَبِّي إِذْ هَدَانِي .

اللَّهُمَّ اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، اللَّهُمَّ
وافتح لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وارحمنا برحمتك ، اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا
سَبِيلَ الْأَبْرَارِ ، واجعلنا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ، وَأْمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ
وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فصل) : يُسَنُّ ذِكْرُ اللهِ وَالِدُعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ عَقَبَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَمَا وَرَدَ
فِي الْأَخْبَارِ فيقولُ استغفرُ اللهَ ثلاثَ مراتٍ ويقولُ اللهم أنتَ السلامُ ومنكَ
السلامُ تباركتَ يا ذا الجلالِ والاکرامِ كما وَرَدَ عن ثوبانَ قال : كان
رسولُ الله صلي اللهُ عليه وسلّم إذا انصرفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ
اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . رواه
الجماعة الا البخاري .

وَمِمَّا وَرَدَ مِنَ الذِّكْرِ : ما رُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كان يقولُ
فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ . له
الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ولا حولَ ولا قوَّةَ إِلا باللهِ
العليِّ العظيمِ ولا نَعْبُدُ إِلا أَيَّاهُ له النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّناءُ الْحَسَنُ لا
إلهَ إِلا اللهُ مخلصينَ لَهُ الدينَ ولو كره الكافرون : قال وكان رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم يُهَلِّلُ بِهِنْ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ . رواه أحمد ومسلم .

وَمِمَّا وَرَدَ مَا رَوَى الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ : اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَّ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيُكَبِّرُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ لِمَا فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَمَامُ الْمِائَةِ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَيَعْقِدُهُ بِيَدِهِ وَيَعْقِدُ الْاسْتِغْفَارَ بِيَدِهِ « أَي يَضْبُطُ عَدَدَهُ بِأَصَابِعِهِ .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خَصْلَتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلْ بِهِمَا قَلِيلٌ يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا قَالَ فَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ فَيَتْلُكُ خَمْسُونَ وَمِائَةً بِاللِّسَانِ وَالْفُ وَخَمْسُمِائَةَ فِي الْمِيزَانِ وَإِذَا آوَى إِلَى فِرَاشِهِ سَبَّحَ وَحَمِدَ وَكَبَّرَ مِائَةَ مَرَّةٍ فَيَتْلُكُ مِائَةً بِاللِّسَانِ وَالْفُ بِالْمِيزَانِ رَوَاهُ الْخَمْسَةُ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وعن سعد بن أبي وقاص أنه كان يُعَلِّمُ بَيْنَهُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَيَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِهِنْ دُبْرَ الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ .

وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا صلى

الصَّبْحِ جِئِنِ يُسَلِّمُ اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا طَيِّبًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا
رواه أحمد وابن ماجه .

وعن أبي أمامة قال قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع قال جوف
الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات .

وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم لم
يقعد إلا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا
الجلال والاکرام رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه .

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سبح
دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين
فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياها ولو كانت مثل
زبد البحر رواه مسلم .

وفي رواية أخرى أن التكبير أربعة وثلاثون . .
وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
أوصيك يا معاذ لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعيني على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك رواه أحمد وأبو داود والنسائي بسند قوى .
وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية
الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت .
رواه النسائي وصححه ابن حبان وزاد فيه الطبراني وقل هو الله أحد .
وعنه قال ما دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في دبر
مكتوبة ولا تطوع إلا سمعته يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها
اللهم انعشني وأجبرني واهدني لصالح الأعمال والاخلاق إنه لا يهدي
لصالحها ولا يصرف سبيلها إلا أنت .

وعن أبي سعيد الخُدري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من صلاته لا أذري قبل أن يسلم أو بعد أن يسلم يقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة اللهم اجعل خير عمري آخراً وخير عملي خواتمه واجعل خيري أيامي يوم القاك .

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دُبر الصلاة اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ، وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تامّة تامّة تامّة .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال في دُبر صلاة الصبح وهو ثاب رجليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتبت له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفق له عشر درجات وكان يومه ذلك في جزب من كل مكروه وحرس من الشرك بالله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وفي بعض النسخ صحيح .

وعن الحارث بن مسلم التميمي رضي الله عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم إذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم اللهم أجرني من النار سبع مرات فإنك إن مت من يومك كتبت لك جواراً من النار وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم اللهم أجرني من النار سبع مرات

فَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جَوَاراً مِنَ النَّارِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَهَذَا لَفْظُهُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا بِهِنَّ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَكُنَّ لَهُ عِدْلُ عِتَاقَةِ أَرْبَعِ رِقَابٍ وَكُنَّ لَهُ حَرَساً حَتَّى يُمْسِيَ وَمَنْ قَالَهُنَّ إِذَا صَلَّى الْمَغْرِبَ دُبَّرَ صَلَاتِهِ فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ جِبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَهَذَا لَفْظُهُ .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ دُبَّرَ صَلَاةَ الْغَدَاةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَثْنَى رِجْلَيْهِ كَانَ يَوْمئِذٍ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ عَمَلًا إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَى مَا قَالَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ .

وَرَوَى عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَبَعْدَ الْعَصْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ . رَوَاهُ ابْنُ السَّنِيِّ فِي كِتَابِهِ وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ بْنِ مَاجَةَ وَكِتَابِ ابْنِ السَّنِيِّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبِلاً وَرِزْقاً طَيِّباً .

وَعَنْ صَهْبِيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحْرِكُ شَفْتَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِشَيْءٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا الَّذِي

تَقُولُ قَالَ اللَّهُمَّ بِكَ أَحَاوِلُ وَبِكَ أَصَاوِلُ وَبِكَ أَقَاتِلُ وَبِاسْتِحْبَابِ الْجَهْرِ
بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ كُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا
انصَرَفُوا بِذَلِكَ إِذَا سَمِعْتُهُ وَفِي رِوَايَةٍ كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّكْبِيرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ
خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ الِهْمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَقْفَنَا لِبَطَاعَتِكَ وَامْتِثَالَ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمَفْلُحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفُرْ
لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَمِنْ تَمَامِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ حُسْنُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الرُّوَاتِبِ
وَالنَّوَافِلِ وَهَذِهِ الْمُطْلَقَةُ فِيهَا فَوَائِدٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَتَكْثِيرُ
الْحَسَنَاتِ وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ وَجَعْلُ الْقُلُوبِ مُتَّصِلَةً بِاللَّهِ مُعَظَّمَةً لَهُ وَأَنَّهَا
سَبَبٌ لِتَقْوِيَةِ الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْهَا التَّلَذُّذُ بِالْمُنَاجَاةِ . . وَمِنْهَا الْحَصُولُ فِي
مَنْزِلَةِ الْمُبَاهَاةِ فَيَمُنُّ أَقْنَمٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي تِلْكَ الْحَالَاتِ . وَمِنْهَا الشُّكْرُ
وَالنَّعْمُ الْمُتَجَدِّدُ وَالْمَوَاهِبُ الْمُتَعَدِّدَةُ وَعِمَارَةُ لِلْقُلُوبِ الَّتِي خُلِقَتْ لِذِكْرِ اللَّهِ
تَعَالَى . وَمِنْهَا حِفْظُ الزَّمَنِ عَنْ ضَيَاعِهِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .

وَمِنْهَا تَكْمِيلُ مَا نَقَصَ مِنَ الْفَرَائِضِ ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ
رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنْ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ
فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ
مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْئًا فَإِنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ أَنْظِرُوا هَلْ لِعِبْدِي مِنْ
تَطَوُّعٍ فَيُكْمَلُ بِهَا مَا نَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ﴾ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ

أخرجه الترمذي : وَمَنْهَا مَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أُحِبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

ومنها أنها سبب لتسهيل عسر الموقف في الحشر وتخفيف الحساب في دار المآب لأنه يكثر ثوابه إذا وفقه الله للتقرب بالنوافل ومنها نصارة الوجه وتنشيط الجوارح ومنها أنها توظف الضمير ومنها الاقتداء بالصالحين ومنها غرس الصدق والأمانة في النفوس ومنها أن النوافل تقوي شجرة الإيمان وتنجي الإيمان ومنها السمو إلى درجة الكمال ومنها أنه إذا قطعه عنها مرض أو سفر كتبت له كاملة كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه إذا مرض العبد أو سافر كتبت له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً رواه البخاري .

ومنها محبة أهل السماء لمن أحبه الله كما في حديث أبي هريرة أن الله تعالى : إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّوهُ فَيُحِبُّوهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ وَمِنْهَا اسْتِعْمَالُ نِعْمَةِ الْمُنْعِمِ فِي طَاعَتِهِ وَهَذَا فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَلَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ أَنْصَفٍ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْهَا مُخَالَفَةُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا قَامُوا إِلَى صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً . وَمِنْهَا الْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ لِلْحَدِيثِ الْمَتَّقِمْ وَلِحَدِيثِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ . وَمِنْهَا مُخَالَفَةُ الْمُشْرِكِينَ الْعَابِدِينَ لِمَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي شَيْئاً وَأَنْتَ تَعْبُدُ مَنْ يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ وَيَعْلَمُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَمِنْهَا قِيَامُ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ مَقَامَ الْمُتَصَرِّعِ الْمَتَدَلِّلِ الْمُسْكِينِ الضَّعِيفِ وَاضْعاً يَدَهُ

الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى مُظْهِراً الْعَجْزَ وَالضَّعْفَ وَأَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رِفْدِكَ وَخَالِصَ وِدِّكَ يَا مَنْ عَمَّ الْخَلَائِقُ كَرَمُهُ وَجُودُهُ يَا أَوَّلَ بِلَا بَدَايَةٍ وَيَا آخِرَ بِلَا نِهَائِيَّةٍ، يَا وَاحِدَ لَا شَرِيكَ لَهُ تَسَالَكَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفَنَا وَتَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُرَأْفَ بِنَا يَا رَوْوْفَ يَا رَحِيمَ وَلَا تَحْرِمْنَا لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ . اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَنَجَّنا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ، وَأَمَّنَّا مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وقال ابن القيم رحمه الله وأما فوائد الصلاة فكثيرة أولاً إمتثال أوامر الله وموافقته الله ملائكته وتكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفع الدرجات .

ومنها أنها سبب لإجابة الدعاء ولشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والقرب منه ولكفاية الهم والغم وقضاء الحوائج وسبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته وهي زكاة للمصلي وطهارة له وسبب للتبشير بالجنة والنجاة من النار وسبب لرد النبي صلى الله عليه وسلم السلام ولتذكير العبد ما نسيه ولطيب المجلس وأن لا يعود على أهله حسرة ولنفي الفقر والبخل وللنجاة من تنن المجلس الذي لا يذكر الله فيه ولا رسوله ولتمام الكلام وبركته ولوفور نور العبد على الصراط وللخروج من الجفاء ولإبقاء الثناء الحسن للمصلي عليه بين السماء والأرض وللبركة في ذات المصلي عمره وعمله وأسباب مصلحه ولنيل رحمة الله ولدوام محبته صلى الله عليه وسلم وزيادةها وتضاعفها ولمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وسبب لإحياء القلب وهدايته وسبب عرض اسم

المُصَلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم وسببُ لِيَتَّبِيتِ القَدَمَ على الصِّرَاطِ والجَوَازِ عليه ومُتَضَمِّنَةٌ لِذِكْرِ اللهِ وشُكْرِهِ ومَعْرِفَةِ إِنْعَامِ اللهِ على عِبِيدِهِ بِإِرْسَالِهِ ولِإِدَاءِ قَلِيلٍ مِنْ حَقِّهِ . وهي دَعَاءٌ مِنَ العَبْدِ وَسؤالُهُ نَوْعَان :

أحدهما سؤال مَطَالِبِهِ وَمَا يَنْوِيهِ .

والثاني : سؤاله أَنْ يُثْنِيَ على حَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ وَزَيْدٍ فِي تَشْرِيفِهِ وَتَكْرِيمِهِ وَرَفْعِهِ ذِكْرَهُ وَلَا رَيْبَ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ يُحِبُّهُ فَالمُصَلِّي قَدْ صَرَفَ سُؤالَهُ لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَآثَرَ ذَلِكَ على طَلَبِ حَوَائِجِهِ وَمَحَابِبِهِ هُوَ ، بَلْ كَانَ هَذَا المَطْلُوبُ مِنْ أَحَبِّ الأُمُورِ إِلَيْهِ وَالجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ فَمَنْ آثَرَ اللهُ على غَيْرِهِ آثَرَهُ اللهُ على غَيْرِهِ .

وَههنا نُكْتَةُ حَسَنَةٌ لِمَنْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ دِينَهُ وَمَا جَاءَ بِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَصَبَرَ على ذَلِكَ وَهِيَ : أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم له مِنَ الأَجْرِ الزَّائِدِ على أَجْرِ أُمَّتِهِ مِثْلُ أَجُورِ مَنْ تَبِعَهُ فَالِدَاعِي إلى سُنَّتِهِ وَدِينِهِ وَالمُعَلِّمُ الخَيْرُ لِلأُمَّةِ إِذَا قَصَدَ تَوْفِيرَ هَذَا الحِظِّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ وَكَانَ مَقْفُصُودَهُ بِدُعَاءِ الخَلْقِ إلى اللهِ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِإِرْشَادِ عِبَادِهِ وَتَوْفِيرِ أَجُورِ المُطِيعِينَ لَهُ على رِسُولِهِ مَعَ تَوْفِيَّتِهِمْ أَجُورَهُمْ كَامِلَةً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ بِدَعْوَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ بِحَسَبِ هَذِهِ النِّيَّةِ وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

اللَّهُمَّ إِرْنَا الحَقَّ حَقًّا وَارزُقْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَارْنَا الباطِلَ باطلاً وَجَنِّبْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: إِلَى كَمْ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْظَةٍ لَقَدْ ضَاعَ عُمُرٌ سَاعَةً مِنْهُ تُشْتَرَى بِمِلءِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ آيَةً ضَعِيفَةً

أَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَعَيْشَةِ
فَادِرَةٍ بَيْنَ الْمَزَابِلِ أَلْقَيْتُ
أَفَانٍ يَبَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةٌ
أَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا
لَقَدْ بَعَثَهَا هَوْنًا عَلَيْكَ رَخِيسَةٌ
كَلَّفَتْ بِهَا دُنْيَا كَثِيرٍ غُرُورُهَا
عَلَيْكَ بِمَا يُجِدِي عَلَيْكَ مِنَ الثَّمَى
تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً يُمَثِّلُهَا
تُحَاطَبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلًا
وَلَوْ رَدَّ مِنْ نَاجَاكَ لِلْغَيْرِ طَرْفَةٌ
فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مَعْرُضًا
أَيَا عَامِلًا لِلنَّارِ جِسْمُكَ لَيْسَ
وَدَرْبُهُ فِي لَسَعِ الزَّيَابِيرِ تَجْتَرِي
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَقْوَى فَوَيْلَكَ مَا الَّذِي
تُبَارِزُهُ بِالْمُنْكَرَاتِ عَشِيَّةً
نَسِيءٌ بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً
فَأَنْتَ عَلَيْهِ أَجْرَى مِنْكَ عَلَى الْوَرَى
تَقُولُ مَعَ الْعَصِيَانِ رَبِّي غَافِرٌ
وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ
فَكَيْفَ تُرْجِي الْعَفْوَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ
عَلَى أَنَّهُ بِالرِّزْقِ كَفَلَ نَفْسَهُ
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى بِالَّذِي قَدْ كُفَيْتَهُ
إِلَهِي أَجْرْنَا مِنْ عَظِيمِ دُنُوبِنَا

مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بَعِيشِ الْبِهِيمَةِ
وَجَوْهَرَةٍ بِيَعْتَ بِأَبْحَسِ فِيمَةِ
وَسُحْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةِ
فَأِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
فَعَلْتَ لِمَسْتَهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا فِي الْحَدِيعَةِ
فَأِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ
يَكُونُ الْفَتَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
عَلَى غَيْرَةٍ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
وَبَيْنَ يَدَيِ مَنْ تَنَحَّنِي غَيْرَ مُخْبِتِ
فَجَرَّبُهُ تَمْرِيئًا بِحَرِّ الظُّهَيْرَةِ
عَلَى نَهْشِ حَيَاتٍ هُنَاكَ عَظِيمَةٍ
دَعَاكَ إِلَى اسْحَاطِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ
وَتُصْبِحُ فِي أَثْوَابِ نُسُكٍ وَعِغْفَةٍ
عَلَى حَسْبِ مَا يَقْضِي الْهَوَى بِالْقَضِيَّةِ
بِمَا فِيكَ مِنْ جَهْلِ وَخُبْتِ طَوْبَةٍ
صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمَشِيئَةِ
فَلِمَ لَا تُصَدِّقُ فِيهِمَا بِالسُّوْبَةِ
وَلَسْتَ تُرْجِي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
وَلَمْ يَتَكَفَّلْ لِلْأَنَامِ بِجَنَّتِي
وَتُهْمِلُ مَا كَلَّفْتَهُ مِنْ وَظِيفَةٍ
وَلَا تُحْزِنَا وَانْظُرْ إِلَيْنَا بِرَحْمَةٍ

وَأُخِذَ بِنَوَاصِيئِنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا
 إِلَهِي اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَأُخِذْ بِنَا
 وَكُنْ شُعْلَنَا عَنْ كُلِّ شُعْلٍ وَهَمَّنَا
 وَيَقِينًا يَقِينًا كُلَّ شَيْءٍ وَرَيْسَةَ
 إِلَى الْحَقِّ نَهْجًا فِي سَوَاءِ الطَّرِيقَةِ
 وَبُعَيْتَنَا عَنْ كُلِّ هَمٍّ وَبُعَيْتَةَ
 جَعَلْتَ بِهِ مِسْكَاً خِتَامَ النَّبُوَّةِ
 وَصَلِّ صَلَاةً لَا تَنْهَى عَلَى الَّذِي

اللَّهُمَّ ائْتِجِ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبَسْتَنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَخُصَّنَا مِنْكَ
 بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَوَقَّفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا
 مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا
 وَلَا حَاسِدًا وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ
 كُلِّ دَاءٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣١ كتاب الزكاة

ويبحث في :

- ١ - الأموال التي تجب فيها الزكاة .
- ٢ - نصاب الزكاة .
- ٣ - مصارف الزكاة .
- ٤ - تعريف أهل الزكاة وبيان مقدار ما يعطاه كل صنف .

١ - الأموال التي تجب فيها الزكاة :

إِعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنْ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ الزُّكُوفِيَّةِ زَكَاةً لِمَنْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ
 وَرَتَّبَ الثَّوَابَ عَلَى أَدَائِهَا ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَنْعِهَا ، وَقَرَنَهَا بِالصَّلَاةِ فِي
 مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا ، وَتَنْبِيْهًُا بِذِكْرِهَا ، وَحَثًّا عَلَى
 أَدَائِهَا لِتَطْهِيرِ النَّفْسِ مِنْ دَرَنِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ ، وَدَفْعِ النَّفْسِ إِلَى

الجُودِ ، والتَّصَدُّقِ والانفاقِ في مَرَضِي اللّهِ تعالى : لِتَحْصِيلِ النَّمَاءِ
والزِّيَادَةِ والْبَرَكَةِ والفَلَاحِ والطَّهَارَةِ ، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ .

فالزكاة تُطَهِّرُ الْمُزَكِّيَّ مِنْ أَنْجَاسِ الذُّنُوبِ ، وَتُنَقِّيهِ مِنْ أَوْسَاجِهَا
وَتُزَكِّيْ أَعْلَاقَهُ بِالتَّحَلِّيِّ بِالْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَتَمَرُّنُهُ عَلَى السَّخَاءِ الَّذِي يُحِبُّهُ
كُلُّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَتُبْعِدُهُ عَنِ الشُّحِّ الَّذِي هُوَ مَذْمُومٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَتُطَهِّرُ
الْقَلْبَ عَنِ حُبِّ الدُّنْيَا بِذَلِ الْيَسِيرِ . فَالْيَسِيرُ هُوَ الْوَاجِبُ وَهُوَ بِذَلِ الْقَلِيلِ
مِنَ الْكَثِيرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ . إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِيمَا فِيكُمْ
تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَضْغَانَكُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ وَقَالَ
﴿ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ .

فالشارعُ الحَكِيمُ اللطيفُ بعبادِهِ أَوْجَبَ شَيْئاً يَسِيراً بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ
إِذَا اعْتَادَ الْإِنْسَانُ إِخْرَاجَهُ مِنَ الْمَالِ الْمَحْبُوبِ طَبْعاً امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللّهِ
وَرَسُولِهِ اسْتِفَادَ حُبِّ خَالِقِهِ الَّذِي رَزَقَهُ آيَةً وَوَعَدَهُ أَنْ يَخْلِفَ عَلَيْهِ مَا
أَنْفَقَهُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (مَا مِنْ يَوْمٍ يُضْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا
اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقاً خَلِفاً وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْسِكاً تَلْفِفاً) وعنه أن
رسول الله ﷺ قال : قال تعالى : ﴿ أَنْفِقْ يَا بَنَ آدَمَ يُنْفِقْ عَلَيْكَ ﴾ متفق
عليه . والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فصل : إذا فهمت ذلك فاعلم أن الزكاة هي أحد أركان الإسلام

وَمَبَانِيهِ الْعِظَامِ الْمَشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﷺ « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ » ذَكَرَ مِنْهَا
إِيتَاءَ الزَّكَاةِ . وَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ :

- ١ - بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم
- ٢ - الخارج من الأرض وما في معناه كالعسل الخارج من النحل .
- ٣ - عروض التجارة .
- ٤ - الأثمان .
- ٥ - الثمار

ولا زكاة في شيء من ذلك حتى يبلغ نصاباً، ولا زكاة في مالٍ حتى يحول عليه الحول، إلا في الخارج من الأرض لقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ وإلا نتاج السائمة، وربح التجارة فإن حولهما حول أصلهما إن كان نصاباً، والا فابتداء الحول من حين كمل نصاباً .

وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَالٌ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَإِنْ كَانَ بِمَقْدَارِ مَا عِنْدَهُ فَلَا زَكَاةَ فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ عَشْرَةُ آلَافٍ فَأَصْبَحَ مَا يَمْلِكُ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ عِشْرُونَ أَلْفاً وَعَلَيْهِ عَشْرَةُ زَكَاةٍ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ عِشْرُونَ وَعِنْدَهُ عَشْرَةٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَهُ الْأَخْذُ مِنَ الزَّكَاةِ لِأَنَّهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَلِأَنَّهُ غَارِمٌ .

وَيُضَمُّ الْمُسْتَفَادُ إِلَى نِصَابِ بِيَدِهِ مِنْ جِنْسِهِ ، أَوْ فِي حُكْمِهِ فِي وَجُوبِ الزَّكَاةِ لَا فِي الْحَوْلِ ، فَيُرَكَّبُ كُلُّ وَاحِدٍ إِذَا تَمَّ حَوْلُهُ .
وتجب الزكاة فيما زاد على النصاب بحسابه إلا في السائمة فلا زكاة في وقصها لما روى أبو عبيدة في غريبه : (وليس في الأوقاص صدقة) ، وقال : « الوقص ما بين الفرضين » .

أما عَرُوضُ التِّجَارَةِ ، فهو كُلُّ ما أُعِدُّ لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ لِأَجْلِ الرَّبْحِ وَالتَّكْسِبِ مِنْ جَمِيعِ السَّلْعِ التِّجَارِيَّةِ : كالمُجَوَّهَرَاتِ وَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَقْمِشَةِ وَالسِّيَّارَاتِ وَالْمَكَائِنِ ، وَالثَّابِتَاتِ : كالعَقَارَاتِ مِنْ أَرْضٍ وَيُوبٍ وَنحوها ، إِذَا تَمَلَّكَهَا بِفِعْلِهِ بِنِيَّةِ التِّجَارَةِ وَبَلَّغَتْ قِيمَتَهَا نِصَاباً ، لِمَا وَرَدَ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَمَرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الصَّدَقَةَ مِمَّا نَعُدُّهُ لِلْبَيْعِ » رواه أبو داود .

فَتَقْوَمُ العَرُوضُ إِذَا حَالَ عَلَيْهَا الحَوْلُ ، وَأَوَّلُهُ مِنْ حِينِ بُلُوغِ القِيَمَةِ نِصَاباً بِالْأَخْضِ لِلْفُقَرَاءِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، وَلَا يُعْتَبَرُ مَا اشْتَرَيْتَ بِهِ ، وَيُخْرِجُ رُبْعَ عَشْرِ قِيمَتِهَا . وَمَنْ اسْتَفَادَ مَالاً خَارِجاً عَنْ رِبْحِ التِّجَارَةِ كالأَجْرَةَ وَالرَّاتِبَ وَنحوهما ، فَانه يَتَبَدَّى حَوْلًا مِنْ حِينِ الاسْتِفَادَةِ إِنْ كَانَ نِصَاباً ، وَالْأَقْلُ مِنْ كَمَالِهِ وَيُزَكِّيهِ إِذَا تَمَّ حَوْلُهُ .

وَأما الأَثْمَانُ ، وَهِيَ النُّقُودُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهَا مِنْ فُلُوسٍ أَوْ أَوْراقٍ نَقْدِيَّةٍ ، وَكَذَلِكَ حُلِيِّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِذَا بَلَغَ نِصَاباً بِنَفْسِهِ ، أَوْ بِمَا يَضُمُّ إِلَيْهِ مِنْ جِنْسِهِ أَوْ فِي حُكْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ مُعَدًّا لِلِاسْتِعْمَالِ أَوْ لِلِإِعَارَةِ ، فَإِنْ أُعِدَّ لِلِاسْتِعْمَالِ أَوْ لِلِإِعَارَةِ فَلَا زَكَاةَ فِيهِ .

وَأَقْلُ نِصَابِ الذَّهَبِ عِشْرُونَ مِثْقَالاً ، وَفِيهَا نِصْفُ مِثْقَالٍ وَهُوَ رُبْعُ العُشْرِ ، لِحَدِيثِ عائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - مَرْفُوعاً : « أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ عِشْرِينَ مِثْقَالاً نِصْفَ مِثْقَالٍ » رواه ابنُ ماجَه . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

٢ - فَصْلٌ : وَالنِّصَابُ مِنَ الذَّهَبِ بِالْجُنْيَةِ السُّعُودِيَّةِ أَحَدَ عَشَرَ جُنْيَةً وَنِصْفُ جُنْيَةٍ تَقْرِيْباً ، وَكَذَلِكَ بِالْجُنْيَةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ أَحَدَ عَشَرَ جُنْيَةً وَنِصْفُ جُنْيَةٍ تَقْرِيْباً وَأَقْلُ نِصَابِ الفِضَّةِ مائَتاً دِرْهَمٍ ، وَبِالرِّيَّالِ العَرَبِيِّ

سِتَّةٌ وَخَمْسُونَ رِيَالًا تَقْرِبًا ، وبالريالِ الفَرَنْسِيّ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ رِيَالًا تَقْرِبًا .
وأما الأوراقُ المَوْجُودَةُ فإذا مَلَكَ منها ما يُقَابِلُ نِصَابًا مِنَ الفِضَّةِ وَحَالَ
عليه الحَوْلُ فَإِنَّهُ يُخْرِجُ منها رُبْعَ العُشْرِ .

وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فِضَّةٌ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ زَكَاتَهَا مِنَ الأوراقِ المَوْجُودَةِ
المُتَعَامِلِ فِيهَا نَظَرَ إِلَى قِيَمَةِ الفِضَّةِ مِنَ الأوراقِ وَأَخْرَجَ رُبْعَ عَشْرِ المُقَابِلِ
لِهَا فَمَثَلًا إِذَا كَانَ عِنْدَهُ أَلْفُ رِيَالٍ مِنَ الفِضَّةِ يُسَاوِي ثَلَاثَةَ آفٍ مِنَ
الأوراقِ أَخْرَجَ عَنِ الفِضَّةِ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ رِيَالًا هِيَ مُقَابِلُ زَكَاةِ الألفِ مِنَ
الفِضَّةِ وَهِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ .

وإن كَانَ عِنْدَهُ ذَهَبٌ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ زَكَاتَهُ مِنَ الأوراقِ المُتَعَامِلِ
فِيهَا نَظَرَ إِلَى قِيَمَةِ الذَّهَبِ مِنَ الأوراقِ وَأَخْرَجَ رُبْعَ عَشْرِ المُقَابِلِ لَهَا فَمَثَلًا
إِذَا كَانَ عِنْدَهُ مِائَةٌ جُنْيَةٍ وَكَانَ الجُنْيَةُ يُسَاوِي خَمْسِينَ رِيَالًا (٥٠) فَتَكُونُ
المِائَةُ فِي خَمْسَةِ آفٍ رِيَالٍ فَزَكَاتُهَا مِنَ الأوراقِ مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ
رِيَالًا هُوَ مُقَابِلُ زَكَاةِ مِائَةِ الجُنْيَةِ وَهُوَ جُنْيَتَانِ وَنِصْفُ جُنْيَةٍ مِنَ زَكَاةِ المِائَةِ
وَهُوَ جُنْيَتَانِ وَنِصْفٌ .

وَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي مَالِ الصَّبِيِّ وَالمَجْنُونِ لِعُمُومِ حَدِيثِ مُعَاذٍ لَمَّا
بَعَثَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اليَمَنِ ، وَيُخْرِجُ عَنْهُمَا وَلِيَهُمَا فِي مَالِهِمَا
مِنَ مَالِهِمَا .

اللَّهُمَّ إلهمنا ذِكْرَكَ وَوَفَّقنا لِلقيامِ بِحَقِّكَ ، وَخَلِّصنا مِنْ حَقوقِ خَلْقِكَ ،
وَبَارِكْ لَنَا فِي الحلالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلا تَفْضَحْنا بَيْنَ خَلْقِكَ ، يا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ
وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاكَ رَاجٍ يا قاضِيَ الحَاجاتِ ، وَمُجِيبَ الدَعواتِ ، هَبْ لَنَا ما
سَأَلناهُ ، وَحَقِّقْ رِجاءَنا فِيما تَمَنَّيناهُ ، يا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السائِلِينَ وَيَعْلَمُ ما فِي
صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذقنا بَرْدَ عَفْوَكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يا حَيُّ يا قَيُّومُ يا بَدِيعَ

السَّمَوَاتِ نَسَأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنُ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمُ
مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

٣ - وَأَمَّا زَكَاةُ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ فَتَجِبُ فِي كُلِّ مَكِيلٍ مُدْخِرٍ مِنَ
الْحَبِّ كَالْقَمْحِ وَالشُّعِيرِ وَالذَّرَّةِ وَمِنَ الثَّمْرِ كَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ
الْأَرْضِ ﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ
عَثْرًا الْعَشْرُ وَفِيمَا سُقِيَ بِالنُّضْحِ نِصْفُ الْعَشْرِ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَأَمَّا تَجِبُ فِيهِ بِشَرْطَيْنِ الْأَوَّلُ : أَنْ يَبْلُغَ نِصَابًا وَقَدْرُهُ بَعْدَ تَصْفِيَةِ
الْحَبِّ وَجَفَافِ الثَّمْرِ خَمْسَةُ أَوْسُقٍ وَالْوَسْقُ سِتُونَ صَاعًا نَبَوِيًّا فَتَكُونُ خَمْسَةُ
الْأَوْسُقِ (٣٠٠) ثَلَاثِمِائَةَ صَاعٍ بِالصَّاعِ النَّبَوِيِّ وَبِالصَّاعِ الْحَالِيِّ مِائَتَيْنِ
وَتَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ صَاعًا وَوَزَنُ الصَّاعِ النَّبَوِيِّ بِالرِّيَالِ الْفَرَنْسِيِّ ثَمَانُونَ رِبَالًا
(٨٠) وَوَزَنُ الصَّاعِ الْحَالِيِّ بِالرِّيَالِ الْفَرَنْسِيِّ مِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ (١٠٤) فَيَكُونُ
زَائِدًا عَلَى الصَّاعِ النَّبَوِيِّ بِخُمْسٍ وَخُمْسِ الْخُمْسِ تَقْرِيْبًا .

وَالشَّرْطُ الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ مَالِكًا لِلنِّصَابِ وَقَدْ وَجُوبُهَا فَوْقَ
الْوُجُوبِ فِي الْحَبِّ إِذَا اشْتَدَّ وَفِي الثَّمْرِ إِذَا بَدَأَ صَلَاحُهَا لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يُقْصَدُ
لِلْأَكْلِ وَالْإِقْتِيَاتِ بِهِ فَأَشْبَهَ الْيَاسَ وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى يَهُودَ فَيُخْرِصُ عَلَيْهِمُ النَّخْلَ حِينَ
يَطْيُبُ قَبْلَ أَنْ يُؤْكَلَ مِنْهُ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَيَجِبُ فِيمَا سُقِيَ بِلا مَوْنَةِ الْعَشْرِ وَفِيمَا سُقِيَ بِكُلْفَةِ نِصْفِ الْعَشْرِ

لِحَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ مَرْفُوعاً فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ وَفِيمَا سُقِيَ بِالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَالِيٍّ وَابْنُ دَاوُدَ وَأَبْنُ مَاجَةَ فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْأَنْهَارُ وَالْعَيُونُ أَوْ كَانَ بَعْلًا الْعُشْرُ وَفِيمَا سُقِيَ بِالسَّوَانِي وَالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ .

وَيَجِبُ اخْرَاجُ زَكَاةِ الْحَبِّ مُصَفًى مِنْ قَشْرِهِ وَالشَّمْرِ يَابِسًا لِمَا وَرَدَ عَنْ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَنْ يُخْرِصَ الْعَنْبُ زَبِيبًا كَمَا يُخْرِصُ التَّمْرُ وَلَا يُسَمَّى زَبِيبًا وَلَا تَمْرًا حَقِيقَةً إِلَّا الْيَابِسُ وَقَيْسَ الْبَاقِي عَلَيْهِمَا . وَلَا يَسْتَقِرُّ وَجُوبُهَا إِلَّا بِجَعْلِهَا فِي الْجَرِينِ أَوْ فِي الْبَيْدْرِ أَوْ فِي الْمِسْطَاحِ وَنَحْوِهِ .

فَإِنْ تَلَفَتِ الْحُبُوبُ وَالشَّمَارُ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ قَبْلَ الْوَضْعِ بِالْجَرِينِ وَنَحْوِهِ بِغَيْرِ تَعَدٍّ مِنْهُ سَقَطَتْ خُرِصَتْ أَوْ لَمْ تُخْرِصْ وَإِنْ تَلَفَ الْبَعْضُ مِنَ الزَّرْعِ وَالشَّمْرِ قَبْلَ الْاسْتِقْرَارِ زَكَى الْبَاقِي إِنْ كَانَ نِصَابًا وَالْآخَرُ فَلَاحُ زَكَاةٍ فِيهِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ) .

وَلَا تَتَكَرَّرُ زَكَاةُ الْمُعْشَرِ إِذَا لَمْ يَقْضَ بِهِ التِّجَارَةُ فَإِنْ كَانَتْ مُعَدَّةً لِلتِّجَارَةِ كَالَّذِي يَشْتَرِي الْبُرَّ أَوْ الْأُرْزَ أَوْ الزَّيْتَ يَتَرَبَّصُ بِهِ أَوْ يَقَطِّعُهُ فَهَذِهِ تُعْتَبَرُ عَرُوضًا إِذَا كَانَتْ تَبْلُغُ نِصَابًا كُلَّمَا دَارَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ قَوْمَهَا بِالْأَنْفَعِ لِلْفُقَرَاءِ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرَقٍ وَلَا يُعْتَبَرُ مَا اشْتُرِيَتْ بِهِ .

وَيُسْتَحَبُّ لِلْإِمَامِ بَعْثُ خَارِصٍ لِشَمْرِ النَّخْلِ وَالكَرْمِ إِذَا بَدَأَ صَلَاحُهَا . وَشُرْطُ كَوْنِهِ مُسْلِمًا أَمِينًا خَبِيرًا لِحَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى الْيَهُودِ يَخْرِصُ عَلَيْهِمُ النَّخِيلَ قَبْلَ أَنْ يُؤْكَلَ مِنْهَا عَلَيْهِ .

وفي حديث عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ عَلَى النَّاسِ مَنْ يَخْرِصُ عَلَيْهِمْ كُرُومَهُمْ وَثَمَارَهُمْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَصَحَّحَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ خَرَصَ عَلَى امْرَأَةٍ بِوَادِي الْقُرَى حَدِيثًا لَهَا وَحَدِيثًا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ .

وَيَجِبُ أَنْ يَتْرَكَ الْخَارِصُ لِرَبِّ الْمَالِ الثُّلُثَ أَوْ الرَّبْعَ فَيَجْتَهِدُ السَّاعِي بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ لِحَدِيثِ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَنْمَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَخْرَصْتُمْ فَخُذُوا وَدَعُوا الثُّلُثَ فَإِنْ لَمْ تَدْعُوا الثُّلُثَ فَادْعُوا الرَّبْعَ » رَوَاهُ الْخَمْسَةُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(١٠) موعظة

أَيُّهَا الْغَائِلُ رَاقِبٌ مَنْ يَرَاكَ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَطَهْرٌ سِرِّكَ فَهَوِّ عَالِمٌ
بِمَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ ، إِلَى مَتَى تَمِيلُ مَعَ الزَّخَارِفِ وَإِلَى كَمْ تَرَعْبُ لِسَمَاعِ
الْمَلَاهِيِ وَالْمَعَارِفِ وَالْمُحَرَّمَاتِ أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تُجَالِسَ صَاحِبَ الدِّينِ
وَالصَّلَاحِ الْعَاقِفِ عَلَى عَمَلِهِ يَقْطَعُ لَيْلَهُ بِالْقِيَامِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَهَارَهُ
بِالصِّيَامِ لَا يَمِيلُ وَلَا يَتَوَانَى رَجَاءَ الْفَوْزِ بِالْأَرْبَاحِ وَأَنْتَ فِي غَمْرَةٍ هَوَاكَ
مَفْتُونًا فِي الْإِنْهَمَاكِ بِدُنْيَاكَ وَكَأَنِّي بِكَ وَقَدْ هَجَمَ عَلَيْكَ مَا بَدَّدَ شَمْلَكَ
وَأَوْهَنَ قُوَاكَ وَأَفْتَرَسَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَأَخْلَاثِكَ وَتَخَلَّى عَنْكَ
خَلِيلُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ مَا نَزَلَ بِكَ وَلَا تَجِدُ لَهُ كَاشِفًا فَانْتَبِهْ مَا
دَامَ جِسْمُكَ صَاحِحًا وَالْعَمَلُ مِنْكَ فِي إِمْكَانٍ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ وَأَمِنَّا مِنَ
الْفِرْعِ وَالرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مَنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣٣ - فصل في بيان مصارف الزكاة :

وُشْتَرَطَ لِإِخْرَاجِهَا نِيَّةٌ مِنْ مُكَلَّفٍ ، لِحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى » ، فَيَنْوِي الزَّكَاةَ ، أَوِ الصَّدَقَةَ الرَّاجِبَةَ ، أَوْ صَدَقَةَ الْمَالِ .

وَيُسْنُ أَنْ يُفَرِّقَ زَكَاتَهُ عَلَى أَقَارِبِهِ الَّذِينَ لَا تَلْزِمُهُ مَوْنَتُهُمْ لِمَا وَرَدَ عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَانِ : صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ » رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ وَالدَّارِمِيُّ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ الْمُخْرِجُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَمًا ، وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْرَمًا . وَيَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ لِأَدَائِهَا ، لِمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أُعْطِيتُمُ الزَّكَاةَ فَلَا تَنْسُوا ثَوَابَهَا أَنْ تَقُولُوا اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَمًا وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْرَمًا » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

وَيَقُولُ الْأَجْدُ وَهُوَ الْفَقِيرُ أَوِ الْمَسْكِينُ أَوْ أَحَدُ الْأَصْنَافِ آجَرَكَ اللَّهُ فِيمَا أُعْطِيتَ وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أُبْقِيتَ وَجَعَلَهُ لَكَ طَهُورًا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنْ صَلَاتُكَ سَكَنَ لَهُمْ ﴾ أَيِ ادْعُ لَهُمْ ، كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِصَدَقَةِ قَوْمٍ صَلَّى عَلَيْهِمْ . فَاتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى » .

وَلِلْمُزَكِّيِ دَفْعُهَا إِلَى الْإِمَامِ وَإِلَى السَّاعِي ، وَبِزَكَاةٍ ، وَلَا

يُجْزِي دَفْعَهَا إِلَى كَافِرٍ غَيْرِ مُؤَلَّفٍ ، وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيِّ وَلَا لِقَوِيٍّ .
مُكْتَسِبٌ لِمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَخْبَرَاهُ
أَنَّهُمَا أَتَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِيهِ مِنَ الصَّدَقَةِ فَقَلَّبَ فِيهِمَا
الْبَصَرَ وَرَأَاهُمَا جَلْدَيْنِ فَقَالَ لَهُمَا إِنْ شِئْتُمَا أُعْطِيْتُمَا وَلَا حَظَّ لِغَنِيِّ وَلَا
لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ فَالْوَجِبُ تَأْمُلُ حَالَ السَّائِلِ وَالتَّفَرُّسُ فِيهِ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يَدْعِي الْفَقْرَ وَهُوَ غَنِيٌّ .

وَكَمْ مِنْ مُتَعَارِجٍ وَمَا بِهِ عَرَجٌ وَلَكِنْ لِأَمْرٍ مَا تَعَارَجُهُ .

وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ وَرَقَةٍ يَأْكُلُ بِهَا لَا يَدْرِي مَا فِيهَا وَلَوْ بَرَّقَتْ وَسَبَرَتْ
بِدَقَّةٍ لَوَجَدْتَ الْعَجَائِبَ ، لِأَنَّ الْوِزَاعَ الدِّينِيَّ قَدْ ضَعُفَ جِدًّا وَاخْتَلَطَ
الْحَامِلُ بِالنَّابِلِ فَلَا يُمَيِّزُ الْفَقِيرَ وَالْمُسْتَحِقَّ لِلزَّكَاةِ إِلَّا إِنْسَانٌ مُتَبَصِّرٌ بَعْدَ
التَّأْمُلِ وَالبَحْثِ التَّامِ وَالحَرِيصُ عَلَى إِبْرَاءِ ذِمَّتِهِ وَايْتِصَالِ زَكَاتِهِ إِلَى
الْمُسْتَحِقِّ لَهَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَجِدُ مَوْضِعَهَا تَمَامًا مِمَّنْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
إِلْحَافًا الْمُحْتَاجِينَ الْمُخْتَفِينَ الْحَيِّينَ الْأَرَامِلَ ذَوِي الْعَوَائِلِ وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ سَائِلًا يَسْأَلُ بَعْدَ الْمَغْرَبِ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ عَشَّ
السَّائِلَ فَعَشَاهُ ثُمَّ سَمِعَهُ ثَانِيًا يَسْأَلُ فَقَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ عَشَّ السَّائِلَ قَالَ قَدْ
عَشَيْتُهُ فَنَظَرَ عُمَرُ لَهُ فَإِذَا تَحْتَ يَدِهِ مِخْلَاةٌ مَمْلُوءَةٌ خُبْرًا فَقَالَ لَسْتَ سَائِلًا
لَكِنَّكَ تَاجِرٌ ثُمَّ أَخَذَ الْمِخْلَاةَ وَنَثَرَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِبِلِ الصَّدَقَةِ وَضَرَبَهُ بِالدَّرَّةِ
وَقَالَ لَا تَعُدْ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيِّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ
سَوِيٍّ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَلَا يَدْفَعُ بِالزَّكَاةِ مَذْمَةً ، وَلَا يَقِيُّ بِهَا مَالَهُ ، وَلَا يَسْتَعْدِمُ بِهَا ،
وَيُلْزَمُ الْإِنْسَانَ الَّذِي يُرِيدُ إِبْرَاءَ ذِمَّتِهِ صَحِيحًا أَنْ يُفْتِشَ عَلَى أَهْلِ الْعَوَائِدِ

وَيَسْأَلُ عَنْهُمْ بَدَقَةً مِنْ يَعْرِفُ حَالَهُمْ مِنْ جِيرَانٍ وَأَقَارِبٍ حَتَّى يَتَأَكَّدَ هَلْ هُمْ
أَغْنِيَاءُ فَلَا يَدْفَعُهَا إِلَيْهِمْ لِأَنَّ دَفْعَهَا لَهُمْ مَعَ الْغِنَى وَجُودُهُ كَعَدَمِهِ فَلَا تَبْرَأُ
ذِمَّتُهُ وَتَبْقَى الزُّكَاةُ فِي ذِمَّتِهِ وَلَا يَحْمِلُهُ الْحَيَاءُ فَيُعْطِي صَاحِبَ الْغِنَى قَبْلَ أَنْ
يَبْحَثَ عَنْهُ هَلْ هُوَ عَلَى فَقْرِهِ .

لأن كثيراً من الفقراء في وقتنا انفتح لهم أبواب الرزق من أولادٍ أو
بناتٍ أو عقارٍ أو شؤونٍ ولا يُبالي بغضبٍ من منعه عاداته مع استغنائيه
ويَلْتَمِسُ رِضَا اللَّهِ جَلًّا وَعَلَا وَسَوَاءٌ كَانُوا أَقْرَبَاءَ أَوْ غَيْرَ أَقْرَبَاءَ .

ولا يجوز صرفُ الزُّكَاةِ لِغَيْرِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ الْمَذْكُورِينَ فِي
الآية ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ، وَالْعَامِلِينَ
عَلَيْهَا وَالْمَوْلَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

فلا يجوز صرفُها في بناءِ الْمَدَارِسِ أَوْ الْمَسَاجِدِ ، وَلَا وَقْفٍ
مَصَاحِفَ ، وَلَا كُتُبَ عِلْمٍ . وَلَا تَكْفِينَ مَوْتَى ، وَلَا تَوْقِيفَ مَقَابِرَ وَلَا
غَيْرَهَا مِنْ جِهَاتِ الْخَيْرِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى الْحُكْمَ فِيهَا بِنَفْسِهِ ، فَقَدْ
وَرَدَ عَنْ زِيَادِ ابْنِ الْحَارِثِ الصُّدَائِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْتُهُ ، فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ :
اعْطِنِي مِنَ الصَّدَقَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنْ اللَّهُ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيِّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ ، حَتَّى حَكَمَ
فِيهَا فَجَزَأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءَ ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ أَعْطَيْتُكَ » .

فِيأخذُ الْفَقِيرُ وَهُوَ مَنْ لَا يَجِدُ شَيْئًا أَوْ بَعْضَ الْكِفَايَةِ مِنَ الزُّكَاةِ تَمَامَ
كِفَايَتِهِ مَعَ عَائِلَتِهِ سَنَةً لِأَنَّ وَجُوبَ الزُّكَاةِ يَتَكَرَّرُ بِتَكَرُّرِ الْحَوْلِ .

وَيَأْخُذُ الْمَسْكِينُ وَهُوَ مَنْ يَجِدُ الْكِفَايَةَ أَوْ نِصْفَهَا تَمَامَ كِفَايَتِهِ مَعَ عَائِلَتِهِ سَنَةً لِأَنَّ وُجُوبَ الزَّكَاةِ يَتَكَرَّرُ بِتَكَرُّرِ الْحَوْلِ .

وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ الْعَامِلُ وَهُوَ كَجَابٍ وَحَافِظٍ . وَكَاتِبٍ وَقَاسِمٍ وَجَامِعِ الْمَوَاشِيِّ وَعَدَّيْهَا وَكَيْالٍ وَوَزَانٍ وَسَاعٍ وَرَاعٍ وَحَمَالٍ وَجَمَالٍ قَدَرَ أَجْرَتَهُ وَإِنْ تَلَقَّتْ فِي يَدَيْهِ بِلَا تَفْرِيطٍ مِنْهُ فَيُعْطَى أَجْرَتَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِأَنَّ لِلْإِمَامِ رِزْقُهُ عَلَى عَمَلِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ .

وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ الْمُؤَلَّفُ وَهُوَ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ فِي عَشِيرَتِهِ مَا يَحْصُلُ بِهِ التَّالِيفُ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ .

٥ - وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ الرِّقَابُ وَهُمْ الْمَكَاتِبُونَ وَفَاءَ دَيْنِ الْكِتَابَةِ وَبِجُورٍ أَنْ يُفِيدِي مِنَ الزَّكَاةِ أَسِيرًا مُسْلِمًا فِي أَيْدِي الْكُفَّارِ .

٦ - وَيُعْطَى الْغَارِمُ مِنَ الزَّكَاةِ وَهُوَ مَنْ تَدَيَّنَ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنٍ أَوْ تَحَمَّلَ بِسَبَبِ اتِّلَافِ نَفْسٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَهْبٍ أَوْ مَالًا لِتَسْكِينِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ وَيَتَوَقَّفُ صَلُحُهُمَا عَلَى مَنْ يَتَحَمَّلُ ذَلِكَ أَوْ تَدَيَّنَ لِشِرَاءِ نَفْسِهِ مِنْ كُفَّارٍ أَوْ لِنَفْسِهِ فِي مُبَاحٍ وَأَعْسَرَ وَفَاءَ دَيْنِهِ كُمُكَاتِبٍ ، وَدَيْنِ اللَّهِ كَدَيْنِ الْأَدْمِيِّ .

٧ - وَيُعْطَى الْغَزَايِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا يَحْتَاجُ لِعَزْوِهِ ذَهَابًا وَإِيَابًا وَإِقَامَةً فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَنَحْوِ ثَمَنِ سِلَاحٍ وَدِرْعٍ وَفَرَسٍ لِفَارِسٍ وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ ابْنُ السَّبِيلِ وَهُوَ الْمَسَافِرُ الْمُنْقَطِعُ بِهِ بِغَيْرِ بَلَدِهِ مَا يَبْلُغُهُ بَلَدُهُ أَوْ مُنْتَهَى قَصْدِهِ وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ سَفَرُهُ مُحَرَّمًا أَوْ مَكْرُوهًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١١) مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ وُجُودَ الْمَوْتِ بَيْنَ النَّاسِ مَوْعِظَةٌ كُبْرَى لَوْ كَانُوا يَعْقِلُونَ

فانه بِلِسَانِ الْحَالِ يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا : سَأَنْزِلُ بِكَ يَوْمًا أَوْ لَيْلَةً كَمَا تَرَى
النَّاسَ بِعَيْنِكَ يَمُوتُونَ وَقَدْ يَكُونُ لِأَحَدِهِمْ مِنَ الْمَالِ وَالجَاهِ وَالقُوَّةِ
وَالجَمَالِ وَالْعِلْمِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْمَرْكَزِ الدُّنْيَوِيِّ مَا يُدْهَشُ النَّاطِرِينَ لَهُ ،
وَقَدْ يَكُونُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ وَطَالَ أَمَلُهُ حَتَّى مَلَّ وَمُلَّ مِنْهُ . وَبَيْنَ مَا هُوَ فِي
حَالٍ مِنَ النُّشَاطِ قَوِيٍّ مُشْدُودٍ أَسْرُهُ ، ذُو هِمَّةٍ تَضَيِّقُ بِهَا الدُّنْيَا ، قَدْ أَقْبَلَتْ
عَلَيْهِ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَزَهَتْ لَهُ ، إِذَا تَرَاهُ جُثَّةً هَامِدَةً أَشْبَهَ بِأَعْجَازِ
النُّخْلِ الْحَاوِيَةِ لَا جِسَّ لَهُ وَلَا حَرَكَةَ وَلَا أَقْوَالَ وَلَا أفعالَ قَدْ ضَيَّقَ عَلَى
مَنْ حَوْلَهُ وَإِذَا لَمْ يُسْرِعُوا بِهِ إِلَى الدَّفْنِ يَكُونُ جِيفَةً مِنَ الْجِيفِ تُؤْذِي
رَائِحَتُهَا الكَرِيهَةَ كُلَّ مَنْ قَرَّبَ مِنْهَا ، هَذَا كُلُّهُ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ النُّشَاطِ
وَالقُوَّةِ لِأَنَّ هَادِمَ اللَّذَاتِ نَزَلَ بِهِ .

وَبَعْدَ نُزُولِهِ لَا تَسْأَلُ كَانَ لَهُ مَا كَانَ ، وَفِي الْحَالِ تُصْبِحُ زَوْجَتُهُ
أَرْمَلَةً وَيُصْبِحُ أَوْلَادُهُ أَيْتَامًا . وَفِي الْحَالِ تُقَسِّمُ أَمْوَالَهُ الَّتِي جَمَعَهَا وَقَاسَى
عَلَى جَمْعِهَا الشَّدَائِدَ . لِأَنَّ الْمَوْتَ يُزِيلُ مُلْكَهُ وَيَنْقُلُهُ إِلَى مُلِكٍ وَرَثَتِهِ نَقْلًا
تَعْجِزُ عَنْ نَقْضِهِ الْأَيَّامُ ، نَعَمْ إِنَّهُ بِالْمَوْتِ يَزُولُ مَالُهُ كُلُّهُ وَهِيَ أَكْبَرُ مُصِيبَةٍ
مَالِيَّةٍ .

وَأَكْبَرُ مِنْهَا أَنَّهُ يُسْأَلُ عَنْهُ كُلُّهُ دَاخِلًا وَخَارِجًا مِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ
وَبَعْدَ مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ يُنْسَى هُوَ وَيُنْسَى مَالُهُ وَيُنْسَى جَاهُهُ وَيُنْسَى مَرْكَزُهُ وَمَكَانَتُهُ
وَلَوْ كَانَ مَلِكًا أَوْ وَزِيرًا وَمَا كَانَهُ رَأَتْهُ الْعُيُونُ وَلَا سَمِعَتْ كَلَامَةَ الْأَذَانِ ، كَمَا
شِعْرًا لِمَنْ يَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ تَحْوِي مِنْ الْمَالِ الْمُؤَفَّرِ وَالْأَثَاثِ
سَتَمُضِي غَيْرَ مَحْمُودٍ فَرِيدًا وَيَخْلُو بَعْلُ عَرْسِكَ بِالثَّرَاثِ
وَيَحْذُلُكَ الْوَصِيُّ بِلَا وَفَاءٍ وَلَا اصْطِلَاحِ أَمْرِ ذِي التِّيَاثِ
لَقَدْ وَفَّرْتَ وَزْرًا مَرًّا جِينًا يَسُدُّ عَلَيْكَ سُبُلَ الْأَنْبِعَاثِ
فَمَا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ حِرْزٌ وَلَا وَزْرٌ وَمَا لَكَ مِنْ غِيَاثِ

إن الناس يرون الموت كل يوم باعنيهم في بيوتهم أو في
المستشفيات ، ويرون ماله من آثار ومع ذلك فإنهم بمجرد أن يموت
بينهم ميت يكون منهم مع موته هذا ما يدهش الأفكار فتري من أقاربه من
يتسابقون إلى البحث عما خلف وانتهاج ما اتصلت إليه أيديهم من
ماله ، وربما شبت بين ورثته الحروب من أجل أن يتميز كل واحد منهم
في التركة عن سواه وقد تشتد بهم تلك العداوة تعمل عملها ما بقيت
تلك .

يفعلون هذا كله عقب من يموت بدل أن يعتبروا ويتعظوا به
فيزهدهم هذا التفكير والاعتبار في ذلك المال الفاني الذاهب عن أيديهم
عن قريب كما ذهب عنه من وصل إليهم من طريقه لقد سبق أقوام كانوا
يؤمنون بالموت حق الإيمان فكانوا يقدرون الدنيا حق التقدير كانوا
يعرفون أنها فانية وأنها غرارة خداعة وأنهم تاركوها يوماً رغم أنوفهم لا
رجوع بعده لقليل منها ولا كثير قرؤوا قوله تعالى : كل نفس ذائقة
الموت فاستعدوا وافرؤوا قوله تعالى : ما عندكم ينفذ وما عند الله باق
فكانوا إذا حصل لهم شيء من الدنيا صرفوا ذلك لما ينفعهم في الدار
الآخرة . وإذا سمعت أنهم كانوا يطلبون الدنيا فلما ذكرنا .

قال ابن مسعود لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء
رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرابي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن
الله لغني عن صاع هذا فنزلت الآية : ﴿الذين يلمزون المطوعين من
المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ،
سخر الله منهم ولهم عذاب أليم .﴾

ومن طريق آخر حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الصدقة

يَعْنِي فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالِي ثَمَانِيَّةُ آلَافٍ جِئْتُكَ بِنِصْفِهَا وَأَمْسَكْتُ بِنِصْفِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ وَفِيمَا أَعْطَيْتَ وَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ صَاعٍ أَقْرَضْتَهُ لِرَبِّي وَصَاعٍ لِعِيَالِي قَالَ فَلَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا : مَا أُعْطِيَ ابْنُ عَوْفٍ إِلَّا رِبَاءً وَقَالُوا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ غَنِيَيْنِ عَنْ صَاعٍ هَذَا وَهَكَذَا كَانَ الصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَجْعَلُونَ مَا نَالُوا مِنَ الدُّنْيَا وَسِيلَةً إِلَى الآخِرَةِ .

شعرا: أَلَا إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَيْسَ يَفُوتُ فلا تُرَعَنَ إِنَّ القَلِيلَ يَفُوتُ
رَضِيْتُ بِقِسْمِ اللَّهِ حَظًّا لِأَنَّهُ تَكْفَلُ رِزْقِي مَنْ لَهُ المَلَكُوتُ
سَأْتَعُ بِالمَالِ القَلِيلِ لِأَنِّي رَأَيْتُ أَثَمًا المَالِ الكَثِيرِ يَمُوتُ

آخر:

إِذَا اكْتَسَبَ المَالِ الفَتَى مِنْ وُجُوهِهِ
وَاحْسَنَ تَدْبِيرًا لَهُ جِئِنَ يَجْمَعُ
وَمِيَزَ فِي انْفَاقِهِ بَيْنَ مُصْلِحٍ
مَعِيشَتِهِ فِيمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الحُقُوقِ وَلَمْ يُضِعْ
بِهِ الذُّخَرَ زَادًا لِتِي هِيَ انْفَعُ
فَذَلِكَ الفَتَى لَا جَامِعَ المَالِ ذَاخِرًا
لِأولَادِ سُوءِ حَيْثُ حَلُّوا وَأَوْضَعُوا

آخر: فَكَّرْتُ فِي المَالِ فِي جَمْعِهِ فَكَانَ مَا يَبْقَى هُوَ الفَائِي
وَكَانَ مَا انْفَقْتُ فِي أَوجِهِ الـ سِرٌّ بِمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانِ
هُوَ الَّذِي يَبْقَى وَأُجْزَى بِهِ يَوْمَ يُجَازَى كُلُّ إنْسَانِ

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سِلْكِ الفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ المُتَّقِينَ الَّذِينَ

أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَاتِكَ ، وَأَدْخَلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافَنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزَلُ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

٣٤ - فِيمَا وَرَدَ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ عَلَى تَرْكِ الزُّكَاةِ :

إِذَا فَهَمْتَ مَا تَقَدَّمَ مِمَّا تَجِبُ فِيهِ الزُّكَاةُ وَبَيَانَ نِصَابِ الزُّكَاةِ وَمُضْرَفَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ الدَّافِعُ وَالْمَدْفُوعُ إِلَيْهِ . فَاعْلَمْ أَنَّهَا مَا خَالَطَتْ مَالًا إِلَّا أَفْسَدَتْهُ وَمَحَقَّتْ بَرَكَتَهُ وَأَيُّ خَيْرٍ وَنَفْعٍ فِي مَالٍ مَمْحُوقِ الْبَرَكَةِ بَاقِي شَرُّهُ وَفِتْنَتُهُ وَسُغْلُ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ وَإِتْعَابُهُمَا ؟

وَالْمَحْقُوقُ : مِنْهُ مَا هُوَ ظَاهِرٌ ، وَهُوَ ذَهَابُ صُورَةِ الْمَالِ وَرُجُوعُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْإِسْتِغْنَاءِ فَقِيرًا ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لِخَلْقٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمَتَسَاهِلِينَ بِأَمْرِ الزُّكَاةِ .

وَمِنَ الْمَحْقُوقِ : مَحْقُوقُ بَاطِنٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَالُ فِي الصُّورَةِ مَوْجُودًا وَكَثِيرًا وَلَكِنْ لَا يَنْتَفِعُ فِيهِ صَاحِبُهُ لَا فِي دِينِهِ فِي وَجْهِ الْبِرِّ وَالْمَشَارِيعِ الْخَيْرِيَّةِ وَبَدَلِ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا يَنْتَفِعُ فِيهِ فِي نَفْسِهِ وَمَرُوءَتِهِ بِالسُّتْرِ وَالصِّيَابَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَتَضَرَّرُ بِهِ تَضَرَّرًا كَثِيرًا بِأَمْسَاكِهِ عَنْ حَقِّهِ وَوَضْعِهِ فِي غَيْرِ جِهَتِهِ إِمَّا بِإِنْفَاقِهِ بِالْمَعَاصِي وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ . وَإِمَّا فِي الشَّهَوَاتِ الْبَهِيمِيَّةِ الَّتِي لَا نَفْعَ فِيهَا وَلَا حَاصِلَ .

وقد ورد في منع الزكاة عن الله ورسوله تشديدات هائلة وتهديدات

عظيمة ويُخشى على مَنايعِ الزكاةِ من سُوءِ الخاتِمةِ والتَّعريضِ لوعيدِ اللهِ وغَضَبِهِ والخُروجِ مِنَ الدُّنيا على غيرِ مِلَّةِ الإسلامِ. ومِمَّا جَاءَ مِنَ الوَعِيدِ فِي حَقِّ مَنْ بَخَلَ بِهَا أَوْ قَصَرَ فِي إِخْرَاجِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَخْسِبُنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ .

شعرا : فَإِنْ تَجْمَعُ الْآفَاتُ فَالْكَفْرُ شَرُّهَا

وَشَرُّ مَعَ الْكُفْرِ النِّفَاقُ مَعَ الْبُخْلِ

شعرا: ثلاثٌ مُهْلِكَاتٌ لَا مَحَالَءَ غَوَى نَفْسٍ يَعودُ إِلَى البَطَالَةِ
وَشُخٌّ لَا يَرَّالُ يُطَاعُ دَابًّا وَعَجَبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ ، هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝﴾ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحٌ مِنْ نارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نارِ جَهَنَّمَ ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وظَهْرُهُ ، كلما بَرَدَتْ أُعيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بَيْنَ العِبَادِ فيرى سَبِيلَهُ : إمَّا إِلَى الجَنَّةِ ، وإمَّا إِلَى النارِ .

قيل : يا رسول الله فالإبل؟ قال : « ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها - ومن حقها حلبها يوم وريدها - إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لَهَا بِقَاعِ

قَرَقِرَ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا : تَطَوُّهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ
بَأَفْوَاهِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رَدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ ،
وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ ؟ قَالَ : « وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ وَلَا
غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُطَحُّ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقِرٍ لَا
يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا خَلْجَاءٌ وَلَا عَضْبَاءٌ ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا
وَتَطَوُّهُ بِأَظْلَافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رَدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ ،
وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٌ قَرَقِرٌ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوَائِمِهَا وَأَخْفَافِهَا ،
وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ
وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٌ قَرَقِرٌ فَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، وَتَطَوُّهُ بِأَظْلَافِهَا ، لَيْسَ فِيهَا جَمَاءٌ
وَلَا مُنْكَسِرٌ قُرُونُهَا وَلَا صَاحِبٌ كَنْزٍ لَا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
شُجَاعًا ، أَقْرَعٌ يَتَّبِعُهُ فَاتِحًا فَاهُ ، فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ ، فَيُنَادِيهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي
خَبَّأْتَهُ فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لَا بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضِمُهَا
قَضْمَ الْفَحْلِ » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِّي
زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعٌ مِنْ نَارٍ فَتَكْوَى بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ .
اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيائِكَ وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا وَقَدْ قَبِلْتَ الْيَسِيرَ

مَنَا وَاجْعَلْنَا يَا مُولَانَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَّلْ) : وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
أَرَأَيْتَ أَنْ أَدَى الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَدَى زَكَاةَ مَالِهِ
فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شُرُّهُ » .

وَعَنْ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى مَلَأٍ
مِنْ قُرَيْشٍ فَجَاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الشَّعْرِ وَالثِّيَابِ وَالْهَيْئَةِ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ
ثُمَّ قَالَ : بَشَّرَ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُوضَعُ
عَلَى حَلْمَةِ تَدْيٍ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نَعْضِ كَتِفِهِ وَيُوضَعُ عَلَى نَعْضِ
كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلْمَةِ تَدْيِهِ فَيَتْرَلُ .

ثُمَّ وُلِيَ ، فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةِ ، وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا لَا أُدْرِي
مَنْ هُوَ ، فَقُلْتُ : لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَدْ كَرِهُوا الَّذِي قُلْتُ ، قَالَ إِنَّهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ شَيْئًا ، قَالَ لِي خَلِيلِي ، قُلْتُ مَنْ خَلِيلُكَ ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَبْصِرُ أَحَدًا ؟ قَالَ : فَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ
وَأَنَا أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ قُلْتُ :
نَعَمْ ، قَالَ : مَا أَحَبُّ أَنْ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا أَنْفَقَهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرٍ ،
وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ ، لَا وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيًا وَلَا
آسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ ، أَنَّهُ قَالَ : « بَشَّرَ الْكَانِزِينَ بِكَيْ فِي ظُهُورِهِمْ
فَيَخْرُجُ مِنْ جُنُوبِهِمْ ، وَبِكَيْ مِنْ قِبَلِ أَقْفَانِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ جِبَاهِهِمْ
قَالَ : ثُمَّ تَنْحَى فَقَعَدَ ، قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هَذَا قَالُوا : هَذَا أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ :

فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : مَا شَيْءٌ سَمِعْتُكَ تَقُولُ قُبَيْلُ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ إِلَّا شَيْئاً
قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قُلْتُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الْعَطَاءِ قَالَ
خُذْهُ . فَإِنَّ فِيهِ الْيَوْمَ مَعُونَةً فَإِذَا كَانَ ثَمناً لِدِينِكَ فَدَعَهُ .

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ مِنْ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدِيثاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ ، وَكُنْتُ أَكْثَرَهُمْ لُزُوماً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
قَالَ عُمَرُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ
وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِحَسْبِ الزَّكَاةِ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« مَا خَالَطَتِ الصَّدَقَةُ - أَوْ قَالَ الزَّكَاةُ - مَالاً إِلَّا أَفْسَدَتْهُ » .

وَعَنْ الْحَسَنِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « حَصِّنُوا
أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ
بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ » .

فَتَأْمَلْ يَا أَخِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَاتِ . .

وَانظُرْ كَيْفَ يُؤْتَى بِالْمَالِ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ مَانِعُ الزَّكَاةِ حُباً شَدِيداً
وَيُعْزُهُ الْعِزُّ الَّذِي يَصِلُ بِهِ إِلَى أَنْ يُمَسِّكُهُ وَيَجْمَعُهُ وَيُوعِيهِ وَلَا يَفْرِطُ فِي
شَيْءٍ مِنْهُ ، حَتَّى مَا كَانَ مِنْهُ حَقّاً لِلْفُقَرَاءِ الْبُؤْسَاءِ الْمَسَاكِينِ يُؤْتَى بِهِ بِعَيْنِهِ
وَيُجْعَلُ صَفَائِحَ وَمَعَ أَنْ هَذِهِ الصَّفَائِحُ مِنْ نَارٍ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
لِتَشْتَدَّ حَرَارَاتُهَا وَتَزْدَادَ لِيَكُونَ الْمُهَاجِرُ الْوَاقِعُ عَلَى بَدَنِ مَانِعِ الزَّكَاةِ بِالْغَا
يَ الْنِهَائَةِ فِي الشِّدَّةِ حِينَ يُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ .

وَتَخْصِيصُ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الثَّلَاثَةِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّ الْمُعَذَّبَ

وَهُوَ مَانِعُ الزَّكَاةِ إِذَا جَاءَهُ الْفَقِيرُ يَسْأَلُهُ شَيْئاً مِنْ حَقِّهِ عَبَسَ وَجْهَهُ وَعَقَدَ
جَبِينَهُ عُبُوساً وَتَعَقِيداً يَدُلُّ عَلَى كَرَاهَتِهِ لِهَذَا السُّؤَالِ .

فَإِذَا أَلَحَّ الْفَقِيرُ عَلَيْهِ زَادَ فِي عُبُوسِهِ أَنْ يَضُنَّ بِمُوَاجَهَةِ ذَلِكَ الْفَقِيرِ
فَيَتَّقِلُ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ إِلَى الْأَنْحِرَافِ عَنْهُ وَيَجْعَلُ جَنْبَهُ فِي وَجْهِ الْمِسْكِينِ
السَّائِلِ مُبَالَغَةً فِي إِظْهَارِ الْكِرَاهِيَةِ لِسُؤَالِهِ .

شعرا :

فُرِضَتْ عَلَيَّ زَكَاةٌ مَا مَلَكَتْ يَدَيَّ وَزَكَاةٌ جَاهِي أَنْ أُعِينَ فَأَشْفَعَا
فَإِذَا مَلَكَتْ فَجُدُّ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاجْهَدْ بِوُسْعِكَ كُلَّهُ أَنْ تُنْفَعَا

فَإِذَا أُرْدَادَ الْفَقِيرُ وَاشْتَدَّ فِي الطَّلَبِ وَالْإِلْحَاحِ بَالِغَ الْمَسْئُولُ فِي
الْقَضْبِ فَانصَرَفَ عَنْهُ وَوَلَاهُ ظَهْرَهُ مَاشِياً مِنْ مَكَانِهِ وَتَارِكاً لَهُ يَهْوِي فِي هَوَاتِ
اِحْتِيَاجِهِ بِدُونِ أَيِ اِكْتِرَافٍ فَلَمَّا كَانَ هَذَا حَالُ تِلْكَ الْأَعْضَاءِ الثَّلَاثَةِ فِي
الدُّنْيَا حُصِّتْ فِي الْأَجْرَةِ بِالْكَفَى بِتِلْكَ الصَّفَائِحِ الَّتِي هِيَ مَالُهُ وَبِذَلِكَ
يَعْرِفُ أَنَّهُ يُهَانَ بِالْمَالِ الَّذِي كَانَ يُعِزُّهُ فِي دُنْيَاهُ .

وَلَوْ كَانَ يُهِينُهُ بِاللُّدُنْيَا بِمُقَارَقَةِ مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْهُ لَكَانَ سَبَباً
لِإِكْرَامِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيْبِ الْمُفْرِعِ .

وَانظُرْ كَيْفَ تَأْتِي نِعْمُهُ إِبْلُهُ وَبَقْرُهُ وَغَنَمُهُ الَّتِي لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا
أَقْوَى مَا كَانَتْ وَأَوْفَرَهُ فَتَطْوُهُ الْإِبِلُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعْضُهُ بِأَنْبِيَاطِهَا الْحَادَّةِ وَتَطْوُهُ
الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ بِأُظْلَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا السَّلِيمَةِ لِيَكُونَ النَّطْحُ بِهَا أَوْجَعُ وَالْمَ
وَلَا تَجِيءُ بَقْرَةٌ وَلَا نَعْجَةٌ إِلَّا وَلَهَا قَرْنَاهَا لَيْسَ بِيَهْمَا أَيُّ مَانِعٍ يَمْنَعُ مِنْ
تَوْجِيهِهِمَا إِلَيْهِ وَطَعْنِ الْمَانِعِ بِيَهْمَا الطَّعْنِ الْأَلِيمِ . وَإِنَّمَا كَانَتْ أَقْوَى مَا
كَانَتْ لِيَكُونَ وَطُؤُهَا وَنَطْحُهَا وَعَضُّهَا بِمُنْتَهَى الْقُوَّةِ . وَإِذَا كَانَ مَبْطُوحاً لَهَا
وَهِيَ تَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ بِالْوَطْءِ كَانَ أَمْكَنَ لَهَا فِي فِعْلِ مَا تُعَذِّبُهُ بِهِ وَهَذَا الْعَذَابُ
لَا يَكُونُ زَمَنَهُ قَلِيلاً وَلَكِنَّهُ يَدُومُ مَا دَامَ الْمَوْقِفُ .

وَمِقْدَارُ الْمَوْقِفِ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَنَوْعٌ آخَرَ مِنَ الْعَذَابِ خَاصٌّ
بِمَانِعِ الزَّكَاةِ وَهُوَ أَنْ يُوَضَعَ حَجَرٌ مُخْمَى عَلَيْهِ وَقَدْ زِيدَ فِي حَرَارَتِهِ فَأَحْمِيَ
عَلَيْهِ كَذَلِكَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَلَا يَتَحَمَّلُ اللَّحْمُ شِدَّةَ حَرَارَتِهِ فَيَذُوبُ ذَوَابًا
فَيَدْخُلُ الْحَجَرُ الْجِسْمَ وَاللَّحْمُ يَذُوبُ أَمَامَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْقِطْعَةِ الرَّقِيقَةِ
الَّتِي فِي طَرْفِ الْكَتِفِ .

ثُمَّ يُوَضَعُ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ الرَّقِيقَةِ وَقَدْ عَادَ الْجِسْمُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ
فَيُفْعَلُ بِهِ كَمَا تَقَدَّمَ يَخْرُجُ مِنْ حَلْمَةِ نُدْبِهِ وَيَزِيدُ فِي الْأَلَمِ حَالِ التَّعْذِيبِ
أَنَّ الْحَجَرَ يَنْزَلُ لَا يَمُرُّ فِي الْبَدَنِ مُسْتَقِيمًا وَقَدْ نُفِذَهُ .

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ لَا يَكُونُ هَذَا
الْعَذَابُ كَافِيًا فَيَكُونُ سَبِيلُهُ إِلَى النَّارِ الَّتِي فِيهَا أَلْوَانُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ مِنْ
رَهْمٍ وَحَمِيمٍ وَعَسَاقٍ وَضَرِيعٍ وَوَيْلٍ وَغَسَلِينَ .

وَلِمَنْعِ الزَّكَاةِ شَكْلٌ آخَرَ مِنَ الشُّؤْمِ الدُّنْيَوِيِّ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ كَمَا فِي
حَدِيثٍ مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بَحَسَ الزَّكَاةُ فَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى
أَنَّهُ أَيُّ مَالٍ يَضِيعُ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ سَبَبُ تَلْفِهِ تَرْكُ الزَّكَاةِ .
وَهِيَ عُقُوبَةٌ تَعَكِّسُ عَلَى الْمَانِعِ قَضَدَهُ ، إِذْ هُوَ يَقْصِدُ بِمَنْعِهِ لَهَا تَكْثِيرُ
الْمَالِ وَالْهَرُوبِ مِنْ نَقْصِهِ بِأَخْرَاجِ الْقَدْرِ الْوَاجِبِ مِنْهُ . وَلَوْ أَخْرَجَ الْقَدْرَ
الْوَاجِبَ وَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، لَحَفِظَ مَالَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَكَانَ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ
هُوَ ثَوَابُ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، وَلَكَانَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ عَلَى الْمُعْطَى مَا
لَا يَنْسَاهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ .

أَمَّا الْعُقُوبَةُ الْآخَرُوتِيَّةُ فَالنَّارُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا
لَطْفَى نَزَاعَةٌ لِلنَّسْوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ .

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَاقِلُ ، أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ بِدِقَّةٍ وَتُقَوِّمَ مَا أَعْدَدْتَهُ لِلْبَيْعِ
وَالشِّرَاءِ وَأَنْ تُبْرِيَءَ ذِمَّتَكَ بِبَيِّقِينَ ، بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ كُلِّهَا إِذَا تَمَّ الْحَوْلُ ،
وَأَنْ لَا تَدْفَعَهَا إِلَّا لِمَنْ تَعْلَمُ أَنَّهُ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّهَا بَيِّقِيْنَا أَوْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ
أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا .
شعرا :

أَيَا جَامِعِ الْمَالِ الْكَثِيرِ بِجَهْلِهِ سَتَجْنِي جَنَى الْخُسْرَانِ مِنْ حَيْثُ تَرْبِحُ
أَلَمْ تَنْظُرِ الطَّائُوسِ مِنْ أَجْلِ رِيثِهِ لِمَا فِيهِ مِنْ شِبْهِ الدَّنَائِيرِ يُذْبَحُ

آخر: وَمَا الْمَالُ إِلَّا حَسْرَةٌ إِنْ تَرَكْتَهُ وَعُغْنٌ إِذَا قَدَمْتَهُ مُتَعَجِّلُ

آخر: وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ كَفُورٍ عَصَى الرَّحْمَنِ وَاتَّبَعَ الْمَلَاهِي

تَرَاهُ دَائِمًا فِي جَمْعِ مَالٍ مَخَافَةَ فَقْرِهِ أَوْ لِلتَّبَاهِي

آخر: وَمَا حَاجَتِي فِي الْمَالِ أَبْيَغِي وَفُورُهُ إِذَا لَمْ أَقْدِمُهُ لِيَوْمِ التَّفْهَابِي

وَاحْذَرِ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ التَّهَاوُنِ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ التَّسْوِيفِ بِهَا أَوْ

سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُتَوَبِّةِ لِلتَّخْلُصِ مِنْ أَدَائِهَا أَوْ التَّحَايِلِ عَلَى تَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا

فَكُلُّ حِيلَةٍ تُسْتَعْمَلُ لِتَضْيِيعِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ أَوْ حُقُوقِ عِبَادِهِ أَوْ تَبِيحِ مَا

حَرَّمَ اللَّهُ أَوْ تَحَرِّمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَهِيَ مِنَ الْحِيلِ الْمُحَرَّمَةِ الَّتِي سَيُجَازَى

عَلَيْهَا أَشَدُّ الْجَزَاءِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

وَيَجُوزُ تَعْجِيلُ الزَّكَاةِ لِحَوْلَيْنِ فَأَقْلُ إِذَا كَمُلَ النِّصَابُ لِمَا وَرَدَ عَنْ

عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فِي تَعْجِيلِ صَدَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ فَرَخَّصَ لَهُ فِي ذَلِكَ رَوَاهُ الْخَمْسَةُ

إِلَّا النَّسَائِي .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ

عَلَى الصَّدَقَةِ فَقِيلَ مَنْعَ ابْنِ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْعَبَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ

ورسوله وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً وقد حبس أذراعهُ وأعتاده في سبيل الله وأما العباسُ فهي حقٌ عليّ ومثلها معها ثم قال يا عمرُ أما شعرت أن عمَّ الرجل صنو أبيه متفقٌ عليه .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَطَعْنَا قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكَ وَاغْفِرْ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدْمَ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوراً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَاسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلَ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ وَاقْطَعْ عَنَّا كُلَّ مَا يُبْعَدُنَا عَن سَبِيلِكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقْظُنَا مِن غَفْلَاتِنَا وَالْهِمْنَا رُشْدَنَا وَحَقِّقْ بِكَرَمِكَ قَصْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

* في بعض آداب الزكاة :

قال في منهاج القاصدين إعلم أن على مُريد الزكاة وظائف :

الوظيفة الأولى : أن يفهم المراد من الزكاة ، وهو ثلاثة أشياء :
إبتلاء مُدعي محبة الله تعالى ، باخراج محبوبه والتزُّه عن صفة البخل .
المُهْلِك ، وشكرُ نعمة المال .

الوظيفة الثانية : الأسرارُ باخراجها لقوله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا ، وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾
وحديث السبعة وعدَّ منهم رجلاً تصدَّق بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ لِكُونِهِ أَبْعَدَ عَنِ الرِّبَا وَالسُّمْعَةِ ، وَفِي الْإِظْهَارِ إِذْ لَالَ لِلْفَقِيرِ أَيْضاً ، فَإِن خَافَ أَنْ يُتَّهَمَ بِعَدَمِ الْإِخْرَاجِ أُعْطِيَ مَنْ لَا يُبَالِي مِنَ الْفُقَرَاءِ بِالْأَخْذِ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ عَلَانِيَةً وَأُعْطِيَ غَيْرُهُ سِرّاً .

الوظيفة الثالثة : أن لا يُفسدَها بالَمَنِّ والأدَى . وذلك أن الإنسان إذا رأى نفسه مُحسِنًا إلى الفقير مُنعمًا عليه بالاعطاء ، ربمَّا حصلَ منه ذلك ، ولو حَقَّقَ النظرَ لَرَأَى الفقيرَ مُحسِنًا إليه ، بقَبُولِ حَقِّ اللّهِ الذي هُوَ طَهَّرَ له ، وإذا اسْتَحْضَرَ مَعَ ذلكَ أن إخراجَهُ لِلزَّكَاةِ شُكْرٌ لِنِعْمَةِ المَالِ ، فلا يَبْقَى بَيْنَهُ وبينَ الفقيرِ مُعامَلَةٌ ، ولا يَنْبَغِي أن يَحْتَقِرَ الفقيرَ بِفَقْرِهِ لِأَنَّ الفَضْلَ لَيْسَ بِالمَالِ ولا النقصَ بَعْدِيهِ .

شِعْرًا: أَكْرِمْ يَدَيْكَ عَنِ السُّؤَالِ فَإِنَّمَا
 آخِرُ: وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَحَشِّعًا
 آخِرُ: يَقُولُ النَّاسُ لِي فِي الكَسْبِ عَارٌ
 آخِرُ: إِذَا كَفَّفَ المَيْسُورُ والعَرِضُ وَافِرٌ
 آخِرُ: وَمَا هِيَ إِلَّا جَوْعَةٌ إِنْ سَدَّدْتَهَا
 قَدْرُ الحَيَاةِ أَقَلُّ مِنْ أن تَسْأَلَا
 تَرْجُو الفَضَائِلَ عِنْدَ غَيْرِ اللّهِ
 فَقُلْتُ العَارُ فِي ذَلِّ السُّؤَالِ
 فَكُلَ الذي فَوْقَ الكَفَافِ فُضُولٌ
 فَكُلُّ طَعَامٍ بَيْنَ جَنَيْتِكَ وَاحِدٌ

الوظيفة الرابعة : أن يَسْتَصْغِرَ العَطِيَّةَ ، فَإِنَّ المُسْتَعْظِمَ لِلْفِعْلِ مُعْجَبٌ بِهِ ، وَقَدْ قِيلَ : لَا يَتِمُّ المَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثٍ : بِتَصْغِيرِهِ وَتَعْجِيلِهِ وَسِتْرِهِ .

الوظيفة الخامسة : أن يَنْتَقِي مِنَ مَالِهِ أَحْلَهُ وَأَجُودَهُ وَأَحَبَّهُ إِلَيْهِ ، أَمَا الجِلُّ فَإِنَّ اللّهُ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا . وَأَمَّا الأَجُودُ فَقَدْ قَالَ اللّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَيْمَمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أصابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْرٍ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أَصِبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنفُسُ عِنْدِي مِنْهُ ، فَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا . قَالَ : فَتَصَدَّقُ بِهَا عُمَرُ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَبَاعُ أَصْلَهَا وَلَا يُورَثُ وَلَا يُوهَبُ . قَالَ : فَتَصَدَّقُ بِهَا عُمَرُ فِي الفُقَرَاءِ وَذَوِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ .

والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه ، وفي لفظ غير متائل رواه الجماعة .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : كان أبو طلحة - رضي الله عنه - أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بئرحاء ، وكانت مستقبله المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فلما نزلت هذه الآية ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ جاء أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن الله تعالى أنزل عليك ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وإن أحب مالي إلي بئرحاء وأنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعتها يا رسول الله حيث أمرك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ بخ ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت ، وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه متفق عليه .

وينبغي أن يلاحظ في ذلك أمرين :

أحدهما : حق الله سبحانه وتعالى بالتعظيم له ، فإنه أحق من إختيار له ، ولو أن الإنسان قدم إلى ضيفه طعاما رديئا لأوغر صدره .

والثاني : حق نفسه فإن الذي يقدمه هو الذي يلقاه غدا في القيامة فينبغي أن يختار الأجود لنفسه ، وأما أحبه إليه ، فلقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - إذا اشتد حبه لشيء من ماله قربه لله عز وجل . وروى أنه نزل الجحفة وهو شاك ، فقال : إنني لأشتهي جيتانا فالتمسوا له فلم يجدوا له إلا حوتا فأخذته امرأته فصنعتة ،

ثم قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ فَاتَى مَسْكِينٌ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - خُذْهُ ،
فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ قَدْ عَنَيْتَنَا وَمَعَنَا زَادَ نُعْطِيهِ ، فَقَالَ : إِنْ عَبْدَ
اللَّهُ يُحِبُّهُ .

وَرُوِيَ أَنْ سَأَلَ وَقَفَ بِيَابِ الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ :
أَطْعِمُوهُ سُكْرًا ، فَإِنَّ الرَّبِيعَ يُحِبُّ السُّكْرَ .

الوظيفة السادسة : أَنْ يَطْلُبَ لِصَدَقَتِهِ مَنْ تَزَكُو بِهِ ، وَهُمْ خُصُوصٌ
مِنْ عُمُومِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ ، وَلَهُمْ صِفَاتٌ :

الأولى : التَّقْوَى ، فَلْيُخَصَّرْ بِصَدَقَتِهِ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّهُ يُرَدُّ بِهَا هَمَّهُمْ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي
سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْعِمُوا الْأَتْقِيَاءَ وَأَوْلُوا
مَعْرُوفَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ كَانَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ يَتَخَيَّرُ الْعِبَادَ
وَهُمْ سُجُودٌ فِيأَتِيهِمْ بِالصُّرَّةِ فِيهَا الدَّنَانِيرُ وَالدِّرَاهِمُ فَيَضَعُهَا عِنْدَ نِعَالِهِمْ
بَحَيْثُ يُحْسِنُونَ بِهَا وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَكَانِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُرْسِلَ
بِهَا إِلَيْهِمْ ؟ فَيَقُولُ أَكْرَهُ أَنْ يَتَمَعَّرَ وَجْهُ أَحَدِهِمْ إِذَا نَظَرَ إِلَى رَسُولِي .

الصفة الثانية : الْعِلْمُ فَإِنَّ إِعْطَاءَ الْعَالِمِ إِعَانَةً عَلَى الْعِلْمِ وَنَشْرٍ
الدين ، وَذَلِكَ تَقْوِيَةٌ لِلشَّرِيعَةِ .

الصفة الثالثة : أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَرَى الْإِنْعَامَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ وَلَا يَلْتَفِتُ
إِلَى الْأَسْبَابِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا نُدِبَ إِلَيْهِ مِنْ شُكْرِهَا ، فَأَمَّا الَّذِي عَادَتُهُ الْمَدْحُ
عِنْدَ الْعَطَاءِ فَانَّهُ سَيَذُمُّ عِنْدَ الْمَنْعِ .

الصفة الرابعة : أَنْ يَكُونَ صَائِنًا لِفَقْرِهِ ، سَائِرًا لِحَاجَتِهِ ، كَاتِمًا
لِلشُّكْوَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ .

شعرا: كَمْ فَاقَةَ مَسْتُورَةَ بِمُرُورَةِ وَضُرُورَةَ قَدْ غَطَّيْتُ بِتَجَمُّلِ
وَمِنْ ائْتِسَامِ تَحْتَهُ قَلْبُ شَجٍ قَدْ حَاَمَرْتُهُ لَوْعَةً مَا تَنْجَلِي

وَمِنْ آدَابِ الْمَرْكَبِيِّ الَّتِي تَتَأَكَّدُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ طَيِّبَ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهَا فَرِحًا مَسْرُورًا مُسْتَبَشِرًا بِقَبُولِ الْفَقِيرِ الْمُسْتَحِقِّ لِرِزْقَاتِهِ ، وَلِيَحْذَرَ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَارِهًا لِإِخْرَاجِهَا فَإِنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْمَنَافِقِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمَنَافِقَ يُصَلِّي وَلَكِنْ لَا يَأْتِيهَا إِلَّا وَهُوَ كَسْلَانٌ وَقَدْ يُزَكِّي وَلَكِنْ مَعَ الْكِرَاهَةِ ، وَقَوْلُهُ ﷺ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » وَفِي لَفْظٍ : « لَيْسَ مِنْ مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا » وَهُوَ حَدِيثٌ جَيِّدٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

اللَّهُمَّ نُوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِقًا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا ، وَتَلْمُ بِهَا شَعْنَنَا ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدَاتَنَا ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبَاتَنَا ، وَتُزَكِّي بِهَا أَعْمَالَنَا ، وَتُلْهِمُنَا بِهَا رُشْدَنَا ، وَتَعْصِمَنَا بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ يَا هَادِيَ الْمُضِلِّينَ وَيَا رَاحِمَ الْمُذْنِبِينَ ، وَمُقِيلَ عَثَرَاتِ الْعَاثِرِينَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُلْحِقَنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَادَاءِ وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

« موعظة » : عِبَادَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ فِي سَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ فَاحْمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ جَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسَارِ وَأَدِيمُوا شُكْرَهُ يَدِيمَ عَلَيْكُمْ النِّعْمَةَ وَيَزِدْهَا ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ . وَمِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ أَنْ تَنْسُخُوا مِنَ الزَّكَاةِ بِإِخْرَاجِهَا كَامِلَةً إِلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ لَعَلَّكُمْ أَنْ تَفُوزُوا بِالْخَلْفِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنْ فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، أَحْسِنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَرَاعُوا عِنْدَ الْإِحْسَانِ الْأَدَبَ فَلَا تَمْنُوا عَلَى الْفَقِيرِ وَلَا تُؤذُوهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُحِيطٌ لِلْأَعْمَالِ وَاسْتُرُوا عَطَاءَكُمْ مُخْلِصِينَ مُتَّقِينَ أَنْ حَاجَتَكُمْ إِلَى الثَّوَابِ وَتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَةِ الْفَقِيرِ إِلَى مَا تُخْرِجُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ إِحْسَانَكُمْ إِنَّمَا هُوَ لِأَنْفُسِكُمْ وَاعْصُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْبُخْلِ وَيَنْهَى عَنِ

العَظْفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، يُخِيفُكُمْ إِنْ تَصَدَّقْتُمْ أَنْ يَذْهَبَ مَالُكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نَصِيحَةَ الْعَدُوِّ مَهْلِكَةٌ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا مِنْ يَوْمٍ يَصْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلَّهِمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُسِيكًا تَلْفًا . رواه البخاري ومسلم .

اللَّهُمَّ اعصِمْنَا عَنِ الْمَخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ

اللَّهُمَّ اعصِمْنَا عَنِ الْمَخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ . اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهَجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبِسْنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَخَصَّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَقَّفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرِ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَعْدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : فِيمَنْ تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ : إِعْلَمْ وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ مِمَّا يَتَّعِينَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَصُونَ نَفْسَهُ عَنْهُ ، مَسْأَلَةَ النَّاسِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ أَوْ الْحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا وَلَا غِنَى لَهُ عَنْهَا ، وَذَلِكَ لِمَا وَرَدَ عَنْ قَبِيصَةَ بِنِ مَخَارِقِ الْهَلَالِيِّ قَالَ : تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا ، فَقَالَ : « أَقِمِ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَأَمْرٌ لَكَ بِهَا ، ثُمَّ قَالَ يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً : رَجُلٌ تَحْمَلُ حَمَالَةً فَخَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ ، أَوْ رَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاخَتْ مَالَهُ فَخَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ ، أَوْ قَالَ سَدَادًا مِنْ عَيْشٍ ، وَرَجُلٌ

أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةَ، مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ لَقَدْ أَصَابَتْ
فَلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ: سَدَادًا مِنْ
عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةَ سَحَتْ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا» وَاللَّهُ
أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَصْلٌ فِي التَّخْذِيرِ مِنْ أَخْذِ الصَّدَقَةِ لِمَنْ لَا تَحِلُّ لَهُ

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا ، فَلَيْسَتْ قَلِيلٌ
أَوْ لَيْسَتْ كَثِيرٌ . »

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة ليس
في وجهه مزرعة لحمٍ . »

وعن معاوية - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لا تُلْجِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ . فَوَاللَّهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا
فَتُخْرِجُ لَهُ مَسْأَلَتَهُ مِنِّي شَيْئًا أَنَا كَارِهِ لَهُ ، فَيُبَارِكُ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ . »

وعن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِي بِحُزْمَةٍ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ
فَيَبِيعُهَا - يَكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ - خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ : أَعْطَوْهُ أَوْ
مَنْعُوهُ . » فالعاقل يعمل جهده ولا يميل إلى الكسل والملل وحبِّ الرَّاحَةِ
وقَدِيمًا قِيلَ :

إِنَّ التَّوَانِي زَوْجَ الْعَجَزِ بِنْتُهُ وَسَاقُ إِلَيْهَا خَيْنٌ زَوْجَهَا مَهْرًا
فِرَاشًا وَطِينًا ثُمَّ قَالَ لَهَا إِتْكِئِي قُصَارَا كَمَا لَا بُدَّ أَنْ تَلِدَا الْفَقْرَا
آخِرُ: كَمْ مِنْ حَيَاءٍ وَكَمْ عَجْزٍ وَكَمْ نَدَمٍ جَمٌّ تَوْلَدُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كَسَلِ

آخِر: دَعِيَ نَفْسِي التَّكَاسُلَ وَالتَّوَانِ وَإِلَّا فَالْبِسِي ثَوَابَ الْهَوَانِ
فَلَمْ تَرَى لِلْكُسَالَى الْحِطُّ يَجْنِي ثِمَاراً غَيْرَ حِرْمَانِ الْأَمَانِي

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا الْمَسَائِلُ كدُوْحُ يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ ،
فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا
سُلْطَانٍ أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدَّ .

وعن عبدِ الله بن مسعودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ : جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَمَسَّالَتَهُ خُمُوشٌ أَوْ خُدُوشٌ أَوْ كُدُوحٌ » ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا يُغْنِيهِ ؟
قال : « خُمْسُونَ دِرْهَمًا أَوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ » .

ولأبي داودَ عن سهلِ بنِ الحَنْظَلِيَّةِ ، قِيلَ : وما الغنى الذي لا
يُنْبَغِي معه المسألة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « قَدْرُ مَا يُغْدِيهِ أَوْ
يُعْشِيهِ » .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً من الأنصارِ أتى النبيَّ صلى
الله عليه وسلم يسأله ، فقال : « ما في بيتك شيءٌ . قال : بلى ، جِلْسُ
نَلْبَسُ بَعْضُهُ وَنَبْطُ بَعْضُهُ وَقَعْبُ نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ ، قال : اثْنَيْ بَهْمَا ،
فَاتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ وَقَالَ : مَنْ
يَشْتَرِي هَذَيْنِ ؟ قال رجلٌ :

أَنَا أَخَذُهُمَا بِدِرْهَمٍ ، قال صلى الله عليه وسلم مَنْ يَزِيدُ عَلَيَّ
دِرْهَمًا ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ؟ قال رجلٌ : أنا أَخَذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ ! فَأَعْطَاهُمَا
إِيَّاهُ ، فَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا
فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ ، واشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ ، فَأَتَى بِهِ فَشَدَّ فِيهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عوداً بِيَدِهِ ، ثم قال : أَذْهَبَ فَاحْتَطَبْتُ ، وَبِعَ وَلَا أَرِيَنَّكَ

خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنْ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُقْطَعٍ ، أَوْ لِذِي دَمٍ مَوْجِعٍ » .

شعرا :

يَا نَفْسُ جُدِّي تَذُوقِي لَذَّةَ الْعَمَلِ وَوَاطِئِي لَذَّةَ الْإِحْسَانِ فِي مَهَلٍ
فَكُلِّي ذِي عَمَلٍ بِالْخَيْرِ مُغْتَبِطٌ وَفِي بَلَاءٍ وَلُؤْمٍ كُلُّ ذِي كَسَلٍ
وَلِلْتَرْمِذِيِّ نَحْوُهُ عَنِ حَبَشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ ، وَفِيهِ : « وَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ
لِيُثْرِيَ بِهِ مَالَهُ كَانَ خُمُوشًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَرَضْفًا يَأْكُلُهُ فِي جَهَنَّمَ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقِلِّلْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْثِرْ » .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نَزَلَتْ فَاقَةٌ بِهِ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتَهُ ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بَرزُقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ » .

شعرا : لَمَّا افْتَقَرْتُ لِصَحْبِي مَا وَجَدْتُهُمْ جَاءَتْ لِلَّهِ لَبَانٍ وَأَعْنَانِي
وَأَهَا عَلَى بَدَلٍ وَجْهِي لِلرُّوَى سَفْهًا وَلَوْ بَدَلْتُ إِلَى مَوْلَائِي وَالْإِنِّي

آخر: وَلَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى وَلَا كَيْنَهَا الْأَرْزَاقُ يَقْسِمُهَا رَبِّي

وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ثلاثة أقسم عليهن وأحدنكم حديثاً فاحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاء ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقرٍ أو كلمة نحوها .

شعرا : صُنِّ الْوَجْهَ الَّذِي إِنْ لَمْ تَصُنَّهُ بَقِيَتْ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا ذَلِيلٌ
وَعِشْ حُرًّا وَلَا يَحْمِلْكَ ضُرٌّ عَلَى مَرْعَى لَهُ غِبٌّ وَيَيْلُ

فَلَيْسَ الرَّأْيُ إِلَّا الصَّبْرُ حَتَّى يُدْبِلَ الْيُسْرَ مَوْلَاكَ الْجَلِيلُ
 وَعَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « مَنْ يَتَكْفَلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا أَتَكْفُلُ لَهُ الْجَنَّةَ ؟
 فَقُلْتُ : أَنَا ! فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا » .

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ جِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ « يَا حَكِيمُ ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ
 خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُوْرَكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِأَشْرَافِ
 نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكَ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ
 مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، قَالَ حَكِيمُ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ
 بِالْحَقِّ لَا أُرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا » .

شِعْرًا: وَلَيْسَ بَزِينٍ لَامِرِيٍّ بِذُلِّ وَجْهِهِ
 آخِر: إِنَّ الْغِنْيَ هُوَ الْغِنْيُ بِرَبِّهِ
 آخِر: وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً
 فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةِ
 وَدَعَ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَابِهِمْ
 إِنْ الْعِبَادَ وَشَأْنُهُمْ وَأُمُورُهُمْ
 آخِر: أَيَا مَنْ لَا يَخِيبُ لَدَيْهِ رَاجٍ
 وَيَا ثِقَتِي عَلَى ظُلْمِي وَجُرْمِي
 أَقْلَنِي عَثْرَتِي وَتَلَاْفَ أَمْرِي
 فَمَا لِي غَيْرَ إِقْرَارِي بِذَنْبِي
 إِلَى غَيْرِ رَبِّ الْعَرْشِ بَارِي الْبَرِيَّةِ
 وَلَوْ أَنَّهُ عَارِي الْمَسَاكِينِ حَافِي
 فَادْعُ الْإِلَهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
 فَهُوَ اللَّطِيفُ لِمَا أَرَادَ فِعَالًا
 لَهْجًا تَضَعُضَعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
 يَبْدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ
 وَلَمْ يُبْرِمْهُ أَحَاحُ الْمُنَاجِي
 وَإِثَارِي التَّمَادِي فِي اللَّجَاجِ
 وَهَبْ لِي مِنْكَ عَفْوًا وَاقْضِ حَاجَ
 لِنَفْسِي دُونَ عُدْزِرٍ وَاحْتِجَاجِ

مَوْعِظَةٌ: عِبَادَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ أَنْ يَعِيشَ الْمَرْءُ قَانِعًا بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
 فَلَا يَمُدُّ بَصَرَهُ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَلَا تَتَطَّلَعُ نَفْسُهُ إِلَى سَلْبِ حُقُوقِ النَّاسِ أَوْ
 ظُلْمِهِمْ وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَى مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نِعَمِ جَسَامٍ فَإِنَّ الْقَانِعَ يَشْعُرُ وَيُحْسِنُ

بِسْكِينَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ كَمَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ كُلِّ الْخَلْقِ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتُ فِي الدُّنْيَا فَنَوْعًا فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ
آخِرُ : وَإِنَّ إِقْتِنَاعَ النَّفْسِ مِنْ أَحْسَنِ الْغِنَى كَمَا أَنَّ سُوءَ الْحِرْصِ مِنْ أَعْظَمِ الْفَقْرِ

وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ نَفْسًا رَاضِيَةً بِمَا قَسَمَ اللَّهُ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً لَمْ يَتَسَرَّبْ إِلَيْهَا الْجَشَعُ
وَالطَّمَعُ اللَّذَانِ هُمَا مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ وَأَسْوَأِ الشَّمَائِلِ وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ هَذَيْنِ أَوْ
أَحَدُهُمَا إِلَّا وَهُوَ مَذْمُومٌ وَبِأَقْبَحِ الصُّفَاتِ مَوْسُومٌ لَا تَعْرُضُ لَهُ الْقَنَاعَةُ وَلَوْ كَانَتْ
الدُّنْيَا بِإِسْرَاهَا لَهُ . قَدْ مَلَأَ حُبَّهَا قَلْبَهُ وَغَمَرَ مَحَبَّتِهَا وَالتَّفَانِي فِي طَلِبِ قَلْبِهِ وَصَارَ لَا
يَرْضَى مِنْهَا بِالْيَسِيرِ وَلَا يَقْنَعُ بِالكَثِيرِ وَقَلَّمَا تَجِدُ مُتَّصِفًا بِهَذَا الْوَصْفِ إِلَّا وَهُوَ
مُتَشَتِّتُ الْفِكْرِ قَلِيلُ الرَّاحَةِ عِنْدَهُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْهَلَعِ وَضَعْفُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ الشَّيْءِ
الكَثِيرِ الَّذِي يُحْشَى عَلَيْهِ مَعَ اسْتِدَامَتِهِ مَعَهُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ .

شِعْرًا : فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَبْلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ حَظًّا وَقِسْمَةً فَقَلَّةُ حِرْصِ الْمَرْءِ فِي الْكَسْبِ أَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ لَتْرِكٍ جَمْعُهَا فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْمَرْءِ يَبْخُلُ
آخِرُ : دَعِ الضَّرَاعَةَ لِلْمُحْتَاجِ مِثْلَكَ إِذْ مَا فِي الْخَلَائِقِ طُرًّا غَيْرَ مُحْتَاجٍ
وَاضْرَعْ إِلَى سَيِّدِ تُغْنِي مَوَاهِبُهُ عَنْ غَيْرِهِ وَهُوَ كَنْزُ الْقَاصِدِ الرَّاجِي
وَكَيفَ تَرْجُو سِوَى الْمَوْلَى وَأَنْتِ تَرَى مَا فِي الْبَرِيَّةِ طُرًّا غَيْرَ مُحْتَاجٍ
آخِرُ : فَاطْلُبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ بِإِدِي الضَّرَاعَةِ طَالِبًا مِنْ طَالِبِ
آخِرُ : أَرَى الْيَأْسَ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ النَّاسَ رَاحَةً تَمِثُّ بِهَا عُسْرًا وَتُحْيِي بِهَا يُسْرًا

أَمَّا الْقَانِعُ ذُو النَّفْسِ الْأَبْيَةِ الرَّاضِيَةِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْمُتَوَكِّلَةِ عَلَى اللَّهِ فَيَرْجَى لَهَا
أَنْ تَنَالَهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً
مَرْضِيَّةً ﴾ الْآيَةُ .

قَالَ ﷺ مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافَى فِي بَدَنِهِ مَعَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا
حَيْرَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدِافِيرِهَا .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُتَادَى فِيهِ مَلَكٌ مِنْ
تَحْتِ الْعَرْشِ يَا ابْنَ آدَمَ قَلِيلٌ يَكْفِيكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْعِمُكَ .

شِعْرًا: لَا تَجْزَعَنَّ لِعُسْرَةٍ مِنْ بَعْدِهَا يَسْرَانِ وَعَدُّ لَيْسَ فِيهِ خِلَافٌ
كَمْ عُسْرَةٌ ضَاقَ الْفَتَى بِنُزُولِهَا لِلَّهِ فِي أَعْقَابِهَا الطَّافُ
آخِر: كَمْ كَافِرٍ بِاللَّهِ أَمْوَالُهُ تَزْدَادُ أَضْعَافًا عَلَى كُفْرِهِ
وَمُؤْمِنٌ لَيْسَ لَهُ دِرْهَمٌ يَزْدَادُ إِيمَانًا عَلَى فَقْرِهِ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ عَاقِلًا يُمِدُّ رَجُلِيهِ عَلَى قَدْرِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَطْيَبُ الْعَيْشِ الْقَنَاعَةُ وَأَنْكَدُ الْعَيْشِ الْجَشَعُ وَمِنْ
الْإِخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ بَخِيلًا بِمَا فِي يَدِهِ مُتَطَلِّعًا لِمَا فِي أَيْدِي
النَّاسِ الْحِرْصُ وَالْأَفْرَاطُ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى اهْتِدَارِ
الْكَرَامَةِ وَارَاقَةِ مَاءِ الْوَجْهِ فَالْحَذَرُ عِبَادَةَ اللَّهِ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّهَا
رَأْسُ كُلِّ حَاطِيئَةٍ .

شِعْرًا: إِنْ رُمْتَ عِزًّا عَلَى فَقْرٍ تُكَابِدُ فَاسْتَعْنِ عَنِ مَالِ أَهْلِ الْبَدَخِ وَالْبَطْرِ
فَإِنَّمَا النَّفْسُ مَا لَمْ تَنَأْ عَنِ طَمَعٍ فَرِيْسَةٌ بَيْنَ ذُلِّ النَّفْسِ وَالظُّفْرِ
آخِر: أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا مَطِيئَةٌ رَاكِبٍ تَسِيرُ بِهِ فِي مَهْمَةٍ وَسَبَاسِبِ
فَإِنَّمَا إِلَى خَيْرٍ يَسُرُّ نَوَالُهُ وَأَمَّا إِلَى شَرٍّ وَسُوءٍ مَعَاطِبِ
فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ أَفْضَلُ مَقْصِدٍ لَمَا كُنْتُ فِي طُولِ الْحَيَاةِ بَرَاعِبِ
مُلَازِمَةٌ خَيْرِ اعْتِقَادٍ مُنْزَهًا عَنِ النَّقْصِ وَالتَّشْبِيهِ رَبِّ الْمَوَاهِبِ
وَنَشْرُ عُلُومِ لِلشَّرِيعَةِ نَاطِمًا عُقُودَ مَعَانِيهَا لِتَفْهِيمِ طَالِبِ
وَصَوْنِي نَفْسِي عَنِ مُزَاحِمَةِ عَلِيٍّ دَنِيٍّ حُطَامٍ أَوْ عَلِيٍّ مَنَاصِبِ
فَفِي ذَاكَ عِزٌّ بِالْقُنُوعِ وَرَاحَةٌ مُعْجَلَةٌ مِنْ خَوْفِ ضَيْدٍ مُعَالِبِ
وَحَسْبُكَ فِي ذَا قَوْلٍ عَالِمِ عَصْرِهِ مَقَالٌ مُحِقٌّ صَادِقٍ غَيْرِ كَاذِبِ
كَمَالُ الْفَتَى بِالْعِلْمِ لَا بِالْمَنَاصِبِ وَرُتْبَةٌ أَهْلِ الْعِلْمِ أَسْنَى الْمَرَاتِبِ

آخر: إذا ما حذرت الأمر فاجعل إزاءه رُجوعاً إلى ربِّ يقيك المحاذراً
 ولا تحش أمرأ أنت فيه مفوضٌ إلى الله غايات له ومصادراً
 وكُن للذي يقضي به الله وحده وإن لم تُوافقه الأمانى شاكراً
 ولا تفخرن إلا بثوب صيانة إذا كنت يوماً بالفضيلة فآخراً
 وإني كفيلاً بالنجاة من الأذى لمن لم يبت يدعو سوى الله ناصراً

قال بعضهم في مناجاته لربه إلهي وسيدي ومولاي وعزتك وجلالك ما أردت
 بمعصيتك مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك جاهل، ولا بعقوبتكم
 مستخف، ولكن سألني نفسي، وغلبت علي شقوتي، واغتررت بسيرك
 المرخي علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بسفهي واسواتاه من الوقوف بين يديك
 واحجلاه من العرض عليك، فكم أتوب وأعود، وأعاهد واتقض العهود.

آخر: وإني امرؤ بالطبع الغني مطامعي وأزجر نفسي طابعاً لا تطبعاً

وعندي غنى نفسٍ وفضل قناعة
 ولست كمن إن ضاق ذرعاً تضرعاً
 وإن مد نحو الزاد قوم أكفها
 تأخرت بآعاً إن دنا القوم أصبعا
 ومذ كانت الدنيا لدى دنيئة
 تعرضت للإعراض عنها ترفعاً
 وذلك لعلمي إنما الله رازق
 فمن غيره أرجو وأخشى وأجزعاً
 فلا الضعف يقصي الرزق إن كان دانياً
 ولا الحول يذنيه إذا ما تجزعاً
 فلا تبطرن إن نلت من دهرك الغنى
 وكُن شامخاً بالأنف إن كنت مُدقعاً

فَقَدَّرُ الْفَتَى مَا حَازَهُ وَأَفَادَهُ
 مِنْ الْعِلْمِ لَا مَالَ حَوَاهُ وَجَمَعَا
 فَكُنْ عَالِمًا فِي النَّاسِ أَوْ مُتَعَلِّمًا
 وَإِنْ فَاتَكَ الْقِسْمَانِ أَصْغِرْ لِتَسْمَعَا
 وَلَا تَكْ لِلْأَقْسَامِ مَا اسْتَطَعْتَ رَابِعًا
 فَتُذَرُّ عَنْ وُرْدِ النَّجَاةِ وَتُذْفَعَا

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا
 لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا
 اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَّةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَّا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ
 وَنَبْهِنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
 تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ
 الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْآحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ
 تِسْعَةَ أَوْ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ ، فَقَالَ : « أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ » وَكُنَّا حَدِيثِي
 عَهْدٍ بَبَيْعَةٍ ، فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ
 اللَّهِ ؟ قَالَ : فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ ؟
 قَالَ : أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَتُطِيعُوا اللَّهَ
 وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً ، وَلَا تَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئًا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيكَ النَّفْرِ
 يَسْقُطُ سَوْطَ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ .

شعرا: مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبٍ فَإِنَّ نَاصِرَهُ وَعَجْزُ وَخُذْلَانُ
 آخِر: مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبٍ أَجَابَ كُلُّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ يَلْمُ

آخر : فَحَسِّنِ الْوَعْدَ بِالْإِنْجَازِ تُتْبِعُهُ إِذَا مَوَاعِيدُ قَوْمٍ شَانَهَا الْخُلْفُ
إِنِّي لِأَكْرَمُ وَجْهِي أَنْ أُوجِّهَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ لِغَيْرِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
عِزُّ الْقِنَاعَةِ وَالْإِيْمَانُ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّعْرُضِ لِلْمِنَانَةِ النَّكَدِ
رَضِيْتُ بِاللَّهِ فِي يَوْمِي وَفِي غَدِهِ وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَأْمُولٍ لِبَعْدِ غَدِ

آخر: إِسْتَرْزِقِ اللَّهَ فَالْأَرْزَاقُ فِي يَدِهِ وَلَا تُمُدُّ إِلَى غَيْرِ الْإِلَهِ يَدَا
آخر: مَا شِقْوَةُ الْمَرْءِ فِي فَقْرٍ يَعْيشُ بِهِ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْتِسَارِ
إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ وَالْفَوْرَ فَوْرُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ : شَرِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَبَنًا
فَأَعْجَبَهُ ، فَسَأَلَ الَّذِي سَقَاهُ : مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى مَاءٍ - قَدْ
سَمَّاهُ - فَإِذَا نَعَمٌ مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ وَهُمْ يَسْقُونَ ، فَحَلَبُوا مِنَ الْبَاطِنِ فَجَعَلَتْهُ فِي
سِقَاتِي فَهُوَ هَذَا فَأَدْخَلَ عُمَرُ يَدَهُ فِي فَمِهِ فَاسْتَقَاءَ . أَيِ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِهِ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ ، فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرِمَنِي ، فَقَالَ : خُذْهُ
فَتَمَوَّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرَ مُشْرِفٍ وَلَا
سَائِلٍ ، فَخُذْهُ ، وَمَالًا فَلَا تُتْبِعُهُ نَفْسَكَ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ ابْنِ السَّاعِدِيِّ قَالَ : اسْتَعْمَلَنِي عُمَرُ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا
فَرَعْتُ مِنْهَا وَأَدَيْتُهَا إِلَيْهِ أَمَرَ لِي بِعَمَالَةٍ . فَقُلْتُ أَنَّمَا عَمِلْتُ لِلَّهِ ، قَالَ :
خُذْ مَا أُعْطَيْتَ فَإِنِّي قَدْ عَمِلْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَعَمَلَنِي ، فَقُلْتُ : مِثْلَ قَوْلِكَ . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « إِذَا أُعْطِيَتْ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَهُ فَكُلْ وَتَصَدَّقْ » رَوَاهُ أَبُو
دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ : أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » رَوَاهُ الْخَمْسَةُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا .

وَقَدْ اشْتَمَلَ الْحَدِيثَانِ الْأَخِيرَانِ عَلَى جَمَلِ جَامِعَةٍ نَافِعَةٍ :

الأولى : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ » فَفِيهَا الْحَثُّ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى انْصِرَافِهَا عَنِ التَّلَقُّقِ بِالْمَخْلُوقِينَ ، وَذَلِكَ بِالِاسْتِعْفَافِ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ، فَلَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيْئًا لَا يَلْسَانِ الْحَالِ وَلَا يَلْسَانَ الْمَقَالِ بَلْ يَكُونُ مُعْتَمِدًا عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ .

شعرا : أَحْسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّ عَوْدِكَ حَسَنًا أَمْسَى وَسَوَى أَوْدُكَ
إِنَّ رَبًّا يَكْفِيكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ سَيِّئُكَ غَدُكَ

آخر : إِذَا مَا شِئْتَ طَيْبَ الْعَيْشِ فَانظُرْ إِلَى مَنْ بَاتَ أَسْوَأَ مِنْكَ حَالًا
وَأَخْفَضَ رُبَّةً وَأَقْلَّ قَدْرًا وَأَنْكَدَ عَيْشَةً وَأَقْلَّ مَالًا

آخر : لَا تَسْأَلَنَّ إِلَى صَدِيقِ حَاجَةً فِيحُولُ عَنْكَ كَمَا الزَّمَانُ يَحُولُ
وَاسْتَعْنِ بِالشَّيْءِ الْقَلِيلِ فَإِنَّهُ مَا صَانَ عِرْضَكَ لَا يُقَالُ قَلِيلُ

مَنْ عَفَّ حَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخْوَكَ مَنْ وَفَّرَتْ مَا فِي كَفِّهِ
وَأَخْوَكَ مَنْ وَفَّرَتْ مَا فِي كَفِّهِ

آخر : نَصَحْتُكَ لَا تَأْتِي لِمَخْلُوقٍ سَائِلًا وَتَتْرُكُ بَابَ اللَّهِ ذِي الْفَضْلِ جَانِبًا
وَفِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ : وَهِيَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ

يَسْتَفْنِ يُغْنِيهِ اللَّهُ « الْحَثُّ عَلَى الْاسْتِغْنَاءِ بِاللَّهِ وَالثِّقَّةُ بِهِ وَالاعْتِمَادُ عَلَيْهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ .

وَالثَّلَاثَةُ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ » فَفِيهَا أَيْضًا الْحَثُّ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى الصَّبْرِ الَّذِي هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مَا تَكَرَّرَهُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا وَعَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَتْرُكَهَا لِلَّهِ ، وَإِلَى الصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ فَلَا يَتَسَخَّطُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنِ كَثْرَةِ الْعَرَضِ . . . الخ » بَيَّانٌ أَنَّ الْغِنَى لَيْسَ بِسَعَةِ الثَّرْوَةِ وَوَفْرَةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ الْمَنَاعِ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، فَمَنْ اسْتَفْنَى بِمَا فِي يَدِهِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَلَمْ تَشْرُفْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَلَمْ تَتَطَلَّعْ إِلَيْهِ فَهُوَ الْغِنَى الْجَدِيدُ بَلَقِبِ الْغِنَى ، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ مُقْلًا ، إِذْ رِضَاهُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ ، وَعِيفَتُهُ وَزُهْدُهُ وَقَنَاعَتُهُ جَعَلَتْهُ فِي دَرَجَةٍ مِنَ الْغِنَى دُونَهَا بِطَبَقَاتِ أَهْلِ الثَّرَاءِ الَّذِينَ حُرْمُوا الزُّهَادَةَ وَالْقَنَاعَةَ وَالرِّضَا بِمَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ ، الَّذِينَ تَذَهَبُ أَنْفُسُهُمْ حَسْرَةً إِذَا فَاتَتْهُمْ صَفْقَةٌ أَوْ ضَاعَتْ عَلَيْهِمْ فُرْصَةٌ . بَلْ مَا جَاءَهُ رِضْيَ بِهِ وَقَبِيحَ بِخِلَافٍ مَنْ كَثُرَ مَالُهُ وَتَشَعَّبَتْ أُمْلَاكُهُ وَصَارَ قَلْبُهُ مُوزَعًا بَيْنَ ضَيْعَتِهِ وَعِمَارَاتِهِ وَذَهَبِهِ وَفِضَّتِهِ وَأُورَاقِهِ وَسَائِرِ أَمْوَالِهِ وَلَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا جَمْعُ الْمَالِ فَهُوَ مَعْشُوقُهُ يَحْرِصُ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْحَرْصِ ، وَأَسْمَعُ إِلَى مَنْ يَصْرِفُ الْمُبَالَغَةَ فِي الْمَدْحِ إِلَى الْمَخْلُوقِ وَيُنْسِي الْخَالِقَ .

مَنْ زَارَ بَابَكَ لَمْ تَبْرُخْ جَوَارِحُهُ تَرْوِي أَحَادِيثَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ مَنْنِ
فَالْقَلْبُ عَنِ جَابِرٍ وَالْكَفُّ عَنِ صِلَةِ وَالْعَيْنُ عَنِ قُرَّةٍ وَالسَّمْعُ عَنِ حَسَنِ
آخِرُ : وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْ جَهَوْلِ عَصَى رَبِّ الْعِبَادِ مَدَى الْحَيَاةِ
يُضَيِّعُ عُمُرَهُ فِي جَمْعِ مَالٍ مَخَافَةَ فَقْرِهِ أَوْ لِلتَّبَاهِي

وَيَتَمَيَّزُ غَيْظًا إِذَا فَاتَهُ مِنْهُ الْقَلِيلُ وَيُودِّهِ لَوْ ضَمَّ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ إِلَى مَا فِي يَدِهِ لَا يَتَلَذُّ بِمَا كَلَّ وَلَا بِمَشْرَبٍ وَلَا يَرْتَاخُ لِمَنَادِمَةِ جَلِيسٍ لَا شَتِغَالَ قَلْبِهِ بِهِ فَهَذَا هُوَ الْفَقِيرُ حَقًّا الْمَحْرُومُ صِدْقًا وَصَدَقَ مَنْ قَالَ :

آخر: وذو حرصٍ تراه يلمّ وفرأ لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاور فريسته ليأكلها سواه
آخر: أصبحت الدنيا لنا عبرة والحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها وما أرى منهم لها تاركا
آخر:

يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوَرَاثِ مَا يَدْعُ
كَدْوَدَةَ الْقَرْ مَا تَبْنِيهِ يَهْدُمُهَا وَغَيْرُهَا بِالذِّي تَبْنِيهِ يَتَنَفَعُ
آخر:

إِذَا زَادَكَ الْمَالُ إِفْتِقَارًا وَحَاجَةً إِلَى جَامِعِيهِ فَالثَّرَاءُ هُوَ الْفَقْرُ
آخر:

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ خَافَةَ فَقْرٍ فَالذِّي فَعَلَ الْفَقْرُ
اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا أَمْرَ الرِّزْقِ وَأَعْصِمْنَا مِنَ الْحَرْصِ وَالتَّعَبِ فِي طَلْبِهِ وَمَنْ
شَغَلَ الْقَلْبَ وَتَعَلَّقَ الْهَمَّ بِهِ ، وَمَنْ الدَّلَّ لِلخَلْقِ بِسَبَبِهِ وَمَنْ التَّفَكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ
فِي تَحْصِيلِهِ ، وَمَنْ الشُّحَّ وَالْحَرْصَ عَلَيْهِ بَعْدَ حُصُولِهِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادِ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلَامِ الْحَيِّ
الْقَيُّومِ الَّذِي لَا يَنَامُ وَأَوْصِيكُمْ فِي مُعَامَلَتِهِ بِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَاهُ فِي الْأَقْدَامِ
وَالْأَحْجَامِ وَالْفَرْعِ إِلَيْهِ عِنْدَ تَفَاقُمِ الشَّدَائِدِ وَاشْتِبَاهِ الْأَحْكَامِ ، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ
فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ فِي النُّقْضِ وَالْأَبْرَامِ ، وَالرَّغْبَةِ فِيهَا لَدَيْهِ فَبَيْدِهِ

الْخَيْرُ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ، وَمَقَابِلَةَ قَضَائِهِ بِحَقِيقَةِ الرِّضَى وَالِاسْتِسْلَامِ ، أَمَا شَرَفَكُمْ وَفَضْلَكُمْ بِجَزِيلِ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ ، أَمَا أَوْضَحَ لَكُمْ الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، أَمَا بَعَثَ إِلَيْكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ لِتَبْلِيغِ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ ، أَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أَوْدَعَهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ، أَمَا دَعَاكُمْ إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالِاعْتِصَامِ ، أَمَا حَثَّكُمْ إِلَى الْعَمَلِ فِيمَا يُقَرِّبُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، أَمَا حَذَّرَكُمْ عَوَاقِبَ مَعَاصِيهِ وَنَهَاكُمْ عَنِ الْإِثَامِ ، أَمَا أَنْذَرَكُمْ هَوَلَ يَوْمٍ أُطْوِلَ الْأَيَّامَ ، الْيَوْمَ الَّذِي يَشِيبُ فِيهِ الْوِلْدَانَ ، وَتَنْفَطِرُ فِيهِ السَّمَاءُ ، وَتَنْكَدِرُ فِيهِ النُّجُومُ ، وَتَظْهَرُ فِيهِ أُمُورٌ عِظَامٌ ، أَمَا خَوَّفَكُمْ مَوَارِدَ الْجِمَامِ ، أَمَا ذَكَرَكُمْ مَصَارِعَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْإِنَامِ ، أَمَا أَمَدَّكُمْ بِالْأَبْصَارِ وَالِاسْمَاعِ وَصِحَّةِ الْأَجْسَامِ ، أَمَا وَعَدَّكُمْ بِقَبُولِ تَوْبَةِ التَّائِبِينَ رَحْمَةً مِنْهُ جَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ ، فَوَاللَّهِ لِحَقِّ لِهَذَا الرَّبِّ الْعَظِيمِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى عَلَى الدَّوَامِ ، فَيَا أَيُّهَا الشُّيُوخُ بَادِرُوا فَمَا لِلزَّرْعِ إِذَا أَحْصَدَ إِلَّا الصَّرَامُ ، وَيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ جُدُّوا فِي الْعَمَلِ قَرُبَ أَمْرِيءَ مَا بَلَغَ التَّمَامَ ، وَاحذَرُوا عِقَابَ رَبِّكُمْ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، يَوْمَ مَا أُطْوِلَ الْوُقُوفَ فِيهِ وَأَثْقَلَهُ عَلَى كُلِّ مُجْرِمٍ جِبَارٌ يَوْمَ الْمُنَاقَشَةِ فِيهِ عَنِ الْفَيْتِيلِ وَالنَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَصَغَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالْكَبَائِرِ ، فَتَاهَبُوا لِذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَاسْتَعِدُّوا لَهُ أْتَمَّ اسْتِعْدَادٍ .

اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ يَا وَاصِعَ الْمَغْفِرَةِ يَا قَرِيبَ الرَّحْمَةِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ ، وَلَا تَشْغَلْنَا بِمَا تَكْفَلْتَنَا بِهِ ، وَهَبْ لَنَا الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

لَكَ الْحَمْدُ وَالتَّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا وَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَمَجْدًا

مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيَّمِنٌ
لِعِزَّتِهِ تَعْنُوا الْوُجُوهَ وَتَسْجُدُوا
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَقْدِرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ
وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدٌ
وَمَنْ لَمْ تُنَازِعْهُ الْخَلَائِقُ مُلْكَهُ
وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ الْعِبَادُ فَمُفْرَدٌ
مَلِيكَ السَّمَوَاتِ الشَّدَادِ وَأَرْضِهَا
وَلَيْسَ بِشَيْءٍ عَنِ قَضَائِهِ تَأْوُدُ
هُوَ اللَّهُ بَارِي الْخَلْقِ ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ
إِمَاءٌ لَهُ طَوْعاً جَمِيعاً وَأَعْبُدُ
وَأَتَى يَكُونُ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي
يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِباً لَيْسَ يَهْمِدُ
تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الْجَوَانِحُ فِي الْخَفَاءِ
وَإِذَا هِيَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ تُصَعَّدُ
وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا
وَسَبَّحَهُ الْأَشْجَارُ وَالْوَحْشُ أَبَدُ
وَسَبَّحَهُ النَّيَّانُ وَالْبَحْرُ زَاجِراً
وَمَا ظَمَّ مِنْ شَيْءٍ وَمَا هُوَ مُقَلِّدُ
أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُقِيمُ عَلَى الْهَوَى
إِلَى أَيِّ جَيْنٍ مِنْكَ هَذَا التَّصَدُّدُ
عَنِ الْحَقِّ كَالْأَعْمَى الْمُمِيطِ عَنِ الْهُدَى
وَلَيْسَ يَرُدُّ الْحَقُّ إِلَّا مُفَنِّدُ
وَحَالَاتٍ دُنِيّاً لَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا

فَبَيَّنَ الْفَتَىٰ فِيهَا مَهَيْبٌ مُّسَوِّدٌ
إِذْ انْقَلَبَتْ عَنْهُ وَزَالَ نَعِيمُهَا
وَأَصْبَحَ مِنْ تُرْبِ الْقُبُورِ يُوسِّدُ
وَفَارَقَ رُوحاً كَانَ بَيْنَ جَنَانِهِ
وَجَاوَزَ مَوْتِي مَا لَهُمْ مُتَرَدِّدُ
فَأَيُّ فَتَىٰ قَبْلِي رَأَيْتَ مُخَلِّدًا
لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَا يَتَوَدَّدُ
فَلَمْ تَسْلَمْ الدُّنْيَا وَإِنْ ظَنَّ أَهْلُهَا
بِصِحَّتِهَا وَالدَّهْرُ قَدْ يَتَجَرَّدُ
أَلَسْتَ تَرَىٰ فِيمَا مَضَىٰ لَكَ عِبْرَةً
فَمَهْ لَا تَكُنْ يَا قَلْبُ أَعْمَىٰ يُلْدُدُ
فَكُنْ حَافِئًا لِلْمَوْتِ وَالْبَعْثِ بَعْدَهُ
وَلَا تَكُ مِمَّنْ غَرَّهُ الْيَوْمُ أَوْ غَدُ
فَإِنَّكَ فِي دُنْيَا غُرُورٍ لِأَهْلِهَا
وَفِيهَا عَدُوٌّ كَاشِحُ الصَّدْرِ يُوقِدُ

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِالْإِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ
بِالنَّوَالِ وَحَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ
جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْأَثَارِ الشَّرْعِيَّةِ فِي فَضْلِهَا .

٢ - أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ .

٣ - بَيَانُ عِظَمِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَفِي الْحَرَمَيْنِ .

٤ - الْأَوْلَوِيَّةُ فِي الصَّدَقَةِ لِلْأَقْرَبَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ .

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْأَثَارِ الشَّرْعِيَّةِ فِي فَضْلِهَا :

تُسَنُّ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً . . . الْآيَةُ ﴾ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِمِثْلِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ قَوْمٌ عُرَاءَ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، عَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرٍ بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍ . فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ - إِلَى آخِرِ الْآيَةِ - إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعٍ بُرِّهِ مِنْ صَاعٍ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَيْفُهُ تَعَجَّزُ عَنْهَا ، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ .

ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَهُ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مَذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَهَذَا الْكَلَامُ الْبَلِيغُ دَعْوَةٌ إِلَى التَّنَافُسِ فِي الْخَيْرِ وَالتَّسَابُقِ فِي افْتِتَاحِ مَشْرُوعَاتِهِ .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ . فَقَالَ : هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ » .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا : « إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَتَدْفَعُ مِئْتَةَ السُّوءِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ .

وَكَمَا أَنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهِيَ تُطْفِئُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ .

وَعَنْ مِرْنَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَقُولُ : « إِنَّ ظِلَّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَصَدَقَةُ السَّرِّ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَعِيمًا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » وَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ

فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ . ثُمَّ تَلَا ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ بَاكُرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا .

وَفِي حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَكُنَّا فِي صُفَّةٍ بِالْمَدِينَةِ فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَنَاهُ مَلَكَ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَجَاءَ بِرُهُ بِوَالِدِيهِ فَرَدَّ مَلَكَ الْمَوْتِ عَنْهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ فَجَاءَهُ وَضُوؤُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَرَدَ الشَّيَاطِينُ عَنْهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْتَهُبُ وَفِي رِوَايَةٍ يَلْتَهُبُ عَطَشًا كُلَّمَا دَنَا مِنْ حَوْضٍ مُنِعَ وَطُرِدَ فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ وَأَرَوَاهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ جُلُوسًا حَلَقًا حَلَقًا كُلَّمَا دَنَا إِلَى حَلِقَةٍ طُرِدَ فَجَاءَهُ غُسْلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِي ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِيهَا فَجَاءَهُ حَجُّهُ وَعَمْرَتُهُ فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلَاهُ فِي النُّورِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي بَوَاجِهُهُ وَهَجَّ النَّارِ وَشَرَّرَهُ فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سِتْرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ

وَزَلَّلْتُ عَلَى رَأْسِهِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يُكَلِّمُونَهُ
فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ لِرَجْمِهِ فَقَالَتْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ كَانَ وَصُولًا لِرَجْمِهِ
فَكَلَّمُوهُ فَكَلَّمَهُ الْمُؤْمِنُونَ وَصَافَحُوهُ وَصَافَحَهُمْ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ
اِحْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ
أَيْدِيهِمْ وَأَدْخَلَهُ فِي مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ
وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ فَجَاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَى
اللَّهِ .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ ذَهَبَتْ صَحِيفَتُهُ مِنْ قِبَلِ شِمَالِهِ فَجَاءَهُ
خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَمِينِهِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ
أُمَّتِي خَفَّ مِيزَانُهُ فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَثَقَلُوا مِيزَانَهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا
عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَجَاءَهُ رَجَاؤُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ
وَمَضَى .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَهْوَى فِي النَّارِ فَجَاءَتْهُ دَمَعَتُهُ الَّتِي بَكَى
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى الصِّرَاطِ يَرْعُدُ كَمَا تَرْعُدُ السَّعْفَةُ
فِي رِيحِ عَاصِفٍ فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَكَنَ رِعْدَتَهُ وَمَضَى ،
وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَحْبُو أَحْيَانًا وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَانًا
فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَأَنْقَذَتْهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى
أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَغَلَّقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَفُتِحَتْ لَهُ الْأَبْوَابُ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو
مُوسَى الْمَدِينِيُّ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ يُعْظَمُ شَأْنُ هَذَا الْحَدِيثِ وَبَلَغَنِي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ
شَوَاهِدُ الصَّحَّةِ عَلَيْهِ انْتَهَى .

وَبِمُنَاسَبَةِ سِيَاقِهِ هُنَا قَوْلُهُ فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سِتْرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ وَظَلَّلَتْ عَلَى رَأْسِهِ : قَالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ وَفِي تَمَثِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّدَقَةِ بِمَنْ قُدِّمَ لِيُضْرَبَ عَنْقُهُ فَانْتَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِمَالِهِ كِفَايَةً فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَفْدِي الْعَبْدَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ تَقْتَضِي هَلَاكَهُ فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ تَفْدِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَتُنْفِكُهُ مِنْهُ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ لَمَّا خَطَبَ النِّسَاءَ يَوْمَ الْعِيدِ : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » وَكَأَنَّهُ حَضَّهُنَّ وَرَغَّبَهُنَّ عَلَى مَا يَفْدِيَنَ بِهِ أَنْفُسَهُنَّ مِنَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ قُوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ ، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ ، وَالسِّنْتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ ، وَنُفُوسَنَا مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ ، وَأَمْنَا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأُخْرَانَا وَأَهْلِنَا وَمَالِنَا ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَأَمِّنْ رَوْعَاتِنَا ، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا ، وَتَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) : وَصَدَقَةُ التَّطَوُّعِ بِطَيْبِ نَفْسٍ أَفْضَلُ مِنْهَا بِدُونِهِ لِمَا فِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ الْعَاضِرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ : مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحَدَهُ ، وَعَلِمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَالصَّدَقَةُ فِي الصَّحَّةِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا ؟ قَالَ : « أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَجِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمَلُ الْغِنَى ، وَلَا تُهْمَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلُقُومُ قُلْتَ : لِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ يُسَابِقُ فِي مَيْدَانِ الْخَيْرَاتِ بِمَا يُقَدِّمُهُ مِنَ الصَّلَاةِ
وَالْإِحْسَانِ لِإِخْوَانِهِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَنَاخَ الْفَقْرُ عَلَيْهِمْ وَعَضَّهُمْ الْبُؤْسُ بِنَابِهِ
وَأَوْجَعَهُمْ بِكَلَابِهِ الَّذِينَ لَا مَوَارِدَ لَهُمْ لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ الَّذِينَ لَوْ رَأَيْتَهُمْ
لظننتهم من الأغنياء وأهل الثروة والمال والله أعلم بما يقاسونه من
الدُّيُونِ لِمَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الصَّغَارِ وَالْكَبَارِ وَمَا يُقَاسُونَ مِنْ أَلَمِ الْجُوعِ
وَالْفَقْرِ وَالشَّدَةِ وَالْعُسْرِ لَكِنْ يَمْنَعُهُمُ الْحَيَاءُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ أَنْ يَمْدُوا أَيْدِيَهُمْ
لِلسُّؤَالِ وَأَنْ يَطْلُبُوا الرِّزْقَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالَى الرَّزَاقِ وَهَؤُلَاءِ هُمُ
الَّذِينَ يَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءُ بِهِمْ وَالْبَحْثُ عَنْ أحوالِهِمْ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ جِيرَانِهِمْ
وَأَقْرَبَائِهِمْ حَتَّى تَقَعَ الصَّدَقَةُ مَوْقِعَهَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَصْفُهُمْ قَالَ
تَعَالَى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ ﴾ .

وَأَوْصَى بِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي
يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَكِنْ
الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ
فَيَسْأَلُ النَّاسَ » .

وَلَمَّا كَانَ الصُّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ حَرِيصِينَ جِدًّا عَلَى
مَا يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ سَأَلَ أَحَدُهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ فَأَجَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ « أَنْ تَصَدَّقَ
وَأَنْتَ صَاحِبُهَا » أَيِ الْجِسْمِ مُعَافَاً فِي الْبَدَنِ تَتَمَتَّعُ بِقَوَاكِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْجِسْمِيَّةِ
شَاحِجِ تَأْمَلِ الْغِنَى أَيِ تَطْمَعُ فِيهِ لِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ عَنْ طَرِيقِ الْمَكَاسِبِ
وَالْأَرْبَاحِ وَتَخْشَى الْفَقْرَ « وَإِنَّمَا كَانَتْ الصَّدَقَةُ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَفْضَلُ لِمَا
تَسْتَدْعِيهِ مِنْ شِدَّةِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى إِخْرَاجِ الْمَالِ مَعَ قِيَامِ الْمَانِعِ
وَهُوَ الشُّحُّ فَأِخْرَاجُهُ حِينَئِذٍ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ

وَصِحَّةِ الْقَصْدِ وَشِدَّةِ الرُّغْبَةِ فِيمَا يُقْرَبُ إِلَى اللَّهِ وَلَا تُهْمَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ
 الْحُلُقُومَ « أَي بَلَغْتَ الرُّوحَ مَجْرَى النَّفْسِ وَذَلِكَ عِنْدَ الْغُرْغَرَةِ » قُلْتَ لِفُلَانٍ
 كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا « وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الْمُوصِي وَالْمُوصَى لَهُ فَالْحَدِيثُ يُرْشِدُنَا
 إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُؤَخَّرَ الصَّدَقَةَ إِلَى وَقْتِ مُعَايَنَةِ الْمَوْتِ وَالْإِبْدَانِ
 بِالْأَنْصِرَافِ عَنِ الدُّنْيَا وَمُفَارَقَةِ نَعِيمِهَا وَقَدْ نَبَّهَنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى هَذَا
 حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
 فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ
 يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

شَعْرًا: فَعَقِبِي كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتِ
 وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمٍ يُورِّعُ فِي الْبَيْنِ فِي الْبَنَاتِ
 وَفِي مَنْ لَمْ تُؤْهَلْهُمْ بِفَلْسٍ وَقِيَمَةَ حَبَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ
 وَتَنَسَّانَا الْأَحْبَةَ بَعْدَ عَشْرِ وَقَدْ صِرْنَا عِظَامًا بِالْيَاتِ
 كَأَنَّا لَمْ نَعَاشِرْهُمْ بِوَدِّ وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ نُحْلُ مُوَاتِ

آخِر: وَمَا طَرَبْتُ لِمَشْرُوبٍ أَلْذُ بِهِ وَلَا لِعِشْتِي ظَبَاءِ الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
 لَكِنْ طَرَبْتُ إِلَى وَقْتِ أَتَالِ بِهِ غِنَى فَأَبْدَلُهُ فِي طَاعَةِ الصَّمَدِ

آخِر: وَمَا ضَرَبْتَنِي إِثْلَافُ عُمْرِي كُلِّهِ إِذَا كَانَ وَقْتِي فِي رِضَا خَالِقِي يَجْرِي

اللَّهُمَّ قَوِي إِيْمَانَنَا بِكَ وَتَوَّر قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ،
 اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأُمَّنًا مِنْ
 سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ، اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبَكَ الْمُفْلِحِينَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
 الْمُخْلِصِينَ وَأُمَّنًا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيْتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَمَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ . قَالَ : « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقُولُ الْعَبْدُ : مَالِي مَالِي ، وَإِنَّمَا مَالُهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ : مَا أَكَلَ فَأَقْنَى ، أَوْ لَيْسَ فَأَبْلَى ، أَوْ أُعْطِيَ فَأَقْنَى ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِنَاسٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٢ - وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مُقْبَلٍ :

وَكَانَ السَّلْفُ يُؤَثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَقْدُمُونَ الْمَحَاوِنِجَ عَلَى حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ وَيَبْتَدُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ فِي حَالِ احتِيَاجِهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤَثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وَبَيَّنَّ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقْبَلِ » وَهَذَا الْمَقَامُ أَعْلَى مِنْ حَالِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَصَدَّقُوا وَهُمْ يُحِبُّونَ مَا تَصَدَّقُوا بِهِ وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَيْهِ وَلَا ضَرُورَةٌ وَهَؤُلَاءِ آثَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ خِصَاصَتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَا أَنْفَقُوهُ ، وَمَنْ هَذَا الْمَقَامُ تَصَدَّقَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَمِيعِ مَالِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَبْقَيْتُ لِأَهْلِكَ؟ فَقَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، وَهَكَذَا الْمَاءُ الَّذِي عُرِضَ عَلَى عِكْرِمَةَ وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ الِيزْمُوكِ فَكُلُّ مَنْهُمْ يَأْمُرُ بِدَفْعِهِ إِلَى

صَاحِبِهِ وَهُوَ جَرِيحٌ مُثْقَلٌ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى الْمَاءِ فَرَدَّ الْآخَرَ إِلَى الثَّالِثِ
فَمَا وَصَلَ إِلَى الثَّالِثِ حَتَّى مَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَلَمْ يَشْرَبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ .

٣ - بَيَانُ عِظَمِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي الْحَرَمَيْنِ :

وَالصَّدَقَةُ فِي رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ -
وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ
رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ
جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ » .

وَلِأَنَّ الصَّدَقَةَ فِي رَمَضَانَ إِعَانَةٌ عَلَى أَدَاءِ فَرِيضَةِ الصَّوْمِ ، وَفِي
أَوْقَاتِ الْحَاجَاتِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ
ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ .

وَالصَّدَقَةُ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَاضِلٌ كَالْعَشْرِ ، أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا
لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ فِيهَا أَحَبُّ
إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا
الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ
بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ » .

وَالصَّدَقَةُ فِي الْحَرَمَيْنِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِمَا لِتَضَاعُفِ الْحَسَنَاتِ
بِالْإِمْكِنَةِ الْفَاضِلَةِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « صَلَاةٌ فِي
مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » . وَزَادَ فِي

رَوَايَةٌ: «فَإِنِّي خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ مَسْجِدِي خَيْرُ الْمَسَاجِدِ». وَزَادَ: «صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ».

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظُنَا مِنْ سِنَةِ الْعَقْلَةِ وَالنَّوْمِ وَأَرْزُقْنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيْمَا لَدَيْكَ، وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» ٤ - الْأَوْلَوِيَّةُ فِي الصَّدَقَةِ لِلْأَقْرَبَاءِ وَالْجَارِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ:

وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ أَفْضَلُ مِنْهَا عَلَى غَيْرِهِ لَا سِيْمَا مَعَ عَدَاوَةٍ، أَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهَا فِي الْقَرَابَةِ فَلِحَدِيثِ سَلْمَانَ الْمُتَقَدِّمِ «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ بُتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصَلَةٌ».

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَلْحَةَ:

«وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى التَّأَكُّدِ مَعَ الْعَدَاوَةِ فَلِمَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كَلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِخُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ الصَّدَقَاتِ أَيُّهَا أَفْضَلُ ؟ قَالَ :
« عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ » .

ثُمَّ الصَّدَقَةُ عَلَى الْجَارِ أَفْضَلُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى
وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ
سَيُورُّهُ » .

وَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ » .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَخْصَرَ بِالصَّدَقَةِ مَنْ اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ ، وَكَوْنُهَا عَلَى عَالِمٍ أَفْضَلُ ، لِأَنَّ فِي إِعْطَائِهِ
إِعَانَةً عَلَى الْعِلْمِ وَنَشْرَ الدِّينِ وَذَلِكَ لِتَقْوِيَةِ الشَّرِيعَةِ ، وَكَوْنُهَا عَلَى صَاحِبِ
ذِينَ أَفْضَلُ ، وَكَذَا عَلَى ذِي عَائِلَةٍ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَيْسَ كَذَلِكَ .

وَالْمَنْ بِالصَّدَقَةِ كَبِيرَةٌ ، وَيَبْطُلُ الثَّوَابُ بِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ .

وَمَنْ أَخْرَجَ شَيْئًا يَتَصَدَّقُ بِهِ ، أَوْ وَكَّلَ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ أَنْ لَا
يَتَصَدَّقُ بِهِ اسْتَحَبُّ أَنْ يُمَضِّيه ، وَلَا يَجِبُ ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَخْرَجَ طَعَامًا لِسَائِلٍ فَلَمْ
يَجِدْهُ عَزَلَهُ حَتَّى يَجِيءَ آخِرُ . وَقَالَ الْحَسَنُ : وَيَتَصَدَّقُ بِالْجَيِّدِ وَلَا يَقْصِدُ
الْخَيْثُ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾

وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِيلِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
 مَرْفُوعًا « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ
 جُهْدُ الْمُقِيلِ » .

لَيْسَ الْعَطَاءُ مِنَ الْفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلٌ
 آخِرُ : إِنِّي لِأَعْسِرُ أحيانًا فَيُدْرِكُنِي
 يَقُولُ خَيْرُ الْوَرَى فِي سَنَةٍ ثَبَتَتْ أَنْفَقَ وَلَا تَحْشَ مَنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا

مَوْعِظَةٌ أَخَوَانِي إِنَّكُمْ فِي دَارٍ هِيَ مَحَلُّ الْعِبَرِ وَالْآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ
 وَالطَّرِيقُ كَثِيرَةٌ الْمَخَافَاتِ ، فَتَزُودُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ الْمَمَاتِ ، وَتَدَارِكُوا
 هَفْوَاتِكُمْ قَبْلَ الْفَوَاتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الْخَلَوَاتِ ،
 وَتَفَكَّرُوا فِيمَا أَرَأَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ،
 وَاسْتَكْبِرُوا فِي أَعْمَارِكُمُ الْقَصِيرَةِ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِي بِكُمْ مُنَادٍ
 الشَّتَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الْإِنِينُ
 وَالزَّفْرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسْرَاتٍ ، قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ
 مِنْ غَمِّ الْمَوْتِ الْغَمْرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُوا مِنَ الْقُصُورِ إِلَى بُطُونِ
 الْفَلَوَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تَشْتَهُونَ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ
 تَتَمَنَّوْا رُجُوعَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ .

شِعْرًا :

أَيَا لَاهِيًا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى
 صَرِيحًا عَلَى فُرْشِ الرَّدَى يَتَقَلَّبُ
 تَأْمَلُ هَذَاكَ اللَّهُ مَا تَمَّ وَأَنْتَبَهُ
 فَهَذَا شَرَابُ الْقَوْمِ حَقًّا يُرْكَبُ
 وَتَرْكِيئُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَنْ تَفُتْ

فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْمَنِيَةِ مَطْلَبُ
 فَيَا عَجَباً مِنْ مُعْرِضٍ عَنْ حَيَاتِهِ
 وَعَنْ حَظِّهِ الْعَالِي وَيَلْهُو وَيَلْعَبُ
 وَلَوْ عَلِمَ الْمَحْرُومُ أَيَّ بِضَاعَةٍ
 أَضَاعَ لِأَمْسَى قَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
 فَإِنْ كَانَ لَا يَذْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ
 وَإِنْ كَانَ يَذْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَضْعَبُ
 بَلَى سَوْفَ يَذْرِي حِينَ يَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ
 وَيُضْبِحُ مَسْلُوباً يَنْوُحُ وَيَنْدِبُ
 وَتَعْجَبُ مِمَّنْ بَاعَ شَيْئاً بِدُونِ مَا
 يُسَاوِي بِلَا عِلْمٍ وَأَمْرُكَ أَعْجَبُ
 لِأَنَّكَ قَدْ بَعْتَ الْحَيَاةَ وَطَيْبَهَا
 بِلَذَّةِ حُلْمٍ عَنْ قَلِيلٍ سَيَذْهَبُ
 فَهَلَّا عَكَسْتَ الْأَمْرَ إِنْ كُنْتَ حَازِماً
 وَلَكِنْ أَضَعْتَ الْحَزْمَ وَالْحُكْمَ يَغْلِبُ
 نَصْدُ وَتَنَأَى عَنْ حَبِيبِكَ دَائِماً
 فَأَيْنَ عَنِ الْأَحْبَابِ وَنَحَكَ تَذْهَبُ
 سَتَعْلَمُ يَوْمَ الْحَشْرِ أَيَّ تِجَارَةٍ
 أَضَعْتَ إِذَا تِلْكَ الْمَوَازِينُ تُنْصَبُ

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ
 الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
 الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَخْلُ

وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لِأَمْرِكَ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ
ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : فِي ذِكْرِ طَرَفٍ مِنْ الْفَوَائِدِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى آدَاءِ الزُّكَاةِ

وَبَدَلِ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ وَالْمَضَارِّ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى مَنَعِ الزُّكَاةِ : -

أولاً : ١ - امْتِنَالُ أَمْرِ اللَّهِ وَرِسُولِهِ .

٢ - تَقْدِيمُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ عَلَى مَحَبَّةِ الْمَالِ .

٣ - أَنَّ الصَّدَقَةَ بُرْهَانٌ عَلَى إِيْمَانِ صَاحِبِهَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ
وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ .

٤ - شُكْرُ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُتَفَضِّلِ عَلَى الْمُخْرِجِ بِمَا أُعْطَاهُ مِنْ
الْمَالِ .

٥ - السَّلَامَةُ مِنْ وَبَالِ الْمَالِ فِي الْآخِرَةِ .

٦ - تَنْمِيَةُ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَالْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ الصَّالِحَةِ .

٧ - التَّطْهِيرُ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ .

٨ - اَضْعَافُ مَادَّةِ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالْبُغْضِ أَوْ قَطْعِهَا كُلِّيًّا .

٩ - تَحْصِينُ الْمَالِ وَحِفْظُهُ لِحَدِيثِ حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزُّكَاةِ .

١٠ - أَنَّ الصَّدَقَةَ دَوَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ لِحَدِيثِ « دَاوُوا مَرَضَكُمْ
بِالصَّدَقَةِ » .

- ١١ - الاتِّصَافِ بِأَوْصَافِ الْكُرَمَاءِ .
- ١٢ - إِنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ الْبَلَاءِ .
- ١٣ - التَّمَرُّنِ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ .
- ١٤ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ جَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِحَدِيثِ « بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا » .
- ١٥ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِحُلْبِ الْمَوَدَّةِ لِأَنَّهَا أَحْسَنُ ، وَالنَّفُوسُ مَجْبُودَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا .
- ١٦ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِلدُّعَاءِ مِنَ الْقَابِضِ لِلدَّافِعِ وَتَقَدَّمَتِ الْأِدْلَةُ .
- ١٧ - أَنَّ مَنْعَ الزُّكَاةِ سَبَبٌ لِمَنْعِ الْقَطْرِ لِحَدِيثِ « وَلَا مَنْعُوا الزُّكَاةَ إِلَّا حُسِبَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ » .
- ١٩ - الْفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَرْهُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَقَدْ فَسَّرَ الْفَلَاحَ بِأَنَّهُ الْفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَرْهُوبِ وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ .
- ٢٠ - أَنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « أَنْ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّثِّ وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ » .
- ٢١ - أَنَّ الْمُتَصَدِّقَ يَكُونُ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ وَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ » الْحَدِيثِ وَتَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ « وَأَمَّا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ » .
- ٢٢ - الْفَوْزُ بِالشَّنَاءِ مِنَ اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ مَدَحَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ .

٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ - الْفَوْزُ بِالْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ وَالْأَمْنُ مِمَّا يُخَافُ مِنْهُ وَنَفَى
الْحَزْنَ عَنْهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

٢٦ - أَنْ أَدَاءَ الزَّكَاةِ سَبَبٌ لِنُزُولِ الْقَطْرِ كَمَا أَنَّ مَنَعَهَا سَبَبٌ لِحَبْسِهِ .

٢٧ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ لِأَنَّ الْمُتَصَدِّقَ مُحْسِنٌ عَلَى الْمُتَصَدِّقِ
عَلَيْهِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَادِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : ٢٨ - السَّلَامَةُ مِنْ كُفْرٍ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ .

٢٩ - الْخُرُوجُ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ الضُّعَفَاءِ .

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِلرِّزْقِ وَالنَّصْرِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « وَكَثْرَةُ
الصَّدَقَةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ تُرَزَّقُوا وَتَنْصَرُوا وَتَجْبَرُوا » .

٣٣ - أَنَّهَا تُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « إِنْ
الصَّدَقَةُ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ » .

٣٤ - أَنَّهَا تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « أَنْ صَدَقَةَ الْمُسْلِمِ
تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ » .

٣٥ - السَّلَامَةُ مِنَ اللَّعْنِ الْوَارِدِ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ لِمَا رَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ
عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَعَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ

الرِّبَا وَمُؤَكَّلَهُ وَشَاهِدَهُ وَكَاتِبَهُ وَالْوَاسِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَمَانِعَ الصَّدَقَةِ وَالْمُحَلَّلَ
وَالْمُحَلَّلَ لَهُ .

٣٦ - الْفَوْزُ بِالْقُرْبِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزُّكَاةَ ﴾ الْآيَةَ .

٣٧ - الرَّعْدُ بِالْخَلْفِ لِلْمُنْفِقِ لِحَدِيثِ « اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا » .

٣٨ - الظُّفْرُ بِدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُنْفِقِ .

٣٩ - أَنَّ فِي اخْرَاجِ الزُّكَاةِ حُلًّا لِلْأَزْمَاتِ الْأَقْتِصَادِيَّةِ وَسُوءِ الْحَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْأَمْوَالِ الزُّكُوَّةِ تَنَسَّخُوا مِنْهَا وَوَضَعُوهَا فِي مَوَاضِعِهَا لَقَامَتِ الْمَصَالِحُ الدُّنْيِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ وَزَالَتِ الضَّرُورَاتُ وَأَنْدَفَعَتْ شُرُورُ الْفُقَرَاءِ وَكَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ حَاجِزٍ وَسَدٍّ يَمْنَعُ عِبَثَ الْمُفْسِدِينَ ، وَفِي الْحَدِيثِ « وَاتَّقُوا الشُّعْ فَانَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ .

٤٠ - أَنَّ اللَّهَ يُعِينُ الْمُتَصَدِّقَ عَلَى الطَّاعَةِ وَيُهَيِّئُ لَهُ طَرِيقَ السَّدَادِ وَالرُّشَادِ وَيُذَلِّلُ لَهُ سُبُلَ السَّعَادَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ .

٤١ - أَنَّ مَنَعَ الزُّكَاةِ يُخَبِّثُ الْمَالَ الطَّيِّبَ لِحَدِيثِ « مَنْ كَسَبَ طَيِّبًا خَبِثَهُ مَنَعَ الزُّكَاةِ ، وَمَنْ كَسَبَ خَبِيثًا لَمْ تُطَيِّبُهُ الزُّكَاةُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ مَوْفُوفًا بِإِسْنَادٍ مُتَّقِعٍ .

٤٢ - أَنَّ مَنَعَ الزُّكَاةِ سَبَبٌ لِتَلْفِ الْمَالِ لِحَدِيثِ « مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ

وَلَا بَخْرٍ إِلَّا بِحَبْسِ الزُّكَاةِ ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَهُوَ حَدِيثٌ عَرِيبٌ .

٤٣ - أَنْ مَنَعَ الزُّكَاةَ سَبَبٌ لِلْإِبْتِلَاءِ بِالسُّنَيْنِ لِمَا فِي الْحَدِيثِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَنَعَ قَوْمَ الزُّكَاةِ إِلَّا ابْتِلَاهُمْ اللَّهُ بِالسُّنَيْنِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرَوَاتُهُ يُقَاتُ .

٤٤ - أَنْ مَنْ لَمْ يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ أَنَّهُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَالشَّهِيدُ وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَأَمِيرٌ مُسْلَطٌ وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ وَفَقِيرٌ فَخُورٌ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ وَابْنُ جِبَانَ مُفْرَقًا فِي مَوْضِعَيْنِ .

٤٥ ، ٤٦ - أَنْ الصَّدَقَةَ يُذْهَبُ اللَّهُ بِهَا الْكِبْرَ وَالْفَخْرَ لِحَدِيثِ « إِنْ صَدَقَ الْمُسْلِمَ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ وَتَمْنَعُ مِثَّةَ السُّوءِ وَيَذْهَبُ بِهَا الْكِبْرُ وَالْفَخْرُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

٤٧ - السَّلَامَةُ مِنَ التَّطَوُّبِ بِالشُّجَاعِ الْأَقْرَعِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ : « مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَطْلُوقُ بِهِ عُقْفَهُ » .

٤٨ - السَّلَامَةُ مِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ لِمَا فِي الْحَدِيثِ « ظَهَرَتْ لَهُمُ الصَّلَاةُ فَقَبِلُوهَا ، وَخَفِيَتْ لَهُمُ الزُّكَاةُ فَأَكَلُوهَا أَوْلِيكَ هُمْ الْمُنَافِقُونَ » رَوَاهُ الْبَزَّازُ .

٤٩ ، ٥٠ - إِنْ الْبَلَاءُ لَا يَتَخَطَى الصَّدَقَةَ وَأَنَّهَا تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنْ

السوء . رواه الطبراني في الكبير ، وعن أنس بن مالك قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها رواه
البيهقي مرفوعاً وموقوفاً على أنس ولعله أشبه .

٥١ - أن الصدقة حجاب من النار لمن احتسبها لما روي عن
ميمونة بنت سعد أنها قالت يا رسول الله أفيتنا عن الصدقة فقال إنها
حجاب من النار لمن احتسبها يتغي بها وجهه الله عز وجل . رواه
الطبراني .

٥٢ - أن اخراج الصدقة يؤلم سبعين شيطاناً لما ورد عن بريدة
رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج شيئاً
من الصدقة حتى يفك عنها لحيي سبعين شيطاناً رواه أحمد والبراء
والطبراني وابن خزيمة في صحيحه .

٥٣ - أن الله يسخر للمتصدق ما يكون سبباً لنمو ماله كبركة في
ظماء نهر وسقي أرض كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا رجل في فلاة من الأرض فسمع
صوتاً في سحابة : اسقي حديقة فلان فتتحي ذلك السحاب فأفرغ ماءه في
حرية فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتبع الماء
فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله ما
اسمك قال فلان للإسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم سألتني
عن اسمي قال سمعت في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسقي حديقة فلان
لاسمك فما تصنع فيها قال أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها
فأتصدق بثلكه وأكل أنا وعيالي ثلثه وأرد فيها ثلثه رواه مسلم .

٥٤ - أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْقُصُ الْمَالَ خِلَافًا لِمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْجُهَالِ .
لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٥٥ - أَنَّ الصَّدَقَةَ إِذَا كَانَتْ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا
بِئِمْنِهِ ثُمَّ يُرَبُّهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا
يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِئِمْنِهِ ثُمَّ يُرَبُّهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي
أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ مُتَفَقُّ عَلَيْهِ .

٥٦ - أَنَّ الصَّدَقَةَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ لِأَنَّ الْمُتَصَدِّقَ
مُحْسِنٌ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
مُحْسِنُونَ ﴾ .

٥٧ - أَنَّ الْمُصَدِّقِينَ يُضَاعَفُ اللَّهُ لَهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ الْحَسَنَةِ بِعَشْرِ
أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ
الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُ وَلَهُمْ أَجْرٌ
كَرِيمٌ ﴾ .

٥٨ - أَنَّ الصَّدَقَةَ لِتُطْفِئَ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفِعَ مِيتَةَ السُّوءِ « رَوَاهُ
الترمذي وابنُ جِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ ، وَقَالَ الترمذي حَسَنٌ غَرِيبٌ .

٥٩ - أَنَّ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ كُلِّ سَنَةٍ يَرَى الْفُقَرَاءُ أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ لَهُمْ فَضْلٌ
عَلَيْهِمْ فَيُدَافِعُونَ عَنْهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا أَمَا كَفَّ يَدَهُمْ وَمَنَعَ مَعْرُوفَهُمْ أَنْ
يَصِلَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّهُ يُؤْغِرُ صُدُورَهُمْ وَيَمْلَأُهَا حِقْدًا عَلَيْهِمْ وَيَجْتَهِدُونَ فِي
سَلْبِ حَيَاتِهِمْ لِلْوُصُولِ إِلَى أَمْوَالِهِمُ الْمَخُوزَنَةِ فَتَكُونُ الْحَيَاةُ مُهَدَّدَةً وَالْأَمْنُ
مَفْقُودًا .

٦٠ - أَنْ مَنَعَ الصَّدَقَاتِ يُزِيلُ النِّعَمَ وَيُخْرِبُ الدِّيَارَ الْعَامِرَةَ وَتَأْمَلُ
قِصَّةَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ قَالَ
تَعَالَى ﴿ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ أَنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ فإِنْطَلَقُوا
وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ .
وَتَأْمَلُ قِصَّةَ ثَعْلَبَةَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ
آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا
بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا
اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

(١٣) مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللَّهِ حَقًّا يَتَّبِعُهُ عَنِ الْمَعَاصِي كَمَا يَتَّبَعُهُ عَنِ
النَّارِ فَإِذَا زَلَّ مَرَّةً مِنَ الْمَرَاتِ اضْطَرَبَتْ أَعْصَابُهُ وَجَعَلَ قَلْبُهُ يَخْفِقُ وَأَصَابُهُ
نَدَمٌ عَظِيمٌ وَكُلَّمَا تَذَكَّرَ تِلْكَ الْهَفْوَةَ أَحْمَرَ وَجْهَهُ خَجَلًا وَهَاجَتْ عَلَيْهِ أَحْزَانُهُ
وَتَذَكَّرَ عِصْيَانَهُ لِسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ وَلَا يَزَالُ مُوجِعَ الْقَلْبِ مِنْكَسِرُهُ حَتَّى يُفَارِقَ
الدُّنْيَا وَيُوَارَى فِي التُّرَابِ .

هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عَنِ الْمُؤْمِنِ ، وَلَا يُعْرِفُ سِوَاهُ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ
لِأَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ تَمَامًا أَنَّهُمْ إِنْ عَصَوْا خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ أَنَّهُمْ سَيِّئِدْمُونَ
وَيُعَاقَبُونَ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَى مَوْلَاهُمْ ، هَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ
وَمَنْ تَبِعَهُمْ ، وَأَنْظُرْ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمُظْلِمِ مِنْ
الْجُرْأَةِ عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللَّهِ تَتَمَثَّلُ أَمَامَكَ حَالُهُمْ بِحَالِهِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ
بِثَوَابِ وَلَا عِقَابِ تَرَاهُمْ قَدْ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَأَصْرُوا عَلَى مَنَعِ الزَّكَاةِ إِلَّا
النَّوَادِرَ مِنْهُمْ تَرَاهُمْ يُطَارِدُونَ النِّسَاءَ فِي الْأَسْوَاقِ وَيَشْرَبُونَ الدُّخَانَ عَلْنَا

وَيَحْلِقُونَ اللَّحَا كَذَلِكَ وَيَغْشُونَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ تَرَاهُمْ أَمَامَ الْمَلَاهِي
وَالْمُنْكَرَاتِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، تَرَاهُمْ يُوَالُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَيُعْظَمُونَهُمْ تَرَاهُمْ لَمْ
يَكْتَفُوا بِالْمَعَاصِي فِي بِلَادِهِمْ بَلْ يَذْهَبُونَ إِلَى الْبِلَادِ الْأُخْرَى ، بِلَادِ الْفِسْقِ
وَالْفُجُورِ وَالْحَرِيَّةِ وَيُنْفِقُونَ فِيهَا الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ فِي مَا يُغْضِبُ اللَّهَ الَّذِي
أَغْنَى وَأَقْنَى وَلَكِنْ لِيَعْلَمَ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفُلُ عَنْ أَعْمَالِهِمْ
السَّيِّئَةِ وَسَوْفَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْهِمْ لَا
هَذِهِ وَلَا هَذِهِ يَوْمَ يَتَجَرَّعُونَ كَأْسَ الْمَمَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ الْمَلَكَانِ
كَاتِبِ الْحَسَنَاتِ ، وَكَاتِبِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ الْحَفِظَةُ الَّذِينَ
يَتَعَاقَبُونَ عَلَى حِفْظِهِمْ تَعَاقَبَ الْحُرَّاسِ وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ جَوَارِحُهُمُ الَّتِي
بَاشَرَتْ فِعْلَ الْمَعَاصِي وَيَشْهَدُ بِهَا خَيْرُ شَاهِدٍ وَهُوَ مَوْلَاهُمْ جَلٌّ وَعَلَا الَّذِي
تَسْتَرِي الشَّهَادَةَ عِنْدَهُ وَالْغُيُوبُ ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ كُتُبُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي
كُلُّ مَا فَعَلُوا بِهَا مَكْتُوبٌ حَتَّى إِذَا رَأَوْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ
لَهُمْ فِي حِسَابٍ فَزِعُوا وَقَالُوا يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ، كُلُّ
هَؤُلَاءِ يَشْهَدُونَ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْمَعَاصِي فَيُسْجَلُونَ عَلَيْهِمْ مَا قَدَّمْتَهُ
أَيْدِيهِمْ وَلَيْسَ لِذَلِكَ نَبِيحَةٌ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَّا غَضِبَ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ ،
وَالْقَاوُؤُهُمْ فِي دَارِ الْمُجْرِمِينَ الْجَانِينَ جَهَنَّمَ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَلِمَاذَا
يَفْرَحُ الْعَصَاةُ ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ الَّتِي لَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُّ . الَّتِي تَرْمِي
بِشَرِّ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ .

شِعْرًا: وَلَمْ يَمُرَّرْ بِهِ يَوْمَ فِطْرٍ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِ الْحَمَامِ
وَيَوْمِ الْحَشْرِ أَفْظَعُ مِنْهُ هَوْلًا إِذَا وَقَفَ الْخَلَائِقُ بِالْمَقَامِ
فَكَمْ مِنْ ظَالِمٍ يَبْقَى ذَلِيلًا وَمَظْلُومٍ تَشَمَّرَ لِلْخِصَامِ
وَشَخْصٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرًا تَبَوَّأَ مَنْزِلَ الثُّجْبِ الْكِرَامِ

وَعَفُوَ اللهُ أَوْسَعُ كُلِّ شَيْءٍ تَعَالَى اللهُ خَلْقَ الْأَنْامِ

آخِرُ :

وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ أَوْ اسْتَلَدُوا لِدَيْدِ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا
وَالْمَوْتُ يُنْدِرُهُمْ جَهْرًا عَلَانِيَةً لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ
آخِرُ :

وَكَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا
بِأَنَّ الْمَنَائِمَا بَفْتَةً سَتَعَاجِلُهُ
وَكَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا
بِأَنَّ إِلَهَ الْخَلْقِ لَا بُدَّ سَائِلُهُ

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى النِّجَاةَ مِنْهَا وَأَنْ يُوقِّعَنَا لِلْأَعْمَالِ الْمُؤَهَّلَةِ لِذَارِ
الْخُلْدِ وَأَنْ يُوَفِّقَ وُلَاتِنَا لِلْقِيَامِ عَلَى هَوْلَاءِ الْمُجْرِمِينَ ، وَرَدِّعِهِمْ وَالزَّامِهِمْ
سُلُوكِ طَرِيقِ الْحَقِّ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ
حَتَّى تَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدْلِيلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الأول

شهر رمضان

١ - درس اليوم الأول :

يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ :

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِباً الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَامِراً لَهُمْ بِالصِّيَامِ وَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ ، وَالشَّرَابِ ، وَالْوِقَاعِ ، بِنِيَّةِ خَالِصَةٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَمَا فِيهِ مِنْ زَكَاةِ النُّفُوسِ ، وَطَهَارَتِهَا وَتَنْقِيَتِهَا مِنَ الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَمَا أُوجِبَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ أُوجِبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِهِمْ ، فَلَهُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ ، وَلِيَجْتَهِدَ هَؤُلَاءِ فِي آدَاءِ هَذَا الْفَرَضِ أَكْمَلَ مِمَّا فَعَلَهُ أَوْلَئِكَ « انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ » .

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي فَضْلِهِ ، وَمُضَاعَفَةِ أَجْرِهِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ :

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ شَهْرِ رَمَضَانَ
فَيَقُولُ :

« جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ فِيهِ
تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغْلَى فِيهِ الشَّيَاطِينُ ،
وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : « هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي تَهْنِئَةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ
بَعْضاً بِشَهْرِ رَمَضَانَ » .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ :

« لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي رَمَضَانَ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ يَكُونَ رَمَضَانَ السَّنَةَ
كُلَّهَا » .

وَعَنْ عِبَادَةَ مَرْفُوعاً :

« أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرُ بَرَكَةٍ ، يَغْشَاكُمْ اللَّهُ فِيهِ ، فَيَنْزِلُ الرَّحْمَةَ ، وَيَحُطُّ
الْخَطَايَا ، وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءَ ، يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ فِيهِ ، وَيُبَاهِي
بِكُمْ مَلَائِكَتَهُ ، فَأَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حَرِمَ فِيهِ رَحْمَةُ
اللَّهِ » .

وَفِي الصَّحِيحِينَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ : إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُحْتُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ
وَسُلِسِلَتِ الشَّيَاطِينُ .

وَمُسْلِمٌ فَتُحْتُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :
إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُهُمْ
وَفِي رَوَايَةٍ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ الْبَابُ وَفِي رَوَايَةٍ مَنْ دَخَلَ مِنْهُ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ
لَمْ يَطْمَأْأَبِدًا .

وَمُسْلِمٌ أَيْضًا : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا : « إِذَا
جَاءَ رَمَضَانُ فَتُحْتُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَأُغْلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، وَصَفَّدَتْ
الشَّيَاطِينُ » .

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ
صَفَّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا
بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ
الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ . وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ ، وَذَلِكَ كُلُّ
لَيْلَةٍ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ،
وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ
الْكَبَائِرَ » .

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطَرَ ، وَالْآمِنُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ » ، وَيَقُولُ : « وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْصُرْتِكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجَّيْنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّا مِنَ الْفِرَاقِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - لِأَضْيَى اللَّهِ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أُعْطِطْتُ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ . خُلُوفٌ فَمِنْ الصَّائِمِ أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْجِثَانُ حَتَّى يُفْطَرُوا ، وَيَزِينُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ كُلِّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يُوْشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمْ الْمِئْوَةَ ، وَيَصِيرُوا إِلَيْكَ ، وَتُصَفَّدَ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ » .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟

قَالَ : « لَا ، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ الْمُنْبَرَ فَقَالَ : « آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّكَ صَعَدْتَ الْمُنْبَرِ فَقُلْتَ : آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ » فَقَالَ : « إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَتَانِي فَقَالَ : مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلَّ آمِينَ ، فَقُلْتُ آمِينَ الْحَدِيثِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَظَلُّكُمْ شَهْرُكُمْ هَذَا ، بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ ، وَلَا مَرَّ بِالْمُنَافِقِينَ شَهْرٌ شَرٌّ لَهُمْ مِنْهُ ، بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ اللَّهُ لَيَكْتُبُ أَجْرَهُ وَنَوَافِلَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، وَيَكْتُبُ أَصْرَهُ وَشَقَاءَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُعَدُّ فِيهِ الْقُوَّةَ وَالنَّفَقَةَ لِلْعِبَادَةِ ، وَيَعُدُّ فِيهِ الْمُنَافِقُ اتِّبَاعَ غَفَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَاتِّبَاعَ عَوْرَاتِهِمْ ، فَغَنِمَ يَغْنَمُهُ الْمُؤْمِنُ » .

وَقَالَ بَنْدَارٌ فِي حَدِيثِهِ : « فَهُوَ غَنِمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْتَنِمُهُ الْفَاجِرُ » رَوَاهُ ابْنُ خَرِزِمَةَ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرِهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو بِبُلُوغِ رَمَضَانَ ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ : « كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ عِنْدَ حُضُورِ شَهْرِ رَمَضَانَ اللَّهُمَّ قَدْ أَظَلَّنَا شَهْرُ رَمَضَانَ وَحَضَرَ فَسَلِّمْهُ لَنَا وَسَلِّمْ لَنَا ، وَأَرْزُقْنَا صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، وَأَرْزُقْنَا فِيهِ الْجِدَّ وَالْاجْتِهَادَ وَالنَّشَاطَ ، وَأَعِدْنَا فِيهِ مِنَ الْفِتَنِ » .

وَقَالَ مُعَلَّى بْنُ الْفَضْلِ : كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ ثُمَّ يَدْعُونَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنْهُمْ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ كَانَ مِنْ دُعَائِهِمْ : « اللَّهُمَّ سَلِّمْ لِي إِلَى رَمَضَانَ وَسَلِّمْ لِي رَمَضَانَ وَتَسَلِّمْهُ مِنِّي مُتَقَبَّلًا » .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ ، وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاغِبِينَ نَسْأَلُكَ إِنْ تَسَلَّلَكَ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الصَّادِقِينَ ، وَأَنْ تُلْحِقَنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا أَمَاثَهَا الْبُعْدَ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ ، يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ ، يَا مَنْ جَادَ عَلَيَّ

عِبَادِهِ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بُلْطَفِكَ وَاحْسَانِكَ وَتَجَاوِزْ
 عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَارْزُقْنَا مَا رَزَقْتَ أَوْلِيَاءَكَ ، مِنْ نَعِيمِ قُرْبِكَ ،
 وَلَذَّةِ مُنَاجَاتِكَ ، وَصِدْقِ حُبِّكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

وَأَخَذُ فِي بَيَانِ الصَّوْمِ غَيْرَ مُقْصِرٍ
 عِبَادَةَ سِرٍّ ضِدَّ طَبَعِ مُعْوَدٍ
 وَصَبْرٌ لِفَقْدِ الْإِلْفِ مِنْ حَالَةِ الصَّبَا
 وَفَطْمٌ عَنِ الْمَحْبُوبِ وَالْمُتَعَوِّدِ
 فَتَقَى فِيهِ بِالْوَعْدِ الْقَدِيمِ مِنَ الَّذِي
 لَهُ الصَّوْمُ يُجْزِي غَيْرَ مُخْلِيفِ مَوْعِدِ
 وَحَافِظِ عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ
 لَخَامِسُ أَرْكَانِ لِدِينِ مُحَمَّدٍ
 تُغْلَقُ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ إِذَا أَتَى
 وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَانِ لِعَبْدِ
 تُزْخَرُفُ جَنَاتُ النَّعِيمِ وَحُورُهَا
 لِأَهْلِ الرِّضَا فِيهِ وَأَهْلِ التَّعَبُّدِ
 وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِلَيْلَةٍ
 عَلَى أَلْفِ شَهْرِ فَضَّلَتْ فَلْتَرْصِدِ
 فَارْغَمْ بِأَنْفِ الْقَاطِعِ الشَّهْرِ غَافِلًا
 وَأَعْظَمِ بِأَجْرِ الْمُخْلِصِ الْمُتَعَبِّدِ
 فَقُمْ لَيْلَهُ وَأَطْوِ نَهَارَكَ صَائِمًا
 وَصُنْ صَوْمَهُ عَنْ كُلِّ مُؤَةٍ وَمُفْسِدِ

اللَّهُمَّ أَهْلُ شَهْرِنَا عَلَيْنَا بِالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ، وَاعْفِرْ
لَنَا كُلَّ قَبِيحٍ سَلَفَ وَكَانَ ، وَاعْتَقْنَا فِيهِ مِنْ لَفْحَاتِ النَّيرانِ وَأَعِنَّا عَلَى
الْخَيْرِ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ
لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ ، عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى
أَيْجَارِهِ لِيَخْتَوِي عَلَى وَصِيَّةٍ ثَمِينَةٍ مِنْ أْبْلَغِ الْوَصَايَا وَأَقِيمِهَا وَأَجَلِّهَا وَأَنْفَعِهَا
فَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى الْأَمْرِ بِحِفْظِ عَضْوَيْنِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ عَظِيمٍ حَقِيقَيْنِ
بِتَعَاهُدِهِمَا بِالرَّعَايَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالرَّقَابَةِ وَالصِّيَانَةِ أَلَا وَهُمَا اللِّسَانُ وَالْفَرْجُ
وَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا إِنْ أُطْلِقَ سَرَاحُهُمَا فِي الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَطُرُقِ الْغِيِّ
وَالْفَسَادِ كَانَا أَضْلًا لِلْبِلَاءِ وَالْفِتْنَةِ وَالشَّرِّ وَالْهَلَاكِ وَالذَّمَارِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَقِيَ شَرَّ قَبْبَيْهِ وَذَبَذِبَهُ وَقَلَقَهُ فَقَدْ
وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مَنْصُورُ الدَّيْلَمِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ وَالْقَبْقُبُ الْبَطْنُ وَالذَّبْذَبُ الْفَرْجُ وَاللَّفْلَقُ اللِّسَانُ .

فَهَذِهِ الشَّهَوَاتُ بِهَا يَهْلِكُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّارَ فَقَالَ الْأَجُوفَانِ الْفَمُ وَالْفَرْجُ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ يُبْصِرُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ وَيَحْفَظُ لِسَانَهُ مِنَ الْفُضُولِ
وَالهَيْدِيَانِ وَلَا يَتَعَدَّى بِفَرْجِهِ زَوْجَتَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ .

شعرا :

إِذَا مَا أَرَدْتَ النُّطْقَ فَاِنطِقْ بِحِكْمَةٍ وَزَنْ قَبْلَ نُطْقِكَ مَا تَقُولُ وَقَوْمٍ

فَمَنْ لَمْ يَزِنْ مَا قَالَ لَا عَقْلَ عِنْدَهُ وَتُطَقُّ بِوَزْنِ كَالْبِنَاءِ الْمُحَكَّمِ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ طُرُقَ الْمَقَالِ حَمِيدَةً تَجَمَّلُ بِحُسْنِ الصَّمْتِ تَحْمَدُ وَتُسَلِّمُ
فَكَمْ صَامِتًا يَلْقَى الْمَحَامِدَ دَائِمًا وَكَمْ نَاطِقًا يَجْنِي ثِمَارَ التَّسْلِيمِ

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ زَلَّاتِ اللِّسَانِ عَظِيمَةٌ
فَزَلَّةٌ مِنْ زَلَّاتِهِ قَدْ تُؤَدِّي بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ وَمُفَارَقَةِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ
وَأَصْدِقَائِهِ وَجِيرَانِهِ فَلْيَحْذَرِ الْإِنْسَانُ مِمَّا يَجْرِي بِهِ لِلسَّانِ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ
وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِلسَّانِ الْحَدِيثُ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مَرْفُوعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ « إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتْ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تُذَكِّرُ اللِّسَانَ أَيُّ تَقُولُ
أَتَى اللَّهُ فِينَا فَإِنَّكَ أَنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَأَنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا وَرُوي أَنَّ
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَى أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ
يَمُدُّ لِلسَّانِ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : هَذَا أوردني الموارِدُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ اللِّسَانَ عَلَى حَدِيثِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ عَلَى الصِّفَا يُلَبِّي وَيَقُولُ يَا لِسَانَ قُلْ خَيْرًا
تَفْنَمُ وَاسْكُتْ عَنْ شَرِّ تَسَلَّمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ فَقِيلَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَهَذَا
شَيْءٌ تَقُولُهُ أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ فَقَالَ لَا بَلْ شَيْءٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَفَّ لِلسَّانِ
سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللَّهُ عَذَابَهُ وَمَنْ اعْتَذَرَ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ
اللَّهِ عُذْرَةٌ .

شعرا :

وَإِذَا حَشِيَتْ مَلَامَةً مِنْ مَنْطِقِي فَأَحْزَنْ لِسَانَكَ فِي اللَّهَاءِ وَأَطْرَقِ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فُتُبَتْلَى إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِي
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْزَنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ
تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ صَمُوتًا
وَقُورًا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقِنُ الْحِكْمَةَ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ خَلَادٍ بَلْفَظٍ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ
زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقَى الْحِكْمَةَ .

وَلَا تَحْسَبَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ قَاصِرًا عَلَى الصُّمْتِ فِي مَوْضِعِهِ أَوْ الْكَلَامِ
بَلْ يَتَعَدَّى إِلَى حِفْظِهِ مِنْ طَعَامٍ مَشْبُوهٍ أَوْ حَرَامٍ وَأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ
اللِّسَانَ هُوَ الْوَسِيلَةُ لِمَضْغِ مَا يَأْكُلُهُ الْمَرْءُ وَقَدْ فِيهِ فِي الْمِعْدَةِ بَيْتِ الطَّعَامِ
وَمُسْتَقَرُّهُ وَلِيَصْنَعَهُ مِنَ الزَّلَلِ وَالْحَرَامِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ .

وَأَمَّا حِفْظُ الْفَرْجِ فَيَبْتَزِكُ التَّعَدِّيَ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَحُرْمَاتِهِمْ
وَوَضْعِهِ فِي الْحَلَالِ فِي الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعَةِ وَكَفَّهُ عَنِ الزَّنَا وَالْحَرَامِ وَالزَّنَا
آفَةٌ وَبَيْلَةٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ وَقَدْ بَيَّنَّا مَضَارَّهُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .
شِعْرًا :

عَجِبْتُ لِذِي التَّجَارِبِ كَيْفَ يَسْهُو وَيَتْلُو اللَّهُو بَعْدَ الْاِحْتِيَاكِ
وَمُرْتَهَنُ الْفَضَائِحِ وَالْخَطَايَا يُقْصِرُ بِاجْتِهَادِ لِفِكَكَكِ
وَمُؤَبَّقُ نَفْسِهِ كَسَلًا وَجَهْلًا وَمُؤَرِّدُهَا مَخُوفَاتِ الْهَلَاكِ
بِتَجْدِيدِ الْمَآثِمِ كُلِّ يَوْمٍ وَقَصْدِ لِلْمُحَرَّمِ بَأْتِهَاكِ
سَيَعْلَمُ حِينَ تَفْجُوهُ الْمَنَايَا وَيَكْتَفُ حَوْلَهُ جَمْعُ الْبَوَاكِي
اللَّهُمَّ جُدْ عَلَيْنَا بِكَرَمِكَ ، وَاغْضُ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِكَ ، وَتَعَمَّدْنَا بِرَحْمَتِكَ ،

وعاملنا برأفتك، ووقفنا لخدمتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. اللهم مكن حُبك في قلوبنا وألهمنا ذكرك وشكرك ووقفنا لامثال طاعتك وأمرك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل)

٥ - لا يصح صوم رمضان ولا غيره من الصيام الواجب إلا بينة من الليل لكل يوم .

١ - حكم صوم رمضان :

صوم رمضان فريضة : والأصل في فريضته : الكتاب والسنة ، والإجماع .

أما الدليل من الكتاب فقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
وأما السنة ، فعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ » .

وأما الإجماع ، فأجمع المسلمون على فريضة صوم شهر رمضان .

٢ - بيان من يجب عليه الصوم :

ويُفترض على كل مسلم عاقل بالغ قادر أداء وقضاء ، ولا يجب على كافر - سواء كان أصلياً أو مرتداً - لأن الصوم عبادة لا تصح منه في حال كفره ، ولا يجب عليه قضاء ما لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ .

وَلَانَ فِي اِيْجَابِ قَضَاءِ مَا فَاتَ فِي حَالِ كُفْرِهِ تَنْفِيْرًا عَنِ الْاِسْلَامِ .
وَلَوْ اُسْلِمَ فِي اَثْنَائِهِ لَمْ يَلْزَمُهُ مَا مَضَى مِنَ الْاَيَّامِ وَيَصُوْمُ مَا بَقِيَ مِنَ
الشُّهُرِ .

وَلِحَدِيْثِ ابْنِ مَاجَهَ فِي وَفْدِ ثَقِيْفٍ : قَدِمُوْا عَلَيْهِ فِي رَمَضَانَ ،
فَضْرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً بِالْمَسْجِدِ فَلَمَّا اُسْلِمُوْا ، صَامُوْا مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ
الشُّهُرِ ، اِذْ اَنْ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ عِبَادَةٌ مُفْرَدَةٌ .

وَلَا يَجِبُ الصُّوْمُ عَلَى مَجْنُوْنٍ ، وَلَا صَبِيٍّ حَتَّى يَبْلُغَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ ، وَعَنِ
الْمَجْنُوْنِ حَتَّى يَفِيْقَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ » .

وَأَمَّا اشْتِرَاطُ الْقُدْرَةِ عَلَى الصُّوْمِ فَلَاَنْ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِحَالٍ وَهُوَ
الْكَبِيْرُ وَالْعَجُوْزُ - اِذَا كَانَ الصُّوْمُ يُجْهَدُهُمَا وَيَشْقُقُ عَلَيْهِمَا مَشَقَّةً شَدِيْدَةً -
فَلَهُمَا اَنْ يُفْطِرَا وَيُطْعِمَا لِكُلِّ يَوْمٍ مَسْكِيْنًا ، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الَّذِيْنَ يُطِيقُوْنَهِ فِدْيَةٌ ﴾ : لَيْسَتْ
بِمَنْسُوخَةٍ فِي الشَّيْخِ الْكَبِيْرِ ، وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيْرَةِ الَّذِيْنَ لَا يَسْتَطِيعَانِ الصُّوْمَ
فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِيْنًا .

وَرُوِيَ اَنْ اُنْسَ بْنَ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - ضَعُفَ عَنِ
الصُّوْمِ فَصَنَعَ جَفْنَةً مِنْ ثَرِيْدٍ ، فَدَعَا ثَلَاثِيْنَ مَسْكِيْنًا فَاطْعَمَهُمْ .
وَالْمَرِيْضُ الَّذِي لَا يُرْجَى بُرُوْهُ ، حُكْمُهُ حُكْمُ الشَّيْخِ الْكَبِيْرِ ، يُطْعَمُ
لِكُلِّ يَوْمٍ مَسْكِيْنًا . وَاللَّهُ اَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْل)

٣ - مَا يَثْبُتُ بِهِ الشُّهُرُ :

وَيَجِبُ صَوْمُ رَمَضَانَ بِرُوْيَةِ هَلَالِهِ ، أَوْ اِكْمَالِ شَعْبَانَ ثَلَاثِيْنَ

يَوْمًا وَتَثِبَتْ رُؤْيَةُ هِلَالِ رَمَضَانَ بِخَبْرِ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ عَدْلٍ وَلَوْ عَبْدًا أَوْ
أُنثَى .

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا ، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ
فَأَفْطِرُوا ، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْدُرُوا لَهُ » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « تَرَى النَّاسَ الْهِلَالَ
فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ ، فَصَامَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِنْ اعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنْ رَأَيْتَ الْهِلَالَ ، فَقَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قَالَ :
نَعَمْ ، قَالَ : « فَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَا بِلَالُ أَنْ يَصُومُوا غَدًا » .

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ أَنْ يَقُولَ مَا وَرَدَ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى
الْهِلَالَ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ
وَالْإِسْلَامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى » .

وَمِنْهُ حَدِيثُ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ
وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، هِلَالَ رُشْدٍ وَخَيْرٍ » .

وَأِنْ حَالَ دُونَ مَطْلَعِ الْهِلَالِ لَيْلَةَ الثَّلَاثِينَ مِنْ شَعْبَانَ غِيَمٌ أَوْ قَتَرٌ أَوْ
غَيْرُهُمَا ، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ صَوْمُهُ وَلَا يُسْتَحَبُّ ، بَلِ الْمَشْرُوعُ فِطْرُهُ لِمَا وَرَدَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤُوسِهِ . وَأَفْطِرُوا لِرُؤُوسِهِ ، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمَلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ » .

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يَشْكُ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤُوسِهِ ، فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ فَكَمَلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ وَلَا تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالًا » .

وَيُسْتَنَى الْقَضَاءُ ، وَالنَّذْرُ وَالْعَادَةُ ، فَيَجُوزُ صَوْمُهَا فِيهِ .
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقْدَمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْل)

٤ - فِيمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ثُبُوتِ رُؤْيَةِ الْهَيْلَالِ :

وَإِذَا ثَبَتَ رُؤْيَةُ هَيْلَالِ رَمَضَانَ بِيَلَدٍ لَزِمَ النَّاسَ كُلَّهُمُ الصَّوْمُ إِذَا اتَّفَقَتِ الْمَطَالِعُ لِمَا رَوَى « كُرَيْبٌ » قَالَ : قَدِمْتُ الشَّامَ ، وَأَسْتَهَلَّ عَلَيَّ رَمَضَانَ وَأَنَا بِالشَّامِ ، فَرَأَيْتُ الْهَيْلَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَسَأَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . ثُمَّ ذَكَرَ الْهَيْلَالَ فَقَالَ : مَتَى رَأَيْتُمُ الْهَيْلَالَ ؟ قُلْتُ : رَأَيْتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ وَرَأَاهُ النَّاسُ ، وَصَامُوا ، وَصَامَ مُعَاوِيَةُ ، فَقَالَ : لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ فَلَا نَزَالَ نَصُومَ حَتَّى نَكْمَلَ ثَلَاثِينَ أَوْ نَرَاهُ . فَقُلْتُ : أَفَلَا تَكْتَفِي بِرُؤْيَةِ مُعَاوِيَةَ وَصِيَامِهِ ؟ فَقَالَ لَا ، هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وَمَنْ رَأَى وَحْدَهُ هِلَالَ رَمَضَانَ وَرَدَّ قَوْلَهُ لَزِمَهُ الصَّوْمُ وَجَمِيعُ أَحْكَامِ الشَّهْرِ مِنْ طَلَاقٍ وَعِتِّيٍّ ، وَغَيْرِهِمَا مُعَلَّقِينَ بِهِ ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ ، وَلِأَنَّهُ تَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ رَمَضَانَ فَلَزِمَهُ صَوْمُهُ وَأَحْكَامُهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ رَأَى وَحْدَهُ هِلَالَ شَوَّالٍ لَمْ يُفْطِرْ لِحَدِيثِ « الْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُ النَّاسُ ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ يُضْحَى النَّاسُ » .

وَحَدِيثِ : « الْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُونَ ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ يُضْحُونَ » .

وَرَوَى أَبُو رَجَاءٍ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ :

أَنَّ رَجُلَيْنِ قَدِمَا الْمَدِينَةَ وَقَدْ رَأَيَا الْهِلَالَ ، وَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ صِيَامًا فَاتِيَا عُمَرَ ، فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : أَصَابْتُمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : بَلْ مُفْطِرٌ . قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِالصَّوْمِ وَقَدْ رَأَيْتُ الْهِلَالَ وَقَالَ لِلْآخِرِ ، قَالَ : أَنِي صَائِمٌ ، قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : لَمْ أَكُنْ لِالْفِطْرِ وَالنَّاسِ صِيَامًا . فَقَالَ لِلذِّي أَفْطَرَ : لَوْلَا مَكَانُ هَذَا لَأَوْجَعْتُ رَأْسَكَ ، ثُمَّ نُودِيَ فِي النَّاسِ أَنْ أُخْرَجُوا .

وَإِنَّمَا أَرَادَ ضَرْبَهُ لِإِفْطَارِهِ بِرُؤْيَيْهِ وَحْدَهُ ، وَدَفَعَ عَنْهُ الضَّرْبَ لِكَمَالِ الشَّهَادَةِ بِهِ ، وَلَوْ جَازَ لَهُ الْفِطْرُ لَمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَلَا تَوَعَّدَهُ ، وَإِنْ صَامَ النَّاسُ بِشَهَادَةِ اثْنَيْنِ : ثَلَاثِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَرَوْا الْهِلَالَ أَفْطَرُوا لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَإِنْ عُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ ثُمَّ أَفْطَرُوا » .

وَإِذَا قَامَتِ الْبَيْتَةُ أَثْنَاءَ النَّهَارِ لَزِمَ أَهْلَ وَجُوبِ الصَّوْمِ الْإِمْسَاكَ وَلَوْ بَعْدَ أَكْلِهِمْ لِتَعَدُّرِ إِمْسَاكِ الْجَمِيعِ فَوَجَبَ أَنْ يَأْتُوا بِمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ وَحَدِيثِ : « إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

٥ - لَا يَصِحُّ صِيَامُ رَمَضَانَ إِلَّا بَيِّنَةً مِنَ اللَّيْلِ :

وَلَا يَصِحُّ صَوْمَ رَمَضَانَ ، وَلَا غَيْرَهُ مِنَ الصِّيَامِ الْوَاجِبِ إِلَّا بِنِيَّةٍ
 مِنَ اللَّيْلِ لِكُلِّ يَوْمٍ ، رَوَتْ حَفْصَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ
 لَهُ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعاً : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ قَبْلَ
 طُلُوعِ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ » .

وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ أَتَى بَعْدَ النِّيَّةِ فِي اللَّيْلِ بِمَا يُبْطِلُ
 الصِّيَامَ كَالْأَكْلِ لَمْ تَبْطُلِ النِّيَّةُ لِظَاهِرِ الْخَبَرِ وَلِأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ الْأَكْلَ إِلَى آخِرِ
 اللَّيْلِ فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتَ مَحَلُّهَا وَمَنْ خَطَرَ بِبَالِهِ أَنَّهُ صَائِمٌ غَدًا فَقَدْ
 نَوَى ، لِأَنَّ النِّيَّةَ مَحَلُّهَا الْقَلْبُ ، وَالْأَكْلُ وَالشُّرْبُ بِنِيَّةِ الصَّوْمِ نِيَّةٌ قَالَ
 الشُّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ هُوَ جَيْنٌ يَتَعَشَّى عِشَاءً مَنْ يُرِيدُ الصَّوْمَ ، وَلَوْ نَوَتْ
 حَائِضٌ أَوْ نَفْسَاءُ صَوْمَ غَدٍ وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا تَطْهَرُ لَيْلًا صَحَّ لِمَشَقَّةِ الْمُقَارَنَةِ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

يَا ذَا الَّذِي مَا كَفَاهُ الذُّبُّ فِي رَجَبٍ	حَتَّى عَصَى رَبَّهُ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ
لَقَدْ أَظَلَّكَ شَهْرُ الصَّوْمِ بَعْدَهُمَا	فَلَا تُصَيِّرُهُ أَيْضاً شَهراً عِصْيَانٍ
وَأَثَلِ الْقُرْآنَ وَسَبَّحْ فِيهِ مُجْتَهِداً	فَإِنَّهُ شَهْرُ تَسْبِيحٍ وَقُرْآنٍ
كَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ مِمَّنْ صَامَ فِي سَلَفٍ	مِنْ بَيْنِ أَهْلِ وَجِيْرَانٍ وَإِخْوَانٍ
أَفْتَاهُمْ الْمَوْتَ وَاسْتَبَقَكَ بَعْدَهُمْ	حَيّاً فَمَا أَقْرَبَ الْقَاصِي مِنْ الدَّانِ

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سَبَلِكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ
 الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخَلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ،
 وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاقِبِ
 فَضْلِكَ وَهِبَانِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنُّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
 مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ

المُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)
وَيَبْحَثُ فِي :

١ - حُكْمِ صَوْمِ التَّطَوُّعِ بَيْنَةَ مِنَ النَّهَارِ .

٢ - فِيمَنْ يُبَاحُ لَهُ الْفِطْرُ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ .

٣ - مَنْ عَرَضَ لَهُ جُنُونٌ أَوْ اِغْمَاءٌ .

١ - حُكْمُ صَوْمِ التَّطَوُّعِ بَيْنَةَ مِنَ النَّهَارِ :

وَيَصِحُّ صَوْمُ التَّطَوُّعِ بَيْنَةَ مِنَ النَّهَارِ قَبْلَ الزَّوَالِ وَبَعْدَهُ لِمَا وَرَدَ عَنْ
عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ : « هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ فَقُلْنَا لَا ، فَقَالَ : فَإِنِّي إِذْ
صَائِمٌ ، ثُمَّ أَنَا يَوْمًا آخِرٌ ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْدِي لَنَا حَيْسٌ ،
فَقَالَ : « أَرِنِي ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا فَأَكَلٌ ، » .

وَزَادَ النَّسَائِيُّ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّمَا مَثَلُ صَوْمِ التَّطَوُّعِ ، مَثَلُ الرَّجُلِ
يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ ، فَإِنْ شَاءَ أَنْصَاهَا وَإِنْ شَاءَ حَبَسَهَا ، » وَبِمَنْ لَفِظَ
لَهُ أَيْضًا قَالَ : « يَا عَائِشَةُ ، إِنَّمَا مَنَزَلَةٌ مِنْ صَامٍ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ أَوْ فِي
التَّطَوُّعِ بِمَنَزَلَةِ رَجُلٍ أَخْرَجَ صَدَقَةَ مَالِهِ فَجَادَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْسَاهُ ،
وَبَخِلَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْسَكَهُ ، »

شِعْرًا : فِي النَّاسِ مَنْ أَعْطَى الْجَمِيلَ بَدِيهَةً وَظَنَّ بِفِعْلِ الْخَيْرِ لَمَّا تَفَكَّرَا
آخِرًا : وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَمَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمٍ

قَالَ الْبُخَارِيُّ ، وَقَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ : كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : عِنْدَكُمْ
طَعَامٌ ؟ فَإِنْ قُلْنَا : لَا ، قَالَ : فَإِنِّي صَائِمٌ يَوْمِي . قَالَ وَفَعَلَهُ أَبُو طَلْحَةَ

وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَحَدِيثُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَيُحَكَّمُ بِالصَّوْمِ الْمَثْبُوبِ عَلَيْهِ ، مِنْ وَقْتِ النِّيَّةِ ، لِحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » ، وَمَا قَبْلَهُ لَمْ يُوْجَدْ فِيهِ قَصْدُ الْقُرْبَةِ ، لَكِنْ يُشْتَرَطُ أَنْ لَا يُوْجَدْ مُنَافٍ غَيْرِ نِيَّةِ الْإِفْطَارِ ، اِقْتِصَارًا عَلَى مُقْتَضَى الدَّلِيلِ ، وَنَظَرًا إِلَى أَنَّ الْإِمْسَاكَ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ ، فَلَا يُغْنَى عَنْهُ أَصْلًا ، فَإِنْ فَعَلَ قَبْلَ النِّيَّةِ مَا يُفْطَرُهُ لَمْ يَجُزِ الصِّيَامُ ، فَلَا يَصِحُّ صَوْمٌ مَنْ أَكَلَ ثُمَّ نَوَى بَقِيَّةَ يَوْمِهِ لِعَدَمِ حُصُولِ حِكْمَةِ الصَّوْمِ ، وَيَصِحُّ تَطَوُّعُ حَائِضٍ وَنَفْسَاءٍ طَهَّرَتْ فِي يَوْمٍ بِصَوْمٍ بَقِيَّتِهِ وَتَطَوُّعُ كَافِرٍ أَسْلَمَ فِي يَوْمٍ لَمْ يَأْتِيَا فِيهِ بِمُفْسِدٍ مِنْ أَكْلِ أَوْ شَرْبٍ وَتَحْوِيْمَا وَإِنْ بَلَغَ صَبِيٌّ ، أَوْ أَسْلَمَ كَافِرٌ ، أَوْ أَفَاقَ مَجْنُونٌ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ ، وَهُمْ مُفْطِرُونَ ، لَرِمَهُمُ الْإِمْسَاكَ عَنْ مُفْسِدَاتِ الصَّوْمِ ، لِحُرْمَةِ الْوَقْتِ وَلِزَوَالِ الْمُبِيحِ ، وَإِنْ طَهَّرَتْ حَائِضٌ أَوْ نَفْسَاءٌ ، أَوْ قَدِمَ مُسَافِرٌ مُفْطِرٌ .

فَعَلَيْهِمُ الْإِمْسَاكَ وَالْقَضَاءُ وَلَا خِلَافَ فِي وُجُوبِ الْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا ، أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

وَلِقَوْلِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كُنَّا نَحِيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَمَّرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ ، وَكَذَا الْحُكْمُ فِي الْمَرِيضِ إِذَا صَحَّ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ ، وَكَانَ مُفْطِرًا .

وَيُسْنُ الْفِطْرُ لِمُسَافِرٍ يُبَاحُ لَهُ الْقَضْرُ ، وَلِمَرِيضٍ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وَلِحَدِيثِ « لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ » .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« ... عَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللَّهِ الَّتِي رَخَّصَ لَكُمْ لِقَابِلُوهَا » وَإِنْ صَامَ أَجْزَأَهُ .
 وَلِحَدِيثِ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنْ اللَّهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ
 أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ » .

وَعَنْ حَمَزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَصُومُ فِي السَّفَرِ؟
 قَالَ : « إِنْ شِئْتَ فَصُمْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَافْطِرْ » وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

(فِصْل)

٢ - فِيمَنْ يُبَاحُ لَهُ الْفِطْرُ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ :

وَيُبَاحُ الْفِطْرُ ، لِحَاضِرٍ سَافِرٍ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ . لِحَدِيثِ أَبِي بَصْرَةَ
 الْغِفَارِيِّ : أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ مِنَ الْفِسْطَاطِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَدَفَعَ ، ثُمَّ
 قَرَّبَ غَدَاءَهُ ، فَلَمْ يُجَاوِزِ الْبُيُوتَ حَتَّى دَعَا بِالسُّفْرَةِ ، ثُمَّ قَالَ : اقْتَرَبْ !
 قِيلَ : أَلَسْتَ تَرَى الْبُيُوتَ ؟ قَالَ أُرْعَبُ عَنْ سَنَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ فَأَكَلَ .

وَإِنْ صَامَ أَجْزَأَهُ ، لِحَدِيثِ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنْ اللَّهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا
 فَحَسَنٌ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ » .

وَيُبَاحُ الْفِطْرُ لِحَامِلٍ ، وَمُرْضِعٍ ، إِذَا خَافَتَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا ، فَيُفْطَرَانِ
 وَيَقْضِيَانِ كَالْمَرِيضِ الْخَائِفِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَإِنْ خَافَتَا عَلَى وَلَدَيْهِمَا أَفْطَرَتَا
 وَقَضَتَا ، وَلَزِمَ وَلِيُّ الْوَلَدِ أَطْعَامَ مَسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى
 الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « كَانَتْ رُخْصَةٌ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ
 وَالْمَرْأَةِ وَهَمَا يُطِيقَانِ الصِّيَامَ أَنْ يُفْطَرَا وَيُطْعِمَا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا
 وَالْحُبْلَى وَالْمُرْضِعُ إِذَا خَافَتَا عَلَى أَوْلَادِهِمَا أَفْطَرَتَا وَأَطْعَمَتَا » . رَوَاهُ أَبُو
 دَاوُدَ .

وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَلَا مُخَالَفَ لَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَكَيْسَ لِمَنْ جَازَ لَهُ الْفِطْرُ بِرَمَضَانَ أَنْ يَصُومَ غَيْرَهُ فِيهِ لِأَنَّهُ لَا يَسَعُ غَيْرَ مَا فُرِضَ فِيهِ وَلَا يَصْلِحُ لِسِوَاهُ، وَيَجِبُ الْفِطْرُ عَلَى مَنْ أَحْتَاَجَهُ لِإِنْقَادِ مَعْصُومٍ مِنْ مَهْلَكَةٍ. كَفَرَقَ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُهُ تَدَارُكُ الصَّوْمِ بِالْقَضَاءِ بِخِلَافِ الْغَرِيقِ وَنَحْوِهِ، وَيَجِبُ الْفِطْرُ عَلَى الْحَائِضِ وَالنَّفْسَاءِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تُصُمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٣ - مَنْ عَرَضَ لَهُ جُنُونٌ أَوْ اِغْمَاءٌ :

وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ ثُمَّ جُنَّ أَوْ اِغْمِيَ عَلَيْهِ جَمِيعَ النَّهَارِ، وَلَمْ يُفِقْ جُزْءًا مِنْهُ لَمْ يَصِحَّ صَوْمُهُ لِأَنَّ الصَّوْمَ: الْإِمْسَاكُ مَعَ النَّيَّةِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي . . . » ، فَأُضَافَ التَّرْكَ إِلَيْهِ، وَهُوَ لَا يُضَافُ إِلَى الْمَجْنُونِ وَالْمَغْمَى عَلَيْهِ، فَلَمْ يَجْزِ وَالنِّيَّةُ وَحْدَهَا لَا تُجْزِي، وَيَصِحُّ الصَّوْمُ مِمَّنْ أَفَاقَ جُزْءًا مِنْهُ حَيْثُ نَوَى لَيْلًا لِصِحَّةِ إِضَافَةِ التَّرْكَ إِلَيْهِ إِذَا، وَيُفَارِقُ الْجُنُونَ الْحَيْضَ بَإَنَّهُ لَا يَمْنَعُ الْوُجُوبَ بَلْ يَمْنَعُ الصَّحَّةَ وَحَرْمَ فِعْلَهُ، وَيَصِحُّ صَوْمٌ مَنْ نَامَ جَمِيعَ النَّهَارِ لِأَنَّ النَّوْمَ عَادَةٌ لَا يَزُولُ الْاِحْتِسَاسُ بِهِ بِالْكُلِّيَّةِ لِأَنَّهُ مَتَى نُبِّهَ انْتَبَهَ. وَيَقْضِي مَغْمَى عَلَيْهِ زَمَنَ اِغْمَائِهِ لِأَنَّهُ مُكَلَّفٌ، وَلِأَنَّ مُدَّةَ الْاِغْمَاءِ لَا تَطُولُ غَالِبًا، وَلَا تُبْتِغُ الْوِلَايَةَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقْضِي مَجْنُونٌ زَمَنَ جُنُونِهِ لِعَدَمِ تَكْلِيفِهِ.

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِالْيَمِّ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمِعَ بِالنُّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ،

وَتَجَاوَزَ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(١٤) مَوْعِظَةٌ

أُخْوَانِي إِنَّ الْغَفْلَةَ عَنِ اللَّهِ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فَمَنْ غَفَلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَاللَّهُتِ الدُّنْيَا
عَنِ الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ أَنْسَاهُ الْعَمَلَ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ فَلَا يَسْعَى لَهَا بِمَا
فِيهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ فِي أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَأَصْلَاحِهَا وَمَا يُكْمِلُهَا وَيُنْسِي
كَذَلِكَ أَمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَالْأَمَةَ فَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ مُعَالَجَتُهَا وَلَا السَّعْيَ فِي
إِزَالَةِ عِلْلِهَا وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَوَلُّ إِلَى الْهَلَاكِ وَالذَّمَارِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ
الْعُقُوبَاتِ فَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ
مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا وَحَيَاتِهَا الْأَبَدِيَّةَ فِي
النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ قَدْ
نَسُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا وَبَاعُوهَا بِشَيْءٍ بَخْسٍ بَيْعِ الْمَغْبُونِ
وَيَظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ كُلُّهُ يَوْمَ التَّعَابُنِ « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ
وَلَا بَنُونَ ، الْآيَةُ .

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي
إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ أَنَّهَا لِحَسْرَةٍ عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ دُونَهَا كُلِّ حَسْرَةٍ ، هُوَ لِأَيِّ
هُمُ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ
نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

شِعْرًا :

الْقَلْبُ أَعْلَمُ يَا عَدُوُّ بَدَائِهِ مَا غَيْرُ دَاءِ الذَّنْبِ مِنْ أَدْوَائِهِ
وَالذَّنْبُ أَوْلَى مَا بَكَاهُ أَخُو التَّقَى وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ

فَوَمَنْ أَحَبُّ لَأَعْصِينَ عَوَازِلِي
مَنْ ذَا يَلُومُ أَخَا الذُّنُوبِ إِذَا بَكَى
فَوَحِقُّ مَنْ خَافَ الْفُؤَادُ وَعَيْدُهُ
مَا كُنْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِي حُسْنَ الثَّنَا
مَنْ ذَا الَّذِي بَسَطَ الْبَسِيطَةَ لِلْوَرَى
مَنْ ذَا الَّذِي جَعَلَ النُّجُومَ ثَوَاقِبًا
مَنْ ذَا أَتَى بِالشَّمْسِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ
أَسْوَاهُ سَوَاهَا ضِيَاءً نَافِعًا
مَنْ أَطْلَعَ الْقَمَرَ الْمُنِيرَ إِذَا دَجَى
مَنْ طَوَّلَ الْأَيَّامَ عِنْدَ مَضِيْفِهَا
مَنْ ذَا الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا
وَأَدَّرَ لِلطُّفْلِ الرُّضِيعِ مَعَاشَهُ
يَا وَيْحَ مَنْ يَعْصِي الْإِلَهَ وَقَدْ رَأَى
وَرَأَى مَسَاكِينَ مَنْ عَصَى مِمَّنْ خَلَا
وَدَعَ الْجَبَابِرَةَ الْأَكَاسِرَةَ الْأَلَى
كَمْ شَاهَدْتُ عَيْنَاكَ مِنْ مَلِكٍ غَدَا
مَلَأَتْ لَهُ الدُّنْيَا كُؤُوسًا حُلُوهَ
مَا طَلَقَ الدُّنْيَا إِخْتِيَارًا إِنَّمَا
جَعَلَتْ لَهُ الْأَكْفَانَ كَسُوءَ عُدَّةٍ
وَبَضْمُهُ لَا مُشْفِقًا فِي ضَمِّهِ
وَهُنَاكَ يُغْلَقُ لِحْدُهُ عَنْ أَهْلِهِ
وَيَزُورُهُ الْمَلَكَانَ قَصْدَ سُؤَالِهِ
فَإِذَا أَجَابَ بِـ «لَسْتُ» أَدْرِي أَقْبَلًا
وَيَرَى مَنَازِلَهُ بِقَعْرِ جَهَنَّمَ

قَسَمًا بِهِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ
وَرَجَا مَثُوبَتَهُ وَحُسْنَ جَزَائِهِ
بَبْدِيعِ نَظْمِي فِي مَدِيحِ سِوَائِهِ
فَرُشًا وَتَوَجَّهًا بِسَقْفِ سَمَائِهِ
يَهْدِي بِهَا السَّارِينَ فِي ظُلُمَائِهِ
تَجْرَى بِتَقْدِيرِ عَلِيِّ أَرْجَائِهِ
لَا وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِنَائِهِ
لَيْلُ فَشَابَهُ صُبْحُهُ - بِضِيَائِهِ
وَأَتَتْ قِصَارًا عِنْدَ فَضْلِ شَتَائِهِ
وَكَفَى الْجَمِيعَ بِرِّهِ وَعَطَائِهِ
مَنْ أَمَّهُ يَمْتَصُّ طَيْبَ غَدَائِهِ
إِحْسَانَهُ بِنَوَالِهِ وَنِدَائِهِ
خَلُوهَا تَصِيحُ الْبُومِ فِي أَرْجَائِهِ
وَانظُرْ لِمَنْ شَاهَدْتَ فِي عَلَوَائِهِ
يَحْتَالُ بَيْنَ جِيُوشِهِ وَلِوَائِهِ
وَسَقَتُهُ مَرَّ السُّمِّ فِي حَلَوَائِهِ
هِيَ طَلَّقَتْهُ وَمَتَّعَتْهُ بِدَائِهِ
وَاللَّحْدَ سُكْنَاهُ وَبَيْتَ بَلَائِهِ
حَتَّى تَكُونَ حَشَاهُ فِي أَحْشَائِهِ
بِحِجَارَةٍ وَبِطِينَةٍ وَبِمَائِهِ
عَنْ دِينِهِ لَا عَنْ سُؤَالِ سِوَائِهِ
ضَرْبًا لَهُ فِي وَجْهِهِ وَقَفَائِهِ
وَيُقِيمُ فِي ضَيْقِ لَطُولِ عَنَائِهِ

يا ربِّ ثَبَّتْنَا بِقَوْلٍ ثَابِتٍ عِنْدَ امْتِحَانِ الْعَبْدِ نَحْتِ ثَرَائِهِ
 أَنَا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِبَعْثِهِ وَلِقَائِهِ
 ثم الصلاة على الرسول مُحَمَّدٍ والآلِ أهلِ البيتِ أهلِ كِسَائِهِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَبَيِّنْنَا
 لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقْفَنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا
 انطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا
 مِنَّا، وَأْمُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْوَحُ بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

إِخْوَانِي أَيُّنَ أَحْبَابِكُمْ الَّذِينَ سَلَفُوا أَيُّنَ أَثْرَابِكُمْ الَّذِينَ رَحَلُوا وَأَنْصَرَفُوا ،
 أَيُّنَ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ وَمَا خَلَفُوا .

ندموا والله على التفريط يا لَيْتَهُمْ عَرَفُوا هَوْلَ مَقَامِ يَشِيبُ مِنْهُ الْوَلِيدُ ، إِذَا
 ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

فَوَاعَجَبًا لَكَ كُلَّمَا دُعِيتَ إِلَى اللَّهِ تَوَانَيْتَ ، وَكُلَّمَا حَرَّكَتَكَ الْمَوَاعِظُ إِلَى
 الْخَيْرَاتِ أُيِّتَ ، وَعَلَى غَيْكَ وَجْهَلِكَ تَمَادَيْتَ ، وَكَمْ حُدِّرْتَ مِنَ الْمُنُونِ فَمَا
 التَّفَتَ إِلَى قَوْلِ النَّاصِحِ وَتَرَكْتَهُ وَمَا بَالَيْتَ .

يَا مَنْ جَسَدُهُ حَيٌّ وَلَكِنْ قَلْبُهُ مَيِّتٌ ، سَتُعَايِنُ عِنْدَ قُدُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ مَا
 لَا تَشْتَهِي وَتُرِيدُ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

كَمْ أَزْعَجَ الْمَوْتَ نَفُوسًا مِنْ دِيَارِهَا ، وَكَمْ أَتَلَفَ الْبَلَى مِنْ أَجْسَادٍ مُنْعَمَةٍ لَمْ
 يَدَارِهَا ، وَكَمْ أَذَلَّ فِي التُّرَابِ وَجُوهًا نَاعِمَةً بَعْدَ رَفْعَتِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا .

إنتبه يا أخي فالدنيا أضغاث أحلام ، ودارُ فناءٍ لَيْسَتْ بِدَارِ مَقَامٍ ،
سَتَعْرِفُ وتفهم نُصْحِي لَكَ بعدَ أيام .

وما غابَ عَنْكَ سَتْرَاهِ على التمام إذ اكشَفَ العِطاءَ عَنْكَ وصَارَ بَصْرُكَ
حَدِيدَ ، وهناك تَنْدَمُ ولاتَ ساعةَ ندم .

شعرا :

قُلْ لِلَّذِي أَلْفَ الذُّنُوبِ وَأَجْرَمًا وَغَدَا عَلَيَّ زَلَاتِهِ مُتِنِدَمًا
لَا تِيَأْسُنْ واطْلُبْ كَرِيمًا دَائِمًا يُؤَلِّي الجَمِيلَ تَفَضُّلاً وَتَكْرُمًا
يَا مَعْشَرَ العَاصِينَ جُودٌ وَاسِعٌ عندَ الإلهِ لِمَنْ يُتُوبُ وَيُنْدَمًا
يَا أَيُّهَا العَبْدُ المُسِيءُ إِلَى مَتَى تُفْنِي زَمَانِكَ فِي عَسَى وَلُرَبَّمَا
بَادِرْ إِلَى مَوْلَاكَ يَا مَنْ عُمُرُهُ قَدْ ضَاعَ فِي عِصْيَانِهِ وَتَصَرَّمَا
وَاسأَلْهُ عَوفِيقًا وَعَفْوًا ثُمَّ قُلْ يَا رَبِّ بَصْرِي وَزَلَّ عَنِّي العَمَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ على النبي أَجَلٌ مَنْ قَدْ حُصَّ بِالتَّقْرِيْبِ مِنْ رَبِّ السَّمَا
وعلى صَحَابَتِهِ الأفاضلِ كُلِّهِمْ مَا سَبَّحَ الدَّاعِي الإلهَ وَعَظَّمَا

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ المُفْلِحِينَ ، واجعلنا مِنْ عِبَادِكَ المُخْلِصِينَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الفَرَجِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الدينِ ، واحشُرنا معَ الذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مَنْ
التَّيْبِينَ والصُّدِيقِينَ والشُّهَدَاءَ والصَّالِحِينَ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِينَا ولِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ
الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) يَحْرُمُ على كُلِّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ تَنَاوُلُ مُفَطَّرٍ مِنْ غَيْرِ عُدْرِ ، لِمَا
وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ ، لَمْ يَقْضِهِ صَوْمُ
الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ » .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ البَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

صلى الله عليه وسلم يقول « بئسما أنا نائم أتاني رجلان فأخذوا بضبعي فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا اصعد فقلت إني لا أطيقه فقالا إنا سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سراة الجبل إذا بأصوات شديدة قلت ما هذه الأصوات قالا هذا عواء أهل النار ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيهم مشققه أشداقهم تسيل أشداقهم دماً قال قلت من هؤلاء قال الذين يفتطرون قبل تحلة صومهم » الحديث رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما .

ومما يحرم على الصائم الأكل والشرب بعد تبين الفجر الثاني لقوله تعالى : ﴿ ... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ .

فمن أكل أو شرب مختاراً ذاكراً لصومه أبطله ، لأنه فعل ما ينافي الصوم لغير عذر .

٢ - حكم ما إذا أكل أو شرب ناسياً :

ولا يفتطر من أكل أو شرب ناسياً ، لما ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نسي وهو صائم فأكل أو شرب ، فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » .

وروى الحاكم قوله صلى الله عليه وسلم : « من أفطر في رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة ، ومن استقأ فسد صومه ، وعليه قضاء » .

ومن ذرعه القيء فلا شيء عليه ، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ذرعه القيء فلا قضاء عليه ، ومن استقأ فعليه القضاء » .

وَمِمَّا يُفْطَرُ : الْحِجَامَةُ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَتَى عَلَى رَجُلٍ بِالْبَقِيعِ وَهُوَ يَحْتَجِمُ فِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ : أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ .

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ » .

وَمِمَّا يَحْرُمُ عَلَى الصَّائِمِ ، وَيُبْطَلُ صِيَامَهُ الْجَمَاعُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ ، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ ، وَهِيَ عَتَقُ رَقَبَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : « هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا أَهْلَكَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : اجْلِسْ . وَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ ، وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ الضَّخْمُ ، قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ ؟ قَالَ أَنَا قَالَ : خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ؟ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ « أَطْعِمَهُ أَهْلَكَ » مُتَفَقِّحًا عَلَيْهِ .

وَتَحْرُمُ الْمُبَاشَرَةُ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ إِنْ ظَنَّ إِنْزَالًا ، فَإِنْ بَاشَرَ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ ، فَانزَلَ مَبِيًّا فَسَدَ صَوْمُهُ ، لِأَنَّهُ إِنْزَالٌ عَنْ مُبَاشَرَةٍ ، فَاشْبَهَ الْجَمَاعُ .

وَمِمَّا يُفْطَرُ : (الرَّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ - أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا) قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى : ﴿ لَيْتَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الزُّمَرِ

. ٦٥

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ المائدة ٥ .

وَمَا يُفْطَرُ : إِيصَالُ الْأَعْذِيَةِ بِالْأَبْرَةِ إِلَى الْجَوْفِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ
لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ وَأَمَّا الْحُبُوبُ الْغِذَائِيَّةُ وَالذَّوَائِيَّةُ
وَالْمُشْتَرَكَةُ فَيُفْطَرُ مَنْ أَكَلَهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ قَوَارِعَ الْأَيَّامِ خَاطِبَةٌ ، فَهَلْ أُذِنَ لِعِظَاتِهَا وَاعِيَةٌ ، وَإِنَّ
فَجَائِعَ الْمَوْتِ صَائِيَةٌ فَهَلْ نَفْسٌ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ مُرَاعِيَةٌ ، إِنَّ مَطَالِعَ الْأَمَالِ
إِلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ سَاعِيَةٌ أَلَّا فَانظُرُوا بِثَوَاقِبِ الْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ فِي
نَوَاحِي الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ فَمَا تَرَوْنَ فِي حُسُودِكُمْ وَجُمُوعِكُمْ إِلَّا الشَّتَاتِ
وَلَا تَسْمَعُوا فِي رُبُوعِكُمْ إِلَّا فُلَانٌ مَرِيضٌ وَفُلَانٌ مَاتَ أَيْنَ الْأَبَاءِ الْأَكَابِرُ أَيْنَ
الْعُلَمَاءِ الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمُ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ الْمُنَاصِحُونَ
لِوَلَاتِهِمْ وَأُمَّتِهِمُ الزَّاهِدُونَ فِي حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ أَيْنَ الْكِرَمَاءِ الْأَفْضَلِ
الَّذِينَ يَغَارُونَ إِذَا انْتَهَكَتِ الْمَحَارِمُ أَيْنَ الْهَاجِرُونَ الْمُصَارِمُونَ لِلْفَاسِقِ
وَالْفَاجِرِ أَيْنَ الْمُنَاصِرُونَ لِلْقَائِمِ عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ أَيْنَ أَهْلِ
الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ الْمُحِبُّونَ فِي اللَّهِ الْمُبْغِضُونَ لِأَعْدَائِهِ .

أَيْنَ الْمُنْقُذُونَ لِمَا كَلِمِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ عَنِ الْحَرَامِ وَالْمُشْتَبِهِ وَهُوَ
مَا كَانَ الْقَلْبُ فِي الْأَقْدَامِ عَلَيْهِ وَالْكَفُّ عَنْهُ حَائِرٌ .

أَيْنَ الَّذِينَ لَا يَسْكُنُونَ إِلَّا بِرِضَا صَاحِبِ الْمُلْكِ خَوْفًا مِنَ الْمُخَاطَرَةِ

مَا كَانَ الْقَلْبُ فِي الْأَقْدَامِ عَلَيْهِ وَالْكَفُّ عَنْهُ حَائِرٌ .
أَيْنَ الدِّينَ لَا يَسْكُنُونَ إِلَّا بِرِضَا صَاحِبِ الْمُلْكِ خَوْفًا مِنَ الْمُحَاطَرَةِ
فِي صَلَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَنِكَاحِهِمْ وَمُكِيثِهِمْ فِي الْأَمْلَاقِ الْمَسْكُونَةِ قَهْرًا
وَعُضْبًا .

أَيْنَ الْمُتَفَقِّدُونَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدٌ .
عَثَرَتْ وَاللَّهِ بِهِمُ الْعَوَائِرُ وَأَبَادَتْهُمْ السِّنِينَ الْعَوَابِرُ وَبَتَرَتْ أَعْمَارُهُمُ
الْحَادِثَاتُ الْبَوَائِرُ وَاحْتَطَفَتْهُمْ عَقَبَاتُ كَوَاسِرِ . وَخَلَّتْ مِنْهُمْ الْمَشَاهِدُ
وَالْمَحَاضِرُ وَعُدِمَتْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ تِلْكَ الْجَوَاهِرُ وَطَفِئَتْ مِنْ وُجُوهِهِمُ الْأَنْوَارُ
الزَّوَاهِرُ وَابْتَلَعَتْهُمْ الْحُفْرُ وَالْمَقَابِرُ إِلَى يَوْمِ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَلَوْ كُشِفَتْ عَنْهُمْ
أَعْطِيَةُ الْقُبُورِ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ لَيَالٍ لَرَأَيْتِ الْأَحْدَاقَ عَلَى الْخُدُودِ سَائِلَةً
وَالْأَوْصَالَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مَائِلَةً وَدِيدَانَ الْأَرْضِ فِي نَوَاعِمِ تِلْكَ
الْأَبْدَانِ جَائِلَةً وَالرُّؤُوسَ الْمَوْسَدَةَ عَلَى الْإِيْمَانِ زَائِلَةً يُنْكِرُهَا مَنْ كَانَ عَارِفًا
بِهَا وَيَنْفُرُ عَنْهَا مَنْ لَمْ يَزَلْ آفَا بِهَا .

فَلَا يُعْرِفُ السَّيِّدُ مِنَ الْمَسُودِ وَلَا الْمَلِكُ مِنَ الْمَمْلُوكِ وَلَا الذُّكِيُّ مِنَ
الْبَلِيدِ وَلَا الْغَنِيُّ مِنَ الْفَقِيرِ فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا بَادَرَ بِالْأَقْلَاعِ عَنِ السِّيَّاتِ
وَوَاصَلَ الْإِسْرَاعَ وَالْمَبَادِرَةَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ انْقِطَاعِ مُدَدِ
الْأَوْقَاتِ وَطَيَّ صَحَائِفِ الْمُسْتَوْدَعَاتِ وَنَشَرَ فِصَائِحِ الْاِقْتِرَافَاتِ وَالْجِنَايَاتِ
فَلَا تَغْتَرُّوا بِحَيَاةِ تَقُودُ إِلَى الْمَمَاتِ فَوَزَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَاتٍ فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ قَبْلَ أَنْ تَتَمَّنُوا الْمُهْلَةَ وَهَيْهَاتَ .

اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا حِفْظَ جَوَارِحِنَا عَنِ الْمَعَاصِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَتَقِّ قُلُوبَنَا
مِنَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْإِحْنِ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ
الدَّاءِ وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ النُّعْمَةِ . اللَّهُمَّ تَوْفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرِ

حَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: نَمْضِي عَلَى سَبِيلِ كَانُوا لَهَا سَلَكَوا

أَسْلَفْنَا وَهُمْ لِلدِّينِ قَدْ شَادُوا

لَنَا بِهِمْ أَسْوَةٌ إِذْ هُمْ أُيْمِتْنَا
وَنَحْنُ لِقَوْمِ أَبْنَاءِ وَأَحْفَادِ
وَالصُّبْرِ يَا نَفْسُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَهُ
عَوَاقِبُ كُلُّهَا نُجْحٌ وَإِمْدَادُ
فَاصْبِرْ هُدَيْتَ فَإِنَّ الْمَوْتَ مُشْتَرِكٌ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَإِنْ طَاوَلْنَ آمَادُ
وَالنَّاسِ فِي غَفَلَاتٍ عَنِ مَصَارِعِهِمْ
كَأَنَّهُمْ وَهُمْ الْأَيْقَاطُ رُقَادُ
دُنْيَا تَغُرُّ وَعَيْشٌ كُلُّهُ كَدْرُ
لَوْلَا النُّفُوسُ الَّتِي لِلْوَهْمِ تَنْقَادُ
كُنَّا عَدَدْنَا لِهَذَا الْمَوْتِ عُدَّتَهُ
قَبْلَ الْوَفَاةِ وَأَنْ تُحْفَرْنَ الْأَحَادُ
فَالدَّارُ مِنْ بَعْدِ هَذِي الدَّارِ آخِرَةٌ
تَبْقَى دَوَامًا بِهَا حَشْرٌ وَمِيعَادُ
وَجَنَّةٌ أُزْلِفَتْ لِلْمُتَّقِينَ وَأَهْدُ
لِلْحَقِّ وَالصُّبْرِ أَبْدَالُ وَأُوتَادُ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ وَلَا
تَعْجَلْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ الْمَرَّةَ جَهَادُ

لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ إِلَّا مَا يُقَدِّمُهُ
فَبَادِرِ الْفَوْتَ وَاصْطَلِدْ قَبْلَ تَضَطُّادِ
وَالْمَوْتُ لِلْمُؤْمِنِ الْأَوَابِ تُخَفِّتُهُ
وَفِيهِ كُلُّ الَّذِي يَتَّبِعِي وَيَرْتَادُ
لِقَا الْكَرِيمِ تَعَالَى مَجْدُهُ وَسَمَا
مَعَ النَّعِيمِ الَّذِي مَا فِيهِ أَنْكَادُ
فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ إِحْسَانٌ وَمَرْحَمَةٌ
فَالْفَضْلُ لِلَّهِ كَمَا الْأَزَالِ أَبَادُ
فَالظَّنُّ بِاللَّهِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا
ظَنُّ جَمِيلٌ مَعَ الْأَنْفَاسِ يَزْدَادُ
نَرْجُوهُ يَرْحَمُنَا نَرْجُوهُ يَسْتُرُنَا
فَمِنْهُ لِلْكَوْنِ إِمْدَادُ وَإِبْجَادُ
نَدْعُوهُ نَسْأَلُهُ عَفْوًا وَمَغْفِرَةً
مَعَ حُسْنِ خَاتِمَةِ فَالْعُمْرُ نَفَادُ
وَقَدْ رَضِينَا قَضَاءَ اللَّهِ كَيْفَ قَضَا
وَاللُّطْفُ نَرْجُوهُ وَحُسْنُ الصَّبْرِ إِرْشَادُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ الْمُتَّقِينَ ، وَخُصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ،
وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : ٣ - بعض فوائد الصيام :

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لِيْشَهْرَ رَمَضَانَ شَرَفَهُ اللَّهُ فَوَائِدُ عَظِيمَةً وَمَنَافِعُ جَمَّةً وَآثَارُ

حَسَنَةٌ فَهُوَ يَضْبُطُ النَّفْسَ وَيُطْفِئُ شَهْوَتَهَا فَإِنَّهَا إِذَا شَبِعَتْ تَمَرَدَتْ فِي
الْغَالِبِ وَسَعَتْ فِي شَهْوَاتِهَا ، وَإِذَا جَاعَتْ سَكَنتُ وَخَضَعَتْ وَامْتَنَعَتْ
عَنْ مَا تَهْوَى ، فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ
فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصُّومِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ ، مُتَّقٍ عَلَيْهِ .

ذَلِكَ أَنَّهُ يَكْبِرُ مِنَ شَهْوَةِ الشَّبَابِ حَتَّى لَا تَطْفَأَ عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ ،
فَكَانَ الصُّومُ وَسِيلَةً إِلَى كَفِّ النَّفْسِ عَنِ الْمَعَاصِي ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ
حَكِيمٍ عَلِيمٍ ، فَالصِّيَامُ يُرَبِّي فِي الْإِنْسَانِ الْفَضَائِلَ وَالْإِحْلَاصَ وَالْأَمَانَةَ
وَالصَّبْرَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، لِأَنَّهَا إِذَا انْقَادَتْ لِلْامْتِنَاعِ عَنِ الْحَلَالِ مِنَ الْغِذَاءِ
الَّذِي لَا غِنَى لَهَا عَنْهُ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَوْفًا مِنَ أَلِيمِ عِقَابِهِ .

فَالْآخَرَى بِهَا أَنْ تَتَمَرَّنَ عَلَى الْامْتِنَاعِ عَنِ الْحَرَامِ الَّذِي هِيَ غِيئُهُ
عَنْهُ وَتُبَعِدَ عَنْهُ كُلُّ الْبُعْدِ فَلَا يَغْدُرُ وَلَا يَخُونُ وَلَا يُخْلِفُ وَعَدَاً وَلَا يَكْذِبُ
وَلَا يُرَائِي .

فَإِذَا وَفَّقَهُ اللَّهُ لِصَوْنِ صِيَامِهِ عَنِ الْمُفْسِدَاتِ وَالْمُنْقِصَاتِ فَالصُّومُ
لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ سَبَبٌ فِي اتِّقَاءِ الْمَحَارِمِ وَقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ وَالتَّحَلِّيِ بِالْفَضَائِلِ
وَالتَّحَلِّيِ عَنِ الرَّذَائِلِ ، وَالِى هَذَا أُشَارَ جَلُّ وَعَلَا بِقَوْلِهِ : ﴿ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴾ فَالصُّومُ يَدْعُو إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ ، إِذْ هُوَ كَفُّ النَّفْسِ عَنِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمُبَاشَرَةِ النَّسَاءِ ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ جَلَائِلِ نِعْمِ اللَّهِ عَلَى
خَلْقِهِ .

وَالْامْتِنَاعِ عَنِ هَذِهِ النِّعَمِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى آخِرِهِ
يُعَرَّفُ الْإِنْسَانَ قَدْرَهَا ، إِذْ لَا يُعَرَّفُ فَضْلُ النِّعْمَةِ إِلَّا بَعْدَ فَقْدِهَا فَيَتَعَبَهُ
ذَلِكَ عَلَى الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا وَشُكْرُ النِّعْمَةِ وَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادِ ، وَالِى هَذَا

أَشَارَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

وَأَيْضاً فَالصَّيَامُ يَبْعَثُ فِي الْإِنْسَانِ فَضِيلَةَ الرَّحْمَةِ بِالْفُقَرَاءِ وَالْعَطْفِ
عَلَى الْبَائِسِينَ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ذَاقَ أَلَمَ الْجُوعِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ تَذَكَّرَ
الْفَقِيرَ الْجَائِعَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فَيَسَارِعُ إِلَى رَحْمَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ . قِيلَ
لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْجُوعِ : لِمَ تَجُوعُ وَأَنْتَ عَلَى خَزَائِنِ
الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ : أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسِيَ الْجَائِعَ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الصَّيَامِ مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ يُنْقَى الْجِسْمُ مِنَ الْفَضَلَاتِ
الرَّدِيئَةِ وَرَطُوبَاتِ الْأَمْعَاءِ ، وَيَشْفَى كَثِيراً مِنَ الْأَمْرَاضِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَفِيهِ مِنَ الْمَزَايَا الصَّحِيَّةِ مَا شَهِدَ بِهِ الْعَدُوُّ قَبْلَ الصِّدِّيقِ ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ
عَلِيمٍ حَكِيمٍ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الصَّيَامِ أَنَّهُ يُقْوِي النَّفْسَ عَلَى الْبِرِّ وَالْجَلَمِ وَهَمَّا تَجَنَّبَ
كُلَّ مَا مِنْ شَأْنِهِ اثَارَةُ الْغَضَبِ لِأَنَّ الصُّومَ يَنْصِفُ الصَّبْرَ ، وَالصَّبْرُ يَنْصِفُ
الْإِيمَانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ مُعَاذِ ابْنِ
جَبَلٍ فِي حَدِيثِهِ الطُّوْبَلِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : (أَلَا
أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الصُّومُ جُنَّةٌ
فَالصُّومُ جُنَّةٌ مِنَ الْعَذَابِ وَمِنَ الْإِخْلَاقِ السَّيِّئَةِ) .

وَمَنْ يُلَاحِظُ حَالَ الصَّائِمِينَ الْمُؤَفَّقِينَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَحْرِي
الطَّاعَةِ وَتَحْرِي سُبُلِ الْخَيْرَاتِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرَّغْبَةِ فِي
الْإِحْسَانِ يُدْرِكُ أَنَّ الصُّومَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ ، وَيُدْرِكُ مَعْنَى قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وَيُدْرِكُ مَعْنَى قَوْلِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصُّومُ جُنَّةٌ » وَيُدْرِكُ مَا فِيهِ مِنْ تَهْدِيبِ النَّفْسِ

وَتَطْهِّرُهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَوْثُوءَةِ وَتَرْوِيضِهَا عَلَى الطَّاعَاتِ وَإِعْدَادِهَا
لِلسَّعَادَتَيْنِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ، وَحَسْبُكَ « فِي فَضْلِ الصَّيَامِ قَوْلُهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ
اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » .

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَنْدُرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجْلِي فَالصَّوْمُ لِي
وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي وُجُودِ هَذِهِ
الرَّائِحَةِ مِنَ الصَّائِمِ هَلْ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ وَفَضَّلَ
النُّزَاعَ فِي الْمَسْأَلَةِ أَنْ يُقَالَ حَيْثُ أُخْبِرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ ذَلِكَ
الطَّيْبَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ ثَوَابُ الْأَعْمَالِ
وَمُوجِبَاتُهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَيَظْهَرُ لِلخَلْقِ طِيبُ ذَلِكَ الْخُلُوفِ عَلَى الْمِسْكِ
كَمَا يَظْهَرُ فِيهِ دَمُ الْمَكْلُومِ فِي سَبِيلِهِ كَرَائِحَةَ الْمِسْكِ وَكَمَا تَظْهَرُ فِي
السَّرَائِرِ وَتَبْدُو عَلَى الْوُجُوهِ وَتَصِيرُ عَلَانِيَةً وَيَظْهَرُ فِيهِ قُبْحُ رَائِحَةِ الْكُفَّارِ
وَسَوَادُ وُجُوهِهِمْ وَحَيْثُ أُخْبِرَ بِأَنَّ ذَلِكَ حِينَ يَخْلُفُ وَحِينَ يُمَسُونَ فَلِأَنَّهُ
وَقْتُ ظُهُورِ أَثَرِ الْعِبَادَةِ وَيَكُونُ حِينَئِذٍ طِيبُهَا عَلَى رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى وَعِنْدَ مَلَائِكَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الرَّائِحَةُ كَرِيهَةً لِلْعِبَادِ .

فَرُبُّ مَكْرُوهٍ عِنْدَ النَّاسِ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالعَكْسِ فَإِنَّ
النَّاسَ يَكْرَهُونَهُ لِمُنَافَرَتِهِ لِطَبَاعِهِمْ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَطِيبُهُ وَيُحِبُّهُ لِمُوَافَقَتِهِ
لِأَمْرِهِ وَرِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ فَيَكُونُ عِنْدَهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَنَا فَإِذَا كَانَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهَرَ هَذَا الطَّيْبُ لِلْعِبَادِ وَصَارَ عَلَانِيَةً .

وَهَكَذَا سَائِرُ آثَارِ الْأَعْمَالِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَإِنَّمَا يَكْمُلُ ظُهُورُهَا
وَيَصِيرُ عَلَانِيَةً فِي الْآخِرَةِ .

شعرا :

لِلَّهِ قَوْمٌ أَخْلَصُوا فِي حُبِّهِ فَكَسَا وَجُوهُهُمْ الوَسِيمَةَ نُورًا

دَكُرُوا النَّعِيمَ فَطَلَّقُوا ذُنُوبَهُمْ
 قَامُوا يُنَاجُونَ إِلَهَهُ بِأَذْمَعِ
 سَتَرُوا وَجُوهَهُمْ بِأَسْتَارِ الدُّجَى
 عَمِلُوا بِمَا عَلَّمُوا وَجَادُوا بِالَّذِي
 وَإِذَا بَدَأَ لَيْلٌ سَمِعَتْ حَنِينَهُمْ
 تَعَبُوا قَلِيلًا فِي رِضَا مَحْبُوبِهِمْ
 صَبَرُوا عَلَى بَلْوَاهُمَا فَجَزَاهُمَا
 يَا أَيُّهَا الْغُرُّ الْحَزِينُ إِلَى مَتَى
 بَادِرْ زَمَانَكَ وَاغْتَنِمْ سَاعَاتِهِ
 وَاضْرَعْ إِلَى الْمَوْلَى الْكَرِيمِ وَنَادِهِ
 مَا لِي سِوَاكَ وَأَنْتَ غَايَةُ مَقْصِدِي

اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهَذَاكَ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَوَقِّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ عَلَى الْوَجْهِ
 الْمَطْلُوبِ يَا كَرِيمُ وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ أُمَّةٍ أُمَّةٍ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَغَفِرْنَا لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ) يَجُوزُ لِمَنْ جَامَعَ بِاللَّيْلِ أَنْ لَا يَغْتَسِلَ حَتَّى يَطَّلِعَ الْفَجْرَ ،
 وَصَوْمُهُ صَحِيحٌ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنْ رَجُلًا قَالَ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ أَفَاصُومُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَاصُومُ » فَقَالَ : لَسْتُ مِثْلَنَا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقَالَ « وَاللَّهِ ،
 إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَحْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُم بِمَا أَتَّقِي » .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، وَأُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ جِمَاعٍ غَيْرِ احْتِلَامٍ ، ثُمَّ يَصُومُ فِي
 رَمَضَانَ » .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ جِمَاعٍ لَا حُلْمَ ، ثُمَّ لَا يُفِطِرُ وَلَا يَقْضِي .

لَكِنْ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَزِمَهُ الْغُسْلُ لَيْلًا مِنْ جُنْبٍ وَحَائِضٍ وَنَفْسَاءٍ انْقَطَعَ دَمُهَا ، وَكَافِرٍ أَسْلَمَ ، أَنْ يَغْتَسِلَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي .

وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الصَّوْمُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ نَاسِيًا أَوْ جَاهِلًا وَجِبَ عَلَى مَنْ رَأَاهُ اِعْلَامُهُ . لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِ .

وَمَنْ أَكَلَ شَاكًا فِي طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَدَامَ شَكُّهُ ، فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ لِظَاهِرِ الْآيَةِ ، وَأَنْ أَفْطَرَ يَظُنُّ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَابَتْ ، وَلَمْ تَغِبْ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ ، لِمَا رَوَى هِشَامٌ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ فَاطِمَةَ امْرَأَتِهِ عَنْ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « أَفْطَرْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمٍ غَيْمٍ ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ » قِيلَ لِهَشَامِ بْنِ عُرْوَةَ - وَهُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ - أَمْرًا بِالْقَضَاءِ ؟ قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ قَضَاءِ .

وَلَا يَفْسُدُ صَوْمٌ مَنْ طَارَ إِلَى حَلْقِهِ ذُبَابٌ ، أَوْ غَبَارٌ مِنْ طَرِيقٍ ، أَوْ دَقِيقٌ أَوْ دُخَانٌ ، لِعَدَمِ إِمْكَانِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ وَأَمَّا الدُّخَانُ الَّذِي بُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمُحْرَمٌ وَيُفِطِرُ مَنْ شَرِبَهُ .

وَلَا يُفِطِرُ أَنْ فَكَّرَ فَأَنْزَلَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَفَى لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّمْ » .

وَلَا يُفِطِرُ إِنْ اِحْتَلَمَ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِسَبَبٍ مِنْ جِهَتِهِ .
وَمَنْ اغْتَسَلَ ، أَوْ تَمَضَّضَ ، أَوْ اسْتَنْشَقَ فَدَخَلَ الْمَاءُ إِلَى حَلْقِهِ بِلَا

قَصِيدٍ ، لَمْ يَفْسُدْ صَوْمِيهِ ، لِمَا وَرَدَ مِنْ أَنْ عَائِشَةَ ، وَأُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَتَا : « نَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ لِيُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ غَيْرِ احْتِلَامٍ ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ » .

وَتُكْرَهُ الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَضْمُضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ لِلصَّائِمِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ لَقِيْطِ بْنِ صَبْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَسْبَغِ الوُضُوءَ ، وَخَلِّ بَيْنَ الْأَصَابِعِ ، وَبَالِغٌ فِي الْاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ وَالسِّتِنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَتُقُوسَنَا مَطِيعَةً لِأَمْرِكَ وَأَرْزَقْنَا الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: ٢ - ذِكْرُ أَشْيَاءٍ تُحْرَمُ وَيَتَأَكَّدُ تَحْرِيمُهَا فِي حَقِّ الصَّائِمِ :

يَجِبُ اجْتِنَابُ كُلِّ كَذَبٍ مُحْرَمٍ ، أَمَّا الْكَذِبُ لِتَخْلِيصِ مَعْصُومٍ مِنْ قَتْلِ فَوَاجِبٍ ، قُلْتُ وَيَتَرَجَّحُ عِنْدِي مِثْلُهُ أَيْضًا لِتَخْلِيصِ مَالِهِ مِنْ ظَالِمٍ أَوْ قَاطِعِ طَرِيقٍ أَوْ غَاصِبٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَالْمَالُ مُثْمَنٌ وَالْأَحْسَنُ يَتَأَوَّلُ ، وَلَا صَلَاحَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فَمُبَاحٌ لِمَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كَلْثُومٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ الْكَذَابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا أَوْ يَنْمِي خَيْرًا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى الْكَذِبِ مَحَبَّةُ النَّفْعِ الدُّنْيَوِيِّ وَحُبُّ التَّرَاثِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُخْبِرَ يَرَى أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى الْمُخْبَرِ بِمَا عَلَّمَهُ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِالعَالِمِ الْفَاضِلِ فَيَظُنُّ أَنَّهُ يَجِبُ بِمَا يَقُولُهُ فَضْلًا وَمَسْرَةً وَهُوَ يَجْلِبُ بِهِ نَقْصًا وَفَضِيحَةً فَالْكَذِبُ رَذِيلَةٌ مَحْضَةٌ مِنْ أَرْدَلِ الرَّذَائِلِ يُنْبِئُ عَنْ تَعْلُغِ الْفَسَادِ فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا وَعَنْ سُلوِكِ يُنْشِئُ الشَّرَّ انْشَاءً فَالْكَذِبُ يَتَّصِدُّعُ

به بُيَانُ الْمَجْتَمَعِ وَبِهِ يَخْتَلُ سَيْرُ الْأُمُورِ ، وَتُسْقَطُ صَاحِبُهُ مِنَ الْعِيُونِ وَلَا يُوثَقُ فِي قَوْلِهِ ، وَلَا يُوثَقُ بِهِ فِي عَمَلٍ ، وَلَا يُرْعَبُ لَهُ مَجْلِسٌ ، وَأَحَادِيثُهُ عِنْدَ النَّاسِ مَتْرُوكَةٌ ، وَشَهَادَتُهُ مَرْدُودَةٌ وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مَرْفُوعاً وَنِلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَنِلٌ لَهُ وَنِلٌ لَهُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ مَا كَانَ خُلُقُ أَبْنَصَرَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْكَذِبِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَذِبَةَ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَحَدٌ مِنْهَا تَوْبَةً رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْأَخِيرِ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَاباً قَالَ لَا الْحَدِيثِ رَوَاهُ مَالِكٌ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَيُفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَهَا وَتَعْلِيمَهَا لِلنَّاسِ فَإِنَّ الْكَاذِبَ يُصَوِّرُ الْمَعْدُومَ مَوْجُوداً وَالْمَوْجُودَ مَعْدُوماً وَالْحَقَّ بَاطِلاً وَالْبَاطِلَ حَقّاً وَالْخَيْرَ شراً فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ وَعِلْمَهُ عُقُوبَةً لَهُ ثُمَّ يُصَوِّرُ ذَلِكَ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ الْمُغْتَرِّ بِهِ الرَّائِكُنُ إِلَيْهِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ وَعِلْمَهُ وَنَفْسُ الْكَاذِبِ مُعْرِضَةٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْمَوْجُودَةِ تَرَاعَةً إِلَى الْعَدَمِ مُؤَثِّرَةٌ لِلْبَاطِلِ وَلِهَذَا كَانَ الْكَذِبُ أَسَاسُ الْفُجُورِ .

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى
الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَأَوَّلُ مَا يَسْرِي الْكَذِبُ مِنَ النَّفْسِ
إِلَى اللِّسَانِ فَيُفْسِدُهُ ثُمَّ يَسْرِي إِلَى الْجَوَارِحِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهَا أَعْمَالَهَا كَمَا
أَفْسَدَ عَلَى اللِّسَانِ أَقْوَالَهُ فَيَعْمُ الْكَذِبُ أَقْوَالَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فَيَسْتَحْكِمُ
عَلَيْهِ الْفَسَادُ وَيَتْرَامِي دَاوَاهُ إِلَى الْهَلَكَةِ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللَّهُ بِدَوَاءِ الصُّدُقِ
بِقَلْعِ تِلْكَ الْمَادَّةِ مِنْ أَصْلِهَا .

وَلِهَذَا كَانَ أَصْلُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ كُلِّهَا الصُّدُقَ وَأَضْدَادُهَا مِنَ الرِّبَايَةِ
وَالْعُجْبِ وَالْكَبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ وَالْبَطْرِ وَالْأَشْرَ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ
وَالْمَهَانَةِ وَغَيْرِهَا أَصْلُهَا الْكَذِبُ فَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشُؤُهُ
الصُّدُقُ وَكُلُّ عَمَلٍ فَاسِدٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشُؤُهُ الْكَذِبُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يُعَاقِبُ الْكُذَّابَ بِأَنْ يُقْعِدَهُ وَيُثَبِّطَهُ عَنْ مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ وَيُثَبِّبُ الصَّادِقَ بِأَنْ
يُوفِّقَهُ لِلْيَقَامِ بِمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ

وكان الصدق في صدر الإسلام أساساً في القول والعلم والمعاملة ،
وخصوصاً فيما يتعلق بالدين وحفظ الحديث .

فقد ورثت عن العلماء الأوائل علوم الدين مضبوطة كاملة كما أنزلت
على رسول الله ﷺ وحدث عنها .

وكان علماء الدين وجامعوا أحاديث النبي ﷺ يتحرون صدق
المحدث بشكل عجيب .

يُدْرُسُونَ حَيَاتَهُ وَيَتَحَقَّقُونَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ
وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى سُلْطَانٍ فِي صُحْبَةٍ أَوْ وَظِيفَةٍ .

وأنه يطبق تعاليم الدين كاملة ولم تعهد عليه كذبة في حياته . فعندها
يؤخذ عنه الحديث النبوي .

ومثال على ما ذكّر عن الامام أحمد رحمه الله أنه سمع بوجود حديث عند عالم بدمشق فسافر إليه من بغداد حتى وصل دمشق فمكث مدة يسأل عن العالم وعن أخلاقه ومعاملته وكلامه .

حتى إذا وثق من صدقه أتاه مبكراً بعد أن اغتسل وتطيب ولبس أحسن ثيابه إجلالاً للحديث ولن يحملة .

ولما اقترب من بيته وجد العالم خارجاً من بيته يقود حمارة وقد كان حملاً يكتسب رزقه .

فرفض الحمار أن يسير معه فحاول أن يجره أو يسوقه بمختلف الوسائل ويأبى الحمار .

فجمع له طرف جبته وقدمه للحمار ليؤهمه أن في الجبة شعير أو نحوه فتبعه الحمار .

فنظر الإمام أحمد إلى الجبة فوجدها خالية ما فيها شيء .
فترك أحمد العالم والأخذ عنه حيث تبين له كذبه على الحمار .
فلا يؤتمن على الحديث الشريف أه .

سلامي على أهل الحديث فإني
هُمُوا بَدَلُوا فِي حِفْظِ سُنَّةِ أَحْمَدِ
وَأَعْنِي بِهِ أَسْلَافَ أُمَّةِ أَحْمَدِ
أُولَئِكَ أَمْثَالُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمِ
بُحُورٌ وَحَاشَاهُمْ عَنِ الْجَزْرِ إِنَّمَا
رَوَوْا وَارْتَوَوْا مِنْ بَحْرِ عِلْمِ مُحَمَّدٍ
كَفَاهُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَالسُّنَّةُ الَّتِي
فَمُقْتَدِيًا بِالْحَقِّ كُنْ لَا مُقْلِدًا
فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمُقْلِدِ فِي الْهُدَى
نَشَأَتْ عَلَى حُبِّ الْأَحَادِيثِ مِنْ مَهْدِي
وَتَنْفِيحِهَا مِنْ جُهْدِهِمْ غَايَةَ الْجُهْدِ
أُولَئِكَ فِي بَيْتِ الْقَصِيدِ هُمُوا قَصْدِي
وَأَحْمَدُ أَهْلُ الْجَدِّ فِي الْعِلْمِ وَالْجَدُّ
لَهُمْ مَدَدٌ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ بِالْمَدِّ
وَلَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْمَذَاهِبُ مِنْ وَرْدِ
كَفَتْ قَبْلَهُمْ صَحْبَ الرَّسُولِ ذَوِي الْمَجْدِ
وَحَلُّ أَخَا التَّقْلِيدِ فِي الْأَسْرِ بِالْقَدِّ
وَمَنْ يَقْتَدِي وَالضُّدُّ يُعْرِفُ بِالضُّدِّ

فَمَنْ يَتَّقِدِي أَضْحَى إِمَامَ مَعَارِفٍ وَكَانَ أَوْسَى فِي الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ
فَمَا اسْتُجِلِبَتْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الصَّدْقِ وَلَا مَفَاسِدُهُمَا
وَمَضَارُّهُمَا بِمِثْلِ الْكَذْبِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا
مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وَقَالَ ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَإِذَا
عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ .

شعرا :

عَلَيْكَ بِالصُّدُقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ الصَّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ
وَاطْلُبْ رِضَى الْمَوْلَى فَاشْقَى الْوَرَى مَنْ أَسْحَطَ الْمَوْلَى وَأَرْضَى الْعَبِيدِ
أحمر :

عَوْدٌ لِسَانَكَ قَوْلَ الصَّدْقِ نَحَظُ بِهِ

إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ يَغْتَادُ

مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ

فِي الصَّدْقِ وَالْكَذْبِ فَانظُرْ كَيْفَ يَرْتَادُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِنَا مُسْلِمِينَ وَاجْعَلْنَا بِعِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصلٌ) فِي بَيَانِ أَنْوَاعِ الْكَذْبِ

وَيَتَنَوَّعُ الْكَذْبُ إِلَى أَنْوَاعٍ ، فَمَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِأَسْئَالِ النَّاسِ
وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ هُوَ مِنْ أَشَدِّ الْكَبَائِرِ وَأَقْبَحِ الْجَرَائِمِ الَّتِي تُضِرُّ
بِالْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِي ، وَتَقْضِي عَلَى الْعَدْلِ ، فَإِنَّ الَّذِي يَقُولُ الزُّورَ
لِيَقْتَطِعَ حُقُوقَ عِبَادِ اللَّهِ أَوْ يُلْغِمَهُمْ فِي أَعْرَاضِهِمْ مِنْ كُلِّ مَا يَضُرُّ الْإِنْسَانِيَّةَ
وَيُؤْلِمُهَا .

وَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِغَضَبِ اللَّهِ وَكَانَ سَبِيًّا فِي بَثِّ الْفَوْضَى وَإِعْرَاءِ
 الْمُجْرِمِينَ عَلَى اقْتِرَافِ الْجَرَائِمِ فَيَنَالُونَ مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ مَا
 يَشْتَهُونَ وَهُمْ آمِنُونَ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ شَاهِدَ الزُّورِ يُسَاعِدُهُمْ عَلَى
 الْإِفْلَاتِ مِنْهَا ، وَقَدْ أَكْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَرَ قَوْلِ الزُّورِ وَأَعْظَمَ
 جُرْمَهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ قَالَ : « الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ
 مُتَكِنًا فَجَلَسَ ، فَقَالَ : أَلَا وَقَوْلَ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ
 سَكَتَ ، فَجَلُوسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ اتِّكَائِهِ إِهْتِمَامًا بِشَأْنِهِ ،
 وَصَدَرَ قَوْلُهُ بِأَدَاةِ التَّنْبِيهِ وَكَرَّرَ كَلِمَتَهُ حَتَّى شَقَّ عَلَى نَفْسِهِ وَبَدَأَ الْغَضَبُ فِي
 وَجْهِهِ ، وَتَمَنَّى أَصْحَابُهُ لَوْ سَكَتَ .
 وَقَوْلُ الزُّورِ يَشْمَلُ الشَّهَادَةَ بِالْبَاطِلِ وَالْحُكْمَ الْجَائِرَ وَرَمَى الْأَبْرِيَاءِ
 وَالْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ .

وَعَنْ حَرِيمِ بْنِ فَاتِكٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 صَلَاةَ الصُّبْحِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ قَائِمًا فَقَالَ عَدِلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ بِالْإِشْرَاقِ
 بِاللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَرَأَ : « فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
 الزُّورِ حُنْفَاءً لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَشَاهِدُ الزُّورِ يُسِيءُ إِلَى نَفْسِهِ إِذْ يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَيُسِيءُ
 إِلَى مَنْ شَهِدَ لَهُ بِإِعَانَتِهِ عَلَى ظُلْمِهِ ، وَيُسِيءُ إِلَى مَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ فِي
 إِضَاعَةِ حَقِّهِ وَيُسِيءُ إِلَى الْقَاضِيِ الَّذِي جَلَسَ يُتَحَرَّى الْعَدْلَ لِيُحْكَمَ بِهِ
 وَيُنْصَفَ الضُّعْفَاءُ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ وَيَتَزَعَّ حَقُّ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ بَأَنَّهُ بِشَهَادَتِهِ
 بِالزُّورِ يُظَلُّهُ وَيَسُدُّ أَمَامَهُ طَرِيقَ الْحَقِّ وَيَفْتَحُ بَابَ الْبَاطِلِ .

وَبِهَذَا يَسْئَلُ يَدَ الْعَدَالَةِ أَنْ تَقْتَصِرَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ وَيُسِيءُ
 شَاهِدُ الزُّورِ إِلَى أَوْلَادِهِ وَأَسْرَتِهِ لِأَنَّهُ يُلَوِّثُهَا بِهَذِهِ السُّمْعَةِ السَّيِّئَةِ وَالْفَائِثَةِ

الْقَيْحَةَ وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا لَهُمْ عَائِلَةُ الْمُزُورِ ، وَأَعْظَمُ بِهَا مِنْ
أُذْيَةِ لِلْمُسْتَقِيمِينَ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الصِّدْقَ
يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَدِّقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ
اللَّهِ صِدْقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ،
وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ
الْكَذِبَ مِنْ صِفَاتِ النَّفَاقِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ بَعْدَ الْيَقِينِ ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَمِنَ
شِدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ ، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ ،
اللَّهُمَّ أَثْمَمَ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الْوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِحْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا وَالصِّدْقَ فِي أَقْوَالِنَا
وَعُدِّ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فضل)

في التحذير من الغيبة

وَرَجِبُ اجْتِنَابِ الْغَيْبَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَنْتَبِ بِغَضُكُمْ بَعْضًا ﴾
أَيُّ لَا يَتَنَاوَلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِظَهْرِ الْغَيْبِ بِمَا يَسُوؤُهُ ثُمَّ ضَرَبَ تَعَالَى لِلْغَيْبَةِ
مَثَلًا فَقَالَ : « آيَجِبُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أُخِيهِ مَيْتًا فَكْرَهْتُمُوهُ » ، وَعَنْ
الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنْ أَرَى
الرَّيَّ اسْتِطَالَهُ الرَّجُلُ فِي عِرْضِ أُخِيهِ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ
وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا أَنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ اسْتِطَالَهُ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ
مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُقْلَلُ كَلَامَهُ إِلَّا فِي ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَلَاهُ لِيَسْلَمَ وَيَعْتَمَ .

أَسْنَى كَلَامِكَ مَا أَرَدْتَ بِفِعْلِهِ رُشْدًا وَخَيْرَ كَلَامِكَ التَّسْبِيحُ
شِعْرًا: أَقَلُّ كَلَامِكَ وَاسْتَعِدَّ مِنْ شَرِّهِ إِنَّ الْبَلَاءَ بِبَعْضِهِ مَقْرُونُ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَفِظْ مِنْ غَيْهِ حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ مَسْجُونُ
وَكُلِّ فُؤَادَكَ بِاللِّسَانِ وَقَلِّ لَهُ إِنَّ الْكَلَامَ عَلَيْكُمَا مَوْزُونُ

آخر :

إِنْ صُمْتُ عَنْ مَأْكَلِ الْعَادِي وَمَشْرِبِهِ فَلَا تُحَاوَلْ عَلَى الْأَعْرَاضِ إِفْطَارًا
يَعُدُّ عَلَى كَسْبِ دِينَارٍ أَخُو عَمَلٍ لَوْ يُوزَنُ الْإِثْمُ فِيهِ كَانَ قِنْطَارًا

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مِنْ
أَرْبَى الرُّبَا الْأَسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقِّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

فَإِنْ قِيلَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قِيلَ قَدْ حَدَّثَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ
بِمَا يَكْرَهُ ، قَالَ (أحدهم) : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟
قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ ،

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وَمِنْ الْغَيْبَةِ التَّمَثِيلِيَّاتِ لِلْأَشْخَاصِ وَالْهَيْئَاتِ وَمَحَاكَاةِيهِمْ فِي اللَّبَاسِ
عَلَى وَجْهِ التَّنْقِصِ وَالْأَسْتِهْتَارِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَهَمُونَ فِي أَكْلِ لُحُومِ
الْغَوَافِلِ . فَتَكُونُ الْغَيْبَةُ بِالتَّعْرِيفِ وَبِالْكِنَايَةِ وَبِالْحَرَكَةِ وَبِالرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ
بِالْيَدِ وَكُلُّ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ الْمَقْصُودُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْغَيْبَةِ وَهُوَ حَرَامٌ .

فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ دَخَلَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ فَلَمَّا
وَلَّتْ أَوْمَأَتْ بِيَدِي أَيْ قَصِيرَةً فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اغْتَبْتَهَا وَقَدْ رَوَى
أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ قَوْلُ عَائِشَةَ عَنْ صَفِيَّةَ أَنَّهَا قَصِيرَةٌ وَأَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مَزَجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لَيْلَةَ أُسْرِيَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَنَظَرَ فِي الْبَابِ فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجِيفَ ،

قَالَ : « مَنْ هَؤُلَاءِ يَا إِخِي يَا جِبْرِيلُ » ؟ قَالَ : « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ »

شِعْرًا : عَلَامَ رَغِبْتَ بِالْأَوْزَارِ حَتَّى
بِضْرِ النَّاسِ كَمْ تَعْدُو وَتُوعَا
فَوَا عَجَبًا لِمُعْتَابِ زَنِيمِ
وَلَمْ يَخْتَرْ سُلُوكًا غَيْرَ غَدْرِ
رَغِبْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِكُلِّ قَرْضِ
بِأَنْيَابِ تُمَزَّقُ كُلَّ عِرْضِ
بُرُورِ الْقَوْلِ وَالْبُهْتَانِ يَمْضِي
بِهِ قَرْضَ الْأَكَارِمِ شَرُّ قَرْضِ

يَظُلُّ عَلَى الْفَسَادِ وَلَيْسَ يَدْرِي
آخِرُ : بَلَاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ بَلَاءُ
يُيْحِكُ مِنْهُ عِرْضًا لَمْ يَصْنَعْهُ
آخِرُ : إِذَا لَوْمَ الْفَتَى لَمْ يَحْشَ مِمَّا
بِأَنَّ اللَّهَ بَيْنَ النَّاسِ يَقْضِي
عِدَاوَةَ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ
وَيَرْتَعُ مِنْكَ فِي عِرْضِ مَصُونِ
يُقَالُ وَإِنْ تَرَادَفَهُ الْمَلَامُ

آخِرُ : وَذِي حَسَدٍ يَفْتَانِي حَيْثُ لَا يَرَى
تَوَرَّعْتُ أَنْ أُعْتَابَهُ مِنْ وَرَائِهِ
مَكَانِي وَيُثْنِي صَالِحًا حَيْثُ أَسْمَعُ
بِمَا لَيْسَ فِيهِ وَهُوَ لَا يَتَوَرَّعُ

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا فِي جَهَنَّمَ ، وَمَنْ كُتِبَ تَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّهُ يَكُفِّرُهُ مِثْلَهُ فِي
جَهَنَّمَ وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

فَالغَيْبَةُ عَادَةٌ مَرْدُودَةٌ ، كَثِيرًا مَا تَقَطُّعُ الصَّلَاةَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَتُثْبِرُ
الْأَحْقَادَ ، وَتُسْتَتُّ السُّمُلَ ، ثُمَّ هِيَ مَعَ ذَلِكَ مَضِيغَةٌ لِلْوَقْتِ بِالْأَشْيَعَالِ بِمَا
يُضُرُّ الْإِنْسَانَ ، وَلَا يَنْفَعُهُ . وَمِمَّا تَقْدَمُ يَتَبَيَّنُ تَحْرِيمُ الْغَيْبَةِ وَخَطَرُهَا وَشَرُّهَا
فَإِذَا يَجِبُ الْإِنْكَارُ عَلَى الْمُعْتَابِ وَرَدُّعُهُ .

وَقَدْ رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ أَمْرٍ يُخَذَلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ تَتَهَكُّ فِيهِ حُرْمَتُهُ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ وَمَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يَنْتَقِصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيَتْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَتِهِ : لَا يُعْجِبُنِي مِنَ الرَّجُلِ طَفَافَتُهُ وَلَكِنْ مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ فَهُوَ الرَّجُلُ وَقَالَ أَيْضًا كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ مِنَ النَّاسِ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَيَمُتُّ النَّاسَ عَلَى مَا يَأْتِي .

قال بعض العلماء إعلم أن العيبة مع تحريمها شرعاً وعقلاً هي عين العجز ونفس اللوم ودليل النقص تأباها العقول الكاملة والنفس الفاضلة لما فيها من انحطاط الرتبة وانخفاض المنزلة . قال علي بن الحسين : العيبة إدام كلاب الناس

وَقَالَ الْحَسَنُ يَا ابْنَ آدَمَ لَنْ تَنَالَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا تَعِيبَ النَّاسَ بِعَيْبٍ هُوَ فِيكَ وَتَبْدَأَ بِذَلِكَ الْعَيْبِ مِنْ نَفْسِكَ فَتُصْلِحَهُ فَمَا تُصْلِحُ عَيْبًا إِلَّا تَرَى عَيْبًا آخَرَ فَيَكُونُ شُغْلُكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَقِيلَ لِرُبَيْعِ بْنِ خَيْثَمٍ مَا تَرَكَ تَعِيبُ أَحَدًا وَلَا تَذُمَّهُ فَقَالَ مَا أَنَا عَلَى نَفْسِي بِرَاضٍ فَاتْفَرَّغْ مِنْ عَيْبِهَا إِلَى غَيْرِهَا وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

شَرُّ الْوَرَى مَنْ يَعِيبُ النَّاسَ مُشْتَغِلًا مِثْلُ الدُّبَابِ يُرَاعِي مَوْضِعَ الْعِلَلِ
آخِرُ : وَأَكْرَرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءِ بَعْيبَةٍ وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدٌ مَ لَا لَهُ جُهْدٌ

آخر: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَغْرَضَ الرِّجَالَ فَإِنْ
آخر: إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرُكْ عُيُوبَهُمْ
فَإِنْ عَيْتَ قَوْمًا بِالَّذِي هُوَ فِيهِمْ
آخر: يَمْنَعُنِي مِنْ عَيْبِ غَيْرِي الَّذِي
عَيْبِي لَهُمْ بِالظَّنِّ مِنِّي بَدَا
إِنْ كَانَ عَيْبِي غَابَ عَنْهُمْ فَقَدْ
رَأَقَتْ بِفِيكَ فَإِنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
فَلَا عَيْبَ إِلَّا دُونَ مَا مِنْكَ يُذَكَّرُ
فَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مُنْكَرُ
أَعْرَفُهُ عِنْدِي مِنَ الْعَيْبِ
وَلَسْتُ مِنْ عَيْبِي فِي رَبِّ
أُحْصَى عُيُوبِي عَالَمَ الْعَيْبِ

وَبِالتَّالِي فَخَطَرُ اللِّسَانِ عَظِيمٌ لَيْسَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ فَإِنَّ الْعَيْنَ لَا
تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَلْوَانِ وَالصُّوْرِ وَالْأَذُنُ لَا تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَصْوَاتِ وَالْيَدُ لَا
تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَجْسَامِ وَاللِّسَانُ يَجُولُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَبِهِ يَبِينُ الْإِيمَانُ مِنَ
الْكُفْرِ .

لِعُمْرِكَ مَا لِلْمَرْءِ كَالرَّبِّ حَافِظُ وَلَيْسَ سِوَى الْقُرْآنِ لِلْمَرْءِ وَاعِظُ
لِسَانِكَ لَا يُلْقِيكَ فِي الْغِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مَا أُخُوذُ بِمَا أَنْتَ لِافِظُ

وَقَدْ رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ
حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ .

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أُدْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ
إِنِّي لِأَكْثَرُ مِمَّا سَمْتَنِي عَجَبًا
تُعْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدُحُنِي
هَذَانِ أَمْرَانِ شَتَّى الْبُؤُنُ بَيْنَهُمَا
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْكَ الْوَدَّ هَانَ إِذَا
لَا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ
أَرْضَى عَنِ الْمَرْءِ مَا أَصْفَى مَوَدَّتَهُ
وَاللَّهُ لَوْ كَرِهَتْ كَفِّي مُصَاحِبَتِي
أَنَاصِحُ أُمِّ عَلِيٍّ غِشٌّ يُدَاجِبُنِي
يَدٌ تَشُجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تُأْسُونِي
فِي آخِرِينَ ، وَكُلُّ عَنكَ يَا تَبْنِي
فَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَنِّي وَتَزِينِي
عَلَيَّ بَعْضُ الَّذِي أَصْبَحْتَ تُؤَلِينِي
مَا فِي ضَمِيرِي لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ يَكْفِينِي
وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبَعْضَاءِ يُرْضِينِي
لَقُلْتُ إِذْ كَرِهَتْ قُرْبِي لَهَا بَيْنِي

ثم اثنيت على الأخرى فقلت لها :
 لا أبتغي ود من يبغي مقاطعتي
 أتى كذاك إذا أمر تعرض لي
 خرجت منه وعرضي ما أدنسه
 رب أمريء أجنبي عن ملاطفتي
 وموظف بي مداري ذي مكاشرة
 ليس الصديق الذي تخشى بواده
 يلومني الناس فيما لو أخبرهم
 أن تُسنديني والأ مثلها كوني
 ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
 حشيت منه على دنيائي أو ديني
 ولم أقم غرضاً للنذل يرميني
 محض المودة في البلوى يواسيني
 مغض علي وغر في الصدر مكنون
 ولا العادو على حال بمؤمن
 بالعدر مني فيه لم يلوموني

اللَّهُمَّ وَقِّفْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

«فصل» : وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلی اللہ علیہ وسلم قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » وأخرج الترمذي ولفظه : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله له بها عليه سخطه إلى يوم القيامة » رواه في شرح السنة ورواه مالك والترمذي وابن ماجه نحوه .

فالعيبه من آفات اللسان ومن الذنوب التي قل من يسلم منها كالكذب والرياء والربا والمداهنة .

وإذا فهمت ما سبق فاعلم أن الذنوب المتعلقة بحقوق العباد لا تمحى إلا أن عفوا عنها أو ردت لهم مظالمهم ، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الدواوين عند الله ثلاثة : ديوان لا يغبا الله به شيئاً ، وديوان لا يترك الله منه شيئاً ، وديوان لا يغفره الله ، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله » .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ الْآيَةَ ، وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ .

وَأَمَّا الَّذِي لَا يَعْْبَأُ بِاللَّهِ بِهِ شَيْئاً فَظَلَّمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ
مِنْ صَوْمٍ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلَاةٍ ، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ أَنْ شَاءَ وَأَمَّا
الدُّيُونُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ مِنْهُ شَيْئاً فَظَلَّمَ الْعِبَادَ بَعْضَهُمْ بَعْضاً الْقِصَاصُ لَا
مَحَالَةَ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ فَظَلَّمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ رَبِّهِ هُوَ أَخْفُ الدَّوَابِّ وَأَسْرَعُهَا مَحْواً فَإِنَّهُ يُمَحَى بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ
وَالْحَسَنَاتِ الْمَاجِيَةِ وَالْمَصَائِبِ الْمُكْفَرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْغِيْبَةَ جَنَابَةٌ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَهُمْ غَافِلُونَ
فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يَتَحَلَّلَ مِمَّنْ اغْتَابَهُ وَيَطْلُبَ مِنْهُ الْعَفْوَ أَنْ كَانَ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ
وَيَتُوبُ وَيَتَنَدَّمُ وَيَسْتَغْفِرُ لِمَنْ اغْتَابَهُ وَيَذْكُرُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَسَنَةِ
عِنْدَ مَنْ اغْتَابَهُ عِنْدَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَهُ وَيَغْفِرَ لَهُ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَنَسٍ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ كَفَّارَةِ
الْغِيْبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اغْتَابَتْهُ تَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا تَرْتَّبَ عَلَى الْغِيْبَةِ مَصْلَحَةٌ أَوْ دَرَةٌ مَفْسَدَةٌ كَانَتْ لَازِمَةً
وَإِذَا تَرْتَّبَ عَلَيْهَا أَمْرٌ جَائِزٌ فَجَائِزَةٌ ، وَيُمْكِنُ ضَبْطُ الْأَوَّلِ فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ أَوْ
سِتَّةِ أُمُورٍ .

الأوَّلُ : الْمَظْلُومُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَشْكُوَ لِمَنْ يَرْفَعُ مَظْلَمَتَهُ ، فَلَهُ أَنْ
يَذْكُرَ عَيْبَ ظَالِمِهِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَيَانِ حَقِّهِ .

الثَّانِي : الْأَسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ لِمَنْ يَظُنُّ أَنَّ لَهُ قُدْرَةً عَلَى
إِزَالَتِهِ ، فَإِنَّ لَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنْ فُلَانًا ارْتَكَبَ كَذَا وَفَعَلَ كَذَا .

الثالث : الاستيفاء فإنه يجوز للمستفتي أن يقول للمفتي : إن فلاناً ظلمني في كذا وكذا ، فهل يجوز له ذلك مثلاً ؟

الرابع : التحذير فيحذر المسلم من شر من يتصدى للزعامة في أموره العامة ، أو من يتوقف عليه القضاء في مصالحهم ؛ أو من يتصدى لإفتائهم وتعليمهم ، كالرعماء في الشؤون الدينية والدنيوية والشهود والمدرسين ونحو ذلك ممن يشترط فيهم الأمانة والإنصاف بمكارم الأخلاق ، فيصح أن يبين ما فيهم من النقائص والعيوب ويرفع بامرهم ليعتدوا .

الخامس : أن يتجاهر بنفسه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : كل أمتي معافى إلا المجاهرون .

حذارِ حذارِ من شيطانِ إنسٍ	به لعب الهوى مع شر رهط
يريك تملقاً من غير أصل	ويبدي للخداع لسان بسط
رؤيدك لا تغر به وحادر	وقوعك في حضيض هوان سخط
فلا تصحب سوى خل تحلى	بايمان قويم ليس يخطي
تنل عزاً ومجداً واعتباراً	وربك خير فضل منه يعطي

اللهم وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وفضلك عمّن سواك إنك على كل شيء قدير ولله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فصل) وأسباب الغيبة أحد عشر :

١ - تشفي العيظ بذكر مساوي الموفوع في عريضه بالغيبة قولاً أو فعلاً .
مؤافقة الأقران والزملاء ومساعدتهم ويرى ذلك في حسن المعاشرة ،
وأنه لو أنكر عليهم استتقلوه فيساعدتهم على ذلك .

٣ - أَنْ يَسْتَشْعِرَ مِنْ إِنْسَانٍ أَنَّهُ سَيَقْصِدُهُ وَيُطَوِّلُ لِسَانَهُ عَلَيْهِ أَوْ يُفَبِّحَ حَالَهُ
عِنْدَ مُحْتَشِمٍ فَيَبَادِرُهُ فَيَطْعَنُ فِيهِ لِيُسْقِطَ شَهَادَتَهُ أَوْ يَتَّيِدِيءَ بِذِكْرِ مَا فِيهِ صَادِقًا
عَلَيْهِ لِيَكْذِبَ عَلَيْهِ بَعْدَهُ فَيُرْجُ كَذِبَهُ بِالصِّدْقِ الْأَوَّلِ نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ .
وَالْيَحْذَرُ الْإِنْسَانَ مِنْ ذِي الْوَجْهِينَ الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءَ وَهُوَ لَاءَ وَهُوَ لَاءَ بِوَجْهِهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ .

يَسْعَى عَلَيْكَ كَمَا يَسْعَى إِلَيْكَ فَلَا تَأْمَنُ غَوَائِلَ ذِي وَجْهِينَ كَذَابٍ

٤ - أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فَيَذْكَرُ أَنْ الَّذِي فَعَلَهُ فَلَانٌ وَيَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَعَ أَنْ
التُّبْرَأُ يَحْضُلُ بِدُونِ أَنْ يَذْكَرَ الْغَيْرَ بِشَخْصِهِ .

٥ - أَنْ يَنْطَوِي عَلَى عِدَاوَةِ شَخْصٍ وَيَحْسِدُهُ فَيَرْمِيهِ بِمَسَاوِيءٍ
وَمَعَائِبٍ يَنْسِبُهَا إِلَيْهِ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ عَنْهُ وَيُسْقِطَ مَهَابَتَهُ وَمَكَانَتَهُ مِنْ
النَّفُوسِ وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ اثْبَاتَ فَضْلِ نَفْسِهِ وَلَكِنْ الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ يَعْرِفُ أَنَّهُ
مَا أَضْرَّ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَلَا أَشَدَّ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْإِعْتِرَافِ
بِالْفُضْلِ لِأَهْلِهِ كَمَا قِيلَ :

وَمَا عَبَّرَ الْإِنْسَانُ عَنْ فَضْلِ نَفْسِهِ بِمِثْلِ إِعْتِقَادِ الْفُضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلٍ
وَأَيْسَ مِنَ الْأَنْصَافِ أَنْ يَدْفَعَ الْفَتَى يَدَ النَّقْصِ عَنْهُ بِانْتِقَاصِ الْأَفَاضِلِ
آخِرُ :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مَنْ تَخْفَى عَلَيْهِ عَيْبُهُ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي بِأَخِيهِ
وَكَيْفَ أَرَى عَيْبًا وَعَيْبِي ظَاهِرًا وَمَا يَعْرِفُ السُّوآتِ غَيْرُ سَفِيهِ

فَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا مُبْتَلَى بِسَبِّ الْعَوَافِلِ وَأَكْلِ لُحُومِهِمْ يُرِيدُ بِذَلِكَ رِفْعَةَ
نَفْسِهِ وَخَفْضَ الْغَيْرِ كَانَ يَقُولُ فَلَانٌ جَاهِلٌ أَوْ فَهْمُهُ ضَعِيفٌ أَوْ لَا يُحْسِنُ
التَّعْلِيمَ أَوْ عِبَارَتُهُ رَكِيكَةٌ أَوْ لَا يُحْسِنُ الْخُطَابَةَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا تَنْدَرِّجُ بِهِ إِلَى اظْهَارِ
فُضْلِ لِنَفْسِهِ بِسَلَامَتِهِ مِنْ تِلْكَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ فَقُلْ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ هَذَا لَا يَرْفَعُكَ

ولا يزيل ما فيك من النقائص اقتصر على تأمل عيوبك فهو أولى بك بامغرور .

٦ - أن يقدح عند من يحب الشخص حسداً لإكرامهم ومحبتهم له .

٧ - أن يقصد اللعب واهزل والمزاح والمطايبة ويضحك الناس .

٨ - السخرية والاستهزاء بالشخص استحقاقاً له وهو يجري في

الحضور والغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزاء به وزدراءه . وهذا غالب

على كل من نزلت همته وركت حالته وصار يضحك الناس .

شعر :

إن صُمت عن مأكل العادي ومشربه فلا تُحاول على الأعرض إفتاراً

٩ - أن يتعجب من فعل الغائب للمنكر وهذا من الدين لكن أدى

إلى الغيبة بذكر اسمه فصار مُغتَاباً من حيث لا يدري .

١٠ - أن يغتم لسبب ما يتلى به فيقول مسكين فلان قد غمبي أمره

وما أبتلي به من المعصية وغمه ورحمته خير لكن ساقه إلى شر وهو الغيبة

من حيث لا يدري أنه صاعها بصيغة الترحم والتوجع .

١١ - أظهار الغضب لله على منكر قارقه إنسان فيذكر الإنسان

باسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه على فاعله ولا يظهر عليه غيره بل

يستر اسمه وهذه الثلاثة ربما تخفى على العلماء وطلبة العلم فضلاً عن

العوام ولذلك تسمع منهم كثيراً ما يقولون فلان ونعم لولا أنه يفعل كذا

وكذا يعامل بالربا مثلاً وكان الواجب نصحهُ بدَل الغيبة ولكن يا أخي بشير

الموقع في عرضه بغيبة أو قذف أو سب أو نم أو نحو ذلك بأنه سيفرح ويستر

حين ما يأخذ حسنات ما تعب بها في ليل ولا نهار ولا صيف ولا شتاء وهل

أحلى وألذ من حسنات تأتيك ما تعبت بها .

شعرا :

يُشاركك المُغتَاب في حسناته

ويُعطيك أجرى صومه وصلاته

وَيَحْمِلُ وِزْرًا عَنْكَ ظَنُّ بِحَمَلِهِ
عَنْ النَّجْبِ مِنْ أبنَائِهِ وَبَنَاتِهِ
فَكَافِيهِ بِالْحُسْنَى وَقُلْ رَبِّ جَارِهِ
بِخَيْرٍ وَكَفَّرَ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ
فَيَا أَيُّهَا الْمُعْتَابُ زِدْنِي فَإِنْ بَقِيَ
ثَوَابُ صَلَاةٍ أَوْ زَكَاةٍ فَهَاتِهِ
فَغَيْرُ شَقِيٍّ مَنْ يَبِيتُ عَدُوَّهُ
يُعَامِلُ عَنْهُ اللَّهُ فِي غَفْلَاتِهِ
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ
بِامْعَانِهِ فِي نَفْعِ بَعْضِ عُدَاتِهِ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاطِئًا
عَلَى رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ
وَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ
وَيَهْلِكُ فِي تَخْلِيصِهِ وَنَجَاتِهِ
فَمَنْ يَحْتَمِلُ يَسْتَوْجِبُ الْأَجْرَ وَالثَنَّا
وَيُحْمَدُ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ
وَمَنْ يَتَّصِفُ يَنْفَعُ ضِرَامًا قَدْ انْطَفَى
وَيَجْمَعُ أَسْبَابَ الْمَسَاوِي لِذَاتِهِ
فَلَا صَالِحٌ يُجْزِي بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَلَا حَسَنٌ يُثْنِي بِهِ فِي حَيَاتِهِ
يَظَلُّ أَخُو الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ
كَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ حَالِ مَمَاتِهِ
وَلَا يَسْتَجِي مِمَّنْ يَرَاهُ وَيَدْعِي

بأنَّ صِفَاتِ الْكَلْبِ دُونَ صِفَاتِهِ
 وَقَدْ أَكَلَا مِنْ لَحْمِ مَيْتِ كِلَاهُمَا
 وَلَكِنْ دَعَى الْكَلْبَ اضْطِرَّارُ اقْتِيَاتِهِ
 تَسَاوَيْتُمَا أَكْلًا فَأَشَقَّاكُمَا بِهِ
 غَدًا مَنْ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ تَبْعَاتِهِ
 وَمَا لِكَلَامٍ مَرٍّ كَالرَّيْحِ مَوْقِعُ
 فَيُنْقَى عَلَى الْإِنْسَانِ بَعْضُ سِمَاتِهِ

اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا حِفْظَ جَوَارِحِنَا عَنِ الْمَعَاصِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنُ وَنَقُّ قُلُوبِنَا مِنَ
 الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْإِجْنِ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ الدَّاءِ
 وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ النُّعْمَةِ . اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقَّنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ
 خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ
 وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ ، وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ ، هَبْ لَنَا مَا
 سَأَلْنَاهُ ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
 صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذَقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»: وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَلَا يَتِمُّ الصِّيَامُ لِمَنْ لَمْ يَحْتَنِبْهُ النَّظَرُ إِلَى
 الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ وَالرَّجُلِ الْأَمْرَدِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ شَرْعِيَّةٍ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ كُلَّهَا
 عَوْرَةٌ لَا يَصِحُّ أَنْ يَرَى مَنْ لَيْسَ مِنْ مَحَارِمِهَا شَيْئًا مِنْ جَسَدِهَا وَلَا شَعْرِهَا
 الْمُتَّصِلِ بِهَا وَمَا تَفَعَّلُهُ بَعْضُ نِسَاءِ هَذَا الزَّمَانِ مِنَ التَّبَرُّجِ وَالتَّجَمُّلِ فِي الْأَسْوَاقِ
 مَا هُوَ مُجَاهِرَةٌ بِالْمَعَاصِي وَتَشْبَهُهُ بِنِسَاءِ الْأَفْرَنَجِ .

فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ وَأَفْظَعِهَا خُرُوجُ الْمَرْأَةِ كَاشِفَةً رَأْسِهَا أَوْ عُنُقَهَا
 أَوْ نَحْرَهَا أَوْ ذِرَاعَيْهَا أَوْ سَاقَيْهَا أَوْ وَجْهَهَا أَوْ الْجَمِيعَ أَوْ الثِّيَابِ الْمُظْهِرَةَ

لِلْمَقَاتِينِ أَوْ اللَّبَاسِ الشَّفَافِ الَّذِي وَجُودُهُ كَعَدَمِهِ لَا يَسْتُرُ مَا تَحْتَهُ فَهَذَا
دَاخِلٌ فِي التَّبْرُجِ فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَمْنَعَ نِسَاءَهُ وَمَنْ لَهُ عَلَيْهِنَّ وِلَايَةٌ
وَيَقْبَلَنَّ مِنْهُ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ وَيُلْزِمُهُنَّ السِّتْرَ وَالتَّحْفُظَ وَيَنْصَحَ إِخْوَانَهُ
الْمُهْمِلِينَ لِلْمُتَّصِفَاتِ بِذَلِكَ .

وَمِنْ الْأَدَابِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّهُنَّ الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي الْعِفَافِ وَالتَّقَى وَالتَّسْتُرِ وَالحَيَاءِ وَالاِيْمَانِ
وَمَعَ حَيَاءِ النَّاسِ مِنْهُنَّ وَاحْتِرَامِهِمْ لَهُنَّ مَا ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ
بِقَوْلِهِ : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ .

قَالَ مُقَاتِلٌ : التَّبْرُجُ أَنَّهَا تُلْقَى الْخِمَارَ عَلَى رَأْسِهَا وَلَا تُشَدُّهُ فَيُورَى
فَلَا يَدَّهَا وَقَرَطُهَا وَعُنُقُهَا وَيَبْدُو ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهَا وَذَلِكَ التَّبْرُجُ .

وَقَالَ تَعَالَى آمِرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَمَّا حَرَّمَ
عَلَيْهِمْ فَلَا يَنْظُرُوا إِلَّا لِمَا أَبَاحَ لَهُمْ النَّظَرُ إِلَيْهِ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ
أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ .

قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي تَفْسِيرِهِ : قُدِّمَ غَضُّ الْبَصَرِ عَلَى جِفْظِ الْفُرُوجِ لِأَنَّ
النَّظَرَ بَرِيدُ الزِّنَا وَرَائِدُ الْفُجُورِ وَالبَلْوَى فِيهِ أَشَدُّ وَكَثْرٌ لَا يَكَادُ يَقْدُرُ عَلَى
الِاخْتِرَازِ مِنْهُ ، وَهُوَ الْبَابُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْقَلْبِ وَأَعْمَرُ طُرُقِ الْحَوَاسِّ إِلَيْهِ
وَيَكْثُرُ السُّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْئُولًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ قَالَ الْبَغَوِيُّ : أَيُّ
خِيَانَتُهَا ، وَهِيَ اسْتِزَاقُ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَجِلُّ .

قَالَ مُجَاهِدٌ : هُوَ نَظَرُ الْأَعْيُنِ إِلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال : « كَتَبَ عَلِيُّ ابْنِ آدَمَ نَصِيئَهُ مِنَ الزُّنَا ، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ،
الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرُ ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا السَّمَاعُ ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ ،
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شعرا: نَحَّرَ مِنَ الطَّرِيقِ أَوْسَاطَهَا وَعَدَّ عَنِ الْجَانِبِ الْمُشْتَبِهَةِ
وَسَمِعَكَ صُنُّ عَنِ سَمَاعِ الْقَبِيحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ التُّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقَبِيحِ شَرِيكَ لِقَائِلِهِ فَاتَّبِعْهُ
وَأَخْرَجَ الطُّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْنِي عَنِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ
مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبَدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ .

وَرَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنًا غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ
وَعَيْنًا سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَيْنًا خَرَجَ مِنْهَا مِثْلُ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ . وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ جِبَانَ فِي حَيْجِهِ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ
وَاعْتَرَضَهُ الْمُنْذِرِيُّ .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اضْمَنُوا
لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ اضْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا
وَعَدْتُمْ وَأَدُوا إِذَا اتَّيَمَنْتُمْ واحفظوا فُرُوجَكُمْ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكَفُّوا
أَيْدِيَكُمْ . وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالنَّظْرُ أَصْلُ عَامَّةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي
تُصِيبُ الْإِنْسَانَ فَإِنَّ النَّظْرَةَ تُؤَلِّدُ خَطْرَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ الْخَطْرَةَ فِكْرَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ
الْفِكْرَةَ شَهْوَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ الشَّهْوَةَ إِرَادَةً ثُمَّ تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَةً جَارِمَةً فَيَقَعُ
الْفِعْلُ وَلَا بُدَّ مَا لَمْ يَمْنَعْ مَانِعٌ .

وَفِي هَذَا قِيلَ : الصَّبْرُ عَلَى غَضِّ النَّظْرِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الْمِ بَعْدَهُ .

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظْرِ
وَالْعَيْنُ أَصْلُ عَنَاهَا فِتْنَةُ النَّظْرِ
كَمْ نَظْرَةٌ نَقَشَتْ فِي الْقَلْبِ صُورَةً مِنْ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا
يَسْرُهُ مُقَلَّتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ
فَالْقَلْبُ يَحْسُدُ نُورَ الْعَيْنِ إِذْ نَظَرَتْ
يَقُولُ قَلْبِي لِعَيْنِي كُلَّمَا نَظَرَتْ
فَالْعَيْنُ ثَوْرُهُ هَمًّا فَتَشْغِلُهُ
هَذَا إِنْ حَصَمَانِ لَا أَرْضَى بِحُكْمِهِمَا

وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْعَرِ الشَّرِّ
وَالْقَلْبُ كُلُّ أَذَاهُ الشُّغْلُ بِالْفِكْرِ
رَاحَ الْفُؤَادُ بِهَا فِي الْأَسْرِ وَالْحَدْرِ
فِي أَعْيُنِ الْعَيْنِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ جَاءَ بِالضَّرِّ
وَالْعَيْنُ تَحْسُدُهُ حَقًّا عَلَى الْفِكْرِ
كَمْ تَنْظُرِينَ رَمَاكَ اللَّهُ بِالسَّهْرِ
وَالْقَلْبُ بِالدمْعِ يَنْهَاهَا عَنِ النَّظْرِ
فاحْكُمْ فَدَيْتِكَ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالنَّوْمِ وَأَرْزُقْنَا
الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ، وَلَا تَحْرِمْنَا
بِذُنُوبِنَا، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ : « يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ
النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَأَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ .

وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ فَقَالَ : اصْرِفْ بَصْرَكَ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ
تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ

مَا يُعْجِبُهُ فَلَيَاتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ
فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا
فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَائِيلَ
فِي النِّسَاءِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَا مِنْ
مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوْ لَمَّةٍ ثُمَّ يَغْضُ بَصَرَهُ إِلَّا أُحْدِثَ اللَّهُ لَهُ
عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

شِعْرًا :

لَا تَخُلْ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيَّةٍ
لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَاكِ مِثْلَ بَنَانٍ
وَاعْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مَلَاخِظَةِ النِّسَاءِ
وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصَّبِيَّانِ
إِنَّ الرِّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النِّسَاءِ
مِثْلُ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللَّحْمَانِ
إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللَّحْمَ أُسْوِدَهَا
أَكَلَتْ بِلاَ عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانِ

آخِر :

لَيْسَ الشَّجَاعُ الَّذِي يَحْمِي فَرِيْسَتَهُ عِنْدَ النَّزَالِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ
لَكِنَّ مَنْ غَضَّ طَرْفًا أَوْ ثَنَى قَدَمًا عَنِ الْحَرَامِ فَذَاكَ الدِّرَاعُ الْبَطْلُ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَعْوَى وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِحٌ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ، وَمَجِيبَ
الدَّعَوَاتِ، هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ
السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذْقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل» : قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ : يُقَالُ إِنَّ غَضَّ الْبَصْرِ عَنِ الصُّورَةِ
الَّتِي يُنْهَى عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا كَالْمَرْأَةِ وَالْأَمْرِدِ الْحَسَنِ يُورِثُ ثَلَاثَ فَوَائِدَ :
أَحَدَاهَا : حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ ، وَلَذَتُهُ النَّبِيُّ هِيَ أَحْلَى وَأَطْيَبُ مِمَّا تَرَكَهُ
لِلَّهِ ، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْراً مِنْهُ .

الفائدة الثانية : أَنَّ غَضَّ الْبَصْرِ يُورِثُ نُورَ الْقَلْبِ وَالْفِرَاسَةَ .

الفائدة الثالثة : قُوَّةُ الْقَلْبِ وَثَبَاتُهُ وَشَجَاعَتُهُ فَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ سُلْطَانَ
الْبَصِيرَةَ مَعَ سُلْطَانِ الْحُجَّةِ ، فَإِنَّ فِي الْأَثْرِ « الَّذِي يُخَالِفُ هَوَاهُ يَفْرُقُ
الشَّيْطَانَ مِنْ ظِلِّهِ » .

وَإِذَا كَانَ النَّظَرُ إِلَى مَنْ لَا يَجِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مُحْرَمًا فَالْخَلْوَةُ بِمَنْ لَا
تَجِلُّ مُحْرَمَةٌ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى لِأَنَّ الْوَسَاوِسَ الشَّيْطَانِيَّةَ تَجِدُ لَهَا مَجَالاً
فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَثَوْرَانَ الشُّهُوةِ يَجِدُ لَهُ مَبْرراً فَيَضْعِفُ الْعَقْلَ عِنْدَ هَذَا ، وَلَا
يَكُونُ لَهُ تَأْثِيرٌ عَلَى زَجْرِ الشُّهُوةِ فَتَسُوِّفُهُ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ إِلَى
الْفَاحِشَةِ ، لِهَذَا نَهَى الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَلْوَةِ فَقَدْ
رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا
يَخْلُونَ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْمُ؟
قَالَ : الْحَمْمُ الْمَوْتُ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَالْحَمْمُ : قَرِيبُ الزَّوْجِ كَأَخِيهِ وَابْنِ أُخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ .

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلَا لَا يَخْلُو رَجُلٌ بامرأة إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ إمامُ
أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَخْلُونَ بامرأة لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مُحْرَمٌ رَوَاهُ
الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَيْضاً عَنْ أَبِي إِمامَةَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِيَّاكَ وَالْخَلْوَةَ بِالنِّسَاءِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَلَا رَجُلٌ بامرأة
إِلَّا وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا وَأَلَّا أَنْ يَزْحَمَ الرَّجُلُ خِنْزِيرًا مُتَلِطِّحًا بِطِينٍ أَوْ حَمَاءً
خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزْحَمَ مِنْكِبُهُ مِنْكِبَ امْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ .

وَمِنْ أخطر مَا يَكُونُ عَلَى النِّسَاءِ خِدْمَةُ الرِّجَالِ فِي الْبُيُوتِ إِذَا كَانَ
هُنَاكَ اخْتِلَاطٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ خُصُوصاً إِذَا كَانَ الرَّجُلُ الْمُسْتَعْدِمُ مِنَ الشُّبَّانِ
وَأَنْ كَانَ لَهُ وَسْمَةٌ جَمَالٍ فَأَقْرَبُ إِلَى الْخَطَرِ وَقَدْ يَكُونُ أَشْبُ مِنْ صَاحِبِ
الْبَيْتِ وَأَجْمَلِ وَهُوَ مَلَازِمٌ لِلْبَيْتِ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ وَهُوَ تَحْتَ أَمْرِ الزَّوْجَةِ أَوْ نَحْوِهَا
وَفِي إِمكانِهَا إِبْقَاؤُهُ أَوْ طَرْدُهُ فَالْخَطَرُ عَظِيمٌ ، وَأَنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ ذَا شَرَفٍ
وَمَكَانَةٍ وَتَأَمَّلْ قِصَّةَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ حِينَ رَاوَدَتْهُ عَنْ
نَفْسِهِ فَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ وَكَيَّدَهُنَّ فَعَصَمَهُ اللَّهُ عِصْمَةً عَظِيمَةً وَحَمَاهُ
فَأَمْتَنَعَ أَشَدَّ الْإِمْتِنَاعِ عَنْهَا وَاخْتَارَ السَّجْنَ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا فِي غَايَةِ

مَقَامَاتِ الْكَمَالِ أَنَّهُ مَعَ شَبَابِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ تَدْعُوهُ سَيِّدَتُهُ وَهِيَ امْرَأَةٌ
عَزِيزٌ مِصْرٌ وَهِيَ مَعَ هَذَا فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ وَيَمْتَنِعُ مِنْ
ذَلِكَ وَيَخْتَارُ السُّجْنَ عَلَى ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَرَجَاءً نَوَابِهِ وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي
الصُّحُوحِينَ أَنَّ مِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظْلَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ
مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ أَنِّي أَخَافُ اللَّهَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

شِعْرًا: مَا مِنْ جَمِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا حَسَنٍ إِلَّا وَمِنْ فَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْمِنَنِ
أَعْظَمَ بِهَا مِنَّةً لَكِنْ يُخَفِّفُهَا شُكْرِي لِرَبِّي فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا سَبِيلَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَاجْعَلْ
مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سِنْدًا وَاحْشُرْنَا إِذَا تَوَفَيْتَنَا مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة » : عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَنِ كُلِّهِ عَجَائِبُ يُعْجِبُ الْعَاقِلُ اللَّيْبُ وَمَنْ
أَعْجَبَ مَا فِيهِ أَنَّ الرِّجَالَ أَصْبَحُوا لَا سُلْطَانَ لَهُمْ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا النَّادِرُ الْقَلِيلُ ، نَعَمْ
أَصْبَحْنَا فِي زَمَنِ لِلنِّسَاءِ فِيهِ جَبْرُوتُ أَمَامَهُ الرِّجَالُ فِي حَالِ ضَعْفٍ انْعَكَسَ الْأَمْرُ
فَصَارَ الْقَوِيُّ ضَعِيفًا وَالضَّعِيفُ قَوِيًّا فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ فَاخْرُجْ وَانظُرْ فِي
الشُّوَارِعِ تَرَى النِّسَاءَ تَجُولُ فِي الشُّوَارِعِ ذَاهِبَاتِ أَيْبَاتٍ وَيَتَنَبَّهْنَ فِي تَبَحُّرِهِنَّ
عَلَيْهِنَّ مِنَ الرِّبْنَةِ مَا يُرْغِمُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِنَّ كُلُّ مَنْ لَهُ عَيْنَانِ .

وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا يُحْدِثُهُ ذَلِكَ النَّظَرُ فِي نَفُوسِ السُّبَّانِ وَأَشْبَاهِ السُّبَّانِ
تَرَاهُ إِذَا لَمَحَهَا أَتْبَعَهَا نَظْرَهُ ثُمَّ جَرَى وَرَاءَهَا لِأَنَّهُ يَفْهَمُ مِنْ هَيْبَتِهَا وَتَشْنِئَتِهَا
وَتَلْفُئَتِهَا فَهَمًّا لَا يُقَالُ لَهُ إِنَّهُ فِيهِ غُلْطَانٌ ، إِنَّهُ يَفْهَمُ أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ تُرِيدُ مِنْهُ
مَا تُرِيدُ مَا عَرَضَتْ نَفْسَهَا فِي الشُّارِعِ بِذَلِكَ التَّهْتِكِ وَذَلِكَ الْأَزْدِيَانِ وَهِيَ
فِي بَيْتِهَا أَمَامَ زَوْجِهَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَجَمَّلَ لَهُ تَكُونُ بِحَالَةٍ تَشْمِزُ مِنْ

رُؤْيَتِهَا نَفْسُ الْإِنْسَانِ ، تَلْبَسُ لَهُ أَرْدَى الْمَلَابِسِ وَلَا تَمَسُّ طَبِيبًا وَلَا تَعْتَنِي
لَهُ ، فَإِذَا أَرَادَتْ الْخُرُوجَ بَدَلَتْ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي تَجْمِيلِ نَفْسِهَا مَا يُلْهَبُ نَارَ
الشُّوقِ إِلَيْهَا فِي نَفُوسِ النَّاطِرِينَ .

وَهَذِهِ حَالَةٌ تَجْعَلُ الْعُيُونَ وَقَفًا عَلَى النَّظَرِ إِلَى تِلْكَ الْأَجْسَامِ وَتَشْغَلُ
الْقُلُوبَ شُغْلًا بِهِ تَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى نَفْسَهَا وَرَبِّهَا وَمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْ
وَاجِبَاتٍ ، وَتَوَجُّهُ الْأَفْكَارِ إِلَى أُمُورٍ دُنْيَوِيَّةٍ يَقْصِدُهَا مِنْ أَوْلِيكَ النِّسَاءِ أَرْبَابُ
النَّفُوسِ الدُّنْيَوِيَّاتِ ، بَلْ وَتَدْفَعُ النَّفُوسَ دَفْعًا تَسْتَعِيثُ مِنْهُ الْفَضِيلَةُ وَيَغْضَبُ
لَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

إِنَّ الرَّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النِّسَاءِ مِثْلَ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ
إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللَّحْمَ أَسْوَدَهَا أَكَلَتْ بِلا عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانِ

إِنَّ أَوْلِيكَ النِّسَاءِ زَوَجاتُ وَبَنَاتُ وَأَخواتُ رِجَالٍ يَرَوْنَهُنَّ بِأَعْيُنِهِمْ فِي
الشُّوَارِعِ بِتِلْكَ الْحَالِ يَرَوْنَهُنَّ وَلَيْسَ لَهُنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُفْهِمُ أَنَّهُمْ مِنْ
صِنْفِ الرِّجَالِ ، وَأَمَامَهُمْ يُجْرِينَ الزَّيْنَةَ الَّتِي يَخْرُجْنَ بِهَا إِلَى تِلْكَ
الْمِيَادِينِ الْمَلَأَى بِالْأَنْدَالِ ، وَبَعْضُهُمْ يَسْتَصْحِبُ زَوْجَتَهُ مَعَهُ سَافِرَةً فِي
الشُّوَارِعِ وَرُبَّمَا فَهِمَ بَعْضُ الْفُسَّاقِ أَنَّهُ يَتَّصِدُّ لَهَا وَذَلِكَ يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ
كَثِيرٍ مِنْهُمْ .

أَيُّهَا الْأَخُ عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنْتَ أَقْوَى عَقْلًا
وَأَقْوَى دِينًا مِنَ الْمَرْأَةِ لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَعِصِمَكَ اللَّهُ تَتَمَنَّى أَنْ
يَكُونَ مِنْكَ مَعَ الْمَرْأَةِ مَا يَكُونُ إِذَا وَقَعَ نَظْرُكَ عَلَى مَا لَهَا مِنْ بَهَاءٍ وَجَمَالٍ
فَتَأْكُذُ كُلَّ التَّأْكُذِ أَنْ تَمَنَّى الْمَرْأَةَ أَقْوَى مِنْ تَمَنَّى الرَّجُلِ إِذَا وَقَعَ نَظْرُهَا
عَلَى جَمِيلٍ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَشْكُ أَنَّهَا بَعْدَ رُؤْيَتِهَا الْجَمِيلِ تَمَنَّى فِرَاقَكَ
إِلَيْهِ وَرُبَّمَا دَعَتْ عَلَيْكَ ، نَحْنُ فِي جَوْ مَوْبُوءٍ بِفَسَادِ الْأَخْلَاقِ ، مَنْ تَعَرَّضَ

لَهُ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ مَا يُضَيِّعُهُ فِي دُنْيَاهُ وَفِي الدِّينِ .

فَصُنْ نِسَاءَكَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ إِنْ أَرَدْتَ الْعَافِيَةَ وَالْأَفْلَ تَلْمُ الْإِ
نْفَسِكَ إِذَا أَصْبَحْتَ فِي عِدَادِ الضَّائِعِينَ وَالضَّائِعَاتِ أَنْتَ تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَا
يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ لِنِسَاءٍ غَيْرِكَ فَلَا تَشْكُ أَنْ نِسَاءَكَ يُلَاقِينَ مِثْلَهُ وَأَشَدُّ مِنْهُ
وَأَيُّ رَجُلٍ يَرْضَى أَنْ تَخْرُجَ نِسَاؤُهُ لِيَلْعَبَ بِعَفَافِهِنَّ وَشَرَفِهِنَّ مَنْ لَا دِينَ لَهُ
وَلَا شَرَفَ وَلَا أَخْلَاقَ ، إِنْ الْبَهِيمَ يَغَارُ وَمَعَارِكَ ذُكُورِ الْبَهَائِمِ عَلَى إِنَائِهَا
مَعْرُوفَةٌ ، فَلَا تَكُنْ أَقْلَ غَيْرَةٍ مِنَ الْبَهِيمِ ، وَلَوْلَا أَنَّنَا نَرَى بِأَعْيُنِنَا مَبْلَغَ
ضَعْفِ رِجَالِنَا أَمَامَ النِّسَاءِ مَا صَدَّقْنَا أَنْ يَسْتَضِجِبَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ سَافِرَةً
رَاكِبَةً أَوْ غَيْرَ رَاكِبَةٍ تَقْدُمُهُ .

اللَّهُمَّ أَذِقْنَا عَفْوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَأَسْأَلُكَ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ ، وَعَامِلَنَا بِطُفْلِكَ
وَإِحْسَانِكَ وَقَاطِعَ عَنَّا مَا يُبْعِدُ عَن طَاعَتِكَ ، اللَّهُمَّ وَثِّبْتَ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا
وَقَوَّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : أَيُّهَا الْأَخُ أَنْتَ الَّذِي تَلَقَى الْمَشَاقَّ مِنْ حَرٍّ وَبَرْدٍ وَأَنْتَ
مَسْئُولٌ بِالْكَدِّ لِأَجْلِ جَلْبِ الرِّزْقِ ، يَكُونُ مِنْكَ ذَلِكَ لِتَطْعَمَ الْمَرْأَةَ وَتَكْسُوَهَا
وَتُنْعِمَ عَلَيْهَا فَفَضْلُكَ عَلَيْهَا كَبِيرٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى
النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وَأَنْتَ
أَرْجَحُ مِنْهَا عَقْلًا وَأَكْمَلُ دِينًا ، فَمِنْ الْعَلَطِ أَنْ تَكُونَ مَعَهَا كَالْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ
يُصْرَفُهُ مَوْلَاهُ كَيْفَ شَاءَ . وَإِذَا كُنْتَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ قَوَّامًا عَلَيْهَا فَأَنْتَ مَسْئُولٌ
عَنْهَا لِأَنَّكَ رَاعِيهَا وَالرَّاعِي مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَأَنْتَ مُثَابٌّ إِنْ وَجَّهْتَهَا إِلَى
عَمَلِ الْحَيْرِ وَأَنْتُمْ أَنْ سَكَتَ عَنْهَا وَهِيَ تَعْمَلُ أَعْمَالًا لَيْسَتْ مَرْضِيَّةً ، فَانظُرْ مَاذَا
عَلَيْكَ مِنَ الْإِثْمِ فِي خُرُوجِ زَوْجَتِكَ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ بَلَايَا مَرِيَّةٍ وَغَيْرِ

مَرِّيَّةٌ، فَحُلَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ فِيهِ ضَرَرٌ عَلَيْهَا وَكُلَّ عَمَلٍ يُعْضِبُ رَبَّكَ،
وَالَا فَأَنْتَ شَرِيكَ لَهَا فِي كُلِّ مَا لَهَا مِنْ أَوْزَارٍ. أهد.

كُلُّ هَذَا سَبَبُهُ مُخَالَطَةُ رَبَائِبِ الاسْتِعْمَارِ الَّذِينَ تَشَبَّهُوا بِهِ وَقَلْدُوهُ فِي الْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ، وَقَلْدَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ نِسَائِنَا، وَصَدَقَ الْمُصْطَفَى ﷺ حَيْثُ يَقُولُ:
«لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ
حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ»، فَلَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ أهد.

كَفَى بِالْمَرْءِ عَارًا أَنْ تَرَاهُ	مِنَ الشَّانِ الرَّفِيعِ إِلَى انْحِطَاطِ
عَلَى الْمَذْمُومِ مِنْ فِعْلِ حَرِيصًا	عَلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعِ النَّشَاطِ
يُشِيرُ بِكَفِّهِ أَمْرًا وَنَهْيًا	إِلَى الْخُدَامِ مِنْ صَدْرِ الْبِيسَاطِ
يَرَى أَنَّ الْمَعَازِفَ وَالْمَلَاهِي	مُسَبِّبَةَ الْجَوَازِ عَلَى الصَّرَاطِ
لَقَدْ خَابَ الشَّقِيُّ وَضَلَّ عَجْزًا	وَزَالَ الْقَلْبُ مِنْهُ عَنِ النَّيَاطِ
آخِر: وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ حَمِيدَةٌ	وَأَفْضَلُ أَعْمَالِ الرِّجَالِ التَّدِينُ
وَلَا عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْمَرْءِ نِعْمَةٌ	وَلَكِنَّ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّدِينُ

اللَّهُمَّ اعْمُرْ قُلُوبَنَا وَالسِّنِّتَنَا بِذِكْرِكَ وَشَكَرِكَ وَوَقِّفْنَا لِلْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِكَ وَامْنًا مِنْ
سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَايَكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ، اللَّهُمَّ الْحَقْنَا
بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»: فِيمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَهُ أَوْ يَفْعَلَهُ:

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَسَحَّرَ لِلصُّومِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَتًا».

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِرِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ فَضَلَ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكَلْتُ السُّحْرِ » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ » .

وَعَنْ الْعِرْبَابِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السُّحُورِ فِي رَمَضَانَ فَقَالَ : « هَلُمُّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعَمَ سَحُورِ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ » .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُخَفَّفَ عَشَاءُهُ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ لِيَهَيِّمَ طَعَامَهُ قَبْلَ السُّحُورِ وَإِلَّا لَمَتَّاعًا مِنَ الطَّعَامِ رُبَّمَا يَكُونُ سَبَبًا لِلتَّخَمِّ .

وَعَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرَبُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٍ يُقِيمَنَ صَلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلْتُ طَعَامًا وَتَلْتُ شَرَابًا وَتَلْتُ نَفْسًا » .

شعرا :

تَوَقَّ إِذَا مَا اسْطَعْتَ إِذْخَالَ مَطْعِمٍ عَلَى مَطْعِمٍ مِنْ قَبْلِ فِعْلِ الْهَوَاضِمِ
وَكَلَّ طَعَامٍ يَعْجَزُ السِّنُّ مَضَعُهُ فَلَا تَبْتَلِعُهُ فَهَوَّ شَرُّ الْمَطَاعِمِ

وَالشَّيْءُ مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ يُوجِبُ تَكَاسُلَ الْبَدَنِ وَكَثْرَةَ النَّوْمِ وَبِلَادَةَ الدَّهْنِ
وَذَلِكَ يُكْثِرُ الْبُخَارَ فِي الرَّأْسِ حَتَّى يُغْطِيَ مَوْضِعَ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ ، وَالْبَطْنَةَ
تَذْهَبُ الْفِطْنَةُ وَتَجْلِبُ أَمْرَاضاً عَيسِرَةً ، وَمَقَامُ الْعَدْلِ أَنْ لَا يَأْكُلَ حَتَّى
تَصْدُقَ شَهْوَتُهُ وَأَنْ يَرْفَعَ يَدَهُ وَهُوَ يَشْتَهِي وَنَهَايَةُ مَقَامِ الْحُسْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَلْتُ طَعَامًا
وَتَلْتُ شَرَابًا وَتَلْتُ نَفْسًا » .

وَالْأَكْلُ عَلَى مَقَامِ الْعَدْلِ يُصِحُّ الْبَدْنَ وَيُبْعِدُ الْمَرَضَ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَيُقَلِّلُ النَّوْمَ وَيُخَفِّفُ الْمَوْتَةَ وَيُرْفِقُ الْقَلْبَ وَيُصَفِّيه فَتَحْسُنُ فِكْرُهُ وَتَسَهَّلُ
الْحَرَكَاتُ وَالتَّعْيِيرَاتُ ، وَالشَّبَعُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَمِنْهُ يَكُونُ الْفَرَحُ وَالْمَرَحُ
وَالضَّحِكُ .

وَيُسْتَحَبُّ تَأْخِيرُ السُّحُورِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ ابْنِ
ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ أَنَسُ : قُلْتُ لِزَيْدٍ : كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ
وَالسُّحُورِ ؟ قَالَ : قَدَرُ خَمْسِينَ آيَةً مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَلَمَا وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ
سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَتَسَحَّرُ فِي أَهْلِي ثُمَّ تَكُونُ
سُرْعَتِي أَنْ أُدْرِكَ السُّجُودَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ وَأَخْرَوْا
السُّحُورَ » .

وَعَنْ ابْنِ عَطِيَّةَ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عَائِشَةَ ، فَقُلْنَا : يَا
أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ
وَيُعَجِّلُ الصَّلَاةَ وَالْآخَرُ يُؤَخِّرُ الْإِفْطَارَ وَيُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ ، قَالَتْ : أَيُّهُمَا
يُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ وَيُعَجِّلُ الصَّلَاةَ ؟ قُلْنَا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَتْ :
هَكَذَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ أَبُو مُوسَى .

وَلَأَنَّ السُّحُورَ يُرَادُ بِهِ التَّقْوَى عَلَى الصُّومِ . فَكَانَ التَّأْخِيرُ أُبْلَغَ فِي
ذَلِكَ وَأَوْلَى ، وَيُسْنُ تَعْجِيلُ فِطْرِ إِذَا تَحَقَّقَ الْغُرُوبُ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعَجَلَهُمْ فِطْرًا » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخَّرُونَ » وَلِحَدِيثٍ سَهْلٍ وَحَدِيثِ أَبِي عَطِيَّةٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ قَرِيبًا .

اللَّهُمَّ اسْلِكْ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الْأَبْرَارِ واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ وَاثْمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَقْرِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ واحْفَظْنَا مِنَ الْمَعَاصِي فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْأَعْمَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : وَيُسْنُ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى رُطْبٍ ، فَإِنْ عَدِمَ فَتَمْرٌ فَإِنْ عَدِمَ فَمَاءٌ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطْبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطْبَاتٍ فَتَمْرَاتٍ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ ، وَعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ ، فَإِنَّهُ بَرَكَهٌ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فَالْمَاءُ فَإِنَّهُ طَهُورٌ » .

وَالْفِطْرُ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ أَفْضَلُ ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَلَوْ شَرِبَهُ مَاءً » .

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَشْرَبَ فَكُنْ قَاعِدًا تَقْزُ بِسُنَّةِ خَيْرِ الْخَلْقِ أَعْنِي مُحَمَّدًا فَقَدْ صَحَّحُوا شُرْبًا لَهُ وَهُوَ قَائِمٌ وَلَكِنْ بَيَانًا لِلْجَوَازِ فَسَدَّدَا

وَسُتَحِبُّ قَوْلَ الصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ :

اللَّهُمَّ لَكَ صُيِّمْتُ ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . لِمَا وَرَدَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ : أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : « ذَهَبَ الظَّمَا وَابْتَلَّتْ الْعُرُوقُ ، وَتَبَّتْ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » وَتَبَّتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لَا تَرُدُّ » وَلِحَدِيثِي ابْنِ

عَبَّاسٍ وَأَنْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَكَ صُومَنَا ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَقَالَ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ » .

وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى حَلَالٍ ، وَأَنْ يَحْذَرَ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَرَامٍ ، فَإِنَّ أَكَلَ الْحَرَامِ مِنْ جُمْلَةِ مَوَانِعِ قَبُولِ الدُّعَاءِ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ وَلَا يَقْبَلُ الْأَطْيَبُ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ : يَا رَبُّ يَا رَبُّ ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغَدِيَّ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ » .

فَأَيُّكَ إِيَّاكَ الرَّبَّاءَ فَلَدِرْهُمْ
وَتُمَحِّقُ أَمْوَالَ الرَّبَّاءِ وَإِنْ نَمَتْ
آخِرُ: الْمَالُ يَذْهَبُ حِلُّهُ وَحَرَامُهُ
لَيْسَ التَّقَى بُمَنْقٍ لِلَّهِ
أَشَدُّ عِقَابًا مِنْ زِنَاكَ بِنَهْدِ
وَيَرْبُو قَلِيلُ الْحِلِّ فِي صِدْقِ مَوْعِدِ
يَوْمًا وَتَبْقَى فِي عِدِّ آثَامُهُ
حَتَّى يَطْيِبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ

وَفِي الْحَدِيثِ أَلَّا إِنْ أَوْلَ مَا يُتِنُّ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ
أَلَّا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلِ الْحَدِيثُ .

وَمِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَدْعُوا اللَّهَ

وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ
وَأَنْ يَكُونَ دُعَائُهُ فِي السَّرِّ وَالضَّرِّ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ وَأَنْ
يَكُونَ بِالتَّضَرُّعِ بِالرُّغْبَةِ وَالرُّهْبَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اذْعُوا رَبِّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ وَقَالَ فِي حَقِّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ وَأَنْ يَفْتَسِحَ الدُّعَاءُ بِالثَّنَاءِ
عَلَى اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّيْتَ
فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ قَالَ ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ
آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي أَدْعُ تُحِبُّ .

وَعَنْ عُمَرَ قَالَ إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ
شَيْءٌ حَتَّى تَصَلِّيَ عَلَيَّ نَبِيَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يُخْفِيَ الدُّعَاءَ ،
قَالَ الْحَسَنُ بَيْنَ دَعْوَةِ السَّرِّ وَدَعْوَةِ الْعَلَانِيَةِ سَبْعُونَ ضِعْفًا وَأَنْ كَانَ الرَّجُلُ
لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ وَأَنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَهَمَ الْفِقْهَ الْكَثِيرَ
وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ فِي بَيْتِهِ وَعِنْدَهُ
الزُّوَارُ مَا يَشْعُرُونَ بِهِ وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ
يَقْدَرُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي السَّرِّ فَيَكُونُ عِلَانِيَةً أَبَدًا وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ

يَجْتَهُدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَمَا يُسْمَعُ صَوْتُ إِنْ كَانَ إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ
وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ
عَبْدًا صَالِحًا رَضِيَ فِعْلُهُ فَقَالَ ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ .
شِعْرًا :

إِلَى مَتَى يَا عَيْنُ هَذَا الرَّقَادُ
أَمَا آنَ أَنْ تَكْتَجِلِي بِالسُّهَادِ
تَنْبِيهُي مِنْ رَقْدَةٍ وَأَنْظُرِي
مَا فَاتَ مِنْ خَيْرٍ عَلَى ذِي الرَّقَادِ
يَا أَيُّهَا الْغَافِلُ فِي نَوْمِهِ
قُمْ لِيَتْرَى لُطْفَ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ
مَوْلَاكَ يَدْعُوكَ إِلَى بَابِهِ
وَأَنْتَ فِي النَّوْمِ شَبِيهُ الْجَمَادِ
وَتَبْسُطُ الْكُفْنَينَ هَلْ تَائِبٌ
مِنْ ذَنْبِهِ هَلْ مَنْ لَهُ مِنْ مُرَادِ
وَأَنْتَ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَانِبٍ
تَدُورُ فِي الْفُرْشِ وَلَيْنِ الْمِهَادِ
يَدْعُوكَ مَوْلَاكَ إِلَى قُرْبِهِ
وَأَنْتَ تَخْتَارُ الْجَفَا وَالْبِعَادِ
كَمْ هَكَذَا التُّسُونِفُ فِي غَفْلَةٍ
لَيْسَ عَلَى الْعُمَرِ الْعَزِيزِ اعْتِمَادِ
لَقَدْ مَضَى لَيْلُ الصَّبَا مُسْرِعًا
وَيَتْرُ صُبْحُ الشَّيْبِ فَوْقَ الْفُؤَادِ
أَفِئْتِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ

رَحْمَتُهُ عَمَّتْ جَمِيعَ الْعِبَادِ

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ
الْهَمْنَا شُكْرَكَ آتَالاً اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَثَبَّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: في أحكام القضاء

وَيُسْتَحَبُّ قَضَاءُ رَمَضَانَ فَوْرًا مَعَ سَعَةٍ وَقْتٍ مُسَارَعَةً لِبَرَاءَةِ الذِّمَّةِ
وَيُسَنُّ التَّابِعُ فِي قَضَائِهِ لِأَنَّهُ أَشْبَهُ بِالْأَدَاءِ وَأَبْعَدُ عَنِ الْخِلَافِ . وَيَجُوزُ
تَفْرِيقُهُ لِمَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : « قَضَاءُ رَمَضَانَ إِنْ شَاءَ فَرَّقَ وَإِنْ شَاءَ تَابَعَ » .

وَرَوَى الْأَثَرُ بِإِسْنَادِهِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّهُ قَالَ : بَلَّغَنِي أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ تَقْطِيعِ قَضَاءِ رَمَضَانَ ، فَقَالَ : « لَوْ
كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ دَيْنٌ فَقَضَاهُ مِنَ الدَّرْهِمِ وَالذَّرْهِمَيْنِ حَتَّى يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ
مِنَ الدِّينِ ، هَلْ كَانَ قَاضِيًا دَيْنَهُ ؟ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ فَاللَّهُ أَحَقُّ
بِالْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ مِنْكُمْ » .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لَا بَأْسَ أَنْ
يُفَرَّقَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ مُتَّابِعَاتٍ ، فَسَقَطَتْ
مُتَّابِعَاتٍ .

وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرَ قَضَاءِ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ آخَرَ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ ، لِمَا
أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ
الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَمَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : إِنْ كَانَتْ إِحْدَانَا لَتُفْطِرُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا تَقْدِرُ أَنْ تَقْضِيَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ . وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ : قَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَا كُنْتُ أَقْضِي مَا يَكُونُ عَلَيَّ مِنْ قِضَاءِ رَمَضَانَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ حَتَّى تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَإِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ شَعْبَانَ لَا قَدْرٌ مَا عَلَيْهِ ، وَجَبَ الْقِضَاءُ قَوْرًا مُتَابِعًا لِضَيْقِ الْوَقْتِ ، كَأَدَاءِ رَمَضَانَ فِي حَقِّ مَنْ لَا عُذْرَ لَهُ .

وَلَا يُكْرَهُ الْقِضَاءُ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَإِنْ أَخَّرَ الْقِضَاءَ لِغَيْرِ عُذْرٍ حَتَّى أَذْرَكَهُ رَمَضَانَ آخَرَ فَعَلَيْهِ مَعَ الْقِضَاءِ إِطْعَامُ مِسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ : وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَلَمْ يُرَوْا عَنْ غَيْرِهِمْ خِلَافَهُ . قَالَ فِي الشَّرْحِ .

وَمَنْ فَاتَهُ رَمَضَانٌ قِضَاءً عَدَدَ أَيَّامِهِ تَامًا كَانَ أَوْ نَاقِصًا لِأَنَّ الْقِضَاءَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مَا فَاتَهُ كَالْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وَيَجُوزُ أَنْ يَقْضِيَ يَوْمَ صَيْفٍ عَنْ يَوْمٍ شِتَاءٍ وَأَنْ يَقْضِيَ يَوْمَ شِتَاءٍ عَنْ يَوْمٍ صَيْفٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

« فَصَلِّ » : ثُمَّ اعْلَمْ وَفَقْنَا وَأَيَّاكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ أَنَّ لِلصِّيَامِ مَحَاسِنَ كَثِيرَةً وَهِيَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ثَبَّتَنَا اللَّهُ وَأَيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَمِنْهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ انْدَفَعَ جُوعٌ كَثِيرٌ مِنْ حَوَاسِهِ فَإِذَا شَبِعَ بَطْنُهُ جَاعَ عَيْنُهُ وَلِسَانُهُ وَبَدُّهُ وَفَرَجُهُ فَكَانَ تَشْبِيعُ النَّفْسِ تَجْوِينًا لِهَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ وَفِي تَجْوِينِ النَّفْسِ تَشْبِيعُهَا فَكَانَ هَذَا التَّجْوِينُ أَوْلَى وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا جَاعَ عَلِمَ حَالَ الْفُقَرَاءِ فِي جُوعِهِمْ فَيَرْحَمُهُمْ

وَيُعْطِيهِمْ مَا يَسُدُّ بِهِ جُوعَهُمْ إِذْ لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَايَنَةِ لَا يَعْلَمُ الرَّابِطُ مَشَقَّةَ الرَّاحِلِ إِلَّا إِذَا تَرَجَّلَ .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الصَّيَامِ فِي فَرَضِهِ وَشَرْعِهِ أَنَّهُ لَمْ يُفْرَضْ فِي كُلِّ الْعُمُرِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ بَلْ فُرِضَ شَهْرًا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرَ رَمَضَانَ وَرُخِصَ فِي الْإِفْطَارِ عِنْدَمَا يَحْضُلُ لِمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ عُدْرٌ وَأَيْضًا أَمْرٌ بِالصَّوْمِ فِي النَّهَارِ وَأَبِيحَ فِي اللَّيْلِ الْإِفْطَارُ وَهَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ أَمْرٌ بِعِبَادَةِ اللَّهِ عَلَى وَجْهِ يُمَكِّنُ لَهُمْ فِيهِ أَحْرَازَ الْفَضِيلَةِ وَاكْتِسَابَ الْوَسِيلَةِ وَمِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ خَصَّ الصَّيَامَ بِالنَّهَارِ لِأَنَّ الْأَكْلَ فِيهِ مُعْتَادٌ ، وَالنَّوْمُ فِي اللَّيْلِ مُعْتَادٌ وَمِنْ مَحَاسِنِ الصَّوْمِ اكْتِسَابُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِأَنَّ قِلَّةَ الْأَكْلِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ .

وَلِذَلِكَ لَمْ يُحْمَدَ أَحَدٌ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ وَيُحْمَدُ عَلَى قِلَّةِ الْأَكْلِ يَحْمَدُهُ كُلُّ ذِي دِينٍ فِي كُلِّ حِينٍ وَلَمْ يُرَوْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَثْرَةُ الْأَكْلِ وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ فِي الصَّيَامِ أَنَّ اللَّهَ مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ لَمْ يَشْتَرِطْ فِي الْقَضَاءِ مَا فِي الْأَدَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَلَمْ يَشْتَرِطْ فِي الْقَضَاءِ طَوْلَ الْيَوْمِ بِالْيَوْمِ وَلَا حَرَارَتَهُ وَلَا بُرُودَتَهُ فَإِذَا أَفْطَرَ فِي أَطْوَلِ يَوْمٍ ثُمَّ قَضَاهُ فِي أَقْصَرِ يَوْمٍ أَجَزَاهُ وَكَفَّاهُ .

وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ فِي الصَّوْمِ أَنَّهُ لَمْ يُشْتَرِطْ فِيهِ قِرَانَ النَّيَّةِ عِنْدَ الشَّرُوعِ كَمَا فِي سَائِرِ الْعِبَادَاتِ لِأَنَّ هَذَا الْوَقْتِ وَقْتُ نَوْمٍ وَغَفْلَةٍ فَلَمَّا يَقِفُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ فَلَوْ شَرِطَ لَضَاقَ الْأَمْرُ عَلَى النَّاسِ فَيَسَّرَ الْأَمْرَ عَلَى عِبَادِهِ حَتَّى أَجَازَ الصَّوْمَ بَيْنَهُ مُتَقَدِّمَةً تَقَعُ بِجُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ وَإِنْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالرَّفْتُ لِأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتَ مَحَلُّهَا .

اللَّهُمَّ اسئلكَ بنا سبيلَ عِبَادِكَ الأبرارِ، وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَأَسْكِنْنَا
الجَنَّةَ دَارَ القَرَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى القُرَظِيِّ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ
تَعْظِي وَتَذَكُّرُ مَا هُوَ لِي حِطٌّ وَعَلَيْكَ حَقٌّ وَقَدْ أَصَبْتَ بِذَلِكَ أَفْضَلَ الأَجْرِ
أَنَّ المَوْعِظَةَ كَالصَّدَقَةِ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا وَأَبْقَى نَفْعًا وَأَحْسَنُ ذُخْرًا
وَأَوْجِبُ عَلَى المُؤْمِنِ حَقًّا ، لِكَلِمَةِ يَعْظُ بِهَا الرَّجُلُ أَخَاهُ لِيَزِدَادَ بِهَا فِي
هُدَى رَغْبَةٍ خَيْرٍ مِنْ مَالٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَلَمَّا يُدْرِكُ
أُخُوكَ بِمَوْعِظَتِكَ مِنَ الهُدَى خَيْرٌ مِمَّا يَنَالُ بِصَدَقَتِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَآنَ يَنْجُو
رَجُلٌ بِمَوْعِظَتِكَ مِنْ هَلَكَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَنْجُو بِصَدَقَتِكَ مِنْ فَقْرٍ .

فَعِظْ مَنْ تَعْظُ لِقِضَاءِ حَقِّ عَليكَ وَاسْتَعْمِلْ كَذَلِكَ نَفْسَكَ حِينَ تَعْظُ
وَكُنْ كَالطَّيِّبِ المُجَرَّبِ العَالِمِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الدَّوَاءَ حَيْثُ لَا
يَنْبَغِي أَعْنَتَ نَفْسِهِ وَإِذَا أَمَسَكَ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِي جَهَلَ وَائْتَمَّ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ
يُدَاوِيَ مَجْنُونًا لَمْ يَدَاوِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ حَتَّى يَسْتَوْثِقَ مِنْهُ وَيُوثِقَ لَهُ خَشْيَةَ أَنْ لَا
يَبْلُغَ مِنْهُ مِنَ الخَيْرِ مَا يَتَّقِي مِنْهُ مِنَ الشَّرِّ وَكَانَ طِبُّهُ وَتَجْرِبَتُهُ مِفْتَاحُ عَمَلِهِ
وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُجْعَلِ المِفْتَاحُ عَلَى البَابِ لِكَيْمَا يُغْلَقَ فَلَا يَفْتَحُ أَوْ لِيُفْتَحَ فَلَا
يُغْلَقُ وَلَكِنْ لِيُغْلَقَ فِي حِينِهِ وَيُفْتَحَ فِي حِينِهِ .

وَكُنْ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ
بِأَرْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ

وَمُرْتَمٍ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْهَهُمْ
عَنِ السُّوءِ وَارْجُرْ ذَا الخَنَا عَنِ خَنَائِهِ
وَعِظُهُمْ بِآيَاتِ الكِتَابِ بِحِكْمَةٍ
لَعَلَّكَ تُبْرِئِي دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ

فَإِنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بِوَعظِكَ وَاجِدًا
تَنَلْ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ
وَلَا فَقْدَ أُدَيْتَ مَا كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْكَ وَمَا مُلِكْتَ أَمْرَ اهْتِدَائِهِ

اللَّهُمَّ الْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تَفْضُحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِي
الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ نَسَأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى
صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.

(فَضْلٌ)

فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ

وَبَيَّحْتُ فِي :

- ١ - مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ .
- ٢ - صِفَةُ أَوْ كَيْفِيَّةُ التَّرَاوِيحِ .
- ٣ - مَذَاهِبُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي عَدَدِ رَكَعَاتِهَا .
- ٤ - مَا يُسْتَحَبُّ فِيهَا .

١ - مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ :

التراويح سنة مؤكدة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : فعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى الثانية فكثرت الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما أصبح قال رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان متفق عليه .

وفي رواية : قالت : « كان الناس يصلون في المسجد في رمضان بالليل أوزاعاً مع الرجل الشيء من القرآن ، فيكون معه النفر الخمسة ، أو السبعة ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، يصلون بصلاته ، قالت : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصب له حصيراً على باب حجرتي ، ففعلت ، فخرج إليه بعد أن صلى العشاء الآخرة فاجتمع إليه من في المسجد فصلى بهم . وذكرت القصة بمعنى ما تقدم ، غير أن فيها أنه لم يخرج إليهم في الليلة الثانية . »

وعن جبير بن نفير عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يصل بنا حتى بقي سبع من الشهر فقام بنا حتى ذهب شطر الليل ، فقلنا : يا رسول الله ، لو نفلتنا بقية ليلتنا هذه : فقال « من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب الله له قيام ليلة » ، ثم لم يقم بنا حتى بقي ثلاث من الشهر فصلى بنا في الثالثة ، ودعا أهله ونساءه حتى تخوفنا الفلاح ، قلت له : وما الفلاح ؟ قال السحور .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة » ،

فَيَقُولُ : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ ، وَسَنَنْتُ قِيَامَهُ فَمَنْ صَامَهُ إِيمَانًا
وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ حُجْرَةً
فِي حَصِيرٍ ، فَصَلَّى فِيهَا لَيَالٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَاسٌ ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً
فَظَنُّوا أَنَّهُ نَامَ ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحَّحُ لِيُخْرِجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا زَالَ بِكُمْ
الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
مَا قُتِمْتُمْ بِهِ ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ
إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ » .

٢ - صِفَةٌ أَوْ كَيْفِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ :

صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ بِجَمَاعَةٍ أَفْضَلُ ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : « كَانَ عَلِيٌّ
وَجَابِرٌ وَعَبْدُ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يُصَلُّونَهَا جَمَاعَةً » ، وَرَوَى عَنْ
عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ لِلرِّجَالِ إِمَامًا وَلِلنِّسَاءِ إِمَامًا » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَقَالَ : إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى
يُنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلِهِ » .

وَيَجْهَرُ الْإِمَامُ بِالْقِرَاءَةِ لِنَقْلِ الْخَلْفِ عَنِ السَّلَفِ . وَيُسَلَّمُ مِنْ كُلِّ
رَكَعَتَيْنِ ، وَوَقْتُهَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، قَبْلَ الْوُتْرِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَفَعَلَهَا
فِي الْمَسْجِدِ أَفْضَلُ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى لَهَا ثَلَاثَ
لَيَالٍ مُتَوَالِيَةً ، كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَمَرَّةً ثَلَاثَ لَيَالٍ

مُتَّفَرِّقَةً كَمَا رَوَى أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ : « مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حُسْبَ لَهُ قِيَامٌ لَيْلَةٍ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَفْعَلُونَهَا فِي الْمَسْجِدِ أَوْزَاعًا فِي جَمَاعَاتٍ مُتَّفَرِّقَةٍ فِي عَهْدِهِ .

شِعْرًا: وَمَا اللَّيْلُ إِلَّا لِلْمُنِيبِ مَطِيَّةٌ وَمَيْدَانُ سَبَقَ لِلَّذِي يَتَهَجَّدُ
 آخِرُ: يَهْوَى الدِّيَاجِي إِذَا الْمَعْرُورُ أَغْفَلَهَا كَأَنَّ شُهَبَ الدِّيَاجِي أَعْيُنُ نُجُلُ
 آخِرُ: إِذَا شَامَ الْفَتَى بَرَقَ الْمَعَالِي فَأَهْوَنُ فَائِثِ طَيْبِ الرَّقَادِ

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَارِيءِ قَالَ : « خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَّفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِيءٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلُ . ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةَ أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِيئِهِمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : « نِعِمَّتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ » يَعْنِي آخِرَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ . فَذَلَّتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ وَغَيْرُهَا عَلَى أَنْ يَفْعَلَ التَّرَاوِيحَ جَمَاعَةً أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْفِرَادِ وَكَذَا أَجْمَاعُ الصُّحَابَةِ وَأَهْلِ الْأَمْصَارِ عَلَى ذَلِكَ .

وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَجُوزُ فُرَادَى وَاخْتَلَفَ أُيْتُهُمَا أَفْضَلُ لِلْقَارِيءِ ، قَالَ الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ : الْخِلَافُ يَمْنُ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ ، وَلَا يَخَافُ الْكَسَلَ عَنْهَا لَوْ انْفَرَدَ ، وَلَا تَخْتَلُ الْجَمَاعَةُ بِتَخْلُفِهِ ، فَإِنْ فُقِدَ أَحَدٌ هَذِهِ الْأُمُورِ فَالْجَمَاعَةُ أَفْضَلُ بِلا خِلَافٍ وَأَمَّا عَدَدُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ ، فَقَالَ الْقَاضِي : لَا خِلَافَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ حَدٌّ لَا يُزَادُ عَلَيْهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ .

فَاخْتَارَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عِشْرِينَ رَكْعَةً : لِمَا رَوَى مَالِكٌ فِي « الْمَوْطَأِ » عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ قَالَ : كَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِ عُمَرَ يَقُومُونَ فِي رَمَضَانَ بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً .

وَقَالَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ : لَمَّا جَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، وَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ عِشْرِينَ رَكْعَةً : وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي كِتَابِهِ « الشَّافِي » عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عِشْرِينَ رَكْعَةً .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : لَهُ أَنْ يُصَلِّيَهَا عِشْرِينَ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَالشَّافِعِيِّ ، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَهَا سِتًّا وَثَلَاثِينَ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَكُلُّهُ حَسَنٌ ، فَيَكُونُ تَكْثِيرُ الرُّكْعَاتِ أَوْ تَقْلِيلُهَا بِحَسَبِ طُولِ الْقِيَامِ وَقِصْرِهِ : وَقَالَ : الْأَفْضَلُ ، يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمُصَلِّينَ فَإِنْ كَانَ فِيهِمْ أَحْتِمَالٌ بِعَشْرِ رَكْعَاتٍ وَثَلَاثٍ بَعْدَهَا ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي لِنَفْسِهِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ فَهُوَ الْأَفْضَلُ ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَحْتَمِلُونَهُ ، فَالْقِيَامُ بِعِشْرِينَ هُوَ الْأَفْضَلُ وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ بِهِ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ . وَإِنْ قَامَ بِأَرْبَعِينَ وَغَيْرَهَا جَازٌ ، وَلَا يُكْرَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ قِيَامَ رَمَضَانَ فِيهِ عَدَدٌ مُؤَقَّتٌ لَا يَزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُ فَقَدْ أَخْطَأَ ، وَقَدْ يَنْشِطُ الْعَبْدُ فَيَكُونُ الْأَفْضَلُ فِي حَقِّهِ تَخْفِيفُهَا .

وَقَالَ : قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي التَّرَاوِيحِ سُنَّةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ مِنْ أَجْلِ مَقْصُودِ التَّرَاوِيحِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا لَيْسَمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ ، فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ فِيهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ - فِيهِ كَانَ جِبْرِيلُ يُدَارِسُ النَّبِيَّ ﷺ - انْتَهَى كَلَامَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ» : ٤ - مَا يُسْتَحَبُّ فِيهَا :

وَعَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ، فَلَا يُسْرِعُ سُرْعَةً تَمْنَعُ الْمَأْمُومَ مِنَ الْاِتِّبَانِ بِرُكْنٍ كَالطَّمَانِينَةِ ، أَوْ وَاجِبٍ كَتَسْبِيحِ رُكُوعٍ وَتَسْبِيحِ سُجُودٍ ، أَوْ

قَوْلٍ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي » وَمَنْ الْمُؤَسِّفُ أَنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، أَثْقَلَ الْأَيْمَةَ عِنْدَهُ مَنْ يُصَلِّي التَّرَاوِيحَ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَأَطْمِئْنَانٍ ، وَلِذَا يَقْرُونَ مِنْهُ وَيَذْهَبُونَ إِلَى مَنْ يُسْرِعُ بِهَا وَلَا يُتِمُّهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ ، وَلَا يَطْمِئِنُّ بِهَا ، وَالطُّمَأْنِينَةُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَسِيِّ فِي صَلَاتِهِ لَمَّا أَحْلَلَ بِالطُّمَأْنِينَةِ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » وَكَانَ السَّلْفُ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْعَصِيِّ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ .

وَعَنْ الْأَعْرَجِ قَالَ : مَا أَدْرَكْنَا النَّاسَ إِلَّا وَهُمْ يَلْعَنُونَ الْكُفْرَةَ فِي رَمَضَانَ وَقَالَ : وَكَانَ الْقَارِيءُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ ، وَإِذَا قَامَ بِهَا فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً رَأَى النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ خَفَّفَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كُنَّا نَنْصَرِفُ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْقِيَامِ فَانْتَعَجَلُ الْخَدَمُ بِالطَّعَامِ مَخَافَةَ فَوْتِ السُّحُورِ ، وَفِي أُخْرَى : « مَخَافَةَ الْفَجْرِ » .

وَعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : أَمَرَ عُمَرُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ ، وَتَمِيمًا الدَّارِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ فِي رَمَضَانَ بِأَحَدِي عَشْرَةَ رَكَعَةً ، فَكَانَ الْقَارِيءُ يَقْرَأُ بِالْمِثْنِ حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْعَصِيِّ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ ، فَمَا كُنَّا نَنْصَرِفُ إِلَّا فِي فُرُوعِ الْفَجْرِ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ بِسُورَةِ الْقَلَمِ فِي عِشَاءِ الْآخِرَةِ مِنَ اللَّيْلِ الْأُولَى مِنْ رَمَضَانَ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ لِأَنَّهَا أَوْلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ . وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يَنْقُصَ عَنْ خَتْمَةِ فِي التَّرَاوِيحِ لِيَسْمَعَ النَّاسُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ . وَيَتَحَرَّى أَنْ يَخْتِمَ آخِرَ التَّرَاوِيحِ قَبْلَ رُكُوعِهِ وَيَدْعُو .

شِعْرًا: وَلَيْسَ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ كَانَ هَمُّهُ جَرَائِدَ يَقْرَاهَا وَمَذْبَاعَ يَسْمَعُ
وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ كَانَ هَمُّهُ قِرَاءَةَ قُرْآنٍ فَيَتْلُو وَيَسْمَعُ
وَلِشَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ دُعَاءٌ جَامِعٌ شَامِلٌ . وَقَالَ : رُوِيَ أَنَّ عِنْدَ
كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ :

وقال العلماء يُسْتَحَبُّ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ إِذَا خَتَمَهُ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَهُ فَإِنَّهُ
رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ أَهْلَهُ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ وَعِنْدَهُ أَنَّهُ إِذَا
أَشْفَى عَلَى خَتْمِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ بَقِيَ أَرْبَعُ سُورٍ أَوْ خَمْسٌ فَإِذَا أَصْبَحَ جَمَعَ أَهْلَهُ
فَخَتَمَهُ وَدَعَا وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ عَلِمَ بِالْخَتْمِ أَنْ يَحْضُرَهُ .

وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَجْعَلُ عَلَيْهِ رَقِيبًا . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَ قَالَ لِحُلَسَائِهِ قَوْمًا
بِنَا حَتَّى نَحْضُرَ الْخَاتِمَةَ وَعَنْ مُجَاهِدٍ : كَانُوا يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ
وَيَقُولُونَ الرَّحْمَةَ تَنْزِلُ .

وعن الحكم بن عتيبة قال : كان مجاهد وعنده ابن أبي لُبَابَةَ وَأَنَاسٌ
يَعْرِضُونَ الْقُرْآنَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْتِمُوهُ أَرْسَلُوا إِلَيْنَا وَقَالُوا : أَنَا نَزِيدُ أَنْ نَخْتِمَ
فَأَحْبَبْنَا أَنْ تَشْهَدُونَا فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِذَا خَتِمَ الْقُرْآنَ نَزَلَتِ الرَّحْمَةُ عِنْدَ خَتْمِهِ أَوْ
حَضَرَتِ الرَّحْمَةُ عِنْدَ خَتْمِهِ .

وقال وهيب بن الورد قال لي عطاء : بَلَّغْنِي أَنَّ حُمَيْدَ الْأَعْرَجِ يُرِيدُ أَنْ
يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فَنَظَرْتُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَ فَأَخْبَرَنِي حَتَّى أَحْضَرَ الْخَتْمَةَ .
وقال في المغنى .

« فَصْلٌ » : فِي خَتْمِ الْقُرْآنِ : قَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
فَقُلْتُ أَخْتِمُ الْقُرْآنَ أَجْعَلُهُ فِي الْوِثْرِ أَوْ فِي التَّرَاوِيحِ ، قَالَ أَجْعَلُهُ فِي التَّرَاوِيحِ حَتَّى
يَكُونَ لَنَا دُعَائَيْنِ . قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ ، قَالَ : إِذَا فَرَعْتَ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ فَارْفَعْ
يَدَيْكَ قَبْلَ أَنْ تَرْكَعَ وَادْعُ بِنَا وَنَحْنُ فِي الصَّلَاةِ وَأُطِلِ الْقِيَامَ . قُلْتُ : بِمَا أَدْعُو ،

قَالَ : بِمَا شِئْتَ . قَالَ فَفَعَلْتُ بِمَا أَمَرَنِي وَهُوَ خَلْفِي يَدْعُو قَائِمًا وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ . قَالَ حَنْبَلٌ سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَقُولُ فِي حَتَمِ الْقُرْآنِ إِذَا فَرَعْتَ مِنْ قِرَاءَةِ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ فَارْفَعْ يَدَيْكَ فِي الدُّعَاءِ قَبْلَ الرُّكُوعِ قُلْتُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ فِي هَذَا . قَالَ رَأَيْتُ أَهْلَ مَكَّةَ يَفْعَلُونَهُ وَكَانَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يَفْعَلُهُ مَعَهُمْ بِمَكَّةَ ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ وَكَذَلِكَ أَدْرَكْنَا النَّاسَ بِالْبَصْرَةِ وَبِمَكَّةَ وَيُرْوَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي هَذَا شَيْئًا وَذَكَرَ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ وَقَالَ فِي الشَّرْحِ الْكَبِيرِ مِثْلَ مَا قَالَ فِي الْمُعْنَبِيِّ وَقَالَ فِي الْأَذْكَارِ وَيُسْتَحَبُّ حُضُورُ مَجْلِسِ الْحَتَمِ لِمَنْ يَقْرَأُ وَلِمَنْ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَقْرَأَ فَقَدْ رَوَيْنَا فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ الْحَيْضَ بِالْخُرُوجِ يَوْمَ الْعِيدِ فَلْيَشْهَدَنَّ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ . وَوَرَدَ لَا يَجْتَمِعُ مَلَاءٌ فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ وَيُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ إِلَّا أَجَابَهُمُ اللَّهُ (ط ب ك ق) .

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْتِيحُ
وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامٌ مَلِيكِنَا بِذَلِكَ ذَانَ الْأَتَقِيَاءَ وَأَفْصَحُوا
وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْوُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسْبَحُ
وَقَدْ يُنْكَرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمِضْدَاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصْحَحُ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ
وَقَدْ يُنْكَرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكَلْنَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تُفْتَحُ
وَقُلْ يَنْزِلُ الْجِبَارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلَا كَيْفٍ جَلُّ الْوَاحِدِ الْمُتَمَدِّحُ
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرًا يَلْقَى غَافِرًا وَمُسْتَمْتِنِحًا خَيْرًا وَرِزْقًا فَيَمْنَحُ
رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبْحُوا

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 وَرَأِبُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ لَا شَكَّ فِيهِمْ
 سَعِيدٌ وَسَعْدُ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ
 وَقُلْ خَيْرُ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ
 فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ
 وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيْقُنْ فَإِنَّهُ
 وَلَا تُنْكِرْنَ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا
 وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ
 عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ
 وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعُ
 وَلَا تُكْفِرْنَ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَأَنْ عَصُوا
 وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ
 وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ
 وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ
 وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً
 وَدَعَّ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلُهُمْ
 وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهُوا بِدِينِهِمْ
 إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدُّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ
 اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْآخِيَارِ وَأَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْمُقْرَبِينَ
 وَالْأَبْرَارِ وَأَتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا

وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

موعظة

عباد الله : تَصَرَّمَتِ الْأَعْوَامُ عَاماً بَعْدَ عَامٍ ، وَأَنْتُمْ فِي غَنَلَتِكُمْ سَاهُونَ نِيَام . أَمَا
تُشَاهِدُونَ مَوَاقِعَ الْمَنَايَا ، وَحُلُولَ الْأَفَاتِ وَالرِّزَايَا . وَكَيْفَ فَازَ وَأَفْلَحَ الْمُتَّقُونَ ، وَكَيْفَ
نَخَابَ وَخَسَرَ الْمَبْطُلُونَ الْمَفْرُطُونَ فَيَالَيْتَ شِعْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُطَوِّى صَحَائِفُ
الْأَعْمَالِ أَعْلَى أَعْمَالِ صَالِحَةٍ وَتَوْبَةٍ نَصُوحٍ تُمَحِّي بِهَا الْآثَامَ ، أَمْ عَلَى ضِدِّهَا
فَلْيَتَّبِعِ الْجَانِي إِلَى رَبِّهِ ، فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاسْتَدِرُّوْا عُمْرَآ
ضَاعَتُمْ أَوْلَاهُ ، فَإِنَّ بَقِيَّةَ عُمْرِ الْمُؤْمِنِ لَا قِيَمَةَ لَهُ . فَارْحَمِ اللَّهُ عَبْدًا اغْتَنَمَ أَيَّامَ
الْقُوَّةِ وَالشَّبَابِ ، وَأَسْرَعَ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ قَبْلَ طَيِّ الْكِتَابِ ، وَأَخَذَ نَصِيبًا مِنَ
الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَمَنَّى سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ سَاعَاتِ الْحَيَاةِ . أَيْنَ مَنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَاضِيَةِ ، أَمَا وَأَفْتَهُمُ الْمَنَايَا وَقَضَّتْ عَلَيْهِمُ الْقَاضِيَةَ ، أَيْنَ
أَبَاؤُنَا وَأَيْنَ أُمَّهَاتُنَا أَيْنَ أَقْرَابُنَا ، وَأَيْنَ جِيرَانُنَا ، أَيْنَ مَعَارِفُنَا وَأَيْنَ أَصْدِقَاءُنَا . رَحَلُوا
إِلَى الْقُبُورِ وَقَلَّ وَاللَّهِ بَعْدَهُمْ بَقَاؤُنَا . هَذِهِ دُورُهُمْ فِيهَا سِوَاهُمْ ، هَذَا صَدِيقُهُمْ قَدْ
نَسِيَهُمْ وَجَفَاهُمْ . أَخْبَارُهُمُ السَّالِفَةُ تُزْعَجُ الْأَلْبَابَ ، وَادِّكَارُهُمْ يَصْدَعُ قُلُوبَ
الْأَحْبَابِ . وَأَحْوَالُهُمْ عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ . فَتأملوا أحوال الراحلين ، واتعظوا بِالْأَمَمِ
الْمَاضِينَ ، لَعَلَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَّ يَلِينُ . وَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَا دُمْتُمْ فِي زَمَنِ
الْإِمْهَالِ ، وَاعْتَنِمُوا فِي حَيَاتِكُمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ ، قَبْلَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي
عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ، فَيَقَالُ هِيَآتِ فَاتَ زَمَنُ الْإِمْكَانِ ، وَحَصَلَ
الْإِنْسَانُ عَلَى عَمَلِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ عِصْيَانٍ . فَسَأَلْتُكَ اللَّهُمَّ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ ، أَنْ تَخْتَمَ
أَعْمَالَنَا بِالْعَفْوِ وَالْغَفْرَانِ ، وَالرَّحْمَةِ وَالْجُودِ وَالْإِمْتِنَانِ ، وَأَنْ تَجْعَلَ وَقْتَنَا مُبَارَكًا حَمِيدًا ،
وَتَرْزُقَنَا فِيهِ رِزْقًا وَاسِعًا وَتَوْفِيقًا وَتَسْدِيدًا . اللَّهُمَّ احْتَمِ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا ،
وَأصْلِحْ لَنَا جَمِيعَ أَحْوَالِنَا .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي مَنَى اسْتَجَدُّهَا وَأَسْبَابُ دُنْيَا بِالْغُرُورِ أَوْدَهَا؟

وَنَفْسٌ تَزِيًا لَيْتَهَا فِي جَوَانِحِ
تَعَامُهُ عَمْدًا وَهِيَ جَدُّ بَصِيرَةٍ
إِذَا قُلْتُ يَوْمًا : قَدْ تَنَاهَى جَمَاحُهَا
وَاحْسَبُ مَوْلَاهَا كَمَا يَنْبَغِي لَهَا
وَأَهْوَى سَبِيلًا لَا أُرَى سَالِكًا بِهَا
وَأَنْسَى ذُنُوبًا لِي أَتَتْ فَاتَ حَصْرُهَا
أَقْرُبُ بِهَا رَغْمًا وَلَيْسَ بِنَافِعِي
وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا تَصُدُّ عَنِ الَّذِي
وَتَسْقِيهِمْ مِنْهَا الْأَجَاجَ مُصْرَدًا
أَرَاهَا عَلَى كُلِّ الْعُيُوبِ حَبِيَّةً
وَحُبُّ بَنَى الدُّنْيَا الْحَيَاةَ مَسِيئَةً
سَقَى اللَّهُ قَلْبًا لَمْ يَبْتَ فِي ضُلُوعِهِ
تَخَفَّفَ مِنْ أَرْوَادِهَا مِلءَ طَوْقِهِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ وَإِنْعَامُهُ نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ
وَعَفْرَانِكَ ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في مشروع صلاة الوتر ، وحكمها .

ووقت صلاة الوتر .

والقراءة المستحبة فيها .

وعدد ركعاتها .

ودعاء القنوت في الوتر .

١ - مشروعية صلاة الوتر ، وحكمها :

الوتر سنة مؤكدة لمدأومته ﷺ عليه في حضره وفي سفره ، ولما ورد عن

عَلِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَيْسَ الْوُتْرُ بِحَتْمٍ كَهَيْئَةِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَلَكِنْ سُنَّةٌ سَنَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ وَحَسَنُهُ ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ) وَلَفْظُهُ : إِنَّ الْوُتْرَ لَيْسَ بِحَتْمٍ وَلَا كَصَلَاتِكُمْ ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُوتِرَ ، فَقَالَ : « يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أُوتِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ وَتَرٍ يُحِبُّ الْوُتْرَ » .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، ثُمَّ أَنْتَظَرُوهُ مِنَ الْقَابِلَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ وَقَالَ : « خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمُ الْوُتْرُ » . رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِرَ عَلَى بَعِيرِهِ . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ .

٢ - وَقْتُ صَلَاةِ الْوُتْرِ :

وَوَقْتُ الْوُتْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَسُنَّتِهَا لِمَا رَوَى خَاجَةُ بْنُ حُدَافَةَ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَقَالَ : « لَقَدْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِصَلَاةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ ، قُلْنَا : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْوُتْرُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ » . رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ .

وَرَوَى أَبُو بَصْرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ زَادَكُمْ صَلَاةً فَصَلُّوْهَا مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ ، الْوُتْرُ » . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . وَلِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا : « أُوتِرُوا قَبْلَ أَنْ تَصْبِحُوا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأُوتِرْ بِوَاحِدَةٍ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَالْأَفْضَلُ فِعْلُهُ سَحْرًا ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ : مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أُوتِرَ رَسُولُ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْتَهَى وَتَرَهُ إِلَى السُّحْرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
 وَمَنْ كَانَ لَهُ تَهَجُّدٌ جَعَلَ الْوِتْرَ بَعْدَهُ ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَقُومَ ، أُوتِرَ
 قَبْلَ أَنْ يَنَامَ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ
 أَوَّلَهُ ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ ، فَلْيُوتِرْ آخِرَهُ ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ
 مَشْهُودَةٌ » ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : « اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرًا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَنْ أَحَبُّ مَنْ لَهُ تَهَجُّدٌ مُتَابِعَةٌ الْإِمَامِ فِي وَتْرِهِ قَامَ إِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ
 وَأَتَى بِرُكْعَةٍ بَعْدَ الْوِتْرِ شَفَعَ بِهَا رُكْعَةَ الْوِتْرِ . ثُمَّ إِذَا تَهَجَّدَ أُوتِرَ فَيُنَالُ
 فَضِيلَةَ مُتَابِعَةِ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ
 قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ » . صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَيُنَالُ فَضِيلَةَ جَعَلَ وَتْرَهُ آخِرَ صَلَاتِهِ لِحَدِيثِ : « اجْعَلُوا آخِرَ
 صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرًا » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَيَقْضِيهِ مَعَ شَفْعِهِ إِذَا فَاتَ وَقْتَهُ
 لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَامَ
 عَنِ الْوِتْرِ أَوْ نَسِيَهِ فَلْيُصَلِّ إِذَا أَصْبَحَ أَوْ ذَكَرَهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَلَا يَصِحُّ الْوِتْرُ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ لِعَدَمِ دُخُولِ وَقْتِهِ ، وَأَقْلُ الْوِتْرِ
 رُكْعَةٌ ، وَلَا يُكْرَهُ الْإِتْيَانُ بِهَا مُفْرَدَةً وَلَوْ بِلَا عُدْرٍ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ
 وَنَحْوِهِمَا لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنََّّهُمَا
 سَمِعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « الْوِتْرُ رُكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ » .
 رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« الْوِتْرُ حَقٌّ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ
بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَلْ » . رَوَاهُ الْخُمْسَةُ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ .

وَبَيَّنَتْ عَنْ عَشْرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ الْوِتْرَ رَكْعَةٌ مِنْهُمْ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ
وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ مَالِكٍ
وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِطَهُمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُسَلِّمُ
مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ » .

وَفِي لَفْظٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُصَلِّي بِاللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ
رَكْعَةً وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ . وَأَدْنَى الْكَمَالِ فِي الْوِتْرِ ثَلَاثُ رَكْعَاتٍ بِسَلَامَيْنِ ،
لِمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْوِتْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْصِلْ
بَيْنَ الْوَاحِدَةِ وَالثَّانِيَةِ بِالتَّسْلِيمِ » . رَوَاهُ الْأَثَرُمُ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ يُسَلِّمُ بَيْنَ الرُّكْعَتَيْنِ
وَالرُّكْعَةِ بِالتَّسْلِيمِ فِي الْوِتْرِ ، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِبَعْضِ حَاجَتِهِ . رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ .

وَيَجُوزُ سَرْدُ الثَّلَاثِ بِسَلَامٍ وَاحِدٍ ، فَلَا يَجْلِسُ إِلَّا فِي آخِرِهِمْ ،
وَتَجُوزُ كَمَغْرِبٍ . وَمَنْ أَدْرَكَ مَعَ الْإِمَامِ رَكْعَةً مِنَ الثَّلَاثِ فَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ
يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ اثْنَتَيْنِ أَجْزَاءً لِأَنَّ أَقْلَ الْوِتْرِ رَكْعَةٌ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْإِمَامُ يُسَلِّمُ مِنْ
كُلِّ اثْنَتَيْنِ فَضَى ، لِحَدِيثٍ : « مَا أَدْرَكْتُمُوهُ فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا » وَلِأَنَّ
الْقَضَاءَ يَحْكِي الْأَدَاءَ .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِتَدْبِيرِ كِتَابِكَ وَإِطَالَةِ التَّأْمُلِ فِيهِ وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ .
اللَّهُمَّ ثَبَّتْ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِنَا وَشَيَّدْ فِيهَا بُنْيَانَهُ وَوَطِّدْ فِيهَا أَرْكَانَهُ وَالْهَمْنَا
ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل» : وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى : ﴿سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى﴾ ، وَفِي الثَّانِيَةِ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَفِي الثَّلَاثَةِ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ﴾ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْتِرُ بِثَلَاثٍ لَا يَفْصِلُ فِيهِنَّ» . رَوَاهُ
أَحْمَدُ وَالتَّسَائِي .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى : ﴿سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى﴾ ، وَفِي الثَّانِيَةِ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَفِي الثَّلَاثَةِ : ﴿قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ : «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بِثَلَاثٍ
لَا يَفْصِلُ فِيهِنَّ» . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتَّسَائِي .

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ؟ قَالَ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بـ «سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا
الْكَافِرُونَ ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتَّسَائِي ، وَزَادَ : وَلَا
يُسَلِّمُ إِلَّا فِي آخِرِهِمْ ، وَلَا يَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِي عَنْ عَائِشَةَ نَحْوَهُ ، وَفِيهِ كُلُّ
سُورَةٍ فِي رَكْعَةٍ ، وَفِي الْآخِرَةِ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمَعْوَدَتَيْنِ .

وَالسُّنَّةُ لِمَنْ أُوْتِرَ بِمَا زَادَ عَلَى رَكْعَةٍ أَنْ يُسَلِّمَ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ لِمَا
رَوَى ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يَفْصِلُ بَيْنَ الشُّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَيُسْنُ فِعْلُ الرَّكْعَةِ عَقِبَ الشُّفْعِ بِلَا تَأْخِيرٍ لَهَا
عَنْهُ ، وَإِنْ صَلَّى الْاِحْدَى عَشْرَةَ كُلُّهَا بِسَلَامٍ وَاجِدٍ بِأَنْ سَرَدَ عَشْرًا وَتَشَهَّدَ

التَّشَهُدَ الْأَوَّلَ ، ثُمَّ قَامَ فَاتَى بِالرُّكْعَةِ حَازَ ، أَوْ سَرَدَ الْجَمِيعَ وَلَمْ يَجْلِسْ
إِلَّا فِي الْأَخِيرَةِ جَازَ لَكِنْ الصَّفَةَ الْأُولَى أَوْلَى لِأَنَّهَا فِعْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

٤ - عَدَدُ رَكَعَاتِهَا :

يَجُوزُ الْوُتْرُ بِخَمْسٍ وَيَسْبَعٍ وَيَتَسَعٍ ، فَإِنْ أَوْتَرَ بِتَسْعٍ سَرَدَ تَمَامًا
وَجَلَسَ وَتَشَهُدَ التَّشَهُدَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يُسَلِّمْ ، ثُمَّ إِذَا صَلَّى التَّاسِعَةَ وَتَشَهُدَ
سَلَّمَ ، لَمَا وَرَدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ انْطَلَقْتُ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ : يَا
أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْبِئْنِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالَتْ : أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْبِئْنِي عَنْ وَتْرِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : كُنَّا نَعُدُّ لَهُ سِوَاكُهُ وَطَهُورَهُ
فَيَعْتَهُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَيَبُولُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّيُ تَسْعَ
رَكَعَاتٍ ، لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ ، وَيَدْعُوهُ ، ثُمَّ
يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ ، فَيُصَلِّيُ التَّاسِعَةَ ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ ، وَيَحْمَدُهُ
وَيَدْعُوهُ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا فَيَسْمِعُنَا ، ثُمَّ يُصَلِّيُ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ
قَاعِدٌ ، فِتْلِكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بُنَى . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَنْ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ أَوْ بِخَمْسٍ لَمْ يَجْلِسْ إِلَّا فِي آخِرِهَا لِمَا وَرَدَ عَنْ أُمَّ
سَلَمَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بِسَبْعٍ وَبِخَمْسٍ
لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ سَلَامٌ وَلَا كَلَامٌ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيُ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ
رَكَعَةً ، يُؤْتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ وَلَا يُجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي آخِرِهِنَّ . مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل في دُعاء القنُوب في الوتر :

وَسُتَحَبُّ أَنْ يَقْنُبَ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ الرُّكُوعِ لِأَنَّهُ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . مِنْ رَوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنْسِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ عَمْرِو وَعَلِيٍّ أَنَّهُمَا كَانَا يَقْنُبَانِ بَعْدَ الرُّكُوعِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْأَثَرُمُ ، وَلَوْ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَنَتَ قَبْلَ الرُّكُوعِ جَازَ لِحَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْنُبُ قَبْلَ الرُّكُوعِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَرَوَى الْأَثَرُمُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْنُبُ فِي الْوَتْرِ ، وَكَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَنَتَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْخَطِيبِ : وَالْقُنُوتُ : الدُّعَاءُ وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَنَتَ فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَنَشْكُرُكَ ، وَلَا نَكْفُرُكَ وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ . اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَلَكَ نُصَلِّيُ وَنَسْجُدُ وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ ، إِنْ عَذَابَكَ الْجِدُّ بِالْكَفَّارِ مُلْحَقٌ .

وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوَتْرِ وَهُنَّ : « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَقِنِي شَرًّا مَا قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، إِنَّهُ لَا تَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، وَلَا يَعْزُزُ مَنْ عَادَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ » .

وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي وَتْرِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخِطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَبِكَ مِنْكَ ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا

أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ . رَوَاهُ الْخَمْسَةُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِحَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَفِي آخِرِهِ « وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ » . رَوَاهُ النَّسَائِيُّ .

وَعَنْ عُمَرَ : « الدُّعَاءُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ ، هُنَا وَخَارِجَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا . لِعُمُومِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ ، لَا يَحُطُّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « فَأَذَا فَرَعْتَ فَاْمَسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه . وَيُؤْمَنُ الْمُنْفَرِدُ الضَّمِيرَ ، وَإِذَا سَلَّمَ مِنَ الْوَتْرِ سُنَّ قَوْلُهُ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ » - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِي الثَّلَاثَةِ ، لِمَا رَوَى أَبِي بَنْ كَعْبٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ فِي الْوَتْرِ قَالَ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ » . وَزَادَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يُطِيلُ فِي آخِرِهِنَّ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِزَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ يَقُولُ إِذَا سَلَّمَ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ » ثَلَاثًا ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالثَّلَاثَةِ .

وَصَلَّ بِشَهْرِ الصَّوْمِ عِشْرِينَ رَكْعَةً وَتَمَّ بَعْدَهَا وَاشْفَعُ هَدَيْتَ بِرَكْعَةٍ وَأَفْضَلُ تَفِيلِ الْمَرْءِ لَيْلًا بَيْنَتِهِ وَإِنْ شِئْتَ اجْهَرْ فِيهِ مَا لَمْ تَخَفْ أَدَى وَخُذْ قَدْرَ طَوْقِ النَّفْسِ لَا تَسَامَنَّه

تَرَاوَيْحَ فِي جَمْعٍ وَبِالْوَتْرِ شَيْدٍ لُتَوْتِرَ إِمَّا شِئْتَ بَعْدَ التَّجْهُّدِ فَقُمْ تَلَوْ نِصْفِ مِثْلِ دَاوُدَ فَاسْجُدِ لِإِبْعَادِ شَيْطَانٍ وَإِنْقَاطِ رُقْدِ وَقَلْ تَسْتَعِنُ بِالنَّوْمِ عِنْدَ التَّجْهُّدِ

فَإِنْ لَمْ تُصَلِّ فَادْكُرِ اللَّهَ جَاهِدًا وَتُبَّ وَاسْتَقْبَلِ مِمَّا جَنَيْتَ وَسَدِّدِ
فَلَا خَيْرَ فِي عَبْدٍ نُؤُومٍ إِلَى الضُّحَى أَمَا يَسْتَجِي مَوْلًا رَقِيْبًا بَمَرْصِدِ
يُنَادِيهِ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ وَمُسْتَعْفِرٍ يُعْفَرُ لَهُ وَيُؤَيِّدِ

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينَا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرْشِدَنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا يُرْضِيكَ
وَأَجْرِنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ انظِمْنا فِي سَبِيلِكَ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
الْمُحْلَصِينَ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» : وَيَبْحَثُ فِي : ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْأَجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ
الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْحَثُّ عَلَى الْقِيَامِ عُمُومًا.
٢ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذَا الْعَشْرِ الْأَخِيرِ، وَالْحَثُّ عَلَى الْقِيَامِ
عُمُومًا.

٣ - مَا وَرَدَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ الْفَضْلِ وَذِكْرِ عِلْمِهَا.

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْأَجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرَةِ مِنْ
رَمَضَانَ :

يُسْتَحَبُّ الْأَجْتِهَادُ وَالْحِرْصُ عَلَى مُدَاوِمَةِ الْقِيَامِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ
مِنْ رَمَضَانَ وَإِحْيَاؤُهَا بِالْعِبَادَةِ وَاعْتِرَافِ النِّسَاءِ وَأَمْرِ الْأَهْلِ بِالِاسْتِكْثَارِ مِنَ
الطَّاعَةِ فِيهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - « أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَخِيرُ أَحْيَا اللَّيْلَ ، وَأَيَّقَطُ أَهْلَهُ ، وَشَدَّ
الْمِثْرَةَ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْهَا قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلَاةَ » .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إِذَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ عَشْرَةٌ أَيَّامٍ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ » .

٢ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذَا الْعَشْرِ الْأَخِيرِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَهَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا ؟ قَالَ : « قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : كَانُوا يَسْتَجِبُونَ أَنْ يَغْتَسِلُوا ، وَيَتَطَيَّبُوا فِي اللَّيَالِيِ الَّتِي تَكُونُ أَرْجَى لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ .

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَلَبَسَ حُلَّةً وَازَارًا وَرِدَاءً ، فَإِذَا أَصْبَحَ طَوَّاهُمَا فَلَمْ يَلْبَسْهُمَا إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ .

وَقَالَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ : كَانَ ثَابِتٌ وَحَمِيدٌ يَلْبَسَانِ أَحْسَنَ ثِيَابِهِمَا

وَيَتَطَيَّبَانِ وَيُطَيَّبَانِ الْمَسْجِدَ بِالنُّضُوحِ وَالذُّخْنَةِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا
 لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَيَسْتَحَبُّ فِي اللَّيَالِي الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ التُّنْفُطُ
 وَالتَّطْيِبُ وَالتَّرْتِيزُ بِالْغُسْلِ وَالتَّطْيِبِ وَالتَّلْبَاسِ الْحَسَنِ كَمَا شُرِعَ ذَلِكَ فِي
 الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ ، وَكَذَلِكَ يُشْرَعُ أَخْذُ الزَّيْنَةِ مِنَ الثِّيَابِ فِي سَائِرِ
 الصَّلَوَاتِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ
 مَسْجِدٍ ﴾ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَزَيَّنَ لَهُ » .

وَرَوَى عَنْهُ مَرْفُوعًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا يَكْمُلُ
 التَّرْتِيزُ الظَّاهِرُ إِلَّا بِتَزْيِينِ الْبَاطِنِ بِالتَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَطْهِيرِهِ
 مِنْ أَدْنَسِ الذُّنُوبِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ ،
 وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ .

شِعْرًا : إِذَا صَدَرَتْ مِنْكَ الذُّنُوبُ فَدَاوَهَا
 وَلَا تَقْنَطَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّمَا
 فَرَحْمَتُهُ لِلْمُحْسِنِينَ كَرَامَةٌ
 آخِر : عَلَيْكَ بِإِحْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّذِي
 بَرَفَعَ يَدَ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ مُظْلِمٌ
 قُنُوطُكَ مِنْهَا مِنْ خَطَايَاكَ أَعْظَمُ
 وَرَحْمَتُهُ لِلْمُذْنِبِينَ تَكْرُمٌ
 لَهُ نَعَمٌ لَا تَحْصِي وَفَضَائِلُ

فَمَنْ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيُزَيِّنْ ظَاهِرَهُ بِالتَّلْبَاسِ ، وَبَاطِنَهُ بِالتَّلْبَاسِ
 التَّقْوَى ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي
 سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ : إِنَّ عَشْرَكُمْ هَذَا هُوَ الْعَشْرُ الْأَخِيرُ ، وَفِيهِ الْخَيْرَاتُ
 وَالْأَجُورُ الْكَثِيرَةُ تَكْمُلُ فِيهِ الْفَضَائِلُ ، وَتَتَمُّ فِيهِ الْمَفَاحِرُ ، وَيَطْلَعُ عَلَى
 عِبَادِهِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الْغَافِرِ وَيُنِيلُهُمُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ الْوَافِرَ ، فِيهِ تَزْكُو
 الْأَعْمَالُ ، وَتُنَالُ الْأَمَالُ ، وَقَدْ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا مِنْ مَحَاسِنِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ،
 أَنَّهُمْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى

الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾
قال : هي قيام العبد أول الليل .

وروى الامام أحمد عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « عجب ربنا من رجلين : رجل ناز من وطائه ولحافه من بين حبه
وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي » الحديث .

وقال الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وغيرهم : « إن المراد
بالتجافى القيام لصلاة النوافل بالليل » ، وفي آية سورة الذاريات . أخبر
جل وعلا أنهم كانوا ينامون القليل من الليل ، ويتعبدون معظمه قال
تعالى : ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ .

قال ابن عباس ما تأتي عليهم ليلة يناموا حتى يصبحوا إلا يصلون
فيها شيئاً ، إما من أولها أو من أوسطها . وقال الحسن : كابدوا قيام
الليل فلا يناموا من الليل إلا قليلاً .

شِعْرًا : خُضُوعٌ وَخَوْفٌ وَاحْتِشَامٌ وَذَلَّةٌ وَهَذَا لِمَنْ يَرْجُو النَّجَاةَ قَلِيلٌ
فِهْلٌ لِي مِنَ الْاِحْزَانِ حَظٌّ مُؤَفَّرٌ وَهَلْ لِي إِلَى طُولِ الْبُكَاءِ سَبِيلٌ
لَعَلِّي أَنْ أُحْظِيَ بِقُرْبٍ وَلَذَّةٍ وَيَحْصُلُ لِي بَعْدَ الْفِرَاقِ وَصُؤُلٌ

آخر : يَا عَاشِقَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا هَلْ أَخْلَدَ النَّاسَ مَا حَازُوا وَمَا عَمَرُوا
عَلَيْكَ بِاللَّيْلِ فِي الْأَذْكَارِ تَعْمَرُهُ وَدَعِ مَلذَاتِهِ الْأُخْرَى لِمَنْ كَفَرُوا
لَعْمَسَةَ فِي جِثَانِ الْحُلْدِ حَاطِفَةً تَنْسِيكَ مَا مَرَّ مِنْ بُؤْسٍ لَهُ خَطَرٌ

آخر : وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ مُوَحِّدٍ يُلَازِمُ ذِكْرَ اللَّهِ يَهْوَى التَّعْبُدَا
نَفَى النَّوْمِ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ تَقِيَّةٌ لَهَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ طَوْلٌ تَهْجِدُ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

فصل

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّه ذَابُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَهُوَ قُرْبُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَمَغْفِرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ . »

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَانَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ : عَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ بَايَنُونَا بَوْتًا بَعِيدًا ، وَإِذَا قَوْمٌ لَا تُبْلَغُ أَعْمَالُهُمْ ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَعَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَإِذَا قَوْمٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ مُكْذِبُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَلرُّسُلِ اللَّهِ مُكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَقَدْ وَجَدْتُ مِنْ خَيْرِنَا مَنْزِلَةً قَوْمًا خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِأَبِي : يَا أَبَا أُسَامَةَ صِفْ لَنَا أَجْدَهَا فِينَا ، ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا فَقَالَ : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ وَنَحْنُ وَاللَّهِ قَلِيلًا مَا نَقُومُ ، فَقَالَ لَهُ أَبِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : طُوبَى لِمَنْ رَقَدَ إِذَا نَعَسَ ، وَاتَّقَى اللَّهَ إِذَا اسْتَيْقَظَ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ عَنْهُ ، فَكُنْتُ فِيمَنْ انْجَفَلَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَأَفْشُوا السَّلَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ . »

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تَأْتِيكَ بِالْخَبْرِ
اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ
وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الْآخِرَةَ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

اخواني : إِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ كَمَا عَلِمْتُمْ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيلٌ
لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ، وَهُوَ مِنْ أَثْقَلِ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ
أَنْ يَرُقُدَ الْإِنْسَانُ ، وَأَمَّا يَكُونُ خَفِيفًا بِالْأَعْتِيَادِ ، وَتَوَطُّيْنِ النَّفْسِ وَتَمْرِينِهَا
عَلَيْهِ وَالْمَدَاوِمَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْمُجَاهَدَةِ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، ثُمَّ بَعْدَ
ذَلِكَ يَنْشَرِحُ وَيَنْفَتِحُ بَابُ الْإِنْسِ بِاللَّهِ وَتَلَدُّ لَهُ الْمَنَاجَاةُ وَالْخَلْوَةُ ، وَعِنْدَ
ذَلِكَ لَا يَشْبَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَسْتَيْقِلَهُ أَوْ يَكْسَلَ
عَنْهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمُ الْذُّ
مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ وَيَا بَعْدَمَا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ وَفَّقَ
أَقْوَامًا فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ ، وَأَبْعَدَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ آخِرِينَ فَهُمْ عَنْ مَا
يَنْفَعُهُمْ فِي حَاضِرِهِمْ وَمَالِهِمْ غَافِلُونَ .

شِعْرًا :

ذُنُوبِكَ يَا مَغْرُورٌ تُحْصِي وَتُحْسَبُ
وَتُجْمَعُ فِي لَوْحٍ حَفِيفٍ وَتُكْتَبُ
وَقَلْبِكَ فِي سَهْوٍ وَلَهْوٍ وَعَفْلَةٍ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا حَرِيصٌ مُعَذِّبُ
تُبَاهِي بِجَمْعِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ جَلِّهِ
وَتَسْعَى حَيْثُأُ فِي الْمَعَاصِي وَتَذُنِبُ
أَمَا تَذُكُرُ الْمَوْتَ الْمُفْاجِئِكَ فِي غَدٍ
أَمَا أَنْتَ مِنْ بَعْدِ السَّلَامَةِ تَعْطَبُ

أَمَا تَذْكُرُ الْقَبْرَ الْوَجِيْشَ وَلَحْدَهُ
بِهِ الْجِسْمُ مِنْ بَعْدِ الْعِمَارَةِ يَخْرُبُ
أَمَا تَذْكُرُ الْيَوْمَ الطُّوَيْلَ وَهُوَ لَهُ
وَمِيْزَانٌ قِسْطٌ لِلْوَفَاءِ سَيُنْصَبُ
تَرْوُحٌ وَتَعْدُو فِي مَرَاكِكَ لَاهِيَا
وَسَوْفَ بِأَشْرَاكِ الْمَنِيَّةِ تَنْسَبُ
تُعَالِجُ نَزْعَ الرُّوحِ مِنْ كُلِّ مَفْصِلٍ
فَلَا رَاِحِمٍ يُنْجِي وَلَا ثَمَّ مَهْرَبُ
وَعُمُضَتِ الْعَيْنَانِ بَعْدَ خُرُوجِهَا
وَبُسَّطَتِ الرَّجْلَانِ وَالرَّأْسُ يُعْصَبُ
وَقَامُوا سِرَاعًا فِي جَهَاذِكَ أَحْضَرُوا
خُنُوطًا وَأَكْفَانًا وَلِلْمَاءِ قَرُبُوا
وَعَايِلُكَ الْمَحْزُونُ تَبْكِي عِيُونُهُ
بِدَمْعٍ غَزِيْرٍ وَكَفِيفٍ يَتَصَبَّبُ
وَكُلُّ حَبِيْبٍ لُبُّهُ مُتَّحَرِّقٌ
يُحَرِّكُ كَفَيْهِ عَلَيْكَ وَيَنْدُبُ
وَقَدْ نَشَرُوا الْأَكْفَانَ مِنْ بَعْدِ طَيْهَا
وَقَدْ بَخَّرُوا مَنْشُورَهُنَّ وَطَيْبُوا
وَأَلْقَوْكَ فِيْمَا بَيْنَهُنَّ وَأَدْرَجُوا
عَلَيْكَ مَشَائِي طَيْهْنٌ وَعَصَبُوا
وَفِي حُفْرَةِ الْقَمُوكِ حَيْرَانَ مُفْرَدًا
تَضُمَّكَ يَتَدَاءُ مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبُ
إِذَا كَانَ هَذَا حَالَنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
فَكَيْفَ يَطِيْبُ الْيَوْمَ أَكُلٌ وَمَشْرَبُ!؟

وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْقَبْرُ مَسْكَنُ
 بِهِ ظُلُمَاتٌ غَيْهَبٌ ثُمَّ غَيْهَبٌ
 وَهَوْلٌ وَدِيدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَةٌ
 وَكُلُّ جَدِيدٍ سَوْفَ يَتَلَى وَيَذْهَبُ
 فَيَا نَفْسُ خَافِي اللّٰهَ وَارْجِي ثَوَابَهُ
 فَهَإِذَا لَذَاتِ الْفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ
 وَقُولِي إِلَهِي أَوْلِييَ مِنْكَ رَحْمَةً
 وَعَفْوَاً فَإِنَّ اللّٰهَ لِلذَّنْبِ يُذْهِبُ
 وَلَا تُحْرِقَنَّ جِسْمِي بِنَارِكَ سَيِّدِي
 فَجِسْمِي ضَعِيفٌ وَالرَّجَا مِنْكَ أَقْرَبُ
 فَمَا لِي إِلَّا أَنْتَ يَا خَالِقَ الْوَرَى
 عَلَيْكَ إِتْكَالِي أَنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ
 وَصَلِّي إِلَهِي كُلَّمَا ذُرَّ شَارِقُ
 عَلَى أَحْمَدِ الْمُخْتَارِ مَا لَاحَ كَوْكَبُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ بَعْدَ الْيَقِينِ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمِنَ
 شِدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخِطِكَ وَالنَّارِ،
 اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْأَيْنُ، اللَّهُمَّ عَافِنَا مِنْ مَكْرِكَ
 وَزَيْتِنَا بِذِكْرِكَ وَاسْتَعْمِلْنَا بِأَمْرِكَ وَلَا تَهْتِكْ عَلَيْنَا جَمِيلَ سِتْرِكَ وَآمِنُنْ عَلَيْنَا
 بِلُطْفِكَ وَبِرِّكَ وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِنْ عَذَابِكَ وَآمِنَّا مِنْ
 عِقَابِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَضَائِلُهَا وَعَلَامَاتُهَا

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ مُتَحَرِّياً فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ - أو قال - : تَحَرُّوْهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ . رواه أحمد باسناد صحيح .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ رَجُلًا أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ عَجِلٌ يَشُقُّ عَلَيَّ الْقِيَامُ فَأْمُرْنِي بِلَيْلَةٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُؤَفِّقُنِي فِيهَا لِلَّيْلَِةِ الْقَدْرِ ، فَقَالَ : « عَلَيْكَ بِالسَّابِعَةِ » رواه أحمد .

وعن زَرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ يَقُولُ : وَقِيلَ لَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : مَنْ قَامَ السَّنَةَ أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، فَقَالَ أَبِي : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهَا لَنَبِيٍّ رَمَضَانَ يَحْلِفُ مَا يَسْتَشِينِي ، وَاللَّهُ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا لَا شُعَاعَ لَهَا . رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي وصححه .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : اعْتَكَفْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَخَرَجَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ فَخَطَبَنَا وَقَالَ : « إِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ انْسَبْتُهَا أَوْ نَسَبْتُهَا ، فَالْتَمَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ فِي الْوَيْتِ ، إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَرْجِعْ » فَارْجِعْنَا وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَرَعَةً ، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ

سَقَفُ الْمَسْجِدِ - وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ - وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَرَأَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ ، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ
فِي جَبْهَتِهِ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أَنْسَيْتُهَا وَإِذَا بِي أُسْجِدُ صَبِيحَتَهَا فِي مَاءٍ
وَطِينٍ » . قَالَ : فَمَطَرْنَا فِي لَيْلَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانصَرَفَ ، وَأَنَّ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ
وَأَنْفِهِ . رواه أحمد ومسلم وزاد .

وعن أَبِي بَكْرَةَ : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« التَّمْسُوهَا فِي تِسْعِ بَقِيْنَ ، أَوْ سَبْعِ بَقِيْنَ ، أَوْ خَمْسِ بَقِيْنَ ، أَوْ ثَلَاثِ
بَقِيْنَ أَوْ آخِرَ لَيْلَةٍ » . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ يُصَلِّي فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ
صَلَاتَهُ فِي سَائِرِ السَّنَةِ فَإِذَا دَخَلَ الْعِشْرُ اجْتَهَدَ . رواه أحمد ، والترمذي
وصححه .

وعن أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فِي حَدِيثٍ لَهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ . إِنَّهَا كَانَتْ أُبَيِّنَتْ
لِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، وَإِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِهَا فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحْتَقَانِ مَعَهُمَا
الشَّيْطَانُ فَنَسِيَتْهَا ، فَالتَّمْسُوهَا فِي الْعِشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، التَّمْسُوهَا
فِي التَّاسِعَةِ وَالْخَامِسَةِ وَالسَّابِعَةِ » . قَالَ : قُلْتُ يَا أَبَا سَعِيدٍ : إِنَّكُمْ أَعْلَمُ
بِالْعَدَدِ مِنَّا ، فَقَالَ : أَجَلُ ! نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكُمْ ، قَالَ : قُلْتُ : مَا
التَّاسِعَةُ وَالسَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ ؟ قَالَ : إِذَا مَضَتْ وَاحِدَةٌ وَعِشْرُونَ فَالتِّي تَلِيهَا
اِثْنَانِ وَعِشْرُونَ فَهِيَ التَّاسِعَةُ ، فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ فَالتِّي تَلِيهَا
السَّابِعَةُ ، فَإِذَا مَضَتْ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ فَالتِّي تَلِيهَا الْخَامِسَةُ . رواه
أحمد ، ومسلم .

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « التَّمِسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى ، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى ، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى » . رواه أحمد ، والبخاري ، وأبو داود .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هي في العَشْرِ الْأَخِيرِ سَبْعٍ يَمْضِينَ أَوْ تِسْعٍ يَبْقَيْنَ ، يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ رواه البخاري .

وعن ابن عُمرَ - رضي الله عنهما - أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّياً فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ » .

وَلِمُسْلِمٍ قال : أَرَى رَجُلًا أَنْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فَاطْلُبُوهَا فِي الْوَتْرِ مِنْهَا » .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ » رواه مسلم والبخاري .

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رضي الله عنه - قال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فقال : « خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ فَالتَّمِسُّوْهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالخَامِسَةِ » رواه البخاري .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي بِأَدِيَّةِ أَكُونُ فِيهَا وَأَنَا أَصْلِي فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ ، فَمُرْنِي بِبَلِيَّةٍ أَنْزَلَهَا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ فَقَالَ : « أَنْزَلَ ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

قِيلَ لِابْنِهِ : كَيْفَ كَانَ أَبُوكَ يَصْنَعُ ؟ قَالَ : كَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ الصُّبْحَ ، فَإِذَا صَلَّى الصُّبْحَ ، وَجَدَ دَابَّتَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَجَلَسَ عَلَيْهَا وَلَحِقَ بِأَدِيَّتِهِ .

قال البغوي : وفي الجملة أبتهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا بالعبادة في ليالي رمضان طمعا في إدراكها ، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، واسمه الأعظم في الأسماء ، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها ، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها .

إذا تقرر هذا وعلمت ما ورد من الحديث عليها ، فاعلم أنه ينبغي لكل موفق مرید للكمال والسعادة الأبدية أن يبذل وسعه ويستفرغ جهده في إحياء ليالي العشر الأخير وقيامها لعله أن يصادف تلك الليلة الجليلة التي اختص الله تعالى بها هذه الأمة ، وآتاهم فيها من الفضل ما لا يحصره العدد .

فيا عباد الله إن هذا عشر . شهر . مبارك الليالي والأيام وهو سبب لمحو الذنوب والآثام ، وفيه يتوفر جزيل الشكر والانتعام ، فاعتذروا فيه إلى المولى الكريم ، وأقبلوا بقلوبكم إليه وقفوا بالخضوع لديه ، وانكسروا بين يديه فإنه رحيم كريم .

عِبَادَ اللَّهِ : إِنَّكُمْ الْآنَ فِي رَمَضَانَ ، وَهُوَ وَحْدَهُ عُمُرٌ طَوِيلٌ لِمَنْ رَامَ
 الثَّوَابَ الْجَزِيلَ ، فَإِن فِي لَيَالِيهِ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ فَاجْتَهِدُوا رَجِمَكُمُ اللَّهُ
 بِاخْتِلاصِ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ جَلُّ وَعَلَا وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى
 ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

وَاعْلَمُوا رَجِمَكُمُ اللَّهُ أَنْ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى زِيَادَةِ
 فِي أَعْمَالِهِمْ بِتَسْبِيحَةٍ أَوْ تَحْمِيدَةٍ أَوْ رُكْعَةٍ ، رُئِيَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ
 فَقَالَ : مَا عِنْدَنَا أَكْثَرَ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَمَا عِنْدَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ الْعَقْلَةِ ، وَرُئِيَ
 بَعْضُهُمْ فَقَالَ : قَدِمْنَا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ نَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ ، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا
 تَعْمَلُونَ وَاللَّهِ لَتَسْبِيحَةٌ أَوْ تَسْبِيحَتَانِ ، أَوْ رُكْعَةٌ أَوْ رُكْعَتَانِ فِي صَحِيفَةٍ أَحَدِنَا
 خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وفي الترمذي : مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ
 لَا يَكُونُ أَزْدَادًا ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونُ اسْتَعْتَبَ .

يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ قُمْ لِلَّهِ مُجْتَهِدًا
 - وَأَنْهَضْ كَمَا نَهَضَتْ مِنْ قَبْلِكَ السُّعْدَا
 هَذِي لَيَالِي الرِّضَا وَافَتْ وَأَنْتَ عَلَى
 فَعَلِ الْقَيْحِ مُصِرًّا مَا جَلَوْتَ صَدَا
 قُمْ فَاغْتَنِمِ لَيْلَةَ تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا
 وَمِثْلَهَا لَمْ يَكُنْ فِي فَضْلِهَا أَبَدَا
 طَوْبَى لِمَنْ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ أَدْرَكَهَا
 وَنَالَ مِنْهَا الَّذِي يَبْغِيهِ مُجْتَهِدًا

فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ قَالَ خَالَفْنَا
 مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ هَيْئًا مَنْ لَهَا شَهِدَا
 وَيُنزِلُ الرُّوحَ فِيهَا وَالْمَلَائِكُ مِنْ
 عِنْدِ الْمُهَيَّمِينَ لَا نُحْصِي لَهُمْ عَدَدًا
 يَا فَوْزَ عَيْدِ حُطِيِّ فِيهَا فَوَقَّعَهُ
 رَبِّي قَبُولًا فَعَاشَ عَيْشَةَ السُّعَدَا
 وَفَازَ بِالْأَمْنِ وَالْعُفْرَانِ مُعْتَبَطًا
 وَنَالَ مَا يَرْتَجِي مِنْ رَبِّهِ أَبَدًا
 فَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ إِنْ وَافَيْتَهَا سَحَرًا
 جَنَّاتِ عَدْنٍ تَكُنْ مِنْ جُمَلَةِ السُّعَدَا
 وَأَبِكْ وَنَحْ وَتَضَرَّعْ فِي الدُّجَا أَسْفًا
 عَلَى كِبَائِرَ لَا تُحْصِي لَهَا عَدَدًا
 ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
 شَمْسٌ وَمَا سَارَ سَارٍ فِي الْفَلَا وَحَدَا

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيُّضْنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالثَّوْمِ وَارزُقْنَا
 الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
 عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا، اللَّهُمَّ
 أَفْضُ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ
 وَبَالِهَا وَأَرْأَفَ بِنَا رَأْفَةَ الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَتَزُولِهَا، وَارْحَمْنَا مِنْ
 هُمُومِ الدُّنْيَا وَعُمُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، اللَّهُمَّ أَرْحَمَ ذُلَّنَا
 بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ، وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا،

وَإِغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

حَطَبَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ فَقَالَ أَيُّهَا اللَّهُمَّ الْمَعْرُورُ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ
أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَقْرَعُ لَكَ بَابًا وَلَا يَهَابُ صِحَابًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا
وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا وَلَا يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ فَيْكَ كَبِيرًا حَتَّى يُؤَدِّيَكَ
إِلَى قَبْرِ مُظْلَمَةٍ أَرْجَاؤُهُ كَفِعْلِهِ بِالْأُمَّمِ الْخَالِيَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ .

أَيُّنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ وَبَنَى وَشَيْدَ ، وَزَحْرَفَ وَنَجَّدَ ،
وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ ، وَبِالكَثِيرِ لَمْ يُمْتَعْ .

أَيُّنَ مَنْ شَيْدَ الْقُصُورَ ، وَنَسَى الْقُبُورَ ، أَيُّنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ ،
أَضْحَوْا رُفَاتًا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَأَنْتُمْ عَنْ قَرِيبٍ بِكَأْسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسَبِيلِهِمْ
سَالِكُونَ .

يُحَوَّلُ عَنْ قَرِيبٍ مِنْ قُصُورٍ مُزْخَرَفَةٍ إِلَى بَيْتِ التُّرَابِ
فِيَسْلَمُ فِيهِ مَهْجُورًا فَرِيدًا أَحَاطَ بِهِ شُحُوبُ الْإِغْتِرَابِ
وَهَوَّلُ الْحَشْرِ أَفْظَعُ كُلِّ أَمْرٍ إِذَا دُعِيَ ابْنُ آدَمَ لِلْحِسَابِ
وَالْفَى كُلِّ صَالِحَةٍ أَتَاهَا وَسِيئَةٍ جَنَاهَا فِي الْكِتَابِ
لَقَدْ آنَ التَّرْوُدُ إِنْ عَقَلْنَا وَأَخَذَ الْحِطُّ مِنْ بَاقِي الشَّبَابِ
آخِر :

قَدْ نَادَتْ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهَا لَوْ كَانَ فِي الْعَالَمِ مَنْ يَسْمَعُ
كَمْ وَائِقٍ بِالْعُمْرِ أَفْنَيْتُهُ وَجَامِعٍ بَدَّدْتُ مَا يَجْمَعُ
آخِر : وَالْعُمْرُ أَنْفَسُ مَا الْإِنْسَانُ مُتَّفَقُهُ فَاجْعَلْهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ مَصْرُوفًا

قال ابن الجوزي رحمه الله :

ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير قربه .

ويُقَدَّم الأفضَل فالأفضل من القول والعمل . ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور .

(وقد كان جماعة من السلف يُبَادِرُونَ اللحظات) فنقل عن عامر ابن عبد قيس : أن رجلاً قال له : « كَلِّمْنِي » فقال له : « أَمْسِكِ الشمس » .

ودخلوا على بعض السلف عند موته ، وهو يُصَلِّي ، فقيل له ، فقال : « الآن تُطَوِّى صَحِيفَتِي » . فاذا علم الإنسان أنه وإن بالغ في الجد بأن الموت يقطعه عن العمل ، عَمِلَ في حَيَاتِهِ ما يَدُومُ لَهُ أَجْرُهُ بعدَ مَوْتِهِ . فإن كان له شيء في الدنيا ، وَقَفَ وَقَفًا ، وغرسَ غرسًا ، وأجرى نهراً ، وَسَعَى في تحصيل ذرية تذكُر الله بعده ، فيكون له أجر ، أو أن يصنف كتاباً في العلم .

فإن تصنّف العالم ولدّه المخلد وأن يكون عاملاً بالخير عالماً فيه فينقل من فعله ما يقتدي به الغيرُ فذلك الذي لم يمت . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

تَذَكَّرْ وَلَا تَنْسَ الْمَعَادَ وَلَا تُكُنْ
كَأَنَّكَ مُخْلِ لِلْمَلَاعِبِ مُمْرَجٌ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُؤَلَّوْلُ حَوْلَهُ
وَنَفْسُكَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ تُخْرَجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمَسْجَى بِشَوْبِهِ
وَإِذْ أَنْتَ فِي كَرْبِ السِّيَاقِ تُحْشَرُ

وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمَعَزَى قَرِيبُهُ
 وَإِذْ أَنْتَ فِي بَيْضٍ مِنَ الرِّيطِ مُدْرَجٌ
 وَلَا تَنْسَ إِذْ يَهْدِيكَ قَوْمٌ إِلَى الشَّرَى
 إِذَا مَا هَدَوْكَاهُ انْتَنَوْا لَمْ يُعْرَجُوا
 وَلَا تَنْسَ إِذْ قَبْرٌ وَإِذْ مِنْ تُرَابِهِ
 عَلَيْكَ بِهِ رَدْمٌ وَلَبِنٌ مُشْرَجٌ
 وَلَا تَنْسَ إِذْ تُكْسَى غَدَاً مِنْهُ وَحِشَةً
 مَجَالِسُ فِيهِنَّ الْعَنَاكِبُ تَنْسِجُ
 وَلَا بُدَّ مِنْ بَيْتِ انْقِطَاعٍ وَوَحْدَةٍ
 وَإِنْ سَرَّكَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ الْمُدْبِجُ
 الْأَرْبُ ذِي طَمْرِ غَدَاً فِي كَرَامَةٍ
 وَمَلِكٍ بَيْتِجَانِ الْهَوَانِ مُتَوَجُّ
 لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ
 وَإِنْ زَحْرَفَ الْغَاوُونَ فِيهَا وَزَبْرَجُوا

اللهم طيِّبنا لِلِقَائِكَ ، وَأَهْلْنَا لِوِلَايَتِكَ وَاذْخُلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ
 أَوْلِيَائِكَ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

اللهم أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ ،
 وَاجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ الْمَنْصُورِينَ ، وَارْزُقْنَا مُرَافَقَةَ
 الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ يَا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، يَا مَنْشِئَةَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلَى يَا مُؤَيِّ
 الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، أَنْقِطِعِ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ ، وَخَابَتِ
 الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعَفَ الْأَعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُمِطَّ مَحَلَّ قُلُوبِنَا

مِن سَحَابِ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ وَأَنْ تَوْفِقْنَا لِمُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ
إِنَّكَ جَوَادٌّ كَرِيمٌ رُوُوفٌ رَحِيمٌ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فصل في ذكر بعض الأدعية الواردة

عباد الله اغتنموا هذه الأوقات الشريفة وأكثروا فيها من الدعاء فإن
الدعاء له أثر عظيم وموقع جسيم .

وهو مخ العباداة ولا سيما إذا كان بقلب حاضر وصادفا إخباراً
وخشوعاً وانكساراً وتضرعاً ورقة وخشية واستقبل القبلة حال دعائه وكان
على طهارة .

وجدد توبة وأكثر من الاستغفار وبدأ بحمد الله وتنزيهه وتمجيده
وتقديسه والثناء عليه وشكره ثم صلى على النبي ﷺ بعد ذلك .

ودعا بدعاء مشروع باسم من أسماء الله الحسنى مناسب لمطلوبه .

فان كان يريد علماً قال يا عليم علمني .

وان كان يطلب رحمة قال يا رحمن ارحمني .

وان كان يطلب رزقاً قال يا رزاق ارزقني ونحو ذلك .

ولم يمنع من الدعاء مانع كأكل الحرام وقطيعة رحم وعقوق ونحو
ذلك .

وتَحَرَّى أوقات الإجابة وأتى بأسبابها وهي الاستجابة لله تعالى
بالانقياد لأوامره والانتهاة عن ما نهى عنه .

فالله أصدق القائلين وأوفى الواعدين قال تعالى ﴿ أدعوني استجب
لكم ﴾ .

وقال عز من قال ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة
الداعي إذا دعان ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ أدعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ .
وقال تبارك وتعالى ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف
السوء ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ .
وقال ﴿ ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ .
ومن أوقات إجابة الدعاء إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع ثلث
الليل الأخير .

ويوم الجمعة عند صعود الامام المنبر أو في آخر ساعة من يومها .
وعند الآذان .

وبين الآذان والاقامة .

وعند نزول الغيث .

وعند فطر الصائم .

وعشية عرفة .

وفي حالة السجود .

وفي ليلة القدر .

وفي أدبار الصلوات .

وفي أدبار النوافل .

وعند ختم القرآن .

وعند البكاء والخشية من الله .

وفي جَوْفِ الليل .

وعِنْدَ دعاءِ المُسلمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ .

وبَعْدَ زَوَالِ الشمسِ عَن كَبِدِ السَّمَاءِ .

قال بعضهم :

قالوا شروطُ الدعاءِ المُستجابِ لنا عشرٌ بها بشرِ الداعي بأفلاج
طهارةٌ وصلاةٌ معهُما ندمٌ وقتٌ خُشوعٌ وحُسنُ الظنِ يا صاح
وجلُّ قُوتٍ ولا يُدعى بِمَعْصِيَةٍ واسمٌ يُناسِبُ مَقْرُونٌ بِالْحَاكِ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصلٌ» : في الأدلة لما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول
الله ﷺ قال في ثلث الليل الأخير : «إنها ساعة مشهودةٌ والدعاء فيها
مُستجابٌ» أخرجه الحاكم والترمذي .

(فصل)

الأدلة لما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال
في ثلث الليل الأخير «إنها ساعة مشهودةٌ والدعاء فيها مُستجابٌ» أخرجه
الحاكم والترمذي .

وعن ابن عمر قال نادى رجلٌ رسول الله ﷺ أي الليل أجوب دعوة .

قال : جوف الليل الأخير أخرجه البزار والطبراني بسند صحيح .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة .

فقال : « فيه ساعة لا يُوافقها عبد مسلمٌ وهو قائمٌ يصلي يسأل الله شيئاً

إلا أعطاه » أخرجه الشيخان .

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفى أن النبي ﷺ قال : « تفتح أبوابُ

السماء نصف الليل فينادي مُنادٍ ، هل من داعٍ فيستجاب له ، هل من سائلٍ

فيعطى ، هل من مكروبٍ فيفرج عنه فلا يبقى مسلمٌ فيدعو بدعوة إلا

استجاب له إلا زانيةٌ تسعى بفرجها أو عشاراً » أخرجه الطبراني بسند

صحيح .

وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « ثلاثُ ساعاتٍ لِلْعَبْدِ الْمُسْلِمِ ما دَعَا فِيهِنَّ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ ما لم يَسْأَلْ قَطِيعَةً رَحِمٍ أو مَاتَهَا .

وعن أبي الدرداء أن رسولَ الله ﷺ كان يَقُولُ : « دَعْوَةُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْعَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَى لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قال المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ » رواه مسلم .

حِينَ يُوَدُّنَ لِلصَّلَاةِ حَتَّى يَسْكُتَ وَحِينَ يَلْتَقِي الصَّفَّانِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا وَحِينَ يَنْزِلُ المَطْرُ حَتَّى يَسْكُنَ أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحَلِيَةِ .

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ كان إذا مالت الشمس عن كبد السماء قَدَرَ شِرَاكٍ قامَ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قُلْتُ يا رسول الله ما هذه الصلاة .

قال « مَنْ صَلَّاهُنَّ فَقَدْ أَحْيَا لَيْلَتَهُ هذه ساعة تُفْتَحُ فِيها أَبْوابُ السَّماءِ وَتُسْتَجابُ فِيها الدُّعاءُ » أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحَلِيَةِ .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال قال رسول الله ﷺ « إِذَا فاءَتِ الأَفْيَاءُ وَهَبَّتِ الأرواحُ فارْفَعُوا إلى الله حوائجكم فإنها ساعة الأوابين » أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحَلِيَةِ .

وعن عطاء قال « ثلاثُ خِلالٍ تُفْتَحُ عِنْدَهُنَّ أَبْوابُ السَّماءِ فَتُحَرَّوُا الدُّعاءَ عِنْدَهُنَّ .

عِنْدَ الأَذانِ ، وَعِنْدَ نُزُولِ الغَيْثِ ، وَعِنْدَ التَّقائِ الرِّحْفَيْنِ » أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ » أَخْرَجَهُ النِّسَائِيُّ .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ثلاث حق على الله أن لا يرُدُّ لهم دعوة الصائم حتى يُفطر ، والمظلوم حتى يتَّصِر ، والمسافر حتى يرجع » أخرجه البزار .

وعن عبدالمطلب بن عبدالله بن حنطب أن النبي ﷺ قال « من أفضل الدعاء الدعاء يوم عرفة » أخرجه سعيد بن منصور في سننه .

وعن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » أخرجه مسلم .

وعن سهل بن سعد مرفوعاً قال « ساعتان تفتح لهما أبواب السماء وقيل دأع تردُّ دعوته .

حين يحضر النداء والصف في سبيل الله » أخرجه البخاري في الأدب .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال « اثنتان لا تردان الدعاء عند النداء ، وحين البأس حين يلحم بعضهم بعضاً » أي ينشب بعضهم ببعض في الحرب أخرجه الحاكم في المستدرک .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال « الدعاء مُستجاب ما بين النداء والإقامة » أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم .

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال « إذا نادى المنادي فُتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء فمن نزل به كرب أو شدة فليتحرك المنادي فيجيبه » .

ثم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة الصادقة المستجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى أحيانا وأمئتنا عليها واجعلنا من خيار أهلها أحياء وأمواتا ثم يسأل الله حاجته أخرجه الحاكم .

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ »
أخرجه النسائي .

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال « إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا
وَسَاجِدًا .

فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظُمُوا فِيهِ الرَّبِّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاحْتَهَدُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاءِ
فَقَمِنُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ » أخرجه مسلم .

وعن عبادة بن الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمًا وَحَضَرَ رَمَضَانَ .
« أَتَاكُمْ شَهْرُ بَرَكَةٍ فِيهِ تَنْزَلُ الرَّحْمَةُ وَتُحَطُّ الْخَطَايَا وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ » .

وأخرج في الأوسَطِ عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ
« ذَاكِرُ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ مَغْفُورٌ لَهُ وَسَائِلُ اللَّهِ فِيهِ لَا يَجِيبُ » أخرجه الطبراني .

وروي أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء .
وروي من صلى فريضة فله دعوة مستجابة .
ومن ختم القرآن فله دعوة مُسْتَجَابَةٌ .

وعن ربيعة بن وقاص أن رسول الله ﷺ قال « ثَلَاثُ مَوَاطِنَ لَا تُرَدُّ
فِيهَا دَعْوَةُ عَبْدٍ ، رَجُلٌ يَكُونُ فِي بَرِيَّةٍ حَيْثُ لَا يَرَاهُ إِلَّا اللَّهَ .
ورجلٌ يكون معه فئةٌ فيفر عنه أصحابه فيثبَّتُ .

ورجلٌ يقوم من آخر الليل » أخرجه أبو نعيم في أخبار الصحابة .

وعن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إِذَا فَتَحَ عَلَى الْعَبْدِ الدُّعَاءُ فَلْيَدْعُ
رَبَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ » أخرجه الترمذي .

وعن خالد الحذاء قال « كَانَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : إِذَا وَجَدْتُمْ
قَشَعْرِيَّةً وَدَمْعَةً فَادْعُوا عِنْدَ ذَلِكَ » أخرجه أحمد في الزهد .

وروى اغْتَنِمُوا الدَّعَاءَ عِنْدَ الرَّقَّةِ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ .
وروى الدَّعَاءَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ مُسْتَجَابٌ .
وروى عِنْدَ أَذَانِ الْمُؤَذِّنِ يُسْتَجَابُ الدَّعَاءُ .
فَإِذَا كَانَ الْإِقَامَةَ لَا تَرُدُّ دَعْوَتَهُ .

وعن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها دُبْرَ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ » أخرجَه بن عسَاكِر .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال « مع كل ختمة دعوة مستجابة » .

وأخرجَه من وجه آخر بلفظ آخر « عند ختم القرآن دعوة مستجابة وشجرة في الجنة » أخرجَه البيهقي في شعب الإيمان .

فعلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالْإِجْتِهَادِ بِالدَّعَاءِ ، وَعَلَيْكُمْ بِجَمَاعِعِ الدَّعَاءِ الَّتِي تَجْمَعُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَفِي الصَّحِيحِينَ : « كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ : « أَنَّهُ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ ، وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، وَسَوْءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَمِنْ مَا وَرَدَ عَنِ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ « اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لَزِمْتَنِي هُمُومٌ وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : « قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أُمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ

بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ » قال :
فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ هَمِّي وَقَضِيَ عَنِّي دِينِي ، رواه أبو داود .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى
وَالْتَقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي
وَارزُقْنِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفَجَاءَةٍ
نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ
لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » .

وقالت أم سلمة - رضي الله عنها - : « كَانَ أَكْثَرَ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا
قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ
وَعَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ،
وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرْكِ
الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ » .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّيْهَا
أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا » .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ
وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » والله
أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ
وَالذَّلَّةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلَمَ وَأُظْلَمَ » .

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ خَمْسٍ : مِنَ الْجُبْنِ ، وَالْبُخْلِ ، وَسُوءِ الْعُمُرِ ، وَفِتْنَةِ
الصَّدْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ » رواه أبو داود والنسائي .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّقَاقِ وَالْبِقَاقِ وَسُوءِ
الْأَخْلَاقِ » رواه أبو داود .

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ يَشْسُ الضَّجِيعَ وَأَعُوذُ بِكَ
مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا يَشْسِتُ الْبَطَانَةَ » رواه أبو داود ، والنسائي وابن ماجه .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُدَامِ وَالْجُنُونِ وَمِنَ
سَيِّئِ الْأَسْقَامِ » رواه أبو داود والنسائي .

وَعَنْ قُطَيْبَةَ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ
وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ » رواه الترمذي .

وَعَنْ شُتَيْبِ بْنِ شَكْلٍ بْنِ حَمِيدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ،
عَلَّمَنِي تَعْوِذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ قَالَ : « قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي
وَشَرِّ بَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَشَرِّ قَلْبِي وَشَرِّ عَيْنِي » رواه أبو داود ،
والترمذي ، والنسائي .

وَعَنْ أَبِي الْيُسْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو :
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي وَمِنَ الْغَرَقِ
وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ ،
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ لِدِينَا »
رواه أبو داود والنسائي .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي
وَجَهْلِي وَاسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي
وَهَزْلِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا
أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ
الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا عَلَّمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّدِيقُ قَالَ لَهُ : « قُلْ
اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي
مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « ائْطُوا بِيَاذَا الْجَلالِ وَالْاِكْرَامِ » أَيِ الزُّمُوعِ هَذِهِ وَالْحُوا بِهَا وَدَاوُمُوا
عَلَيْهَا .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكسلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَغْرَمِ وَالْمَأْتَمِ اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ
الْغِنَى وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ
خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرْدِ وَنَقِّ قَلْبِي كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ
وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدِ الْخَطَمِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم أنه كان يقول في دُعائه اللهم ارزقني حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ
عِنْدَكَ اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ اللَّهُمَّ مَا
رَزَوْتَ عَنِّي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا فِيمَا تُحِبُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

شعرا :

إِلَهُ الْوَرَى حَتَّمْ عَلَى النَّاسِ حَمْدَهُ لِمَا جَادَ مِنْ فَضْلِ عَلَيْهِمْ بِلا مَنْ
آخِر :

فلو كان يَسْتَعِينِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جَدَّ لِعِزَّةِ نَفْسِي أَوْ عُلوِّ مَكَانِ
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ فَقَالَ أَشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ

وَعَنْ أَبِي الدُّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ
الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي وَأَهْلِي
وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَعَنْ أُمِّ مَعْبِدٍ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلِي مِنَ
الرِّيَاءِ وَلِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا
تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ الْكَبِيرِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصِّحَّةَ وَالْعِفَّةَ وَالْأَمَانَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَالرِّضَى
بِالْقَدْرِ) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ الْكَبِيرِ .

جاء عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال من قال حين يُصْبِحُ
ثلاثَ مراتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ
مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى
يُمْسِي وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيداً وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ
الْمَنْزِلَةِ حَسَنَةً وَغَرَبَهُ التِّرْمِذِيُّ .

اللهم اعدنا بمعافاتك من عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخِطِكَ وَاحْفَظْ
جَوَارِحَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الزَّمَنِ لَمْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمُ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي تَلِيقُ
بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَوْ عَرَفُوهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الْحَالِ لِأَنَّهُ مِنْ كَانَ بِاللَّهِ
أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخَوْفَ إِنَّ الْعَارِفَ بِاللَّهِ يُخْشَاهُ فَتَعَقَّلَهُ هَذِهِ الْخَشْيَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ
عَمَّا لَا يَنْبَغِي مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُخْشَى اللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

الْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يَجْرُؤُ أَنْ يُحْرِكَ لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ أَوْ
أَوْ أَقْوَالٍ كَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذْبِ وَالْقَذْفِ وَالْفِسْقِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالاسْتِهْزَاءِ
وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْمِلُ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ فِي عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلَالٍ بَلْ
يَكْفُ بَصَرَهُ وَسَمْعَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ عَنِ الْمُحْرَمَاتِ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ حَقَّ الْإِيمَانِ
بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا مَهْمَا تَخْفَى وَتَسْتَرَّ الْعَبْدُ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ .

وَالْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يَنْطَوِي عَلَى رَذِيلَةٍ كَالْكَبِيرِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَسُوءِ
الظَّنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ الْمَمْقُوتَاتِ لِأَنَّهُ يُصَدِّقُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ الصُّدُورُ ، كَمَا يَعْلَمُ
الْعَلَانِيَةَ ، فَلَا يَسْتَرِيحُ الْعَارِفُ حَتَّى يَكُونَ بَاطِنُهُ كَظَاهِرِهِ مُطَهَّرًا مِنْ كُلِّ
فَحْشَاءٍ وَكَذَلِكَ لَا تَسْمَعُ مِنْ فَمِ الْعَارِفِ عِنْدَ نُزُولِ الْمَصَائِبِ وَالْبَلَايَا
وَالشَّدَائِدِ إِلَّا الْحَسَنَ الْجَمِيلَ فَلَا يَغْضَبُ لِمَوْتِ عَزِيزٍ أَوْ فَقْدِ مَالٍ أَوْ
مَرَضٍ شَدِيدٍ طَوِيلٍ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ غَضَبَهُ وَتَسَخُّطَهُ يُفَوِّتُ عَلَيْهِ أَجْرَهُ وَلَا يَرُدُّ
مَا فَاتَ كَمَا قِيلَ :

لَا تَلْقَ وَفَتْكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرَبٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِّرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتُ الْحَزَنُ

وَلَا يَنِيَّاسُ الْعَارِفُ مِنْ زَوَالِ شِدَّةٍ مَهْمَا اسْتَحْكَمَتْ فَإِنَّ الْفَرَاحَ بِيَدِ اللَّهِ الَّذِي
قَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَلَا يَنِيَّاسُ مِنْ حُصُولِ خَيْرٍ
مَهْمَا سَمَا وَابْتَعَدَ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الْأَمْرَ بِيَدِ مَنْ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ وَإِنْ بَدَأَ
مُحَالًّا فِي نَظَرِ الْجُهْلَاءِ وَلَا يَقْنَطُ الْعَارِفُ وَلَا يَقْنَطُ مُؤْمِنًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ وَالرَّمَالِ وَلَا يُؤْمِنُ الْعَارِفُ
مُسْتَقِيمًا مِنَ الْعَذَابِ مَهْمَا كَانَ الْعَمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ لِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
وَأَنَّهُ لَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ وَأَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ جَلٌّ وَعَلَا فَلَا تَغْفُلُ عَنْ
ذَلِكَ وَإِنْ أَهْمَلَهُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ . قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الْغَمُومُ ثَلَاثَةٌ غَمُّ الطَّاعَةِ أَنْ لَا
تُقْبَلَ وَغَمُّ الْمَعْصِيَةِ أَنْ لَا تَغْفَرَ وَغَمُّ الْمَعْرِفَةِ أَنْ تُسَلَبَ .

عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى سَنَنِ السَّلَامَةِ وَالْحَلَاصِي
وَمَا تَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ وَشَيْكَأً وَفَوْزاً يَوْمَ يُؤَخَذُ بِالنُّوَاصِي
فَلَيْسَ تَنَالُ عَفْوَ اللَّهِ إِلَّا بِتَطْهِيرِ النَّفُوسِ مِنَ الْمَعَاصِي
وَبِرِّ الْمُؤْمِنِينَ بِكُلِّ رَفِيقٍ وَنُصْحِ لِلْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
وَإِنْ تَعَدَّلَ فَمَا لَكَ مِنْ مَنَاصِي وَإِنْ تَشَدَّدَ يَدًا بِالْخَيْرِ تُفْلِحْ
آخِرُ: إِغْتَنِمْ فِي الْفِرَاحِ فَضْلَ رُكُوعٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْثِقَ بَعْتَةٍ
كَمْ صَحِيحٍ رَأَيْتَ مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الْعَزِيْزَةُ فَلْتَنَّةُ

اللَّهُمَّ الْهَمُّنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا الْاسْتِقَامَةَ طَوْعًا أَمْرًا وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا
بِعَافِيَتِكَ وَجَزِيلِ عَفْوِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيْتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ الْهَمُّنَا الْقِيَامُ بِحَقِّكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ
رَجَاهُ رَاجِعٌ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ

رَجَاءًا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ وَأُتْمِنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ ، أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

١ - زكاة الفطر وما ورد من الآثار في شرعيتها :

زكاة الفطر واجبة بالفطر من رمضان ، لما روى ابن عمر - رضي الله عنهما - « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر في رمضان على الناس صاعاً من تمر ، أو صاعاً من أقط ، أو صاعاً من شعير على كل حرٍ وعبدٍ ذكرٍ وأنثى من المسلمين » متفق عليه .

وعنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » .

وعن أبي سعيد الخدري : « كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام ، أو صاعاً من تمر ، أو صاعاً من أقط ، أو صاعاً من زبيب . متفق عليه .

قال سعيد بن المسيب ، وعمر بن عبد العزيز - رحمهما الله - في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ هو زكاة الفطر .

وأضيفت هذه الزكاة إلى الفطر لأنها تجب بالفطر من رمضان ، وهذه يراد بها الصدقة عن البدن والنفس ومصرفها كزكاة المال لعموم : ﴿ إنما الصدقات للفقراء . . . ﴾ الآية .

ولا يمنع وجوبها ديناً إلا مع طلب ، وهي واجبة على كل حرٍ وعبدٍ ذكرٍ وأنثى من المسلمين ، فضل له عن قوته ، ومن تلزمه مؤونته يوم

العیدِ وَلَيْلَتِهِ صَاعٌ لَأَنَّ النِّفْقَةَ أَهْمٌ فَيَجِبُ الْبَدَاءَةُ بِهَا ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إبدأ بنفسك » رواه مسلم .

وفي رواية : (. . . .) وابدأ بمن تعول) رواه الترمذي .

وَيُعْتَبَرُ كَوْنُ ذَلِكَ الصَّاعِ فَاضِلًا عَمَّا يَحْتَاجُهُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ تَلَزَّمَهُ مَوْثِقَةٌ مِنْ مَسْكِنٍ وَخَادِمٍ وَذَابِيَةٍ وَثِيَابٍ بِذُلَّةٍ وَنَحْوِهِ ، وَكُتِبَ يَحْتَاجُهَا لِغَيْرِ لِيَنَّ هَذِهِ حَوَائِجُ أَصْلِيَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا كَالنِّفْقَةِ ، وَتَلَزَّمَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ مَنْ يَمُونُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كزوجةٍ وعبدٍ وولدٍ ، لِعُمومِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير ممن تمونون » رواه الدراقطني .

فَإِنَّ لَمْ يَجِدْهُ لِجَمِيعِهِمْ بَدَأَ بِنَفْسِهِ ، فَزَوْجَتِهِ ، فَزَوْجَتِهِ ، فَزَوْجَتِهِ ، فَامَةِ ، فَابْنِهِ . فَوَلَدِهِ ، فَأَقْرَبَ فِي مِيرَاثٍ ، وَيُقْرَعُ مَعَ الْأَسْتَوَاءِ .

أَمَّا دَلِيلُ الْبَدَاءَةِ بِالنَّفْسِ فَلِحَدِيثِ « ابدأ بنفسك ، ثم بمن تعول » .

وَأَمَّا الزَّوْجَةُ فَلَوْجُوبِ نَفَقَتِهَا فِي حَالِهِ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ لِأَنَّهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَعَاوِضَةِ .

وَأَمَّا الرِّقِيُّ فَلَوْجُوبِ نَفَقَتِهِ مَعَ الْأَعْسَارِ بِخِلَافِ الْأَقَارِبِ لِأَنَّهَا صِلَةٌ تَجِبُ مَعَ الْيَسَارِ دُونَ الْإِعْسَارِ .

وَأَمَّا الْأُمُّ فَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَعْرَابِيِّ حِينَ قَالَ لَهُ : « مَنْ أَبْرُ؟ قَالَ أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ آقَالَ أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : أَبُوكَ » وَلِأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ عَنِ الْكَسْبِ .

وأما الأب فلما سبقَ وَحَدِيثُ : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبْنِكَ » .

وأما الولدَ فَلِقُرْبِهِ وَوُجُوبِ نَفَقَتِهِ فِي الْجُمْلَةِ .

وأما الأقربَ فِي الْمِيرَاثِ فَلأنه أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ كَالْمِيرَاثِ .

وَتُسْتَحَبُّ عَنِ الْجَنِينِ لِفِعْلِ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : « يُعْجِبُهُمْ أَنْ يُعْطُوا زَكَاةَ الْفَطْرِ عَنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ حَتَّى عَنْ الْحَمَلِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ » رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ .

وَلَا تَجِبُ ، قَالَ ابْنُ الْمُنْدِيرِ : « كُلُّ مَنْ نَحَقَطُ عَنْهُ لَا يُوجِبُهَا عَنِ الْجَنِينِ ، وَتَجِبُ عَلَى الْيَتِيمِ ، وَيُخْرِجُ عَنْهُ وَلِيُّهُ مِنْ مَالِهِ » .

وَلَا يَلْزَمُ الزَّوْجَ فِطْرَةَ زَوْجَتِهِ نَاشِئًا وَقَتَ الْوُجُوبِ ، وَلَا تَلْزَمُ الزَّوْجَ فِطْرَةَ مَنْ لَا تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهَا ، كَغَيْرِ الْمَذْخُولِ بِهَا إِذَا لَمْ تُسَلِّمْ إِلَيْهِ ، وَالصَّغِيرَةَ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ الْاِسْتِمْتَاعَ بِهَا .

وَمَنْ لَزِمَ غَيْرَهُ فِطْرَتُهُ كَالزَّوْجَةِ ، فَأُخْرِجَ عَنْ نَفْسِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ أَجْزَاءُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

٢ - فَصْلٌ فِي وَقْتِ وَجُوبِ صَدَقَةِ الْفَطْرِ ، وَالْأَفْضَلُ مِنْهُ :

وَتَجِبُ زَكَاةُ الْفَطْرِ بِغُرُوبِ شَمْسِ لَيْلَةِ الْفَطْرِ ، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - « فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَةَ الْفَطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطَعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ عَلَى شَرْطِ الْبَخَارِيِّ فَأُضَافَ الصَّدَقَةُ إِلَى الْفَطْرِ فَكَانَتْ وَاجِبَةً بِهِ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ تَقْتَضِي الْاِخْتِصَاصَ .

وَأَوَّلُ فِطْرٍ يَقَعُ مِنْ جَمِيعِ رَمَضَانَ بِمَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ لَيْلَةِ الْفِطْرِ ،
فَمَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، أَوْ تَزَوَّجَ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، فَلَا فِطْرَةَ وَأَنْ وُجِدَ
ذَلِكَ قَبْلُ بَانَ أَسْلَمَ أَوْ تَزَوَّجَ ، أَوْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ ، أَوْ مَلَكَ عَبْدًا ، أَوْ أُيَسَّرَ قَبْلَ
الْغُرُوبِ وَجَبَتْ الْفِطْرَةُ لَوْجُودِ السَّبَبِ فَالْأَعْتِبَارُ بِحَالِ الْوُجُوبِ .

وَأَنْ مَاتَ قَبْلَ الْغُرُوبِ هُوَ ، أَوْ زَوَّجَتْهُ ، أَوْ رَقِيقُهُ ، أَوْ قَرِيبُهُ
وَنَحْوُهُ ، أَوْ أَعْسَرَ ، أَوْ أَبَانَ الزَّوْجَةَ ، أَوْ أَعْتَقَ الْعَبْدَ ، أَوْ بَاعَهُ أَوْ وَهَبَهُ لَمْ
تَجِبِ الْفِطْرَةُ لِمَا تَقَدَّمَ .

وَلَا تَسْقُطُ الْفِطْرَةُ بَعْدَ وُجُوبِهَا بِمَوْتِ وَلَا غَيْرِهِ ، وَالْأَفْضَلُ إِخْرَاجُهَا
يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، لِمَا فِي الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا - مَرْفُوعًا ، وَفِي آخِرِهِ : « وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ
النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ » .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - « مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ
فَهِِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ » .
وَتُكْرَهُ بَعْدَهَا خُرُوجًا مِنَ الْخِلَافِ ، وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« أَغْنَوْهُمْ عَنِ الطَّلَبِ فِي هَذَا الْيَوْمِ » . رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

فَإِذَا أُخِّرَهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ لَمْ يَحْصُلِ الْإِغْنَاءُ لَهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ
كُلِّهِ .

وَيَحْرُمُ تَأْخِيرُهَا عَنْ يَوْمِ الْعِيدِ مَعَ الْقُدْرَةِ ، لِأَنَّهُ تَأْخِيرٌ لِلْحَقِّ
الْوَاجِبِ عَنْ وَقْتِهِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقْسِمُهَا بَيْنَ مُسْتَحِقِّيهَا بَعْدَ
الصَّلَاةِ . فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِتَقْدِيمِهَا عَلَى الصَّلَاةِ لِلِاسْتِحْبَابِ .

وَيَقْضِيهَا مَنْ أَخْرَجَهَا لِأَنَّهُ حَقٌّ مَالِيٌّ وَجَبَ ، فَلَا يَسْقُطُ بِفَوَاتِ وَقْتِهِ كَالدَّيْنِ ، وَتُجْزَى قَبْلَ الْعِيدِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « كَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وهذا إشارة إلى جميعهم فيكون إجماعاً ، ولأن ذلك لا يدخل بالمقصود ، إذ الظاهر بقاؤها أو بعضها ، إلى يوم العيد .

وَمَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ فِطْرَةٌ غَيْرَهُ أَخْرَجَهَا مَعَ فِطْرَتِهِ مَكَانَ نَفْسِهِ ، لِأَنَّهَا طَهْرَةٌ لَهُ ، وَفِطْرَةٌ مِنْ بَعْضِهِ حَرٌّ وَبَعْضُهُ رَقِيقٌ ، وَفِطْرَةٌ قَنْ مُشْتَرَكٍ . وَفِطْرَةٌ مَنْ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ وَارِثٍ أَوْ مُلْحَقٌ بِأَكْثَرٍ مِنْ وَاحِدٍ تُقَسَّمُ ، وَمَنْ عَجَزَ مِنْهُمْ لَمْ يَلْزَمْ الْآخَرَ سِوَى قِسْمِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل) ٣ - الواجب في الفطرة :

الواجب على كل شخص صاع بر ، أو مثل مكيله من تمر ، أو زبيب ، أو أقط ، لإحدى أبي سعيد - رضي الله عنه - « كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ ، إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ أَقْطٍ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ويجزي دقيق البر والشعير إذا كان بوزن الحب ، نص عليه ، واحتج بزيادة تفرد بها ابن عيينة : ان أحداً لم يذكره فيه ، قال : بل هو فيه . رواه الدراقطني .

قال المجدد : بل هو أولى بالأجزاء لأنه كفي مؤونته كتمر متزوع نواه ويُخرج مع عدم ذلك ما يقوم مقامه من حب يفتات كذرة ودخن وباقلاء لأنه أشبه بالمنصوص عليه ، فكان أولى .

وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطِيَ الْجَمَاعَةَ فِطْرَهُمْ لِوَاحِدٍ ، وَأَنْ يُعْطِيَ الْوَاحِدَ فِطْرَتَهُ
لِجَمَاعَةٍ .

وَلَا يُجْزِي إِخْرَاجُ الْقِيَمَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ .

وَيَحْرُمُ عَلَى الشَّخْصِ شِرَاءَ زَكَاتِهِ وَصَدَقَتِهِ بِمَنْ صَارَتْ إِلَيْهِ ،
لِحَدِيثِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « لَا تَشْتَرِهِ ، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ ، وَإِنْ
أَعْطَاكَ بِدَرَاهِمٍ ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْتِهِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَحَسْمًا لِمَادَّةِ اسْتِرْجَاعِ شَيْءٍ مِنْهَا حَيَاءً ، أَوْ طَعْمًا فِي مِثْلِهَا ، أَوْ
خَوْفًا أَنْ لَا يُعْطِيَهُ بَعْدُ ، فَإِنَّ عَادَتَ إِلَيْهِ بَارِثٌ أَوْ وَصِيَّةٌ أَوْ هِبَةٌ أَوْ أَخَذَهَا
مِنْ دَيْنِهِ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا مَوَاطَأَةٍ طَابَتْ بِلَا كَرَاهَةٍ لِعَدَمِ الْمَانِعِ .
وَلِحَدِيثِ بَرِيرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَتْهُ
امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ وَإِنَّهَا مَاتَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَجَبَ أَجْرُكَ وَرَدَّهَا عَلَيْكَ الْمِيرَاثُ » مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

وَيُجْزِي إِخْرَاجُ صَاعٍ مَجْمُوعٍ مِنْ تَمْرٍ وَزَيْبٍ وَبُرٍّ وَشَعِيرٍ وَأَقْطٍ كَمَا
لَوْ كَانَ خَالِصًا مِنْ أَحَدِهَا .

وَلَا يُجْزِي مُخْتَلِطٌ بِأَكْثَرٍ مِمَّا لَا يُجْزِي .

وَلَا يُجْزِي إِخْرَاجُ مَعِيْبٍ كَمُسُوْسٍ ، وَمَبْلُولٍ ، وَقَدِيمٍ تَغْيِرَ
طَعْمُهُ .

وَالْأَفْضَلُ تَمْرٌ ، لِفِعْلِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ نَافِعٌ : وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يُعْطِي التَّمْرَ إِلَّا عَامًا وَاحِدًا أَعْوَزَ التَّمْرُ فَأَعْطَى شَعِيرًا
رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ .

وَقَالَ لَهُ أَبُو مَجَلَزٍ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْسَعَ . وَالْبُرُّ أَفْضَلُ ، فَقَالَ إِنَّ
أَصْحَابِي سَلَكُوا طَرِيقًا ، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَسْلُكَهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاحْتَجَّ بِهِ .

وظَاهِرُهُ أَنَّ جَمَاعَةَ الصَّحَابَةِ كَانُوا يُخْرِجُونَ التَّمْرَ ، وَلِأَنَّهُ قُوْتُ ،
وَأَقْرَبُ تَنَاوُلًا وَأَقْلُ كُلْفَةً ، وَيَلِيهِ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ الزَّيْبُ لِأَنَّ فِيهِ قُوْتًا وَحَلَاوَةً
وَقِلَّةَ كُلْفَةٍ ، ثُمَّ الْبُرُّ ، لِأَنَّ الْقِيَاسَ تَقْدِيمُهُ عَلَى الْكُلِّ ، لَكِنْ تَرَكَ اقْتِدَاءَ
بِالصَّحَابَةِ فِي التَّمْرِ وَمَا شَارَكَهُ فِي الْمَعْنَى وَهُوَ الزَّيْبُ ، ثُمَّ الْأَنْفَعُ فِي
الِاقْتِيَابِ وَدَفَعَ حَاجَةَ الْفَقِيرِ ، ثُمَّ شَعْبِرَهُ ، ثُمَّ دَقِيقُ شَعْبِرِ ، ثُمَّ
سَوْبِقُهُمَا ، ثُمَّ أَقْطُ وَالْأَفْضَلُ أَنْ لَا يُنْقَصَ مُعْطَى مِنْ فِطْرَةٍ عَنْ مُدْبِرٍ أَوْ
يَصِفُ صَاعٍ مِنْ غَيْرِهِ لِيُغْنِيَهُ عَنِ السُّؤَالِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَغْنَوْهُمْ عَنِ السُّؤَالِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ » وَيُسْنُّ التَّكْبِيرُ الْمُطْلَقُ وَهُوَ
الَّذِي لَمْ يَقْتَدِ بِأَذْيَارِ الصَّلَوَاتِ وَالْجَهْرِ بِهِ فِي لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ إِلَى فِرَاقِ
الْخُطْبَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ وَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾
وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُكَبِّرُ حَتَّى يُسْمِعَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَصِنْفَةَ
التَّكْبِيرِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ
الْحَمْدُ ، وَفِي كُلِّ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ .

قَالَ الْبُخَارِيُّ كَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ
الْعَشْرِ يُكَبِّرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا وَالتَّكْبِيرُ الْمُقْتَدِ فِي الْأَضْحَى عَقِبَ
كُلِّ فَرِيضَةٍ . صَلَّاهَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ آخِرِ
أَيَّامِ التَّشْرِيقِ لِحَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الصُّبْحَ
يَوْمَ عَرَفَةَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ وَمَدَّ التَّكْبِيرَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ
رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ بِمَعْنَاهُ إِلَّا الْمُحْرَمَ فَيُكَبِّرُ مِنْ صَلَاةِ ظَهْرِ يَوْمِ النَّحْرِ إِلَى
آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْأَدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أُجِبْتَ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ، وَإِذَا اسْتَرْجِمْتَ بِهِ رَجِمْتَ، وَإِذَا اسْتَفْرَجْتَ بِهِ فَرَجْتَ أَنْ تَغْفِرَ سَيِّئَاتِنَا وَتُبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» : الْحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذُّنُوبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَهِي الْمَصِيرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّشْمِيرِ.

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّجِيلِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ فَعَلَيْهِ بِالتَّمَامِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فَرَطَ فِيهِ فَلْيَحْتِمُهُ بِالْحُسْنَى ، فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ ، وَبَادِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَوْقَاتَ شَهْرِكُمُ الْبَاقِيَةِ ، وَاسْتَدْرِكُوا مَا مَضَى مِنْهُ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ ، وَاحْتِمُوهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالرُّجُوعِ إِلَى صَالِحِ الْعَمَلِ .

عِبَادَ اللَّهِ ، كَمْ أَنَسَى صَلَّوْا فِي هَذَا الشَّهْرِ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ وَأَوْقَدُوا فِي الْمَسَاجِدِ طَلِبًا لِلْأَجْرِ الْمَصَابِيحِ ، وَتَسَخَّوْا بِإِحْسَانِهِمْ كُلَّ فِعْلِ قَبِيحٍ ، وَقَبَلَ التَّمَامِ سَكَنُوا الضَّرِيحَ ، وَلَمْ يَنْفَعُهُمُ الْمَالُ وَالْأَمْالُ لَمَّا نُقِلُوا ، رَحَلُوا عَنِ الدُّنْيَا قَدَمًا قَدَمًا وَنُقِضَ مَا بَنَوْهُ هَذَا هَذَا ، أَدَارَتْ عَلَيْهِمُ الْمُنُونُ رَحَاهَا وَأَحَلَّتْ وَجُوهَهُمْ فِي الثَّرَى فَمَحَاهَا .

وَهَذَا حَالُكَ عَنْ قَرِيبٍ فَتَيَقِّظْ يَا قَلِيلَ الرَّادِ، وَحَادِي رَحِيلِهِ قَدْ حَدَى
تَاهَبٌ لِلتَّلْفِ وَتَهَيَّأْ لِلرَّدَى، ذَهَبَ عَنْكَ شَهْرُ الصِّيَامِ وَوَدَّعَكَ، وَسَارَتْ فِيهِ
قَوَافِلُ الصَّالِحِينَ، وَجَهْلُكَ مَنَعَكَ وَالتَّوْبِيخُ مُتَوَفِّرٌ، فَمَا أَرْجَعَكَ وَلَا أَرْجَعَكَ
وَأَنْتَ تُؤْمَلُ مَنَازِلَ الْعَامِلِينَ بِأَفْعَالِ الْعَافِلِينَ فَمَا أَطْعَمَكَ .

يَا مَنْ أَصْبَحَ سَاعِيًا إِلَى مَا يَضُرُّهُ سَتَعْلَمُ مَنْ يَأْتِي عَدَا حَزِينًا
مُتَنَدِّمًا، كَمْ مِنْ صَائِمٍ يَفْضَحُهُ الْجِسَابُ وَالْعَرْضُ، وَكَمْ مِنْ
عَاصٍ فِي هَذَا الشَّهْرِ تَسْتَعِيثُ مِنْهُ الْأَرْضُ، يَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَقْبُولِ
مِنَا فَتَهَيَّيْ عَلَى تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ بِحُسْنِ عَمَلِهِ وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَطْرُودِ
فَتَعَزِّيهِ بِسُوءِ عَمَلِهِ، يَا أَيُّهَا الْمَقْبُولُ هَيِّئْنَا لَكَ بِثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَرِضْوَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغُفْرَانِهِ وَقَبُولِهِ وَاحْسَانِهِ وَغُفْوِهِ وَامْتِنَانِهِ .

وَيَا أَيُّهَا الْمَطْرُودُ بِإِضْرَارِهِ، وَطُغْيَانِهِ وَظُلْمِهِ وَغَفْلَتِهِ وَخُسْرَانِهِ وَتَمَادِيهِ
فِي عِضْيَانِهِ، لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ وَخَسِرْتَ تِجَارَتَكَ، وَطَالَتْ
نَدَامَتُكَ، يَا لَهَا مِنْ خُسَارَةٍ لَا تُشْبِهُهَا خُسَارَةٌ، لِلَّهِ دَرُ أَقْوَامٍ حَرَسُوا
بِالتَّقَى أَوْقَاتَهُمْ، وَتَدَرَعُوا دُرُوعَ الْمُرَاقَبَةِ فِي صَبْرِهِمْ وَجَمَعُوا بَيْنَ الصَّدَقِ
وَالِاخْتِلاصِ فِي ذِكْرِهِمْ، صَبَرُوا بِالْيَقِينِ عَلَى ظَمِّ الْهَوَاجِرِ، وَبَسَطُوا
أَقْدَامَهُمْ عَلَى بَسَاطِ الدِّيَاجِرِ وَعَمِلُوا لِيَوْمٍ فِيهِ الْقُلُوبُ لَسَدَى الْحَنَاجِرِ .

أَقْبَلُوا عَلَى خِدْمَةِ رَبِّهِمْ إِقْبَالَ عَالِمٍ، وَمَا سَلَكُوا إِلَّا الطَّرِيقَ السَّالِمَ
تَذَكَّرُوا ذُنُوبَهُمْ الْقَدَائِمَ، فَجَدُّوا التَّوْبَةَ بِصَدَقِ الْعَزَائِمِ، وَعَدُّوا التَّقْصِيرَ
مِنَ الْعَظَائِمِ، وَبَدَّلُوا الْمُهْجَ الْكِرَائِمَ، فَإِذَا جَنَّ اللَّيْلُ فَسَاجِدُ وَقَائِمُ، وَلَا
يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، أَيْنَ أَنْتَ وَهَمُّ؟ فَهَلْ تَرَى السَّاهِرَ كَالنَّائِمِ؟
كَلَّا، وَلَا الْمُفْطِرَ كَالصَّائِمِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الدُّلِّ

والانكسار ودوام اللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها ومشاهدة فضل ربه واحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده . فالعارف : سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين لا يمكنه أن يسير إلا بهما فمتى فاتته واحد منهما فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من حديث بريدة رضي الله عنه سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فجمع في قوله صلى الله عليه وسلم أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل .

فمشاهدة المنة توجب المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت وأن لا يرى نفسه إلا مفلساً وأقرب باب يدخل منه العبد على الله تعالى هو باب الإفلاس فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها .

بل يدخل على الله من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سوندائه فانصدع وشملت الكسرة من كل جهاته وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل وكمال فاقته وفقره إليه وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة فاقة تامة وضرورة إلى ربه تبارك وتعالى وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك

وَحَيْرَ خَسَارَةَ لَا تُجْبَرُ إِلَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَذَارَكُهُ بِرَحْمَتِهِ
انتهى .

شعرا :

يَارَبِّ عَفْوِكَ عَنِ ذِي تَوْبَةٍ وَجِلِّ كَأَنَّهُ مِنْ حَذَارِ النَّارِ مَجْنُونُ
قَدْ كَانَ قَدَّمَ أَعْمَالاً مُفَارِقَةً أَيَّامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينُ

آخر: دَعِ الْبُكَاءَ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالذَّارِ
وَأذْكَرُ لِمَنْ بَانَ مِنْ جِلٍّ وَمِنْ جَارِ
وَأَذِرِ الدُّمُوعَ نَجِيئاً وَابِكِ مِنْ أَسْفِ
عَلَى فِرَاقِ لَيْالٍ ذَاتِ أَنْوَارِ
عَلَى لَيْالٍ لِشَهْرِ الصُّومِ مَا جُعِلَتْ
إِلَّا لِتَمَجِّصِ آثَامٍ وَأَوْزَارِ
يَا لَأَيْمِي فِي الْبُكَاءِ زِدْنِي بِهِ كَلْفاً
وَاسْمِعْ غَرِيبَ أَحَادِيثِي وَأَخْبَارِي
مَا كَانَ أَحْسَنَنَا وَالشُّمْلُ مُجْتَمِعُ
مِنَّا الْمُصَلِّي وَمِنَّا الْقَائِتُ الْقَارِي
وَفِي التَّرَاوِجِ لِلرَّاحَاتِ جَامِعَةٌ
فِيهَا الْمَصَائِبُ تَزْهُو مِثْلَ أَزْهَارِي
فِي لَيْلِهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي شَرُفْتُ
حَقّاً عَلَى كُلِّ شَهْرٍ ذَاتِ أَسْرَارِ
تَنْزُلُ الرُّوحُ وَالْأَمْلاكُ قَاطِبَةً
بِإِذْنِ رَبِّ غَفُورٍ خَالِقِ بَارِي
شَهْرُ بِهِ يُعْتَقُ اللَّهُ الْعَصَاةَ وَقَدْ
أَشْفُوا عَلَى جُرْفٍ مِنْ خُطَّةِ النَّارِ

نَرْجُوا إِلَهَ مُجِبِ الْعَفْوِ يُعْتَقِنَا
 وَيَحْفَظُ الْكُلَّ مِنْ شَرِّ وَأَكْذَارِ
 وَيَشْمَلُ الْعَفْوُ وَالرُّضْوَانُ أَجْمَعَنَا
 بِفَضْلِكَ الْجَمُّ لَا تَهْتِكُ لِأَسْتَارِ
 فَأَبْكُوا عَلَى مَا مَضَى فِي الشَّهْرِ وَاغْتَبِمُوا
 مَا قَدْ بَقِيَ فَهُوَ حَقٌّ عَنْكُمْ جَارِي

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْصُرْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاجْعَلْ
 كَلِمَتِكَ هِيَ الْعُلْيَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاخْذِلْ الْكُفْرَةَ وَأَعْوَانَهُمْ وَالْمُلْحِدِينَ
 وَالْمُبْتَدِعِينَ وَأَصْلِحْ مَنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِكَ مَنْ فِي
 هَلَاقِهِ صَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَوَلِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خِيَارَهُمْ يَا رَبَّ
 الْعَالَمِينَ وَلَمْ شَعْنَهُمْ وَاجْمَعْ شَمْلَهُمْ وَوَحِّدْ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْصُرْهُمْ عَلَى مَنْ مِنْ
 خَالَفَهُمْ وَاحْفَظْ بِلَادَنَا مِنَ الْفَسَقَةِ وَالْمُجْرِمِينَ وَأَصْلِحْ أَوْلَادَنَا وَإِشْفِ مَفْرَضَانَا
 وَعَافِ مُبْتَلَانَا وَارْحَمْ مَوْتَانَا وَخُذْ بِيَدَيْنَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَاعْصِمْنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ
 وَاحْفَظْنَا مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُنَّ وَالْأَمْوَاتِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا
 وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا إِلَى النَّارِ مَصِيرَنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بَدُنُونَنَا مِنْ لَا يَخَافُكُ فِينَا
 وَلَا يَرْحَمُنَا وَلَا تُؤْخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا وَلَا تَسْلُبْ نِعْمَتَكَ عَنَّا وَكُنْ مَعَنَا
 حَيْثُمَا كُنَّا يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»: وَيَبْحَثُ فِي:

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .
- ٢ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ حَمْلِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ .
- ٣ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهِ .
- ٤ - مَا وَرَدَ فِي اسْتِحْبَابِ تَرْتِيلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

- ٥ - ما ورد في بيان عِظْمِ بَعْضِ السُّورِ .
 ٦ - اسْتِحْبَابُ تَحْسِينِ الصَّوْتِ فِي التَّلَاوَةِ .
 ٧ - يَنْبَغِي الخُشُوعُ والخَشْيَةُ والبُكَاءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللّهِ تَعَالَى .
 ٨ - ما وَرَدَ فِي تَعَاهُدِ الْقُرْآنِ والتَّرْهِيْبِ مِنْ نِسْيَانِهِ .

١ - ما وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

يُسْتَحَبُّ حِفْظُ الْقُرْآنِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، وَالْإِكْتِنَارُ مِنْ تِلَاوَتِهِ كُلِّ وَقْتٍ لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ وَأَجَلِّ الطَّاعَاتِ وَفِيهَا أَجْرٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَسِيمٌ مِنَ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ ، وَلَا سِيَّمَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى آمِراً رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَابْلَاغِهِ إِلَى النَّاسِ : ﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ .

وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَوْقَاتِ الْمَشْرُوعَةِ لَيْلاً وَنَهَاراً سِرّاً وَعَلَانِيَةً ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . رواه البخاري ، ومسلم .

٢ - ما جَاءَ فِي فَضْلِ حَمْلِ الْقُرْآنِ :

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ،

والذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ لَهُ أَجْرَانِ» رواه البخاري .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِقْرُؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » رواه مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَاقْرُؤْهُ ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكَاً تَفُوحٌ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَفَرَّقَهُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ أَوْكِيٍّ عَلَى مِسْكِ » رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » . رواه البخاري ومسلم .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ عِلْمًا فَهُوَ يُعَلِّمُ النَّاسَ مِنْهُ » . رواه البخاري ومسلم .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرَبِ » رواه الترمذي وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَخَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدِهِ . أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ

الْبَقَرَةِ وَفَرَسَهُ مَرْبُوطَةً عِنْدَهُ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ ، فَسَكَتَتْ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَأَنْصَرَفَ .

وكان ابنه يحيى قريباً منها فاشفق أن تُصيبه ، فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء حتى يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : إقرأ يا ابن حُضَيْرٍ إقرأ يا ابن حُضَيْرٍ قَالَ فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى وَكَانَ مِنْهَا قَرِيباً فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَأَنْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ فَخَرَجْتُ حَتَّى لَا أَرَاهَا قَالَ : « وَتَدْرُونَ مَا ذَاكَ قُلْتُ لَا قَالَ تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ ذَنَّتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى » .

فَالْعَاقِلُ مِنْ يَكْثُرُ تِلَاوَتَهُ وَاسْتِذْكَارِهِ لِلْإِهْتِدَاءِ بِهِدْيِهِ وَالِاسْتِرْشَادِ بِمَوَاعِظِهِ وَالِاعْتِبَارِ بِقَضَائِهِ وَالِالْتِقَاطِ مِنْ دُرَرِهِ وَحِكْمِهِ وَالِاسْتِضَاءِ بِنُورِهِ كَيْفَ لَا وَهُوَ أَسَاسُ الْفَصَاحَةِ وَتِنْبُوعُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَرَاعَةِ فَتَجِدُ الْخَطِيبَ الْمُصْطَفَعَ وَالشَّاعِرَ الْبَلِيعَ يَقْتَسِمَانِ مِنْ آيَاتِهِ وَيُسْتَمِدَّانِ مِنْ عُدُوبَةِ الْفَاطِمَةِ وَمَعَانِيهِ مَا يُزَيِّنَانِ بِهِ كَلَامَهُمَا وَيُحَسِّنَانِ بِهِ مَقَامَهُمَا .
شعرا :

سَأَ أَصْرِفُ وَقْتِي فِي قِرَاءَةِ مَا أَتَى عَنْ اللَّهِ مَعَ مَا جَاءَنَا مِنْ رَسُولِهِ فَإِنَّ الْهُدَى وَالْفَوْزَ وَالْخَيْرَ كُلَّهُ بِمَا جَاءَ عَنِ رَبِّ الْعِبَادِ وَرُسُلِهِ وَهُوَ أَسَاسُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمِنْهُ تُسْتَمَدُّ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْمَسَائِلُ الْفَقْهِيَّةُ وَالْحَقُّ أَنَّهُ عِمَادُنَا فِي أَمْرِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا .

الْقُرْآنُ أَصْلُ أُصُولِ الدِّينِ قَاطِبَةً فَكُنْ هُدَيْتَ بِهِ مُسْتَمْسِكًا وَثِقًا
قال يحيى بن أكثم : كان للمأمون وهو أمير إذ ذاك مجلس نظر فدخل
في جملة الناس رجلٌ يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة قال
فتكلم فأحسن الكلام والعبارة .

فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له : إسرائيلى ؟ قال : نعم . قال :
أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعدته فقال : ديني ودين آبائي وإنصرف .
قال : فلما كان بعد سنة جاء مُسَلِّمًا فتكلم على الفقه فأحسن الكلام
فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال : ألسنت صاحينًا بالأمس ؟ قال :
بلى .

قال : فما كان سبب إسلامك ؟ قال : انصرفت من حضرتك
فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط فعمدت إلى التوراة
فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني .
« المعنى ما بارت تصرقت وطافت ما حُققَ فيها ولا انتبه لتحريفها » .

وعمدت إلى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت
وأدخلتها البيعة فاشتريت مني .
وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت
وأدخلتها الوراقين فتصفحوها .

فلما وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن
هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي .

قال يحيى بن أكثم فحجبت تلك السنة فلقيت سُفيان بن عيينة
فذكرت له الخبر فقال لي : مصادق هذا في كتاب الله قال قلت في أي
موضع ؟ قال : في قوله تعالى في التوراة والانجيل ﴿ بما استحفظوا من
كتاب الله ﴾ فجعل حفظه إليهم فضاع وقال عز وجل ﴿ إنا نحن نزلنا
الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فحفظه الله جل وعلا علينا فلم يضع .

شعرا :
 عَلَيْكَ بِقَوْلِ اللَّهِ حِفْظًا فَإِنَّهُ هُوَ الذُّخْرُ فِي يَوْمِ تَشْيِبِ الدُّوَابِّ
 وَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ أَيْضًا فَإِنَّهُ بِهِ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ تُؤْتَى الْمَطَالِبُ
 وَفَقَّنَا اللَّهُ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِلتَّمَسُّكِ بِكِتَابِهِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِثَالِ
 أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي أَمْثَالِهِ وَمُعْجَزِهِ وَالتَّبَصُّرِ فِي
 نُورِ حِكْمِهِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : « إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السُّجْدَةَ فَسَجَدَ ، اغْتَزَلَ الشَّيْطَانُ
 يَبْكِي ، وَيَقُولُ : يَا وَيْلَهُ ! » .

وفي رواية : « يَا وَيْلِي ! أَمَرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ،
 وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ » رواه مسلم وأبو داود .

وعن الثَّوَالِيسِ بْنِ سَمْعَانَ - رضي الله عنه - قال : سَمِعْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ
 كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدِمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ » وَضَرَبَ لَهُمَا
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ « كَأَنَّهُمَا
 عَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فُرْقَانٌ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ
 يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا » رواه مسلم .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَهُ بِهِ
 حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ : أَلَمْ حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ
 حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » رواه أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي .

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال قلت يا رسول الله ، أوصني ، قال : « عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ » ، قلت : يا رسول الله زدني ، قال : « عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَدُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ » رواه ابن حبان .

شِعْرًا: مَنْ يُرِذْ مُلْكَ الْجَنَّةِ
وَالْيَقْمَ فِي ظِلْمَةِ الْ—
وَالْيَصِلْ صَوْمًا بِصَوْمِ
إِنَّمَا الْعَيْشُ جَوْرُ الْ—
فَلْيَدْعُ عَنْهُ التَّوَانِي
لَيْلٍ إِلَى نُورِ الْقُرْآنِ
إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ فَإِنَّ
لَهُ فِي دَارِ الْأَمَانِ

آخر: إقْطَعْ زَمَانَكَ بِالْقُرْآنِ تَفْهَمُهُ
وَاتْرِكْ مَجَالِسَ قَوْمٍ لَيْسَ عِنْدَهُمْ
آخر: إِذَا شِئْتَ أَنْ تُحْطَى بِجَنَّةِ رَبَّنَا
فَاعْمَلْ بِمَا قَالَ الْإِلَهُ وَقَوْلِ مَنْ
وما أتى عن رسول الله من كَلِمٍ
سِوَى الْمَأْتِمِ مِنْ فِعْلٍ وَمِنْ كَلِمٍ
وتُفَوِّزَ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ الدَّائِمِ
خَتَمَ الْإِلَهُ بِهِ الثَّبُوتَ فَاغْلَمِ

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ قرأ القرآن فقد استدرج الثبوة بين جنبتيه غير أنه لا يؤخى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله » رواه الحاكم .

وروى عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قرأ القرآن فاستظهره ، فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه أدخله الله الجنة وشفَّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » رواه ابن ماجه والترمذي .

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن

تُصَلِّي مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلَأنْ تَعُدُّوْفَتَتَعَلَّم بَاباً مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْلَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ « رواه ابن ماجه .

اللهم اهدنا إلى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَوَفَّقْنَا لِلْفِقْهِ فِي دِينِكَ الْقَوِيمِ ،
واجعلنا من الْعَامِلِينَ بِهِ قَوْلًا ، وَفِعْلًا الدَّاعِينَ إِلَيْهِ ، واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ،
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ وَتَفْهِيمِهِ

يُسْتَحَبُّ التَّعَوُّذُ لِمَنْ أَرَادَ الشَّرُوعَ فِي الْقِرَاءَةِ بِأَنْ يَقُولَ « أَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » .

وكان جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَقُولُونَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فان قَطَعَ الْقِرَاءَةَ قَطَعَ تَرْكُ عَلَي أَنْ لَا يَعُوذَ قَرِيبًا إِلَيْهَا
أَعَادَ التَّعَوُّذَ الْأَوَّلَ وَإِنْ تَرَكَهُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فَيَتَوَجَّهْ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا ثُمَّ يَقْرَأُ لِأَنَّ
وَقْتَهَا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ لِلأَسْتِحْبَابِ فلا يَسْقُطُ تَرْكُهَا إِذَا وَلِأَنَّ الْمَعْنَى يَقْتَضِي
ذَلِكَ .

فَإِذَا شَرَعَ فِي الْقِرَاءَةِ فَلْيَكُنْ سَانُهُ التَّدْبِيرَ وَالْيَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ
بَعْضِ الْهَمْجِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَعَيْونُهُ تَجُولُ فِيمَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ
يَتَلَاعَبُ بِالْقُرْآنِ وَلَا يَهْتَمُّ لَهُ ، قال تَعَالَى : « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
لِيذَكِّرُوا آيَاتِهِ » ، وقال تَعَالَى فِي مَعْرِضِ الْإِنْكَارِ « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ،
أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا » .

فالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ الْمُحِبُّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ وَتَفْهِيمُهُ عِنْدَهُ أَلَدُّ
الْأَشْيَاءِ وَأَنْفَعُهَا لِقَلْبِهِ .

ولا يَمَلُ من تِلَاوَتِهِ ولا يَقْنَعُ بتِلَاوَتِهِ دُونَ أَنْ يَطْلُبَ فَهَمَّ مَعَانِي مَا أَرَادَ
اللَّهُ عز وجل مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَبَجُّيلِهِ وَتَقْدِيسِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَإِرْشَادِهِ وَأَدَابِهِ
وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ .

ويَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَنَالُ مَنَافِعَ آخِرَتِهِ ولا الفُوزَ بِهَا والنِجاةَ مِنْ هُلْكَتِهَا إلا
بِاتِّبَاعِ القُرْآنِ الدَّالِّ على كُلِّ نِجاةٍ وَالْمُنْجِي لَهُ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ .

قال اللهُ جل وعلا « فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى » الآية
أَنْزَلَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا على عِبَادِهِ لِيُعَرِّفَهُمْ بِهِ نَفْسَهُ وَيُذَكِّرَهُمْ بِهِ أَياديَهُ وَيُنَبِّهَهُمْ
بِهِ مِنْ رَقَدَاتِ الغَافِلِينَ .

وَيُحْيِي قُلُوبَهُمْ وَيُنَوِّرُ أَبْصَارَهُمْ وَيَشْفِي صُدُورَهُمْ وَيُزِيلُ جَهْلَهَا وَيَنْفِي
شُكُوكَهَا وَدَنَسَهَا وَيُزَيِّفُهَا وَيُوضِحُ سَبِيلَ الهُدَى وَيَكْشِفُ بِهِ العَمَى
والشُّبُهَاتِ .

ويُزِيلُ نِوَاذِعَ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسَ الصُّدُورِ وَيُغْنِي بِهِ مَنْ فِهْمَهُ وَيَنْعَمُ بِهِ
مَنْ كَرَّرَ تِلَاوَتَهُ وَيَرْضَى بِهِ عَمَّنْ اتَّبَعَهُ .

هُوَ صِرَاطُ اللهِ المُسْتَقِيمِ الَّذِي مَنْ سَلَكَ ما دَلَّ عَلَيْهِ أَوْفَقَهُ على
الرِّغائبِ وَسَلَّمَهُ مِنْ جَمِيعِ المَهالِكِ وَخَفَّفَ عَنْهُ أهْوالَ يَوْمِ العَرَضِ
والنُّشُورِ . وَأُورِدَهُ رِياضَ جَناتِ النِّعَمِ .

هُوَ حَبْلُ اللهِ المُتِينِ الَّذِي لا انْقِطاعَ لَهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَا قال اللهُ جل
وعلا وتقدَّسَ لِرِسالِهِ ﷺ ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ على
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ عَطَبَ قال اللهُ جل وعلا ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنْ
لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشِرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أَعْمَى ﴾ .

وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ ضَلَّ ، وَمَنْ فَهِمَهُ نَطَقَ بِالْحَكْمِ ، وَجَرَى
عَلَى لِسَانِهِ بِحَسَنِ الْمَوْعِظَةِ ، وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا .

وَمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا قَالَ فَقَدْ اسْتَعْنَى بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ،
وَعَزَّ بِهِ مِنْ كُلِّ دُلٍّ .

لَا تَتَغَيَّرُ حَلَاوَتُهُ ، وَلَا تُخْلَقُ جِدَّتُهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ عَلَى كَثْرَةِ
الترداد والتكرار لتلاوته .

لأنه كلام الحي القيوم ، وكل كلام غير القرآن والأحاديث
الصحيحة التي جاءت عن النبي ﷺ فإنها تملُّ من كثرة تردادها .

أما القرآن وما صح عن النبي ﷺ فإن المؤمن كلُّ ما كرره ازداد رغبةً
ونشاطاً ومحبةً للكلامِ ولمن تكلم به وهذا موجودٌ عندنا في فطرنا فإننا نسمعُ
الكلامَ ممن نحبُّ من الخلقِ . ومن نعظمُ قدره فترتاحُ لذلك قلوبنا .
فكيف بكلام ربنا رب العالمين الذي خلقنا ورزقنا وأعطانا وآوانا
وعافانا وهدانا .

شعروا: جَمِيعُ الْكُتُبِ يُدْرِكُ مَنْ قَرَّاهَا فَتَوَّرَ أَوْ كَلَّالَ أَوْ سَامَأَهُ
سِوَى الْقُرْآنِ فَافْهَمُوا وَاسْتَمِعْ لِي وَقَوْلِ الْمُصْطَفَى يَا ذَا الشَّهَامَةِ

وقد تكلم به حقيقة ، وأنزله على محمد ﷺ مع الأمين من ملائكته .
فالواجب علينا الاصغاء والتفهم لما يتلى من كلام ربنا جلَّ وعلا وتقدس .

وأنت تعلم أنه إذا كان للذي يُحدِّثُكَ عِنْدَكَ قَدْرٌ أَصْغَيْتَ إِلَى حَدِيثِهِ
بِاسْتِئْجَاعٍ مَا يَقُولُ وَتَفْهَمُ مَعَانِي مَا يَصِفُ .

ولو كان يحكيه لك عن حاكمي لفعلت ذلك حبا منك لقائله وتعظيماً
للمتكلم به .

ولو أطلعَهُ اللهُ على قلبِكَ وأنتَ غافلٌ مُتَشَاغِلٌ عنه لا تُلقِي له بآلِكَ
ولا تفهمَ عنه قوله .

لأبغضِكَ وعلمَ إنكَ مُستَهينٌ به سَاهٍ عن حَدِيثِهِ ولا تهتمُّ به ولمَ تعباً
بفهمِ قوله لِقِلَّةِ قَدْرِهِ وَقَدْرِ حَدِيثِهِ عندَكَ .

ولو كان له عندَكَ قَدْرٌ لَأصغيتَ لِحَدِيثِهِ ولم تلهَ عن تفهيمِهِ وإنما هَوَتْ
عن حَدِيثِ مَنْ حَدَّثَكَ مِنَ الخَلْقِ لِأَنَّهُ غَابَ عنهم عِلْمُ ضَمِيرِكَ .

ولو كان بادياً وظاهراً لهم ما فيه لأحضرتَ عقلَكَ إليهم وإلى كلامِهِمْ
وحديثِهِمْ ، ولم ترضَ لهم بالاستماعِ دُونَ الفهمِ له ، ولا بالفهمِ له دُونَ
تَحْيِيهِمْ على قَدْرِ حَدِيثِهِمْ .

لَتُعَلِّمَهُمْ أَنكَ قد فهمتَ عنهم ولم ترضَ لهم بالجوابِ دُونَ أَنْ
تُوافِقَهُمْ فَتُعْظَمَ ما عَظُمُوا وتَسْتَحْسِنَ ما اسْتَحْسَنُوا وتَسْتَقْبَحَ ما اسْتَقْبَحُوا .

هَذَا وَأَكْثَرُ حَدِيثِهِمْ لَعَوٌ وَهَوٌ وليس فيه مَنْفَعَةٌ وَلَا دُنْيَا وَلَا حَقٌّ لهم
يُؤَكِّدُوهُ عَلَيْكَ بقولِهِمْ ولا يَرْضَوْنَ عَنكَ بفهمِهِ ولا نُحِبُّ لَهُمْ أَنْ يَسْخَطُوا
عَلَيْكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ تفهمُهُ وتقومُ به .

فكيف بالرب العظيم الكريم الذي سهلَ لَكَ مُنَاجَاتَهُ ، ولم يتكلم
به لَعَوٌ وَلَا قَالَهُ هَوًا وَلِعَبًا وَلَا عَبَثًا ، ولا خاطبَ به سَهَوًا وَلَا تَفَكَّهُا تعالى اللهُ
عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا .

وإنما تكلمَ به مُخَاطِبُهُ قَصْدًا وَإِرَادَةً وَتوكيدًا لِلْحُجَّةِ عَلَيْكَ وعلى خَلْقِهِ
إِعْذَارًا إليهِمْ وَإِنذارًا .

فَعَرَفْنَا بِهِ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَأَمَرْنَا بِمَا يَرْضَى بِهِ عَنَّا وَيُقَرِّبُنَا مِنْهُ وَيُوجِبُ
لَنَا جِوَارَهُ وَالقُرْبَ مِنْهُ وَالنَّظَرَ إِلَيْهِ .

وَيُوجِبُ لَنَا بِهِ إِنْ رَكِبْنَا مَا يُسَخِّطُهُ عَذَابَهُ الْأَلِيمَ فِي خُلُودِ الْأَبَدِ الَّذِي لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا زَوَالَ وَلَا رَاحَةَ .

وَنَدَبْنَا فِيهِ إِلَى الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَالْمَنَازِلِ الشَّرِيفَةِ وَقَدْ قَالَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ إِنَّ مَا أَنْزَلَهُ مِنْ كَلَامِهِ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .

فَمَا أَحَقُّ مَنْ غَفَلَ عَنْ فَهْمِ كِتَابِهِ أَنْ يَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَأْسَفَ عَلَى مَا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ وَمَرَضِ قَلْبِهِ وَهُوَ لَا يَزْدَادُ إِلَّا سُقْمًا وَمَرَضًا وَذَلِكَ لِقَلَّةِ مُبَالَاتِهِ .

تَرَكَ طَلَبَ شِفَائِهِ بِمَا قَالَ اللَّهُ وَتَدَبَّرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ خَالِقُهُ وَمَوْلَاهُ وَقَدْ رَأَى مَوْلَاهُ وَهُوَ يَعْتَنِي بِفَهْمِ كِتَابِ مَخْلُوقٍ وَحَدِيثِهِ .

وَلَيْسَ فِي كِتَابِ هَذَا الْمَخْلُوقِ وَحَدِيثِهِ إِيَّاهُ خُلُودٌ الْأَبَدِ فِي النِّعَمِ وَلَا النِّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ .

بَلْ رُبَّمَا أَنْ فِيهِ مَا الْأَشْتَغَالَ بِهِ ضَرَّرَ عَلَيْهِ ، وَمَسَخَطَةَ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، أَوْ لَعَلَّ فِيهِ مَا الْأَسْتِغْنَاءُ بغيرِهِ أَوْلَى أَوْ حَاجَةٌ لَا قَدْرَ لَهَا أَوْ خَبْرٌ تَافَهُ . أَوْ حَاجَةٌ بِكُلْفَةٍ لَا يَأْمَلُ لَهَا مُكَافَأَةً وَلَا يَحْتُمُّ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا إِلَّا خَوْفٌ عَذْلِهِ وَلَوْ مِهِ .

فَكَيْفَ تَكُونُ حَالُنَا عِنْدَ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَدْ عَلِمَ مِنَّا أَنَّ قَلِيلٌ تَعْظِيمُنَا لَهُ .

وَنَحْنُ لَا نَعْبَأُ بِفَهْمِ كَلَامِهِ وَتَدَبَّرِ قَوْلِهِ فِيمَا خَاطَبَ بِهِ كَمَا نَعْبَأُ بِفَهْمِ كُتُبِ عِبِيدِهِ وَحَدِيثِهِمُ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ لَنَا وَلَا لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا .

فَتَبَارَكَ مَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَعَدَا نَقَدَمُ عَلَى اللَّهِ
عز وجل فَنَلَقَاهُ وَبَسَّأْتُنَا عَنْ كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا مُحَاطِبًا لَنَا بِهِ وَكَيْفَ فَهِمْنَا
عنه وَكَيْفَ عَمَلْنَا بِهِ وَهَلْ أَجَلَلْنَاهُ وَرَهْبْنَاهُ وَهَلْ قَمْنَا بِحَقِّهِ الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ
وَجَانِبْنَا مَا نَهَانَا عَنْهُ .

أَلَمْ تَسْمَعْ مَسَائِلَهُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَمِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا أَقَامَ عَلَيْهِمْ بِهِ
الْحُجَّةَ فِي الدُّنْيَا مِنْ تِلَاوَةِ آيَاتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ رُسُلِهِ وَأَنَّهُ قَطَعَ بِذَلِكَ عُذْرَهُمْ
وَأَدْحَضَ بِهِ حُجَّتَهُمْ .

فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا يَوْمَ الْعَرْضِ ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رَسُولٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمٍ هَذَا ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا
﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ
يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ
فِيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خُسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ انتهى باختصار وتصرف يسير .

شعرا :

يَارَبِّ إِنْ عَظَمَنْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَرْجُو وَيَدْعُو الْمُجْرِمُ
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعاً فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَالِي إِلَيْكَ وَسَيْلَةَ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ لِئِي مُسْلِمُ

اللَّهُمَّ رَعْبْنَا فِيمَا بَيَّنَّقَى ، وَزَهْدُنَا فِيمَا يَفْنَى ، وَهَبْ لَنَا الْيَقِينَ الَّذِي
لَا تَسْكُنُ النَّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُعَوَّلُ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ
الَّذِي لَا يُرَامُ وَمُلْكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ أَنْ تَكْفِينَا
شَرَّ مَا أَهَمَّنَا وَمَا لَا نَهْتَمُّ بِهِ وَأَنْ تُعِينَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ،

اللَّهُمَّ يَا عَلِيمُ يَا حَلِيمُ يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْعَطَا وَالْعِزِّ وَالْكَبْرِيَا يَا مَنْ تَعْنُوا لَهُ الْوُجُوهُ وَتَخْشَعُ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

٤ - مَا وَرَدَ فِي اسْتِحْبَابِ تَرْتِيلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

وَيُسْتَحَبُّ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يُرْتَلَ قِرَاءَتُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَرَتَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ .

وَبَيَّنَتْ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا تَنَعَتْ قِرَاءَةَ مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا . رواه أبو داود ، والنسائي ، والترمذي .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله

ﷺ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَقْرَأُ وَرَتَّلُ كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ مَنَزَلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا » . رواه أحمد ، والترمذي وأبو داود والنسائي .

وعن قتادة قال : سئل أنس ، كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه

وسلم ؟ فقال : كانت مداً مداً ، ثم قرأ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ يَمْدُ بِ ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ ﴿ وَيَمْدُ بِ ﴾ ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ ﴿ وَيَمْدُ بِ ﴾ ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ . رواه البخاري .

وعن معاوية بن قرة عن عبد الله بن مغفل ، قال : رأيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته ، رواه البخاري ومسلم .

وقد روى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام ليلة بآية

يُرَدِّدُهَا : ﴿ إِنَّ تَعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ وَقَامَ تَمِيمُ الدَّارِي بَابِيَةَ ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ إِنِّي لِأَقِيمُ فِي الْآيَةِ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسَ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ نَهَاراً غُفِرَ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَمَنْ خَتَمَهُ لَيْلاً غُفِرَ لَهُ تِلْكَ اللَّيْلُ وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ : مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي أَيِّ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ كَانَتْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُمِيسِيَ أَوْ أَيِّ سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ كَانَتْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُصْبِحُ .

اللَّهُمَّ تَوَرَّ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَعِنَّا عَلَى أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَأَيْسُهُ مِنَّا كَمَا أَيْسَتْهُ مِنْ رَحْمَتِكَ يَا رَحْمَانُ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«مَوْعِظَةٌ» : قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : عَشْرَةُ أَشْيَاءَ ضَائِعَةٌ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا : عِلْمٌ لَا يُعْمَلُ بِهِ ، وَعَمَلٌ لَا إِخْلَاصَ فِيهِ وَلَا اقْتِدَاءً فِيهِ بَكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ فَإِنَّهُ لَا يُوفِّقُ لَهُمَا إِذَا لَمْ يُخْلِصِ الْعَمَلَ ، وَمَالٌ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ فَلَا يَسْتَمْتِعُ بِهِ جَامِعُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يُقَدِّمُهُ أَمَامَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَقَلْبٌ فَارِغٌ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ ، وَبَدَنٌ مُعْطَلٌّ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَخِدْمَتِهِ ، وَمَحَبَّةٌ لَا تَتَّقِيْدُ بِرِضَا الْمُحِبُّوبِ وَامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ .

وَوَقْتُ مُعْطَلٌّ مِنْ اسْتِدْرَاكِ فَارِطٍ وَاعْتِنَامٍ بِرِ وَقَرِيَّةٍ ، وَفِكْرٌ يَجُولُ فِيهَا لَا يَنْفَعُ وَخِدْمَةٌ مِنْ لَا يُقَرِّبُكَ خِدْمَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَعُودُ عَلَيْكَ بِصَلَاحِ دُنْيَاكَ وَخَوْفُكَ وَرَجَاؤُكَ مِمَّنْ نَاصِبَتُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَهُوَ أُسِيرٌ فِي قَبْضَتِهِ وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً وَلَا مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً .

وَأَعْظَمُ هَذِهِ الْإِضَاعَاتِ إِضَاعَةُ الْقَلْبِ وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ فَإِضَاعَةُ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ مِنْ إِثَارِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ مِنْ طُولِ

الْأَمَلِ فَاجْتَمَعَ الْفَسَادُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى وَطُولِ الْأَمَلِ وَالصَّلَاحُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الْهُدَى وَالِاسْتِعْدَادِ لِلِقَاءِ اللَّهِ .

إلى أن قالَ ولِلَّهِ عَلَى عَبْدِهِ أَمْرٌ أَمْرَةٌ بِهِ وَقَضَاءٌ يَقْضِيهِ عَلَيْهِ وَنِعْمٌ يُنْعَمُ بِهَا عَلَيْهِ فَلَا يَنْفَكُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَالْقَضَاءُ نَوْعَانِ إِمَّا مَصَائِبٌ وَإِمَّا مَعَائِبٌ وَلَهُ عَلَيْهِ عُبُودِيَّةٌ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ كُلِّهَا فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ مَنْ عَرَفَ عُبُودِيَّتَهُ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ كُلِّهَا وَوَقَّاهَا حَقَّهَا فَهَذَا أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ مَنْ جَهَلَ عُبُودِيَّتَهُ فَعَطَّلَهَا عِلْمًا وَعَمَلًا .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْآخِرَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَوَقِّفْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالْإِنَابَةِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثَبِّتِ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ ، وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

٥ - مَا وَرَدَ فِي عِظَمِ فَضْلِ بَعْضِ السُّورِ :

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه قال - قال رسول الله ﷺ : « أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالُوا وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » رواه مسلم .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « لم

يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ « رواه الترمذي وأبو داود والدرامي .
 وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ آيَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ » قَالُوا وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ آيَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : « أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ الْهَآكُمُ التَّكَآثُرَ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - « وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ . . . » الْحَدِيثَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ « لَا تَنْثَرُوهُ نَثْرَ الرَّمْلِ وَلَا تَهْدُوهُ هَذَا الشَّعْرَ قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدُكُمْ آخِرَ السُّورَةِ » رَوَاهُ الْبَغْوِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « لِأَنَّ أَقْرَأَ سُورَةَ أُرْتِلَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ » وَقَدْ نَهِيَ عَنِ الْأَفْرَاطِ فِي الْأَسْرَاعِ وَيُسَمَّى « الْهَذْرَمَةَ » ، فَثَبَّتَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ : أَقْرَأُ الْمُفْصَلَ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : كَهَذَا الشَّعْرِ ، إِنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَافِيهِمْ ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ نَفَعٌ « رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا أُرِدْتَ الْأَنْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ وَأَلْقِ سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطَبُهُ بِهِ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْهُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ خَطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ وَذَلِكَ أَنْ تَمَامَ التَّأثيرِ لَمَّا كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى مُؤَثِّرٍ مُقْتَضِيٍّ وَمَحَلِّ قَابِلٍ وَشَرْطِ لِحْصُولِ الأثرِ ائْتِفَاءً الْمَانِعِ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْهُ : تَضَمَّنَتْ الآيَةُ بَيَانِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَبْيَنِهِ عَلَى الْمَرَادِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ أَفْضَلَ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرَ
وَالدَّعَاءَ وَالصَّلَاةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ حَالِ الرَّجُلِ فَالْقِرَاءَةُ بِتَدَبُّرٍ
أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِلا تَدَبُّرٍ وَالصَّلَاةُ بِخُشُوعٍ وَحُضُورٍ قَلْبٍ أَفْضَلُ مِنَ
الصَّلَاةِ بِدُونِ ذَلِكَ .

٦ - اسْتِحْبَابُ تَحْسِينِ الصَّوْتِ فِي التَّلَاوَةِ :

يُسْتَحَبُّ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يُحَسِّنَ صَوْتَهُ بِالْقِرَاءَةِ ، لِأَنَّ تَحْسِينَ
الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ مُعِينٌ عَلَى حُضُورِ الْقَلْبِ وَخُشُوعِهِ وَبَاعِثٌ عَلَى حُسْنِ
الاسْتِجَاعِ وَالِاصْغَاءِ إِلَى الْقُرْآنِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَمَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ
وَيَجْهَرُ بِهِ » متفق عليه .

شِعْرًا : وَلَيْسَ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ كَانَ هَمُّهُ جَرَائِدُ يَقْرَاهَا وَتَلْفَازُ يَنْظُرُ
وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ كَانَ هَمُّهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَلِلْقَلْبِ يُحْظَرُ
آخِرُ : إِصْرَفْ هُمُومَكَ لِلْقُرْآنِ تَفْهَمَهُ وَاعْمَلْ بِهِ كَيْ تَنَالَ الْأَجْرَ وَالشَّرْفَا

قال جمهور العلماء : معنى (لم يتغن) ، أي لم يحسن صوته . وعن
البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « زينوا القرآن
بأصواتكم » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدرامي .

وعنه أيضا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « حسنوا القرآن
بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » رواه الدرامي .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري - رضي الله تعالى
عنه - قال رسول الله ﷺ لأبي موسى : « لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك

الْبَارِحَةَ ، لَقَدْ أُوتِيَتْ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » ، قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُرَادُ بِالْمِزْمَارِ هُنَا الصَّوْتُ الْحَسَنُ .

اللَّهُمَّ قَابِلُ سَيِّئَاتِنَا بِإِحْسَانِكَ ، وَاسْتُرْ خَطِيئَتِنَا بِغُفْرَانِكَ وَأَذْهَبْ ظُلْمَةَ ظُلْمِنَا بِنُورِ رِضْوَانِكَ ، وَاقْهَرِ عَدُوَّنَا بِعِزِّ سُلْطَانِكَ ، فَمَا تَعَوَّدْنَا مِنْكَ إِلَّا الْجَمِيلَ ، اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا مَسَلَكَ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ ، وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

٧ - يَنْبَغِي الْخُشُوعُ وَالْخَشْيَةُ وَالْبُكَاءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى :

وَيُسْتَحَبُّ الْبُكَاءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ صِفَةُ الْعَارِفِينَ وَشِعَارُ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْخَاشِعِينَ مِنْ عِبَادِهِ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ .

شِعْرًا : وَكُلُّ تِلَاوَةٍ فَتَمَلُّ إِلَّا كَلَامَ اللَّهِ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ

وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ الْمُكْرَمِينَ وَخَوَاصَّ الْمُرْسَلِينَ ، وَذَكَرَ فَضَائِلَهُمْ وَمَرَاتِبَهُمْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ (خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وَقَدْ وَرَدَتْ فِيهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ ، وَأَثَارٌ لِلسَّلَفِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اقرأوا القرآن وابتكروا ، فإن لم تبتكروا فتابكوا » وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ علي » قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟! قال : « فأني أحب أن أسمع من غيري » فقرأت من سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال : « حسبك الآن » ، فالتفت إليه فاذا عيناه تدرفان . متفق عليه .

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وفي صدره أزيز كآزيز المرجل من البكاء ، أخرجه الخمسة إلا ابن ماجه وصححه ابن حبان .

ولما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل له الصلاة ، فقال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » ، قالت عائشة إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء ، قال « مروه فليصل » رواه مسلم .

شِعْرًا: وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ مُحَافِظٍ
وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرَةً
آخِر: يُحْيِي اللَّيْلِي إِذَا الْمَعْرُورُ أَغْفَلَهَا
آخِر: إِذَا شَامَ الْفَتَى بَرَقَ الْمَعَالِي
آخِر: وَبَادِرِ اللَّيْلِ بِدَرْسِ الْعُلُومِ
عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَبِاللَّيْلِ قَوْمًا بِسَجْدٍ وَرَكْعَةٍ
كَأَنَّ شُهْبَ الدَّبَاجِي أَعْيُنُ نُجُلٍ
فَأَهْوَنُ فَائِتِ طَيْبِ الرَّقَادِ
فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارِ الْأَرِيْبِ

وَعَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ صَلَّى بِالْجَمَاعَةِ الصُّبْحَ ، فَقَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ فَبَكَى حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ كَانَ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ بَكَى حَتَّى سَمِعُوا بُكَاءَهُ مِنْ وَرَاءِ الصُّفُوفِ .

وَقَرَأَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالنَّاسِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَاللَّيْلُ إِذَا يَعِشَى فَلَمَّا بَلَغَ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْطَى حَنْقَتَهُ الْعَبْرَةُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْفُذَهَا فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا بَلَغَهَا حَنْقَتَهُ الْعَبْرَةُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْفُذَهَا فَقَرَأَ غَيْرَهَا .

وَيَسْبِغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَالِ الْعُلَمَاءِ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْدِرِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى التَّمِيمِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنْ مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ لِحَلِيقٍ أَنْ قَدْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يَنْفَعُهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَعَتَ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالَ : ﴿ وَيَخْرُونِ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ وَقَالَ ﷺ : « لَا يَلْجُ النَّارِ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ » الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَقَالَ ﷺ : « عَيْنَانِ لَا تَمَسَّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ أَنْ يَسْتَعِينَهُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّ أَوْ مِنَ الْعَذَابِ ، أَوْ يَقُولَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ » أَوْ يَقُولَ : « أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ » أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ تَنْزِيهِ نَزَّهَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ : « سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى » أَوْ « تَبَارَكَ وَتَعَالَى » أَوْ « جَلَّتْ عِظَمَةُ رَبِّنَا » ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ ، فَقَلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى ، فَقَلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى ، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ، يَقْرَأُ مُتْرَسِلًا إِذَا مَرَّ فِيهَا بِتَسْبِيحٍ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعُودٍ تَعُودُ ثُمَّ رَكَعَ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

« مَوْعِظَةٌ » : عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا تَعْظِيمَ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَذَلِكَ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ فَمَنْ اسْتَحَفَّ بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ آيَةٍ مِنْهُ أَوْ اسْتَحَفَّ بِرُسُلِهِ خَسِرَ كُلَّ الْخُسْرَانِ . عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الْغَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ نَجِدُ الْكُتُبَ

الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى التَّوْحِيدِ وَعَلَى الْآيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ
مُلَقَاتٍ مَعَ الْقَمَائِمِ فِي الْحُفْرِ الْقَدْرَةِ تُدَاسُ بِالنَّعَالِ وَتُلَوَّثُ بِالْأَقْدَارِ تُلَوَّثُ
تَلَوِيثًا تَسْتَعِيثُ مِنْهُ الْعَوَاطِفُ الْإِيمَانِيَّةُ أَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ لِمَاذَا لَا تُصَانُ
وَتُرْفَعُ أَوْ تُقَبَّرُ فِي مَحَلِّ طَاهِرٍ .

قُولُوا لِمَنْ يُلْقِيهَا وَلِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِمْ مِنَ الْقَائِلِهَا اتَّقُوا اللَّهَ هَذِهِ
حَالَةُ وَاللَّهِ تُوَلِّمُ النُّفُوسَ وَتُشْمِتُ بِنَا الْأَعْدَاءِ قُولُوا لَهُمْ كَيْفَ تَسْمَحُ
نُفُوسُكُمْ تُلْقُونَهَا هَذَا الْأَلْقَاءُ الْحَقِيرَ وَكَذَلِكَ كُتِبَ فِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا
آيَاتٌ وَلَا أَحَادِيثٌ يَنْبَغِي احْتِرَامُهَا وَرَفْعُهَا .

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَى بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي جُمِعَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ بِهَا
مَعَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَقَدْ تَكُونُ فَوْقَ
الْآيَةِ خُصُوصًا إِذَا أَطْبَقَ الْكِتَابُ وَهَذَا وَاللَّهُ اسْتِهَانَةٌ عَظِيمَةٌ وَاسْتِخْفَافٌ
بِالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْكِتَابِ الدِّينِيِّ لَا يَجُوزُ السَّكُوتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ
الْمُزْرِيَّةِ .

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ هُوَ عَدَمُ وَضْعِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فِي
الْجَرَائِدِ بَلْ يَشَارُ إِلَى مَحَلَّاتِهَا وَأَرْقَامِهَا لِأَنَّ الْجَرَائِدَ صَارَتْ قِسْمٌ كَبِيرٌ مِنْ
قِمَامَةِ الْمَحَلَّاتِ وَفِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَهَذِهِ حَالَةٌ مُخِيفَةٌ إِنْ دَامَتْ مَعَ
مَا انْتَشَرَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَعَاصِيِ الَّتِي مَلَأَتِ الْبِرُّ وَالْبَحْرُ يُخْشَى أَنْ
تُحِيطَ بِهِمْ عُقُوبَتُهَا .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُنَجِّنَنَا مِنْ عُقُوبَتِهَا وَأَنْ يُوقِضَ وَلَا تَنَا وَبِنَبَهُمْ لِإِزَالَتِهَا
وَنَظْهِيرِ الْأَرْضِ مِنْهَا إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَرَى مَخْلَصًا لِلنَّاسِ الَّذِي
قَدْ ابْتُلِيَ بِشِرَاءِ الْجَرِيدَةِ حَمَالَةَ الْكَذِبِ قَتَالَةَ الْوَقْتِ إِلَّا أَنَّهُ يُحْرِقُهَا مِنْ
جِبِنٍ يَخْلُصُ مِنْ قِرَاءَتِهَا لِيَسْلَمَ مِنْ بَاقِي سُرُورِهَا وَأَوْزَارِهَا .

وَسَوْفَ يُنَاقَشُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي ضَيَّعَهُ فِيهَا وَالْمَالُ
الَّذِي أَنْفَقَهُ فِيهَا وَمَا حَصَلَ بِسَبَبِهِ عَلَى الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا مَنْ
الاسْتِيْهَانَةَ وَالْإِمْتِهَانَ وَخَرَجَ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْمَحَلِّ الَّتِي وَضَعَهَا فِيهِ إِذَا كَانَ
فِيهَا صُورَ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ حَيْثُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا :

أَلَا إِرْعَوَاءَ لِمَنْ كَانَتْ إِقَامَتُهُ
عِنْدَ الْمَذَائِبِ وَالتَّلْفَازِ وَالطَّرِبِ
مُضَيِّعًا فِيهَا عُمْرًا مَا لَهُ عِوَضٌ
إِذَا تَصَرَّمَ وَقْتُ مِنْهُ لَمْ يَوْبِ
أَيْحَسِبُ الْعُمَرَ مَرْدُودًا تَصَرَّمَهُ
هَيْهَاتَ أَنْ يَرْجِعَ الْمَاضِي مِنَ الْحَقْبِ
أَمْ يَحْسِبُ الْعُمَرَ مَا وَلَّتْ أَوَائِلُهُ
يُنَالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْعُمْرِ بِالذَّهَبِ
فَبَادِرِ الْعُمَرَ قَبْلَ الْفَوْتِ مُغْتَنِمًا
مَا دُمْتَ حَيًّا فَإِنَّ الْمَوْتَ فِي الطَّلَبِ
وَأَحْرِضْ وَبَادِرْ إِذَا مَا أَمَكَنْتَ فُرْصَ
فِي كَسْبِ مَا تُحَمَّدُنْ عُقْبَاهُ عَنْ رَغْبِ
مِنْ نَفْعِ ذِي فَاقِهِ أَوْ غَوْثِ ذِي لَهْفِ
أَوْ فِعْلِ بَرٍّ وَإِصْلَاحِ لِيذِي شَغْبِ
فَالْعُمْرُ مُنْصَرِّمٌ وَالْوَقْتُ مُغْتَنَّمٌ
وَالدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ فَاجْهَدْ بِهِ نَصْبِ

فاعْمَلْ بِقَوْلِي وَلَا تَجْنَحْ إِلَى فِئْتِ
 مُخَادِعِ مُدْعٍ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
 يَرَى السَّعَادَةَ فِي كَسْبِ الْحُطَامِ وَلَوْ
 حَوَاهُ مَعَ نَصَبٍ مِنْ سُوءِ مُكْتَسَبِ
 فَالرَّأْيُ مَا قُلْتُهُ فاعْمَلْ بِهِ عَجَلًا
 وَلَا تُصَيِّخْ نَحْوَ فِئْتِ غَيْرِ ذِي حَدَبِ
 فَغَفْلَةُ الرَّءِ مَعَ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
 عَنْ وَاضِحٍ بَيِّنٍ مِنْ أُعْجَبِ الْعَجَبِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا، وَارْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ وَأَصْفِيَائِكَ
 وَاجْمَعْنَا وَإِيَّاهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ
 اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَّفْتَ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
 مُتَّفَعِينَ، وَإِلَى لَذِيذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ، وَإِلْوَامِرِهِ وَتَوَاهِيهِ خَاضِعِينَ وَبِالْأَعْمَالِ
 مَخْلِصِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» : وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، يَتَّبِعِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَفَضَّلَهُ
 عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَحْمِلْهُ.

وَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ اللَّهِ وَخَاصَّتِهِ .
 وَمَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
 وَمَنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلْوَاتِهِ ﴾ ، قِيلَ يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ
 الْعَمَلِ ﴿ .

وَمَنْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ

البرّة والذي يقرأ القرآن وهو يتتبع فيه وهو عليه شاقُّ له أجران » رواه البخاري .

وقال بشرُّ بن الحارث الزاهد المعروف سمعتُ عيسى بن يونس يقولُ إذا ختم العبدُ القرآنَ قبلَ الملكِ بينَ عينيه .

فينبغي للإنسان الموفق أن يجعل القرآن كلام رب العزة والجلال ربيعاً لقلبه ، يعمرُ به ما خرب من قلبه ، يحرصُ كلَّ الحرصِ على تلاوته وتفهمه والعمل به .

فيتأدبُ بآدابه ، ويتخلقُ بأخلاق شريفة ، يتميزُ بها عن سائر الناس ممن لا يقرؤون القرآن .

فأول ما ينبغي أن يستعمل تقوى الله في السر والعلانية باستعمال الورع في مطعمه ، ومشربه ، وملبسه ، ومسكنه ، ومعاملته ، وبيعه ، وشرائه .

وأن يكون بصيراً بزمانه وفساد أهله ، فيحذرهم على دينه ، مقبلاً على شأنه مهتماً بإصلاح ما فسد من أمره ، حافظاً للسانه ، مميّزاً لكلامه .

إن تكلمت تكلم بعلم إذا رأى الكلام صواباً يخاف من لسانه أشدَّ مما يخاف من عدوه قال عليه السلام « من يضمن لي ما بين لحيته وما بين رجله أضمن له الجنة » .

وقال عليه السلام « من وقى شرَّ قلبه ودبذبه ولقلقه فقد وجبت له الجنة » أخرجہ الديلمي من حديث أنس رضي الله عنه .

القببُ البطن ، والدبذبُ الفرج ، واللقلقُ اللسان . وأن يكون قليل الضحك مما يضحك منه الناس لسوء عاقبة الضحك ، فإن سرَّ بشيءٍ مما يوافق الحق تبسم .

ويتجنبُ كثرة المزاح « لأنه في الغالب للعداوة مفتاح » فإن مزح قال « حقاً ،

باسط الوجه طيب الكلام لا يمدح نفسه بما فيه فكيف بما ليس فيه » .

وما حَسَنٌ أَنْ يَمْدَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَكِنَّ أَخْلَاقًا تَذُمُّ وَتَمْدَحُ
آخر: « وَدَعْوَةُ الْمَرْءِ تُطْفِئُ نُورَ بَهْجَتِهِ هَذَا بِحَقِّ فَكَيْفَ الْمُدَّعِي زَلَلًا »
وَأَنْ يَحْذَرَ نَفْسَهُ أَنْ تَغْلِبَهُ عَلَى مَا تَهْوَى مِمَّا يُسْخِطُ مَوْلَاهُ .

وَلَا يَغْتَابُ أَحَدًا ، وَلَا يَحْقِرُ أَحَدًا ، وَلَا يُسِبُّ أَحَدًا ، وَلَا يَشْمُتُ
بِمُصِيبَةٍ ، وَلَا يَبْغِي عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَحْسِدُ أَحَدًا ، وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ إِلَّا بِمَنْ
يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ .

وَيَجْعَلُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْفِقْهَ فِيهِمَا دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ ،
وَأَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِحَوَارِجِهِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

إِنْ مَشَى بِعِلْمٍ وَإِنْ قَعَدَ بِعِلْمٍ حَافِظًا لِللسَانَةِ وَيَدُهُ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ ، وَلَا
يَجْهَلُ فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلْمٌ .

وَلَا يَظْلِمُ وَإِنْ ظَلَمَ سَفَا عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ وَلَا
يَبْغِي وَإِنْ بَغِيَ عَلَيْهِ صَبْرٌ ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ لِيَرْضَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَيَغِيظُ عَدُوَّهُ
الَّذِي لَا يَأْلُو جُهْدًا فِي السَّعْيِ فِي هَلَاكِهِ » .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُكْفِفِنَا
مَا أَهَمَّنَا وَمَا لَا نَهْتَمُّ بِهِ ، وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَامَنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ
الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا بِحُسْنِ الْأَقْبَالِ عَلَيْكَ
وَالِإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ
الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَائِكَ
وَالشُّكْرَ لِنِعْمَائِكَ ، اللَّهُمَّ نُورَ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبَّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفَنًا مُسْلِمِينَ وَالْحِقْنَ بِعِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»: وقال رَحِمَهُ اللهُ وَأَنْ يَكُونَ «أَيَّ مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَحْمِلْهُ» مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِهِ إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبْلَهُ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يَطْلُبُ الرَّفْعَةَ مِنَ اللهِ لَا مِنَ الْخُلُوقِ .

مَا قَتَ لِلْكَبْرِ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ ، لَا يَتَأَكَّلُ بِالْقُرْآنِ وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَقْضِي بِهِ الْحَوَائِجَ .

وَلَا يَسْعَى إِلَى أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، وَلَا يُجَالِسُ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ لِيُكْرِمُوهُ .
إِنْ كَسَبَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ بِلَا فِقْهِ وَلَا بِصِيْرَةٍ كَسَبَ هُوَ الْقَلِيلَ بِفِقْهِ وَعِلْمٍ .

إِنْ لَبَسَ النَّاسُ اللَّيْنَ الْفَاخِرَ لَبَسَ هُوَ مِنَ الْحَلَالِ مَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ ،
إِنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ .
يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ فِيكَفِيهِ ، وَيَحْذَرُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُطْغِيهِ ، يَتَّبِعُ وَاجِبَاتِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ .

يَأْكُلُ الطَّعَامَ بِعِلْمٍ ، وَيَشْرَبُ بِعِلْمٍ ، وَيَلْبَسُ بِعِلْمٍ ، وَيُجَامِعُ أَهْلَهُ بِعِلْمٍ ، وَيَضْطَحِبُ الْإِخْوَانَ بِعِلْمٍ ، وَيَزُورُهُمْ بِعِلْمٍ ، وَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ ، وَيُجَاوِزُ جَارَهُ بِعِلْمٍ .
يُلْزِمُ نَفْسَهُ بَرًّا وَالِدِيهِ فَيُخَفِّضُ لَهَا جَنَاحَهُ ، وَيُخَفِّضُ لَصَوْتِهَا صَوْتَهُ ، وَيَبْذُلُ لَهَا مَالَهُ ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ وَالْوَقَارِ ، يَدْعُو لَهَا بِالرَّحْمَةِ وَالْبَقَاءِ وَيَشْكُرُ لَهَا عِنْدَ الْكِبَرِ ، وَلَا يَضْجُرُ مِنْهَا ، وَلَا يَحْقِرُهَا .

إِنْ اسْتَعَانَا بِهِ عَلَى مَعْصِيَةٍ لَمْ يُطْعَمْهَا لِقَوْلِهِ ﷺ « لَا طَاعَةَ لِخُلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .

وَإِنْ اسْتَعَانَا بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ أَعَانَهَا وَيَرْفُقُ بِهَا فِي مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُمَا حَيْثُ لَمْ يُعْنَمَا عَلَى الْمَعْصِيَةِ .

وَيَكُونُ ذَلِكَ بِحُسْنِ الْأَدَبِ لِيَرْجِعَا عَنْ قَبِيحٍ مَا أَرَادَ مِمَّا لَا يَحْسُنُ بِهِمَا فَعَلَهُ .

وَيَصِلُ رَحْمَهُ ، وَيَكْرَهُ الْقَطِيعَةَ ، وَمَنْ قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فِيهِ أَطَاعَ اللَّهَ فِيهِ ، يَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِلْمٍ ، وَيُجَالِسُهُمْ بِعِلْمٍ ، وَمَنْ صَحِبَهُ نَفَعَهُ .

حَسَنُ الْمَجَالِسَةِ لِمَنْ جَالَسَ ، إِنْ عَلِمَ غَيْرَهُ رَفَقَ بِهِ ، وَلَا يُعَنِّفُ مَنْ أَخْطَأَ وَلَا يُجْجَلُهُ .

رَفِيقٌ فِي أُمُورِهِ صَبُورٌ عَلَى تَعْلِيمِ الْخَيْرِ ، يَأْنَسُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ ، وَيَفْرَحُ بِهِ الْمَجَالِسُ ، مَجَالِسَتُهُ تُفِيدُ خَيْرًا .

مُؤَدِّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بِآدَابِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ إِنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ ، فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مُؤَدِّبَانِ لَهُ .

يُحْزَنُ بِعِلْمٍ وَيَبْكِي بِعِلْمٍ ، وَيَتَصَدَّقُ بِعِلْمٍ ، وَيَصُومُ بِعِلْمٍ ، وَيَحْجُ بِعِلْمٍ ، وَيُجَاهِدُ بِعِلْمٍ .

وَيَكْتَسِبُ بِعِلْمٍ ، وَيُنْفِقُ بِعِلْمٍ ، وَيَنْبَسِطُ فِي الْأُمُورِ بِعِلْمٍ ، وَيَنْقَبِضُ عَنْهَا بِعِلْمٍ .

قَدْ أَدَبَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ يَتَصَفَّحُ الْقُرْآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَلَا يَرْضَى مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِجَهْلِ .

قَدْ جَعَلَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ فَبِحُضُورِ فَهْمٍ وَعَقْلٍ .

هَمَّتْهُ إِيقَاعُ الْفَهْمِ لِمَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ وَالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى .
لَيْسَ هَمَّتْهُ مَتَى أُخْتِمَ السُّورَةُ ، هَمَّتْهُ مَتَى أَسْتَغْنِي بِاللَّهِ عَنْ غَيْرِهِ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ .

مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْخَاشِعِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّابِرِينَ .

مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّادِقِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْخَائِفِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ
الرَّاجِينَ ، مَتَى أَرْهَدُ فِي الدُّنْيَا ، مَتَى أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ .
مَتَى أَتُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ ، مَتَى أَعْرِفُ النِّعَمَ الْمُتَوَاتِرَةَ ، مَتَى أَشْكُرُ اللَّهَ
عَلَيْهَا ، مَتَى أَحْفَظُ لِسَانِي .

مَتَى أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، مَتَى أَشْتَغِلُ بِعَيْبِي ، مَتَى أَصْلِحُ مَا
فَسَدَ مِنْ أَمْرِي ، مَتَى أَحَاسِبُ نَفْسِي .

مَتَى أَتَزَوَّدُ لِيَوْمِ مَعَادِي ، مَتَى أَكُونُ عَنِ اللَّهِ رَاضِيًا ، مَتَى أَكُونُ بِلِقَائِهِ
وَاثِقًا ، مَتَى أَكُونُ بَزَجْرِ الْقُرْآنِ مُتَعِضًا ، مَتَى أَنْصَحُ لِلَّهِ .

مَتَى أَخْلِصُ لَهُ عَمَلِي ، مَتَى أَقْصِرُ أَمَلِي ، مَتَى أَتَاهَبُ لِيَوْمِ مَوْتِي وَقَدْ
غَيْبَ عَنِّي أَجَلِي .

مَتَى أَعْمُرُ قَبْرِي ، مَتَى أَفَكِّرُ فِي الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ ، مَتَى أَفَكِّرُ فِي خَلْوَتِي
مَعَ رَبِّي .

مَتَى أَحْذَرِمَا حَذَرَنِي مِنْهُ رَبِّي مِنْ نَارِ حَرِّهَا شَدِيدًا وَقَعْرُهَا بَعِيدًا لَا يَمُوتُ
أَهْلُهَا فَيَسْتَرْجِعُ وَلَا تُقَالُ عَشْرَتُهُمْ ، وَلَا تُرْحَمُ عِبْرَتُهُمْ .

طَعَامُهُمُ الرِّقُومُ وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الرِّقُومِ طَعَامُ
الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبَطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ وَقَالَ ﴿ كَلِمًا نَضَجَتْ
جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاكُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ الْآيَةَ .

نَدِمُوا حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ وَعَضُّوا عَلَى الْأَيْدِي أَسْفًا عَلَى تَقْصِيرِهِمْ فِي
طَاعَةِ اللَّهِ وَرُكُوبِهِمْ لِمَعَاصِي اللَّهِ .

فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ « يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي » ، وَقَالَ قَائِلٌ « رَبِّ ارْجِعُونِ
لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » .

وَقَالَ قَائِلٌ « يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ » .
وَقَالَ قَائِلٌ « يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَحْصَاهَا » .

وقال قائل « يا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا » .

شعرا :

أَمَا سَمِعْتَ بِأَكْبَادِ لَهُمْ صَعَدَتْ خَوْفًا مِنَ النَّارِ فَانْحَطَّتْ إِلَى النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِضَيْقِ فِي مَكَانِهِمْ وَلَا فِرَارَ لَهُمْ مِنْ صَالِي النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِحَيَاتِ تَدْبُّ بِهَا إِلَيْهِمْ خُلِقَتْ مِنْ مَارِجِ النَّارِ
فِي إلهي بِأَحْكَامٍ وَمَا سَبَقَتْ بِهِ قَدِيمًا مِنَ الْجَنَاتِ وَالنَّارِ
أَدْعُوكَ أَنْ تُحْمِي الْعَبْدَ الضَّعِيفَ فَمَا لِلْعَبْدِ مِنْ جَسَدٍ يَقْوَى عَلَى النَّارِ
وَالشَّمْسُ مَا لِي عَلَيْهَا قَطُّ مِنْ جَلْدٍ فَكَيْفَ يَصْبِرُ دُو ضَعْفٍ عَلَى النَّارِ

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ
لِلْبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَى وَيَا مُنْجِي
الْهَلْكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ
عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«فصل» : وقال رحمه الله تعالى فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لِلدُّنْيَا ، فَإِنَّ مِنْ
أَخْلَاقِهِ أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِحُرُوفِ الْقُرْآنِ مُضِيعًا لِحُدُودِهِ ، مُتَعَطِّمًا فِي نَفْسِهِ
مُتَكَبِّرًا عَلَى غَيْرِهِ .

قَدْ اتَّخَذَ الْقُرْآنَ بَضَاعَةً يَتَأَكَّلُ بِهِ الْأَغْنِيَاءُ ، وَيَسْتَقِضِي بِهِ الْحَوَائِجُ ،
يُعْظِمُ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا ، وَيُخْفِرُ الْفُقَرَاءَ .
إِنْ عَلَّمَ الْغَنِيَّ رَفَقَ بِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُ ، وَإِنْ عَلَّمَ الْفَقِيرَ رَجَرَهُ وَعَنَقَهُ لِأَنَّهُ
لَا دُنْيَا لَهُ يَطْمَعُ فِيهَا .

يَسْتَحْدُمُ بِهِ الْفُقَرَاءَ ، وَيَتِيَهُ بِهِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ إِنْ كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ
أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ لِلْمَلُوكِ وَيُصَلِّيَ بِهِمْ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُمْ .
وَإِنْ سَأَلَهُ الْفُقَرَاءُ الصَّلَاةَ بِهِمْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ لِقَلَّةِ الدُّنْيَا فِي أَيْدِيهِمْ ،
وَإِنَّمَا طَلِبُهُ الدُّنْيَا حَيْثُ كَانَتْ رِبْضُ عِنْدَهَا .

يَفْخَرُ عَلَى النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَيَحْتَجُّ عَلَى مَنْ دُونَهُ فِي الْحِفْظِ بِفَضْلِ مَا
مَعَهُ مِنَ الْقِرَاءَاتِ .

فَرَأَاهُ تَائِهًا مُتَكَبِّرًا كَثِيرَ الْكَلَامِ يَعْيبُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ كَحِفْظِهِ .
وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَحْفَظُ كَحِفْظِهِ طَلَبَ عَيْبَهُ ، مُتَكَبِّرًا فِي جَلْسَتِهِ ، مُتَعَاظِمًا
فِي تَعْلِيمِهِ لِغَيْرِهِ ، لَيْسَ لِلْخُشُوعِ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ ، كَثِيرَ الضَّحِكِ وَالخَوْضِ
فِيهَا لَا يَعْينُهُ .

يَسْتَغْلُ عَمَّنْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ بِحَدِيثٍ مَنْ جَالَسَهُ .
هُوَ إِلَى اسْتِمَاعِ حَدِيثِ جَلِيسِهِ أَصْغَى مِنْهُ إِلَى اسْتِمَاعِ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ
أَنْ يَسْتَمَعَ لَهُ .

يُورِي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِعْ حَافِظًا فَهُوَ إِلَى كَلَامِ النَّاسِ أَشْهَى مِنْهُ إِلَى كَلَامِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

لَا يَخْشَعُ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ ، وَلَا يَبْكِي وَلَا يَحْزَنُ وَلَا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْفِكْرِ
فِيهَا يُتَلَّى عَلَيْهِ وَقَدْ نَدَبَ إِلَى ذَلِكَ .

رَاغِبٌ فِي الدُّنْيَا وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا لَهَا يَغْضَبُ وَيَرْضَى إِنْ قَصَرَ رَجُلٌ فِي حَقِّهِ
قَالَ أَهْلَ الْقُرْآنِ لَا يَقْصُرُ فِي حُقُوقِهِمْ وَأَهْلَ الْقُرْآنِ تُقْضَى حَوَائِجُهُمْ .

يَسْتَقْضِي مِنَ النَّاسِ حَقَّ نَفْسِهِ وَلَا يَسْتَقْضِي مِنْ نَفْسِهِ مَا لِلَّهِ عَلَيْهَا .
يَغْضَبُ عَلَى غَيْرِهِ وَلَا يَغْضَبُ عَلَى نَفْسِهِ لِلَّهِ .

لَا يُبَالِي مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ مِنْ حَلَالٍ قَدْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي
قَلْبِهِ إِنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنْهَا لَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ حَزَنَ عَلَى فَوْتِهِ .

لا يَتَادَّبُ بآدَابِ الْقُرْآنِ وَلَا يَزْجُرُ نَفْسَهُ عَنِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ لِأَنَّهُ غَافِلٌ عَمَّا
يَتْلُو أَوْ يُتْلَى عَلَيْهِ .

هُمَّتُهُ حَفْظُ الْحُرُوفِ إِنْ أَخْطَأَ فِي حَرْفٍ سَاءَهُ ذَلِكَ لِئَلَّا يَنْقُصَ جَاهُهُ عِنْدَ
الْمَخْلُوقِينَ فَتَنْقُصُ رُبَّتُهُ عِنْدَهُمْ .

فَتَرَاهُ مَحْزُونًا مَغْمُومًا بِذَلِكَ وَمَا قَدْ ضَيَّعَهُ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
فِي الْقُرْآنِ أَوْ نَهَى عَنْهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ .

أَخْلَاقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَخْلَاقُ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَا يَأْخُذُ
نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ إِذَا سَمِعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

فَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ طَلَبَ الْعِلْمِ لِمَعْرِفَةِ مَا نَهَى عَنْهُ
النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْتَهِي عَنْهُ إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

فَأَمَّا الْعَاقِلُ إِذَا تَلَّى الْقُرْآنَ اسْتَعْرَضَ الْقُرْآنَ فَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَرَى بِهَا مَا
حَسُنَ مِنْ فِعْلِهِ وَمَا قُبِحَ مِنْهُ .

فَمَا حَذَرَهُ مَوْلَاهُ حَذَرَهُ وَمَا خَوَّفَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ خَافَهُ وَمَا رَغِبَهُ فِيهِ مَوْلَاهُ
رَغِبَ فِيهِ وَرَجَاهُ .

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ فَقَدْ تَلَاهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ
وَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شَاهِدًا وَشَفِيعًا وَأَنْيسًا وَحِرْزًا .

وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفُهُ نَفَعَ نَفْسَهُ وَنَفَعَ أَهْلَهُ وَعَادَ عَلَى وَالِدَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ
كُلَّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ انْتَهَى كَلَامُهُ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

فَطُوبَى لِمَنْ أَرْضَى الْإِلَهَ مُسَارِعًا إِلَى سُبُلِ تَهْدِيهِ لِلرَّحَلَةِ الْأُخْرَى
وَقَامَ وَصَلَّى فِي الدِّيَاغِيِّ وَدَمَعُهُ عَلَى خَدِّهِ تَجْرِي بِمُقْلَتِهِ الْعَبْرَا
وَأَحْلَصَ لِلَّهِ الْعَظِيمِ قِيَامَهُ وَرَاقِبَهُ سِرًّا وَرَاقِبَهُ جَهْرًا
وَأَحْيَا لِيَالِي عُمُرِهِ بِقِيَامِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي اللَّيْلِ وَامْتَثَلَ الْأَمْرَا

فذاك بِحَمْدِ اللَّهِ فِي طَيْبِ عَيْشَةٍ يَفُوزُ بِهَا صَوْمًا وَيُحْظَى بِهَا فِطْرًا
اللَّهُمَّ قَابِلِ سَيِّئَاتِنَا بِإِحْسَانِكَ ، وَاسْتُرْ خَطِيئَتِنَا بِغُفْرَانِكَ ، وَأَذْهَبْ ظُلْمَةَ ظُلْمِنَا
بِنُورِ رِضْوَانِكَ ، وَاقْهَرِ عَدُوَّنَا بِعِزِّ سُلْطَانِكَ ، فَمَا تَعَوَّدْنَا مِنْكَ إِلَّا الْجَمِيلَ ، وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصَلِّ : ٨ - مَا وَرَدَ فِي تَعَاهُدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالتَّرْهيبِ مِنْ نِسْيَانِهِ ،
وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ :

يُسَنُّ خْتَمُهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « وَقَرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى
ذَلِكَ » متفق عليه .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ - رَجَمَهُمَا اللَّهُ - كَانَ أَبِي يَخْتِمُ
الْقُرْآنَ فِي النَّهَارِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ ، يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ سُبْعًا لَا يَكَادُ يَتْرَكُهُ نَظْرًا
لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - :
« وَقَرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ » ، وَأَنْ قَرَأَ فِي ثَلَاثٍ فَحَسَنٌ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي قُوَّةً ، قَالَ :
« اقْرَأْ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَلَا بَأْسَ فِيمَا دُونَهَا أَحْيَانًا ، وَفِي
الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ كَرَمَضانَ ، خُصُوصًا اللَّيَالِيِ الَّتِي تُطَلَّبُ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ .

وَيَنْبَغِي لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يَتَّعِدَهُ بِالْحِفْظِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَى تَلَاوَتِهِ ،
وَلِيَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ هِجْرَانِهِ وَتَرْكِ التَّعَهُدِ لَهُ ، فَيَتَعَرَّضَ بِذَلِكَ لِنِسْيَانِهِ
وَتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَجَمَهُ اللَّهُ : هَجْرُ الْقُرْآنِ أَنْوَاعٌ :

أَحَدُهُمَا : هَجْرُ سَمَاعِهِ ، وَالْإِيمَانِ بِهِ ، وَالْإِضْغَاءِ إِلَيْهِ .
وَالثَّانِي : هَجْرُ الْعَمَلِ بِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، وَإِنْ قَرَأَهُ
وَأَمَنَ بِهِ .

شعرا : لَا شَيْءَ مِثْلَ كَلَامِ اللَّهِ يُحْفَظُهُ حِفْظًا قَوِيًّا وَتَعْمَلُ فِيهِ مُجْتَهِدًا
وَالثَّلَاثُ : هَجْرُ تَحْكِيمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ
وَاعْتِقَادِ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ الْيَقِينَ وَأَنَّ أَدَلَّتَهُ لَفْظِيَّةٌ لَا تُحْصَلُ الْعِلْمَ .

وَالرَّابِعُ : هَجْرُ الْاسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِهِ فِي جَمِيعِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ
وَأَدْوَائِهَا ، فَيَطْلُبُ شِفَاءَ دَائِهِ مِنْ غَيْرِهِ وَنَهْجُرُ التَّدَاوِي بِهِ .
وَالخَامِسُ : هَجْرُ تَدْبِيرِهِ وَتَفْهِيمِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ مِنْهُ .

وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا مُسْتَلْقِيًا عَلَى قَفَاهُ ، وَرَجُلًا قَائِمًا بِيَدِهِ
فَهَرُّ أَوْ صَخْرَةً فَيَشْدُخُ بِهَا رَأْسَهُ : فَيَتَدَهَّدُهُ ، فَأَذَا ذَهَبَ لِيَأْخُذَهُ عَادَ رَأْسَهُ
كَمَا كَانَ فَيَصْنَعُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : رَجُلٌ أَتَاهُ اللَّهُ
الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ بِالنَّهَارِ ، فَهَوَّ يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامِ .

وَفِي حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ مَرْفُوعًا : « يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
رَجُلًا فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ فَيَتَمَثَّلُ لَهُ خَصْمًا ، فَيَقُولُ :
يَا رَبِّ ، حَمَلْتَهُ إِيَّايَ فَبَسَّسَ حَامِلٌ تَعَدَّى حُدُودِي ، وَضَيَّعَ فَرَائِضِي ،
وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي وَتَرَكَ طَاعَتِي ، فَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يَقَالُ

شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار»
الحديث .

شِعْرًا: ثَلَاثَةُ أَسْفَارٍ هَنِئًا لِمَنْ لَهَا يُلَازِمُهَا حِفْظًا وَدَرْسًا وَيَفْهَمُ
كِتَابُ إِلِهِ الْخَلْقِ جَلَّ جَلَالُهُ كَذَلِكَ الْبُخَارِيُّ ثُمَّ يَتْلُوهُ مُسَلِّمٌ

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا
مِنْ أَمْرٍ يَفْرَأُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمٌ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .
وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :
« تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ - فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - لَهَوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ مِنْ
عُقْلِهَا » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، وَعَنْ ابْنِ عُثْمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَلَّقَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا
أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ » متفق عليه .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما
فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا
يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَا حَشَرْتَنِي
أَعْمَى ، وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ
تُنْسَى ﴾ أهـ .

وَرَوَى أَنَسٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجْوَرُ
أُمَّتِي حَتَّى الْقِدَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُئُوبٌ أُمَّتِي فَلَمْ أَرِ
ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا الرَّجُلُ ثُمَّ نَسِيَهَا » وَيَا لِلْأَسْفِ
اسْتَبَدُّوا الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ أَكْبُوا عَلَى الْجَرَائِدِ وَالْمَجَلَّاتِ وَالْكُتُبِ الْخَلِيعَاتِ بَدَلِ
تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

شِعْرًا: قَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ شَخْصًا أَمِينًا
 وَانْتَهَتْ حَالِي إِلَى أَنْ صِرْتُ فِي الْبَيْتِ حَزِينًا
 أَمَدَحُ الْوَحْدَةَ حِينًا وَأَذُمُّ الْجَمْعَ حِينًا
 إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ خَلْقًا قَرِينًا

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ، قُلْتُ: فَمَا الْمُخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلُ مِنْ تَرْكِهِ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ مَنْ قَالَ بِهِ صِدْقٌ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَى إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فصل»: إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ بَيَّنَّ فِيهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ وَأَحْكَامِ الدَّارَيْنِ حَتَّى أَنَّهُ تَعَالَى يُشْنِي الْأُمُورَ الْكِبَارَ الَّتِي يَحْتَاجُ الْقَلْبُ لِمُرُورِهَا عَلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ وَإِعَادَتِهَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ بِالْفَاظِ مُخْتَلِفَةٍ وَأَدَلَّةٍ مُتَنَزِّعَةٍ لِتَسْتَقَرَّ فِي الْقُلُوبِ.

قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وَقَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ فَفِيهِ بَيَانُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَهُدَى مِنَ الضَّلَالَةِ رَحْمَةً لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ وَعَمِلَ فِيهِ وَحَكْمَهُ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالْوَيْلَ لِمَنْ رَجَعَ إِلَى الْقَوَانِينِ وَتَرَكَهُ فَكُلُّ حُكْمٍ سِوَى حُكْمِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ وَكُلُّ حَاكِمٍ بَعِيرٍ حُكْمِهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ فَهُوَ طَاغُوتٌ

كَافِرٍ بِاللَّهِ وَمَا أَكْثَرَهُمْ فِي هَذَا الزَّمَنِ، الْمُحَكَّمِينَ لِلْقَوَائِنِ الْوَضْعِيَّةِ وَالْأَنْظُمَةِ الْحَالِيَّةِ .

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾
وَهَذَا عَامٌّ شَامِلٌ فَمَا مِنْ قَضِيَّةٍ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهَا حُكْمٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا قَرَطْنَا
فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فَهَذِهِ آيَةُ الْجَلِيلَةِ الْقَدْرِ عَظِيمَةِ الْمَوْجِعِ كَبِيرَةُ الْفَائِدَةِ حَسَنَةُ
الْمُعْزَى اخْتَارَهَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيَحْتَمِ بِهَا كِتَابَهُ الْكَرِيمَ وَوَحْيَهُ الْمُعْجَزَ
وَأَحْكَامَ شَرِيعَتِهِ السَّمْحَةَ وَدِينَهُ الْحَنِيفَ .

وَمِنْ مَزَايَا هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِهَا عَمَّا بَقِيَ مِنَ السُّورِ
وَالْآيَاتِ أَنَّ اللَّهَ أَكْمَلَ بِهَا الدِّينَ بِمَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، مِنَ الْفَرَائِضِ
وَالسُّنَنِ وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ
وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْفَرَائِضِ وَأَتَمَّ بِهَا النِّعْمَةَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَدَايَتِهِمْ لِأَحْكَامِهِ
وَتَوْفِيقِهِمْ لِمَعْرِفَةِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَانْجَازِهِ سُبْحَانَهُ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ فِي
قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ .

فَكَانَ مِنْ تِمَامِ نِعْمَتِهِ أَنْ دَخَلُوا مَكَّةَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ لَمْ يُخَالِطَهُمْ أَحَدٌ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ اخْتَارَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ دِينَ الْإِسْلَامِ وَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا بَيَانًا لِشَرَفِ هَذَا الدِّينِ وَاعْتِنَاءً بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَحَسْبُنَا مِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ
غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

وَهَذَا مَا دَعَا كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ وَكَانَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَقُولَ
لِخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ
تَقْرَوْنَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَا نَتَّخِذُهَا عَيْنًا وَأَقْمَنَّا لَهَا مُخْتَفَلًا فِي كُلِّ عَامٍ نُجَدِّدُ
ذِكْرَهَا وَتَتَدَارَسُ فَضَائِلُهَا الْكَثِيرَةَ وَذِكْرِيَاتُهَا الْعَطِرَةَ .

فَيَتَبَدَّرُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِلًا: أَيُّ آيَةٍ هِيَ، قَالَ كَعْبٌ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فَيَجِيبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِكُلِّ تُوْدَةٍ وَسَكِينَةٍ قَائِلًا: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَفِي رِوَايَةِ إِسْحَاقَ بْنِ قَبِيصَةَ نَزَلَتْ يَوْمَ جُمُعَةٍ يَوْمَ عَرَفَةَ وَكِلَاهُمَا بِحَمْدِ اللَّهِ لَنَا عَيْدًا. أَهـ.

وَمِنَ الْأَدَلَةِ عَلَى وُجُوبِ الرَّجُوعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عِنْدَ التَّحَاكُمِ مَا يَلِي:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ الْآيَةَ.

وَقَالَ ﷺ: «تَرَكَتُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ» وَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ: «مَا بُعِثَ مِن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرٍّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ» وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: لَقَدْ تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا.

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاعْتَضَضَ عَنْهُمَا بِالْقَوَائِنِ الْوَضْعِيَّةِ أَنَّهُ كَافِرٌ كُفْرٌ نَاقِلٌ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَذَا مَنْ اسْتَهْزَأَ بِالْقُرْآنِ أَوْ طَلَبَ تَنَاقُضَهُ أَوْ دَعَا أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ أَوْ مَخْتَلِقٌ أَوْ أَثْبَتَ شَيْئًا نَفَاهُ الْقُرْآنُ أَوْ نَفَاهُ مَا أَثْبَتَهُ الْقُرْآنُ فَقَدْ كَفَرَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ كَانَ

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿١﴾، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً أَوْ كَلِمَةً أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَقَالَ عَلِيٌّ: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلَّهُ.

وَكَذَا مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنِ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا وَسِعَ الْخَضِرُ الْخُرُوجَ عَنِ شَرِيعَةِ مُوسَى، أَوْ زَعَمَ أَنَّ هَدْيَ غَيْرِ مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ أَوْ أَحْسَنُ؛ أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَسَعُ النَّاسَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْعُصُورِ إِلَّا الْخُرُوجُ عَنِ الشَّرِيعَةِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ كَافِيَةً فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ فَقَطُّ وَأَمَّا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ فَالشَّرِيعَةُ لَا تُسَايِرُ الزَّمَانَ وَلَا بُدَّ مِنْ تَنْظِيمِ قَوَائِنَ بِمَا يُنَاسِبُ الزَّمَانَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْأَعْتِقَادَ إِذَا صَدَرَ مِنْ إِنْسَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَهَانَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَتَقَصَّهَمَا، وَلَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ وَخُرُوجِهِ مِنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ لِلشَّرِيعَةِ فِي عِلْمِ الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ، أَوْ فِي عِلْمِ الْبَاطِنِ فَقَطُّ أَوْ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ دُونَ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ أَوْ أَنَّ هَذِهِ الشَّرَائِعَ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ بِدِينِ مُحَمَّدٍ، أَوْ اسْتَهَانَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، أَوْ تَنَقَّصَهُ أَوْ هَزَلَ بِهِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْ شَرَائِعِهِ أَوْ بِمَنْ جَاءَ بِهِ وَكَذَلِكَ الْحَقُّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْأَسْتِهَانَةِ بِحَمَلَتِهِ لِأَجْلِ حَمَلِهِ فَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا كُفْرٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّظْنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالنَّوْمِ وَأَرْزُقْنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ أَرْحَمَ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ، وَلَا تُحْرِمْنَا بَدُنُونَا، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُونِنَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمُتِّينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

وَقَالَ فِي تَحْذِيرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَنِ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ بَعْدَ سِيَاقِهِ
لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ
مِنْ قَبْلِكَ ﴾ الْآيَتِينَ : ثُمَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فِي الرَّجْرِ عَنِ اتِّبَاعِ
الْقَوَانِينِ الْبَشَرِيَّةِ غَيْرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لَكَفَتْ الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ الَّذِي أُوتِيَ رُشْدَهُ
وَأَهْمَهُ صَلَاحُ قَلْبِهِ عَنِ تَطَلُّبِ غَيْرِهَا فَكَيْفَ وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ يَدْعُو إِلَى تَحْكِيمِ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ وَعَدَمِ تَحْكِيمِ مَا عَدَاهُ إِمَّا تَصْرِيحًا وَإِمَّا تَلْوِيحًا وَلَهُ جَاهِدٌ وَيُجَاهِدُ مَنْ
عِبَادَ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ مِنْ لَدُنْ بُعِثَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ
تَقُومُ السَّاعَةِ .

وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي
ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا خِلَافٌ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ
اللَّهِ وَأَنَّهُ قَالَ لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ ، فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ مِنَ الْمُتَمَتِّعِ بِالسَّمْعِ
أَنْ يَتِمَّ أَلَا الْعَالَمُ كُلُّهُمْ شَرْقًا مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى اتِّبَاعِ الْقَوَانِينِ
الْبَشَرِيَّةِ وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ وَلَوْ وَاحِدٌ
يُنَكِّرُ عَلَى هَوْلِ الْكُلِّ إِمَّا بِلِسَانِهِ أَنْ أَمَكَنَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَفْتِكُوا بِهِ وَأَمَّا بِقَلْبِهِ وَظَنَّ
الْفِتْكَ بِهِ كَمَا قَدْ كَانَ أَيَّامَ الْأَسْتِبْدَادِ .

وَالْعَرَضُ بَيَانُ أَنَّ طَائِفَةً عَلَى الْحَقِّ لَا تَزَالُ تُقَاتِلُ وَتُجَاهِدُ عَلَى تَحْكِيمِ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ بِاللِّسَانِ وَالْبَيَانِ وَالْبَدَنِ وَالسَّنَانِ وَالْمَالِ وَكُلِّ مُمَكِّنٍ لِتَوْعِ الْإِنْسَانِ وَأَنَّ
بِهِ يَتِمُّ نِظَامُ الْعَدْلِ وَالْمُلْكِ وَالِدِينِ وَالْدُنْيَا وَبِهِ يَسْتَقِيمُ أَمْرُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ
وَتَكْمُلُ لَهُمُ الرَّاحَةُ وَالْأَمْنُ وَالْحُرِّيَّةُ الثَّامَةُ وَالسِّيَاسَةُ الْعَامَّةُ لِجَمِيعِ الْمَلَلِ وَالرَّعَايَا
الْمُخْتَلِفَةِ الْأَصْنَافِ وَالْأَلْسِنَةِ وَالْأَمْرِحَةِ .

وَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا فَلْيَنْظُرِ الْفَرْقَ بَيْنَ حَالِ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْقُرُونِ الْمُتَأَخِّرَةِ
الَّتِي عَطَلَتْ فِيهَا حُدُودُ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامُهَا وَحَالِهِ فِي الْقُرُونِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي مَا
كَانَتْ عَلَى شَيْءٍ أَحْفَظُ مِنْهَا عَلَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَأَرْعَى لَهَا يَجِدُ الْفَرْقَ كَمَا
بَيْنَ الثَّرَى وَالثَّرْيَا وَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ :

تَزَلُّوا بِمَكَّةَ فِي قَبَائِلِ هَاشِمٍ وَنَزَلْتُ بِالْبَيْدَاءِ أَبَعَدَ مَنْزِلِ
أَلَّا تَرَى أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ فَتَحَوْا مَا فَتَحُوا
مِنْ أَقْلِيمِ الْبُلْدَانِ وَنَشَرُوا الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالْقُرْآنَ فِي مُدَّةٍ نَحْوِ مِائَةِ سَنَةٍ مَعَ
قَلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَعَدْدِهِمْ وَضَيْقِ ذَاتِ يَدِهِمْ وَنَحْنُ مَعَ كَثْرَةِ عُدَدِنَا وَوَفْرَةِ
عَدَدِنَا وَهَائِلِ ثُرُونِنَا وَطَائِلِ قَوْتِنَا لَا نَزْدَادُ إِلَّا ضَعْفًا وَتَقَهُّرًا إِلَى الْوَرَى وَذُلًّا
وَحَقَارَةً فِي عِيُونِ الْأَعْدَاءِ ذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ لَا يَنْصُرُ دِينَ اللَّهِ لَا يَنْصُرُهُ اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾
فَرْتَّبَ نَصْرَهُمْ عَلَى نَصْرِهِ بِإِقَامَةِ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

فَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ تَحْكِيمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَقَدْ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ
بِنَفْسِهِ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا . وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُلْتَزِمًا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
لَكِنْ عَصَى وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْعَصَاةِ فَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ حُكْمَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى الْأُمَّةِ فِي كُلِّ مَا تَنَازَعَا فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ
الْاِعْتِقَادِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ .

فَالْأُمُورُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الْأُمَّةِ لَا يُحْكَمُ فِيهَا إِلَّا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَيْسَ لِأَحَدٍ

أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ بِقَوْلِ عَالِمٍ وَلَا أَمِيرٍ وَلَا شَيْخٍ وَلَا مَلِكٍ وَحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأُمُورِ الْمُعَيَّنَةِ لَا يَحْكُمُونَ فِي الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ وَإِذَا حَكَمُوا فِي الْمُعَيَّنَاتِ فَعَلَيْهِمْ إِنْ يَحْكُمُوا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ بِرَأْيِهِ .. إِنَّتَهَى .

لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ بِمَ تَحْكُمُ ، قَالَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَالَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَالَ اجْتَهَدُ رَأْيِي . قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا يَرْضَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي كِتَابِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُرْوَةَ كَتَبَتْ إِلَيَّ تَسْأَلُنِي عَنِ الْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِنْ رَأَسَ الْقَضَاءِ اتَّبَاعُ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ الْقَضَاءُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بِحُكْمِ أُمَّةِ الْهُدَى ثُمَّ اسْتِشَارَةَ ذَوِي الْعِلْمِ وَالرَّأْيِ وَذَكَرَ عَنْ سُفْيَانَ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ كَانَ ابْنُ شُبْرَمَةَ يَقُولُ :

مَا فِي الْقَضَاءِ شَفَاعَةٌ لِمُخَاصِمٍ عِنْدَ اللَّيِّبِ وَلَا الْفَقِيهِ الْعَالِمِ
هَوْنٌ عَلَيَّ إِذَا قَضَيْتُ بِسُنَّةٍ أَوْ بِالْكِتَابِ بِرَغْمِ أَنْفِ الرَّاغِمِ
وَقَضَيْتُ فِيمَا لَمْ أَجِدْ أَثْرًا بِهِ بِنِظَائِرٍ مَعْرُوفَةٍ وَمَعَالِمِ

وَعَنْ بَنِي وَهْبٍ قَالَ : قَالَ مَالِكُ الْحُكْمُ حُكْمَانُ حُكْمٌ جَاءَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَحُكْمٌ أَحْكَمْتَهُ السُّنَّةُ قَالَ وَمُجْتَهَدٌ رَأْيُهُ فَلَعَلَّهُ يُوفَّقُ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الْآيَةَ : فَانْقَسَمَ سُبْحَانَهُ بِأَجَلٍ مُنْقَسَمٍ بِهِ وَهُوَ بِنَفْسِهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ لَهُمْ إِيمَانٌ وَلَا يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِهِ حَتَّى يُحْكَمُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ مَوَارِدِ النَّزَاعِ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الدِّينِ فَإِنَّ لَفْظَةَ (مَا) مِنْ صِبْغِ الْعُمُومِ تَقْتَضِي نَفْيَ الْإِيمَانِ أَوْ يُوَجِّدُ تَحْكِيمَهُ فِي جَمِيعِ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ .

وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ انْشِرَاحَ صُدُورِهِمْ بِحُكْمِهِ حَيْثُ لَا

يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً وَهُوَ الضَّيِّقُ وَالْحَصْرُ مِنْ حُكْمِهِ بَلْ يَقْبَلُوا حُكْمَهُ
بِالْإِشْرَاحِ وَيُقَابِلُوهُ بِالتَّسْلِيمِ لَا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهُ عَلَى إِغْمَاضٍ وَيَشْرَبُونَ عَلَى قَدَيِّ
فَإِنَّ هَذَا مُتَافٍ لِلِإِيمَانِ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَخْذُهُ بِقَبُولِ وَرِضَا وَإِشْرَاحِ
صُدُورِهِ .

وَمَتَى أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَعْلَمَ هَذَا فَلْيَنْظُرْ فِي حَالِهِ وَيُطَالِعَهُ فِي قَلْبِهِ عِنْدَ وُرُودِ
حُكْمِهِ عَلَى خِلَافِ هَوَاهُ وَغَرَضِهِ فَسُبْحَانَ اللَّهِ كَمْ مِنْ حَزَازَةٍ فِي نَفُوسٍ كَثِيرٍ
مِنَ النَّاسِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّصُوصِ وَبُودِهِمْ أَنْ لَوْ لَمْ يَرِدْوَكَمْ مِنْ حَرَارَةٍ فِي
أَكْبَادِهِمْ مِنْهَا وَكَمْ مِنْ شَجِيٍّ فِي حُلُوقِهِمْ مِنْهَا وَمِنْ مُؤَرِّدِهَا سَتَبْدُو لَهُمْ تِلْكَ
السَّرَائِرُ بِالذِّي يَسُوءُ وَيَحْزِي يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ .

ثُمَّ لَمْ يَقْتَصِرْ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَ يُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴾ فَذَكَرَ الْفِعْلَ مُؤَكِّدًا بِمَصْدَرِهِ الْقَائِمِ مَقَامَ ذِكْرِهِ مَرَّتَيْنِ وَهُوَ الْخُضُوعُ
لَهُ وَالْإِنْقِيَادُ لِمَا حَكَمَ بِهِ طَوْعاً وَرِضاً وَتَسْلِيمًا لَا قَهْرًا وَمُصَابِرَةً كَمَا يُسَلِّمُ
الْمَقْهُورُ لِمَنْ قَهَرَهُ كُرْهًا بَلْ تَسْلِيمَ عَبْدٍ مُطِيعٍ لِمَوْلَاهُ وَسَيِّدِهِ الَّذِي هُوَ أَحَبُّ
شَيْءٍ إِلَيْهِ يَعْلَمُ أَنَّ سَعَادَتَهُ وَفَلَاحَهُ فِي تَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ وَيَعْلَمُ بَأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ
وَأَبْرَ بِهِ مِنْهَا وَأَرْحَمُ بِهِ مِنْهَا وَأَنْصَحَ لَهُ مِنْهَا وَأَعْلَمَ بِمَصَالِحِهِ مِنْهَا وَأَقْدَرَ عَلَى
تَخْلِيصِهَا .

وَأَمَّلْ هَذَا الْمَعْنَى الْمَذْكُورَ فِي الْآيَةِ بِوَجُوهٍ عَدِيدَةٍ مِنَ التَّأْكِيدِ أُولَاهَا تَصْدِيرُهَا
بِالْقِسْمِ يَتَضَمَّنُ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ لَا يَظْمِنُونَ ، وَثَانِيهَا : تَأْكِيدُهُ بِنَفْسِ
الْقِسْمِ ، وَثَالِثُهَا : تَأْكِيدُهُ بِالْمُقْسَمِ بِهِ وَهُوَ إِقْسَامُهُ بِنَفْسِهِ لَا بِشَيْءٍ مِنْ
مَخْلُوقَاتِهِ ، وَرَابِعاً : تَأْكِيدُهُ بِانْتِفَاءِ الْحَرَجِ وَهُوَ وُجُودُ التَّسْلِيمِ ، وَخَامِسُهَا :
تَأْكِيدُ الْفِعْلِ بِالْمَصْدَرِ وَمَا هَذَا إِلَّا لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَأَنَّهُ مِمَّا
يُعْتَنَى بِهِ وَيَقَرَّرُ فِي نَفُوسِ الْعِبَادِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

«فصل»

وقال رَحِمَهُ اللهُ: لَمَّا أَعْرَضَ النَّاسُ عَن تَحْكِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَةِ وَالْمُحَاكَمَةِ إِلَيْهِمَا وَاعْتَقَدُوا عَدَمَ الْاِكْتِفَاءِ بِهِمَا وَعَدَلُوا إِلَى الْآرَاءِ وَالْقِيَاسِ وَالاسْتِحْسَانِ وَأَقْوَالِ أَهْلِ الْآرَاءِ عَرَضَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فَسَادٌ فِي فِطْرِهِمْ وَظُلْمَةٌ فِي قُلُوبِهِمْ وَكَدْرٌ فِي أَفْهَامِهِمْ وَمَخِيقٌ فِي عُقُولِهِمْ فَعَمَّتْهُمْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى رَبَى فِيهَا الصَّغِيرُ وَهَرَمَ عَلَيْهَا الْكَبِيرُ فَلَمْ يَرَوْهَا مُنْكَرًا.

فَجَاءَتْهُمْ دَوْلَةٌ أُخْرَى أَقَامَتْ فِيهَا الْبِدْعَ مَقَامَ السُّنَنِ وَالْهَوَى مَقَامَ الرُّشْدِ وَالضَّلَالَ مَقَامَ الْهِدَايَةِ وَالْمُنْكَرَ مَقَامَ الْمَعْرُوفِ وَالْجَهْلَ مَقَامَ الْعِلْمِ وَالرِّيَاءَ مَقَامَ النَّصِيحَةِ وَالظُّلْمَ مَقَامَ الْعَدْلِ فَصَارَتْ الدَّوْلَةُ وَالْعَلْبَةُ لِهَذِهِ الْأُمُورِ وَأَهْلُهَا هُمْ الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ.

فَإِذَا رَأَيْتَ هَذِهِ الْأُمُورَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَرَايَاتِهَا قَدْ نُصِبَتْ وَجِيُوشَهَا قَدْ رَكِبَتْ فَبَطْنُ الْأَرْضِ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا وَقَلْلُ الْجِبَالِ خَيْرٌ مِنَ السُّهُولِ وَمُخَالَطَةُ الْوَحْشِ أَسْلَمٌ مِنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ.

اقْشَعْرَتِ الْأَرْضُ وَأُظْلِمَتِ السَّمَاءُ وَظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ ظُلْمِ الْفَجْرَةِ وَذَهَبَتِ الْبَرَكَاتُ وَقَلَّتِ الْخَيْرَاتُ وَهَزَلَتِ الْوَحْشُ وَتَكَدَّرَتِ الْحَيَاةُ مِنْ فَسْقِ الظُّلْمَةِ وَبَكَى ضَوْءُ النَّهَارِ وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْخَبِيثَةِ وَالْأَفْعَالِ الْفِظْيِعَةِ وَشَكَا الْكِرَامُ الْكِتَابِيُّونَ وَالْمُعَقَّبَاتُ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ كَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَغَلَبَةِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْقَبَائِحِ.

وَهَذَا وَاللَّهُ مُنْذِرٌ بِسَبِيلِ عَذَابٍ قَدْ انْعَقَدَ غَمَامُهُ وَمُؤَدِّنٌ بَلِيْلٍ قَدْ اذْلَهَمَ ظُلَامُهُ فَاعْزِلُوا عَن طَرِيقِ هَذَا السَّبِيلِ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ مَا دَامَتِ التَّوْبَةُ مُمَكِّنَةً وَبَابُهَا مَفْتُوحًا وَكَأَنَّكُمْ بِالْبَابِ وَقَدْ أُغْلِقَ وَبِالرَّهْنِ وَقَدْ عَلِقَ وَبِالْجَنَاحِ وَقَدْ عَلِقَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا خَوْفِي الذَّنُوبَ فَإِنَّهَا لَعَلَى سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاخَ الْقَلْبِ مِنْ
وَرِضًا بِآرَاءِ الرِّجَالِ وَخَرَصِهَا
فَبَأْسِي وَجْهِ أَلْتَقَى رَبِّي إِذَا
عَرَضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طُولَ زَمَانٍ
عَزَلًا حَقِيقِيًّا بَلَا كِتْمَانٍ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِحٌ يَا قَاضِيَ
الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَدِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل في ذكر طرق مما حدث في بعض السنين من الأزية والأمراض »

أَجْدَبَتِ الْأَرْضُ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ فَكَانَتْ الرِّيحُ تَسْقِي ثُرَابًا كَالرَّمَادِ
فَسُمِّي عَامَ الرَّمَادَةِ وَجَعَلَتِ الْوُحُوشُ تَأْوِي إِلَى الْإِنْسِ فَآلَى عُمُرٌ أَلَا يَذُوقُ سَمْنًا
وَلَا لَبْنًا وَلَا لَحْمًا حَتَّى يَحْيِيَ النَّاسُ وَاسْتَسْقَى بِالْعَبَاسِ فَسُقُوا .

وَفِيهَا كَانَ طَاعُونَ عَمَوَاسٍ مَاتَ فِيهِ أَبُو عُيَيْدَةَ وَمُعَاذُ وَأَنْسُ وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ
وَسِتِينَ وَقَعَ طَاعُونَ بِالْبَصْرَةِ وَمَاتَتْ أُمُّ أَمِيرِهِمْ فَمَا وَجَدُوا مَنْ يَحْمِلُهَا .

وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ كَانَ طَاعُونَ الْجَارِفِ هَلَكَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ سَبْعُونَ
أَلْفًا وَمَاتَ فِيهِ لِأَنْسٍ ثَمَانُونَ وَلَدَا وَكَانَ يَمُوتُ أَهْلُ الدَّارِ فَيَطِينُ الْبَابُ عَلَيْهِمْ .

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَةِ مَاتَ أَوَّلُ يَوْمٍ فِي الطَّاعُونَ سَبْعُونَ أَلْفًا وَفِي
الثَّانِي نَيْفٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا وَفِي الثَّلَاثِ خَمَدُ النَّاسِ .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ ذُبِحَ الْأَطْفَالُ وَأُكِلَتِ الْجَيْفُ وَبِيعَ
الْعَقَارُ بِرُغْفَانٍ وَاشْتَرِيَ لِمُعْزِ الدَّوْلَةِ كَرُّ بَعْشَرِينَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ .

وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة أصاب أهل البصرة حرٌّ فكانوا يتساقطون مَوْتَى فِي الطَّرَقَاتِ .

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة عَمَّ القَحْفُظُ فَأَكَلَتِ المَيْتَةَ وبلغ المَكوك من بزر البقلة سَبْعَ دَنَانِيرٍ والسفرجلَةُ والرمانَةُ دِينَاراً والخيارَةُ واللينوفرةُ دِينَاراً وَوَرَدَ الخَبْرُ من مِصرَ بَأَن ثَلَاثَةَ مِِن اللُّصُوصِ نَقَبُوا دَاراً فَوَجِدُوا عِنْدَ الصَّبَاحِ مَوْتَى أَحَدَهُم عَلى بابِ النَقَبِ والثاني عَلى رَأْسِ الدَّرَجَةِ والثالثُ عَلى الثيابِ المَكُورَةِ .

وفي السنة التي تليها وقع وباءٌ فكان تحفُرُ زَبِيَّةٌ لِعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ فَيَلْقَوْنَ فِيهَا وَتَابَ النَّاسُ كُلَّهُم وَأَرَأَقُوا الخَمُورَ وَلَزِمُوا المَسَاجِدَ .

وفي سنة سِتِّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَقَعَ الوَبَاءُ وَبَلَغَ الرَطْلُ مِنَ التَّمْرِ الهِنْدِي أَرْبَعَةَ دَنَانِيرٍ وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِشْتَدَّ الجُوعُ وَالوَبَاءُ بِمِصرَ حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ بَعْضُهُم بَعْضًا وَبِيعَ اللُّوزُ وَالسُّكَّرُ بِوِزْنِ الدَّرَاهِمِ وَالبَيْضَةُ بِعِشْرَةِ قَرَارِيطٍ وَخَرَجَ وَزِيرُ صَاحِبِ مِصرَ إِلَيْهِ فَنَزَلَ عَن بَعْلَتِهِ فَأَخَذَهَا ثَلَاثَةَ فَأَكَلُوهَا فَصَلُّبُوا فَأَصْبَحَ النَّاسُ لَا يَرُونَ إِلَّا عِظَامَهُمْ تَحْتَ خَشَبِهِمْ وَقَدْ أَكَلُوا وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَقَعَ المَوْتُ فِي الدُّوَابِ حَتَّى إِنْ رَاعِيًا قَامَ إِلَى الغَنَمِ وَقَتَ الصَّبَاحِ لَيْسُوقَهَا فَوَجَدُوهَا كُلُّهَا مَوْتَى . ذَكَرَ ذَلِكَ ابنُ الجوزي رَحِمَهُ اللهُ .

وفي سنة أربع وثلثين وثلاثمائة وَقَعَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِبَغدَادٍ حَتَّى أَكَلُوا المَيْتَةَ وَالسَّنَانِيرَ وَالكَلَابَ وَكَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِقُ الأَوْلَادَ فَيَشْوِيهِمْ وَيَأْكُلُهُمْ .

وَكَثُرَ الوَبَاءُ فِي النَّاسِ حَتَّى كَانَ لَا يَدْفُنُ أَحَدٌ أَحَدًا بَلْ يُتْرَكُونَ عَلى الطَّرِقِ فَيَأْكُلُ كَثِيرًا مِنْهُمُ الكَلَابُ .

وَبِيعَةُ الدُّورِ بِالخُبْزِ وَانْتَجَعَ النَّاسُ إِلَى البَصْرَةِ فَكَانَ مِنْهُمُ مَنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ .

وَذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي جُمَادِ الْأُولَى غَلَّتِ
الْأَسْعَارُ بِبَغْدَادٍ جَدًّا وَكَثُرَتِ الْأَمْطَارُ حَتَّى تَهْدَمُ الْبِنَاءُ وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
تَحْتَ الْهَدْمِ وَتَعَطَّلَتْ أَكْثَرُ الْمَسَاجِدِ مِنْ قَلَّةِ النَّاسِ .

وَتَقَضَّتْ قِيَمَةُ الْعَقَارِ حَتَّى يَبِيعَ مِنْهُ بِالْدِرْهَمِ مَا يُسَاوِي الدِّينَارَ وَخَلَّتِ الدُّورُ
وَكَانَ الدَّلَالُونَ يُعْطُونَ مَنْ يَسْكُنُهَا أَجْرًا لِيَحْفَظَهَا مِنَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهَا لِيُخَرَّبُوهَا .
وَكَثُرَتِ الْكَبَسَاتُ مِنَ اللَّصُوصِ بِاللَّيْلِ حَتَّى كَانَ النَّاسُ يَتَحَارَسُونَ
وَكَثُرَتِ الْفِتْنُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ﴿ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أَهـ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِمَدِينَةِ جَبْرَتْ فَمَاتَ
بِسَبَبِهَا مِائَتَا أَلْفٍ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا وَصَارَ مَكَانَهَا مَاءً أَسْوَدَ عَشْرَةَ فَرَاسِخٍ فِي مِثْلِهَا .
وَزُلْزَلَ أَهْلُ حَلَبَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ثَمَانِينَ مَرَّةً فَوَضَعَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ
مُكُوسًا كَثِيرَةً عَنِ النَّاسِ وَكَثُرَتِ الْأَدْعِيَةُ لَهُ .

قَالَ وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِالشَّامِ هَلَكَ
بِسَبَبِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ .

وَتَهَدَّمَتْ أَكْثَرُ حَلَبَ وَحَمَاةَ وَشِيرِيزَ وَحِمَصَ وَكَفَرَ طَابَ وَحِصْنَ الْأَكْرَادِ
وَالْمَعْرَةَ وَقَامِيَةَ وَاللَّذْقِيَّةَ وَأَنْطَاكِيَةَ وَطَرَابُلُسَ .

قَالَ : وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : وَأَمَّا قَامِيَةَ فَسَاحَتْ قَلْعَتُهَا وَتَلَّ حِرَانَ إِنْقَسَمَ
قَسْمِينَ فَأَبْدَى نَوَاطِيسَ وَبُيُوتَ كَثِيرَةً فِي وَسْطِهِ .

وَتَهَدَّمَتْ أَسْوَارُ أَكْثَرِ مُدُنِ الشَّامِ حَتَّى أَنْ مَكْتَبًا مِنْ مَدِينَةِ حَمَاةَ إِنْهَدَمَ
عَلَى مَنْ فِيهِ مِنَ الصِّغَارِ فَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ زَلْزَلَةٌ فَرَّغَانَةَ فَمَاتَ فِيهَا خَمْسَةٌ عَشَرَ أَلْفًا .
وَفِي السَّنَةِ الَّتِي تَلِيهَا رَجَفَتِ الْأَهْوَاؤُ وَتَصَدَّعَتِ الْجِبَالُ وَهَرَبَ أَهْلُ الْبَلَدِ
إِلَى الْبَحْرِ وَالسَّفِينِ وَدَامَتْ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا .

وفي السنة التي تليها مطر أهل تيماء مطراً وبرداً كالبيض فقتل به ٣٧٠ إنساناً. وسمع في ذلك صوت يقول: ارحم عبادك، اعف عن عبادك. ونظروا إلى أثرِ قَدَمِ طولها ذراعٌ بلا أصابع وعَرَضُهَا شِبْرٌ وبين الخطوتين خمسة أذرع أو ستة. فاتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً.

وفي سنة ٢٣٣ رجفت دمشق رجفة انقضت منها البيوت وسقطت على من فيها فمات خلق كثير. وأنكفات قرية في الغوطة على أهلها فلم ينج منهم إلا رجل واحد. وزلزلت أنطاكية فمات منها عشرون ألفاً.

وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاتصلت نيفاً وخمسين يوماً. وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والأهواز، ثم ذهبت إلى همدان فأحرقت الزرع، ثم ذهبت إلى الموصل فمنعت الناس من السعي وتعطلت الأسواق، وزلزلت هراة فوقعت الدور.

وذكروا أشياء كثيرة غريبة عجيبة يطول ذكرها اقتصرنا منها على هذا الطرف اليسير الذي ربما يكون سبباً للاعتبار والتيقظ والرجوع إلى الله.

نسأل الله الحي القيوم العلي العظيم الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن يوقظ قلوبنا ويستر عيوبنا ويغفر ذنوبنا ويثبتنا على قوله الثابت في الحياة الدنيا والآخرة إنه سميع قريب على كل شيء قدير.

شِعْرًا: صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنْامِ مَطالِبِي
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
إِلَى الصَّمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ
مُقِيلِنِي إِذَا زَلَّتْ بِي النَّعْلُ عَائِراً
فَمَا زَالَ يُؤَلِّينِي الْجَمِيلَ تَلَطُّفًا
وَيَرْزُقُنِي طِفْلاً وَكَهْلاً وَقَبْلَهَا
وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَارِي
مَلِيكَ يُرْجِي سَبِيهُ فِي الْمَتاعِ
وَعَمَّ الْوَرَى طُرّاً بِجَزْلِ الْمَوَاهِبِ
وَأَسْمَحَ غَفَّارٍ وَأَكْرَمَ وَاهِبِ
وَيَدْفَعُ عَنِّي فِي صُدُورِ النَّوائِبِ
جَنِيناً وَيَحْمِينِي وَبِي الْمَكاسِبِ

إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْلاكَ دُونِي قُصُورَهُمْ
 فَزِعْتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيِّينِ طَارِقاً
 فَلَمْ أَلِفْ حُجَّاباً وَلَمْ أُحْسَ مِنْعَةً
 كَرِيمٍ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا
 سَأَلْتُهُ مَا شِئْتُ إِنَّ يَمِينَهُ
 فَحَسْبِي رَبِّي الْهَرَاهِرِ مَلَجاً
 وَتَهَنَّةً عَنْ غَشِيَانِهِمْ زَخْرُ حَاجِبِ
 مُدْلاً أَنْادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ
 وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَاكِبِ
 نَهَاراً وَلَيْلاً فِي الدُّجَى وَالْعِيَاهِبِ
 تَسْحُ دِفَاقاً بِاللَّهِ وَالرَّغَائِبِ
 وَحِزْراً إِذَا خِيفَتْ سِيَهَامُ التَّوَائِبِ

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فَهَّمْتَنَا،
 اللَّهُمَّ إِنَّ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي
 رَجَاءِ رَفْدِكَ، وَخَالِصِ وُدِّكَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مَنَا، فَكَمَالَ جُودِكَ تَجَاوَزُ
 عَنَّا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ
 وَأَيَّقْظُنَّا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالثُّومِ وَأَرْزُقْنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ
 الْمُتَّقُونَ. اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ
 عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ، وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا، اغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي رَدِّهِ عَلَى مُحَكِّمِي الْقَوَانِينِ: إِنَّ مِنْ
 الْكُفْرِ الْأَكْبَرِ الْمُسْتَبِينِ تَنْزِيلُ الْقَانُونِ اللَّعِينِ مَنْزِلَةً مَا نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى
 قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ فِي الْحُكْمِ بِهِ بَيْنَ
 الْعَالَمِينَ وَالرَّدِّ إِلَيْهِ عِنْدَ تَنَازُعِ الْمُتَنَازِعِينَ مَنَاقِضَةً وَمُعَانِدَةً لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
 ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

وَقَدْ نَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانَ عَنْ مَنْ لَمْ يُحَكِّمِ النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ نَفِيًّا مُؤَكِّدًا بِتَكَرُّرِ آدَاةِ النَّفْيِ وَبِالْقَسَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .

قَالَ وَتَأَمَّلْ مَا فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الْآيَةَ، كَيْفَ ذَكَرَ التَّكْرَةَ وَهِيَ قَوْلُهُ شَيْءٍ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ الْمَفِيدُ الْعُمُومَ فِيمَا يُتَصَوَّرُ التَّنَازُعُ فِيهِ جِنْسًا وَقَدْرًا.

ثُمَّ تَأَمَّلْ كَيْفَ جَعَلَ ذَلِكَ شَرْطًا فِي حُصُولِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ثُمَّ قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ ذَلِكَ خَيْرٌ فَشَيْءٌ يُطْلَقُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ خَيْرٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَرٌّ أَبَدًا بَلْ هُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ عَاجِلًا وَآجِلًا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أَيْ عَاقِبَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَيَفِيدُ أَنَّ الرَّدَّ إِلَى غَيْرِ الرَّسُولِ ﷺ عِنْدَ التَّنَازُعِ شَرٌّ مَحْضٌ وَأَسْوَأُ عَاقِبَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَكْسَ مَا يَقُولُهُ الْمَنَافِقُونَ ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ وَقَوْلِهِمْ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ .

وَلِهَذَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَائِلًا: ﴿أَلَا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وَعَكْسُ مَا يَقُولُهُ الْقَانُونِيُّونَ مِنْ حُكْمِهِمْ عَلَى الْقَانُونِ بِحَاجَةِ الْعَالَمِ بَلْ ضُرُورَتِهِمْ إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ وَهَذَا سُوءٌ ظَنُّ صِرْفٍ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَمَحْضُ اسْتِنْقَاصِ لِبَيَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْحُكْمِ عَلَيْهِ بِعَدَمِ الْكِفَايَةِ لِلنَّاسِ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ هَذَا لِازِمٌ لَهُمْ.

قَالَ وَقَدْ نَفَى اللَّهُ الْإِيمَانَ عَنْ مَنْ أَرَادَ التَّحَاكُمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ .

فَإِنَّ قَوْلَهُ «يَزْعُمُونَ تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِيمَا أَدْعَوْهُ مِنَ الْإِيمَانِ» فَإِنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ التَّحَاكُمُ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَصْلًا بَلْ أَحَدُهُمَا يُنَافِي الْآخَرَ وَالطَّاغُوتُ مُشْتَقٌّ مِنَ الطُّغْيَانِ وَهُوَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فَكُلُّ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ حَاكَمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ حَكَمَ بِالطَّاغُوتِ وَحَاكَمَ إِلَيْهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَكُونَ إِلَى خِلَافِهِ فَقَدْ طَعَى وَجَاوَزَ حَدَّهُ حُكْمًا أَوْ تَحْكِيمًا فَصَارَ بِذَلِكَ طَاغُوتًا لَتَجَاوِزَهُ حَدَّهُ .

قَالَ وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ تَعْرِفُ مِنْهُمْ مُعَانَدَةَ الْقَانُونِيِّينَ وَإِرَادَتَهُمْ خِلَافَ مُرَادِ اللَّهِ مِنْهُمْ حَوْلَ هَذَا الصَّدَدِ فَالْمُرَادُ مِنْهُمْ شَرْعًا وَالَّذِي تُعْبِدُوا بِهِ هُوَ الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ لَا تَحْكِيمُهُ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ .

ثُمَّ تَأْمَلْ قَوْلَهُ ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ كَيْفَ دَلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ ضَلَالٌ وَهَوْلَاءِ الْقَانُونِيِّينَ يَرَوْنَهُ مِنَ الْهُدَى كَمَا دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ إِرَادَةِ الشَّيْطَانِ عَكْسُ مَا يَتَصَوَّرُهُ الْقَانُونِيُّونَ فَتَكُونُ عَلَى زَعْمِهِمْ مُرَادَاتُ الشَّيْطَانِ هِيَ صَلَاحُ الْإِنْسَانِ وَمُرَادُ الرَّحْمَنِ وَمَا بَعَثَ بِهِ سَيِّدَ وَلَدِ عَدْنَانَ مَعْزُولًا مِنْ هَذَا الْوَصْفِ وَمُنْحَى عَنْ هَذَا الشَّانِ .

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَيَّ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ وَمُقَرَّرًا إِبْتِغَاءَهُمْ أَحْكَامَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَوْضِحًا أَنَّهُ لَا حُكْمَ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ ﴿أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

فَتَأْمَلْ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ وَكَيْفَ دَلَّتْ أَنَّ قِسْمَةَ الْحُكْمِ ثُنَائِيَّةٌ وَأَنَّهُ لَيْسَ

بَعْدَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَوْضُوحِ أَنَّ الْقَانُونِيِّينَ فِي زُمْرَةِ أَهْلِ
الْجَاهِلِيَّةِ شَأْوًا أَمْ أَبَوًا بَلْ هُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُمْ وَأَكْذَبُ مِنْهُمْ مَقَالًا ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ
الْجَاهِلِيَّةِ لَا تَنَافَسَ لَدَيْهِمْ حَوْلَ هَذَا الصَّدْدِ .

وَأَمَّا الْقَانُونِيُّونَ فَمَتَنَافِضُونَ حَيْثُ يَزْعُمُونَ الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ
ﷺ وَيَتَنَاقِضُونَ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي أَمْثَالِ
هَؤُلَاءِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ .

ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ رَدَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى الْقَانُونِيِّينَ مَا زَعَمُوهُ مِنْ حُسْنِ
زُبَالَةِ أَذْهَانِهِمْ وَنُحَاتَةِ أَفْكَارِهِمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : يُنَكِّرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنْ
حُكْمِ اللَّهِ الْمَحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدَلَ إِلَى مَا
سِوَاهُ فِي الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا الرُّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ
شَرِيْعَةِ اللَّهِ كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ مِمَّا
يَضَعُونَهُ بِأَرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التُّنَّارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلِكِيَّةِ الَّتِي
يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ .

فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
فَلَا يُحَكِّمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ قَالَ تَعَالَى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ وَعَنْ
حُكْمِ اللَّهِ يَعْدِلُونَ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أَيُّ وَمَنْ أَعْدَلُ
مِنَ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقَلَ مِنَ اللَّهِ شَرْعَهُ وَآمَنَ بِهِ وَأَيْقَنَ وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلِدِهَا فَإِنَّهُ تَعَالَى الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ،

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ .

فَانظُرْ كَيْفَ سَجَّلَ تَعَالَى عَلَى الْحَاكِمِينَ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِالْكَفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ وَمِنَ الْمُتَمَتِّعِ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحَاكِمَ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ كَافِرًا وَلَا يَكُونُ كَافِرًا بَلْ هُوَ كَافِرٌ مُطْلَقًا إِمَّا كُفِرَ عَمَلٍ وَإِمَّا كُفِرَ اعْتِقَادًا .

وَمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ يُدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَاكِمَ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ كَافِرٌ إِمَّا كُفِرَ اعْتِقَادًا نَاقِلٍ عَنِ الْمِلَّةِ وَإِمَّا كُفِرَ عَمَلٍ لَا يَنْفُلُ عَنِ الْمِلَّةِ .

قَالَ وَهَذِهِ الْمَحَاكِمُ الْآنَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ مُهَيَّأَةٌ مَفْتُوحَةٌ الْأَبْوَابِ وَالنَّاسُ إِلَيْهَا أُسْرَابٍ إِثْرَ أُسْرَابٍ يَحْكُمُ حُكَّامُهَا بَيْنَهُمْ فِيمَا يُخَالِفُ حُكْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَحْكَامِ ذَلِكَ الْقَائِنُونَ وَتَلَزِمُهُمْ بِهِ وَتَحْتَمُّهُ عَلَيْهِمْ فَأَيُّ كُفْرٍ فَوْقَ هَذَا الْكُفْرِ وَأَيُّ مُنَاقِضَةٍ لِلشَّهَادَةِ بَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ هَذِهِ الْمُنَاقِضَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعِصْمَةَ عَنِ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى قَوْلِهِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ . اهـ .

وَمِمَّا قِيلَ فِي الْحِثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا قَالَهُ الصَّنَعَانِيُّ :

وَلَيْسَ إِغْتِرَابُ الدِّينِ إِلَّا كَمَا تَرَى	فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْإِغْتِرَابِ إِيَابُ
وَلَمْ يَتَّقِ لِلرَّاجِي سَلَامَةَ دِينِهِ	سِوَى عَزَلَةٍ فِيهَا الْجَلِيسُ كِتَابُ
كِتَابٌ حَوَى كُلَّ الْعُلُومِ وَكُلَّمَا	حَوَاهُ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ صَوَابُ
فَإِنْ رُمَتْ تَارِيخًا رَأَيْتَ عَجَائِبًا	تَرَى آدَمًا إِذْ كَانَ وَهُوَ تُرَابُ
وَلَا قِيَّتْ هَابِلًا فَتِيْلَ شَقِيْقِهِ	يُوَارِيهِ لَمَّا أَنْ أَرَاهُ غُرَابُ
وَتَنْظُرُ نُوْحًا وَهُوَ فِي الْفُلِّكَ قَدْ طَعَى	عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ عُبَابُ
وَأَنْ شِئْتَ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ وَقَوْمَهُمْ	وَمَا قَالَ كُلُّ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا
وَجَنَاتِ عَدْنٍ حُورَهَا وَنَعِيمًا	وَنَارًا بِهَا لِلْمُشْرِكِينَ عَذَابُ

فَتَلَّكَ لِأَرْبَابِ التَّقَاءِ وَهَذِهِ
وَأَنْ تُرِدَ الْوَعْظَ الَّذِي أَنْ عَقَلْتَهُ
تَجِدُهُ وَمَا تَهَوَّاهُ مِنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
وَأَنْ رُمْتَ إِبْرَازَ الْأَدْلَةِ فِي الَّذِي
تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ فِيهِ قَوَاطِعُ
وَمَا مَطْلَبٌ إِلَّا وَفِيهِ دَلِيلُهُ
وَفِيهِ الدَّوَاءُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَتَشْقُ بِهِ
يُرِيكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَغَيْرُهُ
يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الْجَدِيدِينَ جِدَّةً
وَأَيَّاتُهُ فِي كُلِّ حِينٍ طَرِيقَةٌ
وَفِيهِ هُدًى لِلْعَامِلِينَ وَرَحْمَةٌ

لِكُلِّ شَقِيٍّ قَدْ حَوَّاهُ عِقَابُ
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ عَنْهُ جَوَابُ
وَاللُّرُوحَ مِنْهُ مَطْعَمٌ وَشَرَابُ
تُرِيدُ فَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ تُجَابُ
بِهَا قُطِعَتْ لِلْمُلْحِدِينَ رِقَابُ
وَلَيْسَ عَلَيْهِ لِلذَّكِيِّ حِجَابُ
فَوَاللَّهِ مَا عَنْهُ يُنُوبُ كِتَابُ
مَفَاوِزُ جَهْلِ كُلِّهَا وَشِعَابُ
فَالْفَاضِلُ مَهْمَا تَلَوْتَ عَذَابُ
وَتَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمُرِ وَهِيَ كِعَابُ
وَفِيهِ عُلُومٌ جَمَّةٌ وَثَوَابُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَفْتَ فِيهِ مِنَ
الْآيَاتِ مُتَنَفِعِينَ، وَإِلَى لَذِيذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ، وَإِلْوَامِرِهِ وَتَوَاهِيهِ خَاضِعِينَ
وَالْأَعْمَالِ مُخْلِصِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» فِي فَضَائِلِ ذِكْرِ اللَّهِ

يُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَا سِيَّمَا فِي رَمَضَانَ.
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، وَقَالَ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، وَقَالَ:
﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وَقَالَ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وَقَالَ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي
نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخَفِيَّةً﴾ الْآيَةَ، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ﴾،
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ

خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه .

شِعْرًا: اذْكُرْ إِلَهُ الْعَالَمِينَ جَهْرًا فَإِنْ خَشِيتَ سُمْعَةً فَسِرًّا
وَاخْتَرْ مِنَ الْأَذْكَارِ مَا قَدْ أَثَرَا عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَاشْتَهَرَا
وَادْعُ لَدَى الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ بِمَا دَعَى الْمُخْتَارُ مِنْ دُعَاءِ
فَكُلُّ مَأْثُورٍ مِنَ الْأَذْكَارِ أَوْ مِنْ دُعَاءِ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ
فَاخْرِصْ عَلَيْهِ وَالزَّمِ الْمُتَابِعَةَ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَزَايَا النَّافِعَةَ
وَسِرْ عَلَى نَهْجِ النَّبِيِّ وَسِيرِهِ وَلَا تُتَابِعْ مَنْ رَضِيَ بغيرِهِ

وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سُبْحَانَ
اللهِ والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه
الشمس» رواه مسلم.

وعنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك
له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في كل يوم وليلة مائة مرة
كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة،
وكانت له جزاء من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل
مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»، وقال: «من قال: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ
في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياها، وإن كانت مثل زبد البحر» متفق عليه.

شِعْرًا: مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَةَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى يُلْهِمُ تَسْبِيحًا لِخَلَاقِ الْوَرَى
وَقَدْ تَحَلَّى بِالسَّخَاءِ وَالتَّقَى لِيَقْتَدِيَ مَنْ قَصْدُهُ سُبُلُ الْهُدَى

وعن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال:
«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على
كل شيء قدير، عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»
متفق عليه.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أُخْبِرُنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» رواه مسلم.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ مِائَةً بِالْعَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ كَانَ كَمَنْ حَجَّ مِائَةَ حَجَّةٍ، وَمَنْ حَمِدَ اللَّهَ مِائَةً بِالْعَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ كَانَ كَمَنْ حَمَلَ عَلَى مِائَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ قَالَ غَزَا مِائَةَ غَزْوَةٍ، وَمَنْ هَلَّلَ اللَّهَ مِائَةً بِالْعَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ مِائَةً بِالْعَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ لَمْ يَأْتِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَحَدٌ بِأَكْثَرَ مِمَّا أَتَى بِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ لِي مَا قَالَ» رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب.

وفي الصحيحين عن عليٍّ أَنَّ فَاطِمَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلَقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَ رَقِيقٌ فَلَمْ تُصَادِفْهُ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ عَلِيٌّ مَكَانِكُمَا فَجَاءَ وَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى بَطْنِي فَقَالَ أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضْجِعَكُمَا فَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ.

وَجَاءَ عَنِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ» حَسَنُهُ التَّرمِذِيُّ وَغَرَّبَهُ.

شِعْرًا: الذِّكْرُ بِالْمَأْثُورِ نِعْمَ الْقُرْبَى وَرُتْبَةُ الدَّاكِرِ أَعْلَى رُتْبَةِ لِأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الرِّغَائِبِ كَمَا عَلِمْتَ بَعْدَ فِعْلِ الْوَاجِبِ

وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ كَلَامُ اللَّهِ كَمَا أَتَانَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
وَبَعْدُ هَذَا الذِّكْرِ بِالْمَأْثُورِ عَنْ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْبَشِيرِ
كَالْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ كَمَا أَتَى فِي الْحَبْرِ الْمَشْهُورِ
أَمَّا لَدَى الْإِطْلَاقِ فَالتَّهْلِيلُ أَفْضَلُ مَا قَدْ قُلْتَ أَوْ تَقُولُ
كَذَاكَ الْاسْتِغْفَارُ ثُمَّ الْحَوْقَلَةُ كَمَا رَوَتْهُ السُّنَّةُ الْمُفْضَلَةُ
فَاذْكُرْ إِلَهَ الْعَالَمِينَ دَائِمًا وَدُمَّ عَلَى أَذْكَارِهِ مُلَازِمًا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

«فَصْلٌ»

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يَسِيرُ فِي
طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ (جُمْدَانُ) فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ،
سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتُ» رواه مسلم.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي
لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» متفق عليه.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: يقول الله أنا عند ظنِّ عَبْدِي بِي،
وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي
مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأِ خَيْرٍ مِنْهُمْ» متفق عليه.

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ تَجِدُ نَفْعَهُ يَوْمَ الْجَزَاءِ مُوقَّرًا

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
«يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ» متفق عليه.

شِعْرًا: لَوْ قِيلَ لِي مَا تَمَنَّى قُلْتُ مُبْتَدِرًا دَوَامَ ذِكْرٍ لِحَلَاقِ السَّمَوَاتِ
وَأَنْ الْأَزِمَ فِي الدُّنْيَا لِبَطَاعَتِهِ وَأَنْ أَوْفَقَ لِإِتْقَانِ الْعِبَادَاتِ
آخِر: وَعَدَّ مِنَ الرَّحْمَنِ فَضْلًا وَنِعْمَةً عَلَيْكَ إِذَا مَا جُزْتَ عُمَرُ مُحَمَّدٍ
وَأَكْثَرَ مِنَ التَّهْلِيلِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى الْعُمُرُ يَنْفَدُ

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أنا مع عبدي إذا ذكرني، وتحركت بي شفتاه» رواه البخاري.

وعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه - أن رجلاً قال يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسائلك رطباً من ذكر الله رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم. وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاكر الله في رمضان مغفور له، وسائل الله فيه لا يخيب» رواه الطبراني في (الأوسط) والبيهقي، والأصبهاني.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الباقيات الصالحات: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» أخرجه النسائي، وصححه ابن حبان والحاكم.

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى، قال: ذكر الله».

وعن عبد الله بن بسر قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أي الناس خير؟ فقال: طوبى لمن طال عمره وحسن عمله، قال: يارسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: أن تفارق الدنيا ولسائك رطباً من ذكر الله».

شِعْرًا: إِذَا أَلْهِمَ الْإِنْسَانَ ذِكْرًا لِرَبِّهِ وَكَانَ بَارِكًا فِي الْعِبَادَاتِ آتِيًا
فَذَاكَ الْفَتَى لَا مَنْ يَكُونُ مُضِيْعًا لِأَمْرٍ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَالِيًا
آخِر: فَوَائِدُ فِي ذِكْرِ الْإِلَهِ كَثِيرَةٌ وَإِنْ كَانَ مَنْ يَعْبَأُ بِهِنَّ قَلِيلُ
فَكُنْ يَا أَخَا اللَّبِّ الْكَرِيمِ مُحَافِظًا عَلَيْهَا تَفَرُّ بِالْأَجْرِ وَهُوَ جَزِيلُ
آخِر: لَا يَبْلُغُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتَّى يُطْعَمُوا لِحَلَالِ السَّمَوَاتِ
وَيَسْتَقْبِمُوا عَلَى مَا يَرْضِيهِ لَهُمْ وَيُكْثِرُوا ذِكْرَهُ فِي كُلِّ أَوْقَاتِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فصل»: قال ابن القيم رحمه الله قراءة القرآن أفضل من الذكر والذكر أفضل من الدعاء، هذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما بل منهي عنها نهي تحريم أو كراهة.

لما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صُفوف خلف أبي بكر فقال: «يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرطيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له إلا وإني نهيته أن أقرأ القرآن راعياً أو ساجداً، أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فأجتهدوا في الدعاء ففمن أن يستجاب لكم» رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود.

وكذا التسبيح والتحميد في محلها أفضل من القراءة وكذا التشهد وكذلك رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني بين السجدين أفضل من القراءة وكذلك الذكر عقب السلام من الصلاة - ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة.

وَكَذَلِكَ إِجَابَةُ الْمُؤَذِّنِ وَالْقَوْلُ كَمَا يَقُولُ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَإِنْ كَانَ فَضْلُ
الْقُرْآنِ عَلَى كُلِّ كَلَامٍ كَفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ لَكِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ مَتَى فَاتَ
مَقَالُهُ فِيهِ وَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ اخْتَلَّتْ الْحِكْمَةُ وَفُقِدَتِ الْمَصْلَحَةُ مِنْهُ .

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ دَوْمًا فَإِنَّهُ بِهِ يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ فَالزَّمَهُ تَسْعِدِ
آخِرُ: جَمْعُ الْكُتُبِ يُذْرِكُ مَنْ قَرَأَهَا مِلَالٌ أَوْ فُتُورٌ أَوْ سَامَةٌ
سِوَى الْقُرْآنِ فَافْهَمْ وَاسْتَمِعْ لِي وَقَوْلِ الْمُصْطَفَى يَا ذَا الشَّهَامَةِ

وَهَكَذَا الْأَذْكَارُ الْمُقَيَّدَةُ بِمَحَالٍ مَخْصُوصَةٍ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ الْمُطْلَقَةِ
وَالْقِرَاءَةُ الْمُطْلَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَذْكَارِ الْمُقَيَّدَةِ بِمَحَالٍ مَخْصُوصَةٍ، وَالْقِرَاءَةُ
الْمُطْلَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَذْكَارِ الْمُطْلَقَةِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَعْزُضَ لِلْعَبْدِ مَا يَجْعَلُ الذِّكْرَ
أَوْ الدُّعَاءَ أَنْفَعَ لَهُ مِنَ الْقُرْآنِ مِثَالُهُ أَنْ يَتَّفَكَّرَ فِي ذُنُوبِهِ فَيُحَدِّثُ لَهُ تَوْبَةً مِنْ
اسْتِغْفَارٍ أَوْ يَعْزُضُ لَهُ مَا يَخَافُ أَذَاهُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَيَعْدِلُ إِلَى
الْأَذْكَارِ وَالِدُّعَوَاتِ الَّتِي تُحَصِّنُهُ وَتَحُوطُهُ .

وَكَذَلِكَ أَيْضًا قَدْ يَعْزُضُ لِلْعَبْدِ حَاجَةٌ ضَرُورِيَّةٌ إِذَا اسْتَعْلَى عَنْ سُؤْلِهَا بِقِرَاءَةٍ
وَذِكْرٍ لَمْ يَخْضُرْ قَلْبُهُ فِيهَا وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى سُؤْلِهَا وَالدُّعَاءِ إِلَيْهَا اجْتَمَعَ قَلْبُهُ كُلُّهُ عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى وَأَحْدَثَ لَهُ تَضَرُّعًا وَخُشُوعًا وَابْتِهَالًا فَهَذَا قَدْ يَكُونُ اسْتِغَالَةً بِالدُّعَاءِ
وَالْحَالَةَ هَذِهِ أَنْفَعُ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ أَفْضَلَ وَأَعْظَمَ أَجْرًا .

شِعْرًا: وَمَنْ يُنْفِقُ السَّاعَاتِ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ يَعْيشُ حَمِيدًا وَهُوَ فِي الْحَشْرِ مُكْرَمٌ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ لِلَّهِ
مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ
تَنَادَوْا هَلِمُوا إِلَى حَاجَتِكُمْ .

قَالَ فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ
مَا يَقُولُ عِبَادِي، قَالَ يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيَكْبِرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ

وَيُحَدِّثُونَكَ، قَالَ فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنَاكَ، قَالَ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْنَاكَ، قَالَ فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنَاكَ.

قَالَ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْنَاكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجُّدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ فَيَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونَ، قَالُوا: يُسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْنَاكَ، فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَارَبُّ مَا رَأَوْنَاكَ. قَالَ فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنَاكَ.

قَالَ فَيَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْنَاكَ لَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ، قَالَ فَيَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَهَلْ رَأَوْنَاكَ، قَالَ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَارَبُّ مَا رَأَوْنَاكَ. قَالَ فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنَاكَ، قَالَ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْنَاكَ كَانُوا أَشَدَّ فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً.

قَالَ فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي عَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ، وَلِذَلِكَ حَثَّ ﷺ عَلَى الْجُلُوسِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَشَبَّهَهُ بِرَوْضَةِ الْجَنَّةِ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ». وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ حَيْفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ».

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ، قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ، قُلْتُ: تَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنِي فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ لَلْقَى مِثْلَ ذَلِكَ فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ وَتَذَكِّرُنَا بِالنَّارِ
وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ
وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ
عِنْدِي فِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ فِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ
سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ إِذَا حَصَلَ الْأُنْسُ بِذِكْرِ اللَّهِ انْقَطَعَ هُنَّ ذِكْرٍ مَا سِوَى اللَّهِ
وَمَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يُفَارِقُ عِنْدَ الْمَوْتِ فَلَا يَبْقَى مَعَهُ فِي الْقَبْرِ أَهْلٌ
وَلَا مَالٌ وَلَا وَكْدٌ وَلَا وَلايَةٌ وَلَا يَبْقَى إِلَّا عَمَلُهُ الصَّالِحُ ذَكَرُ اللَّهِ وَمَا وَلاهُ.

فَإِنْ كَانَ قَدْ أَنْسَ بِهِ تَمَتَّعَ بِهِ وَتَلَذَّذَ بِانْقِطَاعِ الْعَوَائِقِ الصَّارِفَةِ عَنْهُ إِذْ
ضُرُورَاتُ الْحَاجَاتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
وَلَا يَبْقَى بَعْدَ الْمَوْتِ عَائِقٌ فَكَأَنَّهُ جُلِيٌّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ فَعَظُمَتْ غِظَتُهُ
وَتَخَلَّصَ مِنَ السَّجْنِ الَّذِي كَانَ مَمْنُوعًا بِهِ عَمَّا أَنْسَهُ.

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي «أَحِبُّ مَا
أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ» أَرَادَ بِهِ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا فَإِنَّ ذَلِكَ يَفْنَى بِالْمَوْتِ فِي
حَقِّهِ فَكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. أَهـ.

اللَّهُمَّ الْهَمْنَا مَا الْهَمَّتْ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، وَأَيُّقِظْنَا مِنْ رَقَدَةِ الْعَافِلِينَ إِنَّكَ
أَكْرَمُ مُنْعِمٍ وَأَعَزُّ مُعِينٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِمًا
لِلْحَسَنَاتِ، وَوَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ،
وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ، وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

« نصيحة »

اسْمَعْ يَا مُضَيِّعَ الزَّمَانِ فِيمَا يَنْقُصُ الْإِيمَانَ، مُعْرِضاً عَنِ الْأَرْبَاحِ وَمُتَعَرِّضٌ
لِلْحُسْرَانِ، لَقَدْ سُرَّ بِفِعْلِكَ الشَّامِتُ.

يَا مَنْ يَفْرُحُ بِالْعَيْدِ لِتَحْسِينِ لِبَاسِهِ، وَيُوقِنُ بِالْمَوْتِ وَمَا اسْتَعَدَّ لِبَاسِهِ وَيَعْتَرِ
بِإِخْوَانِهِ وَأَقْرَانِهِ وَجُلَاسِهِ، وَكَأَنَّهُ قَدْ أَمِنَ سُرْعَةَ اخْتِلَاسِهِ.

يَا غَافِلاً قَدْ طُلِبَ، وَيَا مُخَاصِماً قَدْ غُلِبَ، وَيَا وَاثِقاً قَدْ سُلِبَ، إِيَّاكَ
وَالدُّنْيَا فَمَا الدُّنْيَا بَدَائِمَةٌ، لَقَدْ أَبَانَتْ لِلنَّوَاطِرِ عُيُوبَهَا، وَكَشَفَتْ لِلْبَصَائِرِ
عُيُوبَهَا، وَعَدَدَتْ عَلَى الْمَسَامِهِ ذُنُوبَهَا، وَمَا مَرَّتْ حَتَّى أَمَرَتْ مَشْرُوبَهَا.

فَلذَاتُهَا مِثْلُ لَمْعَانِ الْبَرْقِ وَمُصِيبَتُهَا وَاسِعَةُ الْخَرْقِ، سَوَتْ عَوَاقِبُهَا بَيْنَ
سُلْطَانِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ، فَمَا نَجَا مِنْهَا ذُو عَدَدٍ، وَلَا سَلِمَ فِيهَا صَاحِبُ عُدَدٍ،
مَزَّقَتْ الْكُلَّ بِكَفِّ الْبُدْدِ ثُمَّ وَلَّتْ فَمَا الْوَتُّ عَلَى أَحَدٍ.

قال صلى الله عليه وسلم: « سبعة يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ
وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهُ ».

اسْمَعْ يَا مَنْ أَجَابَ عَجُوزاً هَتْمًا عَمِيًّا صَمًّا جَرَبًا سَوْدَاءَ شَوْهَاءَ مُقَعَّدَةً
عَلَى مَرْبَلَةٍ وَلَكِنْ غَلَبَتْ عَلَيْكَ مَحَبَّتُهَا عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِطَحَاءِ مَكَّةَ ذَهَبًا
فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا.

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارِ مَسْرَةٍ فَتَحَوِّي مَكْرًا لَهَا وَخِدَاعًا
بَيْنَا الْفَتَى فِيهَا يُسُرُّ بِنَفْسِهِ وَبِمَالِهِ يَسْتَمْتَعُ اسْتِمْتَاعًا
حَتَّى سَقَتْهُ مِنَ الْمَنِيَةِ شَرْبَةً وَحَمَتُهُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ رَضَاعًا
فَعَدَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِيئَةً لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَرَّثَهُ دِفَاعًا
لَوْ كَانَ يَنْطِقُ قَالَ مَنْ تَحْتَ الْغُرَى فَلْيُحْسِنِ الْعَمَلَ الْفَتَى مَا اسْتَطَاعَا

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ هَادِمًا

لِلْحَسَنَاتِ ، وَوَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ ،
وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ ، وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل في فوائد ذكر الله تعالى »

قال ابن القيم - رحمه الله - : وفي ذكر الله أكثر من مائة فائدة يرضي
الرَّحْمَنَ وَيَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيُزِيلُ الْهَمَّ وَيَجْلِبُ الرِّزْقَ وَيَكْسِبُ الْمَهَابَةَ
وَالْحَلَاوَةَ وَيُورِثُ مَحَبَّةَ اللَّهِ الَّتِي هِيَ رُوحُ الْإِسْلَامِ .

وَيُورِثُ الْمَعْرِفَةَ وَالْإِتَابَةَ وَالقُرْبَ وَحَيَاةَ الْقَلْبِ وَذِكْرُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ هُوَ قُوَّةُ
الْقَلْبِ وَرُوحُهُ وَيَجْلِي صَدَاهُ وَيَحْطُ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ وَيُحْدِثُ الْأُنْسَ
وَيُزِيلُ الْوَحْشَةَ .

وَيُذَكِّرُ بِصَاحِبِهِ وَيُنْجِي مِنَ عَذَابِ اللَّهِ وَيُوجِبُ تَنْزُلَ السَّكِينَةِ وَغَشِيَانِ
الرَّحْمَةِ وَحُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ بِالذَّاكِرِ وَيَشْغُلُ عَنِ الْكَلَامِ الضَّارِّ وَيُسْعِدُ الذَّاكِرَ
وَيُسْعِدُ بِهِ جَلِيسَهُ مِنَ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مَعَ الْبُكَاءِ سَبَبٌ لِإِظْلَالِ اللَّهِ
الْعَبْدَ يَوْمَ الْحَشْرِ الْأَكْبَرِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ .

وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِعَطَاءِ اللَّهِ لِلذَّاكِرِ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي السَّائِلِينَ ، وَأَنَّهُ أَيْسَرُ
الْعِبَادَاتِ وَهُوَ مِنْ أَجْلِهَا ، وَأَفْضَلُهَا ؛ وَأَنَّهُ غِرَاسُ الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ الْعَطَاءَ وَالْفَضْلَ
الَّذِي رُبَّ عَلَيْهِ لَمْ يُرْتَبْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ دَوَامَ الذِّكْرِ لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
يُوجِبُ الْأَمَانَ مِنْ نَسْيَانِهِ الَّذِي هُوَ سَبَبٌ شَقَاءِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ .

شِعْرًا : لَا شَيْءَ مِثْلَ كَلَامِ اللَّهِ تَحْفَظُهُ حِفْظًا رَاصِينًا وَتَعْمَلُ فِيهِ مُجْتَهِدًا
شِعْرًا : لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ أَمْضَى الْحَيَاةِ بِتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ
آخِر : مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَةَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى يُلْهَمُ تَسْبِيحًا لِحَلَاقِ الْوَرَى

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُسِيرُ الْعَبْدَ وَهُوَ فِي فِرَاشِهِ فِي سُوقِهِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ نُورُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا وَنُورٌ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنُورٌ لَهُ فِي مَعَادِهِ وَأَنَّ فِي الْقَلْبِ حَلَّةً وَفَاقَةً لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ الْبَتَّةَ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ قَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ وَهُمُومِهِ وَغَرَمِهِ وَالذِّكْرُ يُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ وَالْحَسْرَاتِ عَلَى مَوْتِ حُطُوطِهِ وَمَطَالِبِهِ وَيُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَى حَرْبِهِ مِنْ جُنْدِ الشَّيْطَانِ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُنْبِئُ الْقَلْبَ مِنْ تَوَمُّهِ وَيُوقِظُهُ ، وَالْقَلْبُ إِذَا كَانَ نَائِمًا فَاتَتْهُ الْأَرْبَاحُ وَالْمَتَاجِرُ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ شَجَرَةٌ تُثْمِرُ الْمَعَارِفَ وَالْأَحْوَالَ الَّتِي شَمَّرَ إِلَيْهَا السَّالِكُونَ ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى تَيْلِ ثِمَارِهَا إِلَّا مِنْ شَجَرَةِ الذِّكْرِ .

وَأَنَّ الذَّاكِرَ قَرِيبٌ مِنْ مَذْكُورِهِ وَمَذْكُورُهُ مَعَهُ وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ يَعْدِلُ عِنَقَ الرَّقَابِ وَتَفَقَّةَ الْأَمْوَالِ وَالْحَمَلَ عَلَى الْحَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّ الذِّكْرَ رَأْسَ الشُّكْرِ ، وَأَنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْمُتَّقِينَ مَنْ لَا يَزَالُ لِسَانَهُ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

وَأَنَّ فِي الْقَلْبِ قَسْوَةً لَا يُذِيئُهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنَّ الذِّكْرَ شِفَاءُ الْقَلْبِ وَدَوَاؤُهُ وَالْعَفْلَةَ مَرَضُهُ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ أَصْلُ مَوْلَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ مَا اسْتُجِلِبَتْ نِعْمُ اللَّهِ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقْمُهُ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ .

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
آخَرُ: فَجَالِسِ رِجَالَ الْعِلْمِ وَاحْفَظْ حَدِيثَهُمْ
فَمَا حَبَّ عَبْدٌ لِلْمُهَيَّمِينَ يَذْكُرُ
وَلَاتُكُ لِلْجُهَّالِ يَوْمًا مُوَخِيَا
لِذِكْرِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَالِيَا
فَتُحْرَزُ غُفْرَانًا وَأَعْلَى الْأَمَانِيَا
وَلَا زِمَ فِتْيَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مُلَا زِمُ
لَعَلَّكَ أَنْ تَعْتَادَ لِلذِّكْرِ مِثْلَهُ

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُوجِبُ صَلَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَى الذَّاكِرِ وَأَنَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَسْكُنَ رِيَاضَ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا فَلْيَسْتَوْطِنْ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِنَّهَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ،

وَأَنْ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ .

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِالذَّاكِرِينَ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَنَّ مُدْمِنَ الذِّكْرِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا شُرِعَتْ لِإِقَامَةِ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ كُلِّ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَفْضَلُ الصُّوَامِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يُسَهِّلُ الصَّعْبَ وَيُسِيرُ الْعَسِيرَ وَيُخَفِّفُ الْمَشَاقَّ ، وَأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يَذْهَبُ عَنِ الْقَلْبِ مَخَافَتَهُ كُلَّهَا ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حُصُولِ الْأَمْنِ ، وَأَنَّ فِي الْأَشْتِعَالِ بِالذِّكْرِ اشْتِعَالًا عَنِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَاللُّغْوِ ، وَأَنَّ عَمَالَ الْآخِرَةِ كُلَّهُمْ فِي مِضْمَارِ السَّبَاقِ وَالذَّاكِرُونَ أَسْبَقُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْمَارِ وَلَكِنَّ الْفِتْرَةَ وَالْعُبَارُ يَمْنَعَانِ مِنْ رُؤْيَةِ سَبْقِهِمْ .

فَإِذَا انْجَلَى الْعُبَارُ وَانْكَشَفَ ، رَأَاهُم النَّاسُ ، وَقَدْ حَازُوا قِصَبَ السَّبْقِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ سَبَبٌ لِتَصْدِيقِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ . فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَتُعُوتِ جَلَالِهِ فَإِذَا أَخْبَرَ بِهَا الْعَبْدُ صِدْقَهُ رَبُّهُ وَمَنْ صَدَّقَهُ اللَّهُ لَمْ يُحْشَرَ مَعَ الْكَاذِبِينَ وَرُجِي لَهُ أَنْ يُحْشَرَ مَعَ الصَّادِقِينَ .

شِعْرًا: وَدَاوِمٌ وَلَازِمٌ قَرَعَ بَابِ مُؤْمَلًا
وَصَابِرٌ فَمَا نَالَ الْعُلَا غَيْرَ صَابِرٍ
مَعَ الصَّبْرِ إِحْدَى الْحُسَيْنِيِّنَ مُنَاكِ أَوْ
وَدَاوِ لِسُقْمِ الْقَلْبِ وَاعْمُرْ خَرَابَهُ
آخِرٌ: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ
وَلَمْ يُبَالُوا بِأَوْرَاقٍ وَلَا ذَهَبٍ
فَمَا حَيَّبَ الْمَوْلَى رَجَاءَ مُؤْمَلٍ
وَقُلْ وَاعِظًا لِلنَّفْسِ عِنْدَ التَّمَلُّمِ
مَنَايَا كِرَامِ فَاصْبِرْ نِي وَتَحَمَّلْ
بِذِكْرِ الَّذِي نَعْمَاهُ لِلْخَلْقِ تَشْمِلُ
لَمْ يُلْهِهِمْ عَنْهُ تَجْمِيعُ الدَّنَائِيرِ
وَلَوْ تَحَصَّلَ آلَافُ الْقَنَاطِيرِ

اللَّهُمَّ الْهَمَّتَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِحٌ يَا قَاضِي

الْحَاجَاتِ وَمُجِيبِ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ وَمِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ أَيْضاً مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَنَّ دُورَ الْجَنَّةِ تُبْنَى بِالذِّكْرِ، فَإِذَا أَمْسَكَ الذَّاكِرُ عَنِ الذِّكْرِ أَمْسَكَ الْمَلَائِكَةُ
عَنِ الْبِنَاءِ، وَأَنَّ الذِّكْرَ سَدٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ جَهَنَّمَ فَإِذَا كَانَتْ لَهُ إِلَى جَهَنَّمَ طَرِيقُ
عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، كَانَ الذِّكْرُ سَدًّا فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ
لِلذَّاكِرِ كَمَا تَسْتَغْفِرُ لِلتَّائِبِ، وَأَنَّ الْجِبَالَ وَالْقِفَارَ تَتْبَاهَى وَتَسْتَبْشِرُ بِمَنْ يَذْكُرُ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا، وَأَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمَانٌ مِنَ التَّفَاقِ، فَإِنَّ
الْمُنَافِقِينَ قَلِيلُوا الذِّكْرَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قال تَبَارَكَ وتعالى في الْمُنَافِقِينَ : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وَأَنَّ لِلذِّكْرِ
مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ لَدَّةٌ لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ مِنْ ثَوَابِهِ إِلَّا اللَّذَّةُ الْحَاصِلَةُ
لِلذَّاكِرِ، وَأَنَّهُ يَكْسُو الْوَجْهَ نَضْرَةً فِي الدُّنْيَا وَنُورًا فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ فِي دَوَامِ الذِّكْرِ فِي
الطَّرِيقِ وَالنَّيْتِ وَالْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَالْبِقَاعِ تَكْثِيرًا لِشُهُودِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ
الْبُقْعَةَ وَالذَّارَ وَالْجَبَلَ وَالْأَرْضَ تَشْهَدُ لِلذَّاكِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَأَنَّ الذِّكْرَ يُعْطِي الذَّاكِرَ
قُوَّةً حَتَّى أَنَّهُ لِيَفْعَلَ مَعَ الذِّكْرِ مَا لَمْ يَظُنَّ فِعْلَهُ بِدُونِهِ، قَالَ وَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ قُوَّةِ
شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ فِي سُنَنِهِ وَكَلَامِهِ وَأَقْدَامِهِ وَكِتَابَتِهِ أَمْرًا عَجِيبًا، فَكَانَ يَكْتُبُ
فِي الْيَوْمِ مِنَ التَّصْنِيفِ مَا يَكْتُبُهُ النَّاسِخُ فِي جُمُعَةٍ وَأَكْثَرُ .

مَا دُمْتَ تَقْدِرُ فَأَكْثِرْ ذِكْرَ خَالِقِنَا وَأَدِّ وَاجِبَهُ نَحْوَ الْعِبَادَاتِ
فَسَوْفَ تَنْدُمُ إِنْ فَرَطْتَ فِي زَمَنِ مَا فِيهِ ذِكْرٌ لِخَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنْ يُسَبِّحَا كُلَّ

لَيْلَةً إِذَا أَخَذَ مَضَاجِعُهُمَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، لَمَّا سَأَلْتُهُ الْخَادِمَ، وَشَكَتَ إِلَيْهِ مَا تُقَاسِيهِ مِنَ الطَّحْنِ وَالسَّعْيِ وَالخِدْمَةِ، فَعَلَّمَهَا ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمَْا مِنْ خَادِمٍ.

فَقِيلَ إِنَّ مَنْ دَاوَمَ عَلَى ذَلِكَ وَجَدَ قُوَّةً فِي عَمَلِهِ مُعْنِيَةً عَنِ خَادِمٍ، قَالَ وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَذْكُرُ أَثْرًا فِي هَذَا الْبَابِ، وَيَقُولُ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا أُمِرُوا بِحَمْلِ الْعَرْشِ، قَالُوا يَا رَبَّنَا كَيْفَ نَحْمِلُ عَرْشَكَ وَعَلَيْهِ عَظْمَتُكَ وَجَلَالُكَ، فَقَالَ: قُولُوا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فَلَمَّا قَالُوا حَمَلُوهُ حَتَّى رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي الدُّنْيَا قَدْ ذَكَرَ هَذَا الْأَثْرَ بَعَيْنَهُ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَشِيخَتُنَا أَنَّهُ بَلَغَهُمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَرْزًا وَجَلَّ حِينَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ قَالُوا: رَبَّنَا لِمَ خَلَقْتَنَا؟ قَالَ: خَلَقْتُكُمْ لِحَمْلِ عَرْشِي. قَالُوا: رَبَّنَا وَمَنْ يَقْوَى عَلَى حَمْلِ عَرْشِكَ وَعَلَيْهِ عَظْمَتُكَ وَجَلَالُكَ وَوَقَارُكَ، قَالَ: لِذَلِكَ خَلَقْتُكُمْ، فَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ مِرَارًا، فَقَالَ: قُولُوا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَحَمَلُوهُ.

قَالَ: وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَهَا تَأْتِيرٌ عَجِيبٌ فِي مُعَانَاةِ الْأَشْغَالِ الصَّغِيرَةِ، وَتَحْمِلِ الْمَشَاقِّ وَالذُّخُولِ عَلَى الْمُلُوكِ وَمَنْ يُخَافُ، وَرُكُوبِ الْأَهْوَالِ، وَلَهَا أَيْضًا تَأْتِيرٌ فِي دَفْعِ الْفَقْرِ، قَالَ: وَمَبْنَى الدِّينِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ: الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ.

إِذَا رُمْتَ أَنْ تُحْطَى بِعِزٍّ وَرِفْعَةٍ بِدُنْيَاكَ وَالْأُخْرَى لِتَيْلِ السَّعَادَةِ
عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلَ وَلَوْ قَدَرَ لِحِطَّةٍ
آخِرُ: إِلَهُ الْوَرَى حَتَّمْ عَلَى النَّاسِ حَمْدَهُ لِمَا جَادَ مِنْ فَضْلِ عَلَيْهِمْ بِلَا مَنِ

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ مُجَرَّدَ ذِكْرِ اللِّسَانِ بَلْ الذِّكْرُ الْقَلْبِيُّ وَاللِّسَانِيُّ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَتَهُ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْمَدْحِ وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَوْحِيدِهِ فَذِكْرُهُ الْحَقِيقِيُّ يَسْتَلْزِمُ ذِكْرَ نِعْمِهِ وَآلَاتِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ.

وأما الشكر فهو القيام بطاعته ، فذكره مستلزم لمعرفته وشكره متضمن لطاعته وهما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس .

«فائدة» : قال الشيخ تقي الدين : من أثبت قلبه ببلاء قلبه أزعجه فأعظم دواء له قوة الإلتجاء إلى الله ودوام التضرع والدعاء فإن يتعلم الأدعية الماثورة ويتوحي الدعاء في مظان الإجابة مثل آخر الليل وأوقات الأذان والإقامة وفي السجود وإدبار الصلوات ، ويضم إلى ذلك الاستغفار .

وليتخذ ورداً من الأذكار طرفي النهار وعند النوم ، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف ، فإنه لا بد أن يؤيده الله بروح منه ويكتب الإيمان في قلبه وليحرص على عمود الدين ، وليكن هجيراه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فإنه بها يحمل الأثقال ويكابد الأهوال ، وينال رفيع الأحوال ولا يسأم من الدعاء والطلب ، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل وليعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا ، ولم ينل أحد شيئاً من عميم الخير إلا بالصبر والله الموفق .

شِعْرًا : لا تقصد الناس إذا أدبرت
كيف يرجي الرزق من عند من
آخر : يا أيها الطالب من مثله
لا تطلبن الرزق من طالب
وارغب إلى الله الذي لم يزل
شِعْرًا : بذكرك يامولى الورى نتعم
شهدنا يقيناً أن علمك واسع
إلهي تحمّلنا ذنوباً عظيمة

دُنياك واقصد من جواد كريم
يطلب الرزق من الرب الرحيم
رزقاً له جرت عن الحكمة
مثلك محتاج إلى الرحمة
في يده النعمة والتقمة
وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
فأنت ترى ما في القلوب وتعلم
أسانا وقصرنا وجودك أعظم

وَحَقِّكَ مَا فِيْنَا مُسِيءٌ يَسْرُهُ
سَكَّنْتَا عَنِ الشُّكْوَى حَيَاءً وَهَيْبَةً
إِذَا كَانَ ذُلُّ الْعَبْدِ بِالْحَالِ نَاطِقًا
إِلَهِي فَجُدْ وَاصْفَحْ وَأَصْلِحْ قُلُوبَنَا
وَأَنْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوَافَقُوا
وَقُلْتَ اسْتَقَامُوا مِنِّي وَتَكْرَمًا
لَهُمْ فِي الدُّجَى أَنْسٌ بِذِكْرِكَ دَائِمًا
نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً بِتَعَطُّفٍ
لَكَ الْحَمْدُ عَامِلِنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

اللَّهُمَّ اللَّهُمَّا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ ،
اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِالْإِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ
سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَنْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ ،
وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»: قَالَ فِي حَادِي الْأُرُوحِ وَلَمَّا عَلِمَ الْمُؤَفَّقُونَ مَا حُلِقُوا لَهُ وَمَا
إِنْجَادُهُمْ لَهُ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَإِذَا عَلِمَ الْجَنَّةَ قَدْ رَفَعَ لَهُمْ شَمْرُورًا إِلَيْهِ وَإِذَا
صِرَاطُهَا الْمُسْتَقِيمَ قَدْ وَضَحَ لَهُمْ فَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ وَرَأَوْا مِنْ أَعْظَمِ الْعَيْنِ بَيْعَ مَا لَا
عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

وَفِي أَبَدٍ لَا يُزُولُ وَلَا يَنْفَدُ بِصُبَابِهِ عَيْشٍ إِنَّمَا هُوَ أَضْعَافُ أَحْلَامٍ أَوْ كَطَيْفٍ
زَارَ فِي الْمَنَامِ مَشُوبٍ بِالنَّعْصِ مَمْزُوجٍ بِالْغُصَصِ إِنْ أَضْحَكَ قَلِيلًا أَبْكَى كَثِيرًا
وَإِنْ سَرَّ يَوْمًا أَحْزَنَ شَهْرًا أَلَامُهُ تَزِيدُ عَلَى لَذَاتِهِ وَأَحْزَانُهُ أضعافُ مَسْرَاتِهِ أَوْلُهُ
مَخَافٍ وَآخِرُهُ مَتَأَلَفٌ .

فَيَا عَجَباً مِنْ سَفِيهِ فِي صُورَةِ حَكِيمٍ وَمَعْتَوِهِ فِي مِسْلَاحٍ عَاقِلٍ آثَرَ الْحَضِّ
الْفَانِي الْحَسِينِ عَلَى الْحَضِّ الْبَاقِي النَّفِيسِ بَاعَ جَنَّةَ عَرْضِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ
بِسِحْنِ ضَيْقِ بَيْنِ أَرْبَابِ الْعَاهَاتِ وَالْبَلِيَّاتِ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَاتِ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ بِأَعْطَانِ ضَيْقَةٍ آخَرُهَا الْحَرَابُ وَالْبَوَارُ.

وأبكاراً عُرباً أثرباً كأنهنَّ الياقوتُ والمرجانُ بقدراتٍ دَنَسَاتٍ سَيِّمَاتٍ
الأخلاقِ مُسَافِحَاتٍ أَوْ مُتَّخِذَاتٍ أَحْدَانٍ وَحُوراً مَقْصُورَاتاً فِي الْخِيَامِ بِحَبِيبَاتٍ
مُسَيَّبَاتٍ بَيْنَ الْأَنَامِ وَأَنْهَاراً مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ بِشَرَابٍ نَجَسِي مُذْهَبٍ لِلْعَقْلِ
مُفْسِدٍ لِلدُّنْيَا وَالذِّينِ، وَلَذَّةٍ النَّظْرِ إِلَى وَجْهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ بِالتَّمَتُّعِ بِرُؤْيَةِ الْوَجْهِ
الْقَبِيحِ الذَّمِيمِ.

وَسَمَاعَ الْخِطَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ بِسَمَاعِ الْمَعَارِفِ وَالْعِنَاءِ وَاللَّحَانِ وَالْجُلُوسِ
عَلَى مَنَابِرِ اللَّوْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالْمُرْجَانِ وَالزَّبَرْجَدِ وَيَوْمَ الْمَزِيدِ بِالْجُلُوسِ فِي
مَجَالِسِ الْفُسُوقِ مَعَ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ.

وإِنَّمَا يَظْهَرُ الْعَبْنُ الْفَاحِشُ فِي هَذَا الْبَيْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَتَبَيَّنُ سَفَهُ بَائِعِهِ يَوْمَ
الْحَسْرَةِ وَالذَّمَامَةِ إِذَا حُشِرَ الْمُتَّقُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَا وَسِيقَ الْمُجْرِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ
وَرَدَاً وَنَادَى الْمُنَادِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ لِيَعْلَمَنَّ أَهْلُ الْمَوْقِفِ مَنْ أَوْلَى بِالْكَرَمِ
مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ.

فَلَوْ تَوَهَّمِ الْمُتَخَلِّفُ عَنْ هَذِهِ الرَّفْقَةِ وَمَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْاِكْرَامِ وَادْخَرَ لَهُمْ
مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ وَمَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ لَمْ يَقَعْ عَلَى مِثْلِهَا بَصَرٌ وَلَا
سَمِعَتْهُ أذنٌ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ عَلمٌ أَيْ بِضَاعَةٍ أَضَاعَ وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ لَهُ فِي
حَيَاتِهِ وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ.

وَأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ تَوَسَّطُوا مُلْكاً كَبِيراً لَا تَعْتَرِيهِ الْآفَاتُ وَلَا يَلْحَقُهُ الزَّوَالُ
وَفَازُوا بِالتَّعْيِيمِ الْمَقِيمِ فِي جِوَارِ الرَّبِّ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، فَهُمْ فِي رُوضَاتِ الْجَنَّاتِ

يَتَقَلَّبُونَ وَعَلَى أَسْرَتِهَا تَحْتَ الْحِجَالِ يَجْلِسُونَ وَعَلَى الْفُرْشِ الَّتِي بَطَائِنُهَا مِنْ
اسْتَبْرَقٍ يَتَكَبَّرُونَ وَبِالْحُورِ الْعَيْنِ يَتَمَتَّعُونَ .

وبأنواع الثمار يتفكهون ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ
وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ
وَلَحْمٍ يِرِّ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٍ عِينٍ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ يُظَافِ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ
الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنَ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ تَا اللَّهُ لَقَدْ نُودِيَ عَلَيْهَا فِي سُوْقِ
الْكَسَادِ فَمَا قَلَّبَ وَلَا اسْتَمَّ إِلَّا أَفْرَادًا مِنَ الْعِبَادِ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النُّونِيَّةِ :

يَا اللَّهُ مَا عُدْرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ حَقًّا بِهَذَا لَيْسَ بِالْيَقْظَانِ
بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فَإِذَا اسْتَفَا قِ فُلْبُسُهُ هُوَ حُلَّةُ الْكَسْلَانِ
تَا اللَّهُ لَوْ شَاقَتَكَ جَنَاتُ النَّعِيمِ حِمَّ طَلَبَتَهَا بِنَفَائِسِ الْاِثْمَانِ
وَسَعَيْتَ جُهْدَكَ فِي وَصَالِ نَوَاعِمِ وَكَوَاعِبِ بِيضِ الْوُجُوهِ حِسَانِ
جُلَيْتَ عَلَيْكَ عَرَائِسُ وَاللَّهُ لَوْ تُجَلَّى عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصُّوَانِ
رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَعَادَ لِوَقْتِهِ يَنْهَالُ مِثْلَ نَقْيٍ مِنَ الْكُتُبَانِ
لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي الْقَسَاوَةِ جَارَ حَدِّ دِ الصَّخْرِ وَالْحَصْبَاءِ فِي أَشْجَانِ
لَوْ هَزَكَ الشُّوقُ الْمُقِيمُ وَكُنْتَ ذَا حِسِّ لَمَّا اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَذْوَانِ
أَوْ صَادَقَتْ مِنْكَ الصُّفَاتُ حَيَاةَ قَدْ بِ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ بِهَذَا الشَّانِ
حُورٌ تُزْفُ إِلَى ضَرِيرٍ مُقْعَدٍ يَا مِحْنَةَ الْحَسَنَاءِ بِالْعُمَيَّانِ
شَمْسٌ لِعَيْنِي تَزْفُ إِلَيْهِ مَا ذَا حِيلَةَ الْعَيْنِ فِي الْعَشِيَّانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً بَلِ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسْلَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا بِالْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اِثْنَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَاذَا كَفُوَهَا إِلَّا أَوْلُوا التَّقْوَى مَعَ الْاِئْمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوْقُكَ كَاسِدٌ بَيْنَ الْأَرَاذِلِ سَفَلَةِ الْحَيَّوَانِ

يا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيُّنَ الْمَشْتَرِي
يا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ
يا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصْبُرُ أَلْ
يا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَّهُمَا
مَا كَانَ عَنْهَا قَطٌّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ
لَكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
وَتَنَالَهَا الْهَمُّ الَّتِي تَسْمُوا إِلَى

فَلَقَدْ عُرِضَتْ بِأَيْسْرِ الْأَثْمَانِ
فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُوْ إِمْكَانٍ
حُطَّابُ عَنكَ وَهُمْ ذُوْوَ إِيْمَانٍ
حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي
لِيَصُدَّ عَنْهَا الْمُبْطِلُ الْمُتَوَانِي
رَبُّ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا
بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى
خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْأَدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ
عَلَى بِلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَأَخْلِصْ عَمَلَنَا مِنَ
الرِّيَاءِ وَمَكْسَبَنَا مِنَ الرِّبَا وَتَوَزَّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى طَاعَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» فِي فَضَائِلِ الْاسْتِغْفَارِ

يُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَيَتَأَكَّدُ فِي الزَّمَانِ الْفَاضِلِ،
وَالْمَكَانِ الْفَاضِلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، وَقَالَ: ﴿أَفَلَا
يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ
مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؛ وَقَالَ تَعَالَى، مُحْضِرًا عَنْ نُوحٍ: ﴿... فَقُلْتُ
اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِّكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَيَبَيِّنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ الْآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا وَيَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا رَحِيمًا﴾.

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: إِنَّا كُنَّا لَنُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتَبَّ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الْغُفُورُ» مِائَةً مَرَّةً.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ وَجِدَ فِي صَحِيفَتِهِ: اسْتَغْفَارًا كَثِيرًا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنِّي لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ».

شِعْرًا: يَا ذَا الْمَعَارِجِ أَنْتَ اللَّهُ أَسْأَلُهُ
أَدْعُوكَ أَدْعُوكَ يَا قَيُّومُ فِي ظُلْمٍ
تُعْطِي لِمَنْ شِئْتَ مَنْ يَسْأَلُكَ مِنْ سَعَةٍ
تَغْفِرُ ذُنُوبِي وَتَحْتَمُ لِي بِحَاتِمَةٍ
وَأَنْتَ يَا رَبِّ مَدْعُوٌّ وَمَسْئُولُ
وَكُلُّ دَعٍ بِحُلُومِ النَّوْمِ مَشْغُولُ
وَالْخَيْرُ مِنْكَ لِمَنْ نَادَاكَ مَبْدُولُ
تُرْضِيكَ عَنِّي وَظَنِّي فِيكَ مَأْمُولُ

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ فَرْجٍ وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ».

وَعَنْ الْأَعْرَابِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وَقَالَ حُذَيْفَةُ: كُنْتُ ذَرَبَ اللِّسَانِ عَلَى أَهْلِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ حَشِيتُ أَنْ يُدْخِلَنِي لِسَانِي النَّارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ، فَأِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ.

وَعَنْ زَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِيحَ، وَأَنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عِنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لِأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

«فَصَلِّ»: وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ إِبْلِيسُ: وَعِزَّتِكَ لَا أَبْرُحُ أَعْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَرَأُلُ أَعْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي».

وَعَنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ

تَسْرُهُ صَحِيفَتُهُ فَيُكْتَبُ فِيهَا مِنَ الْاِسْتِغْفَارِ» .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نَكَتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً ، فَإِنْ هُوَ تَزَعَّ وَاسْتَغْفَرَ صُفِلَتْ ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ لِلْقُلُوبِ صِدَأً كَصِدَأِ النُّحَاسِ ، وَجَلَاؤُهَا الْاِسْتِغْفَارُ» .

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرَةٍ ، فَقَالَ : «اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ» فَاسْتَغْفَلْنَا ، فَقَالَ : «أَتَمُّوْهَا سَبْعِينَ مَرَّةً» فَأَتَمَمْنَاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أَمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِمِائَةَ ذَنْبٍ ، وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ عَمِلَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةِ ذَنْبٍ» .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ : «فَاسْتَكْثَرُوا فِيهِ مَنْ خَصَلْتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ فَشَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالِاسْتِغْفَارُ وَأَمَّا الَّتِي لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا فَتَسْأَلُونَهُ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ» .

فَهَذِهِ الْخِصَالُ الْأَرْبَعُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ كُلِّ مِنْهَا سَبَبٌ لِلْمَغْفِرَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، فَأَمَّا كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذَّنُوبَ وَتَمْحُوها مَحْوًا ، وَلَا تُبْقِي ذَنْبًا ، وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ، وَهِيَ تَعْدِلُ عِتْقُ الرَّقَابِ الَّذِي يُوجِبُ الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ أَتَى بِهَا حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَهَا

خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ حَرَمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ .

وَأَمَّا كَلِمَةُ الاسْتِغْفَارِ فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ . فَإِنَّ الاسْتِغْفَارَ دُعَاءُ بِالْمَغْفِرَةِ ، وَدُعَاءُ الصَّائِمِ إِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ الشُّرُوطُ وَانْتَفَتِ الْمَوَانِعُ مُسْتَجَابٌ حَالَ صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : « وَيَغْفِرُ اللهُ إِلَّا لِمَنْ أَبِي ، قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَنْ يَا أَبِي ؟ قَالَ : يَا أَبِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهُ » .

وَقَالَ لُقْمَانَ لابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عَوِّدْ لِسَانَكَ الاسْتِغْفَارَ ، فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرُدُّ فِيهَا سَائِلاً ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالاسْتِغْفَارِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَاَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ .

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ : أَنَّ إبْلِسَ قَالَ : أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِالاسْتِغْفَارِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

وَالاسْتِغْفَارُ خِتَامُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا فَيُخْتَمُ بِهِ الصَّلَاةُ وَالْحَجُّ وَالْقِيَامُ فِي اللَّيْلِ وَيُخْتَمُ بِهِ الْمَجَالِسُ ، فَإِنْ كَانَتْ ذِكْرًا كَانَ كَالطَّابَعِ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ لَعْوًا كَانَ كَكْفَارَةٍ لَهَا ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَمَ صِيَامُ رَمَضَانَ بِالاسْتِغْفَارِ يُرْفَعُ مَا تَحَرَّقَ مِنَ الصِّيَامِ بِاللَّعْوِ وَالرَّفَثِ « وَيُجْتَهَدُ فِي الْكَثَارَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالتَّقَلُّلِ مِنْ شَوَاعِلِ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ مَا دَامَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ » .

وَمِنْ عِظَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ ظَعْنٍ لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ لَهَا فِي كُلِّ حِينٍ قَتِيلٌ تُذَلُّ مَنْ أَعَزَّهَا وَتُفْقِرُ مَنْ جَمَعَهَا هِيَ كَالسَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَفِيهِ حَتْفُهُ فَكُنْ فِيهَا كَالْمَدَاوِي جِرَاحُهُ يَحْتَمِي قَلِيلاً مَخَافَةَ مَا يَكْرَهُ طَوِيلًا وَيَصْبِرُ عَلَى شِدَّةِ الدَّوَاءِ مَخَافَةَ طُولِ الدَّاءِ ، فَأَحْذَرُ هَذِهِ الدُّنْيَا الْحَدَّاعَةَ الْعَدَارَةَ الْخَتَالَةَ الَّتِي قَدْ تَرَبَّيْتُ بِخِدْعِهَا وَقَتَلْتُ بِغُرُورِهَا وَتَحَلَّيْتُ بِأَمَالِهَا وَسَوِّفْتُ بِحُطَّابِهَا .

فأصبحت كالعرُوسِ المَجْلِيَّةِ العُيُونُ إِلَيْهَا نَاطِرَةٌ وَالْقَلُوبُ عَلَيْهَا وَآلِهَةٌ
 وَهِيَ لِأَزْوَاجِهَا كُلِّهِنَّ قَالِيَةٌ، فَلَا الْبَاقِي بِالْمَاضِي مُعْتَبِرٌ وَلَا الْآخِرُ بِالْأَوَّلِ
 مُزْدَجِرٌ، فَعَاشِقٌ لَهَا قَدْ ظَفِرَ مِنْهَا بِحَاجَتِهِ فَاعْتَرَّ وَطَفَى وَنَسِيَ الْمَعَادَ فَشَعَلَ
 فِيهَا لُبُهُ حَتَّى زَلَّتْ بِهِ قَدَمُهُ فَعَظُمَتْ نَدَامَتُهُ وَكَثُرَتْ حَسْرَتُهُ وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ
 سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَتَأَلَّمَهُ وَحَسَرَاتُ الْفَوْتِ بِغُصَّتِيهِ وَرَاغِبٌ فِيهَا لَمْ يُدْرِكْ مِنْهَا مَا
 طَلَبَ وَلَمْ يُرْجَعْ نَفْسُهُ مِنَ التَّعَبِ فَخَرَجَ بِغَيْرِ زَادٍ وَقَدَّمَ عَلَى غَيْرِ مِهَادٍ .

فأحذرَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكُنْ أَسْرًا مَا تَكُونُ فِيهَا أَحْذَرُ لَهَا فَإِنَّ صَاحِبَ
 الدُّنْيَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُورٍ أَشْخَصْتَهُ إِلَى مَكْرُوهٍ وَضَارٍ وَقَدْ وَصَلَ
 الرَّخَاءُ مِنْهَا بِالْبَلَاءِ وَجُعِلَ الْبَقَاءُ إِلَى فَنَاءٍ فَسُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْأَحْزَانِ، أَمَانِيَّتُهَا
 كَاذِبَةٌ وَأَمَالُهَا بَاطِلَةٌ وَصَفْوَاهَا كَدْرٌ وَعَيْشُهَا نَكْدٌ وَبُنُ آدَمَ فِيهَا عَلَى حَاطِرٍ، إهـ .

شِعْرًا: يَا أَيُّهَا النَّاسِي لِيَوْمِ رَحِيلِهِ أَرَكَ عَنِ الْمَوْتِ الْمُفِرِّقِ لَأَهْيَا
 أَلَا تَعْتَبِرُ بِالرَّاحِلِينَ إِلَى الْبَلَى وَتَرَكِيهِمُ الدُّنْيَا جَمِيعًا كَمَا هِيَ
 وَلَمْ يَخْرُجُوا إِلَّا بِقُطْنٍ وَخِرْقَةٍ وَمَا عَمَرُوا مِنْ مَنْزِلٍ ظَلَّ خَالِيًا
 وَأَنْتَ غَدًا أَوْ بَعْدَهُ فِي جِوَارِهِمْ وَحِيدًا فَرِيدًا فِي الْمَقَابِرِ ثَاوِيًا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيُّظُنَّا مِنْ نَوْمِ الْعَفَلَةِ
 وَتَبَهْنَا لِاعْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصَمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُئُوبِنَا وَلَا
 تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ
 الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ، اللَّهُمَّ
 انْظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ
 فَسِيحَ جَنَاتِكَ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا، وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَعْنَا
 بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
 وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ

وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» فِي أَحْكَامِ الْأَعْتِكَافِ فِي الْمَسْجِدِ

الإِعْتِكَافُ لُغَةً: لُزُومُ الشَّيْءِ، وَحَبْسُ النَّفْسِ عَلَيْهِ بَرًّا كَانَ أَوْ غَيْرِهِ، وَفِي الشَّرْعِ: لُزُومُ مُسْلِمٍ لَا غُسْلَ عَلَيْهِ، عَاقِلٍ وَلَوْ مُمَيَّرًا، مَسْجِدًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ .

وَهُوَ سُنَّةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي رَمَضَانَ آكِدُهُ، وَآكِدُهُ عَشْرُهُ الْأَخِيرُ، لَمَّا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ» .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، فَلَمْ يَعْتَكِفْ عَامًا فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ إِعْتَكَفَ عِشْرِينَ» .

أَمَّا كَوْنُهُ لَا يَصِحُّ مِنَ الْكَافِرِ، فَلِأَنَّهُ مِنْ فُرُوعِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَصِحُّ مِنْهُ كَالصَّوْمِ، وَأَمَّا مِنْ زَالَ عَقْلُهُ كَالْمَجْنُونِ فَلِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَاتِ فَلَمْ يَصِحُّ مِنْهُ .

أَمَّا كَوْنُهُ لَا غُسْلَ عَلَيْهِ، فَلِقَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «إِنِّي لَا أُحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جُنُبٍ» .

وَأَمَّا كَوْنُهُ فِي مَسْجِدٍ، فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ وَلَا يَصِحُّ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ تُقَامُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ، لِأَنَّ الإِعْتِكَافَ فِي غَيْرِهِ يُفْضِي إِذَا تَرَكَ الْجَمَاعَةَ، أَوْ تَكَرَّرَ الْخُرُوجُ إِلَيْهَا كَثِيرًا مَعَ إِمْكَانِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ، وَهُوَ مُنَافٍ لِلإِعْتِكَافِ .

وَالْأَعْتِكَافُ فِي مَسْجِدٍ تُقَامُ فِيهِ الْجُمُعَةُ أَفْضَلُ، لِئَلَّا يَحْتَاجَ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهَا، وَلِأَنَّ ثَوَابَ الْجَمَاعَةِ فِي الْجَامِعِ أَكْثَرُ، وَلِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَكَفَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ.

وَيَجِبُ الْإِعْتِكَافُ بِالنَّذْرِ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْإِعْتِكَافَ لَا يَجِبُ عَلَى النَّاسِ فَرَضًا إِلَّا أَنْ يُوجِبَ الْمَرْءُ عَلَى نَفْسِهِ الْإِعْتِكَافَ نَذْرًا، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ».

وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَعْتَكِفَ بِصَوْمٍ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِنْ اعْتَكَفَ بِغَيْرِ صَوْمٍ جَازٌ، لِحَدِيثِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ اعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَالَ: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ».

وَلَوْ كَانَ الصَّوْمُ شَرْطًا فِيهِ لَمَا صَحَّ اعْتِكَافُ اللَّيْلِ، وَكَالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ.

وَلَا يَصِحُّ اعْتِكَافُ الْأَبْنِيَّةِ، لِأَنَّهُ عِبَادَةٌ مَحْضَةٌ، وَلِحَدِيثِ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

وَمَنْ نَذَرَ الْإِعْتِكَافَ أَوْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدٍ غَيْرِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَسْجِدُ الْمَدِينَةِ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى: جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَا مَزِيَّةَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ.

وَإِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَزِمَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِيهِ لِمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: كُنْتُ نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَالَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ».

وَلِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْمَسَاجِدِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسْقَطَ فَرَضُهُ بِمَا دُونَهُ.

وَأَنَّ نَدَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَلَمْ يَحْزَنْ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، لِأَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلُ مِنْهُ.

وَأَنَّ نَدَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي أَيِّ الْمَسْجِدَيْنِ أَحَبَّ لِأَنَّهُمَا أَفْضَلُ مِنْهُ. بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ».

وَلَا يَجُوزُ لِلْمُعْتَكِفِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ لِغَيْرِ عُدْرٍ، لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَدْخُلُ عَلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَرْجُلُهُ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةٍ إِذَا كَانَ مُعْتَكِفًا».

وَعَنْهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «السُّنَّةُ عَلَى الْمُعْتَكِفِ أَنْ لَا يَعُودَ مَرِيضًا، وَلَا يَشْهَدَ جَنَازَةً، وَلَا يَمَسُّ امْرَأَةً وَلَا يُبَاشِرَهَا، وَلَا يَخْرُجَ لِحَاجَةٍ إِنْسَانٍ إِلَّا مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَا إِعْتِكَافٍ إِلَّا بِصَوْمٍ، وَلَا إِعْتِكَافٍ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ».

فَإِنْ خَرَجَ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ بَطُلَ إِعْتِكَافُهُ، لِأَنَّ الإِعْتِكَافَ: اللَّبْثُ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِذَا خَرَجَ فَقَدْ فَعَلَ مَا يُتَابَعُ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ كَمَا لَوْ أَكَلَ فِي الصَّوْمِ ذَاكِرًا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَبْطُلُ إِعْتِكَافُهُ، وَكَذَا إِنْ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ نَاسِيًا لَمْ يَبْطُلْ إِعْتِكَافُهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «رُفِعَ عَنِّي الْخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرَهُوا عَلَيْهِ».

وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُعْتَكِفِ التَّشَاغُلُ بِفِعْلِ الْقُرْبِ كَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَالصَّلَاةِ وَذِكْرِ اللَّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَسُنَّ لَهُ اجْتِنَابُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ جَدَلٍ وَمِرَاءٍ وَكَثْرَةِ كَلَامٍ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

«فائدة»: قيل للقمان ما بلع ما ترى يُريدون الفضل، قال: صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعني.

شِعْرًا: عَلَى فَيْكَ مِمَّا لَيْسَ يَعْنِيكَ شَأْنُهُ بِقُفْلٍ وَثِيْقٍ مَا اسْتَطَعْتَ فاقْفِلِ
اللَّهُمَّ يَا خَالِقَ الْخَلْقِ يَا قَيُّوْمُ نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى أَنْ تَنْصُرَ الْإِسْلَامَ
وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تُعَلِّيَ بِفَضْلِكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالذِّينَ وَأَنْ تَشْمَلَ بِعِنَايَتِكَ وَتَوْفِيقِكَ
كُلَّ نَصَرَ الدِّينِ وَأَنْ تَمَلَأَ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةَ مَنْ يُحِبُّكَ وَأَنْ تَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا
إِلَى مَا تَرْضَاهُ وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْأَسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَامَنَا وَأَنْ تُهَوِّنَ أَمْرَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَأَنْ
تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فصل» في بناء المساجد وآدابها

وَيَبْحَثُ فِي:

- ١ - مَا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَثَوَابِهَا الْعَظِيمِ.
- ٢ - مَا وَرَدَ فِي صِيَانَةِ الْمَسَاجِدِ عَنِ الْأَقْدَارِ وَتَنْظِيفِهَا.
- ٣ - مَا وَرَدَ فِي تَجَنُّبِ آكِلِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ الصَّلَاةَ فِي الْمَسَاجِدِ، وَإِبْعَادِ الصَّغِيرِ وَالْمَجْنُونِ.
- ٤ - يَنْبَغِي تَجَنُّبُ الْمَسَاجِدِ الْبَيْعِ وَالشُّرَاءِ وَرَفَعَ الصَّوْتِ وَتَشْدَانَ الضَّالَّةِ فِيهَا.
- ٥ - حُرْمَةُ الْمَبَالِغَةِ فِي زُخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ.
- ٦ - كَرَاهَةُ الْإِتْرَامِ مُوَضِعِ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ لِغَيْرِ الْإِمَامِ.

١ - مَا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، وَثَوَابِهَا الْعَظِيمِ:

بِنَاءُ الْمَسَاجِدِ فِي الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْمَحَالِّ وَنَحْوَهَا حَسَبِ الْحَاجَةِ فَرَضُ كِفَايَةٍ وَيُسْتَحَبُّ إِتِّخَاذُ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَتَنْظِيفُهَا وَتَطْيِيبُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتِ أُولَئِكَ لَمْ يُكْرِمُوا اللَّهَ فَأَنزَلْنَا لَهُمْ مِنْ سَمَوَاتِنَا مَاءً فَسَاءَ لِمَا رَزَقْنَاهُمْ كَيْفًا فَقَالُوا هَذَا مَاءٌ غَائِثَةٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَنْ تُنْظَفَ وَتُطَيَّبَ.

شِعْرًا: وَلَمْ أَرَى لِلْخَلَائِقِ مِنْ مُرَبِّ كَعِلْمِ الشَّرْعِ يُؤَخَذُ عَنْ ثِقَاتِ بَيْتِ اللَّهِ مَدْرَسَةَ الْأَوْلِي لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قِطَافِهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا يُذَكَّرُ فِيهِ اللَّهُ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بَنَى بَيْتًا يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ، مِنْ مَالٍ حَلَائِلٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لَا يُرِيدُ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلَحُّقَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ».

وَأَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا».

اللَّهُمَّ أَنْتُمْ عَلَيْنَا نِعْمَتُكَ الْوَافِيَّةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِحْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا وَالصَّدَقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعُدَّ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ: ٢ - مَا وَرَدَ فِي صِيَانَةِ الْمَسَاجِدِ وَتَنْظِيفِهَا:

وَيُسْنُ صِيَانَةَ الْمَسَاجِدِ عَنْ كُلِّ وَسَخٍ، وَقَدَرٍ، وَقَذَاةٍ، وَمُخَاطِ، وَبُصَاقٍ، وَتَقْلِيمِ أَظْفَارٍ، وَقَصِّ شَارِبٍ، وَحَلْقِ رَأْسٍ، وَتَنْفِ إِبْطٍ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجُورُ أَعْمَالٍ أُمْتِي حَتَّى الْقَذَاةَ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ».

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ حَاطِئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالَ: «فَهَلَا أَذْتُمُونِي؟» فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا.

وَعَنْ سَمْرَةَ بِنْتِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَّخِذَ الْمَسَاجِدَ فِي دِيَارِنَا، وَأَمَرَنَا أَنْ نُنْظِفُهَا.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمًا، إِذْ رَأَى نُحَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَتَعَيَّطَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَكَّهَا، - قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ: - فَدَعَا بِزَعْفَرَانَ فَلَطَّحَهُ بِهِ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَلَ وَجْهَهُ

أَحَدِكُمْ إِذَا صَلَّى ، فَلَا يُبْصِقُ بَيْنَ يَدَيْهِ .» .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ تَفَلَّ تِجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَفَلَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » ، وَعَنْ أَبِي سَهْلَةَ السَّائِبِ بْنِ خَلَّادٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَمَّ قَوْمًا فَبَصَقَ فِي الْقِبْلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ فَرَغَ : « لَا يُصَلِّي لَكُمْ هَذَا ، فَأَرَادَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَ لَهُمْ فَمَنَعُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّكَ آذَيْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .» .

٣- ما وَرَدَ فِي تَجَنُّبِ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ الصَّلَاةَ فِي الْمَسَاجِدِ وَابْعَادِ الصَّغِيرِ وَالْمَجْنُونِ عَنْهَا :

يُسْنُ صِيَانَةَ الْمَسَاجِدِ عَنْ رَائِحَةٍ كَرِيهَةٍ مِنْ بَصَلٍ وَثُومٍ وَكُرَاتٍ وَنَحْوِهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مِنْ أَكَلٍ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبَنَا وَلَا يُصَلِّينَ مَعَنَا .» .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا .» .

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا ، فَلْيَعْتَزِلْنَا - أَوْ ، فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا .» .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَاثَ ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا تَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ .» .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا نَجِسَتَيْنِ ، الْبَصَلُ وَالثُّومُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأَخْرَجَ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيَمْتِئْهُمَا طَبْخًا .

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلَّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ وَأَقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: يُسَنُّ أَنْ يُصَانَ الْمَسْجِدَ عَنْ صَغِيرٍ لَا يُمَيِّزُ لِعَيْرٍ مَصْلِحَةٍ ، وَأَنْ يُصَانَ عَنْ مَجْنُونٍ حَالَ جُنُونِهِ ، وَعَنْ لَعَطٍ ، وَخُصُومَةٍ وَكَثْرَةِ حَدِيثِ لَأَغْ ، وَرَفْعِ صَوْتٍ بِمَكْرُوهٍ ، وَعَنْ رَفْعِ الصَّبِيَّانِ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّعِبِ وَغَيْرِهِ ، وَيُمنَعُ فِيهِ اخْتِلَاطُ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَإِيْدَاءُ الْمُصَلِّينَ وَغَيْرِهِمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، وَيُمنَعُ السَّكْرَانُ مِنْ دُخُولِهِ ، وَعَنْ وَاثِلَةِ بْنِ الْأَسْقَعِ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صَبِيَّانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَسَلِّ سِوْفِكُمْ ، وَاتَّخِذُوا عَلَيَّ أَبْوَابَهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمَّرُوهَا فِي الْجُمُعِ» .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ» .

رَأَى أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِي جَمَاعَةً فِي الْمَسْجِدِ ، فَمَالَ إِلَيْهِمْ لِيَجْلِسَ مَعَهُمْ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَوَجَدَهُمْ فِي ذِكْرِ الدُّنْيَا فَقَالَ أَنتُمْ فِي سُوقِ الدُّنْيَا ، وَحَسِبْتُ أَنْكُمْ فِي سُوقِ الْآخِرَةِ وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ .

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِرَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَقَامُ الْحُدُودُ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَلَا يُسْتَقَادُ فِيهَا» .

وَعَنْ الْحَسَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مُرْسَلًا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَأْتِي

على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تُجالسهم
فليس لله فيهم حاجة» .

وعن السائب بن يزيد قال: «كنت نائماً في المسجد فحصبني رجل
فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب، فقال: إذهب فأتني بهذين، فجئت بهما،
فقال: ممن أنتما - أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما
من أهل المدينة لا وجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ» .

وعن مالك قال: بني عمر - رضي الله عنه - رحية في ناحية تسمى
«البطحاء»، وقال من كان يريد أن يلعط أو ينشد شعراً، أو يرفع صوته
فليخرج إلى هذه الرحية .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اتخذ
الفيء دُولاً والأمانة مُعَمَّماً والزكاة مُعَرَّماً، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل
امرأته وعق أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهت الأصوات في المساجد
وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أزدلهم، وأكرم الرجل مخافة شره،
وظهت القينات والمعازف، وشربت الخمر، ولعن آخر هذه الأمة أولها،
فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وحسفاً ومسحاً، وقذفاً وآيات تتابع
كنظام قطع سلكه فتتابع» .

شِعْرًا: قَدِمَ لِنَفْسِكَ تَوْبَةً مَرَجُوءَةً قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَبْلَ حَبْسِ الْأَلْسُنِ
بَادِرٌ بِهَا عَلَقَ النَّفُوسِ فَإِنَّهَا ذُخْرٌ وَغُنْمٌ لِلْمَنِيبِ الْمُحْسِنِ

٤ - يَنْبَغِي تَجْنِيبُ الْمَسَاجِدِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ وَتَشْدَانِ
الضَّالَّةِ فِيهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

«فصل»: وَيَحْرَمُ فِي الْمَسْجِدِ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ، فَإِنْ فَعَلَ فَالْبَيْعُ بَاطِلٌ
لِحَدِيثِ عَمْرُو بْنِ شَعِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ

البيع والابتیاع وعن تَنَاشُدِ الْأَشْعَارِ فِي الْمَسَاجِدِ» رواه أحمد وأبو داود،
والسائي، والترمذي وحسنه.

وَيُسْنُ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ بَاعَ أَوْ اشْتَرَى فِي الْمَسْجِدِ: لَا أُرْبِحُ اللَّهَ تِجَارَتَكَ،
لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا
رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاغُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا: لَا أُرْبِحُ اللَّهَ تِجَارَتَكَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ
يُنْشُدُ ضَلَالَةً فَقُولُوا: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ» رواه الترمذي والدرامي.

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لَهُ، وَالتَّحْذِيرُ عَنْهُ وَابِعَادُهُ عَنِ الْمَسَاجِدِ الْكُتُبِ النَّبِيِّ
فِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، كَالِهَجَاءِ لِلسَّنَةِ الْأُولَى الْإِبْتِدَائِيَّةِ، وَكَالْمَطَالَعَةِ لِسَائِرِ
السَّنَوَاتِ، وَكَالْعُلُومِ، فَإِنَّ بَعْضَ التَّلَامِيذِ يَأْتُونَ بِهَا إِلَى الْمَسَاجِدِ لِيُطَالِعُوا فِيهَا،
وَإِذَا تَخَلَّقَتْ وَضَعَهَا فِي الْمَسْجِدِ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ: وَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيلُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَرَاثٌ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهِ جَبْرِيلُ، فَشَكَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ
وَلَا سُورَةٌ» رواه البخاري.

وَيُسْنُ صَوْنُ الْمَسْجِدِ عَنِ انْشَادِ شِعْرِ قَبِيحٍ، وَإِنْشَادِ ضَلَالَةٍ وَنُشْدَانِهَا،
وَيُسْنُ لِسَامِعِ نُشْدَنِ الضَّلَالَةِ أَنْ يَقُولَ: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يُنْشُدُ فِي
الْمَسْجِدِ ضَلَالَةً فَلْيَقُلْ: لَا أَدَاهَا اللَّهُ إِلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا» رواه أحمد
ومسلم وابن ماجه.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ: أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ
الْأَحْمَرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَجَدتْ، إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ»
رواه أحمد ومسلم وابن ماجه.

٥ - حُرْمَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي زُحْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ:

وَتَحْرُمُ زُخْرَفَتَهَا بِنَقْشٍ وَصَبِغٍ وَكِتَابَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُلْهِمِي الْمُصَلِّيَ عَنْ صَلَاتِهِ غَالِبًا، وَإِنْ فَعِلَ ذَلِكَ مِنْ مَالِ الْوَفِّ حَرَمَ فِعْلُهُ، وَوَجَبَ ضَمَانُ مَالِ الْمُؤَقِّفِ الَّذِي صُرِفَ فِيهِ لَا لِمَصْلُوحَةٍ فِيهِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَمَرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - «لَتُزْخَرِفَنَّهَا كَمَا زُخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتْبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ» رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا التِّرْمِذِيَّ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: كَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَأَمَرَ عُمَرُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحْمَرَ أَوْ تُصْفَرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ. وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْتَعْمِلَ النَّاسُ حُصْرَ الْمَسْجِدِ وَقَنَادِيْلَهُ وَسَجَاجِيْدَهُ وَبُسْطَهُ وَسَائِرَ مَا وَقِفَ لِمَصَالِحِهِ فِي مَصَالِحِهِمْ، كَالْأَعْرَاسِ وَيَجِبُ صَرْفُ الْوَقْفِ لِلْجِهَةِ الَّتِي عَيَّنَهَا الْوَاقِفُ.

٦ - كَرَاهَةُ التَّزَامِ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ لِغَيْرِ الْإِمَامِ:

وَيَكْرَهُ لِغَيْرِ الْإِمَامِ مُدَاوِمَةَ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لَا يُصَلِّي إِلَّا فِيهِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَبَلٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ: «تَقَرُّةِ الْغُرَابِ، وَافْتِرَاشِ السَّبْعِ وَأَنْ يُوْطِنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا يُوْطِنُ الْبَعِيرُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتُّسَائِيَّ وَالدِّرَامِيَّ. فَإِنْ دَاوَمَ عَلَى الصَّلَاةِ بِمَوْضِعٍ فَلَيْسَ هُوَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ فَإِذَا قَامَ مِنْهُ فَلغیره اجْلُوسُ فِيهِ، لِحَدِيثِ «مَنْ سَبَقَ إِلَى مَبَاحٍ فَهُوَ لَهُ»، قَالَ فِي الْاِخْتِيَارَاتِ الْفَقْهِيَّةِ وَإِذَا فَرَشَ مُصَلِّيٌ وَلَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ وَلِغَيْرِهِ رَفَعُهُ فِي أَظْهَرِ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ قُلْتُ وَمِثْلُهُ وَضَعُ خِرْقَةٍ أَوْ عَصَا أَوْ نَعْلٍ أَوْ تَقْدِيمِ خَادِمٍ أَوْ وُلْدٍ ثُمَّ إِذَا حَضَرَ قَامَ عَنْهُ وَجَلَسَ فِيهِ فَهَذَا لَا يَجُوزُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ فِي إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ وَلَمْ يُصَلِّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سُجَادَةٍ قَطُّ وَلَا كَانَتْ السُّجَادَةُ تُفْرَشُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَلْ كَانَ يُصَلِّي عَلَى الْأَرْضِ وَرُبَّمَا سَجَدَ عَلَى الطِّينِ وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى الْحَصِيرِ فَيُصَلِّي عَلَى مَا اتَّفَقَ بَسْطُهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ صَلَّى عَلَى الْأَرْضِ .

قَالَ النَّاطِمُ لِاخْتِيَارَاتِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَوَضِعُ الْمُصَلِّي فِي الْمَسَاجِدِ بَدْعَةٌ وَلَيْسَ مِنَ الْهَدْيِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِ
وَتَقْدِيمُهُ فِي الصِّفِّ حَجْرٌ لِرَوْضِيَّةٍ وَغَضَبٌ لَهَا عَنْ دَاخِلِ مُتَعَبِدِ
وَيُشْبِهُهُ وَضِعُ الْعَصَاءِ وَحُكْمُهَا كَحُكْمِ الْمُصَلِّي فِي ابْتِدَاعِ التَّعْبُدِ
بَلَى مُسْتَحَبٌّ أَنْ يُمَاطَا وَيُرْفَعَا عَنِ الدَّاخِلِينَ الرَّكَعِينَ بِمَسْجِدِ
لَيْنٌ لَمْ يَكُنْ هَذَا بِنَصِّ مُقَرَّرٍ وَلَا فِعْلُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهَدْيِ وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ فَبَعْدِ

اللَّهُمَّ الْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ، وَآتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَفَنَّا عَذَابَ النَّارِ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي يُسَنَّ أَوْ يَكْرَهُ صِيَامُهَا

وَيَبْتَاحُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي صَوْمِ بَعْضِ الْأَيَّامِ .
 - ٢ - بَيَانُ الْأَيَّامِ الَّتِي يُكْرَهُ أَوْ يَحْرُمُ صِيَامُهَا، وَالنَّهْيُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِالْغَيْرِ .
 - ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي صَوْمِ بَعْضِ الْأَيَّامِ :
- يُسَنَّ صِيَامَ أَيَّامِ الْبَيْضِ، وَهِيَ الثَّلَاثُ عَشَرَ وَالرَّابِعُ عَشَرَ وَالْخَامِسُ عَشَرَ، لِمَا

وَرَدَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثًا، فَصُمْ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ أَيَّامِ الْبَيْضِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَاتِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ» متفق عليه.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثِ، لَنْ أَدْعُهُنَّ مَا عِشْتُ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى وَبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَيُسَنُّ صِيَامُ أَيَّامِ الْإِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسِ، وَسِتٌّ مِنْ شَوَّالٍ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ فَقَالَ: «ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ فِيهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَالْحَمِيسِ فَأَحَبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ بِغَيْرِ صَوْمٍ.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْإِنصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَاسْتَحَبَّ صِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَطَاوُوسٍ وَالشَّعْبِيِّ، وَمَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ: عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ صِيَامُهَا مُتَّابِعَةً أَوَّلَ الشَّهْرِ ثَانِي الْفِطْرِ، وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ: «مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ مُتَّابِعَةً فَكَأَنَّهَا صَامَ السَّنَةَ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَفِي حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: «إِذَا أَفْطَرْتَ فَصُمْ» وَإِنَّمَا كَانَ صِيَامَ رَمَضَانَ وَاتَّبَاعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ يَعْدِلُ صِيَامَ الدَّهْرِ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا.

وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مُفَسَّرًا مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «صِيَامُ رَمَضَانَ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بِشَهْرَيْنِ، فَذَلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ، يَعْنِي صِيَامَ رَمَضَانَ وَسِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَهُ» أَخْرَجَهُ: الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، وَهَذَا لَفْظُهُ. وَخَرَّجَهُ: ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، صَحَّحَهُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ.

وَيُسَنُّ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ لِغَيْرِ حَاجِّ بِهَا، وَشَهْرُ الْمُحَرَّمِ وَآكِدُهُ الْعَاشِرُ، ثُمَّ التَّاسِعِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ مَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟ قَالَ: «لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ» وَقَالَ: «لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ» قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: «وَيُطِيقُ أَحَدًا» قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: «ذَلِكَ صَوْمُ دَاوُدَ» قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي طُوِّقْتُ ذَلِكَ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. متفق عليه.

وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «لِئِنْ بَقِيَتْ إِلَى قَابِلٍ، لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ» متفق عليه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ « نَهَى عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ » رواه أبو داود والنسائي وابنُ حُرَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ .

وَيُسَنُّ صِيَامُ تِسْعِ ذِي الْحِجَّةِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ » يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: « وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ » رواه البخاري .

شِعْرًا: تَكَلَّمْ بِمَا يَنْفَعُكَ فِي الدِّينِ إِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادٌ
وَدَاوِمٌ عَلَى ذِكْرِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِقَلْبٍ قَدْ غَشَاهُ فَسَادٌ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ فِيهَا مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ، وَإِنْ صِيَامَ يَوْمٍ فِيهَا لِيَعْدِلَ صِيَامَ سَنَةٍ، وَلَيْلَةٍ فِيهَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ » رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديثٌ غريب .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا، اللَّهُمَّ أَفْضِ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا وَارْأُفَ بِنَا رَأْفَةَ الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَتُرُوبِهَا، وَارْحَمْنَا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ: مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»: فِي بَيَانِ الْأَيَّامِ الَّتِي يُكْرَهُ أَوْ يُحْرَمُ صِيَامُهَا
وَالنَّهْيُ عَنِ التَّشْبُهِ بِالْغَيْرِ

وَيُكْرَهُ أَفْرَادُ رَجَبٍ بِالصَّوْمِ، وَالْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ، أَمَّا رَجَبٌ: فَلَمَّا رَوَى
أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ خَرِشَةَ بِنِ الْحُرِّ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ يَضْرِبُ أَكْفَ
الْمُتَرَجِّينَ حَتَّى يَضَعُوهَا فِي الطَّعَامِ، وَيَقُولُ كُلُّوا! فَإِنَّمَا هُوَ شَهْرٌ كَانَتْ تُعْظِمُهُ
الْجَاهِلِيَّةُ.

وَبِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى النَّاسَ وَمَا
يُعِدُّونَهُ لِرَجَبٍ كَرِهَهُ وَقَالَ: «صُومُوا مِنْهُ وَأَفْطِرُوا».

وَأَمَّا الْجُمُعَةُ، فَلَمَّا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُحْضُوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَحْضُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ
بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا السَّبْتُ لَمَّا رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ عَنْ أُخْتِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا أَفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ
لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا لِحَاءَ عِنَبَةٍ، أَوْ عودَ شَجَرَةٍ فَلْيَمْضَعْهُ» رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا
النَّسَائِيَّ.

وَيُكْرَهُ تَقْدِيمَ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، لَمَّا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقْدِمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا
يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَيُكْرَهُ صَوْمُ الدَّهْرِ، لِحَدِيثِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِلَفْظٍ: «لَا صَامَ وَلَا
أَفْطَرَ».

وَيُكْرَهُ صَوْمُ النَّيُّورِ وَالْمَهْرَجَانِ وَكُلِّ عِيدٍ لِلْكَفَّارِ، أَوْ يَوْمٍ يُفْرِدُونَهُ
بِالتَّعْظِيمِ، لِمَا فِيهِ مِنْ مُوَافَقَةِ الْكُفَّارِ فِي تَعْظِيمِهَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا - : مَنْ تَأَسَّى بِيَلَادِ الْأَعَاجِمِ نَيُّورِهِمْ وَمَهْرَجَانِهِمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى
يَمُوتَ حُشِرَ مَعَهُمْ.

قَالَ الشَّيْخُ وَغَيْرِهِ : مَا لَمْ يُوَافِقْ عَادَةً أَوْ يَصْنَعُهُ عَنْ نَذْرٍ وَنَحْوِهِ، قَالَ :
وَكَذَلِكَ يَوْمُ الْحَمِيسِ الَّذِي يَكُونُ فِي آخِرِ صَوْمِهِمْ كَيَوْمِ (عِيدِ الْمَائِدَةِ) وَيَوْمِ
الْأَحَدِ الَّذِي يُسَمَّوْنَهُ (عِيدِ الْفُصْحِ) وَ (عِيدِ التَّوْرِ) وَ (العِيدِ الْكَبِيرِ) وَنَحْوِ
ذَلِكَ، لَيْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُشَابِهَهُمْ فِي أَصْلِهِ وَلَا فِي وَصْفِهِ.

وَقَالَ : لَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا فِي شَيْءٍ مِمَّا يَخْتَصُّ بِأَعْيَادِهِمْ، لَا
مِنْ طَعَامٍ، وَلَا مِنْ لِبَاسٍ، وَلَا اغْتِسَالٍ، وَلَا إِيقَادِ نِيرَانٍ، وَلَا تَبْطِيلِ عَادَةٍ مِنْ
مَعِيشَةٍ أَوْ عِبَادَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا تُمْكُنُ الصَّبِيَّانِ وَنَحْوِهِمْ مِنَ اللَّعِبِ الَّتِي فِي
الْأَعْيَادِ، وَلَا إِظْهَارِ زِينَةٍ.

وَبِالْجُمْلَةِ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَخْصُوا أَعْيَادَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ شَعَائِرِهِمْ بَلْ يَكُونُ يَوْمٌ
عِنْدَهُمْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ كَسَائِرِ الْأَيَّامِ، لَا يَخْصُهُ الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ
خَصَائِصِهِمْ.

وَتَخْصِيصُهُ بِمَا تَقَدَّمَ لَا نِزَاعَ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، بَلْ قَدْ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ
الْعُلَمَاءِ إِلَى كُفْرِ مَنْ يَفْعَلُ هَذِهِ الْأُمُورَ : لِمَا فِيهَا مِنْ تَعْظِيمِ شَعَائِرِ الْكُفْرِ لِأَنَّهُمْ
أَعْدَاءُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمِينَ وَلَا يَأْلُونَ جَهْدًا فِيمَا يَضُرُّ الْمُسْلِمِينَ.

شِعْرًا : تَوَقَّ مُعَادَاتِ الْإِلَهِ فَإِنَّهَا
آخِرُ : إِذَا وَتَرْتَ أَمْرًا فَاحْذَرِ عِدَاوَتَهُ
إِنَّ الْعَدُوَّ وَإِنْ أَبَدَى مُسَالَمَةً
آخِرُ : وَمَا غُرْبَةُ الْإِنْسَانِ فِي شُقَّةِ النَّوَى
مُكَدَّرَةٌ لِلصَّفْوِ فِي كُلِّ مَشْرَبٍ
مَنْ يَزْرَعِ الشُّوكَ لَا يَخْصُدُ بِهِ عَنَابًا
إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا غِرَّةً وَثَبَا
وَلَكِنَّهَا وَاللَّهِ فِي بَلَدِ الْكُفْرِ

وَقَدْ اشْتَرَطَ عُمَرُ وَالصَّحَابَةُ وَسَائِرُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ لَا يُظَهَرُوا أَعْيَادَهُمْ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ فَكَيْفَ إِذَا أَظْهَرَهَا الْمُسْلِمُونَ؟ حَتَّى قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَا تَتَعَلَّمُوا رِطَانَةَ الْأَعَاجِمِ، وَلَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي كِنَائِسِهِمْ يَوْمَ عِيدِهِمْ، فَإِنَّ الشُّحْطَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَفْعَلُ مَا يُسْخِطُ اللَّهَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُوَ مِنْ شَعَائِرِهِمْ؟ وَقَالَ عُمَرُ: مَا تَعَلَّمَ رَجُلٌ الْفَارِسِيَّةَ إِلَّا حَبَّ وَلَا حَبَّ إِلَّا تَفَضَّتْ مَرُوءَتُهُ.

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ قَالَ: أَعْيَادُ الْكُفَّارِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي شُهُودِهَا مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ، فَكَيْفَ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِهَا!؟

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمُسْتَدِّ وَالسُّنَنِ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، وَفِي لَفْظٍ: «لَيْسَ مِمَّنْ تَشَبَهَ بِغَيْرِنَا» وَهُوَ حَدِيثٌ جَيِّدٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي التَّشْبِيهِ - وَإِنْ كَانَ مِنَ الْعَادَاتِ - فَكَيْفَ التَّشْبِيهِ بِهِمْ فِيمَا هُوَ أُبْلَغَ مِنْ ذَلِكَ؟

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ اعْتِيَادُ اللَّغَةِ يُؤَثِّرُ فِي الْعَقْلِ وَالْخُلُقِ وَالذِّينِ تَأْثِيرًا قَوِيًّا بَيِّنًا بِحَسَبِ تِلْكَ اللَّغَةِ وَقَالَ فِي اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ عَنِ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَلَا يَتَكَلَّمَ بِالْعُجْمَةِ فَإِنَّهُ يُورَثُ النِّفَاقَ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَلَى حَدِيثٍ: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» أَيُّ بِالْأَنْدِمَاجِ وَتَلَاسُثِ شَخْصِيَّتِهِ فِيهِمْ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عَنِ تَعْظِيمِ وَإِكْبَارِ لَهُمْ، فَهُوَ لِذَلِكَ يُلْغِي شَخْصِيَّتَهُ وَيَتَلَاشَى فِي شَخْصِيَّةِ الْآخَرِينَ، فَمَنْ تَشَبَهَ بِالرُّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ بِالْغَاءِ شَخْصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ السَّفِيهِةِ، وَأَنْدَمَجَ فِي مَعْنَوِيَّةِ الرُّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا وَأَدْبًا، فَهُوَ بِإِشْرَافِ مَنْهُمْ.

وَمَنْ تَشَبَعَ بِالْأَفْرَنْجِ فِي لِبَاسِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَنُظْمِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ فَهُوَ
بِلَاشِكِ أَفْرَنْجِيٍّ غَيْرِ مُسْلِمٍ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَلِهَذَا التَّشْبُهُ
وَنَتَائِجِهِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ تَرَى الْمُعْظَمِينَ لِلنَّصَارَى، وَالْوَثْنِيَّاتِ الْحَرِيصِينَ عَلَى
التَّشْبُهِ بِهِمْ وَالْإِنْدِمَاجِ فِيهِمْ يُعَاوَنُونَهُمْ عَلَى الضَّرْرِ بِدِينِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَأُمَّمِهِمْ عَنِ
قَصْدٍ وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ. أَهـ.

وَيُكْرَهُ وَصَالٌ إِلَّا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوَصَالِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:
فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَارَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «وَأَيُّكُمْ مِثْلِي إِنْ أُبَيِّتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي
وَيَسْقِينِي» فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوَصَالِ وَاصَلَّ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوْا
الْهَيْلَالَ فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ الْهَيْلَالُ لَزِدْتُمْ» كَالْمُنْكَلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا،
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَلَا يَجُوزُ صَوْمُ الْعِيدَيْنِ عَنْ فَرَضٍ أَوْ تَطَوُّعٍ، وَإِنْ قَصَدَ صِيَامَهَا كَانَ
عَاصِيًا، وَلَا يُجْزَأُ عَنِ الْفَرَضِ.

وَلَا يَجُوزُ صِيَامُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ إِلَّا عَنْ دَمٍ مُتَعَةٍ وَقِرَانٍ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي
سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «أَنَّهُ نَهَى عَنِ صَوْمِ
يَوْمَيْنِ: يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ النَّحْرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ مَوْلَى أَزْهَرَ، قَالَ: شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: «هَذَانِ يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ صِيَامِهِمَا: يَوْمُ
فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَالْيَوْمُ الْآخِرُ تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا أَيَّامُ التَّشْرِيقِ، فَلِمَا رُوِيَ عَنْ نُبَيْشَةَ الْهَذَلِيَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلِ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»
رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نَهَى عَنْ صَوْمِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ فِي السَّنَةِ: يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ التَّشْرِيقِ » رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَوَائِدُ»: مُجَالَسَةُ الْعَارِفِ الزَاهِدِ تَدْعُو مِنْ سِتِّ إِلَى سِتِّ :

مِنَ الشُّكِّ إِلَى الْيَقِينِ .

وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِحْلَاصِ .

وَمِنَ الْغَفْلَةِ إِلَى الذِّكْرِ .

وَمِنَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ .

وَمِنَ الْكِبْرِ إِلَى التَّوَاضُّعِ .

وَمِنَ سُوءِ الطَّبَوِيَّةِ إِلَى النَّصِيحَةِ .

الْأَفْضَلُ فِي أَوْقَاتِ السَّحْرِ الْاِشْتِغَالُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ وَالِاسْتِغْفَارِ .

وَفِي وَقْتِ الْأَذَانِ إِجَابَةُ الْمُؤَذِّنِ وَالِدَعَاءُ لِأَنَّهُ وَقْتُ إِجَابَةٍ .

وَفِي وَقْتِ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ الْاِسْتِعْدَادُ لَهَا وَالْجِدُّ وَالِاجْتِهَادُ وَالْحِرْصُ عَلَى

طَرْدِ الْأَفْكَارِ الصَّادَةِ عَنْ تَأْمَلِ مَعَانِي الْآيَاتِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ .

وَالنَّصِيحَةُ فِي يَقَاعِهَا عَلَى أَكْمَلِ الْوَجْهِ، وَالمَبَادِرَةُ إِلَى تَأْدِيَتِهَا فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا

وَالخُرُوجُ إِلَى الْجَامِعِ وَأَنْ بَعُدَ كَانَ أَفْضَلَ لِكَثْرَةِ الْخُطَا .

وَالْأَفْضَلُ فِي أَوْقَاتِ ضَرُورَةِ الْمَحْتَاجِ إِلَى الْمَسَاعِدَةِ بِالْمَالِ أَوْ الْجَاهِ أَوْ الْبَدَنِ ،

الِاسْتِغَالُ بِمَسَاعِدَتِهِ وَإِعَانَتِهِ .

وَالْأَفْضَلُ فِي وَقْتِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْحِرْصُ عَلَى تَدْبِيرِهِ وَتَفْهَمِهِ حَتَّى كَأَنَّ اللَّهَ

تعالى يخاطبه به، ويعزّم على تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .
والأفضلُ في عشر ذو الحجة الاجتهاد والحرص على الاكثار من الأعمال
الصالحة والدعاء والتضرع والاكثار من قراءة القرآن وذكر الله .
والأفضلُ في الوقوف بعرفة الاجتهاد في الدعاء والتضرع والاكثار من قول
لا إله إلا الله .

والأفضلُ في العشر الأخير من رمضان لزوم المساجد والخلوّة والاعتكاف
وتلاوة القرآن .

والاكثر من الباقيات الصالحات والحرص على إخراج الزكاة في هذا
الشهر المبارك وإفطار الصوام .

والأفضلُ في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحُضور جنازته
وتشييعه وتقديم ذلك على خلواتك وجمعيّتك .

والأفضلُ في وقت نُزل النوازل وأداة الناس لك أداء واجب الصبر مع
خلطتك بهم دون الهرب منهم .

فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا
يخالطهم ولا يؤذونه .

والأفضلُ خلطتهم في الخير فهي خير من اعترالهم فيه واعتزالهم في الشر
أفضل فإن علم أنه إذا خالطهم ازاله أو قلّله فخلطتهم حينئذ أفضل من
اعترالهم .

شِعْرًا :

إِنِّي أَرَقْتُ، وَذَكَرْتُ الْمَوْتَ أَرَقِي
يَأْمَنُ يَمُوتُ، فَلَمْ يَحْزَنْ لِمَيَّتِيهِ
تَبَغَى النَّجَاةَ مِنَ الْأَحْدَاثِ مُحْتَرَسًا
يَا صَاحِبَ الرُّوحِ ذِي الْأَنْفَاسِ فِي الْبَدَنِ
لَقَلَّمَا يَتَخَطَّأُكَ اخْتِلَافُهُمَا
وَقَلْتُ لِلدَّمْعِ: أَسْعِدْنِي، فَأَسْعَدَنِي
وَمَنْ يَمُوتُ، فَمَا أَوْلَاهُ بِالْحَزَنِ
وَإِنَّمَا أَنْتَ وَالْعِلَّاتُ فِي قَرَنِ
بَيْنَ النَّهَارِ، وَبَيْنَ اللَّيْلِ، مُرْتَهَنِ
حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

طَيْبُ الْحَيَاةِ لِمَنْ حَفَّتْ مَوَوتُهُ
لَمْ يَبْقَ مِمَّنْ مَضَى، إِلَّا تَوْهُمُهُ
وَأَمَّا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا بِسَاعَتِهِ
مَا أَوْضَحَ الْأَمْرَ لِلْمُلْقِي بَعْبَرَتِهِ
السُّتْ، يَا ذَا، تَرَى الدُّنْيَا مُوَلِّيَةً
لَأَعْجَبَنَّ، وَأَنْتِي يَنْقُضِي عَجْبِي
وِظَاعِي، مِنْ بِيَاضِ الرِّيطِ كَسَوْتُهُ
غَادِرْتُهُ، بَعْدَ تَشْيِيعِهِ، مُنْجَدِلًا
لَا يَسْتَطِيعُ انْتِقَاصًا فِي مَحَلَّتِهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا، مَا أَرَى سَكَنًا
مَا بَالُ قَوْمٍ، وَقَدْ صَحَّتْ عُقُولُهُمْ
لَتَحْدُبْنِي يَدُ الدُّنْيَا، بِقُوَّتِهَا
وَأَيُّ يَوْمٍ لِمَنْ وَافَى مَنِيَّتَهُ
لِلَّهِ دُنْيَا أَنْاسٍ دَائِبِينَ لَهَا
كَسَائِمَاتٍ رَوَاعٍ تَبْتَغِي سِمَنًا

وَلَمْ تَطْبُ لِدَوِي الْأَثْمَالِ وَالْمُؤْنِ
كَأَنَّ مَنْ قَدْ قَضَى، بِالْأَمْسِ، لَمْ يَكُنْ
سَائِلٌ بِذَلِكَ أَهْلَ الْعِلْمِ، وَالزَّمَنِ
بَيْنَ التَّفَكْرِ، وَالتَّجْرِبِ، وَالْفِطَنِ
فَمَا يَعْرُكَ فِيهَا مِنْ هَيٍّ، وَهَنِ
النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ، وَالْمَوْتُ فِي سَنَنِ
مُطَيَّبٍ لِلْمَنَائِيَا، غَيْرَ مُدْهَنِ
فِي قُرْبِ دَارٍ، وَفِي بُعْدِ عَنِ الْوَطَنِ
مِنَ الْقَبِيحِ وَلَا يَزْدَادُ فِي الْحَسَنِ
يَلُوي، بِبُحْبُوحَةِ الْمَوْتَى، عَلَى سَكَنِ
فِيمَا ادَّعَوْا يَشْتَرُونَ الْعَيَّ بِالْتَّمَنِ
إِلَى الْمَنَائِيَا، وَإِنْ نَارَعَتْهَا رَسَنِي
يَوْمٌ تَبَيَّنَ فِيهِ صُورَةُ الْغَبَنِ
قَدْ أُرْتِعُوا فِي رِاضِ الْعَيِّ، وَالْفَتَنِ
وَحَتَفُهَا لَوْ دَرَّتْ فِي ذَلِكَ السَّمَنِ

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا مَسَلِكَ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ، وَالْحِقْفَنَا بِعِبَادِكَ الْمُصْطَفِينَ
الْأَخْيَارِ، وَأَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللَّهُمَّ
أَحْيِ قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَن بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِالْإِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ
بِالنُّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ، وَتَجَاوَزْ
عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فصل»: في الحث على تقوى الله عز وجل

عِبَادَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فَمَا مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ سَبِيلٌ مُوصِلٌ إِلَيْهِ، وَوَسِيلَةٌ مُبْلَغَةٌ لَهُ، وَمَا مِنْ شَرٍّ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِرْزٌ مَتِينٌ وَحُصْنٌ حَصِينٌ لِلسَّلَامَةِ مِنْهُ وَالتَّجَاةُ مِنْ ضَرَرِهِ.

شِعْرًا: حِصَالٌ إِذَا لَمْ يَحْوِهَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْلُ مَنَالًا مِنَ الْآخِرَى يَكُونُ لَهُ ذُخْرًا
يَكُونُ لَهُ تَقْوَى وَزُهْدٌ وَعِفَّةٌ
وَإِكْتِنَارُ أَعْمَالٍ يَنَالُ بِهَا أَجْرًا
أَخْرَجَ: لَيْسَ يَنْقَى عَلَى الْجَدِيدَيْنِ إِلَّا
عَمَلٌ صَالِحٌ وَذِكْرٌ جَمِيلٌ
أَخْرَجَ: وَمَا فِي النَّاسِ أَحْسَنُ مِنْ مُطِيعٍ
لِخَالِقِهِ إِذَا عَدَّ الرَّجَالَ
أَخْرَجَ: لَنِعْمَ فَتَى التَّقْوَى فَتَى طَاهِرِ الخُطَا
خَمِصٌ مِنَ الدُّنْيَا تَقَى الْمَسَالِكِ
وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ لَهْنٌ بِمَالِكِ
فَتَى مَلِكِ الْأَهْوَاءِ أَنْ يَعْتَبِدَهُ

وَكَمَ عَلَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَلَى التَّقْوَى مِنْ خَيْرَاتِ عَظِيمَةٍ
وَسَعَادَاتِ جَسِيمَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَعِيَةِ الْخَاصَّةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْحِفْظِ وَالْعِنَايَةِ وَالتَّصَرُّفِ
وَالتَّأْيِيدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ
الْمَحَبَّةُ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

وَمِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ وَمِنْ
ذَلِكَ نَفْيُ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ عَنِ الْمُتَّقِي الْمُصْلِحِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ اتَّقَى
وَاصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْفَرْقَانُ عِنْدَ الْإِشْتِبَاهِ
وَوُقُوعِ الْإِشْكَالِ وَالْكَفَّارَةِ لِلْسَّيِّئَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وَمِنْ ذَلِكَ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيُسْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ ، وَمِنْ ذَلِكَ عِظْمُ الْأَجْرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ الْآيَاتِ ، إِلَى قَوْلِهِ ﴿ مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ .

شِعْرًا: وَأَحْسَنُ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُتَّقٍ وَأَقْبَحُ وَجْهِ فِيهِمْ وَجْهُ كَافِرٍ
آخَرُ: وَمِنْ أَضْيَعِ الْأَشْيَاءِ مُهْجَةُ ذِي التَّقَى يَجُوزُ عَلَى جَوَائِهَا حُكْمُ جَائِرٍ

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْكِرَامَةُ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ، إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ امْتِثَالُ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي ، فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَرَاهُمُ اللَّهُ حَيْثُ أَمَرَهُمْ وَلَا يُقْدِمُونَ عَلَى مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ .

الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ وَيُؤَدُّونَهُ ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيلَ الَّذِي لَا تُحْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، الْمُتَّقُونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَيَحْرُمُونَ مَا حَرَّمَهُ وَيَحِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ .

وَلَا يَحُونُ فِي أَمَانَةٍ وَلَا يَرْضُونَ بِالذُّلِّ وَالْإِهَانَةِ وَلَا يَعْقُونَ وَلَا يَقْطَعُونَ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ وَلَا يَضْرِبُونَ إِخْوَانَهُمْ، يَصِلُونَ مَنْ قَطَعَهُمْ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَمَهُمْ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمُ الْخَيْرَ عِنْدَهُمْ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُونٌ لَا يَعْتَابُونَ وَلَا يَكْذِبُونَ وَلَا يُنَافِقُونَ .

وَلَا يَنْمُونَ وَلَا يَحْسِدُونَ وَلَا يُرَاؤُونَ وَلَا يُرَابُونَ وَلَا يَقْدِفُونَ وَلَا يَأْمُرُونَ بِمُنْكَرٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ مَعْرُوفٍ، بَلْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، تِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ حَقًّا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ .

اخواني، لَوْ تَحَلَّى كُلُّ مِنَّا بِالتَّقْوَى لِحَسَنِ عَمَلِهِ، وَخُلِصَتْ نِيَّتُهُ، وَاسْتَقَامَ عَلَى الْهُدَى، وَابْتَعَدَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرَّذَى، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّاجِينَ .

شِعْرًا: لَحَى اللَّهُ قَلْبًا بَاتَ خِلْوًا مِنَ التَّقَى
وَإِنِّي أَحِبُّ كُلَّ مَنْ كَانَ ذَا تَقَى
شِعْرًا: يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُؤْتَى مِنْهُ
يَقُولُ الْمَرْءُ فَإِدَّتِي وَمَالِي
آخِر: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ بِضَاعَةٍ
وَلَا خَيْرَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ وَعَيْشِهَا
آخِر: لَعَمْرُكَ مَا مَالُ الْفَتَى بِذَخِيرَةٍ
وَأَنْفَعُ مَنْ صَافَيْتَ مَنْ كَانَ مُخْلِصًا
آخِر: وَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الْحَقِيرَةَ كَالْتَقَى
وَعَيْنًا عَلَى ذَنْبٍ مَضَى لَيْسَ تَذْرِفُ
وَيَزْدَادُ فِي عَيْنِي جَلَالًا وَيَشْرَفُ
وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَادَا
وَتَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا
تَجِدُ نَفْعَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ الْمُطْوَلِ
وَأَفْضَلُ زَادِ الظَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ
إِذِ أَنْتَ مِنْهَا بِالتَّقَى لَمْ تَزُودِ
وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الدُّخَائِرِ
لِمَنْ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ حَفَايَا الظَّمَائِرِ
وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الرَّفِيعَةَ كَالْكَفْرِ

«فصل»: وَصَفَ الْمُؤْمِنِ التَّقِيَّ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْمُتَّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ وَمَشِيئُهُمُ
التَّوَاضُّعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَّفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبِلَاءِ كَمَا نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَلَوْلَا الْأَجَلُ
الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى
الثَّوَابِ وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ .

عَظَمَ الْخَالِقَ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ
رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ
مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَإِجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ
عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ وَتِجَارَةٌ مُرِيحَةٌ يَسْرَهَا لَهُمْ
رَبُّهُمْ .

شِعْرًا: لَعَمْرِي مَا مَالَ الْفَتَى بِذَخِيرَةٍ وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الذَّخَائِرِ
آخِر: وَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الْحَقِيرَةَ كَالْتَّقَى وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ النَّفِيسَةَ كَالْكُفْرِ

أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلُ
فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهُ تَرْتِيلًا يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ
وَيَسْتَشِيرُونَ بِهِ دَائِبَهُمْ .

فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا
وَظَنُّوا أَنَّهَا نَصَبٌ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَحْوِيفٌ أَصْغَعُوا إِلَيْهَا مَسَامِعَ
قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ رَئِيبَ جَهَنَّمَ وَشَهِيْقَهَا فِي أَصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَائُونَ عَلَى
أَوْسَاطِهِمْ مَفْتَرِشُونَ لِحَبَابِهِمْ وَأَكْفَهُمْ وَرُكْبَهُمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءِ أَبْرَارٍ أَتْقِيَاءُ .

قَدْ بَرَّاهُمُ الْخَوْفُ بَرِّي الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى وَمَا

بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ حُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ؟ لَا يَرْضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عِلْمِهِمْ أَحَدِهِمْ أَنْتَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحِزْمًا فِي لَيْنٍ وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ، وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ وَقَصْدًا فِي غِنَى وَحُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ وَتَحَمُّلًا فِي فَاقَةٍ وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ وَطَلْبًا فِي حَلَالٍ وَنَشَاطًا فِي هُدًى وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ.

شِعْرًا: وَإِذَا بَحَثْتَ عَنِ التَّقَى وَجَدْتَهُ
وَإِذَا اتَّقَى اللَّهَ أَمْرًا وَأَطَاعَهُ
وَعَلَى التَّقَى إِذَا تَرَسَّخَ فِي التَّقَى
وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرِّجَالُ فَمَا أَرَى
آخِر: تَجَمَّلَ بِالتَّقَى إِنْ رُمْتَ عِزًّا
وَأَكْبَرَ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ
آخِر: تَزَوَّدَ وَمَا زَادَ اللَّيْبُ سِوَى التَّقْوَى
فَمَنْ لَمْ يُعَمَّرْ بِالتَّقَى جَدْنَا لَهُ
آخِر وَمَا لَيْسَ الْإِنْسَانُ أَبْهَى مِنَ التَّقَى
آخِر: يَقُولُونَ لِي هَلْ لِلْمَكَارِمِ وَالْعَلَى
فَقُلْتُ لَهُمْ وَالصَّدَقُ خُلِقَ الْفِتْنَةُ

رَجُلًا يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفِعَالِهِ
فِيَدَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَمَعَالِي
تَاجَانِ تَاجُ سَكِينَةٍ وَجَمَالِ
نَسْبًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
فَتَقْوَى اللَّهِ أَشْرَفُ مَا افْتَتَيْتَا
لِتَسْعَدَ فِي الْمَعَادِ إِذَا أُتَيْتَا
عَسَاكَ عَلَى الْهَوْلِ الْعَظِيمِ بِهَا تَقْوَى
فَمَنْزِلُهُ فِي خُلْدِهِ مَنْزِلُ أَوْهَى
وَإِنْ هُوَ غَالِي فِي حِسَانِ الْمَلَابِسِ
قَوَامٌ فَفِيهِ لَوْ عَلِمْتَ دَوَامَهَا
عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ قَوَامُهَا

«فَصْلٌ»

التَّقَى يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمَسِّي وَهَمُّ الشُّكْرِ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّ الذِّكْرِ يَبِيْتُ حَذْرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا، حَذْرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْعَفْلَةِ،

وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَهُ،
لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ.

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى، يَمْزِجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ،
وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلَلُهُ، خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُورًا
أَكَلَهُ سَهْلًا أَمْرُهُ، حَرِيْرًا دِينُهُ، مَيْتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُومًا عَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ،
وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ.

إِنْ كَانَ فِي الْعَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبَ مِنَ
الْعَافِلِينَ يَعْمُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيدًا فُحْشَتُهُ،
لَيْتًا قَوْلُهُ، غَائِبًا مُنْكَرُهُ، حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ، مُقْبَلًا خَيْرُهُ، مُدْبِرًا شَرُّهُ، فِي الزَّلَازِلِ
وَقُورٍ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَفِي الرَّخَاءِ شُكُورٌ.

لَا يَخِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ
يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لَا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِرَ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ،
وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْتُمُ بِالْمُصَابِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ
مِنَ الْحَقِّ.

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَعْمَهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ
صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِنُ لَهُ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي
رَاحَةٍ، أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرَجَتْهُ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ.

شِعْرًا: لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُرَاقِبُ رَبَّهُ عِنْدَ الْهَوَى وَيُحَادِثُ النِّسْيَانَ
إِنَّ الَّذِي يَبْغِي الْهَوَى وَيُرِيدُهُ كَمَاوَخِي شَيْطَانُهُ شَيْطَانًا
حَجَبَ التَّقَى بِابِ الْهَوَى فَأَخِ التَّقَى عَفُ الْخَلِيقَةِ زَائِدُ إِيمَانَا
آخِرُ: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَسْنَى الْفَضَائِلِ تُعَدُّ مِنَ الْقَوْمِ الْكِرَامِ الْأَمْثِلِ
فَمَا الْمَرْءُ إِلَّا بِالتَّقَى يَرْتَقَى إِلَى سَنَامِ الْمَعَالِي فِي مَقَامِ الْأَفْضَلِ

آخِر: الْعِلْمُ وَالتَّقْوَى وَطَاعَةَ رَبِّنَا تَكْسُ الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَلَالاً
 وَهِيَ الظَّرِيقُ لِمَنْ أَرَادَ سَلَامَةً وَهِيَ السَّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ جِدَالاً
 بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٍ وَرَحْمَةً، لَيْسَ
 تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظْمَةٍ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

قَالَ فَصَعِقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا تَصْنَعُهُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ
 بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بِأَلَيْسَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ وَيْحَكَ، إِنْ لِكُلِّ أَجَلٍ
 وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ . أ هـ .

شِعْرًا:

عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ لَا تَتْرُكُونَهَا
 لِبَاسِ التَّقَى خَيْرُ الْمَلَابِسِ كُلِّهَا
 فَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وَأَهْدَى سَبِيلَهَا
 فَيَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ بَادِرًا إِلَى التَّقَى
 وَأَكْثَرَ مِنَ التَّقْوَى لِتَحْمِيدِ غَيْبِهَا
 وَقَدَّمَ لِمَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
 وَأَحْسِنَ وَلَا تُهْمَلُ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا
 وَأَدِّ فُرُوضَ الدِّينِ وَاتَّقِنِ أَدَاءَهَا
 وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ لَا تَهْمَلَنَّهَا
 وَلَكِنْ سَتُجْزَى بِالَّذِي أَنْتَ عَامِلٌ
 وَلَا تُلْهِكَ الدُّنْيَا قَرْبُكَ ظَامِنٌ
 وَدُنْيَاكَ فَاعْبُرْهَا وَآخِرَاكَ زِدْ لَهَا
 فَمَنْ آثَرَ الدُّنْيَا جَهُولٌ وَمَنْ يَبِغْ
 وَلَدَائِهَا وَالجَاهُ وَالْعِزُّ وَالغِنَى
 فَإِنَّ التَّقَى أَقْوَى وَأَوْلَى وَأَعْدَلُ
 وَأَبْهَى لِبَاسًا فِي الْوُجُودِ وَأَجْمَلُ
 بِهَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ مَا كَانَ يَعْمَلُ
 وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ مُنْهَلُ
 بِدَارِ الْجَزَاءِ دَارٍ بِهَا سَوْفَ تَنْزِلُ
 غَدًا سَوْفَ تُجْزَى بِالَّذِي سَوْفَ تَفْعَلُ
 فَأَنْتَ عَنِ الدُّنْيَا قَرِيبًا سَتَرْحَلُ
 كَوَامِلٍ فِي أَوْقَاتِهَا وَالتَّنْفِصِلُ
 فَإِنَّكَ إِنْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمَلُ
 وَعَنْ مَا مَضَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سَتُسْأَلُ
 لِرِزْقِ الْبَرَايَا ظَامِنٌ مُتَكَفِّلُ
 عَمَارًا وَإِبَارًا إِذَا كُنْتَ تَعْقِلُ
 لِأَخْرَافِ الدُّنْيَا أَضْلٌ وَأَجْهَلُ
 بِأَضْدَادِهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَبَدَّلُ

فَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَإِطَالَ عُمُرُهُ
وَيَنْزِلُ دَارًا لَا أُنَيْسَ لَهُ بِهَا
وَيَبْقَى رَهِينًا بِالتَّرَابِ بِمَا جَنَى
يُهَالُ بِأَهْوَالٍ يَشِيبُ بِبَعْضِهَا
وَفِي البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ نَشْرُ صَحَائِفٍ
وَخَشْرُ يَشِيبُ الطِّفْلُ مِنْهُ لِهُولِهِ
وَنَارٌ تَلْطِئُ فِي لظَاهَا سَلَسِلٌ
شَرَابٌ ذَوِي الإِجْرَامِ فِيهَا حَمِيمُهَا
حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَآخِرٌ مِثْلُهُ
يَزِيدُ هَوَانًا مِنْ هَوَاهَا وَلَا يَزِلُ
وَفِي نَارِهِ يَبْقَى دَوَامًا مُعَذَّبًا
عَلَيْهَا صِرَاطٌ مَدْحَضٌ وَمَزَلَّةٌ
وَفِيهِ كَلَالِيْبٌ تَعَلَّقُ بِالْوَرَى
فَلَا مُدِيْبٌ يَفْدِيهِ مَا يَفْتَدِي بِهِ
فَهَذَا جَزَاءُ المَجْرِمِينَ عَلَى الرَّدَى
أَعْوِذُ بِرَبِّي مِنْ لَظَى وَعَذَابِهَا
وَمِنْ حَالٍ مَنْ فِي زَمَهْرِيْرٍ مُعَذَّبٍ
وَجَنَاتٌ عَدْنٍ زُحْرِفَتْ ثُمَّ أُزْلِفَتْ
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيْرٌ وَسُنْدُسٌ
وَمَا كُوْلَمٌ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهُوْنَهُ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حِسَانٌ كَوَاعِبٌ
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالَّذِي يَشْتَهُوْنَهُ

فَلَا بُدَّ عَنْهَا رَاغِمًا سَوْفَ يُنْقَلُ
لِكُلِّ الْوَرَى مِنْهُمْ مَعَادٌ وَمَوْئِلٌ
إِلَى بَعْثِهِ مِنْ أَرْضِهِ حِينَ يَنْسِلُ
وَلَا هَوْلٌ إِلَّا بَعْدَهُ الْهَوْلُ أَهْوَلُ
وَمِيْزَانٌ قَسِطٌ طَائِشٍ أَوْ مُثْقَلُ
وَمِنْهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ تَزَلُّ
يُعَلُّ بِهَا الْفُجَارُ ثُمَّ يُسَلْسَلُ
وَزَقُوْمُهُمَا مَطْعُوْمُهُمْ حِينَ يُوَكَّلُ
مِنَ الْمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ وَيَشْعَلُ
إِلَى قَعْرِهَا يَهْوِي دَوَامًا وَيَنْزِلُ
يَصِيْحُ تُبُورًا وَيَحَهُ يَتَوَلَّوُلُ
عَلَيْهِ الْبَرَايَا فِي الْقِيَامَةِ تُحْمَلُ
فَهَذَا نَجَا مِنْهَا وَهَذَا مُحْرَدُلُ
وَإِنْ يَعْتَذِرُ يَوْمًا فَلَا الْعُدْرُ يُقْبَلُ
وَهَذَا الَّذِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْصُلُ
وَمِنْ حَالٍ مَنْ يَهْوِي بِهَا يَتَجَلْجَلُ
وَمَنْ كَانَ فِي الْأَغْلَالِ فِيهَا مُكْبَلُ
لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبْتَلُ
وَقُرَّةُ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرْحَلُ
وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَلُّلُ
وَمِنْ سَلْسَبِيْلٍ شُرْبُهُمْ يَتَسَلْسَلُ
عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلُ
إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَآخَرَ بُدِّلُوا

فَوَاكِهَهَا تَذُنُوا إِلَى مَنْ يُرِيدُهَا
وَأَنْهَارُهَا الْأَلْبَانُ تَجْرِي وَأَعْسَلُ
بِهَا كُلُّ أَنْوَاجِ الْفَوَاكِهِ كُلِّهَا
يُقَالُ لَهُمْ طِبْتُمْ سَلِمْتُمْ مِنَ الْأَذَى
بِأَسْبَابِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ الَّذِي
إِذَا كَانَ هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ الْحَزَاءُ
وَحَقٌّ عَلَى مَنْ كَانَ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا
وَأَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ زَادًا التَّقَى
وَإِنَّ أَمَامَ النَّاسِ حَشْرٌ وَمَوْقِفٌ
يَأْلِكُ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كُلِّ مُبْطِلٍ
تَكُونُ بِهِ الْأَطْوَادُ كَالْعِهْنِ أَوْ تَكُنْ
بِهِ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ تُقْبَلُ وَحَدَهَا
بِهِ يُسْأَلُونَ النَّاسُ مَاذَا عَبَدْتُمُوا
حِسَابُ الَّذِي يَنْقَادُ عَرْضٌ مُحْخَفٌ
وَمِنْ قَبْلِ ذَاكَ الْمَوْتُ يَأْتِيكَ بَعْتَةٌ
كُؤُسُ الْمَنَايَا سَوْفَ يَشْرِبُهَا الْوَرَى
حَنَائِكَ بِادْرَهَا بِخَيْرٍ فَإِنَّمَا
إِذَا كُنْتَ قَدْ أَيْقَنْتَ بِالْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ
أَيُّصْلِحُ إِيمَانَ الْمَعَادِ لِمُنْصِيفٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى
أَتَرْضَى بَأَنْ تَأْتِيَ الْقِيَامَةَ مُفْلِسًا
إِلَهِي لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي عَمَّمَ الْوَرَى
وَعَيْرُكَ لَوْ يَمْلِكُ خَزَائِنَكَ التِّي
وَإِنِّي بِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي لَوَائِقُ

وَسُكَّانَهَا مَهْمًا تَمَتَّوَهُ يَحْصُلُ
تَنَاوُلُهَا عِنْدَ الْإِرَادَةِ يَسْهَلُ
وَحَمْرٌ وَمَاءٌ سَلْسَبِيلٌ مُعْسَلٌ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ فَأَدْخُلُوا
يُحِبُّ إِلَى جَنَاتِ عَدْنٍ تَوَصَّلُوا
فَحَقٌّ عَلَى الْعَيْنِينَ بِالذَّمْعِ تَهْمِلُ
يُقَدِّمُ لَهُ خَيْرًا وَلَا يَتَعَلَّلُ
وَلَا يَسْأَمُ التَّقْوَى وَلَا يَتَمَلَّلُ
وَيَوْمٌ طَوِيلٌ أَلْفُ عَامٍ وَأَطْوَلُ
فَضِيحٌ وَأَهْوَالُ الْقِيَامَةِ تُعْضِلُ
كَثِيرًا مَهِينًا أَهْبَلًا يَتَهَلَّلُ
وَلَا غَيْرَهَا مِنْ أَيِّ فَيُطْطَلُ
وَمَاذَا أَجَبْتُمْ مَنْ دَعَا وَهُوَ مُرْسَلُ
وَمَنْ لَيْسَ مُنْقَادًا حِسَابٌ مُثْقَلُ
وَهَيْهَاتَ لَا تَدْرِي مَتَى الْمَوْتُ يَنْزِلُ
عَلَى الرَّغِيمِ شُبَانٌ وَشَيْبٌ وَأَكْهَلُ
عَلَى الْآلَةِ الْحَدْبَا سَرِيعًا سَتُحْمَلُ
وَبِالْبَعْثِ عَمَّا بَعْدَهُ تَعْفُلُ
وَيَنْسَى مَقَامَ الْحَشْرِ مَنْ كَانَ يَعْفُلُ
ابْنُ لِي ابْنُ يَوْمِ الْجَزَا كَيْفَ تَفْعَلُ
عَلَى ظَهْرِكَ الْأَوْزَارُ بِالْحَشْرِ تَجْمِلُ
وَجُودٌ عَلَى كُلِّ الْخَلْقِيَةِ مُسْبَلُ
تَزِيدُ مَعَ الْإِنْفَاقِ لَا بُدَّ يَنْحَلُ
وَمَا لِي بِنَابٍ غَيْرِ بَابِكَ مَدْخَلُ

وَإِنِّي لَكَ اللَّهُمَّ بِالِدِينِ مُخْلِصًا
أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا
إِلَهِي فَشَبِّتَنِي عَلَى دِينِكَ الَّذِي
وَهَبَ لِي مِنَ الْفِرْدَوْسِ قَصْرًا مُشِيدًا
وَلِلَّهِ حَمْدٌ دَائِمٌ بِدَاوِمِهِ
يَزِيدُ عَلَى وَزْنِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا
وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْحَمْدِ أَبْتَدِي
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا وَأُزَكِّي نَجِيَّةً
وَأُزَكِّي صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
آخِر: مَطَالِبُ النَّاسِ فِي ذُنُوبِكَ أَجْنَسُ
وَأَرْضَى الْقَنَاعَةَ مَالًا وَالتَّقَى حَسْبًا
وَإِنْ عَلَّتْكَ رُؤُوسٌ وَازْدَرَّتْكَ فَنِي
آخِر: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَاقْتَنَعْ بِرِزْقِهِ
وَلَا تُلْهَكَ الدُّنْيَا وَلَا طَمَعُ لَهَا
وَصَبْرًا عَلَى نَوَابِتِ مَا نَابَ وَاعْتَرَفَ
أَعَادَلُ مَا يُعْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى
آخِر: لِلَّهِ قَوْمٌ أَطَاعُوا اللَّهَ خَالِقَهُمْ
وَالْوَجْدَ وَالشُّوقَ وَالْأَفْكَارُ قُوَّتَهُمْ
وَبَادَرُوا لِرِضَا مَوْلَاهُمْ وَسَعَوْا
وَشَمَّرُوا وَاسْتَعَدُّوا وَفَقَ مَا طَلِبُوا
وَجَاهَدُوا وَانْتَهَوْا عَمَّا يُبَاعِدُهُمْ
جَنَاتُ عَدْنٍ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ بِهَا
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَفِينَا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرْشِدَنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا يُرْضِيكَ ،
وَأَجْرُنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

قال الله تبارك وتعالى وتقدّس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ
الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ .

قال بعض أهل العلم في هذه الآية فوائد منها أن أصل أمر المتقين السلامة
وإن عرض طيف بعض الأحيان .

ومنها إذا مسهم والمس ملامسة من غير تمكن كالكفار فإن الشيطان
يتجرّد عليهم ويختلس من قلوب المتقين المؤمنين حين تنام العقول الحارسة
للقلوب .

فإذا استيقظوا انبعث من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة إلى الله تعالى
والإفتقار فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه وأخذوا منه ما أفترسه .

ومنها أنه أشار بالطيف إلى أنه لا يمكنه أن يأتي القلوب الدائمة المستيقظة
إنما يأتي القلوب في حين منامها يَرْجُو غَفْلَتَهَا وَمِنْ لَا نَوْمَ لَهُ فَلَا طَيْفَ يَرُدُّ
عليه .

ومنها أن الطيف الذي في منامك فإذا استيقظت فلا وجود له .

ومنها أنه قال تذكروا ولم يقل ذكروا إشارة إلى أن الغفلة لا يطردّها الذكر
من غفلة القلب إنما يطردّها التذكر والاعتبار لأن الذكر ميدانه اللسان
والتذكر ميدانه القلب .

ومنها أنه قال تذكروا فحذف مُتَعَلِّقَةٌ ولم يَقُلْ تذكروا الجنة والنار والعقوبة لأن التذكر الماحي لِطَيْفِ الْهَوَى مِنْ قُلُوبِ الْمُتَّقِينَ عَلَى حَسَابِ مَرَاتِبِ الْمُتَّقِينَ .
وَمَرْتَبَةُ التَّقْوَى يَدْخُلُ فِيهَا الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالصِّدِّيقُونَ وَالْأَوْلِيَاءُ
وَالصَّالِحُونَ وَالْمُسْلِمُونَ فَتَقْوَى كُلِّ أَحَدٍ عَلَى حَسَبِ مَقَامِهِ .

لِذَلِكَ يُذَكَّرُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ مَقَامِهِ فَلَوْ ذَكَرَ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ
التَّذَكُّرِ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ إِلَّا أَهْلُ ذَلِكَ الْقِسْمِ .

شِعْرًا: أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا التَّقْوَى لَهُ أُسُسٌ وَطَاعَةُ اللَّهِ فِي سِرِّ وَإِعْلَانِ
وَالْعَدْلُ بَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ كُلَّهُمْ لَا فَرْقَ بَيْنَ شَرِيفٍ مِنْهُمْ أَوْ أَنَبِي
ومنها قوله سُبْحَانَهُ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ كَأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَعْلَى ذَلِكَ مَنَّا مِنْهُ
سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمَّا اسْتَيْقَظُوا ذَهَبَتْ سَحَابَةُ الْعَقْلِ فَاشْرَفَتْ شَمْسُ
الْبَصِيرَةِ .

ومنها التَّوَسُّعُ عَلَى الْمُتَّقِينَ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا لَا يَمَسُّهُمْ طَيْفٌ مِنَ
الشَّيْطَانِ خَرَجَ كُلُّ أَحَدٍ إِلَّا أَهْلَ الْعِصْمَةِ فَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوسِّعَ دَائِرَةَ رَحْمَتِهِ .
انتهى .

ثم أعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن التقوى التي
أعدَّ اللهُ الجنة لأهلها قِيلَ إِنَّهَا امْتِثَالُ الْأُمُورِ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي .
وقيل هي اتقاء الشرك فما دُونُهُ مِنْ ذَنْبٍ مِنْ كُلِّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَاتِقَاءُ
تَضْيِيعِ وَاجِبٍ مِمَّا افْتَرَضَ اللَّهُ .

وهي وَصِيَّةٌ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ .

وقال جل وعلا: ﴿أَلَا أَنْ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ .

وقد روى في الحدين إن المنادي يُنادي يومَ القيامة: ﴿يَا عِبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ فترفع الخلائق رؤوسهم يقولون نحن عبادُ الله عزَّ وجلَّ .

ثم يُنادي الثانية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ فينكس الكفار رؤوسهم، ويبقى الموحدون رافعي رؤوسهم .

ويبقى أهل التقوى رافعي رؤوسهم قد أزال عنهم الربُّ الكريمُ الخوفَ والحزنَ كما وعدهم وهو أصدقُ القائلين وأوفى الواعدين وأكرمُ الأكرمين لا يخذلُ وليه ولا يُسلمه عند الهلكة .

شِعْرًا: لَوْ أَنَّنِي خَيْرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ مَا اخْتَرْتُ إِلَّا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ
كُلَّ الْأُمُورِ تَزُولُ عَنْكَ وَتَنْقُضِي إِلَّا التَّقَى وَفَضَائِلُ الْإِيمَانِ
آخِرُ: حَقُّ التَّقَى وَإِنْ لَمْ يُدْنِهِ نَسَبٌ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مَنْ لِلدِّينِ يَنْتَسِبُ

«مَوْعِظَةٌ»: عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ ضَاعَتْ أَعْمَارُنَا فِي الْقَيْلِ وَالْقَالِ، وَالْغَيْبَةِ
وَالنَّمِيمَةِ، وَالْمَدَاهِنَةِ، وَالْأَنْهَمَاكِ فِي الدُّنْيَا، إِلَى أَنْ اسْتَلْحَقَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
جُزْءًا مِنَ اللَّيْلِ مُضَافًا إِلَى النَّهَارِ، وَكَأَنَّنَا لَمْ نُخْلَقْ إِلَّا لِهَذِهِ الْأَعْمَالِ، أَفَلَا
نَسْتَيْقِظُ مِنْ غَفْلَتِنَا، وَنَحْفَظُ أَلْسِنَتِنَا عَنْ نُهْشِ أَعْرَاضِ الْعَوَافِلِ، وَالطَّعْنِ فِي
الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ، وَنَصْرِفَ جُلَّ الْأَوْقَاتِ، إِلَى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، الَّتِي
هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّنَا ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا، وَنَذْكُرُ مَوْلَانَا الَّذِي فَضَلَهُ عَلَيْنَا مِدْرَارًا،
فَإِنَّ الذِّكْرَ عَاقِبَتُهُ الْجَنَّةُ دَارُ الْكِرَامَةِ وَالْقَرَارِ، مَعَ رِضَى رَبِّنَا الَّذِي دُونَهُ كُلُّ
ثَوَابٍ، تَاللَّهِ لَوْ عَرَفْتُمْ فِيمَا هَذِهِ النَّصِيحَةِ لَبَادَرْتُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا كُلَّ الْبِدَارِ،
فَإِنَّكَ وَأَنْتَ تَذْكُرُ اللَّهَ أَفْضَلَ مِمَّنْ يُفَرِّقُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَسَائِرَ الْأَمْوَالِ،

وَأَفْضَلُ مِنْ أَنْ تُجَاهِدَ الْعَدُوَّ فَيَضْرِبَ عُنُقَكَ، أَوْ تَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتَكُونَ مِنْ الشُّهَدَاءِ الْإِبْرَارِ، كَيْفَ لَا وَالذِّكْرُ خَيْرُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا، وَأَرْفَعَهَا لِلدَّرَجَاتِ عِنْدَ مَوْلَانَا الْوَهَّابِ حَسْبُ الذَّاكِرِ: أَنْ تُحْفَهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنْزِلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَتَعُشَاهُ الرَّحْمَاتُ، وَمَنْ فِي الْوُجُودِ مِثْلُ الذَّاكِرِ، وَهُوَ وَقْتُ ذِكْرِهِ لِلَّهِ بَارِيُّ الْكَائِنَاتِ، وَمَنْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ بِالذِّكْرِ فِي حِصْنٍ، يَحْفَظُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ الْفَاتِنَاتِ، وَمَنْزِلَةُ الذَّاكِرِ بَيْنَ الْعَافِلِينَ كَمَنْزِلَةِ الْحَيِّ بَيْنَ الْمَيِّتِينَ، ذِكْرُ اللَّهِ يُنِيرُ الْقَلْبَ، وَيُوقِظُهُ وَيُحْيِيهِ، وَيُزِيلُ رَأْيَهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى الْحَقِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ .

شِعْرًا: مَا مَاتَ مَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ دَوَامَهُ يَعْمَلُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ
 آخَرُ: يَأَلَيْتُ أَلْفَ لِسَانٍ اسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قِرَاءَةِ فَرَّانٍ وَتَهْلِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خَاتِمَةٌ، وَصِيَّةٌ، نَصِيحَةٌ

إِعْلَمِ وَفَقِّنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا يَجِبُ الْاِعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وَعَمَلًا كَلَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحُثَّ أَوْلَادَهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَمَا تَيَسَّرَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُنْفَقِ عَلَى صِحَّتِهَا عَنْهُ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

وَمِنَ الْفَقْهِ مَخْتَصَرَ الْمُنْفَعِ لِيَسَّرَ لَهُ اسْتِخْرَاحَ الْمَسَائِلِ وَيَجْعَلَ لِأَوْلَادِهِ مَا يَحْتُجُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لَمْثٍ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى صَدْرِهِ حِفْظًا صَحِيحًا عَشْرَةَ آلَافٍ أَوْ أَزِيدَ أَوْ أَلَّ حَسَبَ حَالِهِ فِي الْغَنِيِّ .

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ عُقُودَ الْوُلُوِّ وَالْمَرْجَانَ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلَافٍ.

فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ حِفْظِهَا فَالْعُمْدَةُ فِي الْحَدِيثِ يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظَهَا ثَلَاثَةَ
آلَافٍ، أَوْ الْأَرْبَعِينَ النَّوَاوِيَّةَ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُهَا أَلْفًا.

وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ الْمَقْنَعِ فِي الْفِقْهِ الْفَيْنِ مِنَ الرِّيَالِاتِ فَالْعَيْبُ
سَبَبٌ لِحِفْظِ الْمَسَائِلِ وَسَبَبٌ لِسُرْعَةِ اسْتِحْرَاجِ مَا أُرِيدَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَشْكَلَ
مَعْنَاهُ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي مَدَارِسِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ فَمَدَارِسُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ
مَدَارِسُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِ الْمُتَمَازِ الْبَاقِيِ النَّافِعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي
حَلَقَاتِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمَسَاجِدِ.

شِعْرًا: وَلَمْ أَرَى لِلْحَلَائِقِ مِنْ مَرْبٍ كَعِلْمِ الشَّرْعِ يُؤَخِّدُ عَنْ ثِقَاتِ
بَيْتِ اللَّهِ مَدْرَسَةَ الْأَوْلِيَاءِ لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وَعَمِلَ أَوْلَادُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ
وَسَبَبًا لِنُبْرِهِمْ بِهِ وَدُعَائِهِمْ لَهُ إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبَارَكًا
يَعْمَلُ بِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أَوْلَادِهِمْ فَيَزِيدُ الْأَجْرَ لَهُ وَهُمْ، نَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ
لِحُسْنِ النِّيَّةِ.

«فَائِدَةٌ»: وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَوْلَادَ يَتَفَاوَتْونَ فِي الذِّكَاةِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ، فَيُعْطَى كُلُّ
وَاحِدٍ مَنْزِلَتَهُ، وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ بِاخْتِيَارَاتِهِ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّ الصَّبِيَّانَ يَجْتَمِعُونَ لِلْعِبِّ،
فَيَقُولُ عَالِي الْهِمَّةِ مَنْ يَكُونُ مَعِيَ وَيَقُولُ قَاصِرِ الْهِمَّةِ مَنْ أَنَا مَعَهُ.

شِعْرًا:

الْعِلْمُ أَعْلَى وَأَخْلَى مَالَهُ اسْتَمَعَتْ أُذُنٌ وَأَعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِنَمٍ
الْعِلْمُ غَايَتُهُ الْقُصُوفُ وَرُتْبَتُهُ الْعُلِيَاءُ فَاسْعُوا إِلَيْهِ يَا ذَوِي الْهِمَمِ
لِعِلْمٍ أَشْرَفٍ مَطْلُوبٍ وَطَالِبُهُ لِلَّهِ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ

الْعِلْمُ نُورٌ مُبِينٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ
 الْعِلْمُ أَعْلَى حَيَاةٍ لِلْعِبَادِ كَمَا
 الْعِلْمُ وَاللَّهُ مِيرَاثُ النَّبُوَّةِ لَا
 لِأَنَّهُ إِرْثٌ حَقِّي دَائِمٌ أَبَدًا
 الْعِلْمُ مِيزَانٌ شَرَعُ اللَّهُ حَيْثُ بِهِ
 وَسُلْطَةٌ الْعِلْمِ تَنْقَادُ الْقُلُوبُ لَهَا
 وَيَذْهَبُ الدِّينُ وَالْدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْعِلْمُ
 الْعِلْمُ يَا صَاحِبِ يَسْتَغْفِرُ لِصَاحِبِهِ
 كَذَلِكَ تَسْتَغْفِرُ الْحَيَاتَانُ فِي لُجْجِ
 وَخَارِجِ فِي طِلَابِ الْعِلْمِ مُحْتَسِبًا
 وَأَنَّ أُجْنَحَةَ الْأَمْلاِكِ تَبْسُطُهَا
 وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْعِلْمِ يُسَلِّكُهُمْ
 وَالسَّامِعُ الْعِلْمَ وَالْوَاعِي لِيَحْفَظَهُ
 فَإِنَّا نَضَارَتُهُ إِذْ كَانَ مَتَصِفًا
 كَفَاكَ فِي فَضْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ رُفِعُوا
 وَكَانَ فَضْلُ أَهْلِ آيِنَا فِي الْقَدِيمِ عَلَى
 كَذَلِكَ يُوسُفُ لَمْ تَظْهَرْ فَضِيلَتُهُ
 وَقَدَّمَ الْمُصْطَفَى بِالْعِلْمِ حَامِلُهُ
 كَفَاهُمُوا أَنْ غَدُوا لِلْوَجِي أَوْعِيَّةُ
 وَأَنْ غَدُوا وَكَلَاءُ فِي الْقِيَامِ بِهِ
 وَخَصَّهُمْ رَبُّنَا قَصْرًا بِحَشِيَّتِهِ
 وَمَعَ شَهَادَتِهِ جَاءَتْ شَهَادَتُهُمْ
 وَالْعَالِمُونَ عَلَى الْعِبَادِ فَضْلِهِمْ
 وَبِالْمُهْمِّ الْمُهْمِّ ابْدَأْ لِتَذَرِكُهُ

أَهْلُ الشَّعَادَةِ وَالْجُهَالِ فِي الظُّلْمِ
 أَهْلُ الْجَهَالَةِ أَمْوَاتٌ بِجَهْلِهِمْ
 مِيرَاثٌ يُشْبِهُهُ طُوبَى لِمُتَسِّمٍ
 وَمَا سِوَاهُ إِلَى الْإِفْتَاءِ وَالْعَدَمِ
 قِوَامُهُ وَيُدُونِ الْعِلْمِ لَمْ يَقُمْ
 إِلَى الْهُدَى وَإِلَى مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ
 لَمْ الَّذِي فِيهِ مَنْجَاةٌ لِمُعْتَصِمٍ
 أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ مِنْ لَمَمٍ
 مِنَ الْبِحَارِ لَهُ فِي الضَّوِّ وَالظُّلْمِ
 مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيُّ كَمِي
 لِطَالِبِيهِ رِضِي مِنْهُمْ بِصُنْعِهِمْ
 إِلَى الْجِنَانِ طَرِيقًا بَارِيءَ النَّسَمِ
 مُؤَذِيًا نَاشِرًا إِيَّاهُ فِي الْأُمَمِ
 بَدَأَ بِدَعْوَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
 مِنْ أَجْلِهِ دَرَجَاتٍ فَوْقَ غَيْرِهِمْ
 الْأَمْلاِكِ بِالْعِلْمِ مِنْ تَعْلِيمِ رَبِّهِمْ
 لِلْعَالِمِينَ بِغَيْرِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمِ
 أَعْظَمُ بِذَلِكَ تَقْدِيمًا لِذِي قَدَمٍ
 وَاضْحَتْ الْآيِ مِنْهُ فِي صُدُورِهِمْ
 قَوْلًا وَفِعْلًا وَتَعْلِيمًا لِغَيْرِهِمْ
 وَعَقْلٍ أَمْثَالِهِ فِي أَصْدَقِ الْكَلِمِ
 حَيْثُ اسْتَجَابُوا وَأَهْلُ الْجَهْلِ فِي صَمَمٍ
 كَالْبَدْرِ فَضْلًا عَلَى الدَّرِيِّ فَاعْتَمِ
 وَقَدَّمَ النَّصَّ عَلَى الْآرَاءِ فَاقْتِهِمْ

قَدَّمَ وَجُوباً عَلَومَ الدِّينِ إِنْ رَهَا
 وَكُلَّ كَسْرِ الفَتَى فَالِدِينُ جَابِرُهُ
 مَا العِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ آثَرُ
 مَا ثُمَّ عِلْمُ سَوَى الوَحْيِ المُبِينِ وَمَا
 وَالكُنْمُ لِلْعِلْمِ فَاحْذَرُ إِنْ كَاتِمَهُ
 وَمِنْ عُقُوبَتِهِ أَنْ فِي المَعَادِ لَهُ
 وَكَاتِمُ العِلْمِ عَمَّنْ لَيْسَ يَحْمِلُهُ
 وَإِنَّمَا الكُنْمُ مَنَعُ العِلْمِ طَالِبُهُ
 وَأُتْبِعِ العِلْمَ بِالْأَعْمَالِ وَادْعُ إِلَى
 وَاصْبِرْهُ عَلَى لَاحِقِ مِنْ فِتْنَةٍ وَأَذَى
 لَوَاحِدٍ بِكَ يَهْدِيهِ إِلَيْهِ لَذَا
 وَاسئَلْكَ سِوَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ وَلَا
 يَا طَالِبَ العِلْمِ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا
 وَقَدْسِ العِلْمِ وَاعْرِفْ قَدْرَ حُرْمَتِهِ
 وَاجْهَدْ بِعَزْمٍ قَوِيٍّ لَا انْشَاءَ لَهُ
 وَالنَّصْحَ فَايْذُلُهُ لِلطُّلَابِ مُحْتَسِبًا
 وَمَرْحَبًا قُلْ لِمَنْ يَأْتِيكَ يَطْلُبُهُ
 وَالنِّيَّةُ اجْعَلْ لَوْجِنِ اللَّهِ خَالِصَةً
 وَمَنْ يَكُنْ لِيَقُولَ النَّاسُ يَطْلُبُهُ
 وَمَنْ بِهِ يَتَّبِعِي الدُّبْيَا فَلَيْسَ لَهُ
 إِيَّاكَ وَاحْذَرُ مِمَّارَاتِ السَّيْفِ بِهِ
 فَإِنَّ أَبْعَضَ كُلِّ الخُلُقِ أَجْمَعُهُمْ
 وَالعُجْبَ فَاحْذَرُهُ إِنْ العُجْبَ مُجْتَرَفٌ
 آخِرُ: ضَيِّعَتْ عُمْرِكَ يَا مَعْرُورٌ فِي غَفْلٍ
 وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَعَ مِمَّا فَاتَ مِنْ زَمَنِ
 بَادِرِ إِلَى صَالِحِ الأَعْمَالِ مُجْتَهِدًا

يَبِينُ نَهْجُ الهُدَى مِنْ مُوجِبِ النِّعَمِ
 وَالكَسْرُ فِي الدِّينِ صَعْبٌ غَيْرُ مُتَّعِمِ
 يَجْلُوْا بِنُورِ هُدَاهُ كُلُّ مُنْبَهِمِ
 مِنْهُ اسْتَمِدَّ إِلَّا طُوبَى لِمُعْتَمِمِ
 فِي نَعْنَةِ اللَّهِ وَالأَقْوَامِ كُلِّهِمْ
 مِنَ الجَحِيمِ لِحَامًا لَيْسَ كَاللُّجَمِ
 مَاذَا بِكَيْتَمَانَ بَلْ صَوْنٌ فَلَا تُلَمِ
 مِنْ مُسْتَحِقِّ لَهُ فَافْهَمِ وَلَا تَهَمِ
 سَيَّلِ رَبِّكَ بِالتَّيْبَانِ وَالحِكْمِ
 فِيهِ وَفِي الرُّسُلِ ذِكْرَى فَاقْتَدِهِ بِهِمْ
 خَيْرٌ غَدًا لَكَ مِنْ حُمْرٍ مِنَ النَّعَمِ
 تَعْدَلُ وَقُلْ: رَبِّي الرَّحْمَنُ وَاسْتَقِمِ
 فَقَدْ ظَفَرَتْ وَرَبُّ اللُّوجِ وَالقَلَمِ
 فِي القَوَالِ وَالفِعْلِ وَالأَدَابِ فَالتَّزِمِ
 لَوْ يَعْلَمُ المرءُ قَدْرَ العِلْمِ لَمْ يَنِمِ
 فِي السِّرِّ وَالجَهْرِ وَالأَسْتَاذِ فَاحْتَرِمِ
 وَفِيهِمْ احْفَظْ وَصَايَا المُصْطَفَى بِهِمْ
 إِنْ البِنَاءُ بَدُونِ الأَصْلِ لَمْ يَقُمْ
 أَخْسِرُ بِصَفْقَتِهِ فِي مَوْقِفِ النَّدَمِ
 يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حَظِّ وَلَا قِسْمِ
 كَذَا مُبَاهَاتِ أَهْلِ العِلْمِ لَا تَرَمِ
 إِلَى الإِلَهِ أَلَدَّ النَّاسِ فِي الخِصَمِ
 أَعْمَالِ صَاحِبِهِ فِي سَبِيلِهِ العَرَمِ
 قُمْ لِلتَّلَاقِي فَانْتِ اليَوْمِ فِي مَهَلِ
 وَانْدُبْ بِتَوْبَةٍ عَلَى أَيَّامِكَ الأَوَّلِ
 فَالْتَّجِعْ فِي الجِدِّ وَالحِرْمَانِ فِي الكَسَلِ

كُنْ لَا مَحَالَةَ فِي الدُّنْيَا كَمُعْتَرِبٍ
دَارُ الخُلُودِ مَقَاماً دَارُ آخِرَةِ
وَكُلُّ مَنْ حَلَّ فِي الدُّنْيَا فَمُرْتَجِلٌ
هَلَّا اعتَبَرْتُ فَكَمْ حَلُّوا وَكَمْ رَحَلُوا
إِذَا تَجَهَّهُمْ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
يَقُومُ عَنكَ الأَطِبَاءُ وَالصِّدِّيقُ إِذَا
فَيَدْرِجُونَكَ فِي الأَكْفَانِ مُنْتَزِعاً
وَيُودِعُونَكَ تَحْتَ الأَرْضِ مُنْفَرِداً
وَقَائِلٌ مِنْهُمْ قَدْ كَانَ خَيْرَ أَبِي
فَبَعْدَ ذَلِكَ لَا يَدْرُونَ مَا فَفَعَلُوا
وَبَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي مُخَاصَمَةٍ
وَيَأْتِحُونَ قَرِيْباً فِي مَعَايشِهِمْ
يَأْتِيهَا الغُرُّ لَا تَعْرِزُكَ صُحْبَتُهُمْ
فِيْمَ التَّعَافُلِ وَالأَيَّامِ دَائِرَةَ
فِيْمَ العَوِيْلِ لَدَى دَارِ حَلَّتْ وَعَفَّتْ
فِيْمَ التَّصَابِي وَأَيَّامِ الصِّيَا عَمَّيْرَتِ
فَكَيْفَ تَلْعَبُ وَالحَمْسُونَ قَدْ كَمَلْتَ
دَعِ ذِكْرَ لَيْلَى وَبُنْتِي وَازْدِيَادِهِمَا
تِلْكَ العَوَانِي وَإِنْ أُخْلِصْنَ حُلَّتْهَا
طَحْبُ الأَجْبَةِ جِرْمَانٍ وَمَنْدَمَةٌ
يَارَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِماً أَبَداً

«فصل»

قال أحد العلماء: لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همه في إحكامه
وإتقانه، وتحسينه. فإن العبد قد يُصلى وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي
الله في صيامه.

وقيل لآخر: كيف أصبحت فبكى، وقال أصبحت في غفلة عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بي، وأجل يسرع كل يوم في عمري، وموئل لست أدري علاماً أهجم ثم بكى.

وقال آخر: لا تعتم إلا من شيء يضرك غداً (أي في الآخرة) ولا تفرح بشيء لا يسرك غداً، وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال الحزن منك على ما فاتك من الطاعة، وألزمك الفكر في بقية عمرك.

وقال آخر: عليك بصحبة من تذكرك الله عز وجل رؤيته، وتقع هيئته على باطنك، ويزيد في عملك منطقه، ويؤهلك في الدنيا عمله، ولا تعصي الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله.

قال إسرافيل: حضرت ذي النون المصري وهو في الحبس وقد دخل الشرطي بطعام له، فقام ذو النون فنفض يده (أي قبضها عن الطعام).

ف قيل له: إن أخاك جاء به، فقال: إنه على يدي ظالم، قال: وسمعت رجلاً سأله ما الذي أتعب العباد وأضعفهم؟

فقال: ذكر المقام وقلة الزاد، وخوف الحساب، ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم، والعرض على الله جل وعلا أمامهم، وقرأة كتبهم بين أيديهم.

والملائكة وقوف بي يدي الجبار ينتظرون أمره في الأختيار والأشرار، ثم مثلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم.

وقال: سقم الجسد في الأوجاع، وسقم القلوب في الذنوب، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب.

وقال: من لم يعرف قدر النعم، سلبها من حيث لا يعلم. ما خلع الله على عبد خلعة أحسن ولا أشرف من العقل ولا قلده قلادة أجمل من العلم ولا زينه بزينة أفضل من الحلم وكمال ذلك التقوى.

وقال آخر: أدركتُ أقواماً يَسْتَحْيُونَ مِنَ اللَّهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مِنْ طُولِ
الهِجَعَةِ، إِنَّمَا هُوَ عَلَى الْجَنْبِ إِذَا تَحَرَّكَ قَالَ لِنَفْسِهِ: لَيْسَ لَكَ قَوْمِي خُذِي
حَظَّكَ مِنَ الْآخِرَةِ.

وقال أبو هاشم الزاهد: إن الله عز وجل وَسَمَ الدُّنْيَا بِالْوَحْشَةِ، لِيَكُنْ أُنْسُ
الْمُرِيدِينَ بِهِ دُونَهَا، وَلِيُقْبَلَ الْمُطِيعُونَ لَهُ بِالْأَعْرَاضِ عَنْهَا، وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ فِيهَا
مُسْتَوْجِحُونَ، إِلَى الْآخِرَةِ مُشْتَاقُونَ.

وَنَظَرَ أَبُو هَاشِمٍ إِلَى شَرِيكَ الْقَاضِي يَخْرُجُ مِنْ دَارِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ فَبَكَى،
وَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ.

وقال أسود بن سالم: ركعتان أصليهما أحب إلي من الجنة بما فيها. فقبل
له: هذا خطأ، فقال: دَعُونَا مِنْ كَلَامِكُمْ، رَأَيْتُ الْجَنَّةَ رِضَا نَفْسِي، وَرَكَعَتَيْنِ
أَصْلِيهِنَّ رِضَا رَبِّي، وَرِضَاءَ رَبِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رِضَا نَفْسِي، تَأْمَلُ يَا أَحْيَى دَقَّةَ
هَذَا الْفَهْمِ لِلَّهِ دَرَهُ.

وقال وهيب: الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس بينهما حَرُونَ، فإذا
قَادَ الْقَائِدُ وَلَمْ يَسُقِ السَّائِقُ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ شَيْئاً.

وإذا سَاقَ السَّائِقُ وَلَمْ يَقْدِ الْقَائِدُ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ شَيْئاً، وَإِذَا قَادَ الْقَائِدُ وَسَاقَ
السَّائِقُ اتَّبَعَتْهُ النَّفْسُ طَوْعاً وَكَرْهاً وَطَابَ الْعَمَلُ.

قال بعضهم يوبخ نفسه ويعظها: يَا نَفْسُ بَادِرِي بِالْأَوْقَاتِ قَبْلَ انْصِرَامِهَا،
وَاجْتَهِدِي فِي حِرَاسَةِ لَيْلِي الْحَيَاةِ وَأَيَّامِهَا، فَكَأَنَّكَ بِالْقُبُورِ قَدْ تَشَقَّقْتِ، وَبِالْأُمُورِ
وَقَدْ تَحَقَّقْتِ، وَبِوَجْهِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ اشْرَقْتَ، وَبِرُؤُوسِ الْعِصَاهِ وَقَدْ أَطْرَقْتَ،
قَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُرْجُومُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا
أَبْصِرْنَا وَرَبَّنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، يَا نَفْسُ أَمَا الْوَرَعُونَ فَقَدْ

جَدُّوا، وأما الخائفون فقد استعدوا، وأما الصالحون فقد فرحوا وراحوا وأما
الواعظون فقد نصحوا وصاحوا.

العلم لا يحصل إلا بالنصب والمال لا يجمع إلا بالتعب، أيها العبد الحريص
على تخليص نفسه إن عزمت فبادر وإن همت فثابر واعلم أنه لا يُدرك العز
والمفآخر من كان في الصف الآخر.

اللَّهُمَّ تَوَرَّ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ
الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»

قال ابن مسعودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الصراطُ المستقيمُ، تَرَكْنَا مُحَمَّدًا فِي
أَدْنَاهُ وَطَرَفُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَوَادٌ وَتَمَّ رِجَالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ، فَمَنْ
أَخَذَ فِي تِلْكَ الْجَوَادِ إِنْتَهَتْ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَمَنْ أَخَذَ عَلَى الصِّرَاطِ إِنْتَهَى بِهِ إِلَى
الْجَنَّةِ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْ هَذَا طِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ خَرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ.

فالطريقُ الموصلُ إلى الله واحدٌ، وهو صراطُ المستقيمِ، وبقيةُ السبيلِ كُلِّهَا
سبيلُ الشيطانِ، مَنْ سَلَكَهَا قَطَعَتْ بِهِ عَنِ اللَّهِ، وَأَوْصَلَتْهُ دَارَ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ
وَعِقَابِهِ، فربما سَلَكَ الْإِنْسَانُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ثُمَّ يَنْحَرِفُ عَنْهُ
آخِرَ عُمْرِهِ فَيَسْلُكُ بَعْضَ سَبِيلِ الشَّيْطَانِ فَيَقْطَعُ عَنِ اللَّهِ فَيَهْلِكُ.

«إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ إِلَّا
ذِرَاعٌ أَوْ بَاعٌ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ» وَرَبَّمَا سَلَكَ بِالرَّجْلِ أَوْلًا
بَعْضَ سَبِيلِ الشَّيْطَانِ ثُمَّ تُدْرِكُهُ السَّعَادَةُ فَيَسْلُكُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ
فَيَصِلُ بِهِ إِلَى اللَّهِ.

والشأن كُلُّ الشأنِ في الاستقامةِ على الصراطِ المستقيمِ من أولِ السيرِ إلى الله ﴿ ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء ﴾ ، ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ . ما أَكثَرَ من يَرْجِعُ أثناءَ الطريقِ وَيَنْقَطِعُ ، فإن القلوبَ بينَ إصبعينِ من أصابعِ الرحمنِ ﴿ يثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ .

شِعْرًا: خَلِيلِي قَطَّاعُ الطَّرِيقِ إِلَى الحِمَا كَثِيرٌ وَأَمَّا الوَاصِلُونَ قَلِيلٌ
وفي الحديثِ الصحيحِ الإلهي (القدسي) يقول الله عز وجل: « مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » .

وفي المسندِ زيادةُ « والله أعلا وأجل والله أعلا وأجل » وفيه أيضاً: يقول الله: « إِبْنِ آدَمَ قُمْ إِلَيَّ وَأَمْشِ إِلَيَّ أَهْرُولٌ إِلَيْكَ » .

« فَضْلٌ »

وقال رحمه الله: الوصولُ إلى الله نَوَعَانُ: أَحَدُهُمَا في الدنيا، والثاني في الآخِرَةِ . فأما الوصولُ الدنيويُّ فالمرادُ به: أن القلوبَ تصلُ إلى مَعْرِفَتِهِ ، فإذا عَرَفْتَهُ أَحَبْتَهُ ، وَأَنْسَتَ بِهِ ، فَوَجَدْتَهُ مِنْهَا قَرِيبًا ، وَلِدَعَائِهَا مُجِيبًا ، كَمَا في بعضِ الآثَارِ: « إِبْنِ آدَمَ أَطْلَبْنِي تَجِدْنِي فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَإِنْ فُتِكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ » .

الصراطُ المستقيمُ في الدنيا يشتملُ على ثلاثِ درجاتٍ: درجةُ الإسلامِ ، ودرجةُ الإيمانِ ، ودرجةُ الإحسانِ . فمن سَلَكَ دَرَجَةَ الإسلامِ إلى أن يَمُوتَ عليها مَنَعَتْهُ مِنَ الخلودِ في النارِ ، ولم يَكُنْ له بُدٌّ من دُخُولِ الجنةِ ، وإن أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ما أَصَابَهُ .

وَمَنْ سَلَكَ عَلَى دَرَجَةِ الْإِيمَانِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ عَلَيْهَا مَنَعَتْهُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ
بِالْكَلِيَةِ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يُطْفِئُ لَهَبَ نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى تَقُولَ: يَا مُؤْمِنُ جُزْ فَقَدْ أَطْفَأَ
نُورُكَ لَهَبِي.

وفي المسند عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: « لا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا
دَخَلَهَا فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى إِنْ لِنَّارِ
ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ، ذَا مِيرَاثٍ وَرِثَةٍ الْمَحْبُونَةِ مِنْ حَالِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ. »

وَمَنْ سَلَكَ عَلَى دَرَجَةِ إِحْسَانٍ إِلَى أَنْ يَمُوتَ عَلَيْهَا وَصَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى
اللَّهِ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾. وفي الحديث الصحيح: « إِذَا دَخَلَ
أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنْ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدٌ يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَ كُفُومَهُ ». .
فيقولون ما هو؟ ألم يبيض وجوههن؟ ألم يتنقل موازيننا؟ فوالله ما أعطاهم
الله شيئاً أحبَّ إليهم، ولا أقرَّ لأعينهم من النظر إليه، وهو الزيادةُ ثم تلا:
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

كُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَشْتَرِكُونَ فِي الرُّوَايَةِ وَلَكِنْ يَتَفَاوِثُونَ فِي الْقُرْبِ فِي حَالِ
الرُّوَايَةِ. عُمُومُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَخَوَاصُّهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ بَكْرَةً وَعَشِيًّا. الْعَارِفُونَ لَا يُسَلِّطُهُمْ عَنْ
مَحْبُوبِهِمْ قَصْرٌ وَلَا يُرَوِّبُهُمْ دُونَهُ نَهْرٌ.

شِعْرًا: وَيَرُونَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ
هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ
وَأْتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَصْرِيحًا وَتَعَدُّ
وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُوسُفَ
وَهِيَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو
نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانَ
يُنَكِّرُهُ إِلَّا فَاسِدُ الْإِيمَانِ
رِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ
تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ ذُو الْإِيمَانِ

وعليه أصحابُ الرسولِ تَتَابَعُوا هم بعدهم تَبَعِيَّةَ الإحسان
والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

« فَصْلٌ »

وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: « أن أدنى أهل الجنة منزلةً لَيَنْظُرُ في ملكه ألفي سنة يَرى أقصاه كما يرى أدناه، يَنْظُرُ إلى أزواجهِ وَحَدَمِهِ، وأن أفضلهم منزلةً لمن يَنْظُرُ إلى وجهِ الله تبارك وتعالى كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ » وخرجه الترمذي، ولفظه: « إن أدنى أهل الجنة منزلةً لَمَنْ يَنْظُرُ إلى أزواجهِ ونعيمِهِ وَحَدَمِهِ وَسُرْرِهِ مَسِيرَةَ ألف سنة » .

وأكرمهم على الله من يَنْظُرُ إلى وَجْهِهِ غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ .. إلى . ربها ناظرة ﴾ ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، حديث جرير بن عبد الله البجلي: « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته ﴾ قال: « فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وصلاةٍ قبلَ غروبِها فافعلوا ﴾، ثم قرأ: ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ .

ولما كان هذانِ الوَقْتَانِ في الجنةِ وقتانِ للرؤيةِ في خواصِ أهلِ الجنةِ، حَصَّ الرسول ﷺ على المحافظة على الصلاة في هذينِ الوقتين في الدنيا فَمَنْ حَافَظَ على آتينِ الصلاتينِ في الدنيا في هذينِ الوقتين وصلاهما على أكملِ وُجُوهِمَا وَحُشُوعِهِمَا وَحُضُورِهِمَا وَأَدْبِهِمَا فإنه يُرَجَى له أن يكونَ مِمَّنْ يَرى الله في هذينِ الوقتين في الجنةِ، لاسيما إن حافظَ بعدَهُمَا على الذكرِ وأنواعِ العباداتِ حتى تَطَلَعَ الشمسُ أو تغربَ .

فإن وَصَلَ العبدُ ذَلِكَ بِدُلْجَةِ آخرِ الليلِ فَقَدَ اجتمعَ له السيرُ في الأوقاتِ الثلاثةِ وهي: الدُلْجَةُ، والعُدُوَّةُ، والرَّوْحَةُ، فيوشكُ أن يَعْقبَهُ الصِدْقُ في هذا

السير الوصول الأعظم إلى ما يطلبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر .
 مَن لَزِمَ الصِّدْقَ فِي طَلْبِهِ أَدَاهُ الصِّدْقُ إِلَى مَقْعِدِ الصِّدْقِ . ﴿وبشر الذين
 آمنوا إن لهم قدم صدقٍ عند ربهم﴾ .
 الْحُبُّ لَا يَقْطَعُ السُّؤَالَ عَمَّنْ يُحِبُّ وَيَتَحَسَّسُ الْأَخْبَارَ وَيَنْسِمُ الرِّيَّاحَ
 وَيَسْتَدِلُّ بِآثَارِ السُّلُوكِ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى مَحْبُوبِهِ .
 لَقَدْ كَبُرَتْ هِمَّةُ اللَّهِ مُطْلُوبُهَا وَشَرَفَتْ نَفْسُ اللَّهِ مَحْبُوبُهَا ﴿ولا تطرد
 الذين يدعون بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ .
 شِعْرًا: مَا لِلْمَحَبِّ سِوَى إِرَادَةِ حِبِّهِ إِنَّ الْحَبَّ بِكُلِّ بَرٍّ يُصْرَعُ
 قِيمَةً كُلِّ إِمْرِيٍّ مَا يَطْلُبُ ، فَمَنْ كَانَ يَطْلُبُ اللَّهَ فَلَا قِيمَةَ لَهُ مِنْ طَلَبِ اللَّهِ
 فَهُوَ أَجَلٌّ مِنْ أَنْ يُقَوِّمَ ، وَمَنْ طَلَبَ غَيْرَهُ فَهُوَ أَخْسُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ قِيمَةٌ .
 قَالَ الشُّبَلِيُّ : مَنْ رَكْنَ إِلَى الدُّنْيَا أَحْرَقَتْهُ بِنَارِهَا فَصَارَ رِمَادًا تَذْرُؤُهُ الرِّيَّاحُ ،
 وَمَنْ رَكْنَ إِلَى الْآخِرَةِ أَحْرَقَتْهُ بِنُورِهَا فَصَارَ سَبِيكَةً ذَهَبٍ يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَمَنْ رَكْنَ
 إِلَى اللَّهِ أَحْرَقَهُ نُورُ التَّوْحِيدِ فَصَارَ جَوْهَرًا لَا قِيمَةَ لَهُ .
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

«فَصْلٌ»

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ
 كَانَتْ تَشْتَدُّ عَلَى الْخَائِفِينَ مِنَ الْعَارِفِينَ ، فَإِنَّهَا تَقْتَضِي أَنْ مِنَ الْعِبَادِ مَنْ يَبْدُو لَهُ
 عِنْدَ لِقَاءِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْتَسِبُ ، مِثْلَ أَنْ يَكُونَ غَافِلًا عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مُعْرِضًا غَيْرَ
 مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ وَلَا يَحْتَسِبُ لَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ أَنَّ لِي مُلْكُ
 الْأَرْضِ لَأَقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ .

وفي الحديث: « لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد، وإن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة ».

وقال بعضُ حكماء السلف: كم موقِفٍ خِزي يومَ القيامةِ لم يخطرُ على بالك قط. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾.

وإشتمل على ما هو أعم من ذلك وهو أن يكون له أعمالٌ يرجو بها الخير فتصيرُ هباءً منثوراً وتبدلُ سيئات. وقد قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾.

وقال: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾.
وقال الفضيلُ في هذه الآية: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾
قال: عملوا أعمالاً وحسبوا أنها حسنات فإذا هي سيئات. وقريبٌ من هذا أن يعملَ الإنسانُ ذنباً يحترقُهُ ويستَهونُ به فيكون هو سببَ هلاكِهِ. كما قال تعالى: ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾.

وقال بعضُ الصحابةِ إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدقُّ من الشعر، كنا نعهدُها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات، وأصعبُ من هذا من زُينَ له سوءُ عمله فرآه حسناً. قال تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾.

قال ابن عيينة لَمَّا حَضَرَتْ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ الْوفاةَ جَزَعٌ فَدَعُوا له أبا حازم فجاء فقال له ابن المنكدر: إن الله يقول: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ فأخاف أن يبدو لي من الله ما أكن أحتسب. فجعلنا بيكيان جمعياً. خرج به ابن أبي حاتم، وزاد ابن أبي الدنيا. فقال له أهله: دعوناك لتخفف عليه فردته فأخبرم بما قاب.

وقال الفضيل بن عياض أُخْبِرْتُ عَنْ سَلِيمَانَ التَّمِيمِيِّ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : أَنْتَ أَنْتَ
وَمَنْ مِثْلِكَ ؟ فَقَالَ مَهْ لَا تَقُولُوا هَذَا لَا أَدْرِي مَا يَبْدُو لِي مِنَ اللَّهِ . سَمِعْتُ اللَّهَ
يَقُولُ : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ .

وكان سفيان الثوري يقول عند هذه الآية : وَيُلِّ لأهل الرياء من هذه
الآية ، وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم أول من تَسَعَّرَ بهم النار ، العالم
والمتصدق والمجاهد . وكذلك من عَمِلَ أعمالاً صالحةً وكانت عليه مظالم فهو
يظن أن أعماله تنجيه فيبدو له ما لم يكن يحتسب ، فيقتسم الغرماء أعماله كلها
ثم يفضل لهم فضلًا فيطرح من سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار .

وقد يناقش الحساب فيطلب منه شكرُ النعم فتقوم أصغر النعم فتستوعب
أعماله كلها وتبقى بقيةً فيطالب بشكرها فيعذب . ولهذا قال عليه الصلاة
والسلام : « مَنْ نَوَّسَ الْحِسَابَ عَذَبَ أَوْ هَلَكَ » . وقد يكون له سيئات تحبب
بعض أعماله أو أعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل النار .

وفي سنن ابن ماجه من رواية ثوبان مرفوعاً : « إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَجْبِيءُ
بِأَعْمَالٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا » وفيه : « وَهُمْ قَوْمٌ مِنْ جَلْدَتِكُمْ
وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنِّتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ
إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ إِنْتَهَكُوهَا » .

وخرَجَ يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي شُعْبَةَ وَإِبْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي حَدِيثِ سَالِمِ مَوْلَى أَبِي
حُدَيْفَةَ مَرْفُوعاً : « لِيَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَقْوَامٍ مَعَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ مِثْلُ جِبَالِ
يَهَامَةَ ، حَتَّى إِذَا جِيءَ بِهِمْ جَعَلَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ هَبَاءً ثُمَّ أَكْبَهُمْ فِي النَّارِ » .

قال سَالِمٌ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ . فقال أَمَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَصُومُونَ
وَيُصَلُّونَ وَيَأْخُذُونَ هُنَيْهَةً مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَعَلَّهُمْ كَانُوا إِذَا عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ سِرًّا
حَرَامًا أَخَذُوهُ فَأَذْحَضَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ . وَقَدْ يَحْبِطُ الْعَمَلُ بِأَقِيَّةٍ مِنْ رِيَاءٍ حَفْمِي أَوْ
عُجْبٍ بِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ صَاحِبُهُ .

قال ضَيْعَمُ العابدُ: إن لم تأتِ الآخرةُ بالسُرورِ لقد اجتمع عليه الأمران هُمُ
الدنيا وشقاء الآخرة. فقيل له: كيف لا تأتية الآخرة بالسُرور وهو يتعب في
دار الدنيا ويدأب؟ قال: كيف بالقَبُولِ، كيف بالسلامة.

ثم قال: كم من رجل يرى أنه قد أصلحَ عَمَلَهُ يُجمَعُ ذلك كله يومَ القيامة
ثم يضربُ به وَجْهَهُ، ومن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره يقلقون من هذه
الآية: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقال ابنُ عَوْنٍ: لا تثق بكثرة العملِ، فإنك لا تَدْرِي يُقبَلُ منك أم لا،
ولا تأمنُ ذُنُوبَكَ فإنك لا تَدْرِي هَلْ كَفَّرَتْ عَنْكَ أم لا؟ لأنَّ عَمَلَكَ عَنْكَ
مُعَيَّبٌ كُلُّهُ لا تَدْرِي ما الذي صَانِعٌ به. وبكى النخعيُّ عند الموتِ وقال: أنتظرُ
رَسُولَ رَبِّي ما أدري أَيُّسُرِّي بالجنة أو النار؟

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ
الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»

وعن أنس رضي الله عنه قال: دعا رجل فقال: اللهم إني أسألك بأن لك
الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاکرام
يا حي يا قيوم.

فقال النبي ﷺ: «أتدرون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: والذي
نفسي بيده لقد دعا باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»
أخرجه أصحاب السنن.

عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذْ

دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له » رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه : (لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) » رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً وهو يقول (يا ذا الجلال والاکرام) فقال : « قد استُجِيبَ لَكَ فَسَلْ » رواه الترمذي .

اللهم اجعلنا مُكْتَرِبِينَ لِذِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ رَاجِينَ لِرَوْعِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا عَنكَ ، رَاجِينَ فِي كُلِّ أَمْرِنَا إِلَيْكَ مُؤْمِلِينَ لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ ، يَأْمَنُ بِحُبِّ الْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ ، وَيَأْمُرُ بِهِمَا أَعْفُ عِنَّا ، وَأَحْسَنُ إِلَيْنَا ، فَإِنَّكَ بِالَّذِي أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عَفْوِكَ أَحَقُّ مِنَّا بِالَّذِي نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عُقُوبَتِكَ .

اللهم ثَبِّتْ رَجَاءَكَ فِي قُلُوبِنَا ، واقطعه عَمَّنْ سِوَاكَ ، حتى لا تَرْجُوا غَيْرَكَ ولا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِإِيَّاكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

اللهم هب لنا اليقين والعافية ، وإخلاص التوكل عليك ، والاستغناء عن خلقك ، واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا .

اللهم أغننا بما وفقتنا له من العلم ، وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجَمَّلْنَا بِالْعَافِيَةِ .

اللهم افتح مَسَامِعَ قُلُوبِنَا لِذِكْرِكَ وارزُقنا طاعتك وطاعة رسولك ووفقنا للعمل بكتابك وسنة رسولك .

اللهم إنا نسألك الهدى ، والتُّقَى والعَافِيَةَ والغِنَى ، ونعوذ بك من دَرِكِ

الشقاء، ومن جهد البلاء ومن سوء القضاء ومن شماتة الأعداء.

اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره، أهل الحمد والثناء أنت، لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شيء قدير.

اللهم اغفر لنا جميع ما سلف منا من الذنوب، واعصمنا فيما بقى من أعمارنا، ووقفنا لعمل صالح ترضى به عنا.

اللهم ياسامع كل صوت ويابارئ النفوس بعد الموت، يا من لا تشبهه عليه الأصوات، يا عظيم الشأن، يا واضح البرهان، يا من هو كل يوم في شأن، اغفر لنا ذنوبنا إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا قريب الرحمة، يا ذا الجلال والاکرام، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة.

اللهم يا حيُّ ويا قيوم فرغنا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ، وَلا تُشِغَلْنَا بِمَا تَكْفَلْتَ لَنَا بِهِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ، وَيَخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ.

اللهم اجعل رزقنا رغدا، ولا تشمت بنا أحدا.

اللهم رغبنا فيما يبقى، وزهدنا فيما يفنى، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعول في الدين إلا عليه.

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيننا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء يا من تغنوا له الوجوه وتخضع له الأصوات، وقفنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا،
وتلم بها شعنتنا، وترفع بها شاهدنا، وتحفظ بها غائبنا، وتركي بها أعمالنا،
وتلهمنا بها رشدنا، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .
اللهم ارزقنا من فضلك، وأكفنا شر خلقك، وأحفظ علينا ديننا وصحة
أبداننا .

اللهم يا هادي المضلين وياراحم المذنبين، ومُقيل عثراتِ العائرين، نسألك
أن تُلحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات، ويارفيع الدرجات، ويا غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير، نسألك أن تديننا برد
عفوك، وحلاوة رحمتك، يا أرحم الراحمين، وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين .
اللهم اغتِننا من رِقِّ الذُّنوب، وخلصنا من أشرِ النفوس، وأذهب عنا
وَحْشَةَ الإِسَاءَةِ، وطَهِّرنا من دَنَسِ الذنوب، وباعد بيننا وبينَ الخطايا وأجرنا
من الشيطان الرجيم .

اللهم طيِّبنا لِقَائِكَ، وأهلنا لِوِلايَتِكَ وأدخِلنا مَعَ المَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيائِكَ،
وتوفِّنا مُسْلِمِينَ والحقنا بالصالحين .

اللهم أعنا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ، وتلاوةِ كِتَابِكَ، واجعلنا
من حِزْبِكَ المُفْلِحِينَ، وأيدنا بِجُنْدِكَ المَنْصُورِينَ، وارزُقنا مُرافَقَةَ الدِّينِ أَنْعَمْتَ
عليهم مِنَ النَّبِيِّينَ والصَّادِقِينَ والشَّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ .

اللهم يا فالق الحب والنوى، يا منشيء الأجساد بعد البلى يا مؤني
المنقطعين إليه، يا كافي المتوكلين عليه، انقطع الرجاء إلا منك، وخابت
الظنون إلا فيك، وضعف الاعتماد إلا عليك نسألك أن تُمطرَ محل قلوبنا من
سحابِ بَرِّكَ وإحسانِكَ وأن توفِّقنا لموجباتِ رحمتك وعزائمِ مغفرتك إنك
جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

اللهم إنا نسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وعملاً متقبلاً، ونسألك
بركة الحياة وخير الحياة، ونعوذ بك من شر الحياة، وشر الوفاة.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ
أَجِبْتَ وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ .
وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ،
وَحَضَعْتَ لَهُ الرِّقَابُ، وَخَشَعْتَ لَهُ الْأَصْوَاتُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .
يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا مَالِكَ الْمَلِكِ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِثُ، وَمِنْ عَذَابِكَ نَسْتَجِيرُ .
اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا تراك، وسعدنا بتقواك، ولا تُشقنا
بمعصيتك .

اللهم إنك تسمع كلامنا، وترى مكاننا، وتعلم سرنا، وعلايتنا لا يخفى
عليك شيءٌ من أمرنا نحن البؤساء الفقراء إليك، المستغيثون المستجiron
الوجلون المشفقون المعترفون بذنوبنا، نسألك مسألة المسكين، ونبتهل إليك
إتهال المذنب الذليل، وتدعوك دعاء الحائف الضير .
اللهم يا مَنْ حَضَعْتَ لَهُ رِقَابَنَا، وَفَضَّتْ لَهُ عِبَارَاتُنَا، وَذَلَّتْ لَهُ أَجْسَامُنَا،
وَرَعِمَتْ لَهُ أَنْفُفُنَا لَا تَجْعَلْنَا بِدُعَائِكَ أَشْقِيَاءَ، وَكُنْ بِنَا رَوْفًا يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ .
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ، وَتَقْنَعُ
بِعَطَائِكَ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَنَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ
عَلَيْكَ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللهم اجعلنا من عبادك المحبتين، الغر المحجلين الوفاء المتقبلين .
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَنَفْسًا تَقِيَّةً، وَعَيْشَةً تَقِيَّةً، وَمِيتَةً سَوِيَّةً،
وَمَرَدًا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك
وتأييدك ورضاك يارب العالمين .

« اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعز من
تشاء وتُذِل من تشاء بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

يا وَدُودُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مُبْدِيءُ يَا مُعِيدُ يَا فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ نَسْأَلُكَ بِنُورِ
وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ
وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَسَيِّئَاتِنَا وَأَنْ
تَبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْفٌ رَحِيمٌ .

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع
المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

عبد العزيز بن محمد بن سلمان

شِعْرًا: تَزَوَّجْتَ الْبَطَالََةَ بِالتَّوَانِي
فَأَمَّا الْإِبْنُ سَمَّوَهُ بِفَقْرٍ
آخِر: أَقْلُبُ كُتُبًا طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍ بِهَا وَتَمَسُّكُ
وَأَحْذَرُ جُهْدِي أَنْ تُنَالَ بِنَائِلِ
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنِّي لَسْتُ بَاقِيًا
آخِر: نَصِيبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرُ كُلَّهُ
آخِر: تَجَرَّدُ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِتْمَا
آخِر: فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ
وَغَيْرَ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ

فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعَ غُلَامِهِ
وَأَمَّا الْبِنْتُ سَمَّوَهَا نَدَامَةً
وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْعَيْنَ وَالْيَدَا
لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صُعْتُ فِيهَا مُنْضَدًا
مَهِينٌ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَقْلِبُهَا غَدَا
رِدَاءً أَنْ تُلَوَى فِيهَا وَحُوطُ
خَرَجْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ
سِوَى حَنُوطِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خِرْقِ
وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ

ومن أراد طباعته ابتغاء وجه الله لا يريد به عرضاً من الدنيا فقد أُذِنَ لَهُ

وجزى الله خيراً من طبعه وفقاً أو أعان على طبعه أو تسبب لطبعه وتوزيعه على إخوانه من المسلمين فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم، وورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، منبله» الحديث رواه أبو دواد، وورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» الحديث رواه مسلم.

الجزء الأول: تَمَّ هَذَا الْجُزْءُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَحْدُلَ الْكُفْرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَعْوَانَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مِنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُهْلِكَ مَنْ فِي هَلَاقِهِ عِزَّ وَصَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَلْمَّ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيَعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وَإِبَاهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظْنَا وَإِبَاهُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَأَنْ يَعْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

والله المستعمل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

عبد العزيز المحمد السلطان

شِعْرًا: مَثَلٌ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَعْرُورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
قَدْ كَوَّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَضْعَفَتْ حَرًّا عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ تَقُورُ

وَإِذَا الْجِبَالُ تَعَلَّقَتْ بِأَصُولِهَا
وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاطَرَتْ
وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا
وَإِذَا الْوُحُوشَ لَدَى الْقِيَامَةِ أَحْضَرْتَ
فَيَقَالُ سِيرُوا تَشْهَدُونَ فَضَائِحاً
وَإِذَا الْجِنُّنُ بِأُمَّهِ مُتَعَلِّقُونَ
هَذَا بِلَا ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِهِ
فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ
وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُدُورُ
خَلَّتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُورُ
وَتَقُولُ لِلْأَمْلَاقِ أَيْنَ تَسِيرُ
وَعَجَائِباً قَدْ أَحْضَرْتَ وَأُمُورُ
خَوْفِ الْحِسَابِ وَقَلْبُهُ مَدْعُورُ
كَيْفَ الْمُقِيمُ عَلَى الذُّنُوبِ دُهُورُ

وَخَتَاماً فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ اللَّيِّبِ أَنْ لَا يُضَيِّعَ أَيَّامَ صِحَّتِهِ وَفِرَاحَ وَقْتِهِ بِالتَّقْصِيرِ
فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَنْ لَا يَتَّقَ بِسَالِفِ عَمَلٍ وَيَجْعَلَ الاجْتِهَادَ غَنِيمَةً صِحَّتِهِ،
وَيَجْعَلَ الْعَمَلَ فُرْصَةً فِرَاحِهِ. فَلَيْسَ الزَّمَانُ كُلُّهُ مُسْتَعِدّاً وَلَا مَا فَاتَ
مُسْتَدْرِكاً..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ وَصِيَّةٌ مُفِيدَةٌ جَدَا.

مَنْ عَلِمَ قُرْبَ الرَّحِيلِ اسْتَكْتَرَّ مِنْ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ ،
وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ ، خُصُوصاً إِذَا كَانَ قَدْ جَاوَزَ خَمْسِينَ سَنَةً ، لِأَنَّهُ قَدْ قَارَبَ سَاحِلَ الْأَجْلِ
بَعْلُو سَنَةٍ ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُبَادِرَ اللَّحْظَاتِ ، وَيَنْتَظِرَ الْهَاجِمَ بِمَا يَصْلَحُ لَهُ ،
فَقَدْ كَانَ فِي قَوْسِ الْأَجْلِ مَنَزَعِ زَمَانِ الشَّبَابِ ، وَاسْتَرَخَى الْوَتْرُ بِالْمَشِيبِ عَنْ
سِيَّةِ الْقَوْسِ ، فَانْحَدَرَ إِلَى الْقَلْبِ ، وَضَعُفَتِ الْقُوَى أَنْ يُؤْتَرَ ، وَمَا بَقِيَ إِلَّا
الِاسْتِسْلَامُ لِمُحَارِبِ التَّلَفِ ، فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ إِلَى التَّنْظُفِ ، وَلِيَكُونَ الْقُدُومُ عَلَى
طَهَارَةٍ ، فَوَاسِئاً لِمُهْدَدِ بِالْمَوْتِ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ كَيْفَ يَعْقُلُ وَيُهْمِلُ وَكَيْفَ
يَطِيبُ عَيْشُهُ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٣	أحاديث في الحث على الأعمال الصالحة التي تنفع الإنسان حياً وميتاً
٩	خطبة الكتاب
١١	الإركان الستة وكيفية الإيمان بها
١١	الإيمان بالله ، الإيمان بالملائكة ، الإيمان بالكتب
١٦	الإيمان برسول الله وموضوع الرسالة
١٧	مايجوز على الرسل وما يجب لهم
١٩	الأدلة على صدقهم
٢٠	من أعلام نبوة النبي ﷺ
٢٣	الإيمان بالبعث
٢٤	الإيمان بالقدر
٢٥	تعريف التوبة وبيان شروطها وحكمها
٢٧	النصح في التوبة وما يتضمنه والحث عليها
٢٨	والإجماع على وجوبها والأدلة على ذلك
٣٢	ما ذكره ابن القيم من آثار المعاصي وذكر أضرارها
٣٧	أمثلة لأضرار الذنوب والمعاصي في الأمم الماضية
٤١	قصيدة زهدية ، الصغيرة من الذنوب تعظم بأسباب
٤٢	نصيحة والد لولده
٤٣	قصيدة زهدية
٤٥	وقت قبول التوبة ، وأمثلة للتسوف بها
٤٧	قصيدة زهدية والحث على حفظ الوقت
٤٨	خوف السلف من الذنوب
٥١	أسباب فساد الناس
٥٢	علامات العالم الحقيقي العامل بعلمه
٥٣	من لطائف البلايا وفوائدها
٦١	صاحب البصيرة إذا صدرت من
٦٢	علامات التوبة المقبولة وموجباتها وحقائقها
٦٩	فوائد ونصائح ومواعظ
٧٢	فائدة عظيمة النفع
٧٣	موعظة من نصيحة والد لولده

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٧٦ حث على مبادرة الأوقات وذكر طبقات المغترين
٨٧ فصل في العلم وفضله ويلييه موعظة
١٠٥ فصل في العلم والحث على تعلمه والأدلة على ذلك
١١٥ من كلام ابن القيم وغيره في العلم وفضله وشرفه وعموم الحاجة إليه
١٣٦ كلام ابن رجب حول العلم والعلماء وبعده قصيدة زهدية
١٤١ فوائد نافعة حول الافتاء والاستفتاء
١٥٢ قصيدة زهدية وعظيمة
١٥٤ مما قاله العلماء والادباء في العلم
١٥٥ قصيدة لابن مشرف في مدح العلم ويليها موعظة
١٧٤ فصل الاخلاص والنية في العلم والأدلة على ذلك
١٨١ الآفات التي تعرض للعامل في عمله
١٨٢ التحذير مما يخل بالعمل كالرياء وطلب المال والجاه
١٨٥ ذكر بعض فوائد الاخلاص وبعده ذلك موعظة
١٨٧ قصيدة حث على التمسك بالكتاب والسنة
١٨٨ فصل في محاسبة النفس والطريق إليها وبماذا تحصل
١٩١ حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات
١٩١ محاسبة النفس نوعان
 النفس منبع كل شرو وأساس كل نقص ولا بد من سوء الظن بها
١٩٣ ومشاطرتها على حفظ الجوارح
١٩٥ موعظة بليغة في الحث على التفطيش على النفس
١٩٥ موعظة لأمير المؤمنين على بن أبي طالب
 موعظة بليغة لبعض العلماء على قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا
١٩٧ كالذين نسوا الله ﴾ الآية
٢٠٤ كتاب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز في ذم الدنيا
٢٠٥ نصيحة للشيخ الواسطي
٢٠٨ كتاب الصلاة وتعريفها
٢١١ تقسيم القلوب الى ثلاثة لابن القيم ويليها كتاب الصلاة
٢٢٢ فصل في مكانة الصلاة وأهميتها والأدلة على ذلك
٢٢٤ فصل في الأدلة على كفر تارك الصلاة

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٢٢٦	موعظة
٢٢٩	الناس في الصلاة على مراتب خمس موضحة لابن القيم رحمه الله
٢٣١	الالتفات في الصلاة منهي عنه وهو قسمان
٢٣٢	غضب الشيطان عند قيام العبد إلى الصلاة
٢٣٣	وبيان من تكفر الصلاة سيئاته وهو من جعلت قره عينه ونعيم قلبه
٢٣٥	لكل مطلوب مفتاح وذكر بعض المفاتيح
٢٣٧	خسارة من فاتته الصلاة مع الجماعة وبيان الصلاة الكاملة
٢٣٨	والناقصة ويليها قصيدة زهدية وعظية
	موعظة بليغة عبارة عن خطبة وكل موعظة تصلح خطبة مما ذكر
٢٤٠	إذ كملت الشروط والأركان
٢٤٢	ذكر بعض فوائد الصلاة وذكر طرف من بعض فوائد صلاة النوافل
٢٤٣	والأدلة على وجوب صلاة الجماعة
٢٤٥	فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة
٢٤٦	أدلة على فضل الصلاة في جماعة والحث على تسوية الصفوف
٢٤٧	وبيان ما يعتبر في ذلك وهو الرقبة والأكعب
٢٤٨	وبيان ما يقال بعدما يكبر للصلاة
٢٤٩	مقدار القراءة في الركعتين الأوليين في الظهر والأخرتين
٢٤٩	والأوليين في العصر والآخرين في العصر ومقدار قيامه فيهما
٢٤٩	وما يقرأ في الصلاة المغرب
٢٥٠	مقدار التسبيح في الركوع والسجود وما يقال بعد الرفع من الركوع
٢٥٢	أسوة الناس سرق الذي يسرق من صلاته
٢٥٣	مقدار القراءة في صلاة الصبح
٢٥٤	الحث على الخشوع في الصلاة والتحذير من السرعة فيها
٢٥٥	وبيان معنى أقامتها وأن المصلين كثيرون والمقيمون لها قليلون
٢٥٦	الذكر بعد الصلاة والاستغفار والدعاء وسياق بعض الوارد من السور
٢٥٧	والآيات والكلمات والأحاديث
٢٦٠	الحث على المحافظة على الرواتب والنوافل وذكر فوائدها
٢٦٢	من فوائد الصلاة وما ذكر ابن القيم
٢٦٤	قصيدة زهدية وتظليه تحتوي على توبيخ النفس

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٢٦٨ الزكاة أحد أركان الإسلام
٢٦٩ بيان ما تجب فيه ، نصاب الزكاة ، وصفة زكاة الفضة
٢٧١ أو الذهب من الأوراق وما يتعلق بذلك وزكاة الصبي والمجنون
٢٧٢ زكاة الحبوب والثمار وما يشترط في ذلك وأنها لا تكرر
٢٧٣ متى تجب في الحبوب والثمار ومتى تستقر
٢٧٤ وما الذي ينبغي للإمام نحوها ويلى ذلك موعظة وجيزة
٢٧٥ شروط الخارص وما يجب أن يتركه لرب المال
٢٧٦ حث على البحث عن المستحق بدقة وبيان مصاريف الزكاة
٢٧٩ موعظة بليغة في الحث على الاستعداد للموت
 لا يدفع بالزكاة مذمة ولا يقي بها ماله ولا يستخدم بها
 بيان ما يأخذه كل صنف من أصناف الزكاة
٢٨١ موعظة بليغة في الحث على التاهب للموت
٢٨٣ فصل ما ورد من الوعيد الشديد في ترك الصلاة
٢٩١ ذكر بعض آداب الزكاة وما يلاحظ في ذلك
٢٩٥ موعظة بليغة في الحث على إخراجها
٢٩٦ فصل فيمن تحل له الصدقة والتحذير لمن لا تحل له
٢٩٧ أحاديث في التحذير من المسألة لمن لم تسقه ضرورة إليها
٣٠٠ موعظة في الحث على الفناعة يليها قصيدة في الحث عليها أيضاً
٣٠٤ أحاديث وآثار في الحث على الورع والزهد في الدنيا
٣٠٩ قصيدة في مدح رب العزة تبارك وتعالى والتحذير عن الدنيا
٣١١ فصل في صدقة التطوع وما ورد من الآثار الشرعية في فضلها
٣١٢ أحاديث في الحث على الصدقة وبيان آثارها
٣١٤ حديث سعيد بن المسيب في حماية الله للإنسان بسبب ما وفقه له
٣١٥ من صالح الأعمال وكلام شيخ الإسلام على هذا الحديث
٣١٦ الحث على الصدقة مادام الإنسان صحيح وبيان المسكين حقه
٣١٩ أفضل الصدقة جهد المقل والأدلة على أن الأعمال الصالحة
٣٢٠ تضاعف من الأمكنة الفاضلة
٣٢١ الأولى في الزكاة والصدقة الأقرباء الفقراء وطلاب العلم والجيران الفقراء
٣٢٣ موعظة بليغة في التهيؤ للارتحال إلى المقابر ويليها قصيدة زهدية

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٣٢٤	في الحث على التزود لدار القرار
٣٢٥	الفوائد المترتبة على أداء الزكاة وبذل صدقة التطوع
٣٣٢	موعظة بليغة في التحذير عن المعاصي
٣٣٤	فصل في البشارة في دخول شهر رمضان
٣٤٠	موعظة بليغة عن كلام رسول الله ﷺ أكثرها
٣٤٣	حكم صوم شهر رمضان ومن يجب عليه
٣٤٤	ماثبت به شهر رمضان وما يترتب على ثبوت رؤية الهلال
٣٤٥	لا بد للصوم من النية وحكم صوم التطوع
٣٤٩	من يسن له الفطر ومن يباح له الفطر ومن عرض له جنون أو غماء
٣٥٣	موعظة في الحث على عدم الغفلة عن ذكر الله والتزود للأخرة
٣٥٤	قصيدة زهدية
٣٥٦	ذكر أشياء تحرم على الصائم ويفطر بها وحكم ما إذا أكل أو شرب
٣٥٧	ناسياً أو فاء استنقاء
٣٥٩	موعظة بليغة في مسائل متعددة
٣٦١	قصيدة زهدية وعظمية
٣٦٢	بعض فوائد الصيام
٣٦٧	ذكر أشياء تخفى على بعض الناس في الصيام
٣٦٨	ذكر أشياء تحرم ويتأكد تحريمها في حق الصائم
٣٧٢	التحذير من الكذب وتأكده في حق الصائم
٣٧٢	أنواع الكذب وقول الزور ومضار شهادة الزور
٣٧٤	في التحذير من الغيبة
٣٨٠	الدواوين ثلاثة أثقلها ديوان ظلم العباد
٣٨٢	قصيدة في التحذير من الغيبة ويليها الحث على اجتناب ما لا يحل
٣٨٥	من النظر كالنظر إلى الاجتناب
٣٨٩	تحريم الخلوة بالمرأة بدون محرم والتحذير من اتخاذ صبي
٣٩٠	يخلو بهن أو اتخاذ خادمة تخلو بالرجال
٣٩٢	موعظة في الحث على صون النساء عن الخروج إلا لحاجة ماسة أو ضرورة ...
٣٩٥	فصل فيما يستحب للصائم أن يقوله أو يفعله وبأن من يسن عليه الفطر
٣٩٨	ما يقول الصائم إذا أفطر والحث على الفطر على حلال

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٣٩٩	الدعاء عند الفطر وآداب الدعاء
٤٠١	حكم قضاء رمضان ويليه موعظة
٤٠٦	صلاة التراويح وبيان كيفية صلاة التراويح
٤٠٧	التراويح سنها رسول الله ﷺ
٤٠٨	الذي عليه جمهور المسلمين عشرون ركعة بدون الوتر
٤١٣	قصيدة زهدية أصولية ويليها موعظة
٤١٦	مشروعية صلاة الوتر وبيان وقته وبيان عدد الوتر أقله وأكثره
٤٢٢	دعاء القنوت ويليه قصيدة لابن عبد القوى
٤٢٤	كتاب الفضائل
٤٢٥	ما ينبغي أن يفعل في ليالي عشر رمضان الأخيرة
٤٢٩	موعظة بليغة يليها قصيدة زهدية وعظيمة
٤٣٢	فضائل ليلة القدر وعلاماتها والأحاديث الواردة في ذلك
٤٣٥	الحث على قيام ليلة القدر والاجتهاد فيها بالعبادة
٤٣٧	وبعده قصيدة زهدية يليها موعظة وحث على حفظ الوقت
٤٤١	ذكر بعض الأدعية الواردة وأدلتها
٤٥٤	زكاة الفطر وما ورد فيها من الآثار ومقارها وبيان من تجب عليه
٤٥٥	وبمن يبدأ من وجبت عليه فطر متعددة وحكمها عن الجنين
٤٥٦	وقت وجوب صدقة الفطر ووقت استحباب إخراجها
٤٥٧	وحكم تأخيرها وماذا يعمل من فوت وقتها
٤٥٨	من وجبت عليه فطر متعددة محل إخراجها
٤٥٩	مقدار الواجب وحكم إخراج الدقيق والقيمة وشرائها
٤٦٠	والمعيب والمختلط بغيره
٤٦١	فصل يحتوي على موعظة لتدارك بعض الفأثت
٤٦٤	إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب الذل والانكسار
٤٦٥	قصيدة لتوديع شهر رمضان
٤٦٦	فصل في تلاوة القرآن الكريم وذكر ما ورد في فضل حمل القرآن
٤٦٦	في الحث على قراءة القرآن الكريم وحفظه وأن فيه فضل عظيم
٤٧٨	مما ورد في فضل القرآن وتفهمه واستحباب ترتيله
٤٧٩	قال ابن القيم عشرة أشياء ضائعة وبعدها ذكر ما ورد في فضل

